مجلة الأزهر

٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨٢

المجلد الثالث والستون ـ القسم الثاني

السنة ١٤١١هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail: info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رجب ١٤١١ هـ
يناير - فبراير ١٩٩١ م
الجزء السابع
السنة الثالثة والستون

ص ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الدِّين والأبواب الخلفية

هو "واحد" من مخلوقات الله الحكيم سبحانه وتعالى .

لايَحمل أى تخصص فى أى من علوم الدِّين ، بداية من اللغة وختاما بعلوم الشريعة ، وهذا شىء لا يَعيبه ، فما أكثر التخصصات المحترمة علميا ، ومرورها على اللغة والشريعة مرور الكرام ، يُعَنِّيهَا الأمرُ من أمور الدين فتسأل فيه ذوى الخبرة وتستجيب لأمر الله تعالى ، ملتزمة علميا بالتخصص مقدرة له ، تنحنى إيمانا واحتراما لقوله تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل ٤٣ .

لكن صاحبنا هذا شاء أن يتحدث فى شئون المال دينيا مصمما على حِلِّ التعامل مطلقا مع البنوك ، محتدا فى خطابه ، مندهشا ، أو متظاهراً بالدهشة من معارضه مُخاطبه ، وهو أستاذ بكلية الشريعة - جامعة الأزهر - متخصص فيها لغة وفقها وأصولا .

قال له صاحبه - وهو يحاوره : يحرم التعامل بشهادات الاستثمار .

فقال : بل هى حلال ... هل الدين حِكْرٌ عليكم . ؟ !

الديــن والأبــواب الخلفيــة

قال صاحبه : ليس الدين حكرا على أحد ... وليتك ـ وأنت مثقف ثقافة عالية ـ نظرت بعلم إلى (الدِّين) ـ من حيث هو عقيدة ، فقلت : ليس هو حكراً على أحد ، ثم ثنَّيت النظرة إلى (علوم الدين) فقلت : هى تخصص فليست لكل أحد ! ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه .

عندئذ ياسيادة الدكتور تكون أمينا مع ربك ودينك ونفسك والمسلمين !

أما ، وأنت تريد بقولك : « ليس الدين حكراً على أحد » أن تقفز بمقولتك إلى (الفتوى) فيه ، فأنت تقول كلمة حق تريد بها باطلا ، ولا نقاش معك حتى تلتزم ببدهيات العلم والحوار .

●●●

وفى الحق :

كان البحث فى مسائل أعمال البنوك يجرى بمسلك علمى جليل بين رجال الاقتصاد ،وعلماء الأزهر ... كلٌ يبسط من رأيه ، ويدلى بحجته ، ففريق من الاقتصاديين أبى إلا أن تكون كل أعمال البنوك جائزة ، وفريق منهم رأى أن أعمال البنوك ماهى إلا قرض وإقراض كلاهما ربا ، وفريق الفقهاء الملتزم ببحوث مجمع البحوث الإسلامية الذى بين مافيها من أعمالٍ لا يشوبها ربا فهى حلال ، وما فيها من أعمال يعلق بها الربا فهى حرام ، وأعمالٍ قيد البحث والدرس يقوم عليها علماء يعملون ليخرجوا للناس بأحكامها ..

وكان واضحا طِيبُ هذا المسلك وحسن الاستجابة له .

وفجأة :

ادلى أحد المنتسبين إلى الاقتصاد بقوله :

إن هذه المسائل تحتاج إلى وقت مُستَأنَف للبحث من جديد .

وفى الحق أيضا أن كثيرا من رجال الاقتصاد يَعِزّ عليه جداً أن يخرج من هذا البحث بالتسليم لأمر الله .. وليبرر لنفسه حَماسَها لاقتصاده ينحو على علماء الدين باللائمة فيصورهم بالقصور فى البحث والدرس ... وحسبنا الله ...

إنه لا وَقْت جديد يَنفع ... ولا رسول جديد يُبْعَث فقد أحل الله البيع وحرم الربا

وعلى أى حال :

كان الميدان عند هذا الحد من التبادل العلمى وطرح البحوث مباركا مفيداً ... حتى ظهر ـ فى الميدان ـ لون .... لا يمت إلى العلم بصلة .

فقيل : « إن عالما جليلا غير رأيه فى الاستثمار » .

وعالما جليلا أحل أعمال البنوك .

وكلا العالمين برىء لم يصدر عنه شىء فى هذا القبيل إلا ما أمر الله .

وياله من بهتان .

د. على أحمد الخطيب

أرض الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج ملامح وإشارات

ثلاثة مساجد وثلاث دلالات

الاغتصاب في أرض الإسراء

الإسراء والمعراج

ملامح وإشارات

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

ها هو ذا هلال شهر « رجب » قد أهله الله على الإنسانية وهى تموج فى بحار من الفتن والفتنة ـ وهو من الأشهر الحرم التى توارث العرب حرمتها عن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ

وهى كما ورد عنهم ثلاثة سرد ـ « ذو القعدة » و« ذو الحجة » و « المحرم » ـ وواحد فرد هو « رجب مضر » .

ولقد جاء ذكرها وبيان حكمها إجمالا فى قول الله سبحانه فى « سورة التوبة » .. ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وجاء بيان هذه الأشهر بأسمائها وسماتها فى خطبة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى « حجة الوداع » :

(... أيها الناس :

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .. السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : « ذو القعدة » و« ذو الحجة » و « المحرم » ، و « رجب مضر » الذى بين « جمادى » و « شعبان » ..) . (رواه البخارى)

وللعلماء ورجال التاريخ أقاويل فيما وقع من تأخير وتقديم فى الشهور العربية فيما قبل الإسلام ، وهو ما سماه الله « نسيئا » ، وأشار إليه القرآن فى قول الله تعالى فى « سورة التوبة » ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي

الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَاحَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وبهذا جاء الدين القيم أى الشرع فى الإسلام ، طاعة لله باتباعه وبإلغاء ماكان سائدا من تقديم وتأخير ووافقت « حجة الوداع » واقع الأشهر فى عقد السنة القمرية فكان يوم « عرفة » الذى خطب فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان مما قال : (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض) .

ومع هلال هذا الشهر « رجب الفرد » نذكر (الإسراء والمعراج) .

تلك المعجزة التى اختص الله بها سبحانه النبى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأرجح الآراء فى تاريخها أنها كانت بعد وفاة عمه أبى طالب وكان سن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسعة وأربعين عاما وثمانية أشهر وأحد عشر يوما .

وقد توفيت خديجة بنت خويلد زوج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد وفاة عمه أبى طالب بثلاثة أيام ، وبهذا تصاعدت المصاعب ، وتوالت المتاعب أمام رسالة الإسلام وتبليغ القرآن ، فقد كان كل من العم ومن الزوج للرسول وللرسالة نصيرا وظهيراً .

فهذا أبو طالب كان حفيا بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ وفاة جده عبد المطلب وكانت قريش تهاب أبا طالب وتوقره وتجله ، وترهب أن تنال من النبى خشية من غضبه لابن أخيه .

ولقد امتد دفاع أبى طالب إلى من أسلموا من ضعفاء القوم . وكانت لخديجة زوج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مواقفها المحمودة .. حيث وجد منها العضد القوى والنصير المخلص الأمين والمواساة فى أحلك المواقف .

كانت ـ رضى الله عنها ـ الردء المكين للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ تزوجها . فقد قال عنها فى حوار مع عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ مثنيا على ما فعلت وما بذلت : (ما أبدلنى الله خيرا منها ، وقد آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وآستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى ولد النساء)(١)

فلا غرو أن يكون عام وفاة أبى طالب وخديجة هو عام الحزن على ناصرَيْن مدافعين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤازرَين له فى دعوته ، لكن رحمة الله قريب من المحسنين فقد جاءت رحلة الإسراء والمعراج منة من الله سبحانه ومنحة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستوفده ليريه من آياته الكبرى .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير

◆ الإسراء والمعراج ملامح وإشارات

أى تكريم هذا وأى احتفاء واصطفاء إنه نصر الله لعبده ونبيه ، إنه حافز ربانى ربط على قلب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشد من أزره ، ليثابر على أداء مهام الرسالة مهما كانت الأنواء ، وكأن هذه الرحلة تقول لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن كان قومك قد ناصبوك العداء ورغبوا عن أن تكون لهم رائدا وهاديا ، أو ضاقت برسالتك بطحاء مكة وشعابها فإن ملأ آخر فى السماء يرحبون بك وقد اتخذوك لهم إماما وانفتحت السموات لك ترحيبا وتأييدا ..

وكان أن عاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد مايكون إقبالا على مهام دعوته يحدث القوم بما رأى وبما سمع ، لا تزيده الصعاب والصدام لدعوته إلا قوة ومضاء .

وكانت الصلاة التى فرضت فى السماء طاقة دافقة لسمو المسلمين يتسامون فيها وبها عن المادة ويسعون ما استطاعوا إلى القرب من الله بامتثال مابه أمر واجتناب ماعنه نهى وزجر ، ذلك لأنها فرضت فى الملا الأعلى ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى ﴾ . ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ . وإذا كان « الإسراء والمعراج » الذى نتذاكره فى شهر « رجب الفرد » معجزة أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحدوثها وكان لها أثر كبير فى مجريات الدعوة والرسالة وكمالها ، وهى معجزة مؤثرة نفسيا وذاتيا فى دعم الرسول وتثبيت قلبه ، ذلك لأن المعجزات التى أجراها الله تعالى على أيدى رسله الأكرمين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ قد جاءت مادية أو معنوية .

فالمعجزات المادية بالنسبة للرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كانشقاق القمر » و« نبع الماء » من بين أصابع يده ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ورده العين التى قلعت » وكان هذا مشاهدا مرئيا من معاصريه المرافقين له ، وهذه المعجزات المادية يقف أثرها لمن شاهدوها وتبقى رواية لمن يأتى من بعدهم أما المعجزة المعنوية فقمتها وأبقاها وأبعدها أثراً : « القرآن الكريم » وتتلوه معجزة : « الإسراء والمعراج » .

وتهدف المعجزة إلى هدف عام يتمثل فى تأكيد صدق الرسول الذى ظهرت على يديه ـ فى رسالته وأن ما يبلغه هو من عند الله .

وهدف خاص يحدد اتجاه الرسالة وأبعادها وخطواتها وهذا الهدف الخاص لرسالة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُستوحى مما أجمع عليه كُتَّاب السيرة النبوية الشريفة ..

ومما رواه المحدِّثون فى جوامعهم ومسانيدهم من أن رسول الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أسرى به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، ومنه عرج به إلى السموات العلا ... كما أجمعوا على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد صلى بالأنبياء إماما فى « بيت المقدس » ، وصلى الأنبياء وهم مؤتمون خلفه ، يصلون بصلاته .

ولهذه الإمامة فى تلك البقعة المباركة إيحاءات وإشارات هامة لعل أقربها وضوحا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..

ـ أنه بهذه الإمامة انعقدت قيادة الإنسانية للإسلام ذلك أن تقديم جبريل الأمين رسول الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإمامة الأنبياء بدعوة من الله وتقدمه وصلاتهم من خلفه إبلاغ لهم بانتهاء ماحمِّلوا من رسالات ومن خلفهم أتباعهم حتى يتهيأ الناس لاستقبال هذا التحول إلى الرسالة الإسلامية الخاتمة للرسالات ..

ولقد كشفت هذه الإمامة أن هدف الإسلام وحدة القيادة فى شريعته ، وأنه لا يجوز التفريط فى هذا الهدف وأنه وإن انفرط عقدها بعد الخلافة الراشدة فى الثلاثة الأول ، فإنه لا ينبغى الاستسلام للحوادث والنوائب التى حاقت بالأمة الإسلامية منذ أن كانت تلك الفتنة الأولى ، ولا يليق بالمسلمين أن يفرطوا فى أبعاد هذه الإمامة ولا فى مقامها ومكانها ، حيث أخذ الله ميثاقه على النبيين بتصديق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإيمان بنبوته وبرسالته ونصرته على ما يشير إليه قول الله سبحانه فى « سورة آل عمران » :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ..

فكانت صلاة الأنبياء خلف الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه الليلة ـ ليلة « الإسراء والمعراج » وفى هذا الموقع « بيت المقدس » ـ إبرازا لهذا الميثاق وإعلاما لأمم أولئك الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بأن الوحدة الإنسانية فى العبادة والحكم هدف مشروع ينبغى السعى إلى الوصول إليه .

هذا : وأن المسلمين إذ تمر بهم ذكرى « الإسراء والمعراج » ينبغى أن يعودوا سراعا إلى تقوية أواصر المودة فيما بينهم وأن يكونوا عباد الله إخوانا ، وأن يتذاكروا ـ بإمعان وإتقان ـ مايستوحونه منها ليكون لهم زادا يدعمون به مسيرتهم فى هذه الحياة ويتغلبون على يأسهم وفرقتهم .

ولينشط الدعاة من العلماء إلى التذكير بالحكمة والموعظة الحسنة .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

ثلاثة مساجد
وثلاث دلالات

للأستاذ الدكتور محمد البهى

يروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ـ رواه مسلم فى كتاب الحج .

ومعنى شد الرحال إلى هذه المساجد : القصد فى الانتقال إليها لزيارتها وأداء الصلاة فيها .

والإسلام يحتاط كثيراً فى ربط العبادة بالأماكن ، خشية أن تتحول العبادة من الله لذات الأماكن نفسها ، ومن ثم يعود الشرك بالله من جديد . ولكنه يربط مناسك الحج بأماكن معينة فى مكة وما حولها : لإحياء ذكريات تاريخية خاصة .. أو استهداف غايات دينية معينة . وعلى [ذلك] كان ربط عبادة الحج بأماكن معينة وجواز الانتقال إليها لأداء هذه العبادة .. كذلك يجيز الانتقال إلى هذه المساجد الثلاثة وأداء عبادة الصلاة فيها ، لأهداف تستهدف من زيارتها . بجانب أداء الصلاة فيها .

فالمسجد الحرام بمكة : زيارته وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام : بعودة الرسالة الإلهية إلى صفائها ، وإلى ما كانت عليه ، على عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام . فالكعبة فيه أول بيت لله : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1] .. وأقامه إبراهيم وإسماعيل : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] .

وقَصَدًا من إقامته الدعاء والصلاة فيه وأن

(١) آل عمران : ٩٦/٩٧

(٢) البقرة : ١٢٧

يجعلهما مسلمين ويخلق منهما أمةً مسلمة : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٣) .

وعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بجانب الدعوة إلى الإسلام : إزالة آثار الشرك والوثنية المادية فى محيط بيته ، حتى تكون عبادة الناس فيه خالصة لله أى أن تكون العبادة له وحده : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا [أى آمنوا] فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَإِن تَوَلَّوْا [أى أعرضوا عن الإيمان] فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾(٤) .

وفى تأكيد ولاية الله للمؤمنين ومساندته لهم فى قتالهم ضد الماديين ، ووعده بنصرهم عليهم .. ما يوضح خطورة أصحاب الاتجاه المادى فى الحياة ، ومبلغ عيثهم وفسادهم ، ومنتهى سخريتهم بالقيم العليا التى تتمثل تامة كاملة فى صفات المولى سبحانه .

وقد أتم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حياته بفتح مكة : تحقيق الأهداف الثلاثة التى ارتبطت ببيت الله بمكة : فحقق مقاومة المادية ، وطهر الكعبة من مظاهر هذه المادية التى تمثلت فى أحط صورة لها ، وهى صورة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر . وبذلك حافظ على أن يبقى بيت الله .. لله وحده ، لا شريك له ، وأعاد رسالة إبراهيم وإسماعيل ، نصاعتها ، وهى رسالة الإسلام ، وتكوين أمة مسلمة خالصة لوجه الله .

فزيارة المسجد الحرام بمكة ، وشد الرحال إليه ليس لأنه مكان عبادة ، ولكن لأنه يُذَكِّر كل مؤمن قادم إليه بالمهمة التى أنجزها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته بتكليف من ربه ، وهى مهمة مقاومة المادية ، التى هى ليست ممثلة فحسب فى الأصنام . ولكن قبل ذلك : ممثلة فى عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ، وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله ، على أى عهد وفى أى عصر . وبالانتصار على المادية ينتهى الشرك بالله ، ويصان بيت الله ، لله وحده . وقد جاء قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾(٥) .. تعبيراً عما يجب أن يكون لدى المؤمنين من إصرار على مقاومة المادية مقاومة مستمرة ، إذ لو تركت وشأنها ربما تطغى وتقتحم من جديد كل مكان يعلو فيه صوت المؤمن بـ : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) .

والمادية إذن ليست المادة .. وليست الاستمتاع بها . ولكنها اتجاه مخرب فى الحياة للقيم الإنسانية ، وللروابط السليمة فى المجتمعات البشرية .

وزيارة بيت المقدس ـ أو المسجد الأقصى ـ وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما طلب إليه فى كتاب الله من إعلان تصحيح رسالة موسى

(٣) البقرة : ١٢٨
(٤) الأنفال : ٣٩/٤٠
(٥) التوبة : ٢٨

ثلاثة مساجد وثلاث دلالات

وعيسى وإبعاد ما لحقهما من تحريف على يد بنى إسرائيل :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٦) . وقد جاء تحريفهم على نحو ما يحكيه قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ [والحديث هنا عن الماديين المشركين بمكة] تَجْعَلُونَهُ [والخطاب الآن إلى بنى إسرائيل] قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ اى أنهم قسموا كتاب موسى إلى صحف وأجزاء : أبدوا البعض .. وأخفوا الكثير منها . وهذا كناية عن أن التوراة لم تعد صالحة الآن ، لأن تكون نوراً وهدى للناس ، كما جاءت أول الأمر . ولذا كان هناك فراغ فى هداية البشرية نزل القرآن ليملاه . كما أشير بعد فى هذه السورة فى قوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (يعنى التوراة) .

وإسراء الله بعبده محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بيت المقدس هو بمثابة زيارة له من الرسول . فإذا ضم إلى هذه الزيارة أداؤه ـ عليه السلام ـ الصلاة فيه ـ كما يروى فى الحديث الصحيح ـ وإمامته فى هذه الصلاة لأنبياء بنى إسرائيل ومن بينهم : موسى وعيسى .. عد ذلك توجيهاً من الله بمهمته مع أهل الكتاب ، وهى مهمة التوجيه .. وهى مهمة الكشف عن التصحيف وإعلان الباطل الذى باشره المستكبرون من الزعماء فى بنى إسرائيل فى استغلال الرسالة الإلهية التى تصورها التوراة فى عهديها القديم والجديد .

وشد الرحال من أتباع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعده إلى اليوم إلى بيت المقدس وأداء الصلاة هناك .. تذكير بحادث الإسراء .. وبالتالى تذكير بما كان لزيارته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ارتباط بوجوب إعلان الحق فى رسالة الله ، إزاء أهل الكتاب ، مما تآمر على إخفائه المتآمرون من بنى إسرائيل ، لمصالح دنيوية يرجونها من وراء ما يخفون من الهداية الإلهية .

والقرآن الكريم يفصل بين آياته دعوة أهل الكتاب إلى الرجوع إلى الحق ، فيقول فى بعضها : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ [كما كان النمط الأخير : هو شأن المستضعفين من المستكبرين فى مجتمع بنى إسرائيل] فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٧) .

ولم يرق لزعماء بنى إسرائيل أن يعلن القرآن الحق الذى اخفوه بصورة ما فى رسالة الله لموسى ، لأن إعلانه سيفوت عليهم مصالحهم الدنيوية ، وأصروا على أن ما أبدوه من كتاب موسى يمثل وحده الحق ، وأن ماعداه مما جاء بتصحيحه القرآن : كذب واختلاق ويقص القرآن فى هذا الشأن قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ [أى إذا أنزل الله فى القرآن حكماً على

(٦) النمل : ٧٦

(٧) آل عمران : ٦٤ ، ٦٥

خلاف ما فى التوراة] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا [أى لرسول الله عليه الصلاة والسلام] إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٨) .

وبيت المقدس من أجل المهمة التى نيطت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى دعوته فى مواجهة أهل الكتاب .. لا يقل أهمية إطلاقاً فى حياة المسلمين وفى دعوة القرآن ، عن أهمية بيت الله فى مكة ، فكل منهما يتصل اتصالا وثيقاً برسالة الله التى أوحى بها إلى رسول الله محمد ابن عبد الله - صلوات الله عليه وسلامه - ، فقد طالب القرآن - ويطالب المؤمنين به إلى يوم البعث - بمواجهة الماديين الذين تمركز نشاطهم إذ ذاك فى الكعبة بضلالهم .. كما طالب ، ويطالب المؤمنين به أيضاً إلى يوم البعث ، بمواجهة أهل الكتاب - الذين اتخذوا من بيت المقدس قبل الإسلام مقر نشاطهم بتزييفهم فى رسالة الله ، وبوجوب عودتهم إلى دين الله ، كما يعبر عنه القرآن ويعبر عنه دين إبراهيم : جد أجدادهم وآبائهم . وكل من بيت المقدس ، وبيت الله بمكة إذن : مَشْعَرٌ ، أتعبير مجسم لجانب من جوانب الدعوة الإسلامية ، وفقد المسلمين لأى منهما - فى أى وقت - هو فقد للعوامل التاريخية التى تذكى روح النشاط للدعوة إلى الإسلام ، والتى تعود بصلة الرسالة للرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى إبراهيم ، والتى تلقى الضوء الواضح على حق هذه الرسالة فى مواجهة ضلال الماديين ، وتصحيف المستكبرين من أهل الكتاب ، والتى تضع أمام البشرية إلى يوم البعث : هداية الله للمستوى الفاضل من الإنسانية .

وزيارة مسجد المدينة النبوية ، وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول - عليه الصلاة والسلام : أنه المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، كما يذكرانه ببناء المجتمع الإسلامى وتطوره فى هذا البناء الذى ارتبط به .. إلى أن انتهى الوحى بقوله تعالى : ﴿ . . . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٩) .. فشأن المجتمع الإسلامى : فى علاقة أفراده بعضهم ببعض .. وفى سياسة حكمه .. وفى صلاته بالآخرين فى المجتمعات الأخرى .. تحدد فى هذا المسجد بما كان يتلوه فيه رسول الله - عليه الصلاة والسلام : من وحى ينزل عليه ، لمعالجة مشاكل المؤمنين وقضاياهم التى كانت تحدث لهم ، وتتجدد من حين إلى آخر .

والقرآن الكريم - بما جاء فى السور المدنية منه - يوفر للمؤمنين دستور هذا البناء ، ونظام حكم مجتمعهم : إن فى العلاقات الاجتماعية .. أو فى المعاملات الاقتصادية والمالية .. أو فى شئون الأسرة .. أو شئون الحرب والسلم .. أو فى شئون السياسة الدولية .

وهكذا : أن اقترن بيت الله بمكة بمقاومة الإلحاد واتجاه المادية فى الدعوة الإسلامية للقضاء عليهما .. واقترن بيت المقدس والمسجد الأقصى هناك بريادة الدعوة الإسلامية فى تصحيح انحرافات أهل الكتاب .. فمسجد المدينة يقترن بقيام مجتمع إنسانى معافى من وباء المادية ، ومرض الاختلاق والتصحيف فى الرسالة الإلهية من أصحاب النفعية ممن وقعوا تحت تأثير إغراء الدنيا وجاه الحياة المادية من أهل الكتاب .

(٨) النحل : ١٠١/١٠٢

(٩) المائدة : ٣

ثلاثة مساجد وثلاث دلالات

والقرآن فى دعوته موزع على هذه الاتجاهات الثلاثة :

توضيح عاقبة المادية وشرورها على البشرية فى حديثه عن الشرك والمشركين ..

وتوضيح التحريف فى الرسالة الإلهية : فى كلامه عن أهل الكتاب ومعارضتهم لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ..

وتوضيح الصراط السوى للمجتمع الإنسانى المهذب : فى تناوله للمؤمنين ولآثار الإيمان فى الحياة الإنسانية .

وشد الرحال إلى هذه المساجد الثلاثة له دلالته القوية إذاً ، وله كذلك آثاره على المؤمن فى اعتزازه بانتسابه إلى أمة القرآن . لأنها الأمة التى تقيم مجتمعها على أساس من التقوى .. على أساس من تجنب مفاسد المادية ، وتجنب استغلال دين الله فى سبيل مصالح دنيوية .

وطالما كانت الفرصة أمام المسلمين متاحة لزيارة هذه المساجد الثلاثة .. فسبيل الاعتزاز والفخر بالانتماء إلى الأمة الإسلامية مفتوح لكل مسلم ، لم يغلق بعد .

ومن هنا كانت صيانة هذه المساجد الثلاثة وبقاؤها تحت إمرة المسلمين : واجباً دينياً وتاريخياً وإنسانياً فى عنق المسلمين وحدهم .

□

الاغتصاب في أرض الإسراء

حتى لاننسى هولاء الصهاينة !

• «سماعون للكذب أكالون للسحت»

• أملاك العرب وأموالهم فى بطون صهيون

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

فى الحادى عشر من ديسمبر ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٩٤ (٣) الذى يقضى بتكليف « لجنة التوفيق بفلسطين » بمهمة حماية حقوق واملاك اللاجئين الفلسطينيين ، ثم أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ٣٩٤ (٥) فى ١٤ ديسمبر ١٩٥٠ لنفس الموضوع فما قصة هذه الحقوق وتلك الأملاك ؟

تبدأ المشكلة ، وقت اصدرت سلطات الاحتلال الإسرائيلية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ تشريعا يجيز الاستيلاء على اموال العرب ، اسمته : « قانون استملاك الأراضى : تصديق الأعمال والتعويض » استهدفت منه استملاك الاراضى العربية تحت ستار الحاجة إليها لأغراض التعمير والإنماء والاقتصاد وشئون تتعلق بالأمن والدفاع .

تلاه تشريع آخر عام ١٩٥٠ أسمته « قانون الغائبين » وضعت بموجبه أموال العرب تحت الحراسة ، وأعطت صلاحيات واسعة للحارس فأجازت له بموجبها بيع الأموال المنقولة وغير المنقولة الموضوعة تحت الحراسة .

ثم أخذت السلطات اليهودية فى بيع أملاك اللاجئين الذين نزحوا عن فلسطين ، ودفع ثمن هذه الأملاك إلى إدارة توطين المهاجرين اليهود .

أعطى « قانون الغائبين حق بيع أملاك العرب

• احصاء عن دراسات للجامعة العربية

الاغتصاب فى أرض الإسراء

إلى سلطة الإصلاح بالثمن (الرسمى) وهو ثمن لا يتناسب مطلقاً مع القيمة الفعلية أو حتى مع القيمة التى اشترى بها الملاك الأصليون ، ولنبين جانبا من هذا الغبن نسوق بعض ما جاء فى بيان هذا (الحارس) وتم إعلانه فى نشرة الوكالة اليهودية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٥١ ص ١٤٣١ حيث جاء فيه :

« أن من ٣٥٪ إلى ٤٠٪ من دخل الإيجارات التى يحصلها الحارس انفق فى الإصلاحات .

و٢٥٪ من المتبقى دفع ضرائب و١٢ إلى ١٣٪ دفع لنفقات إدارية ، ومن ١٠٪ إلى ١٢٪ لإصلاح مناطق مختلفة .

هكذا فى عبارات لا ينقصها الاستهتار واللامبالاة حتى لتنأى عن توضيح ذوات ما أنفقت فيه .

ومن صور الظلم الفادح أيضا ما كان يحدث عند طلب صرف المال المجمد فى البنوك ، وهو خصم نسبة من المال المودع الذى يراد الإفراج عن بعضه باسم نفقات للحارس الإسرائيلى على أموال العرب الغائبين وتبلغ هذه النسبة ٢٥٪ من المجال المجمد أحيانا ، وتزيد عنها أحيانا أخرى وفقا لرأى الحارس الإسرائيلى وقرار سلطات صهيون ونذكر على سبيل المثال لا الحصر :

تلقى لاجىء فى لبنان من بنك باركليز فى حيفا قائمة برصيده حتى ٢٨ يناير ١٩٥٢ ممهورة بخاتم يحمل كلمة (محول من حارس أملاك الغائبين) وبينت هذه القائمة أن المبلغ المودع كان ٣٤٢٠ جنيها فلسطينياً فخصم منه بتاريخ ١٢ يونيو سنة ١٩٥٢ مبلغ ٣٤٢ جنيها (حوالى ١٠٪) كقرض وطنى إجبارى ، ومبلغ ٢٥٧٧ جنيها (أى نحو ٧٥٪) دفع إلى حارس أملاك الغائبين بموجب تحويل رقم ٦٩٨٦١ بتاريخ ٨ يناير ١٩٥٣ حسب طلب الحارس المقدم فى ٢ يناير ١٩٥٣ . فبقى للعربى ٥٠٠ جنيه فقط محولة إلى عملة إسرائيلية .

كذا وليعرف ذلك المسلمون فى كل مكان .

ثم يبدو الدهاء الصهيونى واضحا سافرا فى قانون التصرف الذى أصدرته السلطات الصهيونية عام ١٩٥٣ حيث نص على أنه « إذا لم يتصرف صاحب الملك بأرضه تصرفا فعليا « أى بنفسه وبيده » وكانت الحكومة محتاجة إليها للأغراض الدفاعية أو لأغراض التوطين فإن تلك الأرض تصبح بأمر من وزير المالية ملكا للدولة ولا يخضع ذلك لمراقبة المحاكم » .

وهذا الجزء يمثل أحد شقى الرحى ، أما الشق الآخر الذى تكتمل به بشاعة الصورة فهو (عندما ترغب السلطات فى الاستيلاء على أرض عربية ، ما فما على الحاكم العسكرى إلا أن يمتنع عن إعطاء الإذن لأصحابها بالتنقل فينطبق عليها نص القانون وتصادر) .

بهذه الوسيلة وبغيرها استولى اليهود على مئات الألوف من (الدونمات)[1] من أملاك العرب المقيمين فى فلسطين المحتلة .

وياخيبة للمتحسرين .

هكذا انطلق قانون الغاب بدءاً (بتشريعات ١٩٤٨/١١/٢٩) ، أى بعد أقل من ستة أشهر

(١) الدونم ١٠٠٠م^2 ألف متر مربع ، أى كيلو متر مربع .

من قيام حكومة صهيون ، يليها (قانون الغائبين) فقانون (نزع الملكية) فـ(قانون التصرف) وغيره وغيره ، مما اضطر هيئة الأمم المتحدة إلى إصدار قرارات عدة تقضى بضرورة عودة اللاجئين إلى ديارهم وتعويض من لا يرغب فى العودة منهم تعويضاً عادلاً .

ولم تأبه سلطات صهيون بالمجتمع الدولى ، بل زادت فى تعسفها وإجراءاتها الغاشمة ضاربة بقرارات الأمم المتحدة عرض الحائط مما اضطرت معه الأمم المتحدة إلى الإشارة إلى ذلك فى قرارها الصادر فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، بأنها (تلاحظ) بكل أسف أن القرارات المشار إليها آنفاً لم تنفذ بعد ، ولا سيما بالنسبة إلى اللاجئين الراغبين فى العودة إلى ديارهم . وبالنسبة أيضاً إلى التعويض العادل المناسب لممتلكات الذين لا يرغبون فى العودة .

وكالعادة تعالت صيحات استنكار من دول المنطقة ويكفى أن نذكر أنه فى الفترة ما بين عام ١٩٤٨ وأوائل عام ١٩٥٣ اقامت السلطات الصهيونية (٣٧٠) مستعمرة يهودية ، من بينها (٣٥٠) مستعمرة أقيمت على أملاك الغائبين العرب !!

ومن الحقائق المؤلمة أن مدنا مثل يافا واللد والرملة وعكا وبيسان ـ التى لم يكن يسكنها يهودى واحد ـ بل ومئات القرى غيرها باتت آهلة باليهود والصهاينة .

ونهب اليهود الأراضى والأملاك العربية من أجل توطين المهاجرين اليهود .

وفيمايلى قيمة الثروة العربية التى استولى عليها اليهود وفقاً لما قدره خبراء لجنة التوفيق المحايدون تلك اللجنة التى أنيط بها حماية حقوق العرب بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (٣) الصادر فى ٤٨/١٢/١١ ، والقرار رقم ٣٩٤ (٥) الصادر فى ١٩٥٠/١٢/١٤ .

١٠٠ مليون جنيه استرلينى مزارع الحمضيات بما فيها من أبنية وآلات .

١ مليون جنيه استرلينى مزارع الموز .

٢٧٥ مليون جنيه استرلينى مزارع الفاكهة والزيتون والأشجار الأخرى .

٣٠ مليون جنيه استرلينى الأراضى الزراعية الجيدة .

٢٢٠ مليون جنيه استرلينى الأراضى نصف الزراعية والمراعى .

١١٠٠ مليون جنيه استرلينى العمارات والمبانى والأملاك فى المدن والقرى العربية بما فيها من مواشٍ ومصانع وآلات .

٢٠٠ مليون جنيه استرلينى الأموال المنقولة والنقود والحلى والأموال المجمدة فى شركات التأمين والبنوك .

بإجمالى ١٩٣٣ مليون جنيه استرلينى

أما عن ريع الممتلكات العربية فى المنطقة المحتلة فقد قدرت بأكثر من ٤٧ مليون جنيه استرلينى (سنويا) . وتقدر كمايلى :

١٤,٧٥٠,٠٠٠ جنيه ريع أملاك العرب من الثمار الحمضية والزيتون والفواكه .

١٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه إيجار أراضيهم الزراعية التى يستغلها اليهود .

٢٢,٧٥٠,٠٠٠ جنيه إيجار دورهم ومساكنهم ومحلاتهم التجارية .

الاغتصاب فى أرض الاسراء

المجموع ٤٧,٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى

ترى ، كم بلغ الدين فى أعناق اليهود نتيجة استغلالهم لهذه الأملاك بحلول عام ١٩٩١ ؟

بالإضافة إلى ما استولوا عليه من أملاك حكومة فلسطين التى ورثتها عن الدولة العثمانية وهى أملاك (أميرية) تعود ملكيتها إلى أهل فلسطين العرب .

أما عن ملكية الأراضى التى اغتصبها اليهود من العرب عنوة ، فإنه يكفى أن نقول :

أن مساحة القسم المحتل كان موزعاً بالنسب التالية :

أملاك العرب ٣٦,٦٤٪

أملاك اليهود ٧,٢٣ ٪

الحكومة ٥٥,٦١٪

آخرون ٠٠,٥٢٪

الإجمالى ١٠٠,٠٠٪

وبعد[٢]

فهل من عبرة .

(٢) عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أملاك العرب وأموالهم المجمدة فى فلسطين المحتلة ـ إعداد ـ د / يعقوب الخورى .

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حى الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات رأساً إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

●●●

- بسعر:(٦٠) ستين قرشا للنسخة الواحدة داخل جمهورية مصر العربية السعر لاثنتى عشرة نسخة فى العام (٧٢٠) سبعمائة وعشرون قرشا
- السعر فى دول اتحاد البريد العربى للسنة (٥٢) دولار أو ما يعادلها .
- السعر فى باقى دول العالم (١٠٠) مائة دولار أو ما يعادلها للسنة

الفتاوى

في حكم التعامل مع شركات التأمين

اختيار مكتبة جمال في مصر

فتوى في حكم التعامل مع

شركات التأمين

ابتغاء شراء دار أو ادخار تقاعد أو مصروفات الطلاب في التعليم

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب ـ شيخ الأزهر ـ سؤال .

يستفسر فيه صاحبه عن حكم « التامين فى الإسلام » فى الوقائع التالية :

(أ) مسلم بحاجة إلى شراء دار له ولأهله ، ولا يملك المبلغ المطلوب ، ولذا يستقرض من مؤسسة مالية المبلغ المطلوب ، والمؤسسة تطلب منه شراء تامين على حياته للمبلغ الذى يستقرضه من المؤسسة فهل يصح له هذا ؟

(ب) هل يصح اشتراك المسلم فى مشروع تقاعد فى شركات التامين ، إذ لا تقوم الحكومة بحاجات الشيوخ والعجائز ؟

(جـ) إذا كانت التربية الجامعية غير مجانية ، ويلزم الطالب بدفع المصروفات للجامعة .

فهل يصح اشتراك فى التامين لمساعدة الأولاد لدراستهم الجامعية ؟ وختم السائل خطابه بقوله :

إن شركات التامين تعمل بالربا ، كما هو معلوم ، حتى انها تشترك فى بعض انواع التجارة التى لا تجوز شرعا .

فهل هذا مانع من الاشتراك فى التامين للمسائل المذكورة ؟

والجواب :

إن مؤتمر علماء المسلمين الثانى المنعقد فى الأزهر الشريف فى المحرم سنة ١٣٨٥ هـ / مايو سنة ١٩٦٥ :

قد قرر فى شأن التأمين ما يلى :

(أ) التأمين التعاونى الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات أمر مشروع وهو من باب التعاون على البر .

(ب) نظام المعاش الحكومى وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى بعض الدول ونظام التأمينات الاجتماعية المتبع كذلك فى بعض الدول كل هذا جائز .

* كما قرر فى شأن القروض المالية :

(أ) ان الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى وما يسمى بالقرض الإنتاجى ، لأن نصوص الكتاب والسنة فى مجموعها قاطعة فى تحريم النوعين .

(ب) كثير الربا وقليله حرام ، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح فى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ « آل عمران ١٣٠ ».

(جـ) الإقراض بالربا محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك .. ولا يرتفع إثمه إلا إذا دعت إليه الضرورة .

* ولما كان ذلك :

كان ما سأل عنه الطالب عن حكم الاشتراك فى مشروع التقاعد بشركات التأمين أنه من المباح ، إذ أنه من باب الادخار ، وهذا إذا خلا العقد من الربا البين أو شبهته ، كأن تكون هناك فائدة ربوية للشركة محددة مقدما .

* أما ما سأل عنه من التعاقد مع « شركة التأمين على الحياة » لإمكان اقتراض قيمة شراء دار له ولأهله ، أو لسداد المصروفات التعليمية الجامعية للأولاد .

فإن وقعت هذه الأمور لديه فى موقع الضرورة بأن لم يتيسر له ولأهله السكنى إلا بالاقتراض بالفائدة وبضمان التأمين على الحياة لدى شركة التأمين وبطريق الاقتراض لسداد مصروفات التعليم بأن لم يكن لديه كسب يفى أو ممتلكات يبيعها : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ « البقرة ٢٧٥ » ، ووقع هذا موقع الضرورة التى ترفع إثم اقتراف المحرم : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ « البقرة ١٧٣ » .

كان سلوك هذا الطريق ـ الاقتراض بالربا والتعاقد مع شركة التأمين ـ نظيره وضمانا له جائزا وهذا هو ما أفتى به « مؤتمر علماء المسلمين » حسبما سبق حيث أجاز نظم المعاش الحكومى وما يشبههما على النحو السالف ذكره .

هـــذا :

* ولا يخفى أن شركات « التأمين والبنوك » وإن كانت تشوب أكثر معاملاتها شائبة الربا إن لم يكن الربا الصراح ، ولكن ـ مع هذا ـ ففى عملها ما هو مشروع فى نظر الإسلام ، ومن ثم ووفقا للقاعدة الفقهية التى تقرر : أن : الدراهم لا تتعين بالتعيين ـ يجوز التعامل معها عند الضرورة بمعيارها المقرر فى الإسلام ، وبنص القرآن يباح هذا التعامل بقدر الضرورة ، ويرتفع الإثم فى تحصيل ثمن الدار أو مصروفات المدارس والجامعات للأولاد والاشتراك فى مشروع التقاعد .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

اختيار

ملكة جمال في مصر

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ مدير عام العلاقات العامة بالأزهر الشريف ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعد » .

فقد اتصلت جهات مختلفة من مناطق جمهورية مصر العربية بلجنة الفتوى تستفسر عن حكم شرع الله فى اختيار ملكة الجمال .

ولما كانت العهود التى أخذت على العلماء أن يبينوا للناس حكم شرع الله فيما يسألون عنه . فمن أجل ذلك قامت اللجنة ببيان حكم الشرع فى هذه القضية وهو مرسل لفضيلتكم .

رجاء التكرم بإرساله للصحف التى ترون أمانتها وقدرتها على النشر حسبة لوجه الله وخدمة للوطن وإبراء للذمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

أحمد مسلم

اتصلت « بلجنة الفتوى بالأزهر الشريف » عدة جهات من سائر انحاء الجمهورية .

تسال عن الحكم فيما يتردد على الألسن فى هذه الأيام من وجود رغبة فى اختيار ملكة جمال فى مصر .

ولما كانت « لجنة الفتوى بالأزهر الشريف » لا تستطيع من الناحية الشرعية أن تكون مُعْرِضَةً عن الاجابة لأن الله عز وجل اخذ عليها الميثاق ان تجهر بالحق كما أن الوطن يبغى ذلك منها ايضاً .

من اجل ذلك قامت بإصدار البيان التالى :

إن ما يتردد على الألسن من رغبة فى اختيار ملكة جمال فى مصر هو تقليد أجنبى لا يمت إلى الإسلام بصلة .

والإسلام فى تعاليمه التى ينطوى عليها الكتاب الكريم وتنطوى عليها السنة المطهرة يحرم ذلك تحريما قاطعا لما فيه . من إهدار لكرامة المرأة حيث إنه بطبيعة الحال يقتضى أن تكشف من جسدها ما أمر الله بستره مع أخذ مقاسات معينة من جسدها من أجل اختيار هذه الملكة .

والمرأة فى نظر الإسلام كاللؤلؤ المكنون لا يطلع عليه إلا الزوج لأنه هو الذى يعطيه الشارع الحكيم حق النظر إليها .

قال تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٣٠ ، ٣١ من سورة النور .

إن التفكير فى هذا الصنيع السيىء البغيض لا يليق ببلد دينه الرسمى الإسلام وفيه الأزهر الشريف الذى جعل مصر زعيمة العالم الإسلامى وقدوته الصالحة ولا يخفى على أحد أن هذا العمل يسىء إلى سمعة مصر فى الخارج وهذه ضربة مؤلمة قاسية لا نقبلها ولا نرتضيها ، إن عَرْضَ المرأة عرضا دوليا عند تنفيذ الفكرة باعتبارها ملكة جمال يسىء إليها كامرأة إساءة بالغة، ويغرى بها أهل الفساد، وهى بالتالى تفتتن بنفسها، ويفتتن بها غيرها ، وكل ذلك منعه الإسلام .

هذا ولما كان التفكير فى مثل هذا العمل البغيض من القبح والبشاعة على النحو الذى بيناه فنهيب بكل من يهمه أمر القيم الأخلاقية فى الوطن أن يُعرِض كل الإعراض عن هذا الأمر إبقاء على البقية الباقية من المثل العليا التى تشرف الوطن وترفع من شأنه وتعلى من قدره .

والله المستعان وهو ولى التوفيق .

صدر فى الثانى من جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ ١٩ من شهر ديسمبر سنة ١٩٩٠ م .

احمد حسن مسلم
محمود عبد الله
أ . د . عبد المنعم القصاص
محمود محرز سلامة
محمد مصطفى شحاتة
عبد الرازق ناصر محمد

اعضاء لجنة الفتوى بالأزهر

شأن المؤمن

الاقتداء والاهتداء

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله - ﷺ - يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع ، فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة ، فإنها بئست البطانة » . (رواه أبو داود بإسناد صحيح) .

ورواه الحاكم فى «المستدرك» من جملة حديث ، عن ابن مسعود ، وفيه : انه كان من دعائه ﷺ « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ونفس لا تشبع ، ومن الجوع فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة » .

● ● ●

كان من هدى رسول الله - ﷺ - توجيه أمته إلى المقاصد السامية ، والمثل الرفيعة التى تقودها وتفضى بها إلى سعادة الدارين ، ونعيم الجنة الذى لا يفنى ولا يبيد ، ولا يخالطه دخل ، ولا يشوبه كدر ، فكان المثل الأعلى ، والقدوة الحسنة ، حيث إنه قد اهتم بمنة من أهم منن الله على عباده ، وهى نعمة الطعام والشراب ، فإن الله سبحانه إذ يمن على عباده بالغذاء إنما يمن عليهم بنعمة الحياة ، ولقد أدرك الرسول - ﷺ - هذه النعمة ، وأدركها الأنبياء قبله .

فها هو إبراهيم عليه السلام يدعو إلى عبادة الله الذى بيده الموت والحياة : ﴿ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء ٧٨ - ٨٠ .

ولقد بين الرسول - ﷺ - سبيل الفوز والفلاح - فيما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما ، قال : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنَّعه الله بما آتاه » حيث

أعطى ما يكفى ويغنى عن سؤال الناس ، ويدفع الضرورات ، وهذه هى الحالة الوسط بين الغنى والفقر ، وخير الأمور الوسط ، كما أنها الحالة التى اختارها - ﷺ - لآله حين دعا الله قائلاً : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » . متفق عليه .

ومعنى القوت هو ما يسد الرمق والحاجة ، وهذه الحالة تجعل المؤمن يجاهد نفسه على الصبر عن القدر الزائد على الكفاف ، فلم يفته من حال الفقر إلا السلامة من قهر الحاجة ، وذل المسألة .

إن الجوع آفة الآفات ، وإن الإنسان إذا جاع عن حاجة حدث فكذب ، ووعد فأخلف ، وليس من شك أن تقديم العون للمحتاج من أجلّ الأعمال وأعظمها أجراً ، ولقد سئل رسول الله - ﷺ - « أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » رواه الشيخان .

وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال ؟ قال رسول الله - ﷺ - « أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العانى »-الأسير - رواه البخارى .

إن الإيمان الصادق ، والعقيدة الراسخة ، توجه المؤمن إلى امتثال أمر الله فى المسارعة إلى إنقاذ الجائع من ألم الجوع ، والمحافظة على حياته .

قال عز من قائل : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ[1] . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ (البلد الآيات ١١ - ١٦) .

وجاء فى الحديث القدسى : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة .. ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . قال يارب : كيف أطعمك وأنت رب العالمين .

قال .. أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه . أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ... »

ثم إن مكارم هذا الدين تحذر المؤمن أن يبيت شبعان ، وجاره جائع وهو يعلم .

ويقول - عليه الصلاة والسلام - عن الجوع . (إنه بئس الضجيع) أى أنه بئس المصاحب للإنسان ، إذ أنه حالة تمنع استراحة القلب وطمأنينة النفس فضلا عن إضعافه القوى ، وإثارته الأفكار الشريرة والخيالات الفاسدة التى تخل بوظائف العبادة ومن هنا منع الرسول - ﷺ - الوصال فى الصوم ، فلا يقدم عليه - بعد رسول الله - ﷺ - إلا قادر عليه عن استطاعة لا أذى فيها كما كان يفعل عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه .

كذلك كان من تربية رسول الله - ﷺ - للمسلمين أن نفرهم عن الشره ، فاستعاذ عليه الصلاة والسلام - من (نفس لا تشبع) نفس تتبع هواها فى الطعام فلا تقف عند حد ، ولاتدرك قناعة ، ولا تستمسك باعتدال أو عفة وقال - عليه الصلاة والسلام - توجيها للعمل الحميد : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة - وفى رواية - لابد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الإمام أحمد والترمذى .

● ● ●

(١) المسغبة : المجاعة

قبس من أنوار النبوة

ثم يستعيذ الرسول - ﷺ - من « الخيانة » قارنا ذلك بذكره « الجوع » واصفا إياها بأنها : بئس البطانة .

يعلمنا - عليه الصلاة والسلام - أن نستعيذ بالله ، بأن نلجأ إليه ونعتصم به ونتحصن حتى يحفظنا - بكرمه ولطفه - من التردى إلى « الخيانة » فإنها من خلال المنافقين ثم هى أسوأ صفة تقوم بنفس مؤمن تحول بين الإنسان والخير فهى كبطانة السوء للإنسان ، ومعروف أن بطانة الإنسان خاصته التى يخصها بقربه ومودته ويستشيرها فى أمره ، وأسوأ ما تكون البطانة حين تشير بالسوء وتدفع إليه ، وذلك أمر الخيانة دائما وإنما كانت من صفات المنافقين لتحسينها وتزيينها سىء الأعمال ، وكتمانها لمحاسنها ، ولذا حذرنا الله - عز وجل - منها فقال :
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنفال ٢٧ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ الأنفال ٥٨ .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ يوسف ٥٢ .
وليس كذلك الأمانة فإنها تاج الإيمان وشرف المؤمن ، ثم هى :

كل ما وكل إلى الإنسان حفظه ورعايته من نفس أو مال أو عرض ، أو علم ، أو قضاء ، أو شهادة أو مصلحة ، فإهماله أو التهاون فيه أو العبث به أو صرفه إلى غير وجهه خيانة .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - فيما رواه أحمد - قال : القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة . قال : يؤتى بالعبد يوم القيامة . وإن قتل فى سبيل الله - فيقال : أد أمانتك فيقول : أى رب كيف وقد ذهبت الدنيا ؟
فيقال : انطلقوا به إلى الهاوية وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه ، فيراها فيعرفها فيهوى فى أثرها حتى يدركها ، فيحملها على منكبيه ، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه ، فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين .

ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة وأشياء عددها ، وأشد ذلك الودائع .
قال راوى الحديث فأتيت البراء بن عازب فقلت : ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود قال كذا قال البراء : صدق . أما سمعت الله يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء ٥٨ .

وحديث الرجل لزوجه وحديث المرأة زوجها أمانة - تجب رعايتها . روى مسلم - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة . الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها » .

فعلينا أن نستعيذ بالله - اقتداء برسول الله - من كل شر وضار وأن نلجأ إلى الله فى كل الأحوال ، أن يحفظنا من ضار فى الدين أو الدنيا - وأن نستودع الله ديننا وأماناتنا وخواتيم أعمالنا .
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله ، ولا حرمنا من فيضه وطاعته .

أضواء على تاريخ الثقافة العربية في غرب أفريقيا

٢

للأستاذ الدكتور
احمد الحفناوى

لقد مر التفاعل الدينى الإسلامى ، القائم على ثقافة اللسان العربى مع الأسس الفكرية التى وجدت فى هذه المنطقة ، بثلاث مراحل عبرت خلالها الثقافة الإسلامية إلى هذه التجمعات :

أولاها : بدأت من تاريخ وصول الدين الإسلامى إلى المنطقة حتى أواسط القرن الثامن الهجرى ، لم يتجاوز أثر هذه الثقافة : تعليم الأهالى قراءة القرآن الكريم ، والسلوك الإسلامى فى المعاملات المختلفة .

ثانيتها : تميزت بتوطيد هذه البلاد بالعالم الإسلامى فى المشرق وفى دول الشمال الصحراوى حيث شهدت خلالها انتقال العلوم والمعارف الإسلامية إلى جانب المعارف المعمارية إلى بعض هذه المناطق ، فنتج عن ذلك نقل الثقافة الإسلامية والنظم المعمارية إليها .. مما أدى إلى ظهور مدرسة إسلامية سودانية خاصة فى ميدان علوم الدين : من فقه وحديث وغيرهما إلى جانب النمط المعمارى السودانى الذى جمع بين الطابع المحلى والهندسة المعمارية الوافدة !

ثالثتها : تبدأ من أواخر القرن العاشر الهجرى ، وشهدت هذه البلاد خلالها توسعا كبيراً فى المجالات المذكورة ، مع صقلها ، وإضافة مجالات وآفاق جديدة ، تمثلت فى فنون أخرى أعمق وأكثر إبداعا وإشراقا مثل : الفلسفة والمنطق والتاريخ وأدب الرحلات والشعر ...

هذا! إلى جانب عوامل أخرى ساعدت على أن تصل تلك البلاد إلى ما وصلت إليه فى مجال الثقافة الإسلامية ، فى نهاية القرن التاسع ، وخلال القرن العاشر الهجريين .

من هذه العوامل :

* **هجرة العلماء** ، إلى هذه البلاد ، ففى القرن التاسع الهجرى ، هاجر علماء ينتمون إلى أسرتين كبيرتين شهيرتين بالعلم . هما : آل « أقيت » وآل « أندغ محمد » « واستقروا فى وادى « النيجر » واعتبر أحفادهم أنفسهم سودانيين بالكامل ، فكان الفقيه والمؤرخ « أحمد بابا » تمبكتيا مثل شيخه الماندنجى « محمد باغايوخو » وكانا فخورين بانتمائهما إلى مدينة « تمبكتو » وحضارتها الزاخرة .. وقد رفض

أضواء على تاريخ الثقافة العربية

« أحمد بابا » الإقامة فى مدينة « مراكش » وفضل العودة إلى تمبكتو عند نفيه إلى المغرب خلال الحملة المغربية على « السنغهاى » !

وقد اندمج هؤلاء العلماء المهاجرون مع الصفوة من الموظفين الإداريين الذين هاجروا إلى هذه البلاد أيضا ، وساهم الجميع فى تنشيط الحياة العلمية والثقافية فى المدن المركزية ؛ فلم يكن علماء « تمبكتو » وغيرها من المدن يجهلون ما يجرى فى بقية أنحاء العالم الإسلامى ؛ ذلك لأنهم كانوا حريصين على دعم صلاتهم مع باقى المراكز الإسلامية فى المشرق وفى الشمال الأفريقى مثل : « المسجد الحرام » و« المسجد النبوى » و« الجامع الأزهر » و« القيروان » و« الزيتونة » ، و« القرويين » ، وبالرغم من أن العالم الإسلامى كان قد دخل فى طور الانحدار الحضارى فى نهايات القرن العاشر الهجرى ؛ إلا أن هذه المراكز الحضارية فيه ظلت تمثل معاهد جذب لعلماء السودان الغربى وغرب أفريقيا : فكانت الأراضى الحجازية المقدسة ، وكذلك مدينة « القاهرة » أهم البلاد المشرقية التى حرص حكام وعلماء هذه البلاد على الاتصال بها وبعلمائها ، كما حدث ، بين « إسكيا محمد » سلطان « السنغهاى » وبين العالم الموسوعى المصرى « جلال السيوطى » وكانت جامعة الأزهر أهم جامعة إسلامية فى عالم الإسلام ، تجتذب أساتذة وطلاب هذه البلاد ، ليس فقط بما تقدمه لهم من علوم ومعارف كانوا يجهلونها ؛ ولكن أيضا فى تحقيق ما كانوا قد تعلموه ودرسوه فى أقطار أخرى ..

ولهذا حرص العديد من علماء « تمبكتو » الكبار - وغيرها من المراكز الإسلامية فى تلك البلاد - على الإقامة فى رحاب الأزهر ، حيث كان علماؤه مسموعى الكلمة ، مبجلين من أهل العلم والمعرفة(١) . من أمثال : « محمد بن عبد الله البكرى » الذى كان شاعراً صوفياً ، و« الشيخ خالد الأزهرى » عالم النحو الشهير ، و« برهان الدين القلقشندى » ، و« برهان بن أبى شريف » ، و« الأخوان اللقانى » ، و« التدهورى الجمال » ، و« ابن زكريا » ، و« البكرى » وغيرهم .

لقد أثر الأزهر الشريف بتقاليده التعليمية فى علماء هذه البلاد وساعدهم على تطويع علوم اللغة والتمكن منها وهى ضرورية لمعرفة العلوم الإسلامية ، « مما جعل إسهامهم فى تطوير الحركة الثقافية فى بلاد السودان الغربى وغرب أفريقيا ، حقيقة واقعة ، لا يمكن إنكارها أو التقليل من شأنها ، وربما كان هذا هو الذى حدا ببعض الباحثين إلى القول : بأن جامعة « تمبكتو » تشبه إلى حد بعيد جامعة الأزهر التى تعلم فيها أساتذة « تمبكتو » وتخرجوا فيها بشهادات عليا(٢) .

وعرف من بين العلماء فى هذه البلاد - وكذا الطلاب - الذى اجتذبهم الأزهر : العالم : « أحمد بن عمر بن محمد أقيت » ، جد العالم التمبكتى : « أحمد بابا » ، الذى جاء إلى مصر والتقى بالعالم المصرى المعروف « السيوطى » ومنهم : محمود بن عمر بن محمد أقيت ، الذى زار مصر وقابل بها بعض العلماء - وناقش معهم عديداً من المسائل - مثل العالم المصرى : إبراهيم المقدسى ومنهم العاقب بن عبد الله الإنسامونى الذى درس على يد كل من محمد بن عبد الكريم المغيلى والإمام السيوطى فى مصر(٣) .
وكان من بين علماء مصر الذين سافروا إلى بلاد السودان الغربى واستقروا فيها : قاضى قضاة

المالكية ، بمصر : محمد بن يوسف الأندلسى ، الذى قدم إلى هذه البلاد بعد سنة ٩٠٩هـ .

ومن هذه العوامل ايضاً :

* ازدهار المدن المركزية التجارية : فمن المعروف أن هذه المدن فى بلاد حوض النيجر ، مثل « جاو » و« تمبكتو » و« جنى » وبعض مدن بلاد الهاوسا ، كانت كلها على جانب كبير من الازدهار والرفاهية ، مما جعل الحركة العلمية فى هذه البلاد فى القرن العاشر الهجرى ، ظاهرة حضرية فقط ، أى انها ازدهرت فى المدن دون غيرها من بقية انحاء البلاد من قرى وأرياف ؛ لذلك وجد انه حتى المعلمين الذين اقاموا مع تلاميذهم فى القرى يعلمونهم كانوا فى فترات تلقيهم العلوم يعيشون فى المدن ، وكانوا أثناء إقامتهم بالقرى يرتادون المدن بصفة دورية ، والسبب فى ذلك هو : أن خلو هذه المدن من المشاكل المالية وغيرها كان يشكل عاملاً هاما من العوامل ألتى تساعد الدارس والمتعلم على التفرغ الكامل للتحصيل خاصة مع توافر أماكن الدرس والبحث مثل : « المسجد الجامع » و« سوق الكتب » .. وغير ذلك .

يضاف إلى ذلك عامل حاسم وحيوى وهام هو :

* اهتمام « إسكيا محمد » سلطان « السنغهاى » ـ وكثير غيره من السلاطين ـ بنشر الإسلام والنهوض بالحركة الفكرية بوجه عام ، مما دفعه إلى تكريم العلماء والعناية بهم والاهتمام بمشورتهم ، حتى أن احد العلماء كان يتولى شئون امانته(٤) .

هذا على اننا لا نكاد نجد أسرة حاكمة فى هذه المنطقة ـ وفى هذه المرحلة من التاريخ ـ إلا وحاولت أن تجد لنفسها نسباً عربياً :

* فسلاطين « مالى » أو « التكرور » ، وصلوا بنسبهم إلى : عبد الله بن صالح بن الحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ !

* وسلاطين : « سنغهاى » .. فعلوا نفس الشىء .

وسلاطين : « كانم » و« برنو » ، وصلوا أنفسهم إلى حمير ..

وهذا كله ليفوزوا برضا الرعية ، وتقدير المعاصرين ، وليفسحوا لأنفسهم مجالاً فى الحياة الإسلامية الدولية آنذاك !!

ولم يعدم الأمر ، أن يقتبسوا من التقاليد الشائعة فى الحياة الإسلامية المعاصرة لهم ، على نحو ما ذكرنا .. !!

وإذا كانت المدن والمراكز الإسلامية فى غربى افريقيا قد اشتهرت فى أول امرها كمراكز تجارية ، فما كان ذلك إلا لفترة وجيزة ، لم تكن فيها بالمنطقة حكومات إسلامية قوية ، ولا كان الإسلام منتشراً بها بشكل كبير ؛ أما بعد ذلك ، فقد شهدت هذه البلاد ظهور عدد من المدن ، اصبحت فى ظل الحكومات الإسلامية بمثابة مراكز ثقافية إسلامية كان لها إشعاعها الحضارى البارز بما أدته من دور بارز فى مجال الفكر الإسلامى فى هذه البلاد .. ومن أهم هذه المدن والمراكز :

تمبكتـــــو :

فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، اتخذ بعض الطوارق من مكانها ، محطة لمواشيهم فى فصل الشتاء عندما كانوا يأتون من منطقة « أوران » وجعلوها كمخزن للحبوب وغيرها من حاجاتهم الخاصة ، وقد فرضت ظروف حاجتهم لهذا المكان عليهم أن يحفروا فيه « بئرا » ؛ مما ادى إلى جذب التجار إليه حتى صاروا يتقابلون فيه ، ويقيمون ، للراحة احيانا(٥) وبتعدد لقاءات التجار عنده تحول إلى سوق للتبادل التجارى ،

أضواء على تاريخ الثقافة العربية

بين الشمال الصحراوى والجنوب ، وبعد أن كانت سوق « ولاته » هى التى يقصدها التجار بقوافلهم من : « مصر » وواحات « أوجله » و« غدامس » و« فزان » ، و« توات » و« تافيلالت » و« فاس » و« السوس » و« درعة » ، أصبحت « تمبكتو » ـ وهو الاسم الذى أطلق على هذا المكان ـ فى نهاية القرن الخامس الهجرى ، هى التى أصبح التجار يحرصون على الالتقاء فيها للتبادل التجارى والمعاملات المالية ، وقد اشتهرت بتجارة : التمر والملح والذهب والحنطة وجوز الكولا ، وتألقت كمركز مسيطر على التجارة التى كانت تمر بين مدينة « جنى » ومركز « ولاته » ، كما أصبحت قرية « كابارا » ـ المشهورة بالصيد النهرى والمجاورة لها ـ بمثابة « ميناء » لها ؛ وذلك لوقوعها بالقرب من طريق نهرى يتحكم فى جزء كبير من بلاد السودان الغربى ، الأمر الذى أعطى « تمبكتو » ميزة كبرى على الأسواق المجاورة ، وكان من الطبيعى نتيجة لهذا النشاط التجارى ، أن تزداد الثروة ، ولما تحكمت « تمبكتو » فى الأنشطة الاقتصادية والمالية والتجارية ، انتقل إليها العلماء حيث استقروا فترة طويلة يمارسون التجارة ، إلى جانب التعليم .

لقد ذكرت بعض المصادر التاريخية : أن هذه المدينة ، ظلت قرونا لم تعرف خلالها ما يستحق أن يطلق عليه اسم « العمارة » بمعناه الحقيقى ، برغم وجود بعض مظاهر المعارف العلمية فيها : فكانت مساكنها بيوتا من الأخشاب والأشواك ، ثم تحولت إلى أبنية الأسوار والحوائط(٦) ؛ ولكن السلطان « منساموسى » عقب استيلائه عليها سنة ٧٢٥هـ ، قام بإنشاء العديد من المساجد : فيها وفى كبرى مدن دولته ، وهى فى ذلك العهد : « تمبكتو » و« جنى » و« جاو » ..

ويذكر « السعدى » : أما الجامع الكبير فالسلطان « منساموسى » « .. هو الذى بناه وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة به من خارجه من جهتى : اليمين(٧) . ـ تعبير السعدى ـ والمغرب ، وابتنى داراً للسلطنة ، فسميت : دار السلطان ومهما يكن من أمر ، فقد ظهر الدور الثقافى « لتمبكتو » مبكراً حيث تزامن ، توافد العلماء والأساتذة والطلاب إليها مع حركة بناء المساجد والمدارس فيها ، الأمر الذى جعلها فى نظر المسلمين تستحق : الخلود التاريخى شأنها فى ذلك شأن : القيروان فى أفريقية ، وفاس فى « المغرب » و« إشبيلية » و« غرناطة » و « قرطبة » فى الأندلس و« القاهرة » فى مصر . لقد ارتبط تاريخ الثقافة فى غرب أفريقيا ، بتاريخ هذه المدينة ، بدأت يوم ولدت المدينة ، واشتد ساعدها باتساع أفق المدينة وتطورها ، ثم خضعت لما تعرضت له هذه المدينة من مظالم الاحتلال المراكشى ، وما أعقبه من اضطرابات وتطورات .

وكانت مركز الحياة الثقافية ، وقلب الحركة الفكرية : اجتمع فيها العلماء من كل جنس ولون : المصريون ، والحجازيون ، والمغاربة والأندلسيون ، وفد إليها الناس من كافة بقاع السودان الغربى : من النيجر والسنغال وإمارات : « الحوصة » و«البرنو » و« كانم » ، كل هذه الطوائف كانت تأتى المدينة ، فتقيم بها زمناً ، ثم ترحل أو تقيم بها إقامة دائمة ، وقل أن تجد كتابا لم يؤلف فى « تمبكتو » أو فقيها لم يتعلم فيها ، أو يقيم بها : طالبا أو مشتغلاً بالتدريس فى جامعها الشهير بجامع « سنكورى »(٨) . الذى يشبه إلى حد بعيد

« الجامع الأزهر » فى مصر : فى تراثه ومكانته ..

لقد أقام فى هذه المدينة حشد كبير من العلماء والفقهاء ، وبرزت منهم طائفة وصلوا إلى مرتبة الإمامة أشار إليهم « السعدى » فى كتابه : تاريخ السودان منهم : الحاج جد القاضى عبد الرحمن بن أبى بكر ، الذى تولى القضاء فى أواخر دولة « مالى » ، ثم عمر الساكن تنديغ الذى تولى القضاء فى عهد « إسكيا محمد » و« أبو عبد الله اندغمحمد بن عثمان ، وأبو جعفر عمر وأحمد بن عمر بن محمد أقيت ، الذى ترك أكثر من سبعمائة مجلد ، ومخلوف بن على بن صالح »[٩] .

كان هؤلاء العلماء يشتغلون بالتدريس فى جامع « سنكورى » فى « تمبكتو » ، وكانوا بمثابة طبقة خاصة من سكان هذه المدينة ، وكانوا يتوارثون « العلم » ويكادونه يحتكرون فى أسرهم !! وكان الطلاب ، يفدون على هذه المدينة بعد أن يكونوا قد حفظوا أجزاء من القرآن الكريم فى مدارسهم القرآنية المحلية ، فإذا أتموا هذه الدراسة الأولية شدوا رحالهم إلى « تمبكتو » وأقاموا فيها حتى يتموا تعليمهم .. كانت حياتهم ميسورة ، يستضيفهم أثرياء المدينة وتجارها ، ووجهاؤها ، كما أن جامع « سنكورى » كانت له أوقاف ينفق من نتاجها على الطلبة المنقطعين للعلم .. ذكر « السعدى » أن هذه البلدة ـ يقصد « تمبكتو » ـ الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة .. ما دنستها عبادة الأوثان ، ولا سجد على أرضها ـ قط ـ لغير الرحمن .. كانت مأوى للعلماء والعابدين ، ومألف الأولياء والصالحين[١٠] .

كانت مركزاً لإشعاع فكرى بعيد المدى فى بلاد السودان الغربى ، فكانت سوقاً عظيمة لكتب تنسخ فيها المخطوطات من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وتباع فى أسواقها ، وكانت تلقى إقبالاً منقطع النظير من الطلبة والمشتغلين بالعلم والسلاطين والأمراء ، وكان علماء المدينة يقبلون فى شغف على إنشاء المكتبات الخاصة ، وبعضهم زادت كتبه على « الألفين » وفى رواية « السعدى » : « أن فقيها يدعى محمد بن محمود بن أبى بكر ، اقتنى نفائس الكتب الغربية ، وكان يأتى لبابه الطلاب يطلبون كتبا ، فيعطيها لهم من غير معرفة »[١١] ، كذلك فقد اقتنى بعض السلاطين مثل هذه المكتبات ، منهم السلطان : « إسكيا داود » سلطان « السنغهاى » المعروف[١٢] .

وصف الحسن الوزان مدينة « تمبكتو » : بأنها كانت تعج بالكثير من : القضاة والأدباء والدعاة ، الذين كانوا يعينون بأمر السلطان ، الذى كان يجلهم كثيراً وكان يشترى المخطوطات لمكتبات المدينة مهما ارتفع ثمنها ، وكان رواج الكتب فى « تمبكتو » نتيجة ازدهار العلوم التى كانت تدرس فى جامعتها « جامع سنكورى » الشهيرة ، ومدارسها ، سببا فى أن تجارة الكتب كانت أكثر جلباً للربح من أية سلعة تجارية أخرى[١٣] .

على أن الأمر الذى كان يزيد الحركة الثقافية والفكرية تألقا فى « تمبكتو » ، أنها لم تكن محلية الطابع ، وإنما كانت عالمية ـ بمستوى عصرها ـ اتصلت بالبيئات الثقافية المعاصرة :

* اتصلت بالأزهر ـ كما سبق أن عرضنا ـ فى العصر المملوكى وكان هذا أمراً هاماً لها ، فمصر موئل التفكير الإسلامى فى الشرق والغرب ، وأصبحت مقراً للخلافة العباسية فى هذا العصر وثقافتها الإسلامية أكثر توقداً من كل البيئات الإسلامية آنذاك .. ونلمح فيما كتبه « السعدى » هذه العلاقات التى توطدت بين الأزهر وتمبكتو إلى أبعد الحدود يقول السعدى : « رحل محمد بن أحمد التازختى » إلى الشرق واتصل بعلماء مصر مثل شيخ الإسلام زكريا والبرهانيين والقلقشندى وابن أبى الشريف وعبد الحق

أضواء على تاريخ الثقافة العربية

السنباطى وحضر دروس الأخوين اللقانيين ، ثم رحل إلى الحجاز وعاد إلى « تمبكتو » يذيع ما حصله من علم ومعرفة(١٤) .. هذا إلى جانب ما سبق أن عرضنا له من علاقات الإمام السيوطى بهذه البلاد وبعض سلاطينها ..

ولم توضح المصادر التاريخية ـ بدقة ـ مدى انتشار الثقافة العربية الإسلامية بين عامة الناس ـ فى ذلك العصر ـ وإن كنا نلاحظ أن مكاتب تحفيظ القرآن قد انتشرت فى العديد من القرى والدساكر التى دخلها الإسلام ، ونلمح من روايات الرحالة والمؤرخين : حرص أهل البلاد ـ جميعهم ـ على حفظ القرآن والتزامهم الشدة فى ذلك ، فقد ذكر « ابن بطوطة » أن أهل « مالى » جعلوا لأولادهم القيود إذا ظهر فى حقهم التقصير فى حفظه فلاتفك عنهم حتى يحفظوه(١٥) .

ولكنهم رغم هذا لا يستخدمون اللغة العربية فى حياتهم الخاصة ؛ وإنما كانوا يستخدمون لغاتهم المحلية ، ثم يصطنعون العربية فى تعبيرهم الثقافى وفى صلواتهم فقد حضر « ابن بطوطة » صلاة الجمعة بأحد مساجد « مالى » فرأى رجلا بيده رمح يقف ويبين للناس ـ بلسانهم ـ ما يقوله خطيب المنبر فى خطبة الجمعة(١٦) .

لقد خضعت « تمبكتو » ، لسيطرة « مالى » ، ثم للطوارق ، ثم لآل « سنى » ثم لحكم آل « إسكيا » بعد ذلك ، لمدة تسهل إلى مائة عام(١٧) ظلت عبر تطورها المتواصل ، لا يوقفها عن سيرها الحثيث ما كان يعترى طريقها أحيانا من بعض الاضطرابات الناتجة عن تقلب تبعيتها من حكم لآخر !

وقد نعمت المدينة بهدوء تام ، واستقرار ثابت فى عهد السلطان « إسكيا محمد » الذى كان حريصاً على دعم الثقافة والفكر الإسلامى فيها ، مما جعل عهده أزهى فترات التاريخ والحضارة الإسلاميين ، فى بلاد السودان الغربى على الإطلاق(١٨) .

لقد كانت الحياة فى هذه المدينة ، فى عهد هذا السلطان ـ على نحو ما وصف « الحسن الوزان » : لها شأن ، حيث كانت ، سوقا رائجة فيها البضائع من « مصر » و« المغرب » و« أوروبا » ، فكان أغلى ما يباع فيها الكتب ، كما كان بها أحياء خاصة يسكنها التجار الوافدون من جميع البلدان الإسلامية(١٩) . الأمر الذى رفع من شهرتها الثقافية والعلمية والاقتصادية .

التعليم فى « تمبكتو » :

* كان التعليم فى مراحله الأولى ، يتضمن تحفيظ القرآن الكريم للأولاد الصغار وتلقينهم مبادىء الدين الإسلامى الأساسية إلى جانب تعليمهم القراءة والكتابة للغة العربية التى كانت اللغة الوحيدة المستخدمة كلغة علم وإدارة .. وقد بلغ عدد سكان « تمبكتو » أكثر من ثلاثين ألف نسمة على عهد السلطان « إسكيا محمد » ، مما كان سببا فى كثرة عدد التلاميذ الذين كانوا يقبلون على التعليم ، حتى إنه أصبح متعذراً توفير المعلمين ، وقد أدى ذلك إلى إقبال عدد غير قليل من طلبة القرآن أنفسهم ، على ممارسة تعليم الصغار ، الذين كانوا يأتونهم لتلقى القرآن الكريم على أيديهم ، فى الوقت الذى كانوا هم فيه يتلقون دروسهم فى مراحل أعلى !

** أما التعليم فى جامع « سنكورى » « بتمبكتو » فكان بمثابة التعليم العالى ، وكان يشمل : نفس المناهج الدراسية ، التى كانت تدرس فى جامعات العالم الإسلامى الشهيرة ـ آنذاك ـ كجامعة الأزهر فى « مصر » والقيروان

فى تونس ، والقرويين فى « المغرب » والتى كانت تتضمن : التوحيد والمنطق والتفسير والحديث والفقه والنحو والصرف والبيان والمعانى والتاريخ والسير ، وغيرها من المعارف التى كانت تشكل فى ذات الوقت الدعائم الأساسية للعلوم الإسلامية واشتهرت جامعة « سنكورى » هذه ، بتدريس الفقه المالكى الذى كان يقوم بتدريسه علماء ضالعون ، سواء من السودانيين أم من الزائرين من أساتذة « الأزهر » و« فارس » ، الذين كانوا يأتون لإلقاء الدروس على الطلاب الذين وفدوا على هذه الجامعة ، من مناطق غرب أفريقيا المجاورة ..

وحدثنا « السعدى » : « إن بعض الطلبة كانوا ينفقون أكثر من ثلاث سنوات فى قراءة موطأ « مالك » وحده ، كما أشار إلى نماذج من الكتب التى كانت تدرس فى هذه الجامعة مثل : الشفاء للقاضى عياض ، « والصحيحين » و« المدونة » و« مختصر خليل » و« الألفية » ، ورجز « المغيلى » فى المنطق والخزرجية فى العروض ، وشرح الشريف السبتى ، وتحفة الحكام لابن عاصم ، وكتاب المعيار للونشريشى[٢٠] .

ولما كان غالبية رواد هذه الجامعة فى « تمبكتو » من الدارسين غير العرب ، كان الاهتمام بدراسة اللغة العربية شديداً جداً ، وكان الطالب ـ بعد إجادته لأية مادة من هذه المواد يحصل على إجازة عنها من شيوخه الذين درس عليهم هذه المادة .. وإذا كان الطالب قد تلقى المادة الواحدة على أكثر من شيخ ، فإنه يحصل من كل منهم على هذه الإجازة ، ثم يصبح مؤهلاً بعدها لمهنة : الإقراء أو الخطابة أو الإمامة و القضاء .. وهكذا لم تكن الدراسة فى هذه الجامعة محدودة بزمن ، وإنما كانت رهنا بفراغ الطالب من قراءة عدد معلوم من الكتب يجيزه بعدها شيخ أو أكثر .. !!

فكانت هذه الطريقة فى تلقى العلوم ، تدفع الطالب إلى مداومة البحث عن مشاهير الشيوخ فى العلوم المختلفة ، مما يفتح أمامه آفاقا جديدة فى المعرفة لا حدود لها ، فينشأ باحثا دارسا ، ومعلما فى الوقت نفسه .. !

وقد صوّر « أحمد بابا التمبكتى » العلاقة ، التى كانت بينه وبين أستاذه ـ واستمرت سنتين ـ ، ومدى النزاهة والتواضع اللذين كان يتحلى بهما رجال العلم فى هذه البلاد ، واحترامهم للحقيقة فى جميع الظروف ...

المراجع

(١ ، ٢) فاى منصور على : مرجع سبق : ص ٢٥١ :
(٣) د . محمد العزبى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى : ص ٥١٦ .
(٤) فاى منصور على : مرجع سبق : ص ٢٥٥ .
(٥) د . عبد القادر زبادية : مملكة السنغهاى فى عهد الأسبقين : ص ٢٠ .
(٦) ليو الافريقى : الحسن الوزان : (ت : ١٥٤٠م) : وصف افريقيا : ص ١٦٥ .
(٧) السعدى : مرجع سبق : ص ٥٦ .
(٨) د . حسن احمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا جـ ١ : ص ٢٢٣ .
(٩ ، ١٠ ، ١١) السعدى : مرجع سبق : ص ٣٨ ، ٢٠ ، ٢١ .
(١٢) محمود كعت : مرجع سبق : ص ٩٤ .
(١٣) ليو الأفريقى (الحسن الوزان) : مرجع سبق ص : ١٠٩ .
(١٤) السعدى : مرجع سبق : ص ٥٧ .
(١٥ ، ١٦) ابن بطوطة : الرحلة : جـ ٥ : ص ١٩٣ ، ٢٠١ .
(١٧) السعدى : مرجع سبق : ص ٢٢ .
(١٨) فاى منصور على : مرجع سبق : ص ٢٢ .
(١٩) ليو الافريقى (الحسن الوزان) : ص : ١٠٩ . مرجع سبق ..
(٢٠) السعدى : ص : ٢٩ ، ٣٣ ، ١١ ، ١٢ . مرجع سبق .

المدِينُ المماطل

يعاقب بالحبس لا بتغريم المال

للأستاذ الدكتور
أحمد فهمى أبو سنّة

١ ـ اخرج البخارى ومسلم بسندهما إلى ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « مَطْلُ الغنى ظلم ، وإذا أُتْبِع احدكم علىَ ملىء فليتْبَع »

٢ ـ واخرج احمد وابو داود والنسائى والطبرانى باسانيدهم إلى عمرو بن الشريد عن ابيه قال : قال رسول الله ﷺ «لَىُّ الواجد يُحل عِرْضَه وعقوبته » وذكره البخارى فى صحيحه معلقا فى كتاب الاستقراض ـ باب : لصاحب الحق مقال .

معنى الحديث الأول :

المطل هو تأخير الدين عن موعده الذى ضرب لأدائه ، والغنى هو القادر على وفاء الدين بأن يكون عنده مال يعطيه للدائن ولو من غير جنس الدين ، وألحق به كثير من العلماء الكسُوب الذى يستطيع أن يعمل فيكتسب مالا بعمله يكفى لوفاء دينه : كما روى عن إسحاق بن راهويه وعمر بن عبد العزيز وهو رواية عن أحمد[1] ، والظلم مجاوزة الحد ، وهو حرام ، لأن الغنى منع الحق عن صاحبه بالمماطلة .

قال العلماء : ويتحقق الظلم إذا ماطل بعدما طالب به الدائن وكان الدين حالا ، وقد يكون السكوت فى حق بعض الدائنين طلبا كأن يستحى من المطالبة أو يجامل المدين ولايريد أن يحرجه ، الملئ والملىء هو الغنى ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « **فإذا اتبع أحدكم على ملىء فليتْبع** » بسكون التاء فى الفعلين معناه إذا أحال المدين الدائن على شخص قادر على وفاء الدين فعليه أن يقبل هذه الحوالة وجوبا أو ندبا على اختلاف الرايين ، وذلك لأن قبول هذه الحوالة فيه حصول الدائن على دينه ورفع الظلم عن المدين المماطل .

ويدل الحديث بطريق المفهوم على أن تأخير

(١) المغنى والشرح الكبير ، ٤/٤٩٨ .

الفقير المعسر لما عليه من الدين ليس ظلما ، بل الدائن مأمور بتأجيل دينه إلى الميسرة لقوله تعالى :

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[٢] الآية .

ويؤخذ منه أيضا أن الدائن إذا أحيل على من لايقدر على وفاء دينه لايقبل هذه الحوالة ، لأنها لاتحقق المصلحة التى من أجلها شرعت الحوالة .

معنى الحديث الثانى :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم : « لىّ الواجد » أى تأخير الغنى الدين الذى عليه كما قلنا فى الحديث الأول ، وقوله «يحل عِرْضه» العرض الشرف ، ومعنى يحل عِرْضه أى يجوز شكواه للقاضى بأن يقول مطلنى حقى وأطلب منه الأداء ، وهذا إحلال للعِرض لأن فيه مساسا بشرفه وإيذاء له بلسانه ، وهو فى الأصل حرام لقوله تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾[٣] .

وقوله « عقوبته » أى حبسه بمعنى أن مطل الغنى يحل لولى الأمر حبسه باتفاق العلماء ، على أن المراد بالعقوبة فى الحديث هى الحبس ولم يقل أحد أن منها التغريم بالمال .

فقد استدل فقهاء المذاهب الأربعة بالحديث على جواز حبس المدين بطلب الدائن إذا كان قادرا على إيفاء الدين : وهى عقوبة تعزيرية ، والغرض منها حمله على وفاء الدين .

فقد نص الحنفية والمالكية[٤] والحنابلة على أن المدين يحبس فى حالين :

الأولى : ما إذا كان معلوم الغنى أو ظاهر حاله الغنى فيحبس حتى يؤدى الدين .

الثانية : ما إذا كان مجهول الحال لايعرف يسره وعسره فيحبس حتى يؤدى أو يثبت عسره ، وثبوت عسره إما بالبينة أو بأن يطول الحبس ، حتى يظن القاضى أنه لو كان له مال لأظهره[٥] .

وقال الحنابلة يحبس إذا كان له مال من جنس حق الدائن ليحمله ذلك على الأداء ، أما إن كان من غير جنسه فإن القاضى يبيعه عليه بعد الحجز عليه ، ويحبس أيضا إذا كان مجهول الحال حتى يتبين عسره .

وقال الشافعية إذا كان له مال ظاهر قال البعض يحبس حتى يبيع ماله أو يؤدى إن كان من جنس ماعليه وقال البعض لايحبس ويباع عليه ماله[٦] .

وبهذا يتبين أن اتفاق المذاهب الأربعة على أن عقوبة المدين الموسر المماطل هى الحبس لاتغريم المال .

بل نقل أبو بكر الجصاص فى أحكام القرآن الإجماع عليه ، قال : فى الاستنباط من قوله تعالى : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ إن مادلت عليه الآية هو أن التأخير ظلم ، دل عليه الحديثان السابقان ، يعنى بهما قوله ـ صلى الله عليه وسلم : «لىُّ الواجد يحل عِرْضه وعقوبته » وحديث «مَطْلُ الغنى ظلم » فجعل مطل الغنى ظلما والظالم لا محالة مستحق للعقوبة ، وهى الحبس لاتفاق الفقهاء على أنه لم يرد بالعقوبة فى الحديث غيره[٧] .

---

(٢) البقرة . آية (٢٨٠) .
(٣) النساء . آية (١٤٨) .
(٤) تبيين الحقائق ، ١٨١/٤ .
(٥) الشرح الكبير ، ٢٣٥/٣ .
(٦) نهاية المحتاج ، ٣١٠/٤ .
(٧) أحكام القرآن ، ٤٧٤/١ .

من فقه الكتاب والسنة

وقال ابن المنذر فى كتاب الإجماع[8] وأجمعوا على أن المفلسين يحبسون فى الديون وانفرد عمربن عبدالعزيز فقال يقسم ماله ولا يحبس وهو على قول ابن المنذر إجماع على قولين [9] فلم يقل أحد من العلماء بتغريمه مالا .

فالفتوى بأن المدين تجوز عقوبته بتغريم المال كما جاء فى جريدة الأهرام العدد ـ ٣٧٩٥٥ ـ صفحة «٧» ، بناءً على ماتقدم اجتهاد جديد فى مقابلة الإجماع .

ولو سلّم أنه لا إجماع فهذه الغرامة إما أن تدفع لبيت المال أو للدائن ، فإن كان الأول فهو ممنوع لأن الغرض من الحكم بها لايتحقق إذ الغرض من العقوبة الزجر عن الجريمة بما هو فى مصلحة المجتمع ومصلحة المعتدى عليه ، وههنا إذا كان المدين غنيا فتغريمه بالمال لايزجره ولا تعود على الدائن منه المصلحة المرجوة ، وإن كان الثانى كان سبب الغرامة بالمال ، تأخير المدين للدين فيئول إلى دين فى مقابلة التأخير وهو بعينه ربا الجاهلية الذى كانوا يقولون فيه : «إما أن تعطى وإما أن تربى» أى تزيد فى الدين فى مقابلة التأجيل .

فالإفتاء بالحكم على المدين المماطل بالغرامة يدور أمره بين الحكم بعقوبة مخالفة لإجماع الفقهاء ولا تؤدى الغرض المطلوب بها ، وبين أن تكون ربا محضا : وكل منهما ممنوع شرعاً .

أما عقوبة الحبس فهى تشريع الله المبنى على مصالح العباد ، والمصلحة فيها واضحة وهى الزجر عن الظلم والحمل على أداء الدين متى كان المدين معلوم الغنى أو ظاهره ، وحبس الغنى يوماً أشد على نفسه من غرامة المال مهما عظمت ، وإن كان مجهول الحال فالغرض من حبسه تعرف حاله حتى إذا ماكان له مال ، يدفعه الحبس إلى الاعتراف به لأنه لايتحمل معاناة العقوبة .

وياحبذا لو كان الحبس للمماطلة فى الدين بين العقوبات المدونة فى قانون العقوبات المصرى ، وأذكر أن اقتراحا قدم بهذا المعنى إبان تقنين القانون المدنى الذى صدر سنة ١٩٤٩ م .

نعم هو موجود فى قضاء الأسرة (فى الأحوال الشخصية) فإن الفقه الحنفى المعمول به فى جمهورية مصر يقضى بالحبس على الزوج فى نفقة زوجته إذا صارت دينا عليه .[10]

أسأل الله أن يرينا الحق حقا ويوفقنا إلى اتباعه .

هذا ، والمعروف أن المفتى إن كان مجتهدا فلا يجتهد فى مقابلة النص والإجماع ، وإن كان مقلدا فعليه الاتباع .

---

(٨) كتاب الإجماع ، ص ١٢٦ .
(٩) فلايجوز إحداث قول ثالث يرفع القولين .
(١٠) الهداية ، ٣/١٠٥ .

استخبارات النبى صلى الله عليه وسلم

ودورها فى تأمين المسلمين

لـــواء أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

« لا تحتاج الاستخبارات إلى بيان خطرها واهميتها ، فإن مستقبل الأمم يتوقف على دقة المعلومات التى تحصل عليها اجهزة استخباراتها ، وعلى مدى توفيقها فى تفسير تلك المعلومات واستخلاص مدلولاتها ، وعلى تقديم كل ذلك لصانعى القرار فى الوقت المناسب » .

دروس التاريخ :

● والتاريخ حافل بالأمثلة التى تدل على خطورة الاستخبارات وأهميتها ، فلم يكن النجاح الساحق لهجوم اليابان على « بيرل هاربر » وتدمير جانب من الأسطول الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية إلا نتيجة للقصور فى المعرفة المبكرة لنوايا اليابان الحقيقية .

● ويحتوى تقرير اللجنة التى شكلتها الحكومة الأمريكيةعام ١٩٥٥ لدراسة وتقييم نشاط المخابرات الأمريكية والتى عرفت بلجنة « هوفر » على كثير من الدروس فى هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال :

« لقد كان الهجوم المفاجىء على « بيرل هاربر » هو الذى خلق إدارة المخابرات ، كما أن التحقيق الذى جاء بعد الحرب أثبت أن انعدام وجود مخابرات قوية كان هو سبب الفشل الذى منيت به القوات العسكرية من حيث عدم حصولها على إنذار حاسم وسريع تستطيع به عرقلة الهجوم اليابانى » .

وقال الجنرال أيزنهاور عام ١٩٥٩ : « ليس هناك فى سياسة الولايات المتحدة ما هو « أهم من جمع » المعلومات بواسطة المخابرات » .

● واعترف « جيمس سليزنجر » وزير الدفاع

استخبارات النبى ﷺ ودورها فى تأمين المسلمين

الأمريكى بفشل المخابرات الأمريكية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقال فى مؤتمر صحفى : « إن هذا أمر واضح ولا ينبغى لأحد أن يتساءل حوله .. إن الولايات المتحدة كان لديها تقارير للمخابرات تفيد بأن الحرب فى الشرق الأوسط أصبحت وشيكة ، لكن عملاء المخابرات الإسرائيلية كانوا قد توصلوا إلى نتيجة وهى أن اشتعال الحرب غير مرجح »(١) .

توجيهات الإسلام :

● ولقد أراد الله جل شأنه للأمة الإسلامية أن تكون أمة قوية مرهوبة الجانب ، قادرة على الدفاع عن نفسها وعن مقدساتها ، فوجهها إلى كل ما من شأنه تأمين سلامتها ضد الأخطار ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ـ ٦٠) .

تعريف الأمة بالأعداء الظاهرين والأعداء الأخفياء :

وأول ما يستخلص من هذا التوجيه القرآنى هو تعريف الأمة بأعدائها وهم :

١ ـ عدو الله :

وهو : كل خوان أثيم يجاهر بمعصية الله ويعتدى على الحرمات والمقدسات .

٢ ـ وعدوكم :

وهو : الذى يعتدى على الأمة الإسلامية أو معتقداتها أو مقدساتها .

٣ ـ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم :

وهم ـ كما جاء فى تفسير السابقين : المنافقون الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب .

وهم أيضا وبروح العصر ، كل القوى المضادة التى تحارب الأمة فى الخفاء بالفتنة والإرهاب وتثبيط العزائم وإشاعة اليأس ، والسلبية والفساد ، وقتل الإرادة والإيجابية ، ومنهم من يكون داخل البلاد الإسلامية وبين صفوف أبنائها ، ومن يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بأساليب الغزو الفكرى والدعاية والحرب النفسية .. إلخ .

مغزى التعريف بالأعداء :

● وهكذا يقرر الإسلام أن معرفة العدو « ضرورة حيوية لأمن المسلمين » . فقد ربطت الآية الكريمة برباط وثيق بين « الأمر بإعداد القوة » وبين « التعريف بالأعداء » الذين ينبغى أن يعد لهم المسلمون تلك القوة .

● ولا جدال فى أن هذا الربط يوجه المسلمين إلى الاهتمام بعدة أمور تتعلق بمعرفة العدو ، وبإعداد القوة له نذكر منها ما يلى :

١ ـ ضرورة المعلومات :

فمن الضرورى الحصول على المعلومات عن العدو حتى يمكن أصلا « بناء القوة » المناسبة والتى يمكنها تحقيق الهدف الذى أمر الله تعالى به وهو إيقاع الرهبة فى قلب العدو وإخافته من عاقبة عدوانه .

وهذا هو ما تقرره الاستراتيجية العسكرية حين تضع « المعلومات عن العدو » على رأس الأسس التى تبنى عليها استراتيجية الدولة من حيث تكون قواتها المسلحة وتنظيمها وتسليحها وأساليب قتالها وأساليب إدارة المعركة ، هذا بالإضافة إلى عناصر الاستراتيجية الأخرى :

(١) جريدة الأهرام ـ القاهرة ١٤/٩/١٩٧٥ .

كالقوى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمعنوية وغيرها .

٢ ـ استمرار الحصول على المعلومات :

ويجب أن يكون الحصول على المعلومات عن العدو « عملا مستمرا لا يتوقف » فى السلم والحرب على حد سواء ، ذلك لأن القوة تتطور مع تطور العلوم والتقنية والخبرات المكتسبة من الحروب ، وهذا التطور له تأثيره المباشر على « توازن القوى » بالإضافة إلى أنه ـ فى هذا العصر ـ يسير بسرعة مذهلة بحيث تقطع الأنفاس ملاحقته .

فإذا قصرت الأمة فى هذا الأمر ، فسوف يسبقها العدو فى التطور والتقدم ، وتصبح متخلفة عنه وعن مقتضيات عصرها ، مما يعرضها للخطر والهلاك ، فضلا عما يلحقها من إثم لتقصيرها فى أداء أمانة التكليف التى وضعها الله تعالى فى عنقها بإعداد القوة الرادعة المتفوقة التى ترهب العدو .

٣ ـ التخطيط على أساس احدث المعلومات :

ويجب الوقوف على « أحدث » المعلومات عن العدو أولا بأول ، فذلك مطلب حيوى لتحقيق أمرين فى غاية الأهمية هما :

الإنذار المبكر .

وسلامة التخطيط وواقعيته .

فإذا قصرت الأمة فى هذا الأمر فإنها تفقد « المبادأة » وحرية العمل فتتعرض للمفاجأة من عدوها ، وتفقد القدرة على « الحركة السريعة » لمواجهة أى عدوان عليها .

● وهكذا يوجه الإسلام إلى اهمية الحصول على المعلومات عن العدو حتى يتمتع المسلمون « بوضوح الرؤية » ، وبمعرفة مواضع خطواتهم فلا يضربون فى المجهول ، والله تعالى يقول : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك ٢٢) .

● والواقع أن هناك فى مجتمع العرب والمسلمين سلبيات فى مجال معرفة العدو تحتاج إلى علاج ، فالمعروف أن الإنسان إذا كره شيئا تراه لا يريد أن يسمع عنه شيئا أو يقع عليه نظره ، وكأنه يحاول أن يلغيه تماما من حياته ، لكن هذا الاتجاه إذا جاز أحيانا لأسباب نفسية فى علاقات الناس بالأشياء أو بعضهم ببعض فإنه لا يجوز أبداً فى مجال الصراع مع العدو الذى « علينا أن نعد له ونقاتله إذا تحرك للعدوان .

● ويزيد من خطورة هذا الاتجاه السلبى فى التفكير والتقدير أن عدونا « لايتفق معنا فيه » ، بل هو ـ على العكس ـ يلقى بكل ثقله وبكل الوسائل الإيجابية لمعرفة أحوالنا ليست فقط الأحوال العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية ، بل إنه يغوص فى أعماقنا ليتعرف على كل ما يتعلق بحياتنا حتى الأمور الثقافية والأدبية والفنية ، لأن كل ذلك يفيده فى صراعه معنا .. ويمكن لإدراك واقعنا أن نتساءل : كم من أبنائنا يعرف لغة العدو ، ويقرأ عنه ويقرأ له ويسعى إلى معرفة كل ما يتعلق بشئون حياته ؟

الإسلام يحذر من إهمال معرفة العدو :

● إن الإسلام يحذر من إهمال معرفة العدو والحصول على كافة المعلومات عنه ، ويعد ذلك « غفلة » من المسلمين عن الخطر المحدق بهم ، فالعدو المتربص ، ينتظر أن يقعوا فى تلك الغفلة لكى ينقض عليهم بكل قوته لتدميرهم والقضاء عليهم ، وهذا بعض ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ النساء ١٠٢ .

وهو ما يفهم أيضا من ربط الإسلام الشديد بين إعداد القوة ورباط الخيل : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا

استخبارات النبى ﷺ ودورها فى تأمين المسلمين

اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ فأول مطالب المرابطة معرفة العدو ومعرفة ما يدور ناحيته من تدبير وحركة واستعداد للعدوان .

● كما يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ٢٠٠).

ويدعو جل شأنه إلى الحذر والحيطة لمنع العدو من المفاجأة فيقول سبحانه :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء ٧١) .

ويقول : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ﴾ (المائدة ٩٢) .

الاستخبارات فى عصر النبوة :

● وقد عنى الرسول القائد - ﷺ - بأمر الاستخبارات عناية فائقة فاختار لها أكفأ العناصر ووضع لها أحكم المبادىء وكانت له عيون وأرصاد داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها أيضا فى بلاد فارس وبيزنطة .

● وأكبر دليل على كفاءة استخبارات النبى - ﷺ - ما يلى :

١ - لم ترد فى تاريخ السيرة حادثة واحدة انكشف فيها أمر واحد من رجالها .

٢ - كانت نيات الأعداء بالعدوان تبلغ النبى - ﷺ - فى وقت مبكر يمكنه من اتخاذ إجراءات المواجهة حسبما يقتضى الموقف .

٣ - لم يضع - عليه الصلاة والسلام - خطة « لغزوة أو « سرية » دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح .

٤ - لم يستطع الأعداء كشف أسرار المسلمين وخططهم ونواياهم .

نشاط الاستخبارات :

● ومن الأمثلة على نشاط استخبارات النبى - ﷺ - ما قام به العباس عم النبى - ﷺ - الذى كان يقيم فى مكة من إبلاغه بأن قريشا تنوى مهاجمة المدينة قبل غزوة « أحد » ، فقد بعث إليه برسالة يخبره فيها بوقت خروجها لقتاله وحجم قوتها ، وقد أسرع حامل الرسالة بإيصالها إلى الرسول - ﷺ - حتى أنه قطع المسافة بين مكة والمدينة فى ثلاثة أيام .

● وعن طريق العيون والارصاد كان الرسول - ﷺ - على علم بنوايا قريش لغزو المدينة فى غزوة « الخندق » وذلك عن طريق خزاعة التى كان بينها وبين الرسول - ﷺ - عهد واتفاق .

قال ابن إسحاق : « وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ - بتهامة صفقتهم معه (أى اتفاقهم معه) لا يخفون عنه شيئا كان بها[٢] (وعيبة نصح الرسول أى خاصته وأصحاب سره) .

وكان الإنذار الذى بعثت به خزاعة سريعا ، فإن خزاعة عندما تهيأت قريش لغزو المدينة للخروج ، اتى ركبهم رسول الله - ﷺ - فى أربع ليال حتى أخبروه فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم[٣] وبفضل هذا الإنذار المبكر جداً تمكن المسلمون من حفر « الخندق » حول المدينة - وهو عمل يستغرق حوالى عشرين يوما - قبل أن تصل قريش التى فوجئت بالخندق فقال قائلهم : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها »[٤] .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية - القسم الثانى (جـ ٣ ، ٤) ص ١٠٢ .

(٣) محمد بن يوسف الصالحى الشامى : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ ٤ ص ٥١٤ .

(٤) ابن هشام : المرجع السابق القسم الثانى ص ٢٢٤ .

● وهذه الواقعة لا تدل على نجاح وكفاءة عيون النبى - ﷺ - وأرصاده فحسب ، بل تدل - فى الوقت نفسه - على عجز قريش عن الحصول على معلومات عن استعداد المسلمين وتجهيزاتهم الدفاعية بحفر « الخندق » كما تدل على نجاح المسلمين فى كتمان أسرارهم وأسرار خططهم وحرمان العدو من الحصول على أية معلومات عنها .

إحراز المسلمين للمبادأة :

● وبفضل كفاءة مخابرات النبى - ﷺ - ودرجة الاستعداد القتالى العالية للجيش وقدرته على الحركة السريعة تمكن المسلمون من الاحتفاظ بالمبادأة فى أغلب معاركهم مع أعدائهم .

● ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن الرسول - ﷺ - تمكن من إجهاض تدابير أعدائه لغزو المدينة والقضاء عليها فى مهدها وذلك فى الغزوات السبع التالية : غزوة « بنى سليم » فى شوال سنة ٢ هـ .

غزوة « ذى أَمَرَّ » فى المحرم سنة ٣ هـ .
غزوة « بحران » فى ربيع الأول سنة ٣ هـ .

غزوة « ذات الرقاع » فى شعبان سنة ٤ هـ .
غزوة « دُومة الجندل » فى ربيع الأول سنة ٥ هـ ..

غزوة « بنى المصطلق » فى شعبان سنة ٥ هـ .

غزوة « بنى لحيان » فى جمادى الأولى سنة ٦ هـ .

ففى كل هذه العمليات كانت المعلومات تبلغ الرسول -ﷺ - بأن هذه القبائل تستعد لغزو المدينة ، فكان يخرج على الفور بقوات تراوح عددها بين المائتين والثلاثة آلاف للقضاء على العدوان فى مهده ، فكان الأعداء يفاجأون بهجوم المسلمين عليهم قبل أن يستعدوا للقائهم الأمر الذى اضطروا معه للفرار أمامهم تاركين ديارهم وأموالهم .

عيون النبى داخل صفوف الأعداء :

● وقد بلغت كفاءة رجال الاستخبارات الإسلامية حد القدرة على الدخول وسط صفوف الأعداء فى ظروف التوتر وفى أثناء المعارك والإقامة بينهم والحصول على المعلومات المطلوبة ثم العودة إلى صفوف المسلمين بسلام دون أن ينكشف أمرهم .

● ونذكر على سبيل المثال حذيفة بن اليمان العبسى - رضى الله عنه - الذى كلفه الرسول - ﷺ - بمهمة الدخول فى صفوف الأعداء يوم « الخندق » لمعرفة أخبارهم .

قال حذيفة : « دعانى رسول الله - ﷺ - فقال : ياحذيفة ، اذهب فادخل فى القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، لا تحدثن شيئا حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت فى القوم (معسكر قريش) والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال :

يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة ، فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جانبى فقلت : من أنت ؟ قال : فلان ابن فلان ، وفى شرح المواهب : فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى ، فأخذت بيده فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبى سفيان ، ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو ابن العاص .

● هذه الواقعة توضح ما كان يتمتع به حذيفة من سرعة البديهة وعدم الارتباك والتصرف السريع فى الموقف الحرج المفاجىء بحيث لا ينكشف أمره وهو داخل صفوف الأعداء ،

البقية ص ٧٨٨

أضواء على صلاة الاستسقاء

لفضيلة الشيخ
مهدى عبد الحميد مصطفى

للاستسقاء معنى لغوى ، وهو : طلب السقيا .

ومعنى شرعى ، وهو : طلب العباد السقيا من الله تعالى عندما يحصل الجدب وينقطع الغيث ، ولا أعتقد أن الاستسقاء من تشريعات الإسلام وحده ، وإنما كان فى الشرائع الأخرى ، وذلك فى الإطار العام له القائم على الدعاء ، وإن كان فى شريعتنا الغراء يتحقق بواحدة من ثلاث طرق :

الطريقة الأولى : الدعاء المجرد من الارتباط بصلاة أو خطبة جمعة فى أى مكان صالح للدعاء فى مسجد أو خارج المسجد .

وذلك لما رواه ابن ماجه عن ابن عباس .. رضى الله تعالى عنهما ـ قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، لقد جئتك من عند قوم لا يتزود لهم راع ـ أى لا يجد راعيهم الزاد ـ ولا يخطر لهم فحل ـ أى لا يحرك فحلهم ذنبه من الهزال .

فصعد النبى ﷺ المنبر ، فحمد الله ثم قال : « اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير رائث ـ أى غير مبطىء » .

ثم نزل ، فما يأتيه أحد من وجه من الوجوه إلا قالوا : قد أحيينا .. أى نزل علينا الماء ـ لأن الماء سر الحياة ، كما دل على ذلك قول الحق جل علاه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ . « الأنبياء ٣٠ » .

الطريقة الثانية : أن يضمن الإمام خطبة الجمعة دعاء الاستسقاء مكتفياً به بلا صلاة ، وذلك لما رواه البخارى ومسلم عن شريك ، عن أنس ، أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فقال : يارسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا .. اللهم أغثنا .. الحديث » .

الطريقة الثالثة : وهى المشهورة والأفضل ، وكيفيتها : أن يصلى الإمام بالمسلمين ركعتين كركعتى العيدين تماما ، ويخطب خطبتين مرتكزتين على الدعاء ، والإلحاح فى طلب الماء مستهلاً خطبته الأولى بالاستغفار تسعا ، وخطبته الثانية بالاستغفار سبعا ، ومن الدعاء

الوارد عن رسول الله ﷺ فى طلب السقيا : « اللهم سقيا رحمة ولاسقيا عذاب ، ولا محق ولا بلاء ولا هدم ، اللهم على الظراب - أى الروابى - والآكام - أى المرتفعات من الأرض - ومنابت الشجر ، وبطون الأودية .

اللهم حوالينا ولا علينا .

اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئا مريئا مريعا غدقا مجللا سحا طبقا دائما .

اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين .

اللهم إن بالعباد والبلاد من الجهد والجوع والضنك ما لا نشكو إلا إليك .

اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، وأنزل علينا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض ، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك .

اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا ، فارسل السماء علينا مدرارا ..

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل مايريد ، اللهم لا إله إلا أنت .. أنت أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت علينا قوة وبلاغا إلى حين .

وإنه مما تجدر الإشارة إليه ، أن من أسباب الاستجابة والقبول لطالبى السقيا ، أن يُهيأوا للمثول بين يدى رب العزة راجين رحمته طالبين عطاءه ولذلك فإن على الإمام قبل أن يخرج للاستسقاء أن يأمر المسلمين بالتوبة ، والصدقة والخروج من المظالم ، ومصالحة الأعداء ، وصيام ثلاثة أيام أو أربعة ، وفى اليوم الرابع يخرج الإمام بهم فى ثياب مهنتهم وفى حالة من الاستكانة والتضرع ، ولقد أثر عن النبى ﷺ أنه كان يخرج للاستسقاء متواضعا متبذلاً ، متخشعاً ، مترسلاً - أى متأنياً - متضرعا . ويسن أن يكون من بين طالبى السقيا الصبيان الصغار ، والشيوخ الكبار والعجائز من النساء وأن يخرج الناس معهم بهائمهم ، لأن الرسول قال فى هديه الشريف : « وهل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم » ولله در القائل :

لولا عباد للإله ركع
وصبية من اليتامى رضع
ومهملات فى الفلاة رتع
صب عليكم العذاب الأوجع

ولعل الحكمة فى خروج طالبى السقيا صائمين ، إن الصائم من بين الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم ولا يلزم من الاستسقاء سرعة الاستجابة ، لأن من بين أسباب الاستجابة كما قلنا أن يتطهر الجميع من ذنوبهم وأثامهم ، ويردوا المظالم إلى أهلها ويتوبوا إلى الله توبة نصوحا ، ويتصدقوا على محاويج المسلمين ويتجهوا إلى الله بكليتهم ، وهم واثقون أن الله سيغيثهم ، فإن تأخرت الاستجابة ، فليعلم بأن الاستسقاء لم يخرج عن كونه دعاء ، والدعاء خير على كل حال ، فإما أن يستجاب عاجلاً ، وإما أن يستجاب آجلا ، وإما أن يدخر ثوابه للداعى فى الآخرة ، غاية مافى الأمر أن الله يحب الملحين فى الدعاء ، ومن لم يسأل الله يغضب عليه ، وماذلك إلا لأن الدعاء هو المقام الذى تتجلى فيه عبودية العبد ، وربوبية الرب ، وكلما كان الإنسان أكثر خضوعاً فى أدائه كان أكثر قرباً من ربه ، وأكثر تعرضا للاستجابة وصدق رسول الله - ﷺ حيث قال : « اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ، فاكثروا الدعاء » .

ومن هنا كان الدعاء مخ العبادة وعلى الداعى الا ييأس من عدم التعجيل فى القبول ، فكل ماهو آت آت ، ولا بعد لما هو آت ، لا يعجل الله بعجلة أحد ، ولا يستخف لأمر الناس ، ماشاء الله كان .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقـا

قال حكيم : حيث تكون الحكمة تكون خشية الله ، وحيث تكون خشية الله تكون رحمته .

هل من خلل ؟

خطب معاوية خطبة أعجبته فقال : أيها الناس هل من خلل ؟

فقام رجل - من عرض الناس وقال : نعم ؛ خلل كخلل المنخل !!

فقال معاوية : وما هو ؟

قال : إعجابك بها ومَدْحُكَ إياها ..

دار التواء

كان سفيان الثورى يقول :

الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح ، من عرفها لم يفْرح برخاء ، ولم يحزن على شقاء .

تالـوا ...

● لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه فإن ما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده .

● لكل شىء غايةٌ وَحَدٌ ، والعقل لا غاية له ولاحد ، ولكن الناس فيه يتفاوتون كتفاوت الأزهار فى الرائحة والطيب .

● ليس شىء أسرع إلى تغيير نعمة ، وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم .

● خير (المعروف) ما لم يتقدمه مَطْلٌ ، ولم يتبعه مَنٌّ .

● الدعاء بظهر القلب ، أفضل من الزيارة واللقاء ، لأن الرياء قد يدخلهما .

نصيحـة

قال رجل لبعض الصالحين إنى عاجز عن قيام الليل !!

فقال ياأخى : لا تعص الله بالنهار !!

يرشح للقيادة

قال عارف لبنيه : كلكم يترشح لهذا الأمر ، ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول ، ومال مبذول ، ولسان معسول ، وعدل تطمئن إليه القلوب ، وأمن تستقر به فى مضاجعنا الجنوب .

أرجو له الأجر

دخل رجل من الحمقى على الشعبى وهو جالس مع امرأته . فقال : أيكم الشعبى ؟

فقال الشعبى : هذه وأشار إلى امرأته .

فقال : ما تقول أصلحك الله فى رجل شتمنى فى أول يوم من رمضان هل يؤجر ؟

قال : إن كان قال لك ياأحمق فإنى أرجو له الأجر .

لطلاب العلم والمعرفة

يقال عند القراءة فى الدرس :

اللهم ارزقنى فهم النبيين ، وحفظ المرسلين ، وإلهام الملائكة المقربين برحمتك ياأرحم الراحمين .

اللهم أكرمنى بنور الفهم وأخرجنى من ظلمات الوهم ، وافتح لى أبواب رحمتك وانشر علىّ من خزائن علمك ياأرحم الراحمين .

حقيقة

رأيت الناس خداعا
إلى جانب خداع
يعيشون مع الذئب
ويبكون مع الراع

ينتسب عرْضا

سئل بعض الجند عن نسبه .

فقال : أنا ابن أخت فلان فسمعه أعرابى ، فقال : الناس ينتسبون طولاً ، وهذا الفتى ينتسب عرْضاً .

بر الوالدين

حبس الرشيد والدا مع ولده ،وكان الوالد لا يتوضأ إلا بماء مسخن ، فمنعه السجان من إدخال النار إلى السجن ، فأخذ الولد الماء وسخنه ليلاً على القنديل ، فلما أصبح وجد الرجل للماء بعض سخونة فقال : من أين هذا ؟

قال : سخنته على نار القنديل ، فبلغ السجان ذلك فرفع القنديل ، فأخذ الولد الماء ، وجعل إناءه على فؤاده طول الليل حتى حصل له بعض سخونة فقال أبوه : من أين هذا ؟

فأخبره فرفع يديه . وقال : اللهم لا تذقه حر جهنم .

ماذا تقول ؟

ماذا تقول إذا نقلت إلى البِلى
فردا وجاءك منكر ونكير ؟

ماذا تقول إذا وقفت بموقف
فردا ذليلاً والحساب عسير ؟

دعاء

اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك .

اللهم فهب لنا منها ما يرضيك عنا .

مفتى مصر الأسبق

فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

٣

بقلم فضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

فى تلك الحلقة الأخيرة يقدم فضيلة الكاتب ـ عن دراسة لفتاوى الراحل الكريم ـ نظرة الشيخ الفاحصة للفتوى متتبعا ما توحيه السطور وما بينها ، مبينا حرص الشيخ رحمه الله على زيادة البيان وتأكيد تقرير الأحكام ، يقول فضيلة الكاتب .

الشيخ فى فتواه :

وأما مظهر حذر الشيخ، واحتياطه لفتواه إزاء الجديد من الأمور فيتضح من الفتاوى التالية :

سئل الشيخ ـ رحمه الله ـ أسئلة عديدة عن حكم انتخاب المرأة لعضوية مجلس النواب أو الشيوخ فى الشريعة الإسلامية(١) :

فأجاب :

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله .

عنى الإسلام أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل فى بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم . وفى حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين ، فرفع شأنها وكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة ، ثم ناط بها من شئون الحياة ما تهيئُها لها طبيعة الأنوثة وما تحسنه حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأماً مربية وربة منزل مدبرة ، وكانت دعامة قوية فى بناء الأسرة والمجتمع ـ وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن أحاط عزتها وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة ، وحمى أنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان وباعد بينها وبين مظان الريب وبواعث الافتتان فحرم على الرجل الأجنبى الخلوة بها والنظرة العارمة إليها ، وحرم عليها أن تبدى زينتها إلا ما ظهر منها ، وأن تخالط الرجال فى مجامعهم ، وأن تتشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم ، وأعفاها من وجوب صلاة

(١) فتوى مسجلة تحت رقم س ٦٧ ـ م ١٨٥ فى ٤ من مايو ١٩٥٢ م .

الجمعة والعيدين مع ما عرف عن الشارع من شديد الحرص على اجتماع المسلمين وتواصلهم وأعفاها فى الحج من التجرد للإحرام ، ومنعها الإسلام من الأذان العام وإمامة الرجال للصلاة ، والإمامة العامة للمسلمين ، وولاية القضاء بين الناس ، وأثم من يوليها بل حكم ببطلان قضائها على ما ذهب إليه جمهور الأئمة ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش ، ولم يبح لها من معونة الجيش إلا ما يتفق وحرمة أنوثتها .

كل ذلك لخيرها وصونها وسد ذرائع الفتنة عنها والافتتان بها حذرا من أن يحيق بالمجتمع ما يفضى إلى انحلاله وانهيار بنائه ..

ولقد بلغ من أمر الحيطة للمرأة أن أمر الله تعالى نساء نبيه - ﷺ - بالحجاب وهن أمهات المؤمنين حرمة واحتراما وأن النبى - ﷺ - لم تمس يده (وهو المعصوم) أيدى النساء اللاتى بايعنه ، وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية فى عهده ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ولا حضرت مجالس تشاوره - ﷺ - مع أصحابه من المهاجرين والأنصار . ذلك شأن المرأة فى الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية - فهل تريد المرأة الآن أن تخترق آخر الأسوار وتقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم فى الانتخاب والدعاية والجلسات واللجان والحفلات والتردد على الوزارات والسفر إلى المؤتمر والجذب والدفع ، وما إلى ذلك مما هو أكبر إثما وأعظم خطرا من ولاية القضاء بين خصمين وقد حرمت عليها . واتفق أئمة المسلمين على تأثيم من يوليها تاركة زوجها وأطفالها وبيتها وديعة فى يد من

الشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف

لا يرحم ؟ إن ذلك لا يرضاه أحد ولا يقره الإسلام .

ولا خفاء فى أن دخول المرأة فى معمعة الانتخاب والنيابة غير جائز لما بيناه . أهـ .

هذه الفتوى تكشف عن عظيم غيرة الشيخ على دينه ، وعن شديد حذره من مزالق الفتن ، وبالغ حيطته لفتواه ، فقد حشد الشيخ لهذه الفتوى وجوها من الأدلة العامة التى تمنع المرأة من اقتحام ميدان الانتخابات وتقف بينها وبين مداخل الفتنة وذرائع الشر العام .

والحق أنه لا أحد يملك رد هذه الأدلة، وإن كان لقائل أن يقول : إن رأى المرأة ناخبة هو من باب الشهادة ، وقولها نائبة هو من باب الشورى وليس من باب الولاية . وإذا كنا نتخوف على المرأة من مداخل الفتن فى الانتخابات فإن هذا الحال يصدق على حال المرأة عاملة عملا عاما .

والرد على هذا القائل أن المرأة قد تحتاج أو نحتاج إليها عاملة : طبيبة أو ممرضة ، أو مدرسة ، أو ما إلى هذا ، لكنا لا نحتاج إليها

من اعلام الأزهر

الشيخ حسنين محمد مخلوف

نائبة ، وفى الرجال كفاية ، ولهم رجحان فى الرأى فى الجملة بخصائصهم التى خلقهم الله عليها .

وهناك فتوى أخرى تقارب هذه فى مأخذها فقد ورد سؤال من السيد المحترم مدير عام قسم التشريع لوزارة الشئون البلدية والقروية بكتاب سرى خاص طلبا لبيان حكم الشريعة فى احراق جثث الموتى من المسلمين فى حالة الأوبئة ، وفى حالة الوصية بذلك[٢] .

ومما يلاحظ أن صاحب هذا الاستفتاء تذرع له بحال الأوبئة أو الوصية . وربما كان هذا من باب الاستدراج للفتوى للانتقال عن الإلف الإسلامى ولو لمسافة خطوة واحدة ، فقد درج الكثير على محاولة نقل المجتمع عن ثوابته واجتهدوا لتغيير تقاليده ، وما يقف عنده من حدود .

ولقد أجاب الشيخ على هذه الفتوى فى ثبات حاسم قطع السبيل على كل تطلع لإحداث تغيير فى المفاهيم الاجتماعية التى تساندها أحكام الإسلام قال الشيخ رحمه الله :

أنه لا خلاف بين المسلمين فى أن للإنسان حرمة وكرامة حيا وميتا كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ ﴾[٣] ومن كرامته بعد موته دفنه فى اللحد أو القبر بالكيفية المسنونة التى بينها النبى ـ ﷺ ـ فيما ورد عنه من السنن الصحيحة ودرج عليها أصحابه والتابعون وسائر المسلمين إلى الآن ـ فلا يجوز بحال إحراق جثث موتى المسلمين ، ولو أوصى إنسان بذلك فوصيته باطلة لا نفاذ لها ، ولم يعرف الإحراق للجثث إلا فى تقاليد المجوس ، وقد أمرنا بمخالفتهم فيما يصنعون مما لا يوافق شريعتنا الغراء والله تعالى أعلم .

ولعل الشيخ يريد ما جاء بمخالفة المشركين فيما يصنعون وقوله ﷺ فيما رواه الشيخان : (خالفوا المشركين : أحفوا الشوارب ، وأوفروا اللحى) .

ولقد تذرع السائل فى هذه المسألة بافتراض وجود الوباء ، وافتراض وجود الوصية رغبة منه فى استدراج الفتوى للإباحة على طرائق الفلسفة المادية .

لكن الشيخ ـ رحمه الله ـ سد عليه منافذه ، وأفاد بأن «أمر المسلمين على ما سنه النبى ﷺ من سنن صحيحة ، وعلى ما درج عليه أصحابه والتابعون ، وسائر المسلمين إلى الآن . فلو أوصى إنسان بغير هذه السنن كانت وصيته باطلة لا نفاذ لها » أهـ .

وفتوى أخرى نراها جديرة بالعرض اليوم وفيها شديد التأكيد على الاحتياط .

والاستفتاء فى أمرها وارد من ضباط القوات المسلحة[٤] ، طلبا للرأى فى إنشاء مشروع

(٢) فتوى مسجلة برقم ـ س ٧٠ ـ م ٤٤١ ـ ٢٩ يولية سنة ١٩٥٣ م .
(٣) سورة الإسراء آية رقم ٧٠
(٤) س ٧٠ ـ م ١٩٠ ـ ١١ مايو ١٩٥٣ ـ ص ٢٤٦١ مجموعة الفتاوى .

صندوق للتأمين والادخار للضباط يتعاون فيه الأعضاء ويقرضهم ويستثمر أمواله بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية السمحة .

فأجاب الشيخ قائلاً :

«اطلعنا على الاستفتاء المقدم من حضرة السائل بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٣ وما تضمنه من مشروع نظام صندوق الادخار والتأمين لضباط القوات المسلحة فوجدناه نظاما تعاونيا سليما مما يوجب عدم تحريمه حيث اشترط فيه صراحة أن يكون القرض للمتعاونين قرضا حسنا بلا فائدة وأن لا تستثمر أمواله بما ينافى أحكام الشريعة الإسلامية السمحة» .

هكذا أجاب الشيخ ، ولو اقتصر على هذا القدر من البيان لكان كافيا وافيا بالفتوى ، لكنه زيادة منه فى الاحتياط أراد أن يزيد فى البيان وتفصيل الشروط فقال بعد ذلك :

(ولكن يجب أن يزاد فى الشروط : أن يكون توزيع الأرباح الناتجة فعلا من استثمار أمواله - أى أموال الصندوق - المنصوص عليها فى البند الخامس مطابقا لما تقتضيه الأحكام الشرعية المعروفة فى ذلك بحيث يوزع الربح الناتج من الاستثمار لا بنسبة مئوية ، بل بنسبة رءوس الأموال) .

وأيضاً فقد كان الوقوف عند هذا القدر من البيان كافيا فى الإفادة بالحكم فى المسألة لكن الشيخ بعد أن استطرد فى الفتوى إلى بيان استحباب التعاون والاقتصاد فى المعيشة فى شرح مسهب . عاد إلى مسألة الشروط فى هذا الصندوق . فقال :

(لذلك نرى المضى فى إقرار هذا المشروع لخير الضباط ، مع وجوب النص على هذه الشروط فى صلبه ، وتطبيقها عمليا) .

ولست أفسر حرص الشيخ على زيادة البيان ، وتأكيد تقرير الحكم فى مثل هذه المسائل إلا بالرغبة القوية لديه فى الثبات على الأحكام الإسلامية المستقرة ، ومع عظيم الاحتياط والحذر من النقلة عنها .

هذا : ولقد توسعنا بعض الشىء فى النظر إلى الجانب الفقهى العملى من فتاوى الشيخ .

لكن هذا لا يغمط من مقام الرجل ومكانته فى المسائل العقدية - على أن لا ننسى مع هذا الجانب السلوكى والمذهب الصوفى الذى تتلمذ فيه على الشيخ أحمد أبو الوفا الشرقاوى ، وحسب الشيخ ما كتبه فى الصوفية ، والرقاق ، والأخلاق ، والمدائح النبوية ، وفيما نرى أن هذا المنحى الصوفى الرقيق كان يمد الشيخ بزاد من البصر والثبات والقوة ، عونا على الرأى الصريح ، وكلمة الحق .

إن فى تراث الشيخ كثيراً من المفاخر والمآثر ينبغى أن يلتفت إليها الدارسون ولولا ظروف هذه الكلمة - وقد كلفنا بها حديثا عن السيرة الطيبة لهذا العالم الجليل على أن تكون فى نطاق ما يسمح به وقت هذا المجلس الموقر - لولا هذا لامتد بنا الحديث إلى جوانب عظيمة من آثار هذه الشخصية الإسلامية الموقرة .

وحسب الشيخ فضلاً ونعمة أن يسر الله حياته : طفولة ، ويفاعة وشبابا ، وكهولة مباركة مثمرة لخدمة الإسلام .

وتقديرا لهذا مُنح جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لعام ١٤٠٣ هـ .

وكذلك منحته مصر وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٢ م .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسنين محمد مخلوف

والشيخ فى فضله وذخائر تراثه العلمى، وإنابته إلى الله جدير بالتكريم والإجلال .

ولست أنسى فى هذا المقام أن أنوه بما اهتم به الشيخ فى تربية أبنائه وأحفاده من تنشئتهم على الدين وكرم الأخلاق .

وقد وقعت فى يدى رسالتان له : إحداهما أرسل بها فى السابع من أغسطس سنة ١٩٥٠ إلى ولده الشاب عبد الهادى حسنين مخلوف - السفير عبد الهادى مخلوف الآن - فى بعثته لدراسة الاقتصاد بالولايات المتحدة الأمريكية جاء فيها :

« حفظك الله من كل سوء ، ووجهك إلى الخير ، ووفقك لما فيه رضاه ، اعلم أنك ستمكث فى هذه الدنيا الجديدة سنين عديدة ، مغتربا عن الأهل والوطن فى سبيل العلم . فاستعن على ذلك بتقوى الله فى سرك وعلانيتك ، فهو الفتاح العليم ، واستعن بالصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتلاوة القرآن فإنه جلاء القلوب ، وشفاء الصدور ، واجتنب فى جهادك قرناء السوء ، وخلطاء الفتنة ، وما حرم الله من طعام وشراب واعلم أنك فى تربيتك ونشأتك يُنْظَرُ إليك هنا ، وهناك نظرة احترام إن أنت اعتصمت بدينك وتقاليدك .

ما كل ما هنالك حسن ، وما كل ما هنالك قبيح فخذ ما ترى ، وتعلم أحسنه وأنفعه ، واجتنب أقبحه وأضره ، وعد إلينا موفور الكرامة عَلِيَّ الهمة ، واقرأ هذه الوصية مرارا ، واتخذها منهاجا ودستورا والله يفتح عليك ويوفقك ويسدد خطاك » .

التوقيع : حسنين محمد مخلوف

والرسالة الثانية رسالة مطولة وجهها إلى أولاده وأحفاده من مكة المكرمة فى ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ ..

ذكرهم فيها بواجباتهم الإسلامية ، علما وعملا ، ونصحهم فيها بالتواصل والتراحم ، والتواد والتحاب ، والعناية بتربية الأولاد على الدين ، والتخلق بمكارم الأخلاق .

ودعاهم فى أعمالهم إلى الأمانة ، والإخلاص ، والجد ، والصدق وشرف النفس .

ثم قال :

«وإنى أسأل الله تعالى لكم جميعا توفيقه وطاعته ، وسعادتكم فى الدنيا والآخرة ، وأن تذكرونى بالدعاء ، وتقرأوا الفاتحة وتهبوا ثوابها لى» .

ثم مضى الشيخ إلى رحمة ربه فى يوم الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٠ هـ - الموافق للخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩٩٠ م .

يجزل الله مثوبته ، ويتقبل جهاده وعمله ، وينفع به المسلمين ، ويجزيه عما خدم به القرآن والإسلام خيرا . آمين .

عبد الكريم جرمانوس

(٢) باحث متحرر ومسلم غيور

للدكتور
محمد رجب البيومى

يقول الدكتور عبد الكريم جرمانوس إنه كان بوده ـ بل كانت أمنيته الوحيدة . أن يشترك فى موكب الحج حيث بزغت شمس الإسلام بمكة ، وقد انبثق هذا الشعور بنفسه إثر مشاهدته صوراً فوتوغرافية نشرت بإحدى الصحف الأوروبية الكبرى عن هذه الشعيرة الرائعة فى الإسلام ، يقول الدكتور جرمانوس هذا القول مؤكداً أن هذه الأمنية ترددت فى نفسه قبل أن يعتنق الإسلام بثلاثين عاما ! ونحن نأخذ من ذلك أن الرجل كان يفكر لا شعورياً منذ إقامته بتركيا فى مزايا الإسلام ، وكان يخضع لعوامل كثيرة تجعل من المتعسر حينئذ أن يفهم حقيقته الداخلية إزاء هذا الدين الذى درس تعاليمه دون أن يؤمن به ، فلولا ما أحسه من التعاطف الحاد نحو هذا الدين ، ما كانت أمنيته الوحيدة ، أن ينتظم فى ركب الحجاج ؛ لأن المواكب المختلفة حول الكنائس المقدسة فى روما تضم من الأفواج ما تضم مكة المكرمة من ناحية الكم ، ولكن الدكتور جرمانوس شاهد هذه الأماكن التى يؤمها أمثاله من المسيحيين ، ولم يشعر لها بمثل الحنين الذى تحدث عنه ، إنه حينئذ كان مشتغلاً كل الاشتغال بدراسة هذا الدين الذى قرأ تفسير كتابه قراءة فاحصة فى ترجمته التركية ، وكان يخوض بحراً لجياً من الأفكار ، تتقاذفه الأمواج ذات اليمين وذات الشمال ، حتى رست السفينة على المرفأ الأمين فى الهند ، بعد ثلاثة عقود متكاملة ، ومنذ اعتنق الإسلام أخذ يوجه همته الجادة إلى دراسة اللغة العربية ، لغة القرآن ليصل إلى نوره مباشرة من منبعه الأصيل ، وقد قال فى كتابه الرائع (الله أكبر) متحدثا عن رحلته إلى الحج إنه كان يقصد دراسة العزبيه دراسة جامعة متأصلة ، ليكون كأحد أبنائها وليستطيع الاتصال بالمسلمين الذين وقعوا تحت

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

نير الاستعمار فى آسيا وأفريقيا اتصالاً مباشرا لا يحتاج معه إلى مترجم ، وقد سعد سعادة لا حد لها حين لاقى كثيرا من فقراء المسلمين بالهند ، وهم يعيشون فى أكواخهم المشيدة بالقش ، ويستضيئون بأنوار الإسلام ، فتتحول تلك الأكواخ فى أنظارهم إلى جنانٍ وقصور ، حيث يحتقرون مظاهر الجاه والثروة ، ويطأونها تحت أقدامهم ، ويسهب الدكتور فى إيضاح أثر الإسلام فى نفس المسلم فيقول[1]

« القرآن هو المثل الأعلى لتوجيه الإنسان إلى الطريق السوى الذى يحتم على كل مسلم غيور ألا يحيد عنه قيد شعره ، والمسلم الذى يفقه دينه فقها صحيحا يرى أن هذا القبس الروحى يتأجج فى قلوب المسلمين جميعا ، ممن لا ينكصون عن التضحية وبذل الواجب ، وهم الذين يفنون ذواتهم فى ذات الغرض الأسمى ، ويأخذون على عواتقهم التغلب على كل أمر ، والتجول فى أنحاء العالم لنشر الدعوة ، وإظهار فضائل الإسلام .

والواقع أننا نجد شيئا من مظاهر هذه القوة عند بعض الأمم الأجنبية الأخرى ، ولكنى الفيت فى قلوب إخوانى المسلمين كنوزا تفوق فى قيمتها الذهب والأحجار الكريمة ، وقد عاشرت مسلمين فقراء كانوا لا يحجمون عن أن يقاسموا رفاقهم آخر كسرةٍ يملكونها من الخبز ، وكم استضافونى فى بيوتهم المتواضعة ، وأعطونى أعظم شىء فى الوجود ، إنهم منحونى إحساس الحب والتآخى ، ولقنونى عمل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعندما أطلقونى من ضيافتهم فاهوا بقول نبيهم الكريم : (اطلبوا العلم ولو فى الصين)[2] .

هذا فى الهند ـ المسماة بباكستان فيما بعد ـ أما عقب ذلك فقد اتجه الدكتور عبد الكريم إلى مصر ، ليدرس اللغة العربية بالأزهر الشريف ، وصادف بمصر ترحابا رائعا تعددت مظاهره فى احتفالات جمعية الشبان المسلمين به ، وقيام الأستاذ الكبير عبد الوهاب النجار باستقباله خطيبا فى حفل حاشد يعدد مآثر الزائر الكريم ، ويذكر أمجاده العلمية مؤلفا ، وسبقه الروحى مسلما يعتنق دينه عن فحص دارس ، ونظر بصير ، كما أن رجال الأدب من أمثال : أحمد أمين ومحمود تيمور ومحمد حسين هيكل قد آنسوه بكل ما يأمل ، أما اللغة العربية فقد آثر دراستها مع شيخ أزهرى كان يجاوره فى حلقات العلم بالجامع الأزهر ، حيث اصطفاه ليكون أستاذه الخاص بمنزله ، وقد بذل الرجل فى سنه المتقدمة نسبيا نشاطا ملحوظا فى فقه الدراسات النحوية والصرفية والبلاغية لأن ما تعلمه بنفسه لم يخرج عن معرفة معانى الألفاظ وحدها ! مستعينا بالقواميس ، والقواميس تمهد السير ولا تبلغ بقارئها آخر الطريق ، فكان من الضرورى أن يفقه جرمانوس أسرار لغة القرآن ، ليدرك بواعث الفصاحة ، ودلائل الإعجاز ! ومن المؤسف أن بعض الذين يسوؤهم أن تطرد الأمور على وجهها الصحيح قد تحرشوا بالضيف الكبير فأوعزوا لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر حينئذ أن الرجل جاسوس يخفى الإلحاد ويظهر الإسلام ، وأن تردده على حلقات الدرس بالجامع العامر موضع ملاحظة ، واستجاب الشيخ لملاحظتهم ، فاضطر عبد الكريم إلى الاستعانة بالعلماء الأزهريين فى غير محيط المسجد ، وقد أنس منهم حبا

---

(١) مجلة الرسالة العدد ١٣٥ سنة ١٩٣٦

وإخلاصاً ، فأنكروا ما قوبل به ، وأعلنوا أن رسالته أن يفقه أسرار العربية على أيدى علماء الأزهر ، ولايهم فى شىء أن يبتعد عن حلقات الدرس ، وقد كان من أساتذته الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، والشيخ على سرور الزنكلونى ، والشيخ محمد أحمد عرفه ، وهم من أفاضل العلماء ، كما أن الحلقات العامة فى المساجد الكبرى بالقاهرة التي يتصدرها الشيخ محمد بخيت المطيعى فى مسجد الحسين والشيخ محمد إبراهيم السمالوطى فى مسجد السيدة زينب ، وغيرهما من أعضاء هيئة كبار العلماء ، قد رحبت بجرمانوس فكان على معرفة بمواعيدها ، وأذكر أن المفتى الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعى كان يشرح حكم ابن عطاء الله السكندرى فى دروسه الحسينية فكان يسترسل استرسالا محببا فى تشريح الخواطر الوجدانية والإلهامات الروحية ، فيجد جرمانوس صدى قوياً لهذه الإشراقات فى نفسه ! ويعتدها من أنفس ما يحرص على استيعابه ، وقد أدرك الأزهر سريعاً حقيقة جرمانوس فساعد على تكريمه ، ورحب بضيافته ، ثم اختاره عضواً بمجمع البحوث الإسلامية من يوم إنشائه حتى رحل الرجل إلى ربه ! كما كان جرمانوس عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية فى مصر ، وبالمجامع العلمية الأخرى فى الشرق العربى كمجمع دمشق ، ومجمع بغداد ، وله فى مجلات هذه المجامع المختلفة بحوث علمية فى فقه اللغة ، وفى انتشار الإسلام فى أصقاع مجهولة من العالم مما يضيف الجديد حقا .

وقد لاحظ الدكتور جرمانوس اثناء إقامته بمصر ، أن المصريين ينزعون إلى المنحى الأوربى نزوعاً متسرعاً ، فى الملبس والمسكن والتقاليد وكثير من العادات ، فقال بصدد ذلك(٣) : لقد تألمت إذ ألفيت أهل القاهرة لا يلبسون الثياب الشرقية ويستبدلون الطربوش بالعمامة . كما راعنى أن تخلو البيوت التى زرتها بالقاهرة من الأثاث الشرقى . وأن أجد نفراً من الشباب المصرى يتقن اللغة الأوروبية أكثر مما يعرف العربية ، وفى رأيى أن الحصول على اللباس العربى والتطبع بالعادات الشرقية أمور يسهل اتباعها فى القرن العشرين ، من غير أن يفقد المصريون خصائصهم ومميزاتهم ، أضف إلى ذلك أن إحياء الصناعات القومية ، وإنعاش الأسواق التجارية ، متوقف على إقبال المصريين على عاداتهم الأصلية ، أما التقليد الأعمى ، والاتجاه شطر أوربا ، وترك الثقافة العربية ، والتراث القومى جانبا ، فصفات يجب التخلى عنها » .

وما ذكره جرمانوس موجزاً ، قد فصله كثير من الفضلاء فى بحوث ضافية ، ولكن التيار الغربى كان من العنف بحيث أحكم سيطرته دون فكاك !

وفى زيارته المتنوعة إلى دور الكتب بمصر ، شاقه أن يرى آلاف المخطوطات باللغة العربية تتراص وتتزاحم فى الخزانات العامة والخاصة ، فعرض على الأستاذ محمود تيمور أن يساعده على استعارة بعض المخطوطات من مكتبة والده العلامة أحمد تيمور باشا ، وكان قد أهداها إلى دار الكتب بالقاهرة قبل رحيله إلى رحمة الله ، وفيها من النفائس الثمينة ما لا يكاد يوجد نظيره فى مكتبة أخرى ، فرحب القائمون على إدارة دار الكتب بتلبية رجاء جرمانوس ، ودأب لمدة عامين كاملين على استعارة المخطوطات النادرة فى علوم العربية والتشريع الإسلامى ليقف على أسرارها فى لغة العصور النائية ، وقد تحدث بشفافية وإخلاص يزينهما التواضع عما كابد من رهق فى

(٣) المصدر السابق .

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

استجلاء غوامض المعانى ودقائق التراكيب ، فذكر أنه قد تعب أشد التعب فى محاولة الغوص على أسرار المعانى فى هذه المخطوطات ، لأنه لا يكتفى دائماً بالقراءة الأولى بل يميل بفطرته إلى تحليل أفكار المؤلف ، وقراءة السطور التى لا ترى ! والتعبير بقوله (السطور التى لا ترى) تعبير تفرد به ، لأن غيره يقول فى هذا المجال ، وقراءة ما بين السطور ، أما السطور التى لا ترى فابتكار شعرى أوحى به قلم فنان ، يقول الدكتور جرمانوس مستطرداً :

« وقد لاح لى أنى أشبه بغواص يجاهد فى بحر من الظلمات ليستخرج منه اللآلىء والأصداف إذ ما أمر العكوف على قراءة الكتب الخطية فى بلاد الشرق ، فأنت تغلق باب الغرفة دونك وتحاول أن تظل بمعزل عن العالم لتتمثل فى خاطرك العصر الذى عاش فيه المؤلف ، والظرف المحيط به ، وإنها لمعجزة أن يظل الكتاب مهملاً عدة سنوات برمتها ، فما تكاد تفتحه حتى تهب عليك النسمة القديمة بسحرها ، وعطرها فتسمع كلام المؤلف أو صوت الشاعر كأن لم يغيرهما تقلب الحوادث ، وانصرام الأجيال .

هذا فى العربية وحدها ، فإذا كان جرمانوس قد أسهم فى الاطلاع على بعض كتب التراث فى الفارسية والأردية والتركية فإنه يكاد يكون أحد أفراد قلائل عشقوا لغات الإسلام فى أقطارها المختلفة ، لينهلوا من نعيمها عن حب صادق لهذا الدين الرائع ، الذى حث ذويه على العلم والتأليف ، والذى جعل منزلة العالم فى درسه كمنزلة المجاهد فى معركته ، وبهذا الشغف العريق بالبحث العلمى ترك الأستاذ عبد الكريم جرمانوس عدة مؤلفات علمية وأدبية تعددت جداولها الصافية فى اللغات التركية والعربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والمجرية ، ما بين تاريخ سياسى أو بحث علمى ، أو فقه لغوى مقارن ، أو تحليل أدبى ، أو قصة عاطفية ، وقائمة مؤلفاته التى ذكرها الأستاذ نجيب العقيقى بالجزء الثالث من كتابه عن المستشرقين ، تدل على ما منح هذا العملاق من موهبته ، وما أسدى من عطاء ، وقد بلغ من حبه للأدب العربى أن خصه بتاريخ حافل فى عدة أجزاء كتبت باللغة المجرية ، وكانت أحد المراجع الدقيقة لطلاب جامعة بودابست ، كما دفعه سطوع كتابه فى أفق الاستشراق هذا السطوع الخالب ، أن يتبعه بكتاب عن النصوص الشعرية المختارة من دواوين الشعر العربى ، لتكون هذه المنتخبات دليل الأحكام الأدبية الدقيقة التى سجلها فى كتاب التاريخ العام للأدب ، وكما شاء أن يطلع أبناء الغرب على التيارات الحديثة فى بلاد الإسلام فأصدر عدة مؤلفات عن الثورة التركية وعن اكتشاف الجزيرة العربية ، وعن نهضة الثقافة العربية فى دول العرب ، وعن أدب الرحلة عند العرب ، وعن التركيبات اللغوية فى المتن العربى ، وقد تنوعت لغة هذه المؤلفات ما بين فرنسية وانجليزية وألمانية ومجرية .

ولابد ان يقوم باحث موضوعى بتاليف كتاب جاد عن تراث جرمانوس العلمى ، ووجود هذا الباحث المنتظر موضع شك ، إذ من الذي يستطيع أن يحيط بلغات جرمانوس التى كتب بها عن قوة واقتدار ، إلا ان تؤلف لجنة علمية ، ينفرد كل واحد من اعضائها بدراسة ما يتقن من مؤلفات الرجل ، ثم تجمع هذه الدراسات فى فصل خاص ، ويعزى كل فصل إلى كاتبه ، وهذا بعض ما يكافأ به هذا الباحث الضليع !

وقد يظن الذى يلحظ هذا الحشد الجم من

مؤلفات جرمانوس فى شتى اللغات أن المؤلف قد كان راهباً فى صومعة العلم ، بحيث لا يفسح لنفسه مجال الرياضة والارتحال فى شتى البقاع ، والحقيقة أن الكاتب الكبير كان يجعل مشاهده المتنوعة فى مجال الطبيعة المختلفة من أرض وسماء ، وحدائق وصحراء ، وقرى ومدن ، وبدو وحضر ، مصادر لثقافته الشخصية ، فهو يلحظ جميع ما يراه ثم يخلو إلى قلمه ليرصد انطباعاته فى أدب إبداعى لا يقل عن درجة تفوقه فى منحاه العلمى الخالص ، بل إن الذى يقرأ رحلة جرمانوس الرائعة إلى مكة حاجاً بيت ربه يعتقد أن الرجل شاعر أولا قبل أن يكون باحثاً منهجياً لرقة ما أبدع من الأحاسيس ، ودقة ما التفت إليه من غوامض الخلجات ، وقد كانت أيامه فى القاهرة مجالاً لتنزهات شاعرية تمتع وجدان الأديب على حين ترضى ميول الباحث الاجتماعى المقارن بين الماضى والحاضر والملتفت إلى المستقبل مستشفاً ملامحه البعيدة من وراء الحجب المتكاثفة ، ولعل صديقه الأستاذ محمود تيمور كان مهتدياً إلى بعض الأسرار الرقيقة فى نفس جرمانوس حين قال فى مجال الحديث عنه[3] :

وفى أثناء وجوده فى القاهرة ، كانت أوقاته المفضلة هى التى يؤم فيها بيوت الله ، يعد ذلك أزكى رياضة نفسية له ، يجول فى حى الحسين ليلاً ، يستروح منه الصفاء والهدوء ، ويتنسم فيه روح الإيمان ، ويظل فى تطوافه ملتحفا بعباءته العربية الفضفاضة ، حتى إذا تعالى صوت المؤذن للفجر ، داعياً للصلاة فى السحر ، وقف متخشعاً يترشف بأذن عاشق ولهان ذلك الأذان الحلو النغم ، فيسرى فى جسده سريان رحيق علوى من روضات الجنان ، وإنى لمعترف بأن قصتى التى سميتها (المستعين بالله) ووصفت فيها أحد من شغفوا بالشرق وأهله ، كان استيحاؤها فى الجملة من صديقنا هذا ، عاشق الشرق والعروبة والإسلام ، وقد حدثنى فيما حدثنى به ، أنه كان حين يشتد به حنينه - وهو فى موطنه (بودابست) على ضفاف الدانوب - إلى معالم إسلامية ، ويفتقد من المناظر حوله ما يشفى به وجده ، لا يملك إلا أن يهرع لزيارة ضريح المسلم التركى (جول بابا) أو الأحرى (أبو الورد) .

هذا بعض ما قال تيمور عن تجوال جرمانوس فى الأحياء الدينية بالقاهرة ، أما هو فقد كتب فصلاً بديعاً عن زياراته تلك فى كتابه « الله أكبر » حيث تحدث عن جولته فى حمى الأهرام الفرعونية مبينا صنيع الدهر بها على مر العصور ، وقد وصف النيل أجمل وصف ، وعرض مظاهر رائعة للغروب والشروق فى الحدائق والمروج ، وعلى الشرفات العالية فى القصور ، ومن أحسن ما جاد به قلمه وصفه الرائع لمغارة ولى الله المغاورى بالمقطم ، وتسجيله لما شاهده من تزاحم الزائرين والزائرات فى هذا المكان ، مع إلمامة بتاريخ الدراويش من أتباع (البكتاشية) وأماكن إقامتهم بالمغارة ، وماذا يأكلون ويشربون ويلبسون وكيف ينامون ، ويتخلل ذلك كله نقد صارم لعادات الشرق التى ابتعدت عن روح الإسلام وآمنت بالأساطير ، واشتغلت ببعض العبث الذى يضاف للدين ظلماً وهو منه براء .

ولن نغفل بعد أن ألمنا بذكريات القاهرة لدى جرمانوس أن نشير إلى رحلته الرائعة لمكة المكرمة حاجاً بيت الله ، إذ كانت هذه الرحلة مصدر إلهام روحى للكاتب الكبير ، وقد استطاع بقلبه المؤمن ، وقلمه الشاعر ، وعقله المتأمل أن يبدع أرق صفحات الأدب الدينى حين وصف ركوب الباخرة من مصر إلى جدة ، وشاهد الأجناس المختلفة من كل صوب تهرع إلى بيت الله ، وسمع التلبية والتهليل ، وتجرد من المخيط محرما مع

(٣) مجلة قافلة الزيت/ ذو القعدة ١٣٨٩ هـ .

من أعلام الأزهر

عبد الكريم جرمانوس

المتجردين ، بل إن صورته الشمسية متجرداً محرماً قد لازمته فى سيره طيلة حياته ، إذ احتفظ بأنموذج صغير منها ، يعرضه على أصدقائه ومعارفه إذا فوجىء بزائر جديد ، وهنا تتاح الفرصة للحديث عن الرحلة المباركة التى سجل انطباعاتها الطاهرة فى كتابه « الله أكبر » ثم فى صفحات رائعة من مجلة قافلة الزيت ، ومع هذا التسجيل الذائع المنتشر ، والمترجم إلى عدة لغات ، فإن جرمانوس يستشعر راحة نفسية فى الحديث عن (أم القرى) مهوى الأفئدة ، ومتنزه الأرواح ! ومحاولة الاستشهاد ببعض ما قال جرمانوس فى كتابه عن حجة المبرور لا تغنى عن الرجوع إلى الكتاب نفسه ، وما هى إلا كزهرة أخذت من روض ناضر لترمز إلى أخواتها الباقيات على الغصون المزدهرة بين الظل والطير والماء .

يقول عبد الكريم جرمانوس :

« وما إن غشيت غرفتى بمكة المكرمة ، واستلقيت على البساط حتى أغمضت عينى ، واستولى على النعاس فتخيلت الرسول الكريم وقد بدا أمامى فى شكل نورانى ، وكأنه ينشر كلمة الله فيضىء بها العالم ، داعيا إلى الحق ، ورأيت الخلفاء الأربعة يتوسطون حلقات من الناس ، ويسودون العالم بالحكمة والمحبة ، لا بالعنف والشدة ، ثم تخيلت هارون الرشيد ، وهو يجول أثناء الليل فى شوارع بغداد ، ويجوس خلال أزقتها ، فيكافىء الأتقياء ، وينزل العقوبة بالمجرمين ، وانبسطت أمامى بلاد الأندلس الزاهرة ، وقد سادها حكم العرب فنشروا بين ربوعها العلم والحكمة والفقه والفلك ، حتى أصبحت هذه العلوم كشجرة مباركة ، فرعها فى السماء ، ولا يظن أحد أن ما شاهدته كان من قبيل الرؤيا أو أضغاث الأحلام ، بل هى أشباح خالدة تطوف بذهن كل مسلم صادق الإيمان !

ثم يقول : لقد صادف أن رافقنى فى السيارة إلى مكة المكرمة ، خمسة عشر زنجيا من أهالى الصومال ، فكنا فى خلال الطريق لا ننقطع عن الهتاف (لبيك اللهم لبيك) وكلنا سواسية لا فرق بين صغير وكبير ، ورئيس ومرءوس ، وقد شعرت بتلك الحقيقة ، وأنا بصحبة هؤلاء الفقراء ، وقارنت بين ذلك وبين الشائع الشاسع من فوارق بعيدة فى أوربا التى تحتقر العناصر الضعيفة وتدعو إلى التفرقة بين الألوان » .

فإذا أراد القارىء أن يسمع أرق همسات الحنان ، ويرى أدق مشاعر الوجدان ، فليسمع ما ذكره جرمانوس عن الجمل الذى كان يركبه - لم تكن السيارات قد ازدهرت بعد لتصبح أداة الارتحال بمكة المكرمة كالآن - وما أحس به من تجاوب إنسانى رائع إزاء هذا الحيوان الأعجم المسكين :

يقول جرمانوس :

وصلنا إلى المزدلفة ، وهى أطيب جنابا ، لما بها من عشب وخضرة ، فجنيت من الغصون ، وأطعمت الجمل ، ولاطفت عنقه ، وسنامه الجريح ، وهو غير متعود أن يرى مثل هذا السلوك من راكبيه ، فمد عنقه ، ونظر إلىّ نظرة العرفان بالجميل ، وفى الصباح باكره الجمّال ، فأخذ مقوده فى خشونة ، ثم جذبه ، وحمل على ظهره (الشقدف) الثقيل ، ونظر إلىّ الجمل مستعديا ، لما ألفه من رحمتى ورأفتى به ، ولكن ما كان فى وسعى أن أسفر بينه وبين الجمّال ، فى إقالته من هذا العمل ، ولاحظت فى عين الجمل كولوما لى ، كأنه يقول : حتى انت ، خابت آمالى فيك حقا !

هذا حديث شاعرى أنقله فى ختام مقالى ، ليحمل إلى القارىء أريجا إنسانيا ، هب نسيمه من حديقة عبد الكريم ليرتفع بالإنسان قليلاً من وهدة الأرض إلى مشارف السماء .

الشعر والشعراء

إشراف: أ. رشاد يوسف

نداء الفداء

من وحي الإسراء والمعراج

والقدس

نداء الفداء

شعر: على محمود طه

اخى جاوز الظالمون المدى — فحق الجهاد ، وحق الفدا
انتركهم يغصبون العروبة — مجد الأبوة والسؤددا ؟
وليسوا بغير صليل السيوف — يجيبون صوتا لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده — فليس له بعدُ أن يغمدا

*

اخى ايها العربى الأبى — أرى اليوم موعدنا لا الغدا
اخى اقبل الشرق فى أمة — ترد الضلال وتحيى الهدى
اخى إن فى القدس أختا لنا — أعد لها الذابحون المدى
صبرنا على غدرهم قادرين — وكنا لهم قدرا مرصدا
طلعنا عليهم طلوع المنون — فطاروا هباء وصاروا سدى
اخى قم إلى قبلة المشرقين — لنحمى العقيدة والمسجدا
اخى ، قم إليها نشق الغمار — دما قانيا ولظى مرعدا
اخى ، ظمئت للقتال السيوف — فأورد شباها الدم المصعدا

*

اخى إن جرى فى ثراها دمى — وأطبقت فوق حصاها اليدا
ونادى الحمام وجن الحسام — وشب الضرام بها موقدا
ففتش على مهجة حرة — أبت أن يمر عليها العدا
وخذ راية الحق من قبضة — جلاها الوغى ، ونماها الندى
وقبل شهيدا على أرضها — دعا باسمها الله واستشهدا

*

فلسطين يفدى حماك الشباب — وجل الفدائى والمفتدى
فلسطين تحميك منا الصدور — فإما الحياة وإما الردى

الشاعر :

هو على محمود طه ولد بالمنصورة سنة ١٩٠٢ فى أسرة على شىء من اليسار وتخرج فى مدرسة الفنون والصنايع سنة ١٩٢٤ ولذلك كان حريصا على أن يلحق باسمه لقب «المهندس» عمل موظفا بالمنصورة وعايش مجموعة من شعرائها منهم إبراهيم ناجي وعبد المعطى الهمشرى وصالح جودت ونشر العديد من شعره بمجلة «الرسالة» لصاحبها أحمد حسن الزيات ، انتقل إلى القاهرة وأصدر ديوانه « الملاح التائه » عام ١٩٣٤ وسافر إلى أوروبا عام ١٩٣٨ وأصدر ديوان « ليالى الملاح التائه » وفى عام ١٩٤٢ أصدر ديوان « أرواح وأشباح » ورسخت شهرته فى عالم الشعر ، وأصدر مسرحية شعرية بعنوان « أغنية الرياح الأربع » تأثر فيها بشعراء الانجليز .

وصدر له بعد ذلك ديوان « الشوق العائد » سنة ١٩٤٥ وديوان « شرق وغرب » ورحل عن عالمنا سنة ١٩٤٩ عن عمر يناهر السابعة والأربعين بعد أن شغل الناس برقيق شعره وملأ الدنيا بأغاريده التى أتعبت مقلديه من بعده بما حملت من موسيقى فاتنة وعوالم موشاة بالسحر والخيال ومناجاة الجمال .

●●●●●

القصيدة :

نداء الفداء .. صيحة أطلقها الشاعر من أجل إنقاذ فلسطين ونجدة القدس فى وقت تآمرت فيه القوى الظالمة على تقسيم فلسطين وتشريد شعبه العربى وانتهاك حرماته ، فكانت صرخة فى سمع الزمان تندد بالظلم والظالمين وتستحث الهمم وتستثير العزائم لوثبة عربية تخلص فلسطين من الغاصبين .

وما أشبه الليلة بالبارحة وما أحوجنا إلى نداء الفداء يصافح أسماع النائمين ويلهب مشاعر الغافلين حتى تتوحد القوى وتتكاتف الجهود وتتكاتف الإمكانات لصد المعتدين وإجلاء الغاصبين وتحرير القدس الشريف والأرض العربية . والله ولى التوفيق .

رشاد محمد يوسف

●●●●●

مجلة الأزهر :

تسجيلا لأمانة النقد وحريته واعطاء كل ذى حق حقه اقول : قبل أن يقول الأستاذ على محمود طه هذه القصيدة بوقت غير طويل نشر الشاعر السكندرى الأستاذ عبد العليم القبانى قصيدة بنفس الوزن وأكثر المعانى سبقت قصيدة الأستاذ على محمود طه .

وإذا كان هناك مجال يتسع لبعض النقاد ، وذلك ما نرجو ، فليطلع من يريد على اعداد مجلة الثقافة التى سبقت نشر هذه القصيدة .

(الخطيب)

من وحى الإسراء والمعراج

للأستاذ: محمود شاور ربيع

عَرَجْتَ سريعا كلمح البصر ... واقرب منه إذا ما خطر
وجاوزتَ شمسا لدى سيرها ... وجُزْتَ بسيرك دار القمر
وقفت هنالك بالمنتهى ... لتسال «جبريل» : ماذا الخبر؟
وكيف تاخر عن سيره ... لماذا توقف؟ ما ينتظر؟
فقال : تقدم فانت المراد ... وانك انت الذى يُنتظر
فسرت هنالك فى لجة ... وناجيت ربك عند السمر
ونلت التحايا ونلت الهدايا ... وتوجت بالنور هام البشر
حملت «الصلاة» وجئت العباد ... بأمر عظيم وشىء قدر
وإن الصلاة سبيل النجاة ... ومشكاة نور جليل الأثر
وحدثت قومك عما رايت ... فضلت هنالك بعض الفكر
وردت عن النور بعض القلوب ... وطار الحديث وزاد الخطر
وجاء الصديق يعيد الصواب ... ويدفع كل كذوب اشر
وقال صدقت فانت الأمين ... وانت الكريم الحميد الأبر
اتيت بامر السماء فماذا ... لو انك جئت لهذا المقر
عرجت هناك لرب السماء ... وجبريل كان رفيق السفر
واسرى بك الله رب الورى ... وما زاغ عند اللقاء البصر
عليك الصلاة وازكى السلام ... وانت الرجاء لدرء الخطر
وانت الشفيع بيوم الزحام ... وانت الغياث وانت المطر

واقدساه

للشاعر/ محسن عبد المعطى عبد ربه

القدس ياأبطال ياعرب بالجرح والأحزان تلتهب
ودموعها ثكلى محطمة والموج فيها هائج صخب
ترنو إليكم كلها أمل أن تنهضوا فالنصر مقترب
لا لن يسود الظلم فى وطنى ودماؤنا فى الهول تنسكب
القدس نار ما لها مثل وعداتها فى جوفها الحطب
ياقدس والأحجار ثائرة قد قادها وسط الدجى الغضب
تبغى انتقاما من أبالسة قد كبلوها ، إنها تثب
تقضى على من بات يمنعها حلو اللقاء فحاله عجب

●●●

ياقدس كاد الشوق يقتلنى والقلب ياقدساه مكتئب
ماذا أقول وكل جارحة تهفو إليك يحفها التعب ؟
قدساه طال الوقت واختلطت فيك الأمور وهزك الطرب
فمتى يعود النور ؟ فى غدنا ؟! ومتى فلول الوهم تنسحب ؟
ياقدس فى عينيك تجربتى وأنا بكل الحب مرتقب
أغوار جرحى بعدما التأمت وأنا بهذا الجرح أنتسب
إنى أحبك قلتها علنا والحب زادى والمنى قرب

●●●

أنا لن أهون مدى الحياة لهم ورفاق معركتى هم النجب
وجحافل الشيطان قد بعدت وقوافل الإيمان تقترب
وقضية الأحرار ملحمة لا تنتهى والحق يُغتصب
هى قصة وقف الأسود بها يحمون أرضا تربها الذهب
والمسجد الأقصى قضيته ليست بأهل الغى تُحتجب
ومخطط الأعداء مكتشف ترنو له بذكائها الشهب
يبغون باسم الدين فتنتنا ودفاعنا عن ديننا يجب
سنعود ياقدساه فى فرح وشعارنا الإخلاص والدأب

ما وراء النظريات فى البحث عن :

نشأة اللغة

للدكتور
توفيق محمد شاهين

البحث فى اصل نشاة اللغة بحث غيبى ميتافيزيقى ، ومن ثم كانت الآراء حول هذا الموضوع ظنية قوامها الحدس والتخمين ، لانها لا تعتمد على الأسلوب العلمى التجريبى والمنهجى .

والبحث فى اللغة وأصولها التاريخية يعود إلى البحث فيما قبل التاريخ ، وبالتالى فإن مؤدى النتائج ظنى ومتضارب .

ولذلك مال كثير من العلماء إلى هجر هذا البحث وتجاهله ، وقد منعت الجمعية الفرنسية إلقاء محاضرات فى هذا الموضوع بقانون سنته لذلك ؛ لانه لا يدخل فى نطاق علم اللغة ولا طائل فى البحث من ورائه .

ويؤيد ذلك العالم اللغوى (لايبنتز) ؛ لأن (اللغات بمثابة كتاب علينا ان نحسن القراءة فيه ولكى نحسن هذه القراءة ينبغى ان نقرا اولا لنفهم ثانية ، لا ان نفهم أولا لنقرا ثانية .. ان نقرا ونحن نفهم يحجب عنا الواقع الإيجابى ؛ إذ لا نقرا إلا ما نريد أن نفهمه ، وهذا تحوير للحقيقة اللغوية .

علينا ان نقرا فى كتاب اللغات واذهاننا خالية من كل فكرة سابقة ، علينا ان نكون كصحيفة بيضاء يدون فيها ما يجب تدوينه) .

وقال ابن السبكى فى (رفع الحاجب) : والصحيح عندى أنه لا فائدة لهذه المسألة ، وهو ما صححه ابن الأنبارى وغيره .

وبالجملة : فما قيل عن أصل اللغة إن لم يقم دليل على بطلانه ، فإنه لم يقم دليل على صحته .

تلك وجهة نظر فى المنع ، أيدها كثير من المشتغلين بعلوم اللغة[1] .

ولاأميل إلى وجهة النظر هذه ، كما ذكرت فى كتابى المطبوع سنة ١٩٨٠ م ، ويؤيدنى بعض المعاصرين ، مثل أبو عبدالـرحمن بن عقيل الظاهرى[2] ـ عفا الله عنه .

وأقول فى إيجاز لبيان وجهة النظر فى أهمية بحث هذا الموضوع :

(أ) أن النفس مجبولة على الاستفهام عن علل الأشياء ونشوئها .

(ب) والبحث فى اللغة وأوليتها وتدرجها ييسر اللغة ، وينميها بالاجتهاد فيها ، إذا كانت من وضع البشر .

(جـ) وقد بحثها أئمة اللغة من قبل ؛ لأهمية الموضوع فوجب بحث الموضوع فى عصر العلم .

(د) حول الموضوع (اللغة) حقائق فى خلق آدم ، وذكر الملائكة ، وعصيان إبليس ، وخلق السمـوات والأرض .. ومحصلات البـرهان الضرورى من السمع والتجربة والمقايسة قد تكشف عن الموضوع بالظنية الراجحة إن لم تكن بالقطعية اليقينية والظنيات الراجحة تصبح فى قوة القطعيات أحيانا ، والمشاحة إذن فى الراجح والأرجح .

(هـ) ونحن نبحث عن جميع أصول العلوم ، فلم لا نبحث عن أصول اللغة ؟

فالبحث فى أصول اللغة بعامة ليس من الفضول ، وإنما هو من الأصول ؛ فلا يجب إغفاله ، ولا الغض منه ، ولا ابتسار الموضوع برمته .

وبحثنا فيه جديد ، لمحاولة طرح أبعاد وآراء لم يلم بها كثير من الباحثين ، والأهم من ذلك : محاولة استكناه معرفة السر فى النظريات ، كما لونها أصحابها ، بما اعتنقوه من معتقدات أثرت فى تفكيرهم ، ومحاولتهم رؤية كل شىء من خلال مناظيرهم .

● ● ●

تجاذب هذا الموضوع قديما وحـديثا : الفلاسفة ، والمفكرون ، ورجال الدين ، والباحثون عن الإنسان وتاريخه بعامة ، وثار فيه جدل فى الفكر العربى والإسلامى .

وظهر فى نهاية المطاف أن اللغة هى (أحد مفاعلات الوجود الإنسانى : إذ هى طرف المعادلة النوعية لثبوت خصوصية الإنسان ، ولما كان الإنسان حصيلة تعادلية بين طرفى وجود المادة زمانا ومكانا : فإن معادلة التفاعل تنصهر فيها عناصر الإنسان واللغة والزمان والمكان ، فينتج حتما التغير والاستحالة[3] !

فالعناصر المدروسة هنا لن تعدو الإنسان كمتكلم ، واللغة كمدلول لغوى يتلو ويعطى الحدث الاجتماعى السابق عليها ، ويدور ذلك فى طرفى السؤالين : متى ، وكيف .

---

(١) راجع المزهر ٢٦/١ وفلسفة اللغة د . كمال الحاج ص ٢٨ ، وعلم اللغة د . وافى ٥/١ .

(٢) اللغة العربية بين القاعدة والمثال ص ٤٩ . وكتابنا (علم اللغة العام) ط مكتبة وهبة بالقاهرة .

(٣) د . عبد السلام المسدى ، فى مقالة قيمة ، فى مجلة آفاق عربية العراقية ص ٥٤ ، سنة ٦ عدد ٢ .

ماوراء النظريات فى البحث عن نشأة اللغة

فإن اللغة تتغير، وتنتشر وتعيش وتموت، وتنكمش وتزدهر بقوانين أمكن معرفتها وحصرها فى نطاقها .

وتميز التفكير فى اللغة بالتحليل لطبيعتها، وملاحظة تدرج النطق بها، ورصد خط مسارها، مع وصف الظواهر .. تميز كل ذلك بأن دار البحث فى قضيتين أساسيتين : هما التوقيف عند النصيين ، والاصطلاح والمواصفة عند العقلانيين ، بدون أن يحظى البحث فى النهاية بتقرير حاسم ، وإن حظى بملاحظات ومرجحات ترضى .

وكان اختلاف وجهات النظر عند طرح الموضوع ، لأنه ما انفرد بالبحث وحده ، وبالتالى لم ينفرد بصفة شمولية، فضلاً عما اعتور البحث من مسلمات أو معتقدات مسبقة ، مال إليها كل باحث ، فرجحها أو وقف عندها لا يريم .. وأدى كل ذلك إلى الشتات وعدم الترابط ، للمنحى العقدى أو العقلى السابق .. وحين اختلفت وجهة النظر عند البدء كان الصراع جدليا ، بسبب اختلاف منهج البحث وكذلك بسبب مشكلة البحث فى أولية اللغة ارتبطت بمشكلة أخرى هى : بدء الخلق البشرى وإن كان الإسلام سباقا فى هذا الصدد بالبت فى خلق الإنسان من طين وماء وتراب ، ونفخ فيه الخالق سبحانه من روحه فكان بشرا سويا ، وجاءت البشرية على أثره توليديا لا تطوريا .

ويلاحظ أن القول بالتطور قوى النزعة العقلية عند القائلين ، وأنجز ذلك إلى التطور المطلق لأولية اللغة عند القائلين بذلك .

والغريب أن صاحب رأى التطور فى الإنسان لم يجزم به كنظرية ثابتة ، بينما ثبتها مفتونون كانوا ملكيين أكثر من الملك ، فجعلوا النظرية قولا يقينيا ومقطوعا به .

فالتفكير الإسلامى حل مشكلة خلق الإنسان فى صورة بسيطة وطبيعية وحاسمة ، وطبيعتها توائم وتواكب ما قاله العلم الطبيعى اليوم فى أرقى مراحله: من أن الإنسان يعود إلى طبيعته الأولى بالتحليل والعكسية ؛ فحين تخرج الروح ، يختلط الطين بالماء فى الجسم ، وحين يتبخر الماء ، لا يبقى غير التراب . وإذا قرأنا آيات الخلق فى القرآن الكريم نجد قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(٤) .

فالمسألة محلولة إسلاميا ، والتطور جنينى وخلقى ، والأمر بعدئذ توليدى .

والتشتت الذى ساد مشكلة بدء اللغة أو أوليتها يرجع إلى مردود ثقافى مسبق أو اعتقاد معين ، أو الميل إلى النص أو العقل .

على أن التشتت الذى ساد التفكير اللغوى لدى جماعة المسلمين ، كان نصا ـ كما هو عند غيرهم من الديانات الأخرى ـ وكان أيضاً منشؤه التفسير اللغوى للألفاظ علاوة على ما سبق : فالقرآن الكريم يقول : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾(٥) ومرجع التشتت هنا تأويلى تفسيرى ، يرجع للشارح ، لا إشكال من طبيعة الدين ولا من جوهره النقى السوى .

وقد جنح الذين قالوا بالتوقيف إلى القول بالاصطلاح صراحة أو ضمنا ، وبالطبع نشأ من القولين قول ثالث خلط بينهما ، وجاء فى فروع

(٤) المؤمنون ١٢ ـ ١٤ .

(٥) البقرة ٣١ .

أخرى لها وجهة نظر قوية أحياناً ، ولا تقوى على الظهور أحياناً[٦] .

● ● ●

وموضوع نشأة اللغة أشبع كلاما وبحثا ومازال المجال مفتوحا للباحثين على أن يأتوا بجديد ومفيد .

وهنا سنلمس طرفا من أصالة الفكر العربى والإسلامى ، والمنهجية عند الباحثين منهم ، ووجهة النظر الشمولية ، أو الجانحة ، أو الابتسارية فى طرح الموضوع برمته بدون تمحيص وتفتيش ، والطرح هذا لا يليق .

ونظرية التوقيف والإلهام قديمة ، قال بها الفيلسوف اليونانى (هيراقليط ٤٨٠ ق م وزميله هيراكليت ٤٨٠ ق م) .

وأفلاطون يراها ظاهرة طبيعية ، وحروفها وأصواتها جزء من معناها .

بينما يراها أرسطو : ظاهرة اجتماعية ورموز اصطلاحية ، لا علاقة لها بالمعانى والإشارات التى وردت فى الكتب المقدسة تؤيد وجهة نظر هؤلاء :

فقد جاء فى سفر التكوين ، فى الإصحاح الثانى ، فقرة ١٩ : (إن الله خلق كل شىء ، ثم عرضها على آدم ، ليسميها ، فسماها آدم ..) فهنا وضع من آدم ، بالها من الخالق .

وابن بارس (٣٩٥ فى الصاحبى) أيد النظرية ، بدليل قوله تعالى :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[٧] وكافح فى سبيل تأييدها ، مع أنه حين البرهنة سيجنح إلى التوقيف .

وأبو على الفارسى (٣٧٧ هـ) يؤيد النظرية (واعتقاداً) يميل معه تلميذه ابن جنى (٣٩٥ هـ) إلى هذا الرأى أحياناً ، لأنه من مؤيدى فكرة الاصطلاح ، فهو يرى الاصطلاح بعقله ، ويرى بقلبه (التوقيف) اعتقادا[٨] !

ووجدت نظرية التوقيف حتى العصر الحديث انصاراً :

فالفيلسوف الفرنسى (دوبانالد) ، والأب (فرانسوالامى) من المؤيدين[٩] ويؤيدها حتى الآن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ويرى أن نشأة اللغة وأوليتها تعتبر من وجهة النظر الإسلامية محلولة ، بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾[١٠] .

ويستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ حين كلم عيسى القوم فى المهد بدون سابق تعليم أو اصطلاح ، ويعجب أستاذنا الشيخ ؛ لأن الإنجيل لم يشر إلى تلك الحادثة الفذة ، تمجيدا لعيسى عليه السلام !

ويرى أن الأسماء جاءت لمسمياتها ، لأنها الفاظ تعين مسمياتها ، وقد هدى الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء ؛ لأنه ليس باستطاعة آدم التعبير عن معطيات الأسماء بدون تعليم من الله ، وهذا التعليم أزاح عنا عبئا كبيرا من صعوبة التفاهم ولولا ذلك لما استطاع آدم ولما استطعنا أن نتفاهم على شىء إلا إذا واجهنا الشىء وأشرنا إليه .. وينتهى إلى القول بأن هذه الأسماء علمها الله الإنسان الذى يتفاهم بها والإنسان أصله من آدم[١١] .

أى أن الإنسان أصله توليدى لا تطورى ،

---

(٦) من هذه النظريات : محاكاة أصوات الطبيعة أو (البو ـ وو) ، والأصوات التعجبية العاطفية ، أو محاكاة الأصوات لمعانيها كما تدل الحروف على ذلك ، أو نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ، أو الإشارة الصوتية ، أو نظرية دراسة اللغات القديمة ، أو نشأة اللغة عند الطفل .. وكل هذه النظريات نقدت ، ورد بعضها ، لأدلة قامت تفندها .

(٧) الصاحبى ص ٥ .

(٨) الخصائص ١/٤٥ .

(٩) نشأة اللغة عند الإنسان والطفل د . وافى ص ٢٥ .

(١٠) البقرة ٣١ .

(١١) خواطر حول القرآن الكريم ـ جريدة اللواء الإسلامى ، القاهرية السنة الثالثة ـ عددى ١٤٢ ، ١٤٣ .

ماوراء النظريات فى البحث عن نشأة اللغة

والتعليم اللغوى كان بإلهام من الخالق سبحانه ، ويقول ابن عباس : علم آدم اسم كل شىء حتى القصعة والمغرفة[١٢] .

وقد توجه النقد لهذه النظرية بتركيز وموضوعية ، من ناحية اللفظ والمعنى : فالألفاظ فى (علم) و(الأسماء) ، تحتمل : ألهم ، أو أقدر على وضع الألفاظ والاصطلاحات عليها ، وأين (الأفعال والحروف) ؛ وهى جزء من الكلام وهل الإضافة على تقدير مسميات الأسماء ؟ أو غير ذلك ؟

وما معنى أن يتعلم آدم كل اللغات ؟ ولماذا ؟ وهل مثلت له كل المسميات ؟ وأنى لبشر الإحاطة بكل اللغات ؟

مآخذ كثيرة وضعت القائلين بهذه النظرية فى حيرة أو صمت . وجعلتهم يميلون أحيانا إلى القول بالوضع المشوب بالتوقيف . وجعلت علامات استفهام كثيرة تعتور أدلة القائلين بالوحى والإلهام والتوقيف .

وكل ذلك جعل كثيرا من مفكرى المسلمين يترددون بين القول بالتوقيف والاصلاح ، أو يرددون القولين بدون القطع برأى :

فالإمام الرازى يستعرض الآراء كلها حين تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ فى عمق وشمولية ، ثم لا يجزم بالقطع حول رأى واحد ، يقول : (... لما صنفت هذه الدلائل جوزنا أن تكون كل اللغات توقيفية ، وأن تكون كلها اصطلاحية ، وأن يكون بعضها توقيفا ، وبعضها اصطلاحيا)[١٣] .

فمع استعراض الظواهر والقضايا لم يستطع الإمام فخر الدين الرازى البت والقطع برأى ؛ نظراً للتشتت المنهجى ، ومن ثم قال بكل الاحتمالات الممكنة .

● ● ●

ويتضح تلوين الآراء تبعا للمنهج المتبع ، حتى نتتبع الآراء التالية :

يرى الزمخشرى ـ رحمه الله ـ فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ أن الله علم آدم مسميات الأسماء ، وحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء ؛ لأن الاسم لابد له من مسمى .. وكان المحذوف المضاف إليه لا المضاف ؛ لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات ، وقد علق الأنباء بالأسماء فى ﴿ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ ، فوجب تعليق التعليم بها[١٤] .

ولكن صاحب كتاب (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) يرد على الزمخشرى بقوله : (وهو ـ أى الزمخشرى ـ يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ؛ لأن ذلك معتقد أهل السنة ، فيعمل الحيلة فى إبعاده عن مقتضى الآية بقوله : ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ ، ويتغافل عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ ، فإن الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقا ، ولم يجر إلا ذكر الأسماء ؛ فدل على أنها المسميات .

ويعرض أيضاً عن حكمة التعليم وأن تعليقه بنفس الألفاظ لا كبير غرض فيه ، بل الغرض المهم تعليقه لذوات المسميات واطلاعه على حقائقها ، وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار ، وعلى تسميتها أيضاً ...)[١٥] .

فهو يرى : أنه لا نكير فى الإضافة التى فر منها الزمخشرى ؛ لأن الأسماء بمعنى المسميات ، والحقائق أعم من هؤلاء المشار

(١٢) صفوة التفاسير ٤٨/١ .
(١٣) مفاتيح الغيب ، تفسير الرازى ٢٣/١ .
(١٤) الكشاف ٢٧٢/١ .
(١٥) الكشاف ٢٧٢/١ .

إليهم ، والمضاف إليهم ، فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغير . وابن القيم ـ رحمه الله ـ والمضاف إليهم ، فصحت الإضافة لما بين الأعم والأخص من التغاير .

وابن القيم ـ رحمه الله ـ وهو سنى لا معتزلى ، يسير فى فلك الزمخشرى ، حين يقول : (الاسم فى أصل الوضع ليس هو المسمى .. فكذلك الاسم غير المسمى ، وقد صرح بذلك سيبويه ، وأخطأ من نسب إليه غير هذا ، وادعى أن مذهبه اتحادهما)[١٦] .

وإذا كانت المسألة خلافيه ، فلا داعى للإنكار من صاحب (الإنصاف) على صاحب الكشاف .

ومن المفسرين من اعتزل الخلاف فى الإضافة والمحذوف ، واكتفى بقوله فى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ أى أنه سبحانه علمه أسماء المسميات كلها[١٧] .

وسنرى عند العقلانيين أن طريقة طرح المشكل هى جوهر الاستعصاء ، وأن القضية تعود أولا وأخيرا عند فرز الآراء إلى موقع الفاحص لها أكثر مما تعود إلى المضمون الإشكالى لها .

والإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ يعطى المسألة احتمالات مطروحة ، فيمس أبعادا كثيرة ، ويذكر صورا يحملها القول والمنطق ؛ بناء على مذهبه ، يقول حالة كونه موردا كل الفروض الممكنة :

١ ـ أن آدم ـ عليه السلام ـ ربما ألهم الحاجة إلى الوضع ، فوضع اللغة بتدبيره وفكره .

٢ ـ أو أن الأسماء ربما كانت موضوعة باصطلاح بين الملائكة ، سابق لآدم .

٣ ـ أو أن المراد بالأسماء : أسماء السموات والأرض ، وما فى الجنة والنار ، دون الأسامى التى حدثت مسمياتها بعد آدم ، ويقوى هذا الاحتمال عموم صيغة اللفظة فى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ﴾ .

٤ ـ أنه ربما علمه ثم نسيه ، ثم اصطلح بعده أولاده على هذه اللغات المعهودة الآن ، والغالب أن أكثرها حادثة بعده[١٨] .

فالمشكل منحصر فى أصل النشأة ، ولكن الحرج فى تأويل الآية على رأى قاطع فى طريقة البسط المنهجى الواضح ، والمبنى على أسس قويمة وسليمة .. جعل التأويلات محتملة ، والاختلافات قائمة وواردة .

ويرى الإمام الغزالى أيضاً ـ أمارة على اهتدائه إلى الوعى الحقيقى لجوهر المشكل ـ أن البحث الزمانى فى أصل نشأة اللغة ليس إلا مشكلا زائفا ، بسبب :

(أن النظر فى مبدأ اللغات إما أن يقع فى الجواز أو فى الوقوع :

فالجواز العقلى شامل للمذاهب الثلاثة ، والكل فى حيز الإمكان .

والواقع من هذه الأقسام لا مطمع فى معرفته يقينا إلا ببرهان عقلى ، أو بتواتر خبر ، أو سمع قاطع ، ولا مجال لبرهان العقل فى هذا ، ولم ينقل فيه تواتر ولا فيه سمع قاطع ، فلا يبقى إلا رجم بالظن فى أمر لا يرتبط به تعبد عملى ، ولا ترهق إلى اعتقاده حاجة ، فالخوض فيه ـ إذن ـ فضول لا أصل له)[١٩] .

ومن ثم فلا خوف على اعتقاد الإنسان إذا لقى الله تعالى وهو يؤمن بالاصطلاح أو التوقيف ، مادام اليقين متعذرا فى مسألة نعيشها بحلوها ومرها وخطرها ، ولا يضرنا بحث زمان ابتدائها وقديما قال عمر ـ رضى الله عنه ـ ماضر ابن الخطاب ألا يعلم أبًا ، فى قوله تعالى ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٢٠] .

(١٦) بدائع الفوائد ١/١٦ .
(١٧) صفوة التفاسير ١/٤٨ .
(١٨) المستصفى ١/١٤٥ .
(١٩) المستصفى ١/١٤٥ .
(٢٠) عبس ٣١ .

ماوراء النظريات فى البحث عن نشأة اللغة

والإمام الطبرى يذكر الآراء، منقولها ومعقولها، ويحاول ترجيح الصواب، وما قرب من المعقول، دون اغفال المأثور من التأويل.. فيذكر هذا ويرجح ذاك(٢١).

وابن جنى يجوز الأمرين، ويميل إلى المواضعة، يقول:

(فقد تقدم فى أول الكتاب القول على اللغة: تواضع هى أم إلهام، وحكينا وجوزنا الأمرين فيها جميعا)(٢٢).

ويحكى فى موضع آخر ما يرجحه وما يرجحه غيره بقوله:

(أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هى تواضع واصطلاح، لا وحى وتوقيف)(٢٣).

فابن جنى ليس بمعتزلى، وقد جوز الأمرين، ولكنه مال إلى الاصطلاح، ولكن علينا أن نراه فى موقف آخر:

فى هذا الموقف نراه يدفع (معتزليا) إلى مضايق الاحتجاج؛ ليعترف بإمكانية القول بالتوقيف والإلهام.. ويضعهم بحسن الصنعة فى الاحتجاج إلى ما لايستطيعون فيه الهرب، يقول:

(... إلا أننى سألت يوما بعض أهل (الاعتزال)، فقلت:

ما تنكر أن تصح المواضعة من الله تعالى، وإن لم تكن ذا جارحة: بأن يحدث فى جسم من الأجسام: خشبة أو غيرها إقبالا على شخص من الأشخاص، وتحريكها نحوه، ويسمع فى نفس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتا يضعه اسما له، ويعيد حركة تلك الخشبة نحو ذلك الشخص دفعات؟

مع أنه - عز اسمه - قادر على أن يقنع فى تعريفه ذلك بالمرة الواحدة؛ فتقوم الخشبة فى هذا الإيماء وهذه الإشارة مقام جارحة ابن آدم فى الإشارة بها فى المواضعة.

وكما أن الإنسان أيضاً قد يجوز إذا أراد المواضعة أن يشير بخشبة نحو تلك المواد المتواضع عليها، فيقيمها فى ذلك مقام يده لو أراد الإيماء بها نحوه؟

فلم يجب (المعتزلى) عن هذا بأكثر من الاعتراف بوجوبه، ولم يخرج من جهته شىء أصلا فأحكيه عنه، وهو عندى وعلى ما تراه الآن لازم لمن قال بامتناع مواضعة القديم لغة مرتجلة، غير ناقلة لسانا إلى لسان(٢٤).

فابن جنى هنا مضايق لمعتزلى، وسبق أن حكينا أنه يميل إلى أهل النظر فى أن اللغة منشؤها الاصطلاح لا الوحى والإلهام.

فهو متعاطف مع النظرية الأكثر شيوعا وقبولا، وهى المواضعة والاصطلاح. ويرى أن اللغة موجودة قائمة بالذات متكاملة، والحديث عن نفس القضية من حيث العودة فى الزمن إلى منطلق الخلق والوجود، ويفرق بين الأمرين بمصطلحين رشيقين، وهما: مقياس «الاعتقاد» ومقياس «الزمان»، على حد تعبير الدكتور عبد السلام المسدى، فى مقاله القيم(٢٥).

والأمر دائر فى إطار الحذر وإيراد كل الفروض الممكنة حذرا من البت فى أمر متيقن، فدار التكهن بتفسيره عقليا واعتقاديا.

وسيف الدين الآمدى يرى اللغة أمراً غير عقلى، وتنقل أموراً عقلية، يقول:

---

(٢١) جامع البيان ١/٢١٦.
(٢٢) الخصائص ٢/٢٨.
(٢٣) الخصائص ١/٤٠.
(٢٤) الخصائص ١/٤٥.
(٢٥) مجلة آفاق عربية (العراقية) السنة السادسة عدد/٢ ص ٥٧.

(... ثم إن هذه العبارات والتقديرات غير حقيقية ، أى ليست أمورا عقلية (بل اصطلاحية) مختلفة باختلاف الأعصار والأمم .

ولهذا لو وقع التواضع من أهل الاصطلاح على أن يكون التفاهم بنقرات وزمرات .. لقد كان ذلك جائزا ، ومدلول هذه العبارات والتقديرات حقيقى ، لا يختلف باختلاف الأعصار ، ولا باختلاف الاصطلاحات ، بل المدلول واحد وأن تغيرت تلك الدلالات وتلك المدلولات هى التى يعبر عنها بالنطق النفسانى والكلام الحقيقى ، وما سواه فليس بحقيقى) .

فالدلالات عند الآمدى رموزا اصطلاحية ، وتصبح عرفا متى تعورف عليها ، ومن ثم فالتواضع مستمر لتغطية حدث اجتماعى حقيقى بمدلول لغوى غير حقيقى فى ذاته .

والإمام ابن حزم - رضى الله عنه - فى ذكائه ، اهتدى إلى جوهر المشكل المبسوط بربطه جدليا بأصل نشأة الإنسان ذاته - كما يقول الدكتور عبد السلام المسدى عن ابن حزم انطلاقا من تأكيد أن النوع الإنسانى لا يوجد إلا وهو متكلم ويخلص إلى تقرير أن مبتدأ اللسان هو متطابق مع مبتدأ نشأة الوجود البشرى إطلاقا ويزداد تقريره جزما عندما يردف أن القضية تنعكس مثلما هى تطرد :

إذ أنه كما لا سبيل إلى وجود الإنسان بلا كلام ، فكذلك لا سبيل إلى وجود كلام بلا إنسان[٢٦] يقول ابن حزم :

(الكلام حروف مؤلفة ، والتأليف فعل فاعل ضرورة لابد له من ذلك) على أن هذا التحرك الجدلى يقضى هو الآخر إلى تحديد مبدأ النشأة فى الوجود ، لأن (كل فعل له زمان ابتدىء فيه ؛ لأن الفعل حركة تعدها المدد ، فصح أن لهذا التأليف أولا ، والإنسان لا يوجد دونه ، وما لم يوجد قبل ما له أول ، فله أول ضرورة)[٢٧] .

فابن حزم وإن ربط جوهر المشكل جدليا بأصل نشأة الإنسان ذاته ، أو ربط منشأ اللغات بمنشأ فاعل اللغات وهو الإنسان .. إلا أننا نلحظ أنه زاد رأيه تحقيقا وتدقيقا بتمييز الفارق بين مقتضى الطبيعة فى وجودها المتواصل ، ومقتضى الخلق الطارىء عليها (واستخلص جدلا أن الكلام حدوث طارىء على الطبيعة ، مثلما أن الإنسان فى ذاته عارض من أعراض الوجود الكونى)[٢٨] يقول ابن حزم :

(فصح ضرورة - صحة حسنة مشاهدة - أنه لابد فى اللغات من معلم ، ولابد فى الصناعات من معلم ، ليس من المعلمين الذين فى طبعهم تعلم ذلك دون تعليم ، إذ لو كان ابتداء ذلك موجودا فى الطبيعة لوجد ذلك فى كل عصر وفى كل مكان لأن الطبيعة واحدة ، فى جميع النوع وكذلك نجدهم يستوون كلهم فيما توجبه الطبيعة لهم ، إلا أن يعرض عارض حائل فى بعض النوع)[٢٩] .

تلك نظرة سريعة عما وراء النظريات فى القول بنشأة اللغة ، ويتعلق به ما يمكن أن نسميه بالتشريع اللغوى فى نشوئه ونموه وانتشاره ، وسنتناول ذلك فى حديث آت إن شاء الله .

ومن المفيد أن نذكر تعليق الدكتور المسدى على ما سبق من آراء ونظريات ، ففى تعليقه غنية ، يقول :[٣٠]

هكذا نتبين كيف أن قضية ما وراء اللغة إنما تستند إلى اشكال منهجى تأويلى ، دون أن تكشف افتراقا مبدئيا ، أو اضطرابا فكريا : بحيث أنها لو عولجت فى مختلف أطوارها بما يجعل الناظر مطمئنا إلى توحد المحركات النظرية

(٢٦) آفاق عربية ص ٥٥ .
(٢٧) الأحكام ١/٢٩ .
(٢٨) آفاق عربية ص ٥٥ .
(٢٩) الرسائل لابن حزم ١/٥٠ .
(٣٠) آفاق عربية ص ٥٧ .

ماوراء النظريات فى البحث عن نشأة اللغة

(الماقبلية) ، بعيدا عن افتراض كل تمزق فكرى ، أو تقطع أصولى (إبستيمولوجى) .

ولقد كانت كل الآراء المختلفة تصدر عن محرك توليدى ، هو (فكرة المواضعة) فى الحدث اللغوى مطلقا .

وإذا كانت هذه النظرية قد تغلغلت فى مسام التراث العربى ، فقبعت وراء أرضية الموروث اللغوى فيه . ولم تبرز بالفعل إلى سطح الأبنية العلوية فى تاريخ العلم النظرى ، فإنما ذلك يعزى إلى ضغوط خارجية ، هى : اضطرارات التقية والاحتماء فى مفترق انقسامات المذاهب بين ملل ونحل .

ولما كان لأهل الاعتزال نصيب الصدارة فى بلورة هذه النظرية وتأسيسها .. فقد انسحبت الريب الحامة بالمعتزلة على النظرية نفسها : فأصبح القول الصريح بإملاءات النزعة العقلانية من رصيد المحظورات ، يتقيه المتعاطف والمشاكس على حد سواء .

وبقى أن نشير إلى أن ما تحمله ألفاظ اللغة العربية أحياناً من معان تقرب أو تبعد أو تضاد بعضها لها دخل كبير فى اختلاف التفسير والتأويل ، وتلون المعنى المستنبط ، وقد يعزى هذا التلون بعض الملل والنحل بالشد والجذب ، والميل إلى اختيار لون معين يخدم الفكرة وبيان وجهة النظر الخاصة أو العامة .. وهذه النقطة مرجعها إلى اللغويين واستعمال العرب الأقحاح .. وأنى للزمان بعد رحيلهم بتحديد المفاهيم ، والوقوف على اللفظ واستعمالاته كما استعملوه .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

استخبارات النبى ﷺ بقية

فإنه لما أمر أبو سفيان الناس أن ينظر كل منهم من يجلس إلى جواره لكى يتحقق من هويته ، بادر حذيفة فوراً بسؤال جاريه اللذين عن يمينه وعن شماله بالسؤال : من أنت ؟ .. ولو أنه تأخر لحظة واحدة لبادره كل منهما بالسؤال نفسه ، ولتعرض للارتباك الذى قد يكشف أمره ، ولضاع على المسلمين الهدف الذى أرسلوه من أجله ، وهذا ما ذكره حذيفة نفسه فى نهاية قصته حيث قال : « فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فبدرتهم المسألة »(٥) .

تعلم لغة العدو :

● وقد عنى الرسول - ﷺ - بأن يتعلم المسلمون لغة عدوهم ، ومن ذلك أنه أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ، قال زيد : « أمرنى رسول الله - ﷺ - » فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : إنى والله ما آمن يهود على كتابى ، ثم يقول زيد : فوالله ما مرَّ بى نصف شهر حتى تعلمته وجُدْت فيه فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم إليه » « رواه البخارى » .

وصدق من قال : « من عرف لغة قوم أمن شرهم » .

(٥) سبل الهدى والرشاد : المرجع السابق جـ ٤ ٥٤٨ .

السُّنة النبوية

بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

للدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف

عرض أ. د.

محمد شوقى خضر السيد

● لقد حفظ الله تعالى السنة المطهرة على مر الدهور وقيض لها من يتعهدها من جهابذة العلماء بالحفظ والتبليغ والدفاع عنها ضد الذين يحاولون النيل منها والتشكيك فى رواتها وفى مروياتها .

ولقد حظيت السنة المشرفة بالخدمة بصورة لم يحظ بها نص سوى القرآن الكريم .

ومناهج المحدثين وضوابطهم لنقل الحديث وروايته وتمييز صحيحه من سقيمه فريدة لا مثيل لها ، يعرف ذلك من له أدنى معرفة وصلة بالحديث وعلومه المتشعبة شرقاً وغرباً ، مؤمنا وكافراً . يشهد لذلك أيضاً جهد المستشرقين فى الحديث عنها والتاليف فيها .

والدفاع عن السنة والذود عنها من أهم الأعمال التى يتقرب بها العبد إلى مولاه ، لأنه يحفظ للسنة كيانها من عبث العابثين وانحراف المنحرفين كما يحفظ للإسلام جانباً من أهم جوانبه التشريعية ، لأنها المصدر الثانى للتشريع بعد كتاب الله عز وجل .

وقد طالعنا فضيلة الدكتور / عبد الموجود محمد عبد اللطيف الأستاذ بقسم الحديث

---

* المؤلف : أستاذ بقسم الحديث وعلومه - كلية أصول الدين - جامعة الأزهر .

* الأستاذ الدكتور محمد شوقى أستاذ ورئيس قسم الحديث وعلومه - أصول الدين - جامعة الأزهر .

بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

وعلومه بكلية أصول الدين بالقاهرة بكتاب « السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم - طبع الدار المحمدية للطباعة والنشر ..

والدكتور من أصحاب التخصص الدقيق فى الحديث وعلومه لهذا جاء كتابه موفيا بغرضه خادما لموضوعه بل هو كتاب فريد فى هذا المضمار .

دعاة الفتنة

قدم الدكتور كتابه بمقدمة ذكر فيها ما لقيت السنة من الدعوات الهدامة التى تهدف إلى فتنة المسلمين وصدهم عن دينهم وبين أن ذلك قد بدأ بالكذب على رسول الله ﷺ وهو مايزال حيا بين ظهرانى قومه ، قال : « **والمتتبع لمشارب القوم يجد انهما فئتان لكل واحدة منهما اسلوبها ومنهاجها ، وإن كانت تتفق طوعا او كرها - فى الغاية وفى الهدف** » .

أما أولاهما : ففرقة دعاة الفتنة ممن طمس الله على بصائرهم فراحوا يسددون ضرباتهم الآثمة للوحى قرآنا ، كان ذلك أو سنة ، وقد بدأت هذه الفتنة الضالة تنشر سمومها فى فترة مبكرة فاتخذت من الكذب على الرسول ﷺ ميدانا لنشاطها المدمر - والرسول ﷺ مايزال بين ظهرانيهم - ثم أوشكت أن تستشرى ويتفاقم أمرها بعد أن خلت لها الساحة الإسلامية بوفاة الرسول ﷺ لولا أن كبح جماحها الخليفة الأول أبو بكر - رضى الله عنه - ثم اسكنها جحرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلا نه

سرعان مابدت بوادرها فى عهد الخليفة الحيى عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ثم ذر قرنها أيام الفتنة ، ثم بلغت ذروتها بعد وفاته ، وذلك بعد أن احكمت عليها قبضة ائمة الضلالة من المنافقين والزنادقة واليهود وسرت فى جسم الأمة سريان النار فى الهشيم حتى أتت فى أكثر أحيانها على الأموال والأنفس والثمرات وكان نتاجها تلك البلبلة الفكرية الواسعة التى جادت بها قرائحهم والصقوها زورا وبهتانا بالرسول ﷺ .

ادعياء العلم

وأما ثانيتهما فهى أدعياء العلم ، ونقصد بهم ادعياء العلم بالسنة ممن تخصصوا فى غيرها من الفنون ، وإن كان بعضهم برز فى مجاله العلمى ، لكنهم قرأوا فيها قراءات عابرة فعرفوا منها القشر دون اللباب ، وخيل إليهم انهم أعلم الخلق فى هذا الباب مع أن بحر السنة عميق متسع الشطآن لا يسبر غوره إلا من تمرس به ، ولا يخوض لجته إلا من تأهل له وإلا لقى حتفه بمحض إرادته ، وهم الذين لم يبدأوا بفكر جديد

وإنما هو تبع لغيرهم من القدامى أو المعاصرين وهذه الفئة من العلماء اتخذت من العقل فى مواجهة النص الثابت من السنة سيفا مصلتا على تراث النبوة وعلى عدول هذه الأمة من حملته، ضاربة عرض الحائط بموازين الأخبار وقواعد التثبت فيها، وهى أيضاً تغلف رأيها بما ابتدعت له من زخرف القول فحكمته فى السنة ورجالها لتستبعد ماتراه وتجرح أعراض من تراه من المحدثين.

فتارة: تصف آراءها فى توهين الحديث بأنه نتيجة فقه واسع وإحاطة شاملة لمقتضيات الظروف والأحوال وفهم القرآن.

وتارة: توجه طعونها إلى « الإسناد » شرف هذه الأمة.

وتارة: تقف من الرسول ﷺ موقف الند للند وعلى قدم المساواة فأجازت لنفسها أن تخطئه بل تجاوزت ذلك إلى مخالفته - تحت ستار المصلحة العامة - فى قضية حكم فيها ومات ﷺ على ذلك.

وتارة: تبيح لأنفسها إطلاق السباب والشتائم وتجريح المحدثين قديما وحديثا دون وازع مما ينبغى أن يعف عنه لسان الجاهل من عامة المسلمين.

وتارة: تفرض رأيها على القارىء دون مبرر مقبول أو معقول، هكذا دون اعتراض وإلا كان فاسد العقل، أخرق الرأى، وألهبت ظهره بسياط التخلف الفكرى والفقهى؛ بل إن هذه الفئة غالت بالرأى فاتخذته سلاحا للطعن فى مدونات الإسلام الكبرى، بل حكمته فى أصح الكتب بعد كتاب الله - عز وجل - الصحيحين: البخارى ومسلم فحكمت على كثير من أحاديثهما بالاختلاق والوضع، ولو كان لرأى البشر سياج يمنع صاحبه من التردى والخطأ لكان فى ذلك مندوحة عند النقد لكنك ترى المرء يعرض رأيه ويلزمك به ويشدد النكير عليك ثم سرعان ما يخالفك إلى غيره دون اعتذار.

ثم يقول: وسوف يتضح للقارىء أن دعاة الفتنة وأدعياء العلم فى القديم والحديث مدرسة واحدة تآزرت على التشكيك فى السنة فليس هناك من خرج عن دائرتها إلا فى بعض أصولها، ويندر أن تجد واحداً منها قد انفرد برأى لم يشاركه فيه غيره، فهى مدرسة مادتها تكاد تكون واحدة وهدفها يكاد يكون واحدا، والجديد فيها هو عرض الموضوع بأسلوب أحدث يعتمد على الإثارة والسباب دون المنهج العلمى الملتزم.

مباحث الكتاب

ثم عقد الكاتب مباحث عدة لا يمكن الاستغناء عنها للإلمام بموضوع البحث، وبدأها ببيان صفة المحدث مبينا خطأ ما ردده بعض العلماء المعاصرين فى كتبهم المنشورة من إطلاق لقب « المحدث » على من طالع عدة أحاديث أو كتابا يحتوى على بعض الأحاديث النبوية المشرفة، وذلك بغية التهوين من أمر المحدثين بعامة والإقلال من قدرهم العلمى وأملاً فى الانقضاض على مصادر السنة يحكمون فى بعض أحاديثها الرأى.

ثم ينتقل إلى بيان « منزلة المحدثين فى الإسلام » معتمداً على الأحاديث والآثار الواردة فى ذلك فبدأ بمنزلتهم عند رسول الله ﷺ فبين أنهم عدول الأمة، وأنهم الطريق المتعين لحفظ الملة، وأنهم خلفاء النبى ﷺ، وأنهم أولى الناس به، وأنهم المنصورون، وأنهم الفقهاء أولاً.

ثم ذكر منزلتهم عند الصحابة والأئمة، وأنهم أعلم الناس بكتاب الله، وأنهم الذين يدفع الله بهم البلاء، وأنهم فرسان الإسلام وأنهم المقدمون والمرجع للعلماء فى الدين، وأنهم أركان الشريعة.

و« أصحاب الحديث » أصحاب مالك ابن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعى، وأحمد

بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم

ابن حنبل رضوان الله عليهم ويعرفون بأهل الحجاز يقابلهم أصحاب الرأى ويعـرفون بـ « العراقيين » .

ثم ذكر الكاتب أصول أصحاب الحديث وذكر خصومهم وحصرهم فيما يأتى :

١ ـ المتكلمون ٢ ـ المعتزلة « القدرية »
٣ ـ الرافضة ٤ ـ الخوارج « القرانيون »
٥ ـ الجهمية ٦ ـ المرجئة
٧ ـ الزنادقة ٨ ـ المؤرخون وهم غير المحدثين
٩ ـ القصاص والمذكرون « الوعاظ »

١٠ ـ المتصوفة بعضهم أصحاب « شطحات » يذهبون مذهب التجسيم والحلول وغير ذلك مما لا يصح فى شرع الله .

١١ ـ أصحاب الرأى وهم فقهاء العراق .

ثم عقد فضيلته فصلا بين فيه « وضع » السنة بين أصحاب الحديث وبعض خصومهم ممن « أجازوا الوضع فى السنة » وحصرهم فى أصحاب الرأى ، والرافضة ، وأصحاب المذهب العقلى من المتكلمين والمعتزلة والجهمية ، والقصاص والمذكرين « الوعاظ » واعتمد فى هذا على شهادة معاصر من خصوم أهل الحديث ومن دعاة الفتنة .

ولم يفت الكاتب أن يتحدث عن كيفية تكون المذاهب الفقهية وأسباب اختلاف الأئمة ، فتكلم عن المذهب المالكى وخطته التشريعية ثم المذهب الشافعى وخطته التشريعية ، ثم المذهب الحنبلى وخطته التشريعية .

قال : « وهم الذين يعنون بالقرآن الكريم فيتخذون من نصوصه مع السنة قاعدة للأحكام الشرعية ، ضرورة أنهما مشكاة الوحى الإلهى ظاهرة وباطنة » .

وقال : « وسمى أصحاب الحديث بذلك لأن عنايتهم تنحصر فى تحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ، ولا يرجعون إلى القياس الجلى أو الخفى ما وجدوا خبراً أو أثراً درءا لخطر الرأى وخوفا من التزيد فى شرع الله الحكيم » .

أصحاب الرأى :

ثم انتقل فضيلته إلى بيان « أصحاب الرأى وخصومهم » ثم تكلم عن المذهب الحنفى وخطته التشريعية ، قال : وهم الذين يعنون بإعمال الرأى فى مواجهة النص الثابت من السنة وهم أكثر العراقيين ، وقد أكثر هؤلاء من الفروض العقلية حتى سموا بـ « الأرأيتيين » .

ثم ساق الأدلة على ذلك مبينا أن الإمام أبى حنيفة قد رجع عن ذلك .

قال : « ولعل ذلك كان منهج الإمام فى مستهل حياته العلمية كإمام فإنه ثبت أنه خالف ذلك قبيل وفاته كما ذكره الإمام ابن القيم فى كتابه « أعلام الموقعين عن رب العالمين » قال الملا على القارى : إن أبا حنيفة قدم الحديث ولو كان ضعيفاً على القياس وكذا اعتبر الحديث الموقوف وترك الرأى وكذا عمل بالمراسيل » .

دعاة الفتنة :

ثم عقد المؤلف بابا ذكر فيه « دعاة الفتنة » وبين تاريخهم ومنشأ فكرهم وانتهاءه وبين دور اليهود فى إفساد الفكر الإسلامى إذ هم أساس بدعة الاعتداد بالعقل والرأى قال : « ولم يشأ اليهود أن يقفوا بالمسلمين عند إهمال السنة

والأخذ بالقرآن الكريم فحسب ، وإنما أرادوا تدمير القرآن الكريم نفسه عن طريق العقل والرأى ، فابتدعوا نمطا جديداً للوصول إلى هذه الغاية أملا فى القضاء على الوحى بشقيه ... فقد ابتدع يهودى باليمن مذهب الرأى وإعمال العقل فى القرآن ثم أخذه عنه « لبيد بن أعصم » اليهودى ثم لقنه لابن أخته « طالوت » ولقنه طالوت بدوره إلى « بيان بن سمعان » ، ثم لقنه بيان بدوره إلى « الجعد بن درهم » شيخ مروان آخر خلفاء بنى أمية ثم أخذه عنه « الجهم ابن صفوان » ، ثم « بشر المريسى » عن الجهم ثم « أحمد بن أبى داود » عن بشر المريسى ، وكان نتاج هذا الفكر اليهودى الخبيث : تقديس العقل الذى تبنته خاصا بالسنة مدرسة المذهب العقلى من متكلمين ومعتزلة وجهمية ممن اتخذوا من الرأى سلاحا بتارا يقطع شأفة متواتر السنة ويستأصل آحادها .

كما تأثر فقهاء الرأى فى الأخذ به فى مواجهة النص الثابت منها أحيانا مما كان له أسوأ الآثار على استقامة الفكر الإسلامى على منهج الله » .

ثم تلا ذلك دور الاستعمار والاستشراق فى « إحياء فكر دعاة الفتنة » وإذكاء روح الإلحاد فى بعض صوره ، قال : « من أجل ذلك بذل المستشرقون كثيرا من المعاناة لإحياء المدارس القديمة التى بادت واندثرت وبخاصة اليهود منهم ، أمثال : « شاخت » ، و« جولد تسيهر » ودسوا فكرهم الخبيث بين ربوع الأمة فبرزت الفتنة من جديد حتى أطبق الاستعمار بيديه على مقدرات الأمة وأحكم قبضته على خيراتها ، وانبرى لنشر هذا الفكر الخبيث من يرغب فى الشهرة ويسعى إليها أو من سولت له نفسه ـ لجهالته ـ أن اتسامه بثاقب الفكر ونفاذه مرهون بإحياء ما مات من « إعمال الرأى » فى الدين فتمسك به بكل ما أوتى من قوة » ..

ثم استشهد فى ذلك بكتابات الأستاذ محمد طاهر حكيم والأستاذ المودودى والشيخ أبى زهرة .

مذاهب دعاة الفتنة وأصولهم :

وقد حصرهم فى : المتكلمين والمعتزلة ، والرافضة ، والخوارج ، والجهمية ، والمرجئة ، والزنادقة .

وتعقب المؤلف صفات دعاة الفتنة فى القديم والحديث مبينا مبادئهم وأصناف دعاتها قديما وحديثا ، والطعون التى استحدثوها على السنة وتنحصر فى :

١ ـ إنكار حجية السنة اعتمادا على القرآن وحده ، وإلى ذلك ذهب الخوارج والزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة وتابعهم عليها أذيالهم فى الأزمنة المتأخرة فى القارة الهندية أمثال : « محب الحق عظيم الآبادى » الذى صرح فى كتابه الأخير : « بلاغ الحق » بـ« عدم أخذ السنة فى الدين »[1] ، وأمثال : غلام نبى المعروف بـ« عبد الله جكر الوى » ، و« السيد أحمد خان » ، و« مولوى أحمد الدين تسرى » و« الحافظ أسلم جراجيورى » و« مولوى جراغ على » فى كتابه (أعظم الكلام فى ارتقاء الإسلام) حيث قال : « إن الحديث النبوى ليس قطعيا كما يظنه المسلمون بل صحته وحجيته محل نظر وشك وهو لا يصلح لأن نعتمد عليه فى معرفة الأحكام »[2] ، وكذلك أذيالهم فى مصر أمثال : رشاد خليفة فى كتاب : « القرآن والحديث والإسلام » فهو يقول : السنة أمر مهمل ، والتمسك بها خطأ يجب على الأمة أن تقيل نفسها

(١) انظر للشيخ خادم حسين : فرقة أهل القرآن ص ٧٧ .

(٢) انظر للدكتور موسى شاهين : السنة والتشريع ص ٥٣ .

بين دعـاة الفتنـة وأدعياء العلم

منه[3] وأمثال : أحمد صبحى منصور الذى يقول : السنة عمل شيطانى ورواة السنة مجرمون خونة[4] .

٢ ـ **إنكار حجية السنة والقرآن معا** ، وإلى ذلك ذهب طائفة من غلاة الرافضة .

٣ ـ عدم **الاحتجاج بأحاديث الآحاد** ، وإلى ذلك ذهب أهل الأهواء من المعتزلة والرافضة وبعض أهل الظاهر ، ومن المعاصرين أحمد أمين .

٤ ـ **تأويل النصوص بما يتلاءم مع الحياة الأوروبية** ، وإلى ذلك ذهب أهل القرآن فى القارة الهندية أمثال : جراغ على ، وعبد الله جكر الوى ، وأحمد الدين أمرتسرى والمتنبى ومرزا غلام أحمد القاديانى ، وغلام أحمد برويز ، ومنهم السيد احمد خان الذى وضع لقبول الحديث شروطاً تؤدى إلى نبذه .

٥ ـ جـواز تبدل الأحكـام وفق الظـروف والأسباب ، وإلى ذلك ذهب أحمد زكى أبو شادى ، وأحمد أمين ، كما ذهب إلى ذلك محمود محمد طه السودانى الذى أعدمه الرئيس نميرى لزندقته وذلك لإنكاره أحاديث التوحيد كما أجاز إسقاط الصلاة للخواص من اتباعه .

٦ ـ **ازدراء الصحابة ورميهم بالكذب أو الارتداد** ، وإلى ذلك لجأ المعتزلة والرافضة ، ومن المعاصرين أحمد أمين حيث يفهم ذلك من قوله :

« فترى كيف كان النظام جريئا فى تحكيم المنطق فى رواية ابن مسعود » وكان قد سبق أن قال : إن النظام كذب ابن مسعود ، رضى الله عنه ، كذلك نحى هذا المنحى محمود أبو رية فى كتابه « أضواء على السنة المحمدية » .

٧ ـ **التشكيك فى الإسناد** : وإلى ذلك لجأ الرافضة والمعتزلة والزنادقة ، وذهب إلى ذلك فى الأزمنة المتأخرة السيد أحمد خان ، وأبو رية ، ورشاد خليفة ، وأحمد صبحى منصور ، وأحمد أمين . وغيرهم .

٨ ـ **الطعن فى سائر مصادر السنة** ، وإلى ذلك لجأ أحمد زكى أبو شادى .

٩ ـ **الطعن فى البخارى ومسلم** ، وإلى ذلك ذهب أحمد أمين ، والمولوى جراغ الهندى ، وعبد الوارث الكويتى .

١٠ ـ **ادعاء النبوة تشكيكا فى الوحى** ، وإلى ذلك ذهب رشاد خليفة ، ومحمود محمد طه السودانى ، ومرزا غلام أحمد القاديانى .

١١ ـ **الأنبياء يخطئون كعامة الناس** ، وإليه ذهب أحمد صبحى منصور .

١٢ ـ **التملق للمرأة بغير ما شرع الله** ، وإلى ذلك ذهب أبو شادى .

١٣ ـ **التشكيك فى متون الأحاديث** ، وإلى ذلك ذهب غلام أحمد برويز .

١٤ ـ **التنديد بالمحدثين وسبهم وإطلاق الألسنة فيهم** ، وإلى ذلك ذهب المتكلمون والمعتزلة والرافضة والجهمية والمرجئة والزنادقة ، ومن المعاصرين أحمد أمين .

وفى عرض لبقية المبادىء التى حددها دعاة الفتنة فى القديم أخذوا من مذاهبهم ، ذكر شبهات دعاة الفتنة وأنها تنحصر فى شبهتين :

---

(٣) انظر د . طه حبش : مسيلمة فى مسجد توسان ٥٦ ـ ٥٨ ط ١٤٠٩١/١٩٨٩ نشر مكتبة رشوان . (نشر مجلة مركز بحوث السنة والسيرة ـ جامعة قطر ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م) .

(٤) نفس المرجع ص ٦١ .

أولاهما : إنكار حجية السنة والاعتماد على القرآن وحده .

ثانيتهما : عدم الاحتجاج بخبر الآحاد ثم قام بالرد العلمى النقلى والعقلى عليهما وبين أن عدم الاحتجاج بخبر الآحاد هو من « بدع الخوارج والرافضة » وتبعهم عليها المعتزلة ... قال : « الحق أن بدعة عدم الأخذ بأحاديث الآحاد وليدة عقول الخوارج والرافضة وتبعهم عليها المعتزلة ، وقد روج لها أهل الأهواء من هذه المذاهب بما زينوه من قداسة العقل وسمو الرأى ، وهى بدعة ضالة ومنكرة يأباها واقع الصحابة والرسول ﷺ ، ويرفضها العقل والمنطق السليمان والمجردان عن الهوى والزيغ ، فيستحيل فى الواقع أن يسير الرسول ﷺ فى كل أحيانه مع كوكبة من أصحابه تبلغ حد المتواتر لا يتركونه فى حله أو ترحاله ، أو فى يقظته أو فراش نومه مما يصلح أن يكون تشريعا بين المرأة وزوجها حتى يتم التصديق بما جاء عنه من آحاد الصحابة .

ويستحيل فى عرف العقل والمنطق أن يتقاعس المسلمون عن الدعوة وينفضوا أيديهم عن مقومات حياتهم ووجودهم من تجارة وزراعة ونحوها فلا يبرحون المدينة ولا يتجاوزون رسولهم ﷺ إلى غيره ليتفرغوا جميعاً لنقل مايصدر عنه حتى يتم تصديق الأصحاب فيما يبلغونه عنه » .

وفى باب عن المتكلمين فى الحديث بغير تخصص ذكر ستة علماء كنماذج لهذا الفكر :

١ ـ الداعية الشيخ / محمد الغزالى وكتابه : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » .

٢ ـ الأستاذ الدكتور / عبد المنعم النمر ، وكتابه : « الاجتهاد » .

٣ ـ الإمام الشيخ / محمد عبده .

٤ ـ الدكتور / محمد حسين هيكل ، وكتابه « حياة محمد » .

٥ ـ الأستاذ الدكتور / أحمد شلبى ، وكتابه : « موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة العربية » .

٦ ـ الشيخ عبد الجليل عيسى .

وأكد المؤلف على ماسبق أن حدده بشأن المتكلمين فى « الحديث وعلومه » عن غير تخصيص فيهما مكرراً أنه يناقش عملاً علميا دون قصد إلى إساءة شخصية وحتى لا يستخدم دافع « الإساءة الشخصية » المتوهمة سلاحا ضد المتخصص الذى يناقش الهفوات فى ضوء العلم وحسبه فى ذلك قوله : « إننى شخصيا أحسن الظن بهم جميعاً وأدرك عن قناعة أن لهم فضلاً فى إثراء الثقافة على ساحة أمتنا الإسلامية المترامية وإنما هو العمل العلمى المجرد الذى يعتمد على الأدلة العلمية من مصادرها كما يعتمد المنطق الذى يتوافق مع طبائع الأشياء » ..

واستطرد فقال : والمتأمل فى أحوال هؤلاء القوم يجد أن بينهم وبين العلم المتعمق فى السنة وعلومها بونا شاسعا ، وليس بينهم وبينها من صلة إلا بمقدار قراءتهم لها فيما تمس الحاجة إليه منها ثم عرج إلى بيان تخصص بعضهم الذى هم أولى بالحديث فيه وترك السنة لأهلها .

ثم بدأ فضيلته حديثه عن الداعية الشيخ / محمد الغزالى وكتابه : « السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث » ، وقال :

« والمتتبع لكتابه يجد أن فيه كثيراً مما يلفت نظر المسلم الغيور على سنة نبيه ﷺ لخطورة ذلك فى بابه وخروجه عما قرره الكافة من أهل العلم هذا إضافة إلى خلو الكتاب من المنهج العلمى والتزامه الأسلوب الأدبى فلم يحفل بتوثيق الأخبار وعزو القضايا إلى مصادرها باستثناء القرآن الكريم : وقال أيضاً : « وكتابه على صغر حجمه قد أفرغ فيه كل مايحمله صدره من فكر معاد لكثير من السنة ورجالها » كما ذكر فضيلته أيضاً إسراف الداعية الشيخ الغزالى فى الحديث

بين دعـاة الفتنـة وأدعياء العلم

عن نفسه والاعتداد بها وتناقضه مع نفسه واستهانته ببعض الشعائر الدينية الثابتة ومغالطته للقارىء ، وأنه أخطأ فى بعض القواعد العلمية واستخدم الهوى فى قبول بعض الأحاديث أو ردها ، مما لايدع مجالاً للشك فى تعنته نحو السنة ورجالها .

ثم ذكر فضيلته المبادىء التى تتبع فيها الداعية الشيخ الغزالى غيره فكريا من أصحاب دعاة الفتنة ، وحصرها فيمايلى :

١ ـ **أخذه بالرأى أحيانا فى مواجهة النص الثابت من السنة .**

٢ ـ **عدم احتجاجه بأحاديث الآحاد** وأثر ذلك على بعض القضايا وناقشه مناقشة علمية هادفة فى أكثر من عشرين حديثا ، مدللا على فساد هذه الفكرة ، كما ناقشه فى فكرة « نفى القدر » التى تبناها وبين أن صلب هذه الفكرة يرجع إلى أصول المعتزلة والرافضة كما بين أن فكرة « حرية الإرادة » فكرة مستمدة من المدعو « سوس » أخذها عنه « معبد الجهنى » ، ثم أخذها « غيلان القدرى » عن معبد .

كما أخذ عن الحارث الكذاب أيضاً ، ثم بين أن الشيخ قد وقف أخرا أمام بعض النصوص التى تؤيد القدر فلم يستطع تأويلها إلى ما يريد .

٣ ـ **التنديد ببعض الصحابة والتابعين** ، فقد خطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه وندد بخباب ابن الأرت وسلمان الفارسى رضى الله عنهما ، كما عرض بتميم الدارى رضى الله عنه ، وبين الأدلة العلمية أنه غير محق فى ذلك وفى تخطئة نافع رضى الله عنه والتنديد به ، وكان قد سبق للشيخ أن وقف أمام بعض الصحابة كعائشة رضى الله عنها وبعض الأئمة كالإمام أحمد وابن تيمية ورجح رأيه عليهم .

٤ ـ **الحكم على الأحاديث وفق الظروف والملابسات .**

٥ ـ **التشكيك فى الإسناد** ، قال : « إن العنعنات التى تُقْبَلُ بها المرويات ... وكذلك الأحاديث الصحفية إنما يحفها من قرائن النشر والإقرار أو الرد يجعل الثقة بها أقرب[٥] .

٦ ـ **التشكيك فى السنة** : قال : « إن ركاما من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم وركاما مثلـه من الأحاديث التى صحت[٦] ... إلخ » .

٧ ـ **الطعن فى البخارى ومسلم** ، قال : « وعندى أن ذلك المسلك الذى سلكته أم المؤمنين ـ يقصد : احتجاجها بالقرآن ، وهو قوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ على رد حديث « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » ـ والحديث وارد فى الصحيحين[٧] يصلح أساسا لمحاكمة الصحاح إلى نصوص الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٨ ـ **تملق المرأة بغير ما شرع الله** ، من ذلك القوامة ، الخلافة العظمى ، الدية والقصاص ، وبين المؤلف بالأدلة وجه الحق فى ذلك .

٩ ـ **التنديد بالمحدثين وإطلاق الألسنة فيهم** ، وذلك كثير فى كتابه ، ومنه قوله : « وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل وهذه سوءة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء المحققون » وقال فى حق الإمام النووى : « وقد رأيت الجهل بالقرآن الكريم يبلغ حدا منكورا عند شرح حديث مسلم ... الخ »[٨] .

هذا وقد ندد بكثير من أئمة الحديث أيضاً

(٥) الشيخ الغزالى ـ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص(٦٥) ط دار الشروق سنة ١٤٠٩ هـ .

(٦) نفس المرجع ص ١١٩ .

(٧) نفس المرجع ص ١٧ ، ١٨ وانظر الصفحات ٢٢ ، ٢٩ ، ٢٧ ، ١٢٨ .

(٨) نفس المرجع ص ١٩ ، ٣٠ .

كالإمام المازرى والإمام ابن خزيمة والإمام المنذرى والإمام الصنعانى والقاضى وأئمة الكتب الستة وغيرهم إما تلميحاً أو تصريحا ، ثم ذكر المؤلف واقعة علمية تدل على أن علماء السنة ـ لما لديهم من الإحاطة الشاملة بالمرويات ـ أعلم بغيرهم من الأحكام لعلمهم لعلل المرويات وعلوم الحديث وعلم الجرح والتعديل . وغير ذلك من الأمور التى تلزم للمحدث .

١٠ ـ الاعتماد على القرآن وحده فى قبول الحديث : وذلك واضح لمن يقرأ كتابه بدون عناء يذكر ، ملتمساً فى ذلك العذر للشيخ وأنه التأثر السريع بفكرة عابرة قد لا يستطيع المرء دفعها عن نفسه وذلك لا يقلل من قدر الشيخ أو مكانته الأدبية والعلمية منزها ساحته عن اعتقاد هذه الأصول المنحرفة عند أربابها .

ثم انتقل فضيلته إلى مناقشة الدكتور / عبد المنعم النمر فى كتابه « الاجتهاد » الذى نفهم من نصوصه : « إن السنة غير ملزمة بإطلاق ، وأن الرسول ﷺ لم يكن محروسا بالوحى فى كل أحيانه وأن لنا أن نجتهد فى قضية حكم فيها ومات على ذلك ، ونخالفه فى حكمه عملاً بالمصلحة العامة ، ثم بين الدكتور / عبد الموجود أصل هذه الفكرة وأنها لِبَكْر من المتكلمين كما بين بالأدلة أنها فكرة ممسوخة شاذة آثمة ، لأنها تحقق كمال الانفصال بين الأمة وبين الأقتداء بنبيها صلى الله عليه وسلم فى كثير مما يقول ويفعل والله تعالى يقول : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ وأنها فكرة أدخل فى باب الإثم ؛ لأنها تقف صاحبها من الرسول ﷺ موقف الند للند فتخطئه فى أحكامه وتخالفه فى قوله وفعله وقد جاء النهى عن ذلك صريحا فى كثير من آيات الكتاب المبين ، كما ناقشه فى القضايا التى جاء بها استدلالا على صدق دعواه وفكرته وبين وجه الحق فى ذلك .

ثم انتقل فضيلته لمناقشة قضية حديث الآحاد وقضية السحر عند الإمام الشيخ محمد عبده مما جعله يطعن فى صحيح البخارى ، وقد بين بالأدلة أن النبى ﷺ قد سحره لبيد بن الأعصم وأن ذلك لم يؤثر على سير الوحى ، لأن الموحى والضار فى الحقيقة واحد وهو الله سبحانه ويستحيل أن يوحى إليه وهو فى حالة سحره .

كما ناقشه فى الأدلة التى ذكرها مبينا أن هذه الأدلة لا يصلح إيرادها فى هذا المجال لتعلقها بأمور أخرى .

ثم انتقل فضيلته إلى مناقشة الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه : « حياة محمد » وإنكاره شق صدر النبى ﷺ وإنكاره تحقق الإسراء والمعراج بالجسد ، وغيرهما مما كان فى نظر هيكل مخالفا ، كل ذلك بالأدلة العلمية نقلية كانت أم عقلية ، مبينا مشاركة الداعية الشيخ محمد الغزالى له فى نفى الرؤية وشق الصدر .

ثم انتقل إلى مناقشة الدكتور / أحمد شلبى والشيخ / عبد الجليل عيسى فى إنكارهما رؤية الرسول ﷺ ربه عز وجل ثم تبين تناقض الدكتور / أحمد شلبى فيما ذهب إليه ، كما ناقشه فى تأويله للآيات المرئية الثابتة فى الأحاديث وطعنه للبخارى ومسلم . وبخاصة حكمه بالوضع على حديث فرضية الصلاة ليلة المعراج معتمداً على رأيه فى أن ذلك من وضع اليهود ، لأن موسى أوقف محمداً عليهما الصلاة والسلام عدة مرات وبين بالأدلة أن ذلك غير جائز فى حق الأنبياء لأنهم جميعاً كما يقول الرسول ﷺ « إخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد » وكلهم جاء لإقامة الدين الواحد وهو الإسلام وإن كان ذلك قد تم على فترات متباعدة وفق ظروف كل أمة وأحوالها .

كما ناقشه فى تنديده بالمحدثين ، وبين بالأدلة العقلية والنقلية فساد هذه الاتجاهات وأن الأخذ بالأحاديث الصحيحة هو الحق وأنه الذى يوافق العقل والمنطق كما يوافق ما جاء به القرآن الكريم .

قراءة في كتاب

المنهج في كتابات الغربيين عن :

التاريخ الإسلامي

للدكتور
عبد العظيم الديب

عرض وتحليل
أحمد تقي الدين

قدمنا في العدد الماضي عرضا يعطي القارىء فكرة عن أهداف المستشرقين ، وتطور الدراسات الاستشراقية متصلا ذلك اتصالا وثيقا بطائفة من كتابنا وظيفتهم إذاعة ما يقولون والترويج له ، ونعرض اليوم لمنهجهم الذى تحدث عنه الكاتب من جانبين :

(أ) المنهج من حيث الشكل الخارجي .

(ب) المنهج من حيث استكمال شروطه والالتزام بقواعده .

فبالنسبة لجانب المنهج من حيث الشكل نجد الاهتمام بتاريخ الفرق والصراع بينهما وعوامل نشأتها ومحاولة إثارة أخبارها ووضعها في بؤرة الشعور لدى الأمة الإسلامية ؛ والعناية بتاريخ الزندقة والزنادقة وإبرازهم في صورة أصحاب فكر حر وقادة للفكر ، ولهم في هذا الباب دأب عجيب غريب مثل موقف المستشرق هنرى كوربان الذى عكف على دراسة مؤلفات « السهروردى » ذلك الزنديق الذى عاش زمن الحروب الصليبية ولم يتورع عن أضاليله وأباطيله التى كان ينفثها فى المجتمع الصامد المثابر المصابر أمام الهجمة الصليبية الشرسة مما استحق عليه القتل جزاء زندقته .

وقد تلقف كاتب « مسلم » عربى أفكار « كوربان » فطالعنا « بعنوان بارز لإحدى مقالاته : (إعدام حكيم الإشراق كان أبشع ما اقترفته يدا صلاح الدين الأيوبى) .

● **القفز وراء العصر الإسلامي :**

ويتبع المنهج الاستشراقى كذلك القفز وراء العصر الإسلامى والاهتمام بالتاريخ القديم لأقاليم دار الإسلام إحياء للفرعونية والبابلية

والآشورية والفينيقية[1] ونحوها إثارة للنعرات الإقليمية وتمزيقا لجسد الأمة الإسلامية ، ويستدل المؤلف على صحة ما يقول بعرضه لجدول أعمال أحد المؤتمرات الدولية الدورية التى يعقدها المستشرقون وهو المؤتمر الخامس عشر الذى انعقد فى كوبنهاجن سنة ١٩٠٨ حيث كان جدول أعمال هذا المؤتمر على النحو التالى :

١ ـ التاريخ البابلى . ٢ ـ آثار مصر التاريخية . ٣ ـ تاريخ مصر القديم واكتشاف البردى . ٤ ـ المدافن الملكية من السلالة الرابعة عشرة . ٥ ـ المدافن الملكية من السلالة الخامسة . ٦ ـ اكتشاف الكرنك . ٧ ـ أميرات مصر وملكاتها القديمات . ٨ ـ ما بين الكتب المقدسة والآثار المصرية . ٩ ـ مشروعات اليهود الدينية . ١٠ ـ حفريات أريحا والآثار الكنعانية . ١١ ـ النظام الكنائسى فى آسيا فى القرن الرابع عشر . ١٢ ـ رسوم الملك چوستينيان . ١٣ ـ فضل الكنيسة فى إبطال الرق فى القرون الوسطى . ١٤ ـ تاريخ الشرق والإسلام . ١٥ ـ اقتصاد العرب المالى فى يد الفتح المصرى . ١٦ ـ تاريخ بنى إسرائيل . ١٧ ـ هيكل جزيرة أسوان وآثارها المكتشفة .

وقد بذلوا جهودا مضنية فى البحث والتنقيب والدراسة والإشادة بهذه الحضارات البائدة والتنويه بشأنها وإغراء كل إقليم بماضيه القديم .

● تمزيق تاريخ الأمة المسلمة :

ويحذر الباحث بنى قومه والمسلمين من المستشرقين وقد عمدوا كذلك إلى تمزيق تاريخ الأمة الإسلامية طُولاً وعَرْضا بتقسيمه طولا إلى تواريخ أسر : الأموية ، والعباسية ، والمماليك ، والعثمانيين ، إلخ .. وعَرْضا بتقسيمه إلى تواريخ أقاليم ومناطق بمدها فى العمق قبل الإسلام لإثارة عوامل الفرقة ومظاهر الاختلاف .

كذلك عمد المستشرقون إلى اختزال تاريخ الإسلام والمسلمين فقد ألفت كتب كثيرة فى تاريخ العالم أو تاريخ الحضارة الإنسانية وكان مؤلفوها الغربيون يختزلون تاريخ الإسلام والمسلمين اختزالا يوحى بقيمته ومكانته فى نفوسهم ، بل يوحى بانحراف منهجهم وسوء قصدهم ويكفى مثالا على ذلك الكتاب الذى كتبه (هـ . ج . ويلز) باسم (معالم تاريخ الإنسانية) وترجمه إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد وطبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ، ولا نجد فى الكتاب إلا تاريخ الجاهليات والوثنيات ، أمام تاريخ الإسلام وأثره فى معالم تاريخ الإنسانية فلم يذكره إلا بفصل من (٥٣) صفحة ، والسر فى ذلك أنهم دائما يكتبون التاريخ من مركز الدائرة الأوروبية ، أى ينظرون من زاوية أوروبية وبعيون أوروبية فتاريخ العالم هو تاريخ الغرب وأما ما سوى الغرب ، فهو لايذكر إلا بمقدار ما يتصل بالغرب أو يتأثر به أو يأخذ عنه ، فما سوى الغرب نقاط متناثرة حول صلب التاريخ وعموده .

ثم يتناول الكاتب ـ الجانب الثانى ، أعنى : المنهج من حيث استكمال شروطه والالتزام بقواعده فيحصر المآخذ المنهجية فى كتابات المستشرقين فى الجوانب التالية :

١ ـ الخضوع للأهواء وعدم التجرد للبحث .
٢ ـ عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة .
٣ ـ التعسف فى التفسير والاستنتاج .

---

[1] (١) مجلة الأزهر : لا نشك فى نجاح الاستشراق فى هذه المهمة والدليل قيام أحزاب فى بلاد عربية إسلامية لإنعاش هذه النعرات الوثنية .

قراءة فى كتاب

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامى

٤ ـ التفسير بالإسقاط .
٥ ـ منهج العكس .
٦ ـ التشكيك فى الدليل القاطع والتعامى عنه .
٧ ـ التحريف والتزييف والادعاء .
٨ ـ إصدار أحكام قاطعة بغير دليل أصلاً .
٩ ـ الاختلاق والتمويه .

● الخضوع للأهواء ـ وهو يبدو ـ جليا فى تحديدهم الغرض أولا والنتيجة مسبقا . على أن شرط المنهج الأول وأساسه التجرد من الأهواء وعدم الوقوع تحت سلطانها فلا يميل الهوى بالباحث لإثبات ما يوافق هواه ونفى ما عداه .

● عجز المستشرق عن تمثل الثقافة واللغة ، والدليل عليه عدم إدراكهم .

واللغة والإحاطة بأسرارها مع أن شرط البحث ونزاهته تقتضى هذا الإدراك[٢] .

ويعرض الباحث نموذجا لأخطاء المستشرقين الناتجة عن عجزهم عن تمثل الثقافة واللغة العربية منها ما أورده المستشرق الانجليزي (مونتجمرى وات) فى كتابه محمد فى المدينة حيث علق على قول الله تعالى فى سورة النور : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ بأنها تدعو المؤمنات إلى التواضع !! يقول الدكتور عبد العظيم الديب « هكذا يرى أن هذه الآية تدعو إلى التواضع ولسنا نرى من أين جاءه هذا المعنى مع أن السياق يشير إلى أن الأمر بغض النظر هنا هو عدم النظر إلا ما لا يحل نظره من الأجنبى ، ولا علاقة لهذا بالتواضع » .

● التعسف فى التفسير والاستنتاج :

ويعرض المؤلف لونا آخر من ألوان خيانة المستشرقين لمنهج البحث العلمى وهو ما أسماه بـ (التعسف فى التفسير والاستنتاج) فمن الممكن الا يكون اللفظ العربى مستعصيا مستغلقا من المستشرق ولكنه يميل مع هواه فيُنْطِقُ النص بما يتفق وهدفه ويشبع هواه والأمثلة على ذلك كثيرة لا تقع تحت الحصر يذكر منها المؤلف مثالا للمستشرق الذى يصفه البعض بالإنصاف وهو (مونتجمرى وات) وذلك حين يفسر أمر القرآن الكريم للمؤمنين بالاستئذان قبل دخول بيوت غير بيوتهم وأمر المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار ، يفسر ذلك بانحطاط فى مستوى الأخلاق كان النبى ﷺ بحاجة إلى السمو به .

ويتساءل المؤلف (من أين أتى بهذا الاستنتاج ؟ وهل تسمح النصوص القرآنية الكريمة بأن يستنتج منها هذا الاستنتاج العجيب ؟! هل إذا كانت الأخلاق غير منحطة يسمح بدخول بيوت الغير بدون استئذان ؟؟ وهل إذا نصح هذا المستشرق ابنه وهو يؤدبه ويعلمه ألا يدخل بيتا غير بيته إلا بعد أن يستأذن أيدل ذلك على انحطاط مستوى أخلاق ابنه ؟ وعلى انحطاط مستوى أخلاق مجتمعه) .

● التفسير بالإسقاط :

ويعنى به المؤلف (إسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة فى أعماق التاريخ) حيث يقوم المستشرقون بتفسيرها فى ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم فمثلا نجدهم يتناولون بيعة أبى بكر الصديق يوم السقيفة

---

(٢) مصداقا لما يسوقه د / عبد العظيم الديب أسوق ما قاله لى الأستاذ أحمد حسن الزيات الأديب المعروف ، ورئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق ، وصاحب مجلة « الرسالة » قال : « ثقافة المستشرقين قاموسية » .

والعبارة واضحة فى الحكم عليهم من حيث قيمة إدراكهم للغة .. (الخطيب)

وكأنهم يحللون انتخاب الرئاسة فى أمريكا بألاعيبها وفضائحها الحزبية ويفسرون خروج طلحة والزبير على علي رضى الله عنهم جميعا بأنه خوف على ثرواتهما التى جمعاها أثناء الفتوح من غنائم الفرس والروم ، وكأنهم ينظرون إلى الصراع بين شركات الصلب أو شركات السلاح ، ومؤسساتهم الرأسمالية الضخمة التى تصارع للتأثير على السلطة وعلى صناعة القرار ، مع أن أول وأبسط قواعد تفسير النصوص وفهمها هو المعرفة التامة لروح العصر ولما يسمونه (جو النص) ، ثم المعرفة بحياة قائل النص : نشأته ، وثقافته ، وحياته ، وأعماله .. وهذه المبادىء يتعلمها المبتدئون ، وفى الصفوف الأولى من التعليم المتوسط .

لكن هؤلاء المستشرقين يغضون الطرف عن قواعد المنهج ، بل يدوسون قواعد المنهج ويمتهنونها .

● **منهج العكس :**

ونعنى به نظر الباحث فى النصوص والوثائق والروايات ليأخذ منها أدلته وتصوره حسب ما تعطى من مضمون لكن الذى يحدث هو عكس ذلك تماما ، وها هو (ويل ديورانت) فى كتابه (قصة الحضارة) لا يعجبه أن المؤرخين فى كل ما كتبوه صوروا هارون الرشيد وزعا متمسكا أشد التمسك بدينه ، وكان يحج مرة كل عامين ويصلى اليوم مائة ركعة نافلة مع الصلوات المفروضة فيرى - أى ديورانت - أن هذه الصورة غير الصورة المعروفة عن هارون الرشيد حيث صورته قصة ألف ليلة وليلة فى صورة الملك المرح ، ولكن هذا المرح أغضب المؤرخين فصوروه فى صورة الورع المتمسك بالدين ، أى أن كل المؤرخين فى نظر (ديورانت) كاذبون مزيفون ساءهم مرح هارون الرشيد فاخترعوا له صورة معكوسة عكس الواقع !!

فترى ديورانت يترك الدليل التاريخى[٣] إلى « ألف ليلة وليلة » ذات القصص الخيالى .

● **التشكيك فى الدليل القاطع والتعامى عنه :**

يقول المؤلف : (فحينما يكون الدليل قائما على الرأى أو الحكم الذى لا يوافق هوى المستشرق تجده يتعامى عنه ويتجاهله ويشك فيه حتى لو كان صحيحا بين الصحة) .

ويدلل الدكتور الديب على صحة رأيه بعرض نماذج لبعض المستشرقين نكتفى منها بالنموذج الذى ساقه من (ويل ديورانت) مؤلف (قصة الحضارة) ، فهو يقول عن النبى - ﷺ - (وقد أعانه نشاطه على أداء واجبات الحب والحرب ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة) . ويحلل المؤلف هذا النص بقوله : التعبير بـ (ظن) يريد به أن ينفى صحة الخبر ليبرىء اليهود بالتالى من جريمة محاولة قتله - ﷺ - بالسم ومن قتل الصحابى الجليل الذى أكل معه .

وهذا الخبر (خبر دس السم) موجود مشهور فى مصادر السيرة النبوية المختلفة أورده ابن هشام وأورده ابن سعد .. ورواه البخارى ومسلم .. وفيه اعتراف اليهودية بدس السم وعفو الرسول - ﷺ - عن هذا الجرم الفظيع مع موت الصحابى الجليل البراء بن معرور بهذا السم .

ومع ثبوت هذا الخبر ووفرة مصادره تأبى الأمانة العلمية والحيدة الأكاديمية ومنهج البحث

---

(٣) كلمة أخرى للتاريخ . كان الدكتور إبراهيم اللبان عميد دار العلوم الأسبق يعتبر ديورانت هذا (دجالا) لأمر واحد هو أنه كتب فى غير تخصصه ، فكتب قصة ولم يكتب واقعا .(الخطيب)

قراءة فى كتاب

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامى

على هذا المستشرق العتيد إلا أن يزيف ويحرف فينكر الخبر وينسب الحادثة فى إيجاز بارع إلى مجرد ظن ووهم . رسول الله - ﷺ - أرفع منهما ؛ فقد أخبر ، وهو - عليه السلام - لا ينطق عن ظن ولا هوى . عليه الصلاة والسلام .

● التحريف والتزييف والادعاء :

ويبدو هذا فى محاولة إنكارهم عالمية الرسالة ، وأن النبى - ﷺ - كان مبعوثا للناس كافة ، وفى سبيل ذلك يجمعون من الأدلة ما يركبون فى سبيله كل صعب وذلول[٤] ، حيث أنكروا رسائل النبى - ﷺ - إلى ملوك العرب والعجم ، وفى سبيل هذا الإنكار يتصدى (كيتانى) لخبر الرسول والرسائل فى سيرة ابن هشام فيشكك فيه مدعيا أن ابن هشام لم يورد لابن إسحاق مصدره الرئيسى خبرا عن الرسائل ، واعتبر (كيتانى) ذلك سكوتا من ابن إسحاق وبالتالى إضعافا للخبر .

ويقدم المؤلف الدليل الدامغ على زيف ادعاء كيتانى وتحريفه للحقائق فيلفت النظر إلى أن السيرة النبوية لابن هشام مطبوعة وبأيدى الناس وفى وسعهم أن ينظروا إليها ليجدوا أن ابن هشام أورد خبر الرسائل بروايتين إحداهما لابن هشام بسنده عن أبى بن الهذلى ، والثانية لابن إسحاق بسنده عن يزيد بن حبيب المصرى[٥] .

● إصدار احكام قاطعة بغير دليل أصلا :

ويرى الدكتور عبد العظيم أن المستشرقين يظهرون مهارة فائقة فى إصدار الأحكام بصورة قاطعة لا تردد فيها ولا احتمال وفى جملة موجزة بدون حشو يوحون للقارىء أن المسألة مفروغ منها ، وأنها يقين وبدهية من البدهيات .

وفى هذا المصدر يقدم المؤلف نموذجا للمستشرق (مونتجمرى وات) فى كتابه (محمد فى المدينة) حيث تحدث عن مجتمع المدينة ونظام الزواج والصداق فقال (وكان يقال فى الإسلام أن المهر كان ملك المرأة ، ولكن لم يطبق ذلك) هكذا يطلق الحكم فى جملة واحدة (ولكن لم يطبق ذلك) ويمضى مطمئنا وكأنه لم يصنع شيئا ولم يتهم مجتمعا بأكمله بأنه لم يطبق الشريعة التى كان يعيش بها ولها ويقاتل فى سبيلها ويجاهد من أجلها يلحق ذلك بقضية أخرى زيف فيها الأدلة على وجود المهر وتشريعه أصلاً ، وتجاهل آيتين من سورة النساء أمام عينيه وتعسف فى توجيه وتفسير آيات أخر فيقول (ولا يذكر القرآن المهر إلا بصورة عارضة عند ذكر الطلاق) .

● الاختلاق والتمويه :

ونأتى لآخر المآخذ المنهجية التى أخذها المؤلف على المستشرقين وهى (الاختلاق والتمويه) حيث يؤكد أنها آفة الآفات وذلك حيث يشير المستشرق إلى مصادر استقى منها ومراجع رجع إليها ويعينها بالجزء والصفحة وهو مختلق ذلك اختلاقا ومن أبرز الأمثلة التى يسوقها

---

(٤) وتبعهم فى ذلك د / خلف الله فأذاع نفس الفكرة ، وتطوعت صحيفة الأهرام راضية بنشر ثبيات أفكاره نقول : ثبيات لأنها ليست من بنات أفكاره ، والدليل بين يدى القارىء ، وامتنعت الأهرام عن نشر رد الأزهر بنفس المكان الذى نشرت فيه هذا الغثاء .. (الخطيب) .

(٥) نلاحظ بالنسبة لسيرة ابن إسحاق انه قد عثر على اجزاء كثيرة منها بالمغرب ، قامت حكومة المغرب مشكورة بطبعها . واصبح يسيرا جداً البحث لمن اراد .

الدكتور الديب فى هذا الصدد ما أورده مونتجمرى وات فى كتابه (محمد فى المدينة) حينما يتحدث عن نظام الزواج فى الإسلام ، فيقول (ونعلم من الأخبار أن محمداً دافع عن (الشغار) وهو أن يتبادل رجلان أو جماعتان من الرجال بدون مهر بناتهم وأخواتهم من أجل الزواج ثم يشير فى الهامش مسنداً ذلك إلى البخارى .. كتاب النكاح ـ مما يوحى بأنه اعتمد فى تقرير هذا الحكم على ما رواه البخارى موهما القارىء أنه رجع إلى البخارى واستند فى ذلك إليه . والطالب الشادى والمسلم العادى سيدرك لأول وهلة كذب (مونتجمرى وات) فى هذا الكلام ، فالجميع يعرفون تحريم نكاح الشغار شرعا ويقدم المؤلف الدليل العلمى على كذب إدعاء (مونتجمرى وات) مؤكدا على أن البخارى لم يورد فى كتاب النكاح باب ٦٧ الذى حدده (وات) شيئا عن (الشغار) وإنما هذا الباب من أبواب كتاب النكاح بعنوان (باب الوليمة حق) وفيه حديث واحد عن وليمة عرس النبى ـ ﷺ ـ بزينب بنت جحش رضى الله عنها .

أما الشغار فهو الباب رقم (٢٨) من أبواب كتاب النكاح فى البخارى وليس (٦٧) كما زعم (وات) ؛ يقول د . الديب : (وإذا تجاوزنا هذا التضليل وأحسنا الظن واعتبرناه خطأ مطبعيا أو سبق قلم ، فكيف نتصرف فى الموضوع ؟ أعنى كيف نفسر استدلاله بالبخارى على ما ادعاه من أن محمداً ـ ﷺ ـ (دافع عن الشغار) مع أن الذى فى باب الشغار بالبخارى حديث واحد عن ابن عمر رضى الله عنهما ، ونصه : (نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن الشغار . والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق » انتهى بنصه) .

ويندهش الدكتور الديب من مسلك (وات) عندما رجع إلى معجم (لين) لتفسير (شغار) مع أن تفسيره وارد فى البخارى وهذه أيضا من عجائب المنهج ، أن يرجع فى تفسير اللفظ العربى إلى معجم (لين) المستشرق الأعجمى مع أن أمامه تفسير ابن عمر ، وأوليات المنهج وأبجدياته تفرض عليه أن يعتمد تفسير (ابن عمر) لا تفسير (لين) ، ولكن المنهجية المدعاة دفعته إلى أن يدعمها برجوعه إلى معجم لغوى بجانب البخارى ولله فى خلقه شئون .

● **خاتمة المطاف :**

وفى الخاتمة يطرح المؤلف عدة تساؤلات وهى :

ـ هل هناك مستشرقون منصفون غير من هداهم الله إلى الإسلام ؟

ـ هل يلام المستشرقون على ما قاموا به من أعمال ، وما بذلوه من جهود فى سبيل هذه الدراسات والأبحاث التى قدرت عدداً بستين ألفا ؟

ثم هل للمستشرقين فضل على تراثنا بما قاموا به من حفظ وصيانة ما استولوا عليه من مخطوطات ثم ما بذلوه من جهد فى فهرسته وتحقيقه ونشره ؟

يجيب المؤلف عن السؤال الأول مؤكدا أنه ليس فى هؤلاء المستشرقين من يستحق أن يسمى عالما أو باحثا .

وعن التساؤل الثانى يؤكد المؤلف أن الاستشراق لا يذم على ما فعله لأنه بلا شك يرى أنه أدى ما عليه لبنى جلدته أحسن أداء وأتمه ونصر أهل دينه وأخلص لهم كل الإخلاص فى صدهم عن الإسلام وكافح فى سبيل هدفه بكل سلاح أما الذى هو حقيق بالذم والمعابة فهو العربى أو المسلم العاقل الذى ظن نفسه عاقلا ، والبصير منا الذى يظن نفسه بصيرا ثم لا يكاد عقله يدرك شيئا هو أبين بيانا من البدائه المسلمة ولا يكاد بصره يرى ما هو أظهر ظهورا من الشمس الساطعة .

قراءة فى كتاب

المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الاسلامى

أما السؤال الأخير فيجيب عنه الدكتور، عبد العظيم بقوله : (لا ننكر أننا استفدنا من أعمال المستشرقين فى مجال التراث (التحقيق والنشر والفهرسة) فذلك أمر واضح للعيان لا ينكره إلا مكابر . ولكن هذه الاستفادة عرضية تبعية ، تشبه تماما استفادة أهل الهند وأهل مصر الآن ، من المنشـآت التى أقـامهـا المستعمرون ، فقد شقوا فى الهند الطرق وأنشأوا السكك الحديدية لنهب خامات الهند وثرواتها ، وأقاموا فى مصر القناطر والسدود وأصلحوا الترع ، والقنوات من أجل أن تزود مصانعهم .. بالقطن المصرى ، فهل يقتضى ذلك أن الهندى إذا ركب قطار السكة الحديد ، ذكر الاستعمار وشكره وأن المصرى إذا استقى من الترع والقنوات سبح بحمد (كرومر) ومجد عمله ، والاستعمار الذى كان يمثله ؟ إن هذا لعمرى غريب عجيب ! ولكنه الإفساد الثقافى ، والتدمير الفكرى الذى تعرضت له أمتنا ، أعانها الله على أمرها) .

● تعقيب :

فى نهاية الرحلة مع هذا الكتاب القيم لا يسعنى إلا القول بأن هذا المؤلف يمثل ولاشك إضافة علمية بالغة الأهمية ابتعد فيها المؤلف عن استخدام الصيغ الإنشائية التى اعتاد الكثير من كتابنا ـ مع الأسف ـ الإغراق فيها مستعيضا عنها بعرض موضوعى ذى عبارات سهلة بسيطة .

وامتازت الدراسة بوضوح عناصرها ودقتها بشكل عام وكم كنا نود أن يكثر من ذكر المستشرقين والنماذج التى عرضها من مؤلفاتهم وألا ينحصر عمله فى سبعة مستشرقين فقط هم (فان فلوتن) (مونتجمرى وات) ، (ول ديورانت) ، (باول شيمتز) (جاك بيرك) (دونالد مالكولم) و(هنرى لا مانس) .

كذلك نود ـ والمؤلف ثقافته الإسلامية عميقة الجذور ـ ألا ينتهى من هذا الموضوع بما أثاره فى كتابه ، فليس من شك فى أن تحت يده ذخيرة مما جمعه لبحثه هذا . وكم هو جميل ـ فى خدمة الإسلام ـ أن يمضى إلى مُؤَلَّف آخر يكشف فيه ـ على ضوء ما قدم من مناهج القوم ـ أعمالهم فيحيط القارىء المسلم بحاجتين :

الأولى : أنه يسلط الضوء قويا علـى (الأتباع) من العرب وغيرهم الذين يعيشون على موائد هؤلاء المستشرقين ، ويرددون دعاواهم مغتبطين بالتخمة التى تنالهم ، ويكتسبون صفة (المفكر الإسلامى) حين يعرضون بضاعتهم المزجاة فيعلم القارىء المسلم ـ بمجرد ـ قراءته أن هذه الكلمة (لفلان) هى كلمة المستشرق (علان) .

الثانية : أن يكون لدى المسلم ثبت بهؤلاء المستشرقين وآرائهم ، وفقنا الله وإياه .

العلوم الكونية (٤)

في التراث الإسلامي

أ.د. أحمد فؤاد باشا

علم المناظر (البصريات) :

علم المناظر أو البصريات Optics هو أحد العلوم الفيزيائية الذى يعنى بدراسة طبيعة الضوء وخواصه «وتقنياته» .

وقد عرفه حاجي خليفة بأنه «علم يتعرف منه على أحوال المبصرات فى كميتها وكيفيتها ، وما يتوسط بين الناظر والمبصرات وغلظته ورقته ، وعلل تلك الأمور . ومنفعته : معرفة أحوال الإبصار ، وتفاوت المبصرات والوقوف على سبب الأغاليط الحسية الواقعة فيها ويستعان بهذا العلم على مساحة الأجرام البعيدة والمرايا المحرقة أيضاً »[١] .

ويكتسب علم المناظر أهمية خاصة لأن أى تقدم يحرزه المتخصصون فيه يؤثر تأثيرا مباشرا على باقى فروع العلوم الطبيعية والتطبيقية ، فما تقدمت علوم الفلك والفضاء والكيمياء والطب والصيدلة والچيولوچيا والنبات والحيوان وغيرها إلا نتيجة لتقدم أبحاث الضوء وتقنية الأجهزة البصرية .

وتقتضى أمانة السرد التاريخى لعلم المناظر أن نبدأ من مرحلة العلم القديم ، حيث كانت آراء فلاسفة الإغريق أول ما وصلنا فى تعريف طبيعة الضوء وتفسير عملية الإبصار .

فقد قال «أفلاطون» بنظرية الشعاع القائمة على أساس أن إبصار الموجودات يتم بخروج النور من عين الإنسان ، فيحيط بالأشياء ويتم إدراكها بالرؤية المباشرة .

لكن «أرسطو» خالف أستاذه فى هذه النظرية

(١) حاجي خليفة ، «كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون» ، اسطنبول ١٣١٠ هـ .

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

وقال : إن الإبصار يتم بانطباع صور الأشياء فى البصر ، فترى العين تلك الأشياء دون أن يرد منها شىء للعين ، إذ ليس للضوء - بحسب زعمه - وجود فى ذاته .

أما «ابيقور» فقد تخيل أن المرئيات ليست سوى أشباح أو صور تنخلع عنها وتنبعث منها بصورة مستمرة ومتصلة ، ويتم الإبصار بورود هذه الصور إلى العين .

وهناك أيضاً «الرواقيون» الذين ذهبوا فى تأملاتهم إلى القول بأن الإبصار لا يكون إلا بالاتصال المادى بين العين وبين الجسم المرئى ، وذلك بأن يخرج من العين شعاع على شكل مخروط رأسه عند العين وقاعدته عند الجسم المرئى ، فإذا لمس هذا الشعاع جسما ما حدثت الرؤية ، وقد شاع هذا الرأى حتى سمى أنصاره «بأصحاب الشعاع» .

وهكذا نرى تعدد نظريات الإغريق فى طبيعة الضوء وتفسير الإبصار ، وهذا شىء طبيعى إذا ما فهمناه فى إطار علاقة التوازى بين مراحل تطور العلم ومراحل تطور التفكير ونمو القدرات العقلية(٢) . فعندما يكون منهج التفكير السائد عقليا تأمليا فقط ، أو قياسا صوريا بحتا ، فإن كل فريق من الفلاسفة يعتقد أن ما يهديه إليه عقله ويتصوره ذهنه هو الرأى الذى لا صواب غيره ، حتى وإن بدا التفكير فى بعض الأحيان ذا صلة منطقية بالتصور السليم عن غير قصد ، مثلما جاء فى فكرة «الورود» التى قال بها الأبيقوريون وصاغوها فى صورة خيالية جعلتها تفقد قيمتها فى البناء المعرفى لنظرية الضوء .

وإذا كانت الشخصية النمطية المميزة لطفل مرحلة ما قبل العمليات Pre-operational period - وهى مرحلة التفكير التصورى حتى سن السابعة كما يراها بياجيه - تجعل منه طفل التناقضات والعجائب ، وتظهر لنا التراكيب الخاصة به على درجة كبيرة من البساطة والافتقار إلى التنظيم ، فإن تفكير علماء الإغريق فى المرحلة الصورية للعلم يكون أشبه بتفكير ذلك الطفل ، متمركزا حول الذات ، ومرتبطا إلى أبعد حد بالانطباعات الخاصة ، ومن ثم يصعب عليهم تصور الأشياء تصورا تاما مستقلا عن المحسوسات .

وكان يمكن أن تظل آراء فلاسفة الإغريق سائدة حتى عصرنا هذا ، فالقياس الصورى الذى اصطنعوه منهجا للنظر لا يسمح بتقدم العلم خطوة واحدة مهما تراكمت المعارف المستنتجة على أساسه . لكن علماء الحضارة الإسلامية استطاعوا أن يعثروا على منهج علمى جديد ، استمدوا أصوله من تعاليم الإسلام الحنيف واجتهادات علماء الأصول وطبقوه حسب ما تسمح به حالة العلم فى عصرهم ، فقفزوا بالمعرفة العلمية إلى مرحلة «ابستمولوجية» ومنهجية أرقى ، تعتمد على الملاحظة والتجربة

---

(٢) قدم «جان بياجيه» فكرة «الإبستمولوجيا الارتقائية» Genetic epistemology لنظرية المعرفة والنمو المعرفى من خلال دراساته لجوانب النمو العقلى والمعرفى عند الطفل بشكل عام .

فقد رأى أن تاريخ العلم يعمل بنفس الطريقة التى يعمل بها علم النفس الارتقائى فى دراسته لمراحل التطور العقلى عند الطفل ، ومن ثم فإنه يبنى نظريته على أساس أن الهيكل التفسيرى الذى ينظم نشوء العمليات العقلية وتطورها عند الإنسان ينطبق على تاريخ العلم نفسه. راجع فى ذلك تحليلا علميا مفصلاً قمنا به فى دراسة بعنوان : « ابستمولوجيا العلم ومنهجيته فى التراث الإسلامى ، مجلة «منبر الحوار» ، العدد ١٦ (١٩٩٠) ، ص ٦ - ١٨ » .

وتستخدم الفروض وصولاً إلى نتائج أعم . إنه المنهج الاستقرائى الإسلامى الذى عملوا فى حدود ثوابته الإيمانية ومتغيراته الفكرية والعملية[٣] ، فأدى بهم إلى كشوف علمية ثورية جديدة غيرت من النموذج القديم واستبدلته بنموذج أحدث يقوم على تصور واضح لنظرة الإنسان إلى ظواهر الكون[٤] .

وكان طبيعيا أن ينتقل العلم إلى مرحلة أرقى معرفيا ومنهجيا ، مثلما يتطور تفكير الطفل من مرحلة التفكير التصورى أو ما قبل العمليات إلى مرحلة العمليات العيانية أو المحسوسة Con-crete operations التى يبدو فيها الطفل وكأنه يمتلك نظاما أو نسقا معرفيا محددا ، ينظم بواسطته العالم من حوله وهذا يعنى أن العقل الإنسانى فى عصر الحضارة الإسلامية قد بلغ رشده بارتقائه من مرحلة إدراك العلاقات بين الأمور المتشابهة إلى مرحلة إدراك العلاقات بين الأمور المختلفة عن طريق «الاستقراء» وهو ما يتفق مع حالة العلم فى مرحلة اعتماد المنهج العلمى على الملاحظة والتجربة جنبا إلى جنب مع إعمال العقل وغيره من ملكات الإدراك والتفكير .

وكان الحسن بن الهيثم أحد نماذج هذه المرحلة الجديدة ، فقد استطاع بحاسته النقدية وعقليته التجريبية أن يضع حدا للخلافات القديمة التى لم تتوصل إلى اتفاق حول تعريف الضوء وتفسير عملية الإبصار ، وانطلق من مبدأ عام هو القول بوجود العالم الخارجى وجوداً مستقلا فى ذاته خارج الذهن وخارج النفس ، وأن العقل والحواس أدوات إدراكه ، ومن ثم أعزى إحساس البصر إلى عامل أو مؤثر خارجى له فى ذاته وجود عينى ، وأسماه «الضوء» ، وقال عن طبيعته : إنه جسم مادى لطيف يتألف من أشعة لها أطوال وعروض ، وما هذه الأشعة إلا حبال النور المنبعثة من الأجسام ذوات الأضواء الذاتية فحسب ، وإذا أشرقت هذه الأشعة على جسم كثيف أسخنته ، وإذا انعكست من مرآة مقعرة واجتمعت عند نقطة واحدة وكان عندها جسم يقبل الاحتراق أحرقته . وهذا التعريف لطبيعة الضوء يتفق مع ما نعرفه الآن عن الطاقة الضوئية .

واستطاع الحسن بن الهيثم أن يحيط بكل ما تفرق من آراء السابقين ويصوغها بعد تصحيحها وتطويرها فى مؤلفات عديدة اشتهر من بينها كتابه «المناظر» الذى نهل منه كل من جاء بعده ، ودعا الاهتمام العالمى به إلى وضع ترجمة لاتينية كاملة له عام ١٥٧٢ م أخذ عنها الكثير من علماء الغرب واعتمدوها مرجعا أساسيا لهم يشيرون إليها كلما تحدثوا عن علم البصريات أو صنفوا فيه الكتب والمراجع .

ومن أهم ما جاء به الحسن بن الهيثم فى هذا المجال ، وما نعتبره ثورة علمية بكل المقاييس التى وضعها فلاسفة العلم ومؤرخوه ، هو أنه اتبع منهجا استقرائيا دقيقا لتحقيق نظريته الجديدة فى الإبصار على أساس الشروط أو «المعانى» التى لا يتم الإبصار إلا بها ، وهى أن يكون الجسم المرئى مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء عليه .

وأن يكون بين الجسم المرئى والعين بعد ما .

(٣) د . أحمد فؤاد باشا «نسق إسلامى لمناهج البحث العلمى . تحديد الثوابت والمتغيرات» ، دراسة مقدمة إلى ندوة «قضايا المنهجية فى الفكر الإسلامى» ، قسنطينة الجزائر ٩ ـ ١٢ سبتمبر ١٩٨٩ ـ المعهد العالمى للفكر الإسلامى وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، والدراسة منشورة كاملة بمجلة «منبر الحوار» العدد ١٧ (١٩٩٠) .

(٤) يرى فيلسوف العلم المعاصر «توماس كون» T.Kuhn فى كتابه «بنية الثورات العلمية» أن تاريخ العلم الحقيقى تحكمه طائفة من الكشوف الثورية التى تقدم ما أسماه «بالنموذج القياسى» Paradign راجع فى ذلك :

T.S.Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, University of Chicago, 1970 .

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفا .

وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها .

وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار .

ويناقش ابن الهيثم عملية الإبصار بأسلوب المنطق والتجربة العملية ، بعيداً عن الشطحات والأوهام القديمة ، فيقول : « إن البصَر إذا أحس بالمبصَر بعد أن كان لا يحس به ، فقد حدث فيه شىء ما بعد أن لم يكن ، وليس يحدث شىء بعد أن لم يكن إلا لعلة ، ونجد المبصَر إذا قابل البصَر أحس به البصَر ، وإذا زال عن مقابلة البصَر لم يحس به البصَر ، وإذا عاد المبصَر لمقابلة البصَر عاد الإحساس ، وكذلك نجد البصَر إذا أحس بالمبصَر ثم أطبق أجفانه بطل ذلك الإحساس ، وإذا فتح أجفانه والمبصر فى مقابلته عاد ذلك الإحساس والعلة هى التى إذا بطلت بطل المعلول وإذا عادت عاد المعلول ، فالعلة إذن التى تحدث ذلك الشىء فى البصر هو المبصَر»(٥) .

ويتضح من هذا النص أن الحسن بن الهيثم استخدم منهج الاستقراء التجريبى فى فحص اقتران ظاهرة الإبصار لجسم بوجود ذلك الجسم . وهذا هو مضمون مبدأ الربط بين الأسباب والنتائج التى تخضع لها عملية إطراد حدوث الظواهر الطبيعية ، بمعنى أن يكون بإمكان المجرب كشف القوانين التى تخضع لها تلك الظواهر .

ومن الموضوعات الهامة التى تطرق إليها ابن الهيثم فى كتابه «المناظر» إثبات خاصية انتشار الضوء فى خطوط مستقيمة بتجربة الغرفة المظلمة ، أو الخزانة ذات الثقب التى يدرسها طلاب هذا العصر ، فيقول : « إذا كان فى موضع واحد عدة سرج فى أمكنة متفرقة وكانت جميعها مقابلة لثقب واحد وكان ذلك الثقب ينفذ إلى مكان مظلم ، وكان مقابل ذلك الثقب فى المكان المظلم جدار .. فإن أضواء تلك السرج تظهر على ذلك الجدار متفرقة وبعد تلك السرج .. وكل واحد منها مقابل الواحد من السرج على السمت (أى الخط) المستقيم الذى يمر بالثقب وإذا ستر واحد من السرج بطل من الأضواء التى فى الموضع المظلم الضوء الذى كان يقابل ذلك السراج فقط ، وإن رفع الساتر عن السراج عاد ذلك الضوء إلى مكانه» .

ويحرص ابن الهيثم على التمييز بين فعل الوسط الشفيف وفعل الوسط الكثيف ، فالضوء الذاتى كضوء الشمس ينطلق على استقامة واحدة فى وسط الجسم المشف ، كالهواء مثلا ، فإذا صادف جسما كثيفا استحال الأمر وتبدل وأصبح الجسم الكثيف مصدراً جديداً للضوء يشرق من كل نقطة على سطحه من جديد . وبهذا المعنى يظهر السبب فى أن البصر لا يدرك المرئيات إلا إذا كانت كثيفة أو بها بعض الكثافة ، فالهواء لا يرى لأنه شفيف مطلق أما الماء فيمكن رؤيته لأن فيه بعض الكثافة(٦) .

وعندما تعرض ابن الهيثم لشرح ظواهر انعكاس الضوء وانعطافه(٧) وانتشاره لجأ إلى استخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة والكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة ، وابتكر الكثير من المفاهيم العلمية

---

(٥) د . مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه فى البصريات ، القاهرة ١٩٤٢ .

(٦) راجع : د . مصطفى نظيف ، مرجع سابق .

(٧) نشير هنا إلى مدى الدقة العلمية عند ابن الهيثم فى ترجمة وانتقاء المصطلحات العلمية المناسبة ، فكلمة «انعطاف» الضوء تعنى تحوله عن مساره الأصلى ، وهى أدق من كلمة «انكسار» التى أخذناها من التعبير الأجنبى Refraction .

المطابقة للواقع والخبرة وكان التمثيل الذى استخدمه هو النموذج الميكانيكى لحركة كرة صغيرة من الحديد أو الصلب تسقط على سطح مستو أملس فترتد عنه .

وأدخل ابن الهيثم لأول مرة طريقة تحليل «المتجه» Vector إلى قسطين متعامدين ، ووصل بخياله التجريبى إلى استنتاج أن القسط الموازى لسطح المصادمة من سرعة الكرة يبقى على حاله ، بينما يتغير القسط العمودى بحسب ممانعة سطح المصادمة . وذكر أن الضوء يختلف عن الكرة فى «أنه ليس فيه قوة تحركه إلى جهة مخصوصة ، بل إن خاصته أن يتحرك على الاستقامة فى جميع الجهات التى يجد السبيل إليها إذا كانت ممتدة فى جسم مشف . فإذا انعكس وصار على سمت الاستقامة التى أوجبها الانعكاس امتد على ذلك السمت .. واستمر حتى يعترضه مانع . ويثبت ابن الهيثم أن سرعة الضوء فى الوسط المشف الألطف أعظم من سرعته فى الوسط المشف الأغلظ ، ويبين كيف يترتب على ذلك أن ينعطف الضوء عند نفوذه من الألطف إلى الأغلظ مقتربا جهة العمود على سطح الانفصال ، إلى الألطف مقتربا من العمود . وهو بهذا يسبق كلا من «ديكارت» و«سنيل» و«نيوتن» فى تقديم وصف دقيق للرسم المعروف لدى طلاب هذا العصر فيما يتعلق بقانونى انعطاف الضوء وقابليته لعكس مساره ، ولم يزد العلم الحديث عليه إلا حساب معامل الانكسار النسبى بين الوسطية(٨) .

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى دور المنهج الرياضى إلى جانب المنهج التجريبى فى فكر الحسن بن الهيثم ، وأثر ذلك فى إنشاء علم «المناظر» أو «البصريات الهندسية» على يديه ، محققا بذلك نجاحاً غير مسبوق فى اعتبار المنهج العلمى غير محدد بمجموعة من الخطوات التى حسبها المحدثون ملزمة وفق ترتيب معين ليس للباحث أن يتجاوزه ، ومن ثم فإن منهج البحث الإسلامى يحقق للباحث قدرا كافيا من المرونة وحرية التفكير ويحول دون جموده أمام حركة العلم وتطوره(٩) .

ولم يغفل ابن الهيثم الجانب التقنى فى بحوثه العلمية فقد استخدم الآلات الدقيقة فى تجاربه ، ولم يكتف بمجرد وصف كيفية استعمالها ، وإنما أسهب فى شرح التفاصيل المتعلقة بصنع الأجزاء المختلفة للجهاز ، فيقول مثلاً فى استخدام أنواع المرايا : « رأينا أن نشرح ذلك ونوضحه ليحيط بعلمه من كانت له رغبة فى معرفة الحقائق ، فبيناه فى هذه المقالة ولخصنا البرهان على علم حقيقته ، وذكرنا طريق العمل فى اتخاذه وترتيب آلته ، وقدمنا الأصول التى يستعملها المهندسون فى جميع أنواع المرايا ، ليهتدى إليه من التمسه»(١٠) .

على أننا يجب ألا ننسى أن هناك علماء آخرين ، مثل «الكندى» و «الرازى» و«ابن سينا» وغيرهم ، قد كتبوا فى علم المناظر وتعرضوا لبعض نظرياته ، لكن ابن الهيثم يظل له القدح المعلى فى هذا المجال الهام من مجالات العلوم الفيزيائية على مر العصور ، بعد أن وضع أصوله السليمة التى أدت إلى الحصول على واحد من أهم الإنجازات العلمية المعاصرة ، وهو ما يعرف باسم «الليزر» الذى أدى بدوره إلى الحصول على أشعة أقوى منه باستخدام الأشعة السينية ، ويؤمل أن يمتد التطور لتطويع أشعة جاما أيضاً فى المستقبل القريب(١١) .

(٨) راجع توصيل ذلك فى مؤلفنا : «التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة» ، القاهرة ١٩٨٤ .

(٩) د . أحمد فؤاد باشا «العلوم الفيزيائية فى التراث الإسلامى» ، ندوة «التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية» ، طرابلس ليبيا ، ١٧ ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠ م .

(١٠) الحسن بن الهيثم ، مجموعة الرسائل (رسالة فى المرايا المحرقة بالقطوع) .

(١١) راجع مقالنا : «أشعة الليزر ومجالات استخدامها» مجلة الأزهر ، عدد ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٤٠٩ هـ/ نوفمبر/ ديسمبر ١٩٨٨ م .

الجديد في العلم والتقنية

مؤتمر القاهرة الدولي للطاقة المتجددة

شارك حوالى ١٥٠ باحثا يمثلون ٢٠ دولة عربية وأجنبية فى مؤتمر القاهرة الدولى الثانى للطاقة المتجددة الذى نظمه المركز القومى للبحوث تحت إشراف أكاديمية البحث العلمى بالاشتراك مع جامعة « وين ستيت » الأمريكية .

حذر المؤتمر فى توصياته من المغالاة فى استخدام الوقود التقليدى لما له من آثار سلبية على البيئة . وطالب المشاركون بضرورة وضع برامج إرشادية للتعريف بتقنية الطاقة المتجددة ومشكلاتها ، كما أوصوا بضرورة التصنيع المحلى لوحدات الطاقة المتجددة ، ودعوا إلى الاهتمام بمتابعة التطور السريع فى علوم المواد باعتبارها أساس التقدم فى كافة المجالات التطبيقية .

مركبة فضائية لدراسة الشمس

اشتركت أمريكا وأوروبا فى مشروع إطلاق مركبة فضائية تستغرق رحلتها خمسة أعوام لدراسة الشمس باعتبارها أقرب النجوم المؤثرة على الأرض وبيئتها . من المعروف أن الظواهر الشمسية المختلفة تحظى باهتمام الكثير من علماء الفلك والأرصاد والفيزياء والفضاء والبيئة وغيرهم . فالنشاط الشمسى ، على سبيل المثال ، له تأثيرات ضارة على مركبات الفضاء ، كما أنه يؤثر بشدة على مناخ الأرض ومجالها المغناطيسى ، ويؤدى إلى حدوث اضطراب ملحوظ فى الاتصالات اللاسلكية .

بصمات الأصابع وتشخيص الأمراض

أوضحت الأبحاث التى أجراها مؤخراً أحد العلماء الأمريكيين أن بصمات الأصابع يمكن أن تشير إلى احتمال الإصابة بأمراض معينة ، وخاصة مرض « الزهايمر » الذى يصيب المتقدمين فى السن ويؤدى إلى ضعف ذاكرتهم تدريجيا .

أحدث الأبحاث عن البصل

تؤكد أحدث الأبحاث أن القيمة الغذائية للبصل تفوق قيمة التفاح ، وأن فائدة البصل تعادل فائدة « الأنسولين » فى علاج مرضى السكر ، وأن الأبخرة المتصاعدة من البصل قادرة على قتل البكتريا الضارة ، وخاصة فى الجروح الملوثة . كما يحتوى البصل على مواد مفيدة للقلب والدورة الدموية ، ومواد أخرى مُدرَّة للبول . وقد ابتكرت حبوب تحتوى على خلاصة « الكلوروفيل » المركزة لإزالة رائحة البصل ، وذلك اعتماداً على خاصية امتصاص الروائح عن طريق خضرة النبات (أى الكلوروفيل) .

تطور جديد فى تقنية « الليزر »

ذكر راديو صوت أمريكا أن فريقا من العلماء الأمريكيين والفرنسيين نجحوا فى التوصل إلى طريقة جديدة لتوليد أقوى حزمة مركزة من أشعة الليزر . ويقول العالم الأمريكى « جيرالد مورو » إن الطريقة الجديدة تزيد درجة سطوع أشعة الليزر بنحو ألف مرة دون زيادة حجم جهاز توليد الأشعة .

أبحاث الفضاء تحذر من أخطار التلوث

شهدت مدينة « تورنتو » بكندا مؤتمراً من أجل حماية البيئة شارك فيه عدد كبير من خبراء المناخ فى العالم . يعتزم العلماء استخدام الأقمار الصناعية فى رصد درجة حرارة جو الكرة الأرضية لقياس معدل التغير فى الحرارة وذوبان الجليد عند القطبين الشمالى والجنوبى .

يخشى العلماء أن يؤدى تزايد الغازات السامة فى الغلاف الجوى إلى إيجاد ما يعرف باسم « الصوبة الزجاجية » التى تؤدى إلى ارتفاع كبير فى درجة حرارة جو الأرض . وينشأ عن ذلك ذوبان الجليد وحدوث فيضانات فى البحار والمحيطات ، مما يهدد العديد من الجزر والمدن الساحلية بالغرق . وكانت دراسات سابقة قد تنبأت بأن استمرار الارتفاع الحالى فى معدلات درجات الحرارة يهدد مناطق كثيرة بالغرق قبل حلول منتصف القرن الحادى والعشرين . من بين هذه المناطق المهددة أجزاء كبيرة من أندونيسيا وبنجلاديش والفلبين ودلتا نهر النيل والكثير من الشواطىء الأوروبية والأمريكية .

ندوة بليبيا عن التراث العلمى الاسلامى

عقدت فى طرابلس بليبيا ندوة علمية حول التراث العلمى العربى فى العلوم الأساسية نظمتها الهيئة القومية للبحث العلمى بالتعاون مع كلية العلوم بجامعة الفاتح . تناولت أبحاث الندوة التى شارك فيها ما يزيد على مائة باحث من مختلف البلدان العربية مناقشة مآثر علماء المسلمين فى علوم الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والأرض والحياة وانعكاس ذلك على التطورات العلمية الحديثة وبناء الحضارة العلمية الإنسانية .

أوصت الندوة بإعداد كتاب علمى حول تاريخ العلوم الأساسية عند العرب يكون مرجعا فى أيدى الأساتذة والدارسين ، كما دعت إلى ضرورة تدريس مقرر فى « تاريخ العلوم عند العرب » لطلاب الجامعات العربية . يهدف إلى تأصيل الثقافة الإسلامية وتحقيق التواصل الحضارى بين ماضى الأمة وحاضرها ومستقبلها .

شبكة البحر المتوسط لرصد الزلازل

يجرى الإعداد لإقامة أول شبكة من نوعها فى مصر لرصد الهزات الأرضية من شتى أنحاء العالم ، وتتميز هذه الشبكة التى يشرف على إقامتها المعهد القومى للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية بأنها واسعة المدى وتقوم بتسجيل مختلف أنواع الزلازل المحلية والإقليمية والدولية بكفاءة عالية ودقة تامة .

* الكاتبة باحثة بالمركز القومى للبحوث .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

التساؤل والاختلاف

لفضيلة الشيخ : فكرى ياسين

هل تجب الإجابة عن كل سؤال .. ؟
يبدو أن مضمون السؤال يتوقف عليه الإجابة بـ (نعم) أو (لا) ، ثم يقتضى الأمر النظر إلى المسئول الذى طرح عليه السؤال .

وليس من شك أن السائل إذا كان يريد الإحاطة بمعلوم دينى ، وكان المسئول على علم بالإجابة ، ويعلم ما يحيط ، أو ما سوف يحيط بالإجابة من فائدة نافعة كان على المسئول أن يجيب .

ومن هذا القبيل أسئلة وجهت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأجاب عنها ، لكن هناك ألواناً من الأسئلة قد يكون عسيراً جداً اعتبارها بريئة ليس خلفها نوازع النفس إلى الفتنة ، ومثلها ينبغى الحذر منه وتجنبه ..

قال الكاتب ـ رحمه الله : ـ

جاء فى الصحيحين أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « دعونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشىء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .

إعداد وتقديم
عبد الفتاح الزيات

لهذا الحديث سبب ، وهو أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ ـ قام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخطب الناس ، فقال : « أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، فقال : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى كررها مراراً ، ثم قال : « لو قلت نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم » .

وذكر بقية الحديث ، ثم نزل قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ الآية .

وجاء من غير وجه أن آية : ﴿ لَا تَسْأَلُوا ﴾ إنما نزلت لما أكثروا السؤال له ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أشياء كرهها ، وأن منها ما كان يسوء السائل جوابه ، مثل : هل أبوه فى الجنة أو فى النار ؟ وهل أبوه من نُسب إليه أو غيره ؟ ومنها ما كان على وجه التعنت والعبث والاستهزاء ، كما كان يفعله المنافقون والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم ، كقول بعضهم : أين ضلت ناقتى ،

وكسؤالهم الآيات والاقتراحات ، وسؤالهم عما أخفاه الله عن عباده ، ولم يطلعهم عليه ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن أمر الروح ، وسؤالهم عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى أن يكون سبباً لنزول التشديد فيه ، كالسؤال عن الحج ، وهل يجب كل عام ؟

ومن ثم غضب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ غضباً شديداً ، وصعد المنبر وهو غضبان ، وقال للناس : سلونى ، فجعلوا يسألونه وهو يجيب ، فلما رأى عمر بن الخطاب ما بوجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الغضب ، جثا على ركبتيه وقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، لا تفضحنا بسرائرنا واعف عنا ، عفا الله عنك ، فسرى عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ثم التفت إلى الحائط فقال : لم أر كاليوم فى الخير والشر ، أريت الجنة والنار وراء هذا الحائط .

* * *

أراد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبين للناس فائدة ترك السؤال عن أشياء لم تقع ، وضرر كثرة السؤال ، لما فيه غالباً من التعنت ، وخشية أن ينزل بسببها وجوب المسئول عنه أو تحريمه ، أو أن تقع الإجابة بأمر يستثقل قد يؤدى إلى ترك الامتثال ، فتقع المخالفة ، فأفهمهم أنه يجمل بهم أن يتركوه بغير سؤال مدة تركه لهم بغير أمر بشىء ، ولا نهى عن شىء ، وألا يكثروا من الاستفصال عن مواضع لا تفيدهم ، ولا من التنقيب عما يفضى بهم إلى الوقوع فيما وقع فيه غيرهم ، ثم ذكر لهم سببين جوهريين من أسباب هلاك الأمم السابقة عسى أن يحذروهما ، ويتقوا آثارهما الضارة .

فأما السبب الأول ، فهو كثرة السؤال عما يعنيهم من غير ضرورة ، وقد اختلف فى المراد بالذين كانوا قبلهم ، فقيل : هم قوم عيسى ، سألوه إنزال المائدة ، ثم كفروا بها .

وقيل : هم قوم صالح ، سألوه الناقة ، ثم عقروها وكفروا بها .

وقيل : هم قوم موسى ، سألوه أن يريهم الله جهرة ، وأن يبين لهم البقرة التى أمروا بذبحها ، فتعنتوا ، ولم يبادروا إلى مقتضى اللفظ من ذبح أى بقرة كانت ، بل شددوا على أنفسهم بكثرة السؤال عن حال البقرة وصفتها ، فشدد الله عليهم بزيادة الأوصاف حتى لم يجدوا متصفاً بها إلا بقرة واحدة فاشتروها بثمن باهظ .

وقيل : هم بنو إسرائيل مطلقاً ، كانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء ، فإذا أخبروهم كذبوهم .

وقيل : هم قريش ، كانوا يسألون النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحول لهم الصفا ذهبا ، وأن يبين لهم أنسابهم ، فإذا أخبرهم لم يصدقوه وقالوا : ليس الأمر كذلك .

وأكثر العلماء على أن كثرة السؤال المنهى عنها فى الآية ، هى السؤال عن النوازل والأغلوطات(١) والتوليدات ، فقد نهى الشارع عنها .

وورد أنه سيكون من الأمة أناس يغالطون فقهاءهم ، بعضل المسائل ، وأنهم شرار الأمة .

وقال الأوزاعى : إن الله تعالى إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط ، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً .

وقيل : المراد كثرة السؤال عن الأشياء كالبحيرة والوصيلة ، والسائبة والحام ، وعن الآيات ، كسؤال قريش أن يجعل الصفا لهم ذهباً .

---

(١) صعاب المسائل وشدادها

التساؤل والاختلاف

وسؤال اليهود أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ، ونحو ذلك .

وأما ما ثبت فى الأحاديث المتعددة وقوع السؤال عنه من الصحابة ، فيحتمل أن يكون قبل نزول آية ﴿ لَا تَسْأَلُوا ﴾ ، ويحتمل أن النهى فى الآية لا يتناول ما يحتاج إليه مما تقرر حكمه أو ما لهم بمعرفته حاجة راهنة ، كالسؤال عن الذبح بالقصب ، والسؤال عن وجوب طاعة الأمراء إذا أمروا بغير الطاعة ، والسؤال عن أحوال يوم القيامة ، وما فيها من الملاحم والفتن ، والأسئلة التى فى القرآن ، كسؤالهم عن الكلالة والخمر والميسر ، والقتال فى الشهر الحرام واليتامى والمحيض والنساء والصيد ، وغير ذلك .

وقال البغوى فى شرح السنة : المسائل على وجهين :

أحدهما : ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين ، فهو جائز ، بل مأمور به ، لقوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ الآية ، وعلى ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما .

وثانيهما : ما كان على وجه التعنت والتكلف ، وهو المراد فى هذا الحديث .

وقد حرر بعض الأئمة هذا الموضوع ، فقال ما خلاصته : والتحقيق أن البحث عما لا يوجد فيه نص على قسمين :

أحدهما أن يبحث عن دخوله فى دلالة النص على اختلاف وجوهها ، فهذا مطلوب ولا مكروه ، بل ربما كان فرضاً على من تعين عليه من المجتهدين .

والثانى أن يدقق النظر فى وجوه الفروق ، فيفرق بين متماثلين بفرق ليس له أثر فى الشرع مع وجود وصف الجمع ، أو بالعكس ، بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردى مثلاً ، فهذا الذى ذمه السلف ، وعليه ينطبق حديث ابن مسعود : « هلك المتنطعون » ، فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته ، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها فى الكتاب ، ولا فى السنة ، ولا فى الإجماع ، وهى نادرة الوقوع جداً ، فيصرف فيها زماناً كان صرفه فى غيرها أولى ، ولا سيما إن لزم من ذلك إغفال التوسع فيما يكثر وقوعه ، وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبة ، ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها ، ومنها ما لا يكون له شاهد فى عالم الحس ، كالسؤال عن وقت الساعة ، وعن الروح ، وعن مدة هذه الأمة ، إلى أمثال ذلك مما لا يُعرف إلا بالنقل الصرف ، والكثير منه لم يثبت فيه شىء فيجب الإيمان به من غير بحث ، وأشد من ذلك ، ما توقع كثرة البحث عنه فى الشك والحيرة ، كحديث أبى هريرة : « لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ » .

وقد انقسم العلماء إزاء كثرة السؤال إلى اقسام ثلاثة :

فمنهم من سد باب التساؤل ، وأحكم إيصاده ، حتى قل فهمه وعلمه لحدود ما أنزل الله على رسوله ، وصار حامل فقه غير فقيه .

ومنهم من فتح الباب على مصراعيه ، وتوسع فى توليد المسائل ، وتفريع الفروع ، وأسرف فى ذلك ، واشتغل بتكلف الجواب عنها ، وكثرة النقاش فيها ، والجدال عليها ، حتى نشأ عن ذلك افتراق القلوب ، واستقرار الأهواء والشحناء والعداوة والبغضاء فيها .

ومنهم من جعل همه موجهاً إلى البحث عن معانى كتاب الله ، وما يفسره من السنن الصحيحة ، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وعن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعرفة صحيحها وسقيمها ، والتفقه

فيها وفهمها ، والوقوف على معانيها ، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان فى أنواع العلوم من التفسير والحديث ، ومسائل الحلال والحرام ، وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك ، وهذا هو طريق السلف من فقهاء الأمصار من التابعين فمن بعدهم ، حتى حدثت الطائفة الثانية ، فعارضتها الطائفة الأولى ، فكثر بينهم المراء والجدال ، وتولدت البغضاء ، وتسموا خصوماً ، وهم أهل دين واحد ، والتوسط والاعتدال هو الخير فى كل شىء .

وأما السبب الثانى من أسباب هلاك الأمم الماضية ، فهو اختلافهم على أنبيائهم ، ومعارضتهم لهم ، وتكذيبهم لشرائعهم ، وخروجهم على وصاياهم ، وانحرافهم عن مبادئهم ، وإهمالهم العمل بتعاليمهم ، والمراد به - على الجملة - كل اختلاف مذموم يؤدى إلى كفر أو بدعة ، ويكون سبباً فى تفرق القلوب ، وتباين الأهواء ، وتعدد الجماعات ، ووجود الانقسامات ، وتوهين عرى الدين ، وإضعاف شوكة الإسلام ، كما وقع بين الخوارج قديماً ، فإنهم كانوا يطعن بعضهم فى بعض ، ويتبرأ بعضهم من بعض .

وأما الاختلاف فى استنباط فروع الدين ، ومناظرة أهل العلم على سبيل تحقيق الفائدة ، وإظهار الحق ، وإعلاء كلمة الله ، فغير منهى عنه ، بل مأمور به ، وفضيلته ظاهرة ، وقد جرى العمل عليه من عهد الصحابة إلى الآن .

* * *

بعد أن أجمل النبى - صلى الله عليه وسلم - هذين السببين المؤثرين فى كيان الأمم ووجودها ، أراد أن ينبه الناس على أن الأولى بهم ، والأجدى عليهم أن يتركوا التساؤل عما لا يعنيهم ولا يفيدهم ، وأن يشتغلوا بالأهم الذى يحتاجون إليه عاجلاً ، وأن ينصرفوا عن كل ما يعوقهم عن ذلك ، وهذا لا يكون إلا بالاقتصار على فعل ما يطيقونه مما يأمرهم به ، واجتناب كل ما ينهاهم عنه ، وقد أوضح لهم ذلك فى عبارتين شاملتين ، وجملتين جامعتين :

الجملة الأولى قوله - صلى الله عليه وسلم : « فإذا أمرتكم بشىء ، فأتوا منه ما استطعتم » فإنها - كما قال النووى - من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التى أعطيها رسول الله صلى الله عليه وسلم » ويدخل فيها ما لا يحصى من الأحكام ، كالصلاة بأنواعها ، فإذا عجز عن بعض أركانها ، أو بعض شروطها أتى بالباقى ، وإذا عجز من بعض أعضاء الوضوء أو الغسل ، غسل الممكن ، وإذا وجد بعض مايكفيه من الماء لطهارته ، أو لغسل النجاسة ، فعل الممكن ، وإذا وجبت إزالة منكرات ، أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم ، أو نحو ذلك ، وأمكنه البعض ، فعل الممكن ، وإذا وجد مايستر بعض عورته ، أو حفظ بعض الفاتحة ، أتى بالممكن ، وأشباه ذلك كثيرة غير منحصرة ، وهى مشهورة فى كتب الفقه .

والجملة الثانية قوله - صلى الله عليه وسلم : « وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » ، وهى على إطلاقها فى إفادة اجتناب كل منهى عنه ، فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة ، وشرب الخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه ، أو نحو ذلك ، فهذا ليس منهيا عنه فى هذه الحال ، كما تدل أيضا على أن اعتناء الشرع بالمنهيات فوق اعتنائه بالمأمورات ، لأنه أطلق الاجتناب فى المنهيات ولو مع المشقة فى الترك ، وقيد فى المأمورات بقدر الطاقة .

وصفوة مايقال فى هاتين الجملتين : إن من امتثل ما أمر به النبى - صلى الله عليه وسلم - وانتهى عما نهى عنه ، وكان مشتغلا بذلك عن غيره ، حصلت له النجاة فى الدنيا والآخرة ، ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره ومايستحسنه وقع فيما حذر منه الرسول من حال أهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، وعدم انقيادهم ، وطاعتهم لرسلهم .

أنبـاء مكتب فضيلة الإمـام الأكبر شيـخ الأزهـر

إعداد: مصطفى عبدالمجيد

الامـام الأكبـر يدعـو لاقامـة صـلاة الاستسقـاء

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لإقامة صلاة الاستسقاء وذلك عقب أداء صلاة الجمعة يوم الثانى عشر من جمادى الآخرة ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠/١٢/٢٨ م.

وقد أشار فضيلته فى بيان وجهه إلى المسلمين فى مصر إلى أن طلب سقى الماء من الله تعالى مشروع عند انقطاع المطر وحصول الجدب أو توقعه.

وقد تضرعت مصر إلى المولى - عز وجل - بإقامة صلاة الاستسقاء فى جميع مساجدها.

نرجو الله تعالى أن يتقبل من مصر ضراعتها وصلاتها من أجل نزول الغيث.

افتتاح المكتبة السمعية بجامعة الأزهر

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر المكتبة السمعية الجديدة التى يتم فيها استخدام الحاسب الآلى بدلاً من طريقة «بريل» التقليدية لتعليم الطلاب المكفوفين بجامعات مصر.

تشغل المكتبة ثلاث حجرات بالدور فوق الأرضى بمبنى كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر.

تضم المكتبة مجموعتين من الأجهزة الحديثة والكاميرات الالكترونية التى تقوم بتحويل الحروف إلى ذبذبات تمكن الطالب من قراءة القرآن الكريم والكتب والصحف. بلغت تكاليف المكتبة ٤٠ ألف جنيه.

وفى المكتبة تسجيلات عديدة لمراجع إسلامية هامة.

كما تقوم بخدمات خاصة للطلبة المكفوفين فتسجل لهم مقرراتهم على أشرطة توزع عليهم بالمجان فى حدود ثلاثين شريطا للطالب.

خدمات المكتبة عامة للمكفوفين من كل الجامعات والمعاهد الإعدادية والثانوية.

وفق الله - تعالى - القائمين عليها بالعون والسداد - والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

مؤتمر لعلماء العقيدة والفلسفة تحت رعاية فضيلة الامام الأكبر

تعقد كلية أصول الدين بالقاهرة بالاشتراك مع الجمعية الفلسفية المصرية مؤتمرا علميا موسعا تحت عنوان (نحو علم كلام إسلامى معاصر).

يحضر المؤتمر الذى سيعقد تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر علماء العقيدة والفلسفة فى مصر ويستمر ثلاثة أيام تبدأ من ٣ ذى الحجة ١٤١١ هـ الموافق ١٥ يونيو القادم.

وصرح الدكتور عبد المعطى بيومى عميد كلية أصول الدين بأن هذا المؤتمر يستهدف حل المشكلات المطروحة على الساحة الآن: مثل «قضايا التطرف والسلبية والأصولية» وغيرها.

الأزهر يستنكر استمرار التهديد بالعدوان على المقدسات الدينية

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن الأزهر يستنكر التهديد الإسرائيلى بالاستمرار فى العدوان على المقدسات الدينية فى القدس ، وطرد العرب من ديارهم ومطاردتهم وتعذيبهم .

وقال فضيلته : إن الأزهر الشريف يحمّل السلطات الإسرائيلية المسئولية عما يحدث من رعاياها ونكوصها عن القيام بواجباتها العامة نحو حماية المقدسات الدينية لكافة الأديان وحماية السكان الذين استولت على أرضهم .

□

أنباء العالم الاسلامى ● إعداد : عبدالمنعم فودة ●

انتصارات جديدة للمجاهدين ضد القوات الأثيوبية

كشف المجاهدون (الأوروميون) التابعون للجبهة الاسلامية بشرق أفريقيا ، العاملون على تحرير أوروما عملياتهم العسكرية ضد القواعد الأثيوبية فى العديد من مدن منطقة (هرر) الشرقية .

كاتب هندوسى يفضح أساليب اضطهاد المسلمين بالهند

فضح الكاتب الهندوسى (راج شكر) فى كتاب صدر له أخيراً مخططات الهندوس المستمرة لطمس هوية مسلمى الهند .

وقال : إن الهندوس درسوا كيفية إخراج المسلمين وإبعادهم من إسبانيا ، وقد بدأوا بالفعل فى تطبيق هذه الخطة .

تناول الكاتب ما يتعرض له المسلمون من المذابح التى تحدث لهم يوميا كذلك تحدث الكاتب عن هضم حقوقهم المدنية حيث ثمة قَصْرٌ للوظائف فى الهيئات الحكومية على الهندوس واغلاق أبوابها فى وجه المسلمين ، وتسلط الهندوس على وسائل التعليم والإعلام المختلفة مما يؤدى إلى تمييع الشخصية الإسلامية .

اضطهاد المسلمين مستمر

تفيد الأنباء الواردة من (سرى لانكا) أن المتطرفين التاميليين ـ الذين يحاربون من أجل إنشاء دولة تاميلية مستقلة فى منطقة الأغلبية التاميلية فى (سرى لانكا) ـ أغاروا على المناطق التى يسكن فيها المسلمون .

وقد أسفرت الهجمات الوحشية على المسلمين عن مقتل نحو ثلاثمائة شخص .

هذا فى سرى لانكا ، وفى أفريقيا الغربية استمرت المذابح ضد مسلمى ليبيريا فراح ضحيتها حوالى ٢٥٠ مسلما من مدينة كاكاتا بالإضافة إلى خمسمائة لاجىء مسلم من بينهم أطفال ونساء نتيجة دخول المتمردين إلى ليبيريا بمشاركة فعلية من رجال الكنيسة فيها .

وفى أقصى الشرق بالفلبين اشتعلت مذبحة ضد سكان قرية (باس) استشهد فيها اثنان وعشرون مسلما ، وكذلك ما يحدث للمسلمين فى ولاية كشمير .

ولازال التعتيم الإعلامى قائما يستر مذابح المسلمين فى كشمير .

أنبــــــاء وآراء

تدفق اليهود على فلسطين المحتلة من كل مكان

بعد التحولات والتغيرات التى حدثت فى أوروبا الشرقية تدفق عدد كبير من الغزاة اليهود على فلسطين المحتلة .

فقد هاجر إلى فلسطين المحتلة ـ أخيراً ـ يهود من أثيوبيا وجنوب أفريقيا والأرجنتين وبلغاريا والسودان وبولندا بالإضافة إلى عدد كبير من الاتحاد السوفييتى .

ويتوقع أن يصل اليهود المهاجرون إلى فلسطين المحتلة إلى مليون شخص فى عام ١٩٩١ م .

انتهاء الدورة التدريبية العالمية الثالثة عشرة للائمة والوعاظ بالأزهر الشريف

احتفلت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية باختتام الدورة التدريبية العالمية الثالثة عشرة للأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى بمدينة البعوث الإسلامية .

وقد حضر الحفل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس اللجنة العليا للدعوة الإسلامية ، والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة .

شارك فى الدورة كل من أفريقيا الوسطى ـ غينيا بيساو ـ جنوب أفريقيا ـ غانا ـ اليمن ـ أندونيسيا ـ الاتحاد السوفييتى ـ بوليفيا .

تحدث فى الحفل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فطلب من السادة الأئمة الدعوة إلى الله على بصيرة وبحكمة وأن يستمروا فى الاتصال بالأزهر الشريف فى أى أمر من أمور الدعوة الإسلامية يعرض لهم .

العدوان العراقى فى نظر حكومة المجاهدين

صرح عبد رب الرسول سياف رئيس حكومة المجاهدين الأفغان المؤقتة والشيخ أبو الحسن الندوى رئيس ندوة العلماء بالهند لكنهو بأن العدوان العراقى على دولة الكويت المسلمة فتت الوحدة الإسلامية ، واعتبر العدوان عملا خطط له من قبل أعداء الإسلام ليتسنى لهم فرصة القضاء على قلب العالم الإسلامى واستنزاف خيراته واستئصال روح العزة والإباء فى أبنائه .

جاء ذلك فى برقيتين أرسلهما كل من الشيخ / سياف ، والشيخ / أبو الحسن الندوى إلى منظمة المؤتمر الإسلامى .

اللغــة العربيــة فى الجزائــر

ذكرت وكالات الأنباء العالمية فى خبر أذاعته لندن أن الجمعية الوطنية فى (ولاية جيجيل) شرق الجزائر رفضت أية مراسلة تكتب بلغة أجنبية .

والجدير بالذكر أن المملكة المغربية رفضت الدفاع"باللغة الأجنبية فى المحاكم الوطنية منذ عشرين سنة تقريباً .

وآخر الأنباء فى هذا القبيل ـ قرار الحكومة الجزائرية بضرورة العمل الرسمى باللغة العربية .

الفهـــــــرس

الموضوع | **الصفحة**

● **الافتتاحية**

الدين والأبواب الخلفية

د . على أحمد الخطيب ٧٢١

باب أرض الاسراء والمعراج

● **الإسراء والمعراج ملامح وإشارات**

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ٧٢٤

● **ثلاثة مساجد وثلاث دلالات**

إعداد السيدة . ن . محمد البهى ٧٢٨

● **الاغتصاب فى ارض الإسراء**

إعداد أ . عادل رفاعى خفاجة ٧٣٣

باب الفتــاوى

● **فتوى فى حكم التعامل مع شركات التامين** ٧٣٨

● **اختيار ملكة جمال فى مصر** ٧٤٠

● **قبس من انوار النبوة**

للشيخ على حامد عبد الرحيم ٧٤٢

● **اضواء على تاريخ الثقافة العربية فى غرب افريقيا**

د . أحمد الحفناوى ٧٤٥

● **من فقه الكتاب والسنة**

د . أحمد فهمى أبو سنة ٧٥٢

● **استخبارات النبى ﷺ ودورها فى تامين سلامة المسلمين**

لواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ ٧٥٥

● **اضواء على صلاة الاستسقاء**

للشيخ مهدى عبد الحميد مصطفى ٧٦٠

● **طرائف ومواقف**

أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٧٦٢

● **من اعلام الأزهر**

الشيخ حسنين محمد مخلوف

بقلم الشيخ محمد حسام الدين ٧٦٤

● **عبد الكريم جرمانوس**

د . محمد رجب البيومى ٧٦٩

الموضوع	الصفحة

باب الشعر
إشراف رشاد محمد يوسف

● نداء الفداء

أ . علي محمود طـه ٧٧٦

● من وحي الإسراء والمعراج

أ . محمود شاور ربيع ٧٧٨

● واقدساه

أ . محسن عبد المعطي عبد ربه ٧٧٩

● باب اللغة والأدب والنقد

● ماوراء النظريات في البحث عن اللغة

د . توفيق محمد شاهين ٧٨٠

● السنة النبوية بين دعاة الفتنة وادعياء العلم

د . عبد الموجود محمد عبد اللطيف ٧٨٩

● قراءة في كتاب المنهج في كتابات الغربيين

عرض وتحليل أ . أحمد تقي الدين ٧٩٨

باب العلوم الكونية

● العلوم الكونية في التراث الإسلامي

أ . د . أحمد فؤاد باشا ٨٠٥

● الجديد في العلم والتقنية

إعداد . د . نجوى السيد أحمد ٨١٠

● من روائع الماضي

إعداد أ . عبد الفتاح الزيات ٨١٢

● انباء وآراء

إعداد أ . مصطفى عبد المجيد

أ . عبد المنعم فودة ٨١٦

القسم الانجليزى
إشراف د . أنس النجار

● المقالة الثانية

د . عبد الحكيم أحمد طه ٨٢٤

● المقالة الأولى

د . أنس النجار........ ٨٣٠

The Holy Qur'an repeats the fact that Allah gives life and death "Whatever is in the heavens and on earth, - let it declare the Praises and Glory to Allah, for He is exalted - in Might, The Wise. To Him belongs the dominion of the Heavens and the earth. It is He who gives life and Death and He has power over all things" (Surat Al-Hadid, LVII, 2) "Say: The Death from which ye flee will truly overtake you, then will ye be sent back to the knower of things, secret and open, and He will tell you the truth of the things that ye did". Surat Al-Juma'a, LXII, 8). These verses provide absolute evidence that death is the ultimate end of life on earth; that mankind will be summoned during the spiritual phase of human existence to face Allah's judgement by which the full inwardness of the worldly deeds are revealed and realized. The veil of illusion and and delusion will be torn off, all secret motives will be naked, and all make-belief will disappear.

The real purpose of life and death is also precisely indicated in the Holy Qur'an : "Blessed be He in whose hands is the Dominion, and He has power and authority over all things. He Who created Death and Life, that He may try which of you is best in deeds. And He is the Exalted, the Remitter." (Surat Al-Mulk, LXVII, 1 - 2). These verses indicate that the whole creation proclaim the name of Allah in eternal glory. He Who holds the Dominion and Sovereignty of Will, and Power with Potency to consummate what He wills. Both Death and Life are created by Allah's Will. The exact definition of death is that state before life began, which may be existence or non-existence in some form or another. Also death is that state in which earthly life ceases, but existence does not cease, a state known as Barzakh (a barrier or partition) a phase of spiritual existence between physical death, and before judgement. After judgement, will be the new life, which we conceive under the name of Eternity.

Creation, therefore is not purposeless. The state before and the state after our earthly life are scarcely understood. But the purpose of our life on this earth is the endeavors and efforts to accomplish good deeds in order to reach a nobler state. This is achieved by man's behaviour in this life. Life is real, life is serious, and the grave is not its final goal, mankind must search for Reality, for Truth, for Purpose, for the true identity of Life and Death. Mankind must remember death to attain the purpose of life. "Did ye then think that We had created you without purpose, and that ye would not be brought back to us for account ? (Surat Al-Muminun, XXIII, 115). In a true Hadith of the Prophet "Do for your worldly life, as if you were to liveeternally, and do for you Here-after as if you were to die tomorrow). He also said "Remember Death, the vanquisher of life's ecstasies".

Translated from the Arabic Original by Dr. Anas M. El Naggar.

learned or ignorant, happy or unhappy, believer or unbeliever; however, one matter that is certain in his life, is death.

Another characteristic of death is that it is hated and loathed by the living and abhorred, and for the purpose, there is tendency to forget the reality of death. However, in Islamic concepts, the remembrance of death is an admonition that should be perpetually kept in the mind. The remembrance of death should not control the actions, nor should it impede the normal process of life.

Death is a divinely ordained event, fatalistic in its nature, deterministic in quality. It is completely and utterly controlled by Divine power, its cause, its timing, its place and all that is related to the process of death is absolutely dominated by the immanence of Allah. Death does not pertain to any specific apparent reason. Life and Death are two phenomena that are coherently related, and absolutely decided by Divine Will.

In the text of the Holy Qur'an, "We have decreed Death to be your common lot, and We are not to be frustrated" (Surat Al-Waqi'a, LVI, 60). Literally, this means that Allah has created life, and has decreed that death should be common to all.

Another verse quotes "Say: I have no power over any harm or profit to myself except no power over any harm or profit to myself except as Allah Willeth. To every people, is a term appointed. When their term is reached, not an hour can they cause delay, nor an house can they advance" (Surat Yunus, X, 49). This indicates the precision of the timing of death, making every single aspect of the life of the individual very uniquely predestined with Divine precision. Everything one consumes, to the smallest elemental fraction of matter, every syllable uttered, every image visioned, everything associated with one's life is very precisely predetermined by Divine Will.

Death must be understood as the end of human life, but not the end of human existence. Birth is also not the start of human existence. Human existence starts long before birth, and continues long after death. Life and death are the start and end of human life, but not of human existence. Life is limited, but existence is perpetual. Death is the separation of the soul from the body, the soul does not perish, but the body perishes into its elemental form dust. Death of the body, brings back the soul to Allah, and the deeds during earthly life are brought forward to be judged. Even the Prophets and Saints are not exempt from bodily death. Death is the gateway between the earthly life, and the spiritual existence. The stupor and unconsciousness at the end of probationary life will end by the opening of the eyes to the spiritual life. In that spiritual life, man will realize how the things which were neglected or looked upon as remote, are the intimate realities.

No injustice, the whole process is controlled by the sovereignty of The Guardian, The Supreme Creator. The infallible equitable justice of Divine Functions, Divine Attributes, Divine Will and Divine Powers possess the regal prerogative over all creations. Every individual must receive his apportion from the infinite territory of preordained fate, its sweetness as well as its bitterness. All mankind circulate around the central pivot of predestined fate. In spite of this fundamental truth, mankind is commanded by Divine ordinances to fight ignorance, disease, weakness, unbelief and to resist all adverse conditions that encounter mankind during his lifetime.

The third characteristic of life is the perpetual changing patterns of life's regimes, its temperaments and appearances, it aptitudes and inclinations, its mechanisms and dynamics. The performance of life eludes the logic of the mind and the rationality of thought. Its outward apparition is contrary to its inner reality. According to Islamic teachings, life is the cultivation soil for the Afterlife. All intentions deeds and actions of man's life are eventually judged in the Hereafter; the final balance of ultimate justice. The Holy Qur'an specifies the worldly life of mankind in the most appropriate text "know ye (all) that the life of this world is but play and amusement, pomp and mutual boasting and multiplying in rivalry among yourselves, riches and children... And what is the life of this world, but goods and chattels of deception." (Surat Al-Hadid LVII, 20).The prime fundamental purpose of human life is to worship Allah with genuine submission based on rational understanding of the true concept of belief in the Omnipresence of Allah. Mankind is the only creation which submits to Allah in belief through liberal self determined free thought. Man's functions of worship constitute acts of sanctioned worship, as well as acts that promote exalt and upgrade human life on earth.

Death is the ultimate end of life, the inevitable destined, irrevocable certain predeterministic divinely ordained phase of human existence. Death also has its characteristics. The first is the certainty of death, it is universal, definite, determined and absolute. The Holy Qur'an provides several texts that describe several qualification and understandings of death. "Every soul shall have a taste of death : And only on the Day of Judgement shall you be paid your full recompense" (Surat Al-Imran, III, 185). The soul shall not die, but the death of the body will give a taste of death to the soul when the soul separates from the body. The soul will then realize that life was but a transient phase, a period of probation.

Death, is the only definite true fact in the life of any living organism. Everything is probabilistic except death, which is certain and deterministic. A new born child may become subject to several undetermined events in his life time, he may be rich or poor,

THE ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

The Remembrance of Death

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Death is the cessation of life, the final end of all ecstasies and enchantments; and the expiration of all agonies and bitterness. In spite of man's fears of death, and the hatred of its thought, death remains the essence of life's continuity, the promoter of its development and progress. Life and Death are two modalities of human existence that are inseparably concordant. The concepts of Life and Death are associated, pertinent and coherently interrelated.

Man's life on earth has three fundamental characteristics. The first of these is that life provides in abundance, and denies with stringency. The affluence becomes poverty, the power becomes weakness, the sweet tenderness becomes bitter acrimony, authority becomes servitude, health becomes disease, eminence becomes insignificance, superiority becomes inferiority; and all life's manifestations of grandeur and primacy turn into the opposites of decline and downgrade. This is life, it creeps from day to day to the last syllable of time, and all our yesterdays become meaningless and void; the long trodden lane to eventual death.

The second of life's characteristics, is that it has a dualistic nature. It comprises within its structure all opposites. It constitutes life and death, health and disease, knowledge and ignorance, richness and poverty, beauty and ugliness, safety and fear, justice and injustice, freedom and subjection, night and day, peace and war, heat and cold, intelligence and stupidity, light and dark. Everything is dual, the only Oneness is to Allah, The Life-Giver, and The Life-Taker, The Omniscient, The Creator. This dual nature of life is precisely balanced to extreme exactness in optimal justification by Divine Will and Providence. Every human has his allotted share of the dualistic nature of life, and the summation of every individual share in all aspects of life is not different to that of another individual.

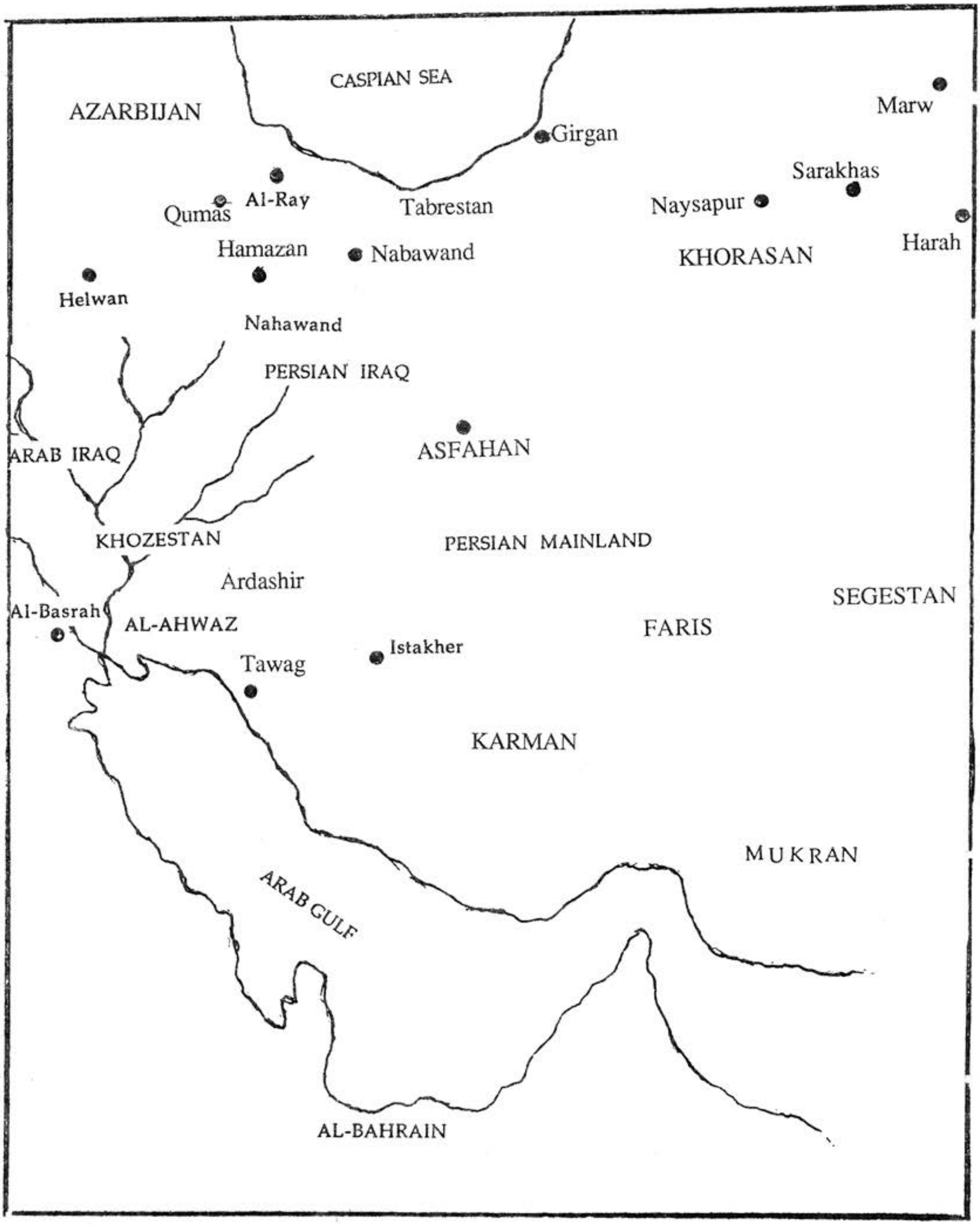
CASPIAN SEA
AZARBIJAN
Marw
Girgan
Sarakhas
Al-Ray
Qumas
Tabrestan
Naysapur
Harah
Hamazan
Nabawand
KHORASAN
Helwan
Nahawand
PERSIAN IRAQ
ARAB IRAQ
ASFAHAN
KHOZESTAN
PERSIAN MAINLAND
Ardashir
SEGESTAN
Al-Basrah
AL-AHWAZ
FARIS
Istakher
Tawag
KARMAN
MUKRAN
ARAB GULF
AL-BAHRAIN

religions commitment to Islam had its impact on the social and political concepts of the Persian nation. The faith of Islam relieves humanity from any superior authority invested in any human. The only real authority is totally endowed in the Divine powers of Allah.

The reality of the temporal sequence of historical events ultimately established the Islamic faith as the predominant faith in Persia; whether Muslim Arabs remained in Persia or not is not of crucial significance. After fourteen centuries, this fact remain a salient truth. the Muslim crusade of the Persian Empire during the region of Omar ibn Al-Khattab is subject to many discrepancies among the various chroniclers regarding names of persons and dates. Most authors, however, agree that the fall of the Sassanian Persian Empire was final during the region of Omar Ibn Al-Khattab, the man responsible for the scheming, administration, and strategy of the whole campaign from the inception to its culminating acme.

Omar ibn Al-Khattab had written to Al-Ahnaf not to proceed further across Persian borders and to remain in Khorasan. According to such instructions, Al-Ahnaf arranged the positions of his forces in such manner to defend only what he had occupied of Khorasan including Marw as its capital. The king of Turkestan realized that the Muslims had no intention of invading his country; and therefore decided to return, leaving the Muslims and Emperor Yazdgrid to settle their accounts. The inhabitants of Khorasan arranged peace terms with Al-Ahnaf ibn Qays, and remained in their cities under Muslim protection. During all these encounters, the Muslim gained extensive amounts of spoils, one fifth of which was always sent to Al-Madinah. Emperor Yazdgrid was finally murdered by his own people of Khorasan, when found hiding in a deserted mill on the Khorasan Turkestan borders. With the death of Yazdgrid, was the final end of the Sassanian Persian Empire. The whole Persian mainlands from the Caspian sea and Azarbijan north to Mukran in the south, and from Khorasan and Segastan east to Al-Ahwaz and the Gulf shores west; were all subject to Muslim domination. The crusade into Persian Empire was complete, and the Muslim Faith was championed on these new territories by its faithful followers. The Muslim presence in Persia was then securely established.

Omar ibn Al-Khattab recognized the history of the Persian Empire, and knew their deep rooted culture and well established social structure, and potentialities. The Muslim presence in Persia aimed at establishing social tranquility, justice, economic development, prosperity, and a regime of Persian self-administration. The Muslims did not interfere in the religious affairs nor in property ownership. They left the Persians appoint their own rulers and governors with complete independent choice; and gave these rulers the liberty in government. This autonomy was both prudent and prolific, the Persian public appreciated the change, and began to enjoy an environment of liberty, self respect dignity, more than they had experienced during the reign of the Sassanian Empire. The educated cultured sector of the population began to realize the bright rational aspects of the Islamic doctrinal teachings. It was not long before the Islamic Faith became very popular among the Persian population. The adoption of Islam as a religion made them enjoy the same rights and status as the Muslim crusaders themselves. The resulting social relationships of marriage and brotherhood under the umbrella of Islam, strengthened the roots of Islam among the Persian population. History records that masses of Persians joined the Muslim faith after the fall of the Sassanian Persian Empire. Several interpretations are presented to explain this fact. The most logically accepted is that the Persian nation itself was little concerned with religious matters. Incendiarism (fire worship) was the cult of the Sassanian Imperial House for generations. The rational doctrinal teachings of the Islamic faith attracted the minds of the Persians. This shift of

whole Persian Empire became the scene of bitter combat encounters between contingents of confident Muslim warriors, and masses of uncommitted, psychologically beaten Persian forces. The wayworn, travel weary, thought disturbed Emperor Yazdgrid continued moving from one place to another to avoid the advancing Muslim crusaders. He travelled from refuge to refuge away from the advancing Muslim penetration.

Muslim warriors crossed the Gulf from Al-Bahrain to crusade into the Persian mainland with Osman ibn Abi Al-Aas at their head. Others under Mugashe ibn Massoud moved south from Al-Basrah. Both leaders met at Tawag where they defeated Persian forces and occupied the city. Ibn Massoud marched to Sabur and Ardashir, while Ibn Abi Al-Aas moved to Istakher. These cities were occupied by Muslim warriors; Sabur and Ardashir with little resistance, while Istakher offered great resistance which was finally overcome by Muslims.The most important of these encounters was the final confrontation between the masses of Persian troops commanded by Shahrak and the Muslim warriors with Al-Hakam ibn Abi Al-Aas. This final battle destroyed the remaining elements of Persian mental attitude and frame of mind. During these encounters, Sariah ibn Zunaym was crusading with his men further east in the region of Faris, gaining more ground of Persian soil.

During the time those encounters were taking place in the region of Faris, Suhayl ibn Adii was crusading through the territory of Karman; and Al-Hakam ibn Amre Al-Tahlaby was advancing through Mukran. Emperor Yazdgrid fled from Mukran to Khorasan as the Muslims moved to occupy Mukran. Assem ibn Amre was scaling through the vast region of Segastan north of Mukran covering large areas of this region. The inhabitants of Segastan offered little resistance, and accepted to arrange peace terms with the Muslims. It was not long before Karman, Mukran and Segastan became under Muslim administration according to Islamic law. However, the internal affairs of these territories were determined by the Persians themselves with no Muslim interference.

Al Ahnaf ibn Qays was penetrating deep into the north eastern extensive vast region of Khorasan. The Muslim warriors crusading across Khorasan were met with little resistance. At the gates of Harah, Al-Ahnaf had to storm the city and enter it by force before its inhabitants resigned to accept the truce conditions which the Muslims dictated. Ibn Qays advanced his men towards Naysapur and Sarakhas under separate command; and marched himself at the head of another army to occupy Marw the capital city of Khorasan. Emperor Yazdgrid who was at Marw departed to seek refuge and protection in Samarkand in Turkestan. The King of Turkestan offered Yazdgrid protection, and mobilized troops to face the advancing Muslims, fearing that they would cross Persian borders and penetrate into Turkestan.

Nuaym ibn Muqarin to over-run Hamazan. The inhabitants of Hamazan, however, asked for terms of truce, which Nuaym approved to preserve the life of his warriors for future confrontation against the Persian forces assembling at Al-Ray. The Muslim victory at Al-Ray was decisive, which induced the neighboring regions to sign truce terms with the Muslims. Qumas and Nahawand also requested peace terms with Muslims. The surrender of Al-Ray, Qumas and Nabawand, left the shores of the Caspian sea open for Muslim crusaders. The ruler of Girgan accepted truce terms with Suwayd ibn Muqarin. The remaining territories on the Caspian shores were Tabrestan and Azarbijan. Suwayd ibn Muqarin marched to Tabrestan and surrounded the territory in isolation. The ruler of Tabrestan preferred arranging a truce with Suwayd.

The remaining territory of the Persian north was Azarbijan situated west of the Caspian, and shares common borders with the north of the Arab Iraq, and with the south of Armenia and Turkestan. It is an extensive region of mountainous country.Omar ibn Al-Khattab instructed Nuaym ibn Muqarin to command Utbah ibn Farqad and Bakir ibn Abd - Allah to march north from Al-Ray to crusade into the territory of Azarbijan. The whole region was occupied with least resistance, mostly on terms of truce according to Islamic law of Jiziah. Some preferred to join Muslim ranks for exemption from the Jiziah, such legislative action was sanctioned by Omar ibn Al-Khattab. The whole territory of Azarbijan responded to Muslim presence, and reconciled to the terms of their safety in all the valleys, mountains, safety of individuals, safety of property, possessions, traditions and customs. In the course of time, the Islamic doctrinal teachings found their way to the rational thought of the inhabitants. The Muslim system of Persian self government of these districts, made Muslim presence popular and well tolerated. Reformation regimes introduced by Muslims added to their popularity.

The Muslim diffusion into Khozestan, the Persian Iraq, Azarbijan and the territories on the shores of the Caspian Sea, was now completely established. As a matter of fact, the social stability and organization resulting from Muslim administration added to the rooting of their presence. This established fertile ground for the promotion of Islamic teachings. Other territories of the Persian mainland were unable to extend any support or help to the other regions through which Muslim warriors were crusading. Each region was individually anticipating Muslim invasion in due time. After Nuaym ibn Muqarin occupied Al-Ray, Omar ibn Al Khattab gave permission to the various army commanders of Muslim warriors to crusade deep into the territories of the Persian mainland. Muslim crusaders from Asfahan moved east into Khorasan; Muslim forces from Al-Basrah and Al-Bahrain moved towards the heart of Persian and Karman. Reinforcements from the Arab Peninsula poured into Persia to support the drive of the campaigning warriors. The

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE FALL OF THE PERSIAN EMPIRE

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim triumph at Nahawand was a severe blow to the Persian military institution, and also to the Persian national devotion, and integral ardency. This victory on the Persian mainland was a catastrophe to the imperial sovereignty in the person of Emperor Yazdgrid. There was no way out of this dilemma except, either to submit to Muslim stipulations and prerequisites for suspension of hostilities, or a stringent confrontation on the battle ground with the Muslim crusaders. The result of such defiance would be either victory to expel Muslims from all territories they had occupied, or defeat to bring about the final downfall of the Persian Empire. The situation was so disorganized, that the rulers of the various territories detached themselves from the imperial domination of Yazdgrid, and each of them followed his own policy to face the situation. Some confronted Muslims separately, and others arranged truce terms.

Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah with confident calmness engineered the strategy and designed to crusade through the Persian mainland. Omar decided to proceed towards Asfahan, the throbing heart of the Persian Iraq, the main trunk of Persia. To the north was Azarbijan, and to the south was Karman and the main body of the Persian mainland. Omar instructed Abd-Allah ibn Abd-Allah ibn Etban to march to Asfahan. As the Muslims advanced to Asfahan, they were confronted by masses of Persians commanded by Shahreyar Jazawieh, a veteran soldier. During the battle, he was killed, and the Persian troops dispersed and retreated to Asfahan to take shelter behind its strong walls. Emperor Yazdgrid left Asfahan to escape to Karman. Ibn Etban arranged to besiege Asfahan. After a long siege, the Persian troops became impatient, came out into the open to confront the Muslims. During the confrontation, the Persian commander arranged terms of truce with Ibn Etban, and the city of Asfahan became under Muslim domination.

During the time Asfahan was besieged, Omar ibn Al-Khattab received news that Hamazan and Al-Ray were arranging an insurgence against Muslims. Omar instructed

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART VII

Rajab 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   The Fall of the Persian Empire.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **The Remembrance of Death**
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
شعبان ١٤١١ هـ
فبراير ـ مارس ١٩٩١ م
الجزء الثامن
السنة الثالثة والستون

م ٢١
ع ٢٢٢٤٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

مع الرئيس حسنى مبارك فى ليلة الإسراء والمعراج

● فى ليلة مباركة :

انفرد فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بَسَفْرَةِ الإسراء ، و إمامة الأنبياء ، فكانت إحدى ليالى الدهر الفذة التى زهت بعطاء لم يكن من قبل فى الأنبياء ، ونال بركاتِها كلُّ مسلم ومسلمة استفتح صلاتَهُ بتكبيرة الإحرام فأقام لقاءً مباشراً بربه الكريم الوهاب المنان .

احتفلت مصر بهذه الليلة المباركة ـ ليلة السابع والعشرين من رجب ١٤١١هـ ـ جريا على سنتها ـ بقاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر حيث جمعت القاعة إلى رجالات الدولة رجالات الدعوة ، فكان السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وكبار المسئولين ، والتقى الإسراء بالدعوة ، وقال الرئيس :

مع الرئيس حسني مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم
الإمام الأكبر شيخ الأزهر ..
العلماء الأجلاء والدعاة الهداة
أيها الإخوة .

برغم كل الظروف المحزنة التى يمر بها وطننا العربي وعالمنا الإسلامي . يسعدنى أن ألتقى بكم الليلة ، لنحتفل معاً بمناسبة من أعز المناسبات ، وذكرى من أمجد الذكريات ، وهى ذكرى إسراء المولى سبحانه وتعالى برسوله الكريم سيد الأنام ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

ليلة خالدة خرجت على قوانين الزمان والمكـــان

لقد كانت ليلة خالدة ، تجلت فيها قدرة الله الذى لا يعجزه شىء ، فألغى لتلك الرحلة ما قَنَّنَ للحياة العادية من قوانين الزمان والمكان ، وأسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، لِيَؤُمَّ الأنبياء ، ويؤكد أنه خاتمهم ومتمم رسالتهم ، ثم عَرَجَ به المولى إلى السماوات العلى ، حيث رأى من آيات ربه الكبرى ، وحيث قَرَّبه ربه من حضرته ، وأسبغ عليه فيض نعمتـه ، وكـان ذلـك التكـريم والتعظيم ، تخفيفاً عنه صلوات الله وسلامه عليه ، بعد أن لقى فى سبيل دعوته ما لاقى ، وقاسى من ظلم قومه ما قاسى ، وبعد أن فقد أقرب الناس إليه .. وهكذا جاءت رحلة الإسراء ـ التى بدل فيها الله سبحانه قوانين الزمان والمكان من أجل رسوله ـ جاءت مكافأة من الله وتكريماً . وتسرية وتعظيماً ، ثم بقيت ما بقيت السماوات والأرض ، رمزاً لعدل الله سبحانه ، وتقديره للدعاة إلى الحق ، المجاهدين فى سبيل القيم والباذلين من أجل المبادىء ، والصابرين على كيد الكائدين وتعنت الباغين .

نضاله ﷺ مثل أعلى للحق والخير

وقد كان نضاله من أجل قيم الحق ومبادىء الخير . مثلاً أعلى ، كما كان صبره على الكيد والتعنت والمكابرة والأذى نموذجاً يحتذى ؛ فقـد أوذى واضطهد ، وطـورد وحورب ، ولكنه لم ييأس ولم يضعف ، ولم يسخط ولم يفتر ، بل ظل يدعو إلى سبيل ربه متفانياً فى دعـوته ، مؤديـاً بكل الصـدق والصلابة لرسالته ، التى هى رسالة الحق والصدق ، رسالـة العدل والنبل ، رسالة التوحيد والوَحْدة ، رسالة التحرر والتحضر ، رسالة الوئام والسلام .

وهذه المبادىء التى أوحى بها الحق سبحانه إلى نبيه محمد ﷺ والتى أكدها المولى لرسوله فى رحلة الإسراء والمعراج ، هى المبادىء التى أخرج الإسلام بها العرب من الظلمات إلى النور ، ومن همجية الجاهلية إلى تحضر المدنية ، فعبر بهم من مهاوى البغى والعدوان والظلم ، إلى قمم العدل والـ[illegible] والسلم ، وسما بهم من الحضيض القبلى المفرق الممزق ، إلى آفاق الدولة القوية الفتية التى بهرت بحضارتها الدنيا وصححت مسيرة التاريخ .

ولذلك يأتي احتفالنا بذكرى الإسراء تذكيراً لنا بتلك القيم الرفيعة التى حَمَّل المولى رسولَهُ صاحب الإسراء أمانتها . والتى كرمه من أجل تشبثه بها ، والعمل على غرسها وإقامة الحياة على أسسها ، وليست المسألة مسألة تذكير فقط ، وإنما هى دعوة متجددة إلى التشبث بتلك القيم والدفاع عنها والوقوف فى وجه كل من يسىء إليها أو يعتدى على شىء منها ؛ لأننا مادمنا قد آمنا بمحمد ورسالته ، فمقتضى هذا الإيمان أن نأخذ أنفسنا بقيمه الرفيعة ، ومبادئه الخالدة ، ومقتضى هذا أن نحتذى به ـ صلوات الله عليه ـ وأن يكون مثلنا الأعلى فى كل مواقفنا ، وفى جميع توجهاتنا ، وأن يكون ما جاءنا به وحياً عن ربه ـ وهو القرآن الكريم ـ منهاج حياتنا ومعيار تصرفاتنا ، وأن يكون ماهدانا به ـ من حديث شريف وسنة مطهرة ـ قدوتنا المثلى ومعالمنا المضيئة ، فى القول والعمل فالإيما[illegible] كما قال رسولنا الكريم هو « ماوقر فى القلب وصدقه العمل » .

والعمل هو العمل بتعاليم الإسلام التى شرعها الله عز وجل وأكدها رسوله الكريم بسنته الشريفة .

روائع من تعاليم الإسلام

ولا ينكر أحد أن من أبرز تعاليم الإسلام ، كف الأذى عن الغير ، « فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

ومن أهم تعاليم الإسلام ، حب الآخرين كحب النفس ، « **فلا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » .

ومن أروع تعاليم الإسلام : رعاية الجار كأنه أحد أبناء الأسرة ، فمازال جبريل يوصى النبى بالجار . حتى ظن أنه سَيُوَرِّثُهُ .

ومن أرفع تعاليم الإسلام : حرمة كل ما يخص الغير ويعد من حقوقه « فكُلُّ المسلم على المسلم حرام دَمُهُ وعرضه وماله » .

ومن أمجد تعاليم الإسلام : التمسك بالصدق ، والحرص على الأمانة ، والوفاء بالعهد . وبدون هذا ، يكون النفاق البغيض .

الذى يقول الله فى شأن أصحابه ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ والذى يدلنا الرسول الكريم على علامات من يستحق الاتصاف به ، وذلك فى قوله صلوات الله عليه :

« آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » .

ومن أسمى تعاليم الإسلام : وجوب مناصرة الحق ، وضرورة الأخذ على يد المعتدى ، فقد قال رسولنا عليه الصلاة والسلام : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » .

ومن أرقى تعاليم الإسلام : وجوب الترابط . وضرورة الاتحاد ، فالله تعالى يقول :

﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ والمراد بطبيعة الحال هو الترابط فى سبيل الحق ، والاتحاد من أجل الخير ؛ لأنه بغير هذا لا يكون اعتصاماً بحبل الله .

وهذا كله يجعلنا نقيس أمورنا بهذه التعاليم ونعرضها على ميزان تلك القيم . لنعرف على وجه اليقين :أين الحق وأين الباطل ؟ أين الصواب وأين الخطأ ؟ أين طريق الجاهلية البائدة ، وأين سبيل التعاليم الإسلامية الخالدة ؟

ولا أظن أحداً يجحد أن ذلك هو المعيار الصحيح والميزان العادل الدقيق !!

محنة الأرض العربية محنة إسلامية

فإذا تأملنا ما تمر به الآن أرضنا العربية وأمتنا الإسلامية من محنة قاسية أصابتها بالتفرق والتمزق ، وأشعلت فى جزء عزيز منها لهيب الحرب ، وهددتنا جميعاً بمخاطر لا يعلم مداها إلا الله .

أقول : إذا تأملنا هذا كله وبحثنا عن أسبابه فإننا لن نخطىء السبب الحقيقي ، ولن نضل ـ إذا كنا منصفين ـ معرفة الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، وأين التخبط فى ظلمات الجاهلية ؟ وأين السير على ضوء القيم الإسلامية ؟

فقد بدأت الأزمة التى تعانى منها بلادنا العربية وأمتنا الإسلامية فى هذه الأيام المريرة بتهديد رئيس العراق للكويت مطالباً بحقوق معينة وموجهاً إليها اتهامات باطلة .

والكويت بلد شقيق ، كما أن العراق بلد شقيق ، وكلاهما تربطنا بـه روابط العروبـة والإسلام ، وكلاهما عضو فى الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، وكلاهما عضو بالأمم المتحدة .

وانطلاقاً من روابطنا بالبلدين الشقيقين ، ومن شعورنا بالمسئولية الأخوية نحوهما وحفاظاً على دور مصر الإيجابي والتزامها العربي والإسلامي بادرتُ بـالسفر إلى العراق ، وتحدثت مع رئيسه فيما كان من تهديده للكويت فأكد لى أنه لن يعتدى على الكويت ، وأنه لم يرد بالتهديد إلا الضغط للحصول على مطالبه منها .

فهل من الإسلام نقض العهد والتنكر للوعد ؟ وهو ذلك الوعد المقطوع بعدم العـدوان على الكويت ، وهل من الإسـلام اجتياح بلد عربي مسلم ، وترويع أهله والعاملين به بالاعتداء على الأرواح وانتهاب الأموال وانتهاك الأعراض ؟ وهو الاجتياح الذى قتل فيه من قتلوا ، وشرد من كتبت لهم النجاة . فخرجـوا

مع الرئيس حسنى مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

تاركين بيوتهم وأموالهم مضافين إلى ملايين اللاجئين أو عائدين ـ إن كانوا من العاملين بالكويت ـ فاقدين لمجال عملهم الذى كانوا منه بالشرف والكرامة يعيشون .

وهل من الإسلام الكذب بادعاء قيام حكومة ثورية بالكويت ، واتخاذ ذلك ذريعة لاجتياحها ؟ وهو الادعاء الذى أعقبته ادعاءات أخرى . امتدت إلى تزييف التاريخ والزعم بأن الكويت محافظة من محافظات العراق !!

وهل من الإسلام الخداع بأن العدوان كان من أجل أخذ ثروة البترول من الأغنياء وردها على الفقراء ؟

وهل هذه هي طريقة العدل الإسلامي فى توزيع الثروة ؟ .

ألم يرسم الإسلام طريق تحقيق العدالة بالتكافل الاجتماعي الذى يتم بالتعاطف والتراحم لا بالحرب والقتل والعدوان والظلم ؟ .

ثم هل من الإسلام إشعال فتنة فى الأرض العربية . أول وقودها الجيش العراقي الذى كنا ندخره قوة للعرب وسنداً للمسلمين ؟

وهل من الإسلام فى شىء أن يلجأ هؤلاء الذين يدعون مناصرة العراق والوقوف إلى جانبه إلى تضليل القيادة العراقية وتخديرها بالأوهام الكاذبة ، واقناعها فى بداية الأمر بأن الحرب لن تقوم أبداً ثم عندما قامت الحرب بالفعل لجأوا إلى إقناعها بأنه يمكن إيقافها على أساس صيغ ملفقة مراوغة تتجاهل تماماً العنصر الأساسي الذى هو حجر الزاوية فى أي انفراج فى الموقف ، وهو انسحاب العراق فوراً ودون شروط من كـل الأرض الكويتية ؟

وهل من الإسلام الإصرار على العدوان والتمسك بما تم الاستيلاء عليه والمضى فى التهديد بمزيد من اقتحام الأرض العربية والاستيلاء على الثروات العربية؟!

الحرب فى الأسرة الواحدة مريرة أليمة

إن الحرب شىء مرير ومؤلم ويزداد الألم وتتضاعف المرارة حين تكون بين أبناء الجنس الواحد ، والمفروض أن يكونوا أسرة واحدة ولكن الحرب على مرارتها وألمها تكون أحياناً ضرورة يقتضيها واجب حماية النفس والأرض والعرض !!!

وفى ذلك يقول ربنا جل شأنه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ .

كذلك تكون الحرب ـ على مرارتها وقسوتها ـ ضرورة يحتمها مبدأ الوقوف مع الحق ودفع الظلم ، والضرب على يد الظالم المتمادي فى البغى ، وفى هذا يقول عز من قائل : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ .

ويقول نبينا ـ صلوات الله عليه ـ : « إذا رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » !!

ليس فى الجهاد بغى ولا عـدوان !!

وهل من الإسلام ادعاء رئيس العراق على دين الله وتزييفه والجرأة عليه ، وزعم أن مافعله بالكويت وما يفعله ، إنما هو جهاد فى سبيل الله ؟!

وهل الجهاد عدوان ؟

وهل الجهاد سلب ونهب ؟

وهل الجهاد اغتصاب ؟ .

وهل الجهاد تخريب وتدمير يتجاوز الناس إلى الطبيعة والبيئة وأروع ما خلق الله وسخره لإسعاد العباد ؟!

إن الجهاد المشروع فى الإسلام مقصور على أحوال ثلاثة ، كما يعرف من يفقهون حقيقة الإسلام ولا يـزيفـون ، ولا يُسَخِّـرونَـه لأغراضهم ونزواتهم الشريرة :

فالحالـة الأولى من حالات الجهاد الإسلامي المشروع : هى حالة الدفاع عن العقيدة وعن الأرض والعرض .

وهـذا الجهاد هـو الحـرب

الدفاعية . ولم يبدأ أحد بالعدوان على العراق ، وإنما هو الذى اعتدى على غيره ، ولا يمكن أن يقال : إن من تصدوا لهذا الغزو والاحتلال لأرض عربية مسلمة قد ارتكبوا إثماً أو عدواناً . وإنما هو دفاع مشروع لتحرير الأرض المغتصبة وصيانة الأرض المهددة .

وأما **الحالة الثانية** من حالات الجهاد الإسلامي المشروع : فهى حالة وقاية العقيدة والدولة من قوى تهددها وتخطط للعدوان عليها ، وهذا الجهاد هو الحرب الوقائية ، ولم يقم أحد بتهديد العراق قبل أن يغزو الكويت ، وإنما هو الذى اجتاح دولة وهدد دولاً أخرى ، ووسع تهديداته حتى شملت كل الدول التى وقفت مع الحق وأدانت الباطل ، وسعت إلى إيجاد حل يحقن الدماء ، ويجنب العرب والعالم شرور الحرب .

وأما **الحالة الثالثة** من حالات الجهاد الإسلامي المشروع فهى حالة تحرير من حالت قوى البطش والقهر بينهم وبين وصول العقيدة الصحيحة إليهم . وهذه هي الحرب التحريرية ، ومثالها الواضح تلك الحرب التى خاضها المسلمون الأوائل لتصل العقيدة الإسلامية السمحة إلى الشعوب المغلوبة التى كانت تسيطر عليها وتحول بينها وبين معرفة الحق قوى طاغية ودول باغية .

أما ماارتكبه العراق من عدوان على دولة إسلامية شقيقة فلا يمكن أن يعتبره أي مسلم غيور على دينه صادق فى إيمانه ، عملاً من أعمال الجهاد الذى يقصد به تحرير العقيدة وإيصال الإسلام إلى من لايعرفون الإسلام ، أو من يعيشون وقد حالت دون معرفتهم للدين الحنيف قوى تحجب عنهم الرؤية الإسلامية الحقة ؛ فرئيس العراق لم يقتحم بقواته بلاد مجوس أو وثنيين يعيشون معزولين بحكم القهر ، بعيدين عن نور الإسلام ، وإنما اقتحم بلاداً إسلامية مستنيرة ، وهدد بلاداً أخرى ترعى الإسلام وتضم الحرمين الشريفين . فأي جهاد هذا الذى يزعمه رئيس العراق . مادام الذى أقدم عليه من حرب ليست حرباً دفاعية وليست حرباً وقائية وليست حرباً تحريرية ؟!!

مصـــر مع الحـق

الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

العلمـاء الأجلاء والـدعـاة الهداة .

أيها الإخوة :

لقد وقفت مصر مع الحق ضد الباطل وكان موقفها مستنداً إلى إيمانها بالقيم الإسلامية النبيلة . والتقاليد العربية الأصيلة ، كما كان إرسالها لقواتها إلى السعـودية وبعض الأقطار الخليجية الأخرى تطبيقاً للدستور والقانون ، وتنفيذاً لميثاق الجامعة العربية ، واستجابة لقرارات مؤتمر القمة ، وما اتفق عليه المجتمع الدولي ، الذى تمثله الأمم المتحدة .

إن البعض ـ وهم قلة شاذة ـ يشككون فى موقف مصر !! ودون أن ندخل فى متاهات الجدل العقيم والمزايدات الزائفة ، نقول بكل الوضوح لهؤلاء أن المواقف التى كانت مطروحة لم تكن تخرج عن خيارات ثلاثة :

إمَّا الوقوف إلى جانب حاكم العراق فى عدوانه على الكويت وتهديده للسعودية والخليج ومباركة عدوانه وتهديده وما تبع ذلك من تدمير وتقتيل وتخريب وتشريد .

وإمَّا الحياد العاجز والبعد عن التأييد أو الرفض ، وترك الأمور تجري على أعنتها كما تشـاء الأهواء ، أو تتخبط كما توجهها الأنواء . وكأن الأمر لا يعنينا من قريب أو بعيد .

وإما الوقوف إلى جانب الحق ، والعمل على تصحيح الخطأ ، ومساعدة المنهوب فى استرداد حقه والمهدد فى رد التهديد عن أرضه ، وحماية المنطقة العربية آخر الأمر من الفتنة والدمار .

والموقف الأول ـ موقف تأييد عدوان العراق ـ وقوف مع الظلم والبغي ، ترفضه قيم الإسلام ، وتقاليد العـروبة ، و القـوانين السماوية والوضعية ، فضلاً عن أنه لا يليق أبداً ببلد مثل مصر .

والموقف الثاني ـ موقف الحياد ـ موقف سلبي لا يليق بمصر ، ولا يتفق كذلك مع قيم الإسلام التى تفرض عدم السكوت على ظلم الظالم ، كما أن هذا الموقف السلبي لا يتفق مع التقاليد العربية ، التى تـدعـو إلى منـاصرة المظلـوم ،

مع الرئيس حسني مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

والاستجابة إلى نجدة المستغيث ، كما أن فى الموقف الحيادى - رغم وصفه بالحيدة - جانباً انحيازياً يخدم العدوان ويساند الظلم حيث يترك المعتدى على عدوانه ، ولا يرد الظالم عن ظلمه ؛ فهو حياد شكلى فقط ، ولكنه فى حقيقته يعتبر مناصرة للعدوان والبغي .

بقى موقف واحد من المواقف التى لا تخرج عنها الاحتمالات المنطقية .

وهـو موقف مناصرة الحق ومواجهة الظلم ومؤازرة المجنى عليه لإنصافه من المعتدى .

وهو الموقف الذى اتخذته مصر .

وهـو المـوقـف الإسـلامـي الصحيح .

والموقف العربي السديد .

والمـوقف المبدئي والقـانـوني والأخلاقى المتحضر الذى يليق بمصر المسلمة العربية المبدئية الأخلاقية المتحضرة .

ومع هذا كله يشكك البعض فى موقفنا ، ويحاول إثارة مشاعر بعض البسطاء على سياستنا ، مستغلين شعارات جوفاء ومغالطات زائفة لا تستند إلى منطق سليم . أو دين قويم أو سلوك كريم ، وبرغم ذلك - بل أقبح مافى ذلك - تسخيرهم للدين فى سبيل الترويج لدعاواهم الزائفة وأضاليلهم المنحرفة ، فالدين برىء من كل ما يـزعمون ومن كـل ما يروجون .

أساليب الترويج للباطل

فتارة يركزون على وجود قوى أجنبيـة فى المنطقة العـربيـة ، ويزعمون أن هدفهم ينحصر فى المطالبة بإجلاء هذه القوى عن المنطقة ، وينسون أو يتناسون - أن السبب فى مجيء هذه القوى إنما هو اعتداء رئيس العراق على الكويت ، وتهديده للسعودية والخليج ، فقد جاءت هذه القـوى فى الأصل باستدعاء مشروع ، من أصحاب الأرض ، المهددين بالاجتياح من رئيس العراق ..

ومن المسلم به شرعاً وقانوناً : حق الإنسان فى الدفاع عن نفسه ، والاستعانة فى سبيل ذلك بمن يرى ، وليس من المطلوب أن يُسَلِّمَ الناسُ أرواحـهم وديـارهـم وبـلادهم للعدوان ، حتى لا يقال : إنهم استعانوا بالأجانب للمشاركة فى الدفاع عن أنفسهم ..

إن اللوم لوجود قوى أجنبية يجب أن يوجه إلى الغاصب الذى اعتـدى على إخـوانـه العـرب المسلمـين ، وحملهم قهراً عـلى الاستعانة بالأجنبي البعيد ، ليرد عنهم عـدوان أخيهم العـربي القريب !!

وتارة أخرى ، يركزون على أن هؤلاء الأجانب يلوثون الأراضي المقدسة ، وأنهم قد جاءوا لاحتلالها والبقاء فيها ، والمعروف للناس جميعاً ، أن هؤلاء الأجانب يدافعون عن السعودية ضد من وجه إليها دباباته ومصفحاته ، ومازال يُطلق عليها صواريخه .

إن ادعاء احتلال القوى المتحالفة للسعودية وتلويث مقدساتها هو عكس للواقع وقلب للحقائق .

فالذى يحاول اقتحام السعودية هو جيش المعتدى ، والذى يصد هذا الجيش هي قوى الائتلاف العربي والدولى .

أما التلويث والتنجيس ، وما إلى ذلـك من شعارات ، فـأقـول : لا ينخدع بها إلا السذج ، الذين يقعون ضحايا المتاجرة بالكلمات والمزايدة بالشعارات ، فبين مكة والمدينة وكل الأماكن المقدسة فى السعودية ، وبين الأماكن التى تنزل بها قوى الائتلاف ، مئات الأميال وشاسع المسـافات ، وقـد كان الأجانب موجودين قبل الأزمة فى أماكن مختلفة من هذه المنطقة الشرقية ، حيث كانـوا يعملون - وخاصة فى مجالات البترول - كما يعملون فى العراق وكل البلاد العربية والإسلامية .

أما القول بأن هذه القوى الأجنبية سوف تحتـل الأرض العربية ولن تخرج منها بعد انتهاء الأزمة ، فهو قول باطل لإثارة المشاعر وصرف الأنظار عن القضية الأولى ، وهى قضية احتلال العراق للكويت ، وتهديده للسعودية ودول

الخليج ، وادعاء بقاء القوات الأجنبية بعد المعركة تكذبه تأكيدات الرؤساء فى كل البلاد التى بعثت بتلك القوات ، بأن قواتها سوف تنسحب عائدة إلى بلادها فور انتهاء مهمتها ، والمجتمع الدولي كله شاهد على هذه التأكيدات .. كما أن رئيس العراق يستطيع أن يتأكد من ذلك بنفسه إذا شاء ، فلينسحب من الكويت ، وليكف عن تهديده للسعودية والخليج ، وسوف نكون من أول من يطالبون بجلاء هذه القوات وعودتها إلى موطنها .

ومرة أخرى نسأل :

هل من الممكن أن تجلو هذه القوات تاركة رئيس العراق متمسكاً باحتلاله للكويت ، وتهديده لغيرها من دول المنطقة العربية ؟

وهل هذا هو الإسلام والعدل والمنطق فى رأي هؤلاء الرافعين للشعارات الجوفاء ؟!

إنهم يقولون أحياناً : إذا كان لابد من قوات لتصحيح الوضع ، فلتكن قوات عربية .. ونحن نقول لهؤلاء بكل الصراحة ، والبعد عن المراوغة والمزايدة :

أين هي تلك القوات العربية التى كانت تستطيع أن ترد عدوان رئيس العراق وتوقف تهديده ؟!

إن الاعتراف بالحق والأخذ بالصدق ، هو السلوك المتفق مع الإسلام والضمير المتحضر الحي ، مهما كان الحق مكلفاً ومحتاجاً لتضحية المؤمنين الصادقين .

وتارة ثالثة ، يركز هؤلاء المشككون على فلسطين ، مجارين رئيس العراق فى زعمه أنه قد أراد بما فعل تحريرها ، وأخذ حق أهلها ، ورد الغاصبين عنها ، وهنا نسأل هؤلاء المغالطين :

هل كان لرئيس العراق من قبل دور فى قضية فلسطين ؟

وهل احتلاله للكويت هو الطريق إلى تحرير القدس كما يزعم ويزعمون ؟

وهل تهديد السعودية ودول الخليج هو الذي سيمنح الأمان للفلسطينيين ويرد عنهم من يهددهم ويجحد حقهم ؟

لقد نسى هؤلاء المشككون دور مصر المسجل فى صفحات التاريخ العربي ، وفى النضال من أجل فلسطين بحروف من نور ، وأصغوا إلى اتهامات صدام لنا بالعمالة والخيانة وإضاعة القضية الفلسطينية .

نعم نسى هؤلاء ـ أو تناسوا مع رئيس العراق ـ أن مصر قد خاضت أربع حروب فى سبيل تلك القضية .

وضحت من أجلها بعشرات الألوف من الشهداء وأضعافهم من المفقودين والمعوقين ، علاوة على المليارات التى أنفقت فى سبيل السلاح والعتاد ، ثم إعادة تعمير ما خرب وبناء ما هدم .

وهكذا تبنت مصر القضية الفلسطينية منذ بدايتها وإلى اليوم ، ورعت الإخوة الفلسطينيين كل الرعاية ، حتى لقد قدمتهم ـ فى كثير من الأحيان ـ على المصريين أنفسهم .

فضلاً عن أنها لم تحاربهم ولم تضطهدهم كما فعل الآخرون ، ولم تطاردهم كما طاردهم من هم الآن يتاجرون ويزايدون .

وبفضل جهود مصر ، وجهود المخلصين الأوفياء من الفلسطينيين والعرب ، بدأ المجتمع الدولي يتعاطف مع القضية الفلسطينية ، حتى اقتربت هذه القضية من الحل العادل ، وأوشكت الجهود المخلصة التى بذلناها وبذلها غيرنا أن تؤتى ثمارها ، لولا أن أثار رئيس العراق فتنة احتلال الكويت ، التى عطلت كل شيء !!

تشكيك مرفوض فى إخلاص مصر

فهل يستقيم بعد هذا تشكيك المروجين لرئيس العراق . وزعمهم مثله أن ماحدث من احتلال الكويت وتهديد دول الخليج إنما كان لتحرير فلسطين ، وأن مصر هي التى عطلت القضية الفلسطينية ؟

إن قضية فلسطين لم تنتكس فى تاريخها ولم تضار كما انتكست وأضيرت بفعل رئيس العراق ، فقد حرمت ـ بعد الفتنة التى وقعت بفعل هذا الرئيس ـ من هذا الاهتمام العالمي الكبير ، ولم يعد للقائمين على أمرها هذا التعاطف الدولي الشديد ؛ بل لم تعد هي القضية المحورية الأساسية التى تشغل الناس فى الشرق والغرب ، باحثين لها عن حل يرد لأبناء فلسطين حقهم ، ويقيم دولتهم على أراضيهم ، لم تعد القضية كذلك ، بسبب هذا الزلزال المروع الذى

مع الرئيس حسني مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

أحدثه صدام بما فعل بالكويت وبما هدد به المنطقة ، وهو زلزال جعل أسماع العالم تصم عن صيحات الفلسطينيين ، الذين طالما طالبوا بحقهم المشروع ، وناضلوا من أجل دولتهم المأمولة .

ومن أعجب المزاعم فى هذا الصدد ، القول بوجوب الربط الزمني بين قضية إحتلال الكويت وقضية فلسطين ، والقول بوجوب حل القضية الفلسطينية لكي تحل القضية الكويتية .

إن هذا القول مجرد مراوغة ومتاجرة ، لأن الكل يعرف أن القضية الكويتية تختلف تماماً عن القضية الفلسطينية ، والربط بين القضيتين يعطل حل قضية الكويت ، ولا يعجل حل قضية فلسطين ؛ فقضية الكويت قضية كل أطرافها عربية ، أما قضية فلسطين ففيها أطراف غير عربية ، كما أن قضية الكويت يجمع العالم كله على إدانة الاعتداء الذى سببها ، أما قضية فلسطين فيوجد فى العالم من لا يزال محتاجا إلى الجهد لإقناعه بوجهة نظرنا وعدالة مطالبنا ..

ومن هنا كان ربط المشككين ـ المجارين لرئيس العراق ـ بين قضية الكويت وقضية فلسطين وتعليق حل الأولى على حل الثانية ، مسلكاً يضر بقضية فلسطين ، ويضيع قضية الكويت ، ويسيء إلى القضيتين معاً أشد الإساءة .

وتارة رابعة : يركز هؤلاء المشككون على وجوب التوصل إلى حل عربي للأزمة ، ورفض هذه الحلول العالمية التى أقرها المجتمع الدولي كله ، ونحن نسأل هؤلاء فى هدوء :

هل قصرنا فى السعي لإيجاد حل عربي ، بدءاً من السفر إلى العراق ، وانتهاء بإرسال سبع وعشرين رسالة إلى الرئيس صدام ، ومروراً بمؤتمر القمة العربي ، وعديد من الاتصالات واللقاءات والاقتراحات والمبادرات التى رفضها الرئيس صدام ، بحجة أن الكويت جزء لا يتجزأ من العراق ؟!

وتارة خامسة ، يروج هؤلاء المشككون ، أنهم يشفقون على شعب العراق وجيش العراق ، من تلك القوى التى تجمعت ضد الرئيس صدام ، ويشهد الله أننا نشفق على الشعب العراقي والجيش العراقي أكثر منهم ، بقدر إشفاقنا على الشعب الكويتي الشقيق فى محنته القاسية الأليمة . كما أن الشعب العراقي شقيق للشعب المصري ، وهو ـ فى رأينا ـ ضحية يسوقها الحكم العراقي إلى الهلاك ، كذلك فإننا نعتبر الجيش العراقي قوة عربية يمكن أن تكون سنداً للعروبة والإسلام ، والحل ـ كما هو واضح ـ فى يد رئيس العراق ، فهو الذى يستطيع أن يحفظ شعبه ويصون جيشه ، وذلك بإعلانه الانسحاب من الكويت ، وترك التهديد للسعودية ودول الخليج ، وبذلك تتوقف الحرب ، وينجو شعب العراق ويحفظ جيشه قوة للعرب وسنداً للإسلام .

هل يخلص المروجون ؟

إن على هؤلاء المروجين للشائعات والمتاجرين بالشعارات ، والمزايدين على حب شعب العراق وجيش العراق ، أن يوجهوا صيحاتهم إلى الرئيس صدام ، لكى يحقن دماء شعبه ، ويحفظ قوة جيشه ، وذلك بكلمة واحدة صادقة منه ، بأنه ارتضى الانسحاب ورد الحق إلى أهله .

إن إنقاذ شعب العراق وجيشه ، يكون بانسحابه من الكويت لإعادة الشرعية إليها ، وليس الأمر فى يد أحد غيره ، فهو المعتدى ، وهو القادر على تصحيح الخطأ ورد الحق إلى نصابه .

أيها الدعاة !!

أيها الدعاة الهداة .

إننا نحتفل بيومكم فى ذكرى تكريم المولى للداعية الأعظم . سيدنا محمد ﷺ ، ومن متطلبات الدعوة ، ومن واجبات الدعاة الواعين المنتمين ، الذين يقتدون بإمامهم أن يتصدوا للأباطيل ويظهروا للناس وجه الحق وأن يصونوا الإسلام من تلك الدعاوى الباطلة المضللة ، التى

يزيفها المتاجرون باسم الدين من المزايدين فى ساحة الإسلام .

الحق واضح والباطل واضح ، ومن مع الحق معروف ، ومن مع الباطل مفضوح ، فلا يليق أن تترك الساحة لمزايد يتاجر بالإسلام ، يتخذ من نصوصه المطهرة أو مبادئه المشرفة ، قناعا يستر زيفه ويروج باطله ، فالعبث فى ميدان السياسة يجب أن يكون بعيدا عن قداسة الدين ، وتصفية الحسابات الشخصية ومحاولة كسب المنافع الدنيوية ، يجب أن تظل بمنأى عن الدين القويم والشرع الحكيم ليظل الدين فى جليل أقداسه ورفيع مكانته ، ونهتدى به إذا ضللنا الطريق ، ونستنير بهديه إذا أظلمت الأحداث ، ونستلهمه الصواب ، إذا أحاطت بنا الأخطار ، ونرجو به النجاة إذا عصفت بنا الأنواء .

صورتنا قبل الفتنة ثم بعدها تهدى إلى الحق

وبعيدا عن كل المزايدات والشعارات فلنسأل الجماهير البسيطة نفسها : كيف كان حال أمتنا قبل فتنة الكويت ، وكيف أصبح الحال بعد تلك الفتنة ؟! وفى الإجابة عن هذا السؤال تتضح الصورة ويتضح الحق مشرقا ، وينزوى الباطل كسيفا .

لقد كنا قبل الفتنة نتجه بخطوات ثابتة نحو مزيد من التقارب والعمل المشترك ، وكانت مشاريع التنمية فى كل بلد عربى تكافح لتحقيق الكفاية وسد احتياجات الجماهير ، كما كانت بعض مشاريع التكامل والتعاون بداية لنوع من التآزر الاقتصادى فى ظلال التعاون والتكافل ، وكانت الخلافات العربية القديمة قد أوشكت على الاختفاء ، والمقاطعة قد قاربت على الانتهاء ، وجامعة الدول العربية قد عادت إلى مقرها ، وشرعت فى تأدية دورها .

أما قضية فلسطين فكانت ـ كما قلت وأقول ـ قد قاربت الحل ، واخذت تطرق آخر الأبواب لتنطلق إلى آفاق النجاح . الذى يحقق للإخوة الفلسطينيين حقهم ، ويمكنهم من إقامة دولتهم على ترابهم .

وكان العالم كله ينظر إلى أمتنا بعين الإكبار ، وإلى قضايانا بعين التعاطف ، بعد أن ارتضينا قرارات الأمم المتحدة ، واخترنا السلام طريقا لمعايشة الآخرين ، والحلول المتحضرة سبيلا إلى تحقيق الغايات ونبل المطالب .

وكنا فى تجمعنا نمثل قوة كبرى ، تعمل على أن تأخذ مكانتها بين قوى العالم الجديد ، الذى لم يعد فيه مكان للكيانات الصغيرة ولا للصراعات العقيمة ، وكان علينا أن ننمى هذا الشكل الحضارى الجديد من أشكال علاقاتنا ، بين أنفسنا وبين دول العالم من حولنا ، فنزداد تماسكا وتقاربا ، وتعاونا وتكاملا ، وتساندا وتوحدا ، لكى نزداد قوة ومنعة ، ولكى يحترم العالم وجودنا ويستمع إلى كلمتنا ويعيننا على نيل حقوقنا، وأول هذه الحقوق هو حق الشعب الفلسطينى الشقيق .

هذه كانت صورتنا قبل الفتنة ، أما صورتنا بعدها ، فهى غنية عن الوصف ، فالكل ممزق النفس مما أصاب الصورة من تشويه وتخريب وتدمير .

دولة صغيرة مسالمة ، قد اجتاحتها دولة كبيرة ظالمة .

ملايين من مواطنينا والعاملين من ابنائنا ، هاموا على وجوههم ، تاركين الممتلكات والأموال ، بل الأجور ، ناجين بأرواحهم ، مكتفين بما يستر ابدانهم ، مشردين كأنهم لاجئون أو شبه لاجئين .

ودولة كانت تضمد جراحها من حرب ثمانى سنوات ، وتحاول بناء ما هدم وتعويض ما فات ، يسوقها حاكمها إلى مغامرة باغية لتبدأ الحرب من جديد ، وتهدر الأرواح والأموال من جديد ودولة كانت آمنة مطمئنة ، ترعى الأماكن المقدسة وتأخذ مكانها بين شقيقاتها العربيات المسلمات ، فى تأييد العروبة ونصر الإسلام ثم تفاجأ بالتهديد من رئيس العراق ، وحشد قواته على حدودها فتبادر إلى طلب النجدة من الأشقاء والأصدقاء . فتخف إلى الأرض العربية قوى شقيقة وصديقة ، لتوقف التهديد وترد العدوان ، وفى الوقت نفسه تضم الصورة المؤلمة ما يزيد المرارة ويوجع القلب : دولا عربية تناصر العدوان . إما طمعا وإما خوفا وإما تجاهلا وهى فى كل الحالات تشذ عن الموقف الصائب المناصر للحق والرافض للبغى ، بل تتجاوز الموقف الخاطىء إلى مهاجمة الدول العربية الملتزمة ، واتهامها وتجريحها

مع الرئيس حسنى مبارك في ليلة الإسراء والمعراج

وتهديدها وفى ظل هذا التشويه الذى يجعل الصورة باعثة على الألم يصاب الاقتصاد العربى بضربات قاصمة ، حيث تهدر المليارات لتسليح الجيوش ، ثم تعطل - أو تقلص - مشروعات التنمية ، ويراق جزء من بترول العرب فى الخليج ، وتصاب البيئة بالتلوث ، ويتعطل ملايين العمال وتقطع أرزاقهم ، وتتوقف السياحة ، وتكسد التجارة ، ويعيش الناس - كل الناس - أزمة طاحنة .

وهكذا ترسم صورة قاتمة حزينة لعالمنا العربى بعد الفتنة ، فإذا ما تأملناها وقارناها بصورة هذا العالم قبل الفتنة ، عرفنا - على وجه اليقين :

أين الحق وأين الباطل ؟

أين الصواب وأين الخطأ ؟

من يقف مع الإسلام ومن يقف ضد الإسلام !!

فليكن من أول ما تهتمون به أيها الدعاة الهداة فى هذه الأيام ، أن تبصروا الناس بالحقيقة ، وأن تدعوهم إلى وحدة الصف وراء الحق ، وإلى رفض كل ما يثيره المشككون والمتاجرون والمزايدون باسم الدين .

إن ما يقوله هؤلاء ليس من قبيل الرأى الآخر الذى تتيحه حرية التعبير ، وإنما هو تزييف وتضليل ، وعبث بقيم الدين ، وهو سلوك لا يقف عند شق وحدة صف الأمة والدعوة إلى الفرقة فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوحدة ، وإنما يتجاوز ذلك إلى الإساءة إلى الدين واتخاذه قناعا تختفى وراءه الأغراض المشبوهة والأطماع الدنيوية المتدنية .

واجبنا الحتمى
أننا أمام قضية قومية مصيرية

نحتاج إلى وحدة الصف ، القائمة على نقاء الضمير ، وصفاء القلب ، وسلامة القصد ، وإلى التجرد من كل هدف سوى الانحياز إلى الحق ، والانتماء إلى الوطن ورعاية الصالح العام .

إن الحرية تفرض الالتزام .

والديمقراطية لا يمكن أن تكون فى غير مصلحة الوطن ، كما لا يمكن أن تكون لمناصرة من يعادون هذا الوطن ويهددونه ، ويرفضون موقفه المنادى بإحقاق الحق ودفع الظلم ، والاستجابة لما يفرضه الدين والخلق ومبادىء المجتمع المتحضر .

هذا كل ما نريد
وهذا سلوكنا

إننا لا نريد تدمير العراق ، فهو قطر عربى شقيق ، وأبناؤه إخوة لنا فى العروبة والإسلام وكل ما نريده ، هو تحرير الكويت القطر العربى الشقيق المسلم ، وتأمين السعودية البلد الذى يشرف بالحرمين ثم صيانة دول الخليج المهددة من رئيس العراق بالعدوان والاجتياح .

إننا لا نريد أبدا شراً بشعب العراق أو تدمير جيش العراق فهو - كما أكدت وأؤكد - قوة للأمة العربية ، وسند للشعوب الإسلامية .

إننا نريد فقط أن ينسحب هذا الجيش من الكويت .

وأن يرتد عن السعودية .

وأن يكف عن تهديد دول الخليج الأخرى .

وأن يعود - كما ينبغى - درعا للعراق والعرب والمسلمين .

هذا هو سلوكنا الواضح المستقيم ، بلا مناورة أو التواء أو مزايدات رخيصة لا يتحملها أخطر موقف تواجهه الأمة العربية والشعوب الإسلامية .

كيف نحمى شعب العراق ؟!

والسؤال الذى يطرح نفسه .. كيف نحمى شعب العراق وجيش العراق من نهايات مأساوية رهيبة سببها الأول والأخير هو حاكم العراق ، وكل شريك له فى هذه المؤامرة الدموية ؟

أقولها بكل الإيمان ..

لن تكون حماية شعب العراق ، وجيش العراق بمبادرات تمثيلية يتسابق إليها شركاء الجريمة الذين يرتدون اليوم الأقنعة الزائفة لكى يهربوا من حكم التاريخ .

لن تكون حماية شعب العراق وجيش العراق بخطب منبرية أو كلمات جوفاء أو شعارات بالية .. هدفها الأول والأخير تزييف الحقائق وارتداء أثواب البراءة من جرائم هم فيها أول الشركاء وأول المحرضين .

لن تكون حماية شعب العراق وجيش العراق .. بالتباكى بدموع التماسيح يذرفونها اليوم وهم الذين يناورون لإخفاء مؤامرة الظلام .

نحن أمام مأساة رهيبة .. لا تحتمل اللعب على الحبال ، أو نفاق الهتافات والمظاهرات أو تسجيل المواقف الكاذبة أو ممالأة تيارات الهوى والأهواء أو استغلال الفرصة ممن يريد أن يطهر ماضيه .

لن يستطيع أحد أن يتجاهل الإجماع العالمى بأن الخطوة الأولى الواجبة هى انسحاب جيش العراق وعودة الكويت إلى سيادتها وشعبها .

الدول الإسلامية ، ودول عدم الانحياز .. إيران .. باكستان .. يوغوسلافيا .. الهند .. ودول كل القارات .. دول الشرق والغرب .. كل الدول التى تسعى جادة إلى وقف الدماء ، تطالب أولا بتحقيق الانسحاب من الكويت .

هذا هو الموقف الجاد المرتفع إلى مستوى المسئولية الذى يتعامل مع الحقائق ويريد فعلا حقن الدماء .

وهذا هو موقف مصر وكل الدول العربية الملتزمة بشرف المبدأ ، وتحقيق الشرعية الدولية .

المبادرة الواقعية

هذا هو الموقف الذى يتهرب منه من هم مسئولون مباشرة عن المأساة ومن هم مسئولون بالاشتراك والتحريض أو السلبية فى وقوع المأساة .. وهم أصحاب المبادرات التمثيلية الذين يعلمون باليقين أنها فرقعات فى الهواء مثل هتافات الزيف والادعاء .

إن المبادرة الحقيقية الواقعية .. هى أن يعلن حاكم العراق أنه قرر أن ينسحب وأن ينفذ ذلك .

إنه بهذه المبادرة الحقيقية الواقعية .. سيضع العالم كله أمام موقف جديد .

وإذا فعل فلا أشك لحظة أن العالم كله ، سيتحرك وبسرعة لوقف القتال وإحلال السلام وهكذا نتجاوز المحنة الطاحنة الرهيبة وليس غير ذلك من سبيل .

إيماننا والإسراء والمعراج

أيها الإخوة :

فليكن احتفالنا بذكرى الإسراء مناسبة نعمق بها إيماننا وإيمان الناس بتلك القيم والمبادىء التى أرساها صاحب الذكرى والتى بذل أقصى الجهد فى نشرها وإقناع الناس بها والتى صبر فى سبيل إعلانها وإقامة المجتمع الإسلامى على أسسها ، فمن خلال هذا الإيمان والعمل به تتوحد صفوفنا وتتقدم مسيرتنا وتشتد عزائمنا وتتضاعف قوانا وتنتصر بإذن الله رايتنا .

فليكن الإسلام الصحيح عقيدتنا ولتضىء تعاليمه الرشيدة مسيرتنا وليكن ارضاء الله وصالح الأمة غايتنا .. ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

وكل عام وانتم بخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من الأزهر الشريف

بيان ونداء

فى ذكرى الإسراء والمعراج

إلى الأمة الإسلامية

وإلى الرئيس العراقى صدام حسين

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

هاهى الأمة الإسلامية تستقبل ذكرى (الإسراء والمعراج) الذى كان حدثاً بارزاً فى إكرام وتكريم الله عبده ورسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء ١] .

نعم : كان هذا الحدث فى ذاته وأسلوبه وأدواته تكريماً أى تكريم ، فقد شمله الله سبحانه بما لم يعطه لغيره من الأنبياء ، فقد أُسْرِى به راكباً البراق تحفه الملائكة ، وأضاف القرآن الإسراء إلى الله ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ . . ﴾ بينما أخبر الله عن إبراهيم - عليه السلام - أنه قال : ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات ٩٩] وأخبر عن موسى - عليه السلام - فقال : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف ١٤٣] فمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أَسْرَى به الله واستوفده محفوفاً بالروح الأمين جبريل وأكرمه الله فى معراجه بالصلاة التى هى محل المناجاة مع الله ، وهى معراج أمته من خطاياها ، بينما كان ما جاء به موسى - عليه السلام - إلى قومه حية تسعى سُلِّطت على الجاحدين لدعوته . وكان مما دعا به الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فى هذه الليلة المباركة خواتيم سورة البقرة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة ٢٨٦] .

وكانت صلاة النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إماماً بالأنبياء فى المسجد الأقصى بالقدس إيذاناً بتوحيد قيادة الناس كل الناس وحدة عبادة ووحدة قيادة .

إن ذكرى الإسراء والمعراج تمر بالأمة الإسلامية وهى فى فتنة كبرى ، تفجرت لا دفاعاً عن شعب مسلم مضطهد ولا فى سبيل تحرير أرض وعرض شعب مسلم من تلك الشعوب المسلمة ـ وهى كثيرة ـ التى تسام سوء العذاب وصنوفه فى خضم من المحن والإحن .

فتنة كبرى ، وإنها لإحدى الكبر وإنها لنذير لهذه الأمة وتحذير من إغفال آثارها وتجاهل مسارها والقعود عن الوقوف فى وجهها وردعها ، والنكوص عن الوفاء بنصرة المظلوم ودفع الظلم ، ومنع الظالم من استمراء الظلم واستمراره فى اقتراف هذا الإثم .

ليذكر المسلمون أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ خطب الناس وتلا قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة المائدة : آية [١٠٥] :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ . . ﴾ وقال : إنكم تقرءون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها وإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده) [رواه الإمام أحمد] .

هاهى ذكرى الإسراء والمعراج تمر على الأمة الإسلامية وهى فى محنة المحن ، انفتح عليها ما حذر الله سبحانه منه فى قوله :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال ٤٦] .. فكان هذا الاختلاف والاقتتال والتخريب والتدمير لديار وأموال المسلمين وإهلاك النفس والنفيس دون مبرر مشروع وإنما صال القوى على الضعيف ينتهب داره وماله ، ويغتصب عرضه وينتهك حرماته ، ويستذله ويشرده ويقتله .

ويجد الظالم المعتدى من المسلمين من يناصره على ظلمه ولا يطيع أمر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيرد الظالم عن ظلمه ويقف مع المظلوم ينصره ويؤازره .

هانحن « المسلمين » نختلف ولا نأتلف ونسبغ على الظلم والظالمين سمات الجهاد والمجاهدين فنسيغ للظالم عدوانه ونزين له بهتانه مع أن الله سبحانه حَذَّرنا من هذا فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . . ﴾ [هود ١١٣] .

إن ولاية أمر المسلمين من الأمانة التى تحملها الإنسان فليكن كل ولى أمر فى هذه الأمة أميناً على هذه الولاية وليعمل لصالح الأمة حفاظاً على الأنفس والأعراض والأموال : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة ١٩٥] .

ومن إحسان الولاية على الناس ألا يدفعهم إلى الهلاك ، بل على ولى الأمر أن يعمل على حماية من فى ولايته وأن يباعد بينهم وبين الفساد والإفساد . وأن يصونهم عن الهلاك .

ونذكر فى هذه المناسبة موقف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسياسته فى صلح « الحديبية » وكيف آثر سلامة أصحابه والعودة بهم إلى المدينة وصالح قريشاً على ألا يعتمر هو وأصحابه فى ذات العام وأن يعتمروا فى العام القادم ، بل كيف محى لقب الرسالة فى وثيقة الصلح بينه وبين قريش حين قال قائلهم لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلناك . ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فاستجاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

بيــان ونــداء من الأزهـر الشـريف فـى ذكـرى الإســـراء والمعـــراج

فلينظر الرئيس العراقى ويقارن بين هذا الهدى النبوى الشريف فى حمايته أصحابه وإقدامه على الصلح . والعودة دون أن يعتمروا مع أن العمرة عبادة . وقد أحرموا بها ، وبين موقفه فى الإصرار على الاستمرار فى حرب باغية ، صال بها على أرض وعرض إخوة له فى الدين والجوار .

إن الأزهر الشريف فى ذكرى الإسراء والمعراج ليوجه النصح إلى الرئيس العراقى أن يحفظ على الشعب العراقى دمه وماله وعرضه ، وأن يجنح إلى السلم وينزل عند النصح الذى قدم وما يزال .

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال ٦١] .

إن الأزهر الشريف ليناشد الرئيس العراقى الله فى نفسه وفى جيشه وفى أمته الإسلامية بطول بلادها وعرضها وتنوع لغاتها ، فقد برزت الخلافات واحتدمت وتزلزلت الأرض تحت أقدام الأمة جميعها حَذَراً من لهب قد اقترب ، إن الأمة كلها مَنْ عارضوك قد نصحوك ومَنْ مالئوك قد خذلوك ، فكن مع الناصحين الذين أخلصوا النصح طلباً لسلامة العراق وسلامة الأمة جمعاء .

إن الأزهر الشريف ليذكر الرئيس العراقى بقول الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (**ليس الشديد بالصرعة .. وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**) [رواه البخارى ومسلم]

وأن رد المظالم من الدين وأوامر الإسلام : ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة ٣٩] . ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [النساء ١٢٨] .

وأن الرجوع عن البغى والظلم وَرَدِّ المظالم أهون بكثير من الاستمرار فيه ، حيث ينصر الله المظلوم كما وعد : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج ٣٩] . ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى ٤١ ، ٤٢] .

فى هذه الذكرى النبوية الشريفة ذكرى تكريم الله عبده ورسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإسراء وبالمعراج إلى حيث رأى من آيات ربه الكبرى .

يناشد الأزهر الشريف مع الأمة الإسلامية الرئيس العراقى أن يوقف هذه الحرب التى فجرها على أرض العرب والمسلمين وفى ديارهم وأن يحمى أمة الإسلام من شَرٍ قَدِ اقترب .

﴿ .. وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة ٢٧٩] . وإن أبيتم فإن الله قال :

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء ٢٢٧] .

أسألك اللهم مقلب القلوب أن ترحم هذه الأمة بما شئت وكيف شئت إنك أنت الرءوف الرحيم ، ونستشفع بصاحب الذكرى عبدك ورسولك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن تكشف عن أمة الإسلام ما نزل بها فإنه : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم ٥٨] .

اللقاء الصحفى

لفضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر

ومراسلى الصحف والإذاعات الأجنبية

تقدم مراسلو الصحف والإذاعات الأجنبية بالقاهرة ممثلين لـ : (وكالة الأنباء الإسبانية - إذاعة لندن - الإذاعة الإسبانية - الإذاعة الألمانية - التليفزيون الإيطالي - مجلة الدعوة السعودية) بطلبات متفرقة راغبين اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وقد أذن فضيلته باللقاء معهم مجتمعين في يوم الثلاثاء ٢٠ من رجب سنة ١٤١١ هـ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٩١ م .

وقد بدأت مندوبة الإذاعة البريطانية بالقاهرة بالسؤال التالي :

● فضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر : بعض التيارات الدينية في مصر والعالم العربي تصف الحرب الدائرة بأنها حرب صليبية جديدة ، ولابد من وقوف العرب والمسلمين في جانب العراق فما رأيكم في هذا ؟

فضيلة الإمـام :

الأمر موضوعى أكثر منه ديني ، فنحن في حالة مواجهة غزو العراق للكويت ، واحتل العراق أرض الكويت وشرد سكانه ، والعراق بلد عربي إسلامي ، والكويت بلد عربي إسلامي ، والقضية قضية اعتداء العراق على الكويت وطرد سكانه وانتهاك حرماته وسلب أمواله وليست القضية قضية حرب صليبية أو شيء آخر وإنما هى (إزالة احتلال العراق الكويت وعودة الشرعية إليها) وما يقال عن وصف آخر - وهي حرب دفاعية - فهو غير صحيح ووصف لا يدخل تحت حكم الإسلام ، فالحرب الحالية تقوم بها الجيوش المتحالفة لإعادة الشرعية لدولة مسلمة .

مندوب التليفزيون الإيطالي :

● من في العالم الإسلامي يملك قرار ادعاء أن هذه الحرب حرب مقدسة ؟ وضد من ؟ ولماذا ؟

فضيلة الإمـام :

الذى يملك أو من حقه أن يكيف الحرب تكييفاً شرعياً في نطاق الإسلام هم العلماء ، والحرب الحالية

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر ومراسلى الصحف والإذاعات الأجنبية

مقدسة بمعنى مشروعة باعتبارها دفعاً للعدوان عن الكويت ، والإسلام يأمر بنصرة المظلوم ، والكويت هي المعتدى عليها ، وقد قامت هذه الحرب لدفع الظلم وهى مقدسة بهذا الاعتبار .

● **إذن ليس من حق الرئيس صدام حسين أن يعلن انها حرب مقدسة ؟**

فضيلة الإمـام :

لا حق لأحد إلا العلماء وكما قلت هي حرب قامت استجابة لنصرة المظلوم .. وهذا ما أمر به الإسلام .

مراسل مجلة الدعوة السعودية :

● **مازالت آراء السلام تسمع مع قعقعة السلاح فهل مازالت هناك فرص لوقف المزيد من الدمار ؟**

فضيلة الإمـام :

وقف المزيد من الدمار إنما يتوقف على استجابة حكام العراق للجلاء عن الكويت .

مندوب الأنباء الإسبانية :

● **هل يحق لدولة إسلامية كالسعودية أن تستنجد بدولة مشركة غير مسلمة للدفاع عنها ؟**

فضيلة الإمـام :

الضرورات الخمس التى شرع الإسلام الدفاع عنها هي : الدين ، والنفس ، والعرض ، والمال ، والنسل ، فإن لم يستطع المسلم دفع العدوان عن نفسه أو أية واحدة من هذه الضرورات فله الاستعانة بالمسلمين وبغير المسلمين عند الضرورة .

مراسلة الإذاعة الإسبانية :

● **بعض المظاهرات فى المغرب خرجت تهتف بحياة صدام حسين ، وكذلك الأمر فى تونس والجزائر وغيرها ، فهل يعنى ذلك انقسام الأمة العربية فى رؤيتها للأزمة ؟**

فضيلة الإمـام :

معروف أن القمة العربية قد اجتمعت بالقاهرة مع بداية الأزمة وقد تحفظ بعض الملوك والرؤساء على إدانة العراق ولم يتفقوا على رأى موحد ، وكانت الإدانة بالأغلبية وقد خرجت هذه المظاهرات فى الدول التى تحفظت وهي ليست حجة أو دليلاً على عدم شرعية الدفاع ، فالحق واضح ومعروف .

مراسل الإذاعة الألمانية :

● **لو أن الحرب استمرت إلى رمضان فما المتوقع حدوثه ؟**

فضيلة الإمـام :

رمضان لا يمنع الحرب ، فمن الحروب ما وقع فى رمضان فى عهد النبى ﷺ .

● سؤال آخر : **وإذا امتدت الحرب إلى وقت الحج ؟**

فضيلة الإمـام :

من شروط وجوب الحج أمن الطريق ، فإذا لم يكن الطريق مأموناً وخاف الناس إذا سافروا لأداء الحج أن يتعرضوا بسبب الحرب لأي متاعب فالحج يتوقف .

● سؤال إضافي : **ألا يسبب ذلك إحراجاً للمملكة العربية السعودية ؟**

فضيلة الإمـام :

إن المملكة العربية السعودية فى حالة دفاع عن النفس ، ولا يسبب لها توقف الحج إذا حدث أي حرج ؛ لأنه كما قلت : من شروط الحج أمن الطريق ، والطريق فى حالة الحرب غير مأمون ، وهذا التجمع للحجاج فيه خطورة أثناء قيام الحرب ، لكن الأمل : أن يستجيب الرئيس صدام حسين للمجتمع الدولي لإقرار الجلاء عن الكويت ، وتتوقف الحرب ويحج الناس فى أمن وأمان .

مراسلة إذاعة لندن :

● ما رأيكم فى **بعض الدعاوى التى تطالب بسحب القوات المصرية التى ذهبت للدفاع عن السعودية حيث إن دورها الآن قد انتهى بعد اشتعال الحرب ؟**

فضيلة الإمـام :

إن القوات المصرية وغيرها من القوات الإسلامية وجدت للدفاع عن المملكة العربية السعودية ومازال سبب وجودها قائماً .

مراسل الأنباء الإسبانية :

● بعض الأحزاب **فى مصر لها موقف خاص ، وخاصة من جانب بعض المسلمين فما رأيكم ؟**

فضيلة الإمـام :

كما تفضلت هو رأي يخصهم وهل هذا الرأي منطقي أو صواب ، هذا ما يبدو أنه غير منطقي ؛ لأن هؤلاء يتناسون القضية الأساسية وهي احتلال العراق الكويت ... وإذا قلنا إن العراق يُدَمَّر الآن فمن الذى دعا إلى هذا .. وقد جاءت كل هذه القوات المتحالفة لإزالة عدوان العراق على الكويت بل ولتمنع امتداد عدوان العراق على باقي دول الخليج .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : **من هم أعداء الإسلام ؟ و هل لاتزال إسرائيل تشكل خطراً على العروبة والإسلام ؟**

فضيلة الإمـام :

لاتزال إسرائيل تحتل أرض الفلسطينيين.
وتعتدى عليهم .

**اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر
ومراسلى الصحف والإذاعات الأجنبية**

وتنتهك حرماتهم .

وهي بهذا الوصف قد ناصبت المسلمين والعرب جميعاً العداء .

مجلة الدعوة السعودية :

● ما انعكاسات الأزمة الحالية تجاه الإسلام والمسلمين ؟

فضيلة الإمـام :

إن الانعكاسات تتمثل فى فُرْقَة الصف ، واختلاف الكلمة ، والنزاع الذى اتسع بين المسئولين فى العالم الإسلامي وبين فئات الشعوب المسلمة بوجه عام فى وقت كان يرجى فيه أن تلتحم كلمة العرب والمسلمين .

مراسلة إذاعة لندن :

● ما حكم الدين فى تحطيم قوة العراق العسكرية ؟

فضيلة الإمـام :

إن الحكم ليس حكم الدين ، ولكنه حكم الأمر الواقع ، وإن فى انسحاب العراق من الكويت منع الذريعة لتحطيم قواته .

مجلة الدعوة السعودية :

● لقد ادان الأزهر فى بياناته هذا العدوان فما الأسس التى استند إليها ؟

فضيلة الإمـام :

إن عدوان الأخ على أخيه ، عدوان جار على جاره لتدمير بلاده وانتهاك أرضه وعرضه ، أليس هذا من الظلم ؟!

روى مسلم فى صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك .

قال : أرأيت إن قاتلنى ، قال : قَاتِلْهُ .

قال : أرأيت إن قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد .

قال : أرأيت إن قتلتُه ؟

قال : هو فى النار » .

أليس هذا إذناً من رسول الله ﷺ صاحب الشريعة فى أنه من واجب كل إنسان أن يدافع عن نفسه وعرضه وماله .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● **يقال : إن الأزهر موال لسياسات الحكومات المصرية المتعاقبة منذ حكومة عبد الناصر ، فالسادات ، ومبارك .**

هل هذا هو الدور المناسب للأزهر ؟

فضيلة الإمـام :

وهل المفترض أن يكون هناك خلاف أو اختلاف بين الأزهر وبين الحكومة إذا لم يكن هناك مبرر للخلاف ؟

هل المفروض أن يكون الأزهر معارضاً ومخالفاً دائماً ؟

أعتقد أن السؤال يجاب عنه من صاحب السؤال .

مندوبة الإذاعة الإسبانية :

● **يقول الباحثون بأن الحركات الإرهابية والتعصب ستزداد بعد الحرب ، فما تعليق فضيلتكم ؟**

فضيلة الإمـام :

الشعوب الإسلامية ليست شعوباً إرهابية ، فأما إذا قام فيها العنف ، فإنما هو للدفاع عن نفسها ، وأرضها ، ودينها ، والإسلام بتعاليمه يُحَرِّم الإرهاب والعدوان .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● **فى الإسلام : القاتل والمقتول فى النار ، فكيف تجيز دولة عربية مسلمة إشراك جنود مسلمين لقتال مسلمين ؟**

فضيلة الإمـام :

هذا إذا كان القتال فى مجال غير الدفاع عن النفس ، وكما ذكرت فى حديث رسول الله ﷺ عندما قال للرجل الذى جاء يسأله : إذا ما قاتله أحد .

فقال له : قاتله ، قال : فإن قتلنى ، قال : فأنت شهيد .

قال : فإن قتلته ؟

قال : هو فى النار .

والآن الموقف الذى نحن فيه القتال لماذا ؟ لإجلاء العراق عن الكويت .

مندوب الإذاعة الألمانية :

● **هل من الممكن قيام مصالحة بين مصر وإسرائيل أم من المتوقع قيام حرب بينهما ؟**

فضيلة الإمـام :

الصلح قائم وفق معاهدة كامب ديفيد ، وهذا أمر يترك لظروف الواقع ولا أستطيع التنبؤ به .

● **سؤال إضافي : وهل متوقع قيام حرب بين العراق ومصر ؟**

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر ومراسلى الصحف والإذاعات الأجنبية

فضيلة الإمـام :

لا توجد أسباب لقيام حرب بين العراق ومصر ، والقوات المصرية الموجودة فى السعودية إنما ذهبت للدفاع عن السعودية .

مندوب مجلة الدعوة السعودية :

● **هل قام العلماء بدورهم فى الوساطة لحل الأزمة ؟**

فضيلة الإمـام :

كُلٌّ قام بدوره : العلماء والسياسيون ، ولكن الأمر تَوَقَّفَ عند إصرار العراق على موقفه .

مندوب وكالة الأنباء الإسبانية :

● **لماذا تم إرسال قوات لتحرير الكويت فى حين لم ترسل مثل هذه القوات إلى فلسطين ، برغم مرور خمسين سنة على احتلالها ؟**

فضيلة الإمـام :

أعتقد أن القوات جاءت بناء على طلب أصحاب الشأن للدفاع عنهم ، وعن بلادهم ، ولكن فلسطين سلمت أو استسلمت لليهود فى ظل الاحتلال والانتداب الانجليزي عليها .

ومن ثم فهناك فرق بأن فلسطين أخذت وصفاً دولياً تحتاج معه مشكلاتها إلى جهات دولية ، أما الكويت فهى دولة مستقلة وعضو فى جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومنظمة الأمم المتحدة ، وقد اعتدى عليها العراق واحتلها عسكرياً وقامت الدول المتحالفة بالعمل على تحريرها عسكرياً تنفيذاً لميثاق الأمم المتحدة .

مندوبة إذاعة إسبانيا :

● **إن صدام حسين الذى أعلن الجهاد باسم الإسلام قد ارتكب افعالاً بعيدة عن الإسلام ، ويراه البعض بهذا السلوك غير مسلم ، فهل يستطيع العلماء تقرير هذا أو تكفيره ؟**

فضيلة الامـام :

لا سلطان لأحد فى أن يقرر هذا ، وإنما هو مسلم عاص لارتكابه كبيرة من الكبائر ، ولا يحكم عليه بغير هذا ، ولا يملك أحد إخراجه من الدين لأن الدين لله ، والنظام المسيحي ليس في الإسلام نظيره فلا توجد وأسطة بين الإنسان وبين الله ولا يملك أحد تكفيره إلا إذا ظهر منه ما يدل على خروجه على الإسلام كإنكاره لفرض من الفرائض كالصلاة أو الزكاة أو إنكار رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب ..

٢٠ من رجب ١٤١١ هـ	**حضر اللقاء وسجله**
٥ من فبراير ١٩٩١ م	أحمد عبد الخالق محمد المترجم بمكتب شيخ الأزهر

إعلان مكة المكرمة

إلى الأمة الإسلامية

الصادر عن العلماء والدعاة
٢٣ - ٢٥ جمادى الآخرة

الحمد لله الذى هدى عباده المؤمنين إلى اتقاء الفتن بالتضامن على دفعها حذراً من أن تصيب الجميع بسبب أناس ظلموا فلم يردعوا ، إذ قال جل شانه : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ « الانفال ٢٥ » .

والصلاة والسلام على من ودع امته - فى آخر سنى حياته - بقوله : « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » - رواه البخارى - سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد :

فإن علماء الإسلام مأمورون بتوضيح الحقائق وبذل الرأى الرشيد للأمة فى كل حين ، لا سيما إذا وقعت الفتن ، وكثر الهرج .

ولاشك أن الأمة اليوم تواجه فتناً يأخذ بعضها برقاب بعض ، فهى - لذلك - فى أشد الحاجة إلى التوجيه المهتدى ، والرأى السديد .

ونهوضا بأمانة العلم ، وشعورا بالمسئولية تجاه هذه المرحلة البالغة الحرج والأسى ، والمشحونة بنذر ومخاطر مروعة على حاضر الأمة ومستقبلها ، وتأكيدا لما قرره المؤتمر الإسلامى فى مكة المكرمة فى شهر صفر عام ١٤١١ هـ ، تنادى جمع غيور كريم من علماء الإسلام ودعاته إلى لقاء عاجل فى مكة المكرمة .

وفى الفترة من ٢٣ - ٢٥ جمادى الآخرة ١٤١١ هـ الموافق ٩ - ١١ يناير ١٩٩١ م انعقد اجتماع العلماء والدعاة بفضل الله وتوفيقه .

وفى جو يتخلله الإحساس بالخطر ، وتسوده روح المسئولية وتظله الرغبة الصادقة فى النصح .

وبعد تشاور عميق ، وتبادل بصير للرأى على مدى ثلاثة أيام ، أصدر اجتماع العلماء والدعاة فى مكة المكرمة ، البيان التالى :

إعــلان مكــة المكرمــة

الأمة الاسلامية والمرحلة المعاصرة

تجتاز الأمة الإسلامية اليوم مرحلة من أشق مراحل حياتها ، ومن أشدها كربا وبلاء على المسلمين في دينهم ودنياهم ، وأمنهم الخاص والعام ، وحياتهم الذاتية ، ووجودهم الدولى .

وإنما كان العدوان العراقى على الكويت هو مصدر هذا البلاء وسببه .. فمنذ أن وقع هذا العدوان ، والأمة الإسلامية تعيش حزنا عميقا وفتنة عامة لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة ، فإذا قيل انقضت تمادت .

وعلى الرغم من مرور ما يقرب من نصف عام على الغزو العراقى للكويت ، فإن النظام العراقى لم يصغ إلى صوت الحق ، ولم يستجب لنداءات الإخوة والجوار والرشد والمصلحة ، وهى نداءات جد كثيرة ، ومتوالية ، ومتعددة المستويات .

ومهما تمادى الظالم فى ظلمه ، فإن العلماء لا يجوز أن يملوا من التذكير والجهر بالحق ، ودحض الباطل : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ الزخرف ٥ .

لا تستقيم للظلم قائمة

ومن الحقائق المقررة : أن طول الزمن لا يمنح الباطل أحقية ، ولا الظلم شرعية .

وقد لاحظ المجتمعون أن النظام العراقى مرد على استغلال الإسلام ، وتبرير مظالمه به ، افتراء عليه .

وهذه خطيئة لا تطيق ضمائر العلماء والدعاة السكوت عليها إذ هى خطيئة تصور الإسلام على أنه دين يمالىء الظالمين ، ويقر الظلم فى حين أن دفع الظلم فى الأرض هو أحد المقاصد الكبرى للإسلام .

استغلال الإسلام مع عدم الالتزام به

ومن الوقائع العملية التى تدل على هذا الاستغلال الخبيث للإسلام ، المؤتمر الذى نظمه النظام العراقى فى بغداد وتحت شعار إسلامى ... فليس بخافٍ على ذى وعى وضمير ذلك التناقض القائم بين الإسلام والفكر المادى الذى هو قوام النظام العراقى .

ولايحل لأحد احتكار الإسلام أو منع الناس من الانعطاف نحوه بيد أن هناك فرقا واضحا وكبيرا بين الاتجاه الصادق نحو الإسلام وبين استغلال الإسلام ، فدليل الأول هو الاستجابة لله ولرسوله فى كل شيء .

أما الثاني فلا يتطلب أكثر من رفع الشعار الإسلامى ابتغاء تحقيق أهداف لا علاقة لها بالإسلام .

فإذا كانت القيادة العراقية مخلصة فى الأخذ بالإسلام ، وصادقة فى التجاوب مع المؤتمرات الإسلامية الشعبية التى تعقدها ، فإنه يتعين عليها أن تحترم تلك المؤتمرات وأن توفى لها بما وعدتها به من قبل .

منذ ثمانى سنوات خاطب الرئيس العراقى صدام حسين المؤتمر الإسلامى الشعبى الأول الذى انعقد فى بغداد فقال :

« إن الإيمان بمبادىء الحق والعدل والشعور بالمسئولية أمام المسلمين يفرضان علينا جميعا تلمس الحقيقة وصولا إلى الحل الموضوعي والمبدئي العادل من أجل السلام ، وإقامة علاقات طبيعية على أساس من مبادىء حسن الجوار ومبادىء الإسلام والمواثيق والأعراف الدولية .

أقول مسبقا : باننا نوافق على كل قرار تتخذونه في هذا المؤتمر، ومن الآن نعطي الموافقة من أعلى سلطة في الدولة مع الاعتذار لشعب العراق ولفقهاء القانون الدولي والعاملين في السياسة والقوانين ، إذ ربما ينتقدون صدام حسين، ويقولون كيف يجوز لرئيس دولة أن يعطي قرارا مسبقا بالموافقة على أمر لم يقرأه ولم يره ولم يعرفه . فأقول تعليقا على هذا : إن هذه الصفوة الخيرة التي جاءت من كل بطاح الأرض من المسلمين إذا ما اجتمعوا على رأي فهو الرأي الصواب ، وحتى لو كان لنا رأي آخر فلا نعتقد بأن رأينا هو أصوب من رأي هذه الجماعة » انتهى .

ولقد أصدر ذلك المؤتمر عددا من القرارات وجاء في القرار الثاني منها : « تحريم استعمال العنف واللجوء إلى القوة العسكرية في فض أي نزاع كان بين الدول الإسلامية ووجوب اللجوء إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - » انتهى .

انتهاك مبادىء الحق والعدل وحسن الجوار

ومما يدل على أن الإسلام يستغل ولايلتزم من قبل النظام العراقي أن هذه العهود والقرارات التي تعهد النظام العراقي بإنفاذها انتهكت كلها بلا استثناء .

فالنظام العراقي باحتلاله للكويت وتهديده لدول الخليج انتهك مبادىء الحق والعدل وحسن الجوار ، وانتهك المبادىء والمواثيق التي تحرم استعمال العنف واللجوء إلى القوة العسكرية في فض النزاع بين الدول الإسلامية .

فقد استعمل العنف وانتهك حق الجار ..

ولايزال النظام العراقي يوغل في استغلال الإسلام حتى صار هذا الاستغلال استهزاء بالإسلام ، واستخفافا بعقول أهله .

وإلا فأين الإسلام في ظل النظام العراقي ؟.. أين الإسلام في القضاء والمحاكم ، والتربية والتعليم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والثقافة والإعلام ؟

وأين الدعوة الإسلامية ؟

ألم يكبت النظام العراقي صوتها ، ويطارد دعاتها ويسجنهم ويقتلهم حتى أصبح التخفي بأمر الدعوة هو الظاهرة الغالبة تحت وطأة النظام العراقي .

وهذا كله دليل على أن هذا النظام يستغل الإسلام ولا يلتزمه .

والمجتمعون اليوم في مكة المكرمة يبدون عجبهم واستغرابهم واستنكارهم لموقف بعض المنتسبين إلى العلم والدعوة الذين يؤازرون النظام العراقي ويحضرون مؤتمراته بعد أن ظهر لهم أنه يتخذ الإسلام مطية فحسب .

ألا يتذكر هؤلاء المؤازرون للنظام العراقي ما فعل صدام حسين بإخواننا الأكراد من قتل وتشريد وإبادة ؟!

إعــلان مكــة المكرمــة

الا يتذكرون مافعله الرئيس صدام حسين برجال الدعوة الإسلامية داخل العراق قتلا وسجنا وتشريدا ولاتزال سجون العراق مملوءة بالدعاة والعلماء !!

الا يتذكرون أنه يحكم العراق بدستور اشتراكى علمانى !!

إننا نخوفهم من الوقوف بين يدى الله .. ونذكرهم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً . لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾ الفرقان [٢٧ ـ ٢٩] .

إن لإحسان الظن شروطا من أهمها : ألا يصدر عن المرء سلوك ينفى حسن الظن وقد صدر عن القيادة العراقية سلوك عدوانى تمثل فى احتلال دولة عربية مسلمة وتشريد أهلها وتخريب مؤسساتها رغم المعاهدات الإقليمية والعربية والدولية التى تربطه بجيرانه .

وتبين للعلماء المجتمعين فى مكة المكرمة بصورة أشد وضوحا ـ مع مرور الوقت ورصد النتائج ـ أنه ليس مصيبا من يتصور أن الكارثة التى أنزلها النظام العراقى بالأمة تنحصر فى الكويت والمملكة العربية السعودية وسائر دول الخليج .

عواقب العدوان العراقى

إن عواقب العدوان العراقى ومضاعفاته وآثاره تتعدى هذا النطاق لتمتد إلى الوطن العربى كله والعالم الإسلامى جميعا والإنسانية كافة .

فقد تعثرت اجتماعات جامعة الدول العربية بعد أن أحدث فيها الغزو العراقى للكويت انقساما حادا وفرقة عاتية .

وتأخر مؤتمر القمة الدورى لمنظمة المؤتمر الإسلامى عن موعده .

وتفشى القلق النفسى ، واضطرب الأمن ، وتكاثرت الخسائر الاقتصادية واعتل سوق النفط والمال وتضاعفت مآسى العالم الإسلامى بسبب ذلك ، وتناقص نشاط الدعوة إلى الله والأعمال الخيرية وتدفقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة بمعدلات أكبر وأسرع وصرف الوعى ـ بقوة الأزمة التى فجرها النظام العراقى ـ عن الانتفاضة المباركة فى الأرض المحتلة واشتد ظلم اليهود للفلسطينيين .

إن المجتمعين وهم يرصدون هذه الآثار المفزعة السيئة لينصحون كل مسلم بأن يجعل منها دليلا على الحكم بفساد سلوك النظام العراقى .

الهدف من إعلان مكة

إننا نهدف من إعلاننا هذا إلى إنقاذ الأمة من حرب مدمرة تهلك الحرث والنسل إذا اندلعت إلى ما شاء الله . وأن إرادة اتقاء الحرب تتطلب مواجهة صريحة وشجاعة مع التعنت العراقى الذى هو السبب الأساسى لهذه الحرب الخطيرة .

وكل حريص على إنقاذ الأمة من هذه الحرب يجب عليه أن يجاهد فى سبيل إزالة دواعيها وأهمها : رفض النظام العراقى سحب جيوشه الغازية من الكويت .

إن علماء الإسلام المجتمعين فى مكة المكرمة يشعرون بخطورة الموقف ، ويدركون الأهوال المروعة للكارثة إذا وقع زلزال الحرب وتفجر بركانها ، ويدركون أن الأمة مقبلة على مستقبل عظيم الخطر ما لم تأخذ حذرها ، وترفع درجة يقظتها وتأطر صدام حسين على الحق أطرا بعزله نفسيا وبمحاصرته فكريا وإعلاميا وبصك أذنيه ـ أبدا ـ بالكلمة الشجاعة وهى : اخرج ياصدام حسين من الكويت .

● اخرج الآن"وليس"غدا ..

اخرج ولا تكن"كأشقى ثمود الذى جر على قومه قومه بعمله شر مايجره"رجل على قومه .

● اخرج وكف عن دعوى تحرير فلسطين فليس يدافع عن فلسطين من يتذرع بمنطق مستعمريها فى الاحتلال والاستعمار والدعاوى التاريخية .

اخرج وإلا فإن أجيال الأمة الحاضرة والآتية تحملك ـ أنت وأعوانك ـ مسئولية كل قطرة دم تراق ، وتبعة كل بيت يهدم ، وجريرة خراب العراق وغير العراق .

وفى ضوء هذا المفهوم يتبدى الخطأ الجسيم فى موقف الذين يسايرون النظام العراقى ولا ينصحونه ، فهذه المسايرة تغريه بالإصرار على الموقف المتعنت ، وهذا الموقف هو البوابة الواسعة إلى جحيم الحرب .

توصيات المؤتمر وتأكيداته

ولقاء مكة اليوم إذ يجلى هذه الحقائق والوقائع ويضعها بين يدى العالم الإسلامى فإنه يختم إعلانه إلى الأمة الإسلامية بالتأكيد على مايلى :

(١) **ينبغى ان تتحد كلمة العلماء** والدعاة فى قضية مواجهة العدوان العراقى وإدانته ، فمن خصائص المؤمنين والدعاة إلى الله أنهم يقفون صفا واحدا لردع البغى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ « الشورى ٣٩ » .

(٢) **دعوة الذين ناصروا النظام العراقى فى ظلمه وبغيه أن يراجعوا أنفسهم ويتقوا الله فى عملهم** ويدركوا أن عملهم هذا محادة لله ولرسوله وتبرير لتمزق الأمة واختلافها ، وأن عليهم أن يعودوا للصف الإسلامى وينضموا إلى جماعة المسلمين فى الوقوف فى وجه صدام حسين وردعه عن الظلم والبغى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ « هود ١١٣ » .

إن الوقوف مع هذا النظام الظلوم دعم للظلم ، وتشجيع على الاستمرار فى الاعتداء على الكويت ، واضطهاد أهلها ، وتخريب مؤسساتها ، وإتلاف بيئتها ، وهو كذلك إغراء بالتعنت المفضى إلى الحرب .

والإغراء بالجريمة مشاركة فيها ، فالمؤيدون للقيادة العراقية يتحملون ـ من ثم ـ تبعة كبيرة من تبعات نشوب الحرب ، وما يتبع ذلك من خسائر فى الأنفس والثمرات .

(٣) **وعلماء المسلمين وهم ينادون بإنقاذ الأمة من حرب ضروس يدركون ان سبيل الإنقاذ الوحيد هو استجابة القيادة العراقية والتزامها الفورى والواضح لنداءات علماء الإسلام ودعاته وقرارات مؤتمر القمة العربى ووزراء خارجية الدول الإسلامية** ومجلس الأمن الداعية إلى انسحاب القوات العراقية من الكويت انسحابا كليا غير جزئى وناجزا من غير تسويف . كما يدركون أن إصرار

إعــلان مكــة المكرمــة

القيادة العراقية على احتلال الكويت هو الذي سيفجر حربا وخيمة العواقب تصرفنا عن مواجهة قضايانا الكبرى ، وخاصة قضية فلسطين .

(٤) إن اجتماع العلماء ، إذ يلحظ شذوذ القيادة العراقية وانحرافها عن مبادىء الأمة الإسلامية ومصالحها الحيوية ، فإنه يعرف ما للشعب العراقى من أصالة عربية وإسلامية ، ومن دور رائد فى خدمة الإسلام وحضارته عبر تاريخ طويل حافل بالعطاء العلمى والدفاع عن حصون الأمة ، كما يدرك المجتمعون أن هذا الشعب مغلوب على أمره ، وأن النظام العراقى قد مارس القسوة والبطش على هذا الشعب قبل أن يمارسها ضد غيره .

ومن هنا ، فإن نداء العلماء بضرورة إنقاذ الأمة من مهالك الحرب ، إنما تقف وراءه دوافع الحفاظ والحرص على أمن الشعب العراقى وسلامته ، كما تقف وراءه دوافع حماية الأمة كافة من قوارع ماحقة يدق طبولها النظام العراقى . والعلماء إذ يحرصون على مصالح الشعب العراقى ، فإنهم يدعونه إلى إعلان سخطه على قيادته الظالمة ، والتبرؤ منها .

(٥) يتوجه علماء الإسلام المجتمعون فى مكة المكرمة بنداء مخلص وأمين إلى الجيش العراقى يناشدونه فيه أن يعصى أوامر قيادته الضالة وألا يستجيب لخوض معركة يحارب فيها إخوانه المسلمين ، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « **إنما الطاعة فى المعروف** » .. رواه الشيخان

وليعلم الجيش العراقى أن من يقتل منهم فى هذه الحرب فهو خاسر متوعد بالنار ، لما فى « الصحيح » أن رجلا جاء إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : « يارسول الله أرأيت لو جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك ، قال : أرأيت إن قاتلنى ؟ قال : فقاتله ، قال : أرأيت إن قتلنى ؟ قال : فأنت شهيد .. قال : أرأيت إن قتلته ؟ قال : هو فى النار » .

(٦) إن اجتماع علماء الإسلام لاينى فى التنويه بقضية الإسلام الكبرى وهى القضية الفلسطينية ، ولا يفتأ يدعو إلى السعى الجاد فى سبيل نصرتها ودعمها حتى يتحرر القدس الشريف ويقيم الشعب الفلسطينى دولته على أرضه فى ظل تعاليم الإسلام وقيمه ، وأنه لينأى بها عن المتاجرة والمزايدة كما يفعل النظام العراقى وغيره من المتاجرين والمزايدين بالشعارات والقضايا المصيرية .

(٧) ينبغى أن تتسلح الأمة بالحذر التام من الحملات الإعلامية التى ينظمها النظام العراقى للتأثير الخبيث على الوعى الإسلامى فقد استخدم هذا النظام (الخداع الدعائى) فى صناعة الشعارات وترويجها ومن ذلك : دعوته للجهاد ضد القوات الأجنبية ، ودعواه فى تحرير فلسطين ، وفريته فى إنقاذ الأماكن المقدسة .

وهذا كله خداع وإفك مفترى .

فالنظام العراقى يحمل راية جاهلية عمية ، والجهاد لا يحل تحت هذه الراية ، إذ الميتة تحتها إنما هى ميتة جاهلية ، وليس مسلما صادق الإيمان رشيد العقل من يعيش مسلما ليموت جاهليا .

والنظام العراقى هو السبب المباشر فى مجىء القوات الأجنبية باحتلاله للكويت وتهديده لأمن المملكة العربية السعودية وغيرها من دول الخليج .

ومن حق المعتدى عليهم ، والمهددين بالعدوان أن يباشروا الأسباب التى تدفع عنهم العدوان .

والنظام العراقى آخر من يتحدث عن تحرير فلسطين لأن هذا التحرير يتطلب إيمانا صادقا بالله ووحدة قوية تنتظم الأمة كلها ، وتوجيها رشيدا للطاقات والإمكانات وخروجا من الكويت وردا للمظالم .

وقد استدبر هذا النظام ذلك كله ، فقد لبث دهرا يقوض دعائم الإيمان بالله فى النفوس من خلال فكره المادى ، ونزعته الإلحادية ، ومناهضته قيم الإيمان فى التربية والحياة العامة .. وها هو بعدوانه وظلمه يمزق وحدة الأمة ويهدر طاقاتها .

والمسلمون جميعا يعلمون أن الأماكن المقدسة آمنة مصونة وفى أيد أمينة تعرف مكانتها وشرفها وتفديها بخير ما تفدى به الأمور العظيمة .

ولذا يجب الانتباه إلى التلاعب الدعائى الذى يصدر عن النظام العراقى فمهما تزين صوت الباطل فإنه لا يخرج عن دائرة البطلان : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ « المنافقون ٤ » .

(٨) يدعو العلماء حكومات العالم الإسلامى وشعوبه وأقلياته وجالياته وجماعاته إلى الاعتبار العميق بما حدث وجعل هذا الاعتبار سببا إلى العودة الصادقة إلى الله تعالى وإلى التمسك الجاد والبصير بكتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ « الأنفال ٢٤ ـ ٢٩ » .

(٩) يتوجه اجتماع العلماء فى مكة المكرمة بالشكر الجم والتقدير العميق للمملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لتمكين العلماء والدعاة من التشاور والتحاور فوق أرضها بل فى أقدس بقعة فى أرضها وفى العالم كله وهى مكة المكرمة ، كما يشكرها على موقفها المبدئى والثابت والحازم تجاه العدوان وعلى احتضانها النبيل للشعب الكويتى فى محنته المباغتة .

(١٠) كما يتوجهون بالشكر إلى جميع الدول والهيئات والشعوب الذين وقفوا مع الحق فى وجه الباطل وأدانوا غزو العراق للكويت وتهديده لأمن المملكة ووقفوا مع المملكة العربية السعودية فى الدفاع عن أمنها ومقدساتها سواء أكان ذلك عن طريق اتخاذ القرارات والمواقف فى المحافل الدولية والمؤتمرات أم عن طريق إرسال القوات المساندة لقوات المملكة العربية السعودية لمنع صدام حسين من الاستمرار فى عدوانه وبغيه ، فإن ذلك من أوجب الواجبات دفعا للظلم وحماية للأنفس والأعراض والأموال تنفيذا لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ « الأنفال ٦٠ » .

نسأل الله أن يجنب أمتنا كل فتنة وشر وأن يوفق قادتها للاحتكام إلى شرعه ، وأن يخذل الظالمين ، ويجعل كيدهم فى نحورهم ويجعل دائرة السوء عليهم إنه سميع قريب .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

لا هَمَّ عند

يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام

للدكتور السيد الجميلى

☐ قال تعالى ـ فى شان يوسف ـ عليه السلام :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ يوسف ٢٤ .

أكْثَرَ الناس الكلام فى هذه القضية من قديم ، ولا يزال البعض مشغولاً بالتاويل فيها لما عرف عن المسلمين من الحرص على نزاهة النبوة وطهارتها وعصمتها .

والحق ان سلفنا الصالح من علمائنا الكرام ـ رحمهم الله ـ لم يتركوا للأواخر شيئاً ، فقد اماطوا اللثام عن دقائق ولطائف لا يصل إليها إلا ذوو البصيرة الثاقبة والرؤية النافذة .

يقول الإمام الفخر الرازى ـ فى الآية :

(المقام الأول) أن نقول : لا نسلم أن يوسف عليه السلام هَمَّ بها والدليل عليه : أنه تعالى قال : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾

وجواب لولاها هنا مقدم ، وهوكما يقال : قد كنت من الهالكين لولا أن فلانا خلصك .

وطعن الزجاج فى هذا الجواب من وجهين :

الأول : أن تقديم جواب (لولا) شاذ وهو غير موجود فى الكلام الفصيح .

الثانى : أن (لولا) يجاب جوابها باللام ، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال : ولقد همت ولَهَمَّ بها لولا ..

واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد ؛ لأنا نُسلم أن تأخير جواب (لولا) حسن جائز ، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب ، وكيف ونقل عن سيبويه أنه قال : إنهم يقدمون الأهم فالأهم ، والذى هم بشأنه أَعْنَى ، فكان الأمر فى جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام .

وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة .

وأيضاً ذكر جواب (لولا) باللام جائز ، أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز .

ثم إنا نذكر آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج فى هذين السؤالين وهو قوله تعالى : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ القصص - ١٠ -

... ثم نقول : إن الذى يدل على أن جواب (لولا) ما ذكرناه أن (لولا) تستدعى جواباً وهذا المذكور [يريد : هَمَّ بها] يصلح جوابا له ، فوجب الحكم بكونه جواباً له .

لا يقال : إنا نضمر له جواباً ، وترك الجواب كثير فى القرآن ..!

لأنا نقول : لا نزاع أنه كثير فى القرآن إلا أن الأصل الا يكون محذوفاً .. وأيضاً فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل فى اللفظ ما يدل على تعيينه ، وهاهنا - بتقدير أن يكون الجواب محذوفاً - فليس فى اللفظ ما يدل على تعينُّ ذلك الجواب ؛ فإن هاهنا أنواعاً من (الإضمارات) يحسن إضمار كل واحد منها وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقى فظهر الفرق - والله أعلم .

ويقول القرطبى فى تفسيره الشهير « الجامع لأحكام القرآن » فى هذه الآية .

« قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبى عبيدة فلما أتيت على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية قال أبو عبيدة : هذا على التقديم والتأخير ، كأنه أراد ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها » أهـ .

ولكن البيضاوى يقول بصدد ذلك : ولا يجوز أن يجعل (وهمَّ) جواب لولا فإنها فى حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها ، بل الجواب محذوف يدل عليه » أهـ .

هذا ، وما يقوله البيضاوى - رحمه الله - لا يمنع أن يكون المقدم دليلا على الجواب إذا سايرنا القول بعدم تقدم جواب الشرط .

فأما شيخ المفسرين الإمام الطبرى فيقول : بعد أن سرد جميع الأقوال والأخبار والآثار التى تنوقلت حول هذه القضية .

وقال آخرون منهم معنى الكلام ، ولقد همت به فتناهى الخبر عنها ، ثم ابتدىء الخبر عن يوسف . فقيل : وَهَمَّ بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن يوسف ولم يَهُمَّ بها ، وأن الله إنما أَخْبَرَ أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهم بها ، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها كما قيل : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

ويفسر هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها[1] أهـ .

ويقول الإمام الزركشى فى كتابه القيم (البرهان فى علوم القرآن) بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط . دار المعرفة (٣٧٧/٤) ط . ثانية سنة ١٩٧٢ م :

« وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ لهم بها ، لكنه امتنع همه

(١) سبق تعليقنا على هذا القول ، وانظر ختام المقال ..

♦ لاهم عند يوسف على نبينا
وعليه افضل الصلاة والسلام

لوجود رؤية برهان ربه ، فلم يحصل منه همٌّ البتة ، كقولك لولا زيدٌ لأكرمتك ، المعنى أن الإكرام ممتنع لوجود زيد ، وبه يتخلص من الإشكال » أ هـ .

ويقول العلامة الزمخشرى فى تفسيره :

« فإن قلت لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه همَّ بها ، وهلَّا جعلته هو الجواب مقدماً ؟

قلت : لأن (لولا) لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه فى حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام » أ هـ .

ثم يقول : وأما حذف بعضها إذا دل عليه الدليل فجائز . أ هـ .

نخلص من ذلك إلى :

ان القول بعدم تقدم جواب (لولا) ليس محل إجماع ، بل إن الكوفيين يرون عموماً أن الأصل فى الجزاء أى (الجواب) أن يكون مقدماً(٢) فالمتقدم هنا أعنى به (وهَمَّ بها) إن لم يكن الجواب فهو دليل عليه . ويعنى ذلك أن الهَمَّ منه ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لم يقع البتة ، فإن جواب (لولا) ممتنع الوقوع .. والله أعلم .

(٢) انظر لابن الأنبارى بالإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين ٢/٣٢٨ ط السعادة بمصر طبعة ٣ ١٣٧٤هـ /١٩٥٥ م

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة بأحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حى الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات راساً إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

●●●

□ بسعر:(٦٠) ستين قرشا للنسخة الواحدة داخل جمهورية مصر العربية السعر لاثنتى عشرة نسخة فى العام (٧٢٠) سبعمائة وعشرون قرشا

□ السعر فى دول اتحاد البريد العربى للسنة (٥٢) دولار او ما يعادلها .

□ السعر فى باقى دول العالم (١٠٠) مائة دولار أو ما يعادلها للسنة

قبس من أنوار النبوة

رضا الله - وسخط الناس

للشيخ: على حامد عبد الرحيم

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:
« مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِي رِضَا النَّاسِ سَخطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عليه مَنْ أَرْضَاه فِي سَخَطِه ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .. وأَرْضَى عنه مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ حَتَّىٰ يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فى عَيْنَيهِ » - رواه الطبرانى -

شأن المؤمن الصادق فى إيمانه ، المخلص لربه فى كل ما يفعل وما يترك ، أن يأتمر بأوامر الله سبحانه ، وينتهى عن نواهيه ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، لا يمارى فى الحق ولا يحيد عنه التماسا لرضا أحد ، أو مجاملة لصديق أو لقريب ، فهو غنى بالله عن خلقه ، عزيز بجاهه ، قوى بسلطانه ، يمضى - على الحق - لا يمارى فيه ، ولو غضب الناس جميعاً ، ذلك أن كل مخلوق يجب أن يقر الحق حتى يستقيم العدل ، وليكن شعار المؤمن : أن الحق هو الثابت فى النهاية ، ثم إلى الله المصير.

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

والمؤمن الذى لا يبالى بإسخاط الناس فى سبيل ارضاء الله تبارك وتعالى ، لا يبلغ هذه الدرجة من الإيمان واليقين إلا بعد أن يروض نفسه على الصبر والمجاهدة واحتمال المكاره ،

قبس من أنوار النبوة

وذلك إنما يكون بالتزام حدود الله ، وأداء فرائض الله والتقرب إليه بصالح الأعمال ، والاجتهاد والإكثار من النوافل بعزيمة قوية ونفس راضية زكية ، تثبت على الحق فلا تميل مع الأهواء حيث يميل الناس ، ومادام المؤمن على هذه الحال ، فهو بلاشك يشعر بمعية الله سبحانه ، ورعايته له ، حيث يقول سبحانه فى الحديث القدسى الذى أخرجه البخارى قال - بسنده - إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله - عز وجل - قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » ومادام فى الأمة من يخاف الله وحده لا شريك له ، ويمضى على الحق دون مبالاة بأحد فليتوقع سخط أكثر الناس ، فإن أكثر الخلق أميل إلى الهوى والشهوات وأقرب إلى الحيف واستمراء ابتلاع الحقوق ، لذا حث الإسلام على الشهادة بالحق وتوعد على الزور ، ولا سبيل إلى رد الحقوق لأهلها إلا بأولئك القوم الذين يثبتون على الحق ويضحون فى سبيله ومواقف « الرجال » فى الحق عزيزة ، ولكنها - على طول التاريخ - مصباح الإنسانية الهادى ، فأما الساخطون من الحق الذين يرون فيه انتقاصاً لمكاسبهم فقد تولى - عز وجل - استبصارهم وهداهم حتى يقروا به ويرضون عنه وتميل قلوبهم حبا لمن سخطوا عليهم من أهل الحق .

وهناك نوع من الناس يؤثر هوى العباد إرضاء لهم ، وحبا فيما عندهم لاسيما إذا كانوا من وجوه الناس أو مرضاة للأصدقاء ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ ٦٢ - التوبة . هذا الصنف أسخط الله فى سبيل إرضاء الناس ، رغبة فى تحصيل منفعة موهومة ورهبة من ضرر متخيل ، هؤلاء هم الذين نسوا الله ، وأهملوا جانبه ، فاستحلوا غضب الله وعقابه .

أولئك يبدل الله أمنهم خوفا ، ويأتيهم من حيث لم يحتسبوا ، فتتحول مودتهم فيما بينهم عداوة ورضاهم سخطاً ، فإذا هم قد خسروا أنفسهم ، وهانوا على العباد ، فلا دنيا أصابوا ، ولا دينا أقاموا ، ولا جاها اكتسبوا .

كتب معاوية - رضى الله عنه - إلى أم المؤمنين - عائشة رضى الله عنها - : أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى ، فكتبت عائشة - رضى الله عنها - إلى معاوية تقول فيما رواه ابن حبان :

« من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس - والسلام - »

ودخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك - فقال ياأمير المؤمنين : « إنى مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته ، فقال ياأعرابى : إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ، ولا نأمن غشه ، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه .

فقال الأعرابى : إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وباعوا دنياهم بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ، ولم يخافوا

الله فيك ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لم يألوا فى الأمانة تضييعا ، وفى الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عبنًا من باع آخرته بدنيا غيره .. » .

وحين تكون المقابلة والاختيار بين رضا الله بسخط الناس ، وبين رضا الناس بسخط الله ، فإنها تكون صفقة رابحة لمن يختار رضا الله ولو سخط الناس جميعاً ، ودون ذلك الصفقة الخاسرة .

فمن تعرض بسوء فعله حين يلتمس رضا أحد من أصحاب الجاه أو ذوى القربى بسخط الله ، فيجاريه فى باطل ، أو يؤدى له شهادة زور ، أو يشاركه فيما يقترفه من إثم ، وما يرتكبه من منكر ، طمعاً فى جاهه أو ماله ، أو مجاملة له أو استحياء منه ، فإنه بذلك يكون قد قطع صلته بالله ، وباع نفسه لإنسان مثله ، وهو - إن أعطاه - يمن عليه ، ويستذل كرامته ، وإذا حرمه فقد خسر نفسه وخسر ما كان يطمع فيه من أعراض الدنيا الزائلة ويتجرع فوق ذلك كأس الذل جزاء وفاقا ، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ « الصف ٥ »

ومن استجلب رضا الله بطاعته ، وموافقة شريعته - غير عابىء بسخط الناس وغضبهم رضى الله عنه ، وأرضى عنه من أسخطه فى رضاه ، ذلك أن الله - وحده - مقلب القلوب ، وقلوب العباد بين يديه يقلبها كيف يشاء نسأله - سبحانه - أن يجعلنا ممن يخشونه ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه .

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ « النور ٥٢ » .

نظرات في

الفقه الأباضي

نبذة عن المذهب ورجالاته

لفضيلة الشيخ
محمد حسام الدين

يكره الأباضيون أن ينسبوا إلى فرقة الخوارج أو مذهبها .

والحقيقة أنهم ينتمون إلى الطائفة التي فارقت على بن أبي طالب - رضي الله عنه - وخرجت عليه إثر واقعة التحكيم في معركة « صفين » ثم نزلت أرض حروراء بالقرب من الكوفة ، وتولى أمرها عبد الله بن وهب الراسبي ، وجعل موعده - مع من خرج معه - مَحَلَّةَ « النهروان » فاجتمعوا فيها ، واستقروا بها ، وهي محلة بالقرب من سامراء شمالي بغداد الآن .

ثم جرت بينهم وبين على « رضي الله عنه » وقائع شديدة مشهورة في التاريخ الإسلامي ، وكذلك جرت وقائع بين مَنْ وَلِيَهُم مِنْ فِرَقِ الخوارج وبين الخلفاء من بعده ، وكان لهم في تاريخ الفتن ذِكْرٌ طويل .

وقد ظل أصحاب عبد الله بن وهب على جماعتهم حتى خالفهم نافع بن الأزرق ومن معه ، فافترقت الجماعة ، ثم كثر التمزق والشتات بينهما حتى بلغت ست عشرة فرقة . كانت الأباضية إحداها .

لكن الأباضية ترى أنها على الأصل مع عبد الله بن وهب الراسبي - بإمامة عبد الله بن أباض من تيم اللات ، رهط الأحنف بن قيس[1] .

---

(١) « الكشف والبيان » - للشيخ محمد بن سعيد الأزدي القلهاتي . جـ ٢ ص ٢٣٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ .

يقول القلهاتى[٢] : « الفرقة الأولى وهى الوهبية ، وهم المنسوبون إلى عبد الله بن وهب الراسبى الأزدى ، وهو أول أمام عقدوه[٣] بعد على بن أبى طالب ، وكذلك الأباضية إمامهم عبد الله بن أباض من تيم اللات ، ورهط الأحنف بن قيس ، وهما فرقة واحدة ، وهى الفرقة المحقة »[٤] اهـ .

والأباضية يسمون أنفسهم « أهل الاستقامة » ويرون أنهم هم الفرقة الوحيدة الناجية من بين الفرق التى نَجَمَتْ عن المجموعة التى خرجت مع عبد الله بن وهب الراسبى .
ويطلقون على من عداهم من فرق هذه الطائفة : « فرق الخوارج » ويبراون منهم ، وينكرون عليهم مذاهبهم .

يقول القلهاتى : (وجميع أصناف الخوارج - غير أهل الاستقامة - اجتمعوا على تشريك أهل القبلة ، وَسَبْىِ ذراريهم ، وغنيمة أموالهم ، ومنهم من يستحل قتل السريرة والعلانية ، واعتراض الناس بالسيف على غير دعوة ، وهم مختلفون فيما بينهم بقتل بعضهم بعضا ، ويغنم بعضهم مال بعض ، ويَبْرَأ بعضهم من بعض .... »[٥] ..

ثم يقول تعريفا بفرقة أهل الاستقامة : (وهى الفرقة المحقة التى هى على الكتاب والسنة والإجماع . وهى الأباضية ، لمكان إمام المسلمين عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة - رحمه الله - ورهط الأحنف بن قيس التميمي ، وهو الذى فارق جميع الفرق الضالة عن الحق من المعتزلة والقدرية والصفاتية ، والجهمية ، والخوارج ، والروافض ، والشيع .... .. نشأ فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان ... ... ورفع المذهب عن عبد الله بن عباس ، وأبى الشعثاء : جابر بن زيد ، ونقل عن أهل النهروان والنخيلة ، وعن التابعين من أهل : (صفين) و (الجمل) وعن الصحابة مثل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ...[٦] » ..

وعلى هذا : فالأباضية ينتمون إلى عبد الله بن أباض : إمامهم « وأميرهم » بعد عبد الله بن وهب الراسبى .
لكن مرجعهم فى الفقه والعلم هو جابر بن زيد الجوفى الأزدى الملقب بأبى الشعثاء . وهو من فقهاء التابعين ومن رواة الحديث فى ذلك العهد[٧] .

ولد فى عمان عام ٢٢ من الهجرة النبوية ، ثم رحل إلى العراق ، فأقام بالبصرة ، وكانت فى ذلك الحين معسكر أهل عمان الذين يخرجون للجهاد ، أو لطلب العلم ، وتلقى العلم عن عدد من الصحابة منهم خزيمة بن ثابت ، وعمار بن ياسر ، وبلال و صهيب ، وحذيفة ، وأبو ذر ،

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى ، من علماء الأباضية البارزين فى أوائل القرن الرابع الهجرى : العاشر الميلادى - تراجع مقدمة الدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف - ص ٨ جـ ١ ، من كتاب « الكشف والبيان » نشر وزارة التراث القومى بسلطنة عمان .
(٣) هذه هى عبارة النص وربما كان المقصود « عقدوا له لما » .
(٤) الكشف والبيان جـ ٢ ص ٤٢٣ .
(٥) المرجع السابق ص ٤٢٣ .
(٦) الكشف والبيان جـ ٢ ص ٤٧١ .
(٧) « إزالة الوعثاء عن أبى الشعثاء » للسيابى - وزارة التراث القومى عمان - ص ١٤ نقلا عن ياقوت الحموى .

نظرات في الفقه الأباضى

وجابر بن عبد الله الأنصارى ، وأنس بن مالك ؛ وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى ، وابن عباس « رضى الله عنهم » .

كما روى عن عائشة « رضى الله عنها » وقال : أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم .

وقد طالت صحبته لابن عباس ، وتلقى عنه الكثير ، واشتهر بالتقوى والفقه ، والفتيا وسعة العلم .

أخذ عنه . قتادة ، وعمر بن دينار ، وأيوب وخلق آخرون منهم تلاميذه من فقهاء المذهب .

هذا هو إمام المذهب الأباضى : فقها ، وعلما ، ورواية ، وقد توفى فى عام ٩٣ من الهجرة . وقد تلقى عنه من الأباضية : أبو عبيدة مسلم بن كريمة التميمى ، وهو من أشهر أصحابه ، وضمام بن السائب . وأبو نوح ، وحيان الأعرج ، وهؤلاء يمثلون الطبقة الأولى من طبقات فقهاء هذه الجماعة من رجالات القرن الثانى الهجرى . ثم وليهم بعد ذلك طبقات من الفقهاء .

وكان ممن تبوأوا مركز الصدارة فى الفقه والفتوى من رجال المذهب أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمي البصرى ـ الذى ذكرناه آنفا ـ .

تلقى العلم والرواية عن جابر بن زيد ، وروى عنه المسند الذى تعتمده الأباضية فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتولى الإمامة فى مذهبه بعد جابر بن زيد ، وتوفى فى ولاية أبى جعفر المنصور سنة ١٥٨هـ ومنهم أبو الخطاب المعافرى ، إمام الأباضية بأرض المغرب ، وكان قد جاء من اليمن إلى البصرة طالبا للعلم ، فوافق حضور أربعة من أهل المغرب ـ « الجزء الغربى من الخلافة الإسلامية » : ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ـ فنصبه أبو عبيدة إماما لهم ، فرحل معهم إلى بلادهم وأقام بينهم مجتهدا لإقامة دولة أباضية ، إلى أن استشهد مقاتلًا فى منتصف القرن الثانى الهجرى(٨) فَوَلِىَ الإمامة عبد الرحمن بن رستم الذى تمكن من تأسيس الدولة الرستمية الأباضية عام ١٦٢هـ فعمرت هذه الدولة نحوا من ثلاثين ومائة عام ، ثم قضى عليها الفاطميون عام ٢٩٧ من الهجرة(٩) ..

ومن الفقهاء عبد الله بن يحيى الكندى ـ من كِنْدَةَ فى عُمَان ـ وقد نَصَّبَه أبو عبيدة فى أواخر عهد دولة بنى أمية إماما على أهل عُمَان ، فأقام الإمامة الأباضية فى اليمن وحَضْرَمَوْت ، وعُمان ، إلا أن العباسيين عاجلوه فقضوا على إمامته فى سنة ١٣٤هـ .

ثم اجتمع شمل أبناء هذا المذهب وأخذوا يتحينون الفرصة لإقامة الإمامة الأباضية من جديد ، واستطاعوا إقامتها للمرة الثانية فى عام ١٧٧هـ فى عمان فاستقرت بها حتى الآن .

ومن الواضح أن هؤلاء الأئمة كانوا من الفقهاء ، والعلماء فقد كان الأباضية لا يولون الإمامة العامة إلا إماما فى الدين .

---

(٨) المرجع السابق ، ومقدمة شرح الجامع الصحيح للربيع بن حبيب إصدار عمان ، ص ٨ .
وكتاب « الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين » لحميد بن محمد بن رزيق ص ١٢٩ .

(٩) راجع فى هذا مقدمة شرح مسند الربيع بن حبيب من كتابة العلامة عبد الله بن حميد السالمى (١٢٨٦ ـ ١٣٣٢هـ) ثم مقدمة مقدمة (الجامع لابن جعفر) للأستاذ عبد المنعم عامر ومرجعه « البدر الشماخى » فى كتابه « السير » ..

ويأتى فى هذه الطبقة الإمام : مُنَيِّر بن النَّيِّر الجعلانى ـ وهو فى الأصل من حضرموت ، حملَ العلم من البصرة إلى عمان ، وَعُمِّر طويلا حتى بلغ مائةً وعشرَ سنوات ، ومات سنة ٢٨٠ من الهجرة .

ومنهم : أبو المنذر بشير بن المنذر النزوانى العمانى . وهو الذى شاع عليه اسم : « الشيخ » ثم لقب « بالشيخ الكبير » وكان من علماء القرن الثالث الهجرى فى عمان ، ولا تزال فتياه ذات أثر فيها حتى الآن(١٠) .

ويأتى مع هؤلاء ، ومن بعدهم عدد وافر من أهل الرواية والفقه ممن ينتفع بتراثهم اليوم : منهم : الإمام الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدى الفراهيدى ، وهو فقيه مشهور عاش بالقرن الثانى الهجرى ، وصحب أبا عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، وروى عنه المسند عن جابر بن زيد .

هذا المسند الذى يعتمد عليه الأباضية أساسا فى الفقه والعقائد ، ويتميز بأنه يقتصر على ما روى عن الصحابة قبل الفتنة ، ولا يروى عمن تبرأ منه الأباضية مِمَّنْ أَلَمَّتْ به الفتنة من الصحابة « رضوان الله عليهم » .

ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدرانى الورجلانى المتوفى سنة ٥٧٠هـ .

وهو من وَرْجَلان ـ واد ـ بأرض المغرب ـ وقد فسر القرآن الكريم تفسيراً جامعا ، وله فى أصول الفقه « العدل والانصاف فى معرفة أصول الفقه والاختلاف » نشرته وزارة الثقافة العمانية .

وقد رتب مسند الربيع ـ الذى أومأنا إليه آنفا ـ عن أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، عن جابر بن زيد .

رتبه على الأبواب . وكان مشوشا ، وضم إليه روايات أخرى للربيع وغيره ، وشرح أسماء رجال المسند .

ويأتى بعد هؤلاء من أصحاب التراث الباقى حتى الآن الشيـخ محمد بن عبـد الله بن محمد بن بركة السليمى ـ الشهير بابن بركة صاحب كتاب « الجامع » ، والشيخ أبو جابر محمد بن جعفر الأزكوى ـ الشهير بابن جعفر ـ صاحب كتاب « الجامع » ، والشيخ أبو الحسن على بن محمد بن على البسيوى ـ الشهير بالبسيوى صاحب كتاب « الجامع » .

وقد تعارف علماء الأباضية على أن كلمة « الجامع » هنا تعنى أن الكتاب يجمع بين أبواب العقائد ، وأبواب الفقه ، والزهد ، والرقاق .

ومنهم الشيخ محمد بن شامس البطاشى صاحب كتاب : « غاية المأمول فى علم الفروع والأصول » .

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم صاحب كتاب « بيان الشرع » والشيخ أحمد بن عبد الله بن موسى الكندى صاحب كتاب « المصنف » .

ومنهم البدر الشماخى ، صاحب كتاب « السير » وكتاب « العدل والإنصاف » فى علم الأصول .

وأمثال هؤلاء ممن أثروا الدراسات الإسلامية بما صنفوه من كتب قَيِّمَةٍ ذات قيمة كبيرة(١١) .

وأن من أشهر علماء الأباضية المعاصرين

(١٠) وردت أخبار هؤلاء الأئمة فيما كتبه : البدر الشماخى فى كتاب « السير » وارجع فى هذا إلى كتاب : « إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء » للشيخ سالم بن حمود السيابى ـ إصدار وزارة الثقافة فى عمان ـ وإلى مقدمة « مسند الربيع بن حبيب » للعلامة نور الدين السالمى .

(١١) مما يؤسف له أن الكُتَّاب القدامى الذين تحدثوا عن هؤلاء الفقهاء أغفلوا ذكر تاريخ وفياتهم ، وكانت هذه عادة فيهم .

نظرات فى الفقه الأباضى

الشيخ نور الدين أبو محمد بن حميد بن خميس السالمى « ١٢٨٦ ـ ١٣٣٢هـ » وقد عرف بالفقه العميق والعلم الواسع والتآليف الكثيرة القيمة، يأتى فى مقدمتها شرح مسند الربيع بن حبيب، وكتاب « شرح طلعة الشمس » وهو من أعظم كتب الأصول، وأوفاها . وكتاب « بهجة الأنوار » شرح متن « انوار العقول » وقد شرح فيها عقائد مذهبه فى اعتدال يشكر عليه .

وكان من سمت هذا الشيخ أنه يستند فى كتاباته الفقهية إلى آراء الحنفية، والمالكية والشافعية والحنابلة دون تَحَامُل، ويستشهد بـروايـات الشيخـين وأصحـاب السنن، والدارقطنى والطبرانى والبيهقى دون ما شعور بالحرج .

وهذه ميزة واضحة لدى كثير من فقهاء هذا المذهب .

وللشيخ السالمى موقف إسلامى مشهور، فبالرغم من انه كان ضريراً مكفوف البصر، إلا أنه قاوم الحماية البريطانية، وتحمل فى سبيل ذلك السجن والنفى عن موطنه . ولم يكف عن المقاومة حتى توفى وانتهى أمر بريطانيا إلى الجلاء عن عمان .

ومن هؤلاء الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثمينى المتوفى سنة ١٢٢٣هـ صاحب كتاب « النيل وشفاء العليل » وقد شرحه الشيخ محمد بن يوسف أَطْفِيش المتوفى سنة ١٣٣٢هـ عن عمر يناهز ستا وتسعين عاما وهذا الكتاب يجمع فقه المذهب الأباضى، وعقائده فى اعتدال .

هذا : وقد اخترنا أن ننظر فى الفقه الأباضى بحثا عن آراء هذا المذهب التى تفرد بها عن غيره من مذاهب الفقه، ومحاولة منا لفهم أصوله واتجاهاته، كشفا لأسباب الوفاق والائتلاف بين المسلمين، وشغفا بالفقه الإسلامى وما يحتوى من فكر عميق .

وانصرفنا عن عرض مناحى الرأى فى الجانب العقدى لهذا المذهب، ذلك أن شقة الخلاف واسعة بين آرائه، وآراء مذاهب أهل السنة فى هذا الجانب، ويكفى أن نشير إلى ما كتبه الشيخ محمد بن سعيد الأزدى القلهاتى من علماء القرن الرابع الهجرى عن أهل السنة وقد حمل عليهم حملة شديدة فى كتابه : « الكشف والبيان » وسَمَّاهُم « بالصفاتية » وقال فيهم : « وسموا انفسهم سلفية وخلفية ممن تسمى بالسنة والجماعة، وقد سماهم اهل الاستقامة[١٢] « أهل الفُرْقَةِ، وأهل الفتنة » ثم عاب عليهم كثيراً من آرائهم .. وقال : « فهذا يدل على خطأ الحشوية ومَنْ تَسَمَّى بالسنة والجماعة من المشبهة الغَوِيَّة[١٣] » .

وإذا كان من الثوابت أن النظرات الفقهية العملية مرتبطة بالنظرات العقدية فى المذهب ـ أى مذهب .

إلا أننا نلحظ ظاهرة واضحة فى كتابة فقهاء المذهب الأباضى، وهى أن الآراء الفقهية لدى الطبقة المتقدمة، وكذلك لدى الطبقة المعاصرة ـ منهم تتسم بالسعة والاعتدال .

من أجل هذا آثرنا أن ننظر فى آراء الفقه الأباضى .

والله ولى التوفيق ..

(١٢) يقصد « الاباضية » .

(١٣) الكشف والبيان ـ للقلهاتى ـ تحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف ـ إصدار وزارة التراث القومى ـ سلطنة عمان ـ جـ ٢ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ..

حول توريث البنات

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد مصطفى شلبى

تتبعت - أولاً - اقتراحاً يطلب إلى الدولة أن تأخذ بمذهب الشيعة الإمامية فى ميراث البنت حيث سوى هذا المذهب بينها وبين الابن فى أنها تحجب كل من يحجبهم الابن لتبقى التركة فى أقارب الدرجة الأولى، ولا تخرج إلى الأقارب من غير هذه الدرجة، ووصف صاحب الاقتراح ذلك الاتجاه بأنه أقرب إلى العدل وروح العصر .. إلخ.

وثانياً: ردود الذين ردوا على هذا الاقتراح، سواء الذين كتبوا إلى المقترح مباشرة أو الذين لم يكتبوا إليه.

وثالثاً: تعليق صاحب الاقتراح على تلك الردود بأنها جانبت الصواب، لأنه قصد أن البنت تأخذ نصف التركة بالفرض والباقى بطريق الرد وليس فى هذا مخالفة للنص القرآنى قطعى الثبوت والدلالة حتى يقال: لا اجتهاد مع النص، كما أنه اختيار لرأى فقهى من مذهب له قيمته العلمية، اقترح فيما مضى تدريسه هنا فى مصر، وإمامه الإمام جعفر الصادق لا يقل عن نظرائه من أئمة المذاهب السنية، وقد سبق للدولة أن اختارت حكما من هذا المذهب فى قانون الوصية، وهو صحة الوصية ونفاذها للوارث، الذى يمنعه الفقه السنى، فلا غرابة فى ذلك.

قضية اشتغل الناس بها أخذا وردا أكثر من شهر، ولم يسلِّم أحد الطرفين للآخر مما جعل صاحب الاقتراح يختم تعليقاته بعد شرح وجهة نظرهِ فيما ذهب إليه بقوله: «فلا داعى لهذا التسرع بالتهجم كلما قيل رأى من غير مُعَمَّم، ولا داعى للتحصن وراء: «لا اجتهاد مع النص» من باب الكسل الفكرى والاستكانة للمألوف فهى عبارة مبتورة كالقائل «لا تقربوا الصلاة»، ولا داعى لافتعال خصومات دنيوية سياسية فى مقام كالفقه والتفسير» وهى مقالة من المقترح تقطع بأنه مازال عند رأيه فوق ما حوته من قسوة الرد على مخالفيه والخروج على مألوف النقاش فى الرأى.

وجاء بعد ذلك رد شيخ الأزهر ولم يسلم رده الآخر من تعليق صاحب الاقتراح، كما أن

حـول توريث البنـات

الدكتور النمر ـ وهو من أواخر من ردوا المقترح فقال فى آخر مقاله فى الأهرام ٨٩/١/٨ « ولنا عودة نكمل فيها الحديث » .

وفى فترة النزاع كتبت رأيى فى هذا الموضوع ولكن منعنى من نشره حينذاك خوفى من إيقاظ الفتنة بعد نومها لئلا تصيبنى اللعنة ، والآن وبعد مرور أكثر من عام وقد هدأت النفوس وزال المانع أكتب به رجاء أن يُغيِّر صاحب الاقتراح رأيه إن شاء الله فأقول للمقترح : يظهر لى أنك تعجلت فى عرض اقتراحك دون دراسة وافية ؛ لأن المسألة ليست مجرد موازنة بين رأى وآخر ، بل طلبت أن تأخذ الدولة بهذا الاقتراح . بمعنى أن يوضع فى قانون المواريث المعمول به فى مصر .

وهو بمثابة أخذ عضو من جسم إنسان حىّ أو ميت وزرعه فى جسم إنسان مريض لحاجته إليه ـ بلغة الطب ـ وهذا العضو المنقول قد يقبله الجسم المنقول إليه لملاءمته له ، وقد يرفضه لعدم انسجامه مع بقية الأعضاء .

وهذا الحكم المقترح إدخاله فى قانون المواريث لا ينسجم مع بقية أحكامه حيث يتعارض مع أكثرها ؛ لأن فقه المذاهب السنية مستمد مباشرة من كتاب الله وأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصحيحة واجتهادات الصحابة المتفق عليها أو رأى الأغلبية منهم فيما فيه اختلاف ويعترفون بإرث العصبات بناء على السنة العملية الصحيحة غير الحديث الذى نازع فيه الشيعة (حديث طاووس) ولم يربطوا هذه الأحكام بشىء آخر كما فعل المذهب الشيعى ، وقد جعلوا مراتب الإرث أربع مراتب هكذا : الإرث بالفرض ، والإرث بالتعصيب ، والإرث بالرد إذا بقى شىء من أصحاب الفروض ولم يوجد عاصب يأخذ الباقى ، وإرث ذوى الأرحام ، وهم من ليسوا بأصحاب فروض ولا عصبات . ولا تطغى مرتبة على غيرها ولا تتقدم واحدة عن مكانها .

أما فقه المذهب الشيعى فقد بنى على أمرين : **أولهما** : منع الإرث بالتعصيب بدعوى عدم صحة حديث طاووس كما يقولون ، **وثانيهما** : تقسيمهم الورثة إلى مراتب ثلاث : **الأولى** : الأبوان والأولاد وإن نزلوا ، **والثانية** : الأجداد وإن علوا والإخوة وأولادهم ، **والثالثة** : الأعمام والأخوال وأولادهم . والزوجية تأتى مع كل مرتبة من تلك المراتب ، والميراث ينحصر فى كل مرتبة لا يتعداها إلى ما بعدها .

وكلا الأمرين مخالف لسنة رسول الله الصحيحة ، فقد ورَّث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأخ مع البنات فى أول قضية من قضايا المواريث التى نزلت بسببها آية المواريث فى قصة سعد بن الربيع ، وهو فى الوقت ذاته من الطبقة الثانية بترتيب الشيعة . ورَّثه مع البنات والزوجة فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود ، والترمذى وابن ماجه ، كما ورث الجد مع البنات وهو من المرتبة الثانية عندهم فى حديث رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وصححه : ورثه مع بنتين : السدس بالفرض والباقى بالتعصيب . ونصه كما جاء فى منتقى الأخبار .

عن عمران بن حصين أن رجلا أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إن ابن ابنى مات فما لى من ميراثه ؟ قال : السدس ، فلما أدبر دعاه فقال : لك سدس آخر ، فلما أدبر دعاه فقال : إن السدس الآخر طعمة » ... قال الشوكانى فى شرحه :

وصورة هذه المسألة أن الميت ترك بنتين وهذا السائل ، فللبنتين الثلثان ، والباقى ثلث دفع منه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سدسا بالفرض لكونه جدًا ، ولم يدفع إليه السدس الآخر الذى

يستحقه بالتعصيب لئلا يظن أن فرضه الثلث ، وتركه حتى ولى ، أى : ذهب ، فدعاه وقال له : ولك سدس آخر ثم أخبره أن هذا السدس طعمة ، أى : زائد على السهم المفروض ، وما زاد على المفروض فليس بلازم كالفرض .

كما ورث الأخت وبنت الابن مع البنت ، فأعطى البنت النصف ، وبنت الابن السدس ، والأخت الباقى بالتعصيب فى حديث رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وقال عبدالله بن مسعود - فى قضية مثلها : أقضى فيها بما قضى النبى - صلى الله عليه وسلم - للبنت النصف ولبنت الابن السدس وللأخت الباقى ، وهم لا يقولون بتوريث بنت الابن ولا الأخت مع البنت .

وعلى تلك الأسس التى بنيت عليها أحكام المواريث فى كل من المذهبين اتسعت دائرة الاختلاف بينهما حتى وجد فى المذهب الشيعى مسائل كثيرة تخالف ما فى المذاهب السنية التى أُخذت منها أحكام القانون فى مصر وإليك بعض هذه المسائل :

١ - إن البنت تحجب الإخوة والأخوات والأعمام والأجداد وأبناء الأبناء ذكورا وإناثا . وهو مخالف لما أخذ به القانون من مذاهب السنة .

٢ - إن بنت الابن تحجب هؤلاء جميعاً وأبناء الأبناء إذا كانوا أسفل منها وهو مخالف لما أخذ به القانون .

٣ - إن بنت البنت تحجب كل هؤلاء مع أنها عند أهل السنة من ذوى الأرحام ولا ترث إلا فى آخر مراحل الإرث وبه أخذ القانون .

٤ - إن الأخت الشقيقة تحجب الإخوة لأب والأعمام سواء كانوا أشقاء أم لأب وأبناء الإخوة كلهم . مع أنها عند أهل السنة تأخذ فرضها النصف والباقى لأقرب عاصب . وبه أخذ القانون .

٥ - إن الأخت لأم تحجب أبناء الإخوة الأشقاء أو لأب وجميع الأعمام مع أنها عند أهل السنة تأخذ فرضها السدس والباقى لأقرب عاصب وبه أخذ القانون .

٦ - إن العمة الشقيقة تحجب العم لأب . مع أنها عند أهل السنة من ذوى الأرحام لا ترث معه شيئا . بل ترث فى المرتبة الرابعة .

٧ - إذا اجتمع جد لأم مع جد لأب كان للجد لأم الثلث والباقى للجد لأب . مع أن الجد لأم من ذوى الأرحام لا يرث مع الجد لأب عند أهل السنة .

٨ - إذا وجد جد لأب وجدة لأب كان للجدة الثلث والباقى للجد . وعند أهل السنة أن الجدة لا يزيد نصيبها على السدس ، وإن كانت أكثر من واحدة لإجماع الصحابة ومعهم علىٌّ كرم الله وجهه والباقى للجد لأب لأنه أقرب عاصب .

٩ - إذا وجد جد لأم وجدة لأم كان المال بينهما بالسوية . وعند أهل السنة لا شىء للجد لأم لأنه من ذوى الأرحام ، والمال كله للجدة فرضا وردا لأنها من أصحاب الفروض .

١٠ - إذا وجد أب وبنت أخذ الأب السدس فرضا والبنت النصف فرضا والباقى يرد عليها . وعند أهل السنة تأخذ البنت فرضها والباقى للأب فرضا وتعصيبا .

١١ - إذا وجد أب مع بنت الابن أخذ الأب السدس فرضا والباقى لبنت الابن لأنها تحل محل أبيها ، وعند أهل السنة تأخذ فرضها النصف والباقى للأب فرضا وتعصيبا .

١٢ - إذا وجد جد وجدة فإن كانوا من جهة الأم قسم المال بينهما بالتساوى ، وإن كانوا من جهة الأب قسم بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين ، وإن اختلفوا كان الثلث لمن كان من جهة الأم والثلثان لمن كان من جهة الأب . وأهل السنة يخالفون ذلك فإن الجدة عندهم لا تأخذ إلا السدس وهو فرضها بالإجماع ، ويرد عليها مع

حـــول توريــث البنــات

من يرد عليهم من أصحاب الفروض إن بقى شىء بعد الفروض ولم يوجد عاصب .

١٣ ـ إن العَوْل ـ وهو زيادة الفروض على أصل التركة ـ باطل عند الشيعة ، مع قول أهل السنة به لإجماع الصحابة عليه عدا عبدالله بن عباس ـ رضى الله عنهم ـ وسبب رفضهم له أن العباس ـ رضى الله عنه ـ هو الذى أشار به على عمر ـ رضى الله عنه ـ ، حتى أن بعض مؤلفيهم يتحرج من ذكر اسمه فيقول فأشار عليه البغض بالعول .

وإذا كان الاختلاف بين المذهبين هكذا فكيف تأخذ حكما من مذهب الشيعة وتضعه فى قانون اخذ احكامه كلها من مذاهب أهل السنة ؟ فى القانون إرث ذوى الأرحام وهم من ليسوا بأصحاب فروض ولا عصبات يكون فى المرتبة الرابعة بعد أصحاب الفروض والعصبات والرد على أصحاب الفروض .

والمذهب الشيعى يخلط فيجعل منهم من يرث فى المرتبة الأولى عندهم كأولاد البنات مع أولاد الأبناء فيرث كل فريق ميراث أهله ، ومنهم من يرث فى المرتبة الثانية ، كالجد لأم مع الجد لأب ، وأولاد الأخوات مع أولاد الإخوة ، منهم من يرث فى المرتبة الثالثة كالأخوال والعمات والخالات مع الأعمام .

وبهذا يستحيل تعديل القانون باقتراحك لانه يتعارض مع اكثر احكامه .

أما أخذ قانون الوصية بمذهب الإمامية وبعض الزيدية بصحة ونفاذ الوصية للوارث الذى يمنعه أهل السنة فلم يترتب عليه اضطراب القانون ، ولامعارضة هذا الحكم لحكم من احكامه ، لأمرين :

الأول : أن محله أحد شروط الموصى له .

والثانى : أنه اخذ حين وضع القانون فلا يعارض حكما من أحكامه .

ومع ذلك فقد نقده شراح قانون الوصية ، فشيخك المرحوم الشيخ أبو زهرة نقده بأنه ترك الرأى المشهور وأخذ برأى مغمور يثير العداوة بين الورثة ..

ونقدتُه فى كتاب « أحكام الوصايا والأوقاف » من جهتين :

اولاهما : أنه لم يأخذ الرأى كاملا ولو أخذه كاملا لما كان سببا فى إثارة العداوة بين الورثة .

وثانيتهما : أنه كان يمكن الأخذ بمذاهب أهل السنة باستثناء بعض الحالات بطريق الاستحسان .

وأما اقتراح تدريس هذا المذهب عندنا فى مصر فى الخمسينيات فشىء آخر لا يصحح كل ما جاء بهذا المذهب ، وان السياسة فى هذا الوقت كانت وراء هذا الاقتراح .

وأما أن (إمامه) فقيه عظيم لا يقل عن غيره من فقهاء أهل السنة فمسلم ، لو ثبت أنه المؤسس لهذا المذهب ، وأن كل ما فيه منقول عنه حقيقة ، كما فى المذاهب الأخرى ، فكم من أقوال نسبوها إليه وهو منها براء ، والمذهب فى أصله مذهب طائفة الشيعة الإمامية الاثنى عشرية . وقد اخترع له اسم (الجعفرية) نسبة إلى الإمام جعفر الصادق من عهد قريب فى لبنان ، اخترعه الشيخ محمد جواد مغنية وعنون له بالمذهب الجعفرى ليقف فى صف المذاهب الفقهية السنية المنسوبة إلى أئمتها .

وسأكتفى بمثل واحد : فقد نسبوا إليه فى كتبهم أنه قال : « **التقية دينى ودين آبائى ومن لا تقية له لا دين له** » لأنها عندهم واجبة وأنها

جزء من العقيدة كالأمانة . نقلها الشيخ محمد جواد مغنية عن شرح المظفر فى عقائد الشيعة فهل يتفق هذا القول مع قصته المشهورة مع أبى جعفر المنصور العباسى حينما كتب إليه يقول : لم لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ فيرد رضى الله عنه بقوله :

« ليس عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ، وليس عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولستَ فى نعمة فنهنئك بها ولا نرى ما أنت فيه نقمة فنعزيك فيها » فكتب إليه يقول : « تصحبنا لتنصحنا » فيرد عليه بقوله : « من يريد الدنيا لا ينصحك ، ومن يريد الآخرة لا يصحبك » .

فهل تتفق هذه الصراحة الجريئة مع القول بالتقية أخى : **وقد تبين لى من دراسة هذا المذهب حينما كنت استاذاً للشيعة (بجامعة بيروت العربية) لأكثر من عشر سنوات : أن أحكام المواريث عندهم مرتبطة إلى حد كبير بمذهبهم فى الخلافة .**

فقد منعوا الإرث بالتعصب ليمنعوا العباس عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ميراثه ، وسووا بين البنت والابن لتنفرد الزهراء رضى الله عنها بميراث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، ولما لم يكن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مال يورث عنه انتقل الإرث إلى الخلافة ، ومنها تنتقل إلى أولادها ويحرم منها العباس ، ولما لم تستقم هذه لأنها لم ترث الخلافة ، ولو افترضنا جدلاً ـ فإن زوجها كرم الله وجهه سيرث ربعها فقط ، وهو أول الأئمة عندهم الذى وضعوا أحاديث الوصية له بالخلافة .

ولما لم تفلح هذه انتقلوا إلى طريقة أخرى . وهى أن عليًا أولى بالخلافة من العباس لأنه ابن عم شقيق لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعباس عمه لأبيه . فقلما تجد كتابا من كتبهم إلا وفيه : أن المرتبة الثالثة من مراتب الورثة بالقرابة الأعمام والأخوال وأولادهم الأقرب يحجب من دونه فالعم يحجب أولاد العم والخال كذلك . إلا فى مسألة واحدة خرجت بالاجماع قدم فيها ابن العم الشقيق على العم لأب ففى كتاب « الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية » جـ ٨ ص ٥٤ . والمتقرب بالأبوين فى كل مرتبة من مراتب القرابة يحجب المتقرب بالأب مع التساوى فى الدرجة لا مع اختلاف الدرجة إلا فى ابن عم لأبوين فإنه يمنع العم لأب وان كان العم أقرب منه وهى مسألة إجماعية خرجت عن حكم القاعدة وقصروها على هذه الصورة . فلو كان مع ابن العم الشقيق خال ولو لأم فإن الخال يحجب ابن العم .

قالوا ذلك لأنه لم يكن لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خال ينازع فى الخلافة .

ويقول الشيخ مغنية فى كتابه « فقه الإمام جعفر » جـ ٦ ص ٢٣٦ : أجمعوا على أن ابن العم من الأبوين يقدم فى الميراث على العم لأب فقط أو من الأم ، وأطلقوا على هذه المسألة « المسألة الإجماعية ، واجماع الفقهاء قولا واحداً فى كل عصر ومصر عليها أخرجها عن النظريات وجعلها من ضرورات المذهب ، وعليه يكون الاجتهاد بها كالاجتهاد فى قبالة النص القطعى سندا ودلالة » . **وهذا كلام لا دليل عليه** . وينقلون فى ذلك قصة ينسبونها للإمام جعفر الصادق لتدعيمها !

وأغرب من هذا استدلال الشيخ مغنية على بطلان الإرث بالتعصيب ومساواة البنت للابن بقوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ النساء ـ ٧ .

يقول : فقد سوت الآية بين الإناث والذكور ، .. وتناسى أن هذه أول آية نزلت بشأن المواريث لهدم ما كانوا عليه فى الجاهلية حيث

حـــول تـوريـث الـبـنـات

كانوا يورثون الذكور الكبار دون الصغار والإناث وقصد بها مجرد تشريك النساء مع الرجال فى الميراث ، ولم يقصد بها المساواة فى الأنصباء بدليل قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ الآية ـ ١١ التى فصل فيها الأنصباء وجعل للأنثى نصف ما لأخيها . فإذا كانت الآية الأولى سَوَّت بين الإناث والذكور كما يقول ، فماذا يقول فى الآية الثانية التى لم تُسَوِّ بينهما ؟!

أيتناقض كلام الله وحاشاه ثم حاشاه لقوله جلّ شأنه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ـ ٨٢ .

فالآية الثانية وما بعدها جاءت مفصلة للإجمال فى الآية الأولى . لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما نزلت الآية الأولى : « إن الله عز وجل انزل علىّ ما لو بينه بينته لكم » فى قصة ميراث سعد بن الربيع .

وأشد غرابة من هذا الاستدلال استدلال الشيخ لطف الله الصافى على أن البنت تأخذ التركة كلها فى كتيِّبه المطبوع فى إيران يرد به على شيخ الأزهر فى مقاله الذى نشر بالأهرام ينقد فيه المذهب الشيعى فى منع الإرث بالتعصيب . إستدلالا بقصة سعد بن أبى وقاص لما مرض وعاده النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال للرسول : « إنى امرؤ ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة واحدة أفأتصدق بكل مالى » ؟ .. الحديث .. استدل بقوله : « ولا يرثنى إلا ابنة واحدة » فإن هذا القول يبطل القول بالتعصيب ؛ لأن الرسول لم ينكر عليه قوله : « ولا يرثنى إلا ابنة واحدة » ومقتضاه أن البنت الواحدة تأخذ كل المال .

ما أغرب هذا الاستدلال !! أين إبطال التعصيب فى هذا الحديث ؟!

هل مات سعد من هذا المرض ووَرَّث الرسولُ ابنته الوحيدة وحدها دون العصبات ؟

وهل قال الرسول له : « إذا مت لا يرثك إلا هذه الابنة » ؟

إن الرجل يشكو إلى الرسول فى مرضه الذى ظن أنه يموت فيه وهو فى مكة وعنده مال كثير ويريد أن يتصدق بطريق الوصية به أو بأكثره ؛ لأنه ليس له فى هذا الوقت أولاد يرثونه إلا ابنة واحدة ؛ فيقول الرسول له : « لا ، الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس . فأين البنت الواحدة التى انفردت بالميراث » ؟!

إن سعدا شفى من مرضه هذا وتزوج أكثر من امرأة وأنجب من الذكور سبعة عشر ولدا ومات بعضهم فى حياته ، ومن الإناث أربع عشرة بنتا . أنجبهم من تسع نسوة وسبية ، كما يقول ابن سعد فى الطبقات ، وتوفى فى سنة ٥٨ من الهجرة وكانت تركته يوم مات مائتين وخمسين الف درهم (الطبقات الكبرى جـ ٣ ص ١٣٧ وما بعدها . دار بيروت للطباعة والنشر) .

ومثل هذا استدلاله بخبر واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المرأة تحوز ثلاثة مواريث : عتيقها ولقيطها وولدها الذى تُلاعِنُ عليه » يقول الشيخ فى الاستدلال به : إن الأم تأخذ تركة ابنها ولا يكون ذلك إلا بالفرض والرد وهو ينفى الإرث بالتعصيب ، ونقول له : وهل ولد الملاعنة له عصبة بعدما حرم أبوه من ميراثه حتى يستدل به على إبطال الإرث بالتعصيب ؟

هذا هو مذهب الشيعة الإمامية فى إبطال الإرث بالتعصيب والسبب الذى دعاهم إلى القول بنفيه وطريقة استدلالهم على ما ذهبوا إليه فهل

بعد ذلك مازال صاحب الاقتراح مصرا على اقتراحه ؟

واخيراً اقول للسيد المقترح : فرق بين استحسانك لرأى من الآراء ، وبين إلزام الناس بالعمل به وتعديل القانون من أجله . فلك أن تستحسن ما تشاء وليس لك الزام غيرك بالعمل به مهما اظهرت من وجوه الاستحسان .

على أن استحسانك بنيته على أنه أقرب إلى العدل وروح العصر وبه تبقى التركة فى أقارب الدرجة الأولى وعدم خروجها إلى غيرهم من الأقارب . وتستشهد على ذلك بما يفعله أهل السنة فى لبنان من تغيير بطاقتهم المذهبية إلى المذهب الشيعى حينما لا يكون للواحد منهم ذرية غير الإناث . وفعل هؤلاء لا يعتبر دليلا على عدالة المذهب الشيعى الذى تنادى بالتغيير إليه . ولعلك لم تلتفت إلى مصير التركة إذا تزوجت البنت برجل بعيد عن عائلتها ـ وهو الغالب فى الزواج ـ فإنما تأخذ تركة أبيها إلى ذلك الغريب وإلى أولادها منه ، ويحرم منها أولاد أولاد الرجل صاحب التركة فيما إذا مات وترك بنتا واحدة ومجموعة من أولاد أولاده الذكور الذين ماتوا قبله فإن البنت تحجبهم جميعا ذكورا وإناثا .

فهل من العدل أن يتمتع بهذه التركة أولاد الرجال الأجانب عن صاحب التركة ويحرم منها أولاد أولاده الذين حجبتهم عمتهم وقديما قال القائل :

بنـونـا بنـو ابنـائنـا وبنـاتنـا
بنـوهن أبناء الـرجال الأبـاعـد ؟

أم أن صريح العدل فى الفقه السنى الذى يورثهم ما بقى بعد نصيب البنات بالتعصيب إذا كانوا ذكورا وإناثا ، والسدس فرضا مع عمتهم إذا كانوا إناثا ، ويرد عليهم مع عمتهم الباقى بنسبة سهامهم .

وهل من العدل أن تحرم الأخت من ميراث أخيها وقد لا يكون لها مال وأخوها الذى توفى هو الذى كان ينفق عليها ؟

وماذا يكون حال هذه البنت إذا أخذت تركة أبيها كلها مع زواجها من رجل غريب وبددت التركة وطلقها زوجها وحرم منها عمها أو جدها الذى يكون سندا لها بعد وفاة أبيها ؟؟!

وأى مصلحة فى ذلك كله ؟

المصلحة المظلومة التى تضعونها فى غير موضعها ؟

وليست القضية يا أستاذ فى مسألة يقولها (معَمَّم) يسارع المعممون إلى التهجم عليه ، ولا تحصن وراء « لا اجتهاد مع النص » من باب الكسل الفكرى ، والاستكانة للمألوف كما تقول .

لأن محل الخلاف فى مسألة مواريث قضت فيها النصوص بحكم واضح لا إبهام فيه ؛ فلا مجال للاجتهاد فيه بعدها . وقدوتنا فى ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث كان يجتهد فى بعض المسائل حينما يتأخر الوحى ولم يؤثر عنه انه فعل ذلك فى المواريث ، بل قال فى أول قضية فيها : « يقضى الله فى ذلك » حينما شكت إليه امرأة سعد بن الربيع ، فقالت : « يارسول الله إن سعدا قتل معك فى (أُحُدٍ) شهيدا وترك بنتين لا يزوجان إلا بمال ، وإن عمهما أخذ كل تركته على عادة الجاهلية . فلما نزل قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ ارسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أخى سعد قائلا : لا تتصرفوا فى تركة سعد فإن الله انزل علىّ ما لو بينه بينته لكم . فلما نزلت الآية الثانية ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ ارسل إليه : اعْطِ ابنتَىْ سعد ثُلُثَىِ التركة وزوجته الثُمُنَ ولك الباقى ..

فلا تحصن وراء (لا اجتهاد مع النص) كسلا كما تقول ، ولا فرق بين معمم وغير معمم فى شرع الله إذا تساويا فى الاستئهال للاجتهاد فى مواضعه منه .. والله أعلم .

الأمن نعمة والصلح خير

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

يقول الله عز وجل :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .. ﴾ « سورة النساء ـ ١١٤ » .

ويقول جل جلاله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ .. ﴾ « سورة الانعام ـ ٨٢ » .

الصراع بين الحق والباطل موجود من قديم الزمان ، والمعارك بين الخير والشر حامية وضارية منذ وجد الإنسان حتى الآن .. وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!!

ولكن لابد للحق أن ينتصر ، ولابد للباطل أن ينهار ويندحر ، مهما طال الزمن !. ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ « سورة الأنبياء ـ ١٨ » .. ذلك لأن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة .

وكانت الرسالات الإلهية ـ فى شتى العصور والدهور ـ تساند الحق وتؤيده : لأن الحق أحق أن يتبع ، فهو الذى يصون الأمن ويحمى السلم وبه يتأكد العدل ، وتتقرر المساواة بين الناس فى ظل الإسلام القيم الذى يحب الإيثار ويكره الأثرة والانتهازية الكريهة والمبالغة فى حب الذات .

الناس أمام الأحداث

إذا حدث شقاق بين شخصين أو نزاع بين أسرتين أو قبيلتين أو طائفتين من المؤمنين نرى الناس منهم الذين يتدخلون بالصلح بين الناس بهمة وشجاعة وحسن نية وصدق قول وفعل ابتغاء مرضاة الله وطمعاً فى رحمته ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . فالمصلحون أجرهم عظيم ومقامهم كريم عند الله رب العالمين ، والله يقول فى سورة الحجرات : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ « سورة الحجرات ـ ٩ ـ ١٠ » .

وهنا فى هاتين الآيتين ثلاثة أوامر بالصلح ، لعل الله يرحم به من سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم ، لأن الإسلام حريص على دوام المحبة بين الناس : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ـ ٧١ » .

وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقاوم الفساد الذى يوَجَّه للمسلمين من طواغيت البشر وخصوم الإنسانية لبث الفتنة والفرقة بين أبناء الإسلام الحنيف .

ولا تنازعوا فتفشلوا ..

والنزاع والشقاق والضغينة والوقيعة والتفرق والتمزق كل أولئك يسبب الفشل والهزيمة والله يقول : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ « سورة الأنفال ـ ٤٦ » ..

وقد نهانا ربنا ـ بهذا النص ـ عن النزاع ، لأن الوحدة قوة والفرقة ضعف ، وليس على ظهر الأرض شىء أسوأ من الحقد والبغضاء بين المسلمين ، وحب الذات والأثرة والأنانية الكريهة التى يأباها الإسلام ويمقتها ، لأن الإسلام يدعو أتباعه لإصلاح القلب بالإخلاص ، وإصلاح النفس بطهارة السلوك ، والله يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ « سورة النحل ـ ٩٠ » .. لأن الله قد أرسل رسوله رحمة للعالمين ليبدل به ظلام الجاهلية نوراً .

وقد قرر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الحقد والتدابر والبغضاء والتشاحن أمور ليست من الإسلام فى شىء فقال : **« لا تحاسدوا ولاتناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله .. التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه فأصلحوا بين كل مسلمين تخاصما »** (رواه مسلم وغيره) .

بالإسلام انمحت ظلمات الجهالات

والإسلام اليوم شىء ، والمسلمون شىء آخر . فالإسلام فى جوهره لا يتغير قط ، لأن القرآن لا يتبدل ولا يتغير . ولهذا صنع الإسلام فى أيامه الأولى أمة وبنى دولة قال لها ربنا : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ لأن شعارهم : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ، فلا عدوان ولا طغيان ولا فسوق ولا عصيان ، لكنه الأمن والسلم والصدق والعدل والثقة بالله ، فلا تذل النفوس لسواه ، ولا تعبد إلا إياه ، فلا كبرياء ولا استعلاء ولا ضلال ولا رياء . وأما الصراع فهو عملية غير إسلامية ، فقد يتحول إلى مصادمات متجددة فيها الظالم والمظلوم ، لهذا أمر ربنا بالعدل فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ « الحجرات » ..

والظلم من شيم النفوس الجبارة والقلوب القاسية المتحجرة : والعدل من صفات الأبرار المتقين ، وبالعدل يرد الحق لأهله ، وبرد الحق يتم الصلح ويكون بناء تنشأ به علاقات جديدة تنفع الطرفين ، وبهذه العلاقات البناءة تتجدد الثقة فى الصلح ويتم الخير فى ظل الإيمان السليم والخلق القويم .

ضبط النفس

والإسلام يود من المسلمين أن يستعينوا بالصبر وكظم الغيظ والعفو والصفح وضبط النفس بالسماحة والحلم ، لأن ذلك من علامات التقوى والله يقول : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

الأمـن نعمـة والصلـح خيـر

لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ . « سورة آل عمران ١٣٣ ـ ١٣٦ » .

الصبر دواء والعفو قوة

بهذا يعالج الإسلام النفوس البشرية بالصبر والعفو واحتمال المكاره والضوائق والمشاكل والمسائل التى تسبب الجزع والفزع والقلق النفسى ، وذلك لأن الانفعال والتسرع ومقابلة الشر بالشر كل هذا غير مأمون العاقبة ، ولا ريب أن الصبر قوة لا يتصف بها المهازيل من الناس ، والله سيوفى الصابرين أجرهم بغير حساب : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ « سورة فصلت » .

ولكن المشاعر الغريزية قد تدفع أحياناً إلى الانتقام ردعاً : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ « سورة الشورى » ، ولكن الله سبحانه مع الصابرين فليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب . وأحياناً يكون التسامح مع اللئام خطأ ، لهذا شرع الله مقاومة البغى والاستبداد والظلم والاضطهاد ، لأن الله شرع الجهاد لتأمين العقيدة وحماية الملة ورعاية مصالح الأمة مادام الظلم غريزياً فى طبائع البشر ومادام الطغاة لا يفهمون إلا منطق القوة فهم يعيثون فى الأرض فساداً إن لم يرتدعوا بقوة تصدهم عن غيهم وبغيهم ، وقد علمنا الإسلام أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من أعطى الذلة من نفسه طائعاً مختاراً فليس منا .. » (أخرجه الطبرانى) ..

فقد نشأ الإسلام عزيزاً لا يقبل الذل كريماً لا يتحمل الضيم وحمله كرام بررة . والإسلام يطلب من المسلمين أن يكونوا أعزاء بعزة الإسلام ، أجلاء بجلال الحق ، عظماء بعظمة الإيمان ، أقوياء بقوة القرآن ، يصلون ما أمر الله به أن يوصل وينهون عن الفساد فى الأرض .

والإسلام يقول : خمس من كن فيه كن عليه : « البغى ، والنكث ، والخداع ، والمكر ، والظلم » .

البغى يدمر صاحبه

البغى فى الأرض بغير الحق فساد كبير ، ولابد للباغى من انتقام إلهى يستحقه من ظلم نفسه قبل أن يظلم غيره ، والله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم .... ﴾ « سورة يونس ـ ٢٣ » ، والله قد حرم البغى فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ « سورة الأعراف ـ ٣٣ » .

وأما النكث : فيقول فيه ربنا : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ ، **والخداع** صفة الأشرار المنافقين الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم فى « سورة البقرة » : ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ وهؤلاء فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا فهم يفسدون

ولا يصلحون. وحسب المنافقين أن الله يقول فى المخادعين المنافقين : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ « سورة البقرة ـ ١٦ » .

المكر السيىء

الماكرون بالسوء أشرار ، والمكر السيىء خيانة بين المرء ونفسه ، فهم يؤذون أنفسهم قبل إيذاء غيرهم ، لأن هؤلاء الماكرين يمكرون بأنفسهم والله يقول : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ « سورة فاطر ـ ٤٣ » لأن الصراحة والوضوح أمارة الصدق مع النفس ومع الله ومع الناس ، والله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ « سورة التوبة ـ ١١٩ » .

الظلم ظلمات

أما الظلم فيدمر البنيان ويخرب العمران ويفسد الحياة ، لكن العدل أساس البنيان وهو يسد المنافذ الخبيثة للظلم المهاجم للإنسانية الآمنة المطمئنة ، لأن الظلم يحطم دوافع الخير فى القلب ، والظلم اختلاس ما ليس للظالم بحق ، أو سلب ما ليس بحق له ليهضم حق الناس ، ومن الظلم ظلم النفس بالمعاصى واقتراف الذنوب والعيوب ، والإسلام يحذر من عاقبة الظلم ويأمر المسلم بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يتقى المحارم .

« اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .. ولا ينبغى ـ فى الإسلام ـ العدوان على ضعيف من قوى .. « الإمام أحمد ـ والترمذى » .

وقد يكون الظلم صادراً من طاغية على إنسان مسالم أو على جماعة كذلك ، وقد تطغى الشعوب بعضها على بعض كما يطغى الأفراد فيعتدى شعب قوى على شعب ضعيف ليستعمره أو يبتلعه أو يستغل خيراته بالغلبة والقهر والقوة ، والإسلام حرم العدوان الآثم فى جميع صوره وألوانه .

وعندئذ يجب على المسلمين أن يحذروا فتنة لا تصيب الظالمين وحدهم ، والله يقول : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً .. ﴾ « سورة الأنفال ـ ٢٥ » ..

ويقول ربنا عز وجل : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ . ويقول جل جلاله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ . فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ « سورة الأنعام ـ ٤٥ » .. فهل يدرك المسلمون الأخطار المحيطة بهم ويكفوا عن ظلم انفسهم وظلم جيرانهم فيثوبوا إلى رشدهم ويتوبوا من ذنبهم ؟! ليتم الصلح بينهم وبين ربهم بالالتجاء إليه فلا ملجأ منه إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه ..

الأمن نعمة والسلم حياة

لا يستقيم أمر بغير الأمن ، والله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ « سورة البقرة ـ ٢٠٨ » .

والله سبحانه وتعالى جعل المرء مؤمناً إذا ألقى السلام فلا يكفر بمعصية مادام سليم العقيدة الدينية فيقول جل جلاله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا .. ﴾ « سورة النساء

الأمـن نعمـة والصلـح خيـر

٩٤ » . لأن تحية المسلمين السـلام : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيمًا ﴾ « سورة الأحزاب ـ ٤٤ » . وجعل الله السلام تحية لرسله : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ : ﴿ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ .

والله جعل الأمْنَ جزاء لمن آمن وعمل صالحاً ، ووعد المؤمنين بعظيم الجزاء فقال جل شأنه : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً . . ﴾ « سورة النور ـ ٥٥ » .

ويقال لأهل الجنة : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ « سورة الحجر ـ ٤٦ » .

﴿ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ ءَامِنِينَ ﴾ « سورة يوسف ـ ٩٩ » والله يقول لنبيه موسى ـ عليه السلام ـ : ﴿ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِنِينَ ﴾ . «سورة القصص ـ ٣١ » .

ولقد عرفت الدنيا كلها اليوم أن الأمن سعادة وسيادة أما الحروب فهى كروب وذنوب وعيوب وقتل للوقت والأنفس والأموال .

وقد يقال : إذا كان الإسلام دين سلام وأمن فلم يعتدى بعض المسلمين على بعض ؟

والجواب : لا يُحتج بالمسلمين على الإسلام ، لأن الإسلام هو الإسلام ، وأما المسلمون فإن بعضهم غلبت عليه شقوته فتمرد وأعرض عن ذكر ربه فامتلأ غروراً وفجوراً : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾ « سورة طه ـ ١٢٤ » .

الإسـلام دين ودنيا

ولا تصادم بين الدين والدنيا فى الإسلام : ولكن لست أدرى من أين جاءت فكرة تصور أن الإسلام عدو للدنيا ؟

كلا : إن الله يحاسب المسلم عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ لأن الوقت هو عمر الإنسان ، ثم أرأيت كيف تمنى سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ الأمن لمكة فدعا ربه قائلاً : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ﴾ « سورة إبراهيم ـ ٣٥ » ، فأجيبت دعوته . ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ « سورة التين ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ » .

لأن الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف ، وقد أخذوا منه : آمَنَ بمعنى صدَّق وأذعن وانتفى الشك والريب، فاطمأن بذكر الله : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ « سورة الرعد ـ ٢٨ » .

وأعداء الأمـن من هم؟

سؤال يطرح نفسه دائماً ، هم أهل الوشاية والسعاية والفتنة والوقيعة والدسيسة الذين يؤذى نفوسهم رؤية الاستقرار وراحة البال ، وهم الذين يحبون المنازعات وينشرون الشائعات ويثيرون الغل والأحقاد بين الأفراد والجماعات : وهذه مهمة شياطين الإنس وشياطين الجن ، وقد اشتركوا فى الوساوس بالشر ، وقد أمرنا ربنا بالاستعاذة من شرهم فقال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ « سورة الناس ١ ـ ٦ » .

البقية ص ٩٣٢

قضية القضايا الاقتصادية

٢

سعر الفائدة أم معدل الربح ؟

كآلية لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر

للأستاذ الدكتور
عبد الحميد الغزالى

عناصر الإنتاج أربعة ، وهى : الأرض والعمل وراس المال والتنظيم . ولكل عنصر من هذه العناصر عائد أو دخل نظير اشتراكه الفعلى فى النشاط الاقتصادى . فدخل الأرض (الريع) ، ودخل العمل (الأجر) ، ودخل راس المال (الفائدة) ، ودخل التنظيم (الربح) . وهذا التقسيم الرباعى لعناصر الإنتاج وعوائدها بصفة عامة ، وراس المال وسعر الفائدة على وجه الخصوص ، من « أوليات » النظرية الاقتصادية بعامة ، ومن « مسلمات » نظرية راس المال بخاصة . ولا يختلف على هذا التقسيم للعناصر والعوائد ، اثنان من الاقتصاديين ، وفقا للأدب الاقتصادى الغربى ، برغم المقولة المشهورة بانه ما إن وجد اثنان من الاقتصاديين إلا وكان هناك ـ على الأقل ـ ثلاثة آراء .

ويقوم تحليل نظرية رأس المال على فرض « غير واقعى » زائد فى التبسيط ، من بين عدد من الفروض غير الواقعية الأخرى ، وهو فرض « التيقن التام » PERFECT FORE-SIGHT, « CERTAINTY » وفى عالم غريب من اليقين ، تحدث أشياء غريبة تماماً . منها أن سعر الفائدة التوازنى يتطابق تماماً ودائماً مع الإنتاجية الحدية لرأس المال ، أو بلغة « سامولش » و« باتنكن » D.PATINKIN يتساوى سعر الفائدة مع معدل الربح ، « المتوقع تحقيقه ـ بالتأكيد » . وعليه ، تأتى « منطقية » النتيجة المنبثقة من هذا التحليل ، وهى استحالة تصور حالة « سعر فائدة صفرى » عند التوازن فى عالم الواقع الذي يتسم بالندرة الشديدة فى رأس المال ؛ لأن هذا ليس له إلا معنى واحد ، وهو افتراض أن رأس المال متوافر بلا حدود ، أى افتراض حالة « تشبع رأسمالى » GAPIT-AL SATURATION أى يصبح رأس المال

قضيــة القضايــا الاقتصاديــة

كالهواء . وحيث أنه ليس كذلك هنا فلا مفر من بديل قائم ، وهو إمكانية التوازن الصفرى ، كما افترض « ساموئلسن » ، فى حالة ركود قاسى الشدة ، أو انتشار حالة الفوضى الاقتصادية فى استخدام رأس المال النادر بإلغاء سعر الفائدة ، مما يؤدى ، فى رأى بعض الاقتصاديين ، لا محالة إلى الدمار والفناء .

وواضح أن هذا التحليل يخلط تماماً بين أمرين على طرف نقيض ، وغاية فى الاختلاف والتميز ، وهما :

إلغاء سعر الفائدة مع توافر بديل وهو « الربح » . و« التوازن الصفرى لسعر الفائدة » .

فهناك فرق شديد التحديد والوضوح بين الحالتين . فالاقتصاد الإسلامى لم يقم بإلغاء سعر الفائدة ، على المستويين الفكرى والتطبيقى ، ليعنى به هذا « التوازن الصفرى » ، وإلا كانت النتيجة فعلاً تبديداً واضحا فى استخدام عنصر شديد الندرة ، وهو رأس المال . وإنما قدم هذا الاقتصاد « الربح » كمعيار يحكم هذا الاستخدام على أسس أكثر منطقية فكرياً ، وأكثر عدالة اجتماعياً ، وأكثر - وهذا هو المهم هنا - كفاءة اقتصادياً .

وإذا ما تخلصنا من (سلبيات) إسار الفكر الاقتصادى الغربى ، وأعدنا وأمعنا النظر العلمى فى مسلماته ، وأعملنا العقل فى أسسه ، سوف نكتشف فوراً أن إلغاء سعر الفائدة لا يعنى ، بتاتاً وأبداً ، أن رأس المال ليس له عائد ، ويقدم للمتعاملين بلا تكلفة . ومن ثم ، استطراداً لهذا المنطق المغلوط ، تصبح الأموال القابلة للاستثمار متاحة « مجاناً » ، مما يجعل بالتالى الطلب عليها « غير محدود » . وتكون النتيجة غياب « آلية » لمعادلة الطلب مع العرض ، توصلاً إلى توازن فى سوق رأس المال . ومن ثم ، يحدث فى النهاية تبديد رأس المال ، نتيجة الاستخدام غير الرشيد له . ويعم ، بالتالى ، الخراب .

فرأس المال - إسلامياً أو غير إسلامى - بالقطع له « عائد » ، نظير اشتراكه الفعلى فى النشاط الإنتاجى . وهذا العائد - إسلامياً - ليس « فائدة محددة مسبقا » ، وإنما « حصة » ، نسبية شائعة ، فى الربح ، بعد « نض » ، أى بعد تحقيق أو تسييل ، رأس المال - فعلاً أو حكماً . ولا أعتقد أن أحداً سوف يتمسك بالتقسيم الرباعى للعوائد ، برغم وجوده ، بحجة أنه « لا اجتهاد مع النص » فى الاقتصاد الوضعى .

ولا أتصور أن أحداً سوف يصر على ظاهر « ألفاظ » العوائد المختلفة . فالعبرة بمعانى الألفاظ لا بمبانيها ، كما يقولون . كما لا أظن أيضاً أن أحداً سوف يعترض على انسحاب صفة ومعنى « الربح » على عائد رأس المال المخاطر ، كما هو على العمل المخاطر (أى المنظم) - عنصر المخاطرة التقليدى . « فلا مشاحة فى الاصطلاح » ، أى التعريف ، وخاصة أن فقهاءنا قد استخدموا هذا الاصطلاح قبل استخدام الاقتصاديين الوضعيين له بكثير - أكثر من ألف ومائتى عام - فوفقا لمفهوم فقهائنا الصحيح عن النشاط الاقتصادى ومفهومهم الدقيق عن الربح ، فإن كلا من رأس المال والمنظم يتحمل ، إسلامياً ، مخاطر الاستثمار ، والربح بينهما بعد سلامة رأس المال ، بحسب

الاتفاق ـ مع تفصيل لصيغ وأدوات الاستثمار الإسلامى ، ليس هذا مكانه .

وعليه ، فهذه الحصة فى الربح هى تكلفة عنصر رأس المال . ومن ثم ، يصبح « الربح » هو المعيار الذى يحكم تخصيص الموارد المالية . وهو « الآلية » التى تعادل الطلب على هذه الموارد مع العرض منها . فكلما زاد « معدل الربح » المتوقع من استثمار جديد عن الربح المحقق فى النشاط الاقتصادى الذى يزمع الاستثمار فيه ، وفقاً لواقع « عدم التيقن » وعلى أساس الأولويات الإنمائية للمجتمع وفى ضوء فرض الكفاية ، زاد عرض الأموال القابلة للاستثمار أمام المشروع المقترح ، وتم تنفيذه فعلاً . والعكس تماماً صحيح .

فالربح المحقق يعد عاملاً حاسماً فى تحديد مدى نجاح المشروع الجديد فى ذات النشاط ـ بخاصة ، وفى الاقتصاد بعامة ـ وفى قدرته على الحصول على المال المشارك والمخاطر . فصاحب المال فطريا لا يستثمر حيث تكون الفائدة أعلى ، بل حيث يكون الربح أكبر . فالربح ، إذن ، وليس الفائدة ، هو الذى يمثل الندرة الحقيقية للمعروض من رأس المال ، ويضمن الاستخدام الكفء للموارد المالية المتاحة فى كافة الأنشطة الإنتاجية .

ولعل هذا ما يدعو عملياً إلى مزيد من تحرى الكفاءة فى استخدام رأس المال فى ظل النظام الإسلامى ، ويتم ذلك من خلال ضرورة بذل عناية أكبر بتقويم المشروعات ، بحيث تستبعد المشروعات ذات الجدوى المنخفضة . وليس الأمر كذلك ، فى حالة التمويل عن طريق القروض . فالمقرض لا يهمه أساساً سوى الفائدة ، ولا يسهم أصلاً فى مخاطر المشروع موضع التمويل ، بل يتحملها كلها ـ عملاً ـ المنتج المقترض (المنظم) . ومن ثم ، لا يهتم المقرض واقعياً بإجراء تقويم شامل للمشروع ، على عكس ما يجب أن يفعل صاحب المال المخاطر . وعليه ، يمثل معدل الربح آلية لتخصيص الموارد أكثر فعالية وأكثر كفاءة من أداة سعر الفائدة .

ويظهر ذلك بوضوح فى ظل المؤسسات النقدية والمالية المعاصرة . فإذا ما اعتمدت البنوك معدل الربح كأساس للتمويل ، وفقاً لصيغ وأدوات الاستثمار الإسلامى العديدة والمتنوعة ، كان عليها أن تكون أكثر دقة وحذراً وموضوعية فى تقويم المشروعات . كما لا يتصور ، فى هذه الحالة تحيزها لصالح المشروعات الكبيرة وضد المشروعات المتوسطة والصغيرة ، كما هو الحال فى الوضع الراهن . فالمشروعات جميعاً تصبح على قدم المساواة . ولا يحكم اتخاذ قرار المشاركة إلا معدل الربح . فكلما ارتفع هذا المعدل ، كانت فرصة المشروع فى الحصول على التمويل ، أو المشاركة فى التمويل ، كبيرة . والعكس تماماً صحيح . وعليه ، لا يعد « معدل الربح » أكثر كفاءة فى تخصيص الموارد فقط ، بل أيضاً أكثر قدرة على الحد من الاتجاهات الاحتكارية ..

وعلى أساس هذا المعيار ، يستطيع النظام الإسلامى ، عملياً ، أن يحقق العدالة بين المُدَّخِر (رب المال) والمستثمر (المُنَظِّم) . إذ لا يحصل أى منهما على عائد ثابت ومضمون مسبقاً . وإنما يشارك فى المخاطرة ، ويتحمل النتيجة : ربحا كانت أم خسارة ، بحسب الاتفاق الذى يتحدد بينهما وفقاً لقوى سوق رأس المال . ومن ثم ، لا تعرف هذه العلاقة الإنتاجية الصحية ظلماً للمدخر ، كما هو الحال عند انخفاض الفائدة وارتفاع الربح ، أو ظلماً للمستثمر ، عند حدوث

قضيـة القضايـا الاقتصاديـة

العكس ، أى ارتفاع الفائدة وانخفاض الربح أو تحقق خسارة . وإنما تقوم العدالة بين الطرفين ، مما يؤثر إيجابياً على الادخار والاستثمار .

وفى ظل عدم توافر « عالم التيقن التام » ، لابد فطرياً أن يميل الإنسان إلى الادخار للاحتياط من ناحية ، وللعمل على رفع مستواه المعيشى فى المستقبل من ناحية أخرى . ولا يشذ المجتمع الإسلامى ، على المستويين الفردى والكلى ، عن هذه القاعدة ، سواء فى صورته الأولى ، أو فى أى صورة حالية أم مستقبلة .

وبصفة عامة ، هناك ترابط إيجابى بين الدخل والادخار . فكلما زاد الدخل ، أساساً نتيجة زيادة الأرباح ، زاد الادخار . ويزداد الميل للادخار فى ظل النظام الإسلامى بفعل « القيم » التى تدعو إلى « القوام » ، أى الاعتدال فى الإنفاق بعامة ، وبالذات الإنفاق الاستهلاكى . وتؤدى « الزكاة » دوراً محورياً فى زيادة هذا الميل ، عن طريق محاولة الفرد زيادة مدخراته على الأقل بما يساوى ما عليه من زكاة ، وذلك للحفاظ على مستوى ثروته .

وبتحريم « الاكتناز » ، ومحاربته عملياً عن طريق « الزكاة » ، التى تجعل الأرصدة النقدية العاطلة تتآكل خلال الزمن ، وبتحريم « الربا » ، و« الغرر » ، وبالتالى منع تثمير المال وتنميته من خلال ابشع صور « اكل أموال الناس بالباطل » وبتحريم « الاحتكار » ومحاربة كافة الممارسات الخاطئة فى النشاط الإنتاجى بوسائل عملية ، وبتأكيد قيمة « العمل المنتج » ورفعه إلى مرتبة « الجهاد » وجعله جزءاً من العبادة بالمعنى الواسع ، فتح النظام الإسلامى الباب واسعاً لاستخدام مدخرات المجتمع فى استثمارات حقيقية ومربحة ، وفقاً لنظام المشاركة فى الربح والخسارة ، بديلاً عن نظام المداينة بفائدة .

وفى ضوء الارتباط الإيجابى القوى بين معدل الربح والاستثمار ، ولأهمية الأرباح ، وبالذات غير الموزعة ، فى التمويل الاستثمارى ، قدم النظام الإسلامى العديد من الصيغ والأدوات الاستثمارية القائمة على : عقود المشاركة ، وعلى راسها عقد الشركة ـ بكل انواعها ـ وعقد المضاربة ؛ وعقود البيوع ، وعلى راسها عقد المرابحة ـ بأنواعه ـ وعقد السلم .

كما أمكن ، ويمكن ، استحداث الكثير من الصيغ والأدوات الاستثمارية على أساس فكرة « العقود غير المسماة » ، أى التى لم يقل بها علماء السلف ، ولكنها تتفق وأحكام الشريعة الإسلامية : كالتمويـل التأجـيرى ، والبيع التأجيرى ، والأسهم وصكوك التمويـل أو الاستثمـار الإسلاميـة ـ المختلفة (القيم) و(الآجال) ودرجات المخاطرة ، بما يتمشى ورغبات المتعاملين .

وعلى أساس هذه الصيغ والأدوات المستحدثة نتيجة إحلال التمويل بالمشاركة محل المداينة بفائدة ، يؤدى الجانب المؤسسى ، من : بنك مركزى ، وبنوك استثمار وأعمال ، وشركات استثمار وتمويل ، وشركات تكافل وتـأمين إسلامى ، وحركة تعاونية ، وسوق أوراق مالية ، دوراً أساسياً فى حشد المدخرات وتوجيهها إلى عمليات الاستثمار ، بما يكفل تحقيق نمو متزايد فى معدلات التراكم الرأسمالى ، ويحقق بالتالى أولويات وأهداف المجتمع .

وبالرغم من اختلاف آليات النظم النقدية

والمصرفية فى الاقتصاد الإسلامى عنها فى الاقتصاديات الأخرى ، وبدون الدخول فى تفاصيل هامة ليس هذا مكانها ، سيظل البنك المركزى « عمدة » الجهاز المصرفى : كبنك لإصدار النقود ، وبنك للبنوك وممولها الأخير ، وبنك للحكومة ومستشارها المالى ، وبنك التحكم فى كمية النقود .

ففى ظل النظام الإسلامى ، يستخدم البنك المركزى أدوات « سياسة نقدية » تتفق مع منهج التمويل بالمشاركة . ومن ثم ، يتركز عمله أساساً فى التحكم فى عرض النقود ، بما يتناسب والاحتياجات الفعلية للنشاط الاقتصادى وعملية تنميته خلال الزمن ، أى بما يحقق أقصى قدر من الخدمات التبادلية مع ثبات « نسبى » فى قيمة النقود .

وهنا ، يكون من أوجب مهام البنك المركزى أن يتابع معدل التغير فى الأسعار ومعدل النمو فى الإنتاج للتأكد من وجود مبرر حقيقى ، فى صورة زيادة فى الإنتاج ، لإصدار نقدى جديد . أو بمعنى آخر ، يجب على البنك المركزى أن يتأكد ، بقدر الإمكان ، من أن أى توسع نقدى يقوم به ، لن يؤدى إلى تضخم سعرى يلغى آثاره على حجم الأرصدة الحقيقية .

وفى هذا الصدد ، وبجانب إشراف وتفتيش مصرفى دقيق ورشيد ، يكون للبنك المركزى ، من بين وسائل أخرى ، سلطة إصدار التوجيهات لمجتمع البنوك بشأن الأغراض التى يمنح التمويل من أجلها ، وسقوفه ، والأرصدة النقدية التى يتعين الاحتفاظ بها ، ونسبة ونوع الضمان الذى يجب الحصول عليه .

وفى حالة تمويل الإنفاق الحكومى ، يتعين أن يكون هذا التمويل من مصادر حقيقية .

وهذا يعنى انه لا مجال ، فى ظل هذا النظام ، لأسلوب تمويل الحكومة لنفقاتها بالعجز ، عن طريق الإصدار النقدى أو الاقتراض من الجهاز المصرفى . وإنما تعمل الحكومة ـ بالتعاون مع البنك المركزى ـ من خلال سياسة مالية رشيدة ، ومؤسسة الزكاة ، على تدعيم السياسة النقدية . ويتم ذلك عن طريق زيادة إيرادات الحكومة من مشروعاتها الاقتصادية ، ومن عوائد بعض خدماتها ، وبإحلال « التوظيفات المالية » الإسلامية ، التى تؤخذ من فضول الاغنياء محل الضرائب أو المكوس ، ثم اخيراً من خلال « القرض الحسن » .

ومن ثم ، لا مجال إلى اللجوء إلى الاقتراض بفائدة داخلياً أو خارجياً . وإذا ما دعت الحاجة إلى التمويل الخارجى ، وقد تنشأ فعلاً ، فليكن ذلك على أساس منهج المشاركة : مع الدول الإسلامية « ذات الفائض » أولاً ، ثم بعد ذلك مع دول ومؤسسات العالم .

وبهذه العناصر الإيجابية الأساسية من ادخار واستثمار وانفتاح على التقدم التكنولوجى « المناسب » ، وصيغ وأدوات استثمارية متنوعة ، وإطار تنظيمى ومؤسسى متكامل ، وسياسات نقدية ومالية رشيدة ، واستقرار فى المعاملات بعيداً عن التقلبات الطائشة بسعر الفائدة بخاصة والأسعار بعامة ، تتوافر فى ظل النظام الإسلامى الشروط الضرورية لقيام عملية تنمية شاملة ، جادة ومتجددة . ولكن هذه الشروط بذاتها ، ليست ، وفقاً لفلسفة هذا النظام ومرتكزاته ، كافية . وهذا ينقلنا مباشرة ، إلى أهم جوانب هذا النظام ، وهو (الجانب القيمى) .

♦ قضيـــة القضايـــا الاقتصاديـــة

فبعيداً عن الخرافة الشائعة القائلة بحيادية الاقتصاد الوضعى ، وعدم ارتباطه بالاعتبارات القيمية والأخلاقية ، تاكيداً لصبغتـه « الماديـة » ، واهتمامـه الأكثر « بالأشياء » ، يعلمنا التاريخ ان جميع الانظمة التى عرفتها البشرية لابد أن تتاثر ، بصورة او باخرى ، بالقيم . ولكن « القيم » فى الاقتصـاد الوضعى تعـد إطاراً خـارج ميكانيكية النظـام . بينما فى الاقتصـاد الإسلامى ، تعد « القيم » الإسلامية متغيراً داخليا حاكما فى آلية النظام . فهى تعتبر المحرك الأساسى لفعالياته .

فنحن : هنا ، أمام « اقتصاد دينى » ، او « دين اقتصادى » . وليس هذا تـلاعباً بالألفاظ ، وإنما توكيد لحقيقة كون الاقتصاد الإسلامى جزءاً من كل ، يترابط ويتفاعل ويتكامل ، فى تناسق وتوازن ، مع بقية الأجزاء المكونة للإسلام ، كدين ونظام حياة كامل ـ يحكم بضوابط الإسلام ، ويسير وفقا لأحكـامه . ومن ثم ، يستنـد الاقتصاد الإسلامى ، فى تحليله نظريا وفى تطبيقه عملياً ، على الإنسان الذى يعمل ـ واقعياً ـ فى إطار من القيم والأخلاق الإسلامية .

هذا الإنسان الواقعى ، فى ظل هذا النظام ، هو الإنسان « المحرَّر » حقيقة من : القهر والاستغلال ، أى من الظلم بشتى صوره ، المعنوية والمادية . فهو الإنسان المحترم لذاتيته ، والمكرم لآدميته ، الذى ينعم فعلاً وعملاً « بالحرية والعدل » وبدون تحقيق هذين المطلبين ، بسبب البعد عن شرع الله ، لن يتحقق المشروع الإسلامى الإنسانى ـ الممكن ـ فى إعمار الأرض ، ولن يتمكن الإنسان من القيام بتبعة تنفيذ هذا المشروع . ومن ثم ، يظل التخلف قائماً ، وتظل المعيشة الضنك جاثمة على عقول وحقول البشر .

إذن ، لا مخرج للدول الإسلامية المعاصرة فى مجابهة هذا التحدى الاقتصادى والحضارى ، إلا من خلال تطبيق كامل وشامل للخيار الإسلامى ، الذى لم أتناوله هنا إلا من خلال إشارات عابرة وكلمات مقتضبة ، وبهذا المخرج ـ خروجاً من مستنقع التجريب والتغريب ولا اقول التغييب ـ تتحقق غاية النظام فى عبادة الخالق تبارك وتعالى ، بالمعنى الواسع الذى يشمل إعمار الأرض إعماراً حقيقيا مستمرا ، إنارة للعقول وزراعة للحقول . ومن ثم ، يتم تحقيق « تمام الكفاية » ، أى الحياة الطيبة الكريمة ، لكل فرد يعيش فى ظل هذا النظام .

وبهذا التحقيق ، يتم حفظ مقاصد الشريعة الغراء ، حفظاً ديناميكياً تنموياً ، متمثلاً فى حفظ : الدين ، والنفس ، والعقل ، والمال ، والنسل . ولقد تركزت مناقشتى السابقة حول مس خفيف وسريع لجانب من جوانب المقصد الرابع ، وهو : حفظ المال . هذا الجانب هو مدى فعالية آلية الربح فى استخدام الأموال .

خاتمة :

وإنى ، فى نهاية مناقشتى لهذه القضية الهامة ، والتى لم أتعرض فيها بإسهاب عن قصد ، أو حتى أصلاً ، لحكم الفوائد المصرفية شرعاً ، لأن هذا الحكم قد أشبع حسماً وقطعاً ، بعد أن قُتل بحثاً من قبل فقهائنا القدامى ،

وفقهائنا المحدثين ، وفقهائنا المعاصرين ، فرادى وجماعات ، بفتاوى متواترة بلغت أكثر من ثلاثين فتوى ، أسجل من باب التوكيد وليس من باب التكرار ، أن هذه الفوائد ، المدينة منها والدائنة ، هى من (ربا الزيادة) المحرم بنص الكتاب والسنة والإجماع ، كما أشدد على (فساد آلية سعر الفائدة) فى إدارة النشاط الاقتصادى المعاصر ، وعلى الجدوى العملية ، الفاعلة والرشيدة (لمعدل الربح - بالمفهوم الإسلامى) ، كآلية لإدارة مناسبة لهذا النشاط .

فدعنا لا ننشغل بأمور يفترض أننا تجاوزناها ، لأن الانشغال بها لا يعنى ، حقيقة ، سوى الهروب من مجابهة مشكلاتنا الحالة والملحة ، لمعالجة مشكلة لا وجود لها . فكأننا فرغنا تماماً من معالجة هذه المشكلات الحقيقية والحادة بأفضل ما تكون المعالجة ، فرحنا نفتش فى دفاترنا القديمة ، كما يقولون ، لنخرج منها مشكلة تمت معالجتها ، بصرامة وانضباط شرعيين ، لنعالجها من جديد ، بدلاً من تطبيق نتائج هذه المعالجة عملياً لتصحيح انحرافاتنا الواضحة عن (شرع الله) فى مجال تثمير المال .

وإنى أقطع بأن هذا التصحيح - الممكن والضرورى والمطلوب شرعاً وعملاً - هو المدخل الحقيقى والفطرى لبداية جادة فى هذا المجال .

وعليه :

فالقضية المثارة الآن حول الفوائد المصرفية ، ليست بالقطع قضية القضايا . ولكنها ، فى واقع الأمر :

قضية مفتعلة لتكريس وضع قائم « محرم » .

ولتبرير الإصرار على اقتراف « كبيرة » الربا .

ذلك أن طبيعة عمل البنك الحديث هى الاتجار فى « القروض » والفوائد على هذه القروض ، كما أوضحنا ، هى زيادات مشروطة على المال . وهذا هو عين الربا المحرم .

وسعر الفائدة يعد ، بصفة عامة ، آلية فاسدة لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر . وهنا ، يقدم النظام الإسلامى البديل السهل والفاعل والميسور الذى يتمثل فى إحلال (المشاركة فى الربح والخسارة) محل (المداينة بفائدة) ومن ثم تحويل البنوك التقليدية إلى مصارف إسلامية ، واعتماد « الربح » كآلية فاعلة ورشيدة لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر .

ولنتذكر دائماً ، ولنعمل أبداً بهدى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩) .

وقوله جل وعلا :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

وقوله عز من قائل :

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه : ١٢٤) .

صدق الله العظيم ، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى . اللهم اهدنا فيمن هديت ، وتولنا فيمن توليت .

الفتاوى

إعداد: احمد تقى الدين

- **جامعة الأزهر ترفض عائد وقف لما فيه من « ربا » .**
- **لجنة من علماء الشريعة تعد دراسة مستفيضة لموضوعه**
- **ليس مقبولا شرعا أن يدعو الأزهر إلى تحريم الربا ثم يستحله**
- **سد الذريعة واجب حتى لا يستغل أحد الحرام باسم الإسلام**

أودع السيد المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى شهادة استثمار ذات العائد المجموعة (ب) قيمتها (٥٠٠٠٠) خمسون الف جنيه لتكون وقفا ينتفع بعائدها لصالح مركز إعاقة الطفولة بجامعة الأزهر ... بلغ هذا العائد (٨١٢٥) جنيها .

وبرفع الأمر إلى الجامعة اقترح فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة عند مناقشة التبرع المقدم تكليف فضيلة الأستاذ الدكتور عميد كلية الشريعة والقانون بتكوين لجنة من علماء المذاهب الثلاثة : الشافعى والمالكى والحنفى .

تكونت اللجنة من أصحاب الفضيلة الأستاذ الدكتور عبد العال عطوة ، والأستاذ الدكتور يس شاذلى شاذلى ، والأستاذ الدكتور عبد الجليل سعد القرنشاوى :

وإلى القراء نص دراسة اللجنة المرفوعة إلى فضيلة عميد كلية الشريعة .

الأستاذ الدكتور / عميد كلية الشريعة والقانون - بالقاهرة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .....

وبعد .....

- فقد اجتمعت اللجنة التى شكلت بناء على طلب مجلس جامعة الأزهر من أصحاب الفضيلة :

١ - الأستاذ الدكتور / الشيخ عبد العال عطوة .

٢ - الأستاذ الدكتور / يس شاذلى شاذلى .

٣ - الأستاذ الدكتور / عبد الجليل سعد القرنشاوى .

ـ وذلك لبيان الحكم الشرعى فى شهادة الاستثمار ذات العائد المجموعة (ب) التى أودعها السيد المستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجرى بالبنك الأهلى المصرى الفرع الرئيسى بالقاهرة بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٧ م وقيمتها (٥٠٠٠٠) جنيه (خمسون ألف جنيه مصرى لا غير) على أن تكون وقفا لصالح مركز إعاقات الطفولة بجامعة الأزهر ينتفع بعائدها المقدر حاليا بمبلغ (٨١٢٥) (ثمانية آلاف ومائة وخمسة وعشرين جنيها مصريا) .

ودرست طبيعة هذه الشهادة فى ضوء مبادىء الشريعة الإسلامية وقواعدها . ورأت بالإجماع أن هذه الشهادة لا يتفق التعامل بها مع مبادىء الشريعة وقواعدها ويتضح ذلك من دراسة طبيعتها ، فهى عبارة عن صك يتم شراؤه بقيمة محددة ، ويلتزم البنك بأن يدفع للمشترى فائدة سنوية أو نصف سنوية تحدد هذه الفائدة مقدما عند الشراء ولمدة سريان الصك مودعا بالبنك ، كما يلتزم البنك بإرجاع قيمة الشهادة كاملة عند انتهاء مدتها وليس لذلك علاقة بأعمال البنك من ربح أو خسارة .

فتبين للجنة من دراسة طبيعتها أنها تمثل قرضا جر نفعا . والقاعدة الشرعية : أن كل قرض جر نفعا يكون ربا ، والربا محرم فيكون التعامل بها محرما . وليست من القراض المشروع ؛ لأن الفائدة المقدرة فيها ليست جزءاً من الربح ، وإنما هى تعطى سواء ربح المال أم خسر أم لم يربح شيئاً ، أما القراض المشروع فالجزء المقدر المشترط إنما يكون جزءاً نسبيا من الربح ، فالعلاقة بين مشترى شهادة الاستثمار وبين البنك ليست من باب الشركة ، فمشترى الشهادة له مبلغ معين محدد ولا شأن له بعمل البنك ، فإن كسب فلنفسه فقط ، وإن خسر تحمل الخسارة وحده فالعلاقة بينهما لا تخرج عن كونها علاقة دائن ومدين ، أما القراض (المضاربة) فالعلاقة بين المضارب والمضاربة علاقة شركة حيث يشتركان فى الغُنْم والغرم فالربح يقسم بينهما بالنسبة المتفق عليها والخسارة يتحملها صاحب رأس المال والعامل يتحمل ضياع جهده وعمله ولا ضمان عليه إلا إذا تعدى أو فرط أو خالف شروط العقد .

ومن هذا العرض يتبين أن شهادة الاستثمار مجموعة (ب) ذات العائد (قرض إنتاجى ربوى محرم) لا يجوز التعامل بها . وعلى المسلم أن يبتعد عن الشبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام . والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

تحريرا فى : جمادى الآخرة ١٤١١ هـ ١٩٩٠/١٢/٢٦ م ....

أعضاء اللجنة :

١ ـ الأستاذ الدكتور / عبد العال عطوة .
٢ ـ الأستاذ الدكتور / يس شاذلى شاذلى .
٣ ـ الأستاذ الدكتور / عبد الجليل سعد القرنشاوى .

وبرفع هذه الدراسة إلى فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة ، كتب فضيلته يقول :

الأستاذ الدكتور العميد .

لا خلاف فى حرمة هذه المعاملة لكنا نريد الرأى فى أن المتبرع اتخذ هذه الوسيلة ، وتم التسجيل والكتابة على الشهادات بأنها وقف

الفتـــــــاوى

لا تباع ، فهل نقبل العائد المخصص للأطفال المعاقين خاصة اليتامى منهم أم لا ؟

مع العلم بأن قبول العائد يخلصه من الإثم .

التوقيع

وبدوره قام فضيلة الدكتور عميد كلية الشريعة والقانون بتحويل الأوراق إلى اللجنة مرة ثانية فكتبت فتواها مفصلة بتحريم العائد كما أفادت بأن الجامعة لا تقبل هذا الحرام وهذا نص دراستها الثانية :

السيد الأستاذ الدكتور / عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .. وبعد ..

فبناء على خطابكم المؤرخ بتاريخ ٣١/١٢/١٩٩٠ م الخاص بطلب إبداء الرأى فيما جاء بتأشيرة الأستاذ الدكتور / مدير الجامعة بشأن قبول عائد شهادات الاستثمار المجموعة (ب) التى وقفها الدكتور شوقى الفنجرى لصالح مركز إعاقات الطفولة بجامعة الأزهر ، من أن قبولها ـ مع العلم بأنها حرام ـ ربما كان فيه مصلحة للطرفين ، للواقف بتخلصه من المال الحرام ، ولمركز الإعاقات بصرف هذا العائد فيما يعود عليه بالمنفعة نفيدكم بما يلى : ـ

اجتمعت اللجنة السابقة التى رأت حرمة هذا العائد ، وتدارست وجهة النظر المذكورة ، ورأت مايلى :

(١) ـ سبق أن بينا فى خطابنا السابق أن هذا العائد يحرم تداوله ، والتعامل به ، والانتفاع به ، استنادا إلى أن هذه الشهادات تمثل قرضا جر نفعا ، وأن القاعدة الشرعية تقول : كل قرض جر نفعا فهو حرام ـ أو فهو رِبًا ـ وتأسيساً على ذلك :

لا يحل الانتفاع به ، لقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ ﴾ سورة البقرة / ١٧٢ .

ويقول المفسرون أن المراد بالأكل سائر وجوه الانتفاع ، وأن المراد بالطيب : الحلال ، ولقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة : ـ أيها الناس : إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا . وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ ثم ذكر : الرجل ، يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك . ويعلق الامام القرطبى على ذلك فيقول : « فقد سوى الله تعالى بين النبيين والمؤمنين فى الخطاب بوجوب أكل الحلال وتجنب الحرام ، ثم شمل الكل فى الوعيد الذى تضمنه قوله تعالى : ﴿ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وإذا كان هذا معهم فما ظن كل الناس بأنفسهم » .

الجامع لأحكام القرآن جـ ١٢ ص ١٢٨ .

(٢) ـ إن التوبة عن المال الحرام تكون بالامتناع عن أخذه ، أو رده إلى من أخذ منه إذا كان معلوما فإن لم يكن معلوما تصدق به الآخذ عن صاحبه ، هذا هو سبيل التوبة عن المال الحرام .

وفى ذلك يقول الإمام القرطبى : « قال علماؤنا : إن سبيل التوبة مما بيد الرجل من الأموال الحرام إن كانت من ربا فليردها على من أربى عليه ، ويطلبه إن لم يكن حاضرا ، فإن أيس من وجوده فليتصدق بذلك عنه ، وإن أخذه بظلم فليفعل ذلك فى أمر من ظلمه » .

ـ الجامع لأحكام القرآن جـ ٣ ص ٣٦٦ .

ويتضح من ذلك : أن التصدق بالعائد ابتداء ليس سبيلا للتوبة من هذا العائد لأن صاحبه معروف وهو البنك ، فلا يأخذه منه ، وإن أخذه فليرده إليه ، وليس للمستثمر أن يقوم على أخذه أو يأمر بصرفه إلى أى جهة من جهات الخير والبر ، لما ذكرنا .

(٣) - إن قبول هذا التبرع يتعارض مع الفقرة الأولى من المادة السادسة من قانون الأزهر رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ م التى تنص على أن :

للأزهر شخصية معنوية يكون لها الأهلية الكاملة لقبول التبرعات بشرط ألا تتعارض مع الغرض الذى يقوم عليه الأزهر « ذلك لأن هذا التبرع تبرع بمال حرام ، وقبوله يتنافى مع رسالة الأزهر التى تقوم - ضمن ماتقوم عليه - على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجوهرهما : الحث على فعل الحلال والبعد عن ارتكاب الحرام ، وليس من المقبول شرعاً أن يدعو الأزهر إلى البعد عن الحرام ويقدم هو عليه ، ولا أن يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وإذاً فقبول هذا التبرع مخالف لقانون الأزهر فوق مخالفته للشرع .

(٤) - إن قبول جامعة الأزهر لهذا العائد لجهة بر تشرف عليها الجامعة يعتبر اعترافا ضمنيا بحل هذا العائد وحل التعامل بهذه الشهادات ، وربما استغل البعض ذلك - إعلاميا أو غير إعلامى - فَيَدَّعِى موافقة جامعة الأزهر على حل التعامل بهذه الشهادات ، فسدا للذريعة - وهى قاعدة من قواعد التشريع - يجب أن تنأى جامعة الأزهر عن قبول هذا التبرع ، حتى لا تقع فى فخ قد يكون منصوبا لها بغرض الاستغلال السيىء ، وإن كنا نظن بالمسلمين خيرا .

لذلك :

نرى أن وجهة النظر المذكورة غير سليمة ولا يصح أن يبنى عليها قبول التبرع والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

اعضاء اللجنة :

---

١ - أ . د / عبد العال احمد عطوة .
٢ - أ . د / يس شاذلى شاذلى .
٣ - أ . د / عبد الجليل سعد القرنشاوى .

حقوق مطلقة ..

● تزوجت برجل منذ ثلاث سنوات ، ومنذ هذا الزواج لم يعاشرنى معاشرة الأزواج ، ولما ذهب إلى أهل الاختصاص فى الطب تبين انه لا يستطيع مباشرة الحياة الجنسية ، وقد اتفقنا على الطلاق فما هى الحقوق الشرعية لى من نفقة وغير ذلك علما بأننى لى صداق وكان قد أعطانى شبكة ذهبية ، فما الحكم ؟

- ما دام الزوج لم يستطع مباشرة الحياة الجنسية مع زوجته نتيجة لما عنده كما قال الأطباء المختصون ، وحيث إنه اتفق مع الزوجة على الطلاق فإن الحقوق الشرعية لها هى : أولا المهر جميعه مقدمه ومؤخره ، وكذلك الشبكة لأنها جزء من المهر ، كما تستحق نفقة عدة لمدة عام وكذلك نفقة متعة طبقا لقانون الأحوال الشخصية رقم (١٠٠) والمأخوذ من الشريعة الإسلامية وذلك حسب يسر الزوج أو عدمه لقوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢٣٦] .

اليوم الآخر

بين اليهودية والنصرانية والإسلام

للدكتور/ فرج الله عبد البارى

جاء فى القرآن الكريم - وفى مقامات عديدة - ذكر « اليوم الآخر » و« الآخرة » ، ولكل مضمون واضح عند المسلمين لا لبس فيه ، فاليوم الآخر هو « يوم القيامة » ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ « المطففين ٦ » .

وبهذا اليوم تبدأ (الحياة الآخرة) التى لا نهاية لها ، واليوم الآخر هو اليوم الذى يكون فيه البعث والحشر والجزاء .

قال الإمام الطبرى - فى قوله تعالى : ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1] . « سميت (آخرة) لتأخرها عن الخلق ، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق »[2] ، وعلى ذلك الفخر الرازى[3] .

ويذهب البعض إلى أن (اليوم الآخر) يبدأ بالموت بالنسبة للإنسان ، ويستدلون على ذلك بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

« إن القبر اول منازل الآخرة »[4]

أما اليوم الآخر عند النصارى . فيطلقون عليه « الاسخاتولوجيا » وهو معنى مركب من كلمتين يونانيتين يعنى عموماً « الكلام فى الآخرة » والمعنى التقليدى لهذا الاصطلاح « اسخاتولوجى » هو التعليم عن الأشياء الأخيرة والمسائل المتعلقة بنهاية العالم ومصير الإنسان من موت وبعث وجنة ونار »[5] .

ونلاحظ أن إطلاق (الآخرة) عند النصارى يقترب جداً من إطلاق المسلمين - مع أوجه الاختلاف من ناحية التفصيلات ، ومن ناحية من يتولى الحساب وحقيقة الجنة والنار عند النصارى .

أما اليوم الآخر - عند اليهود فإن المقصود به إجمالاً القيامة من الأموات .. غير أننا نلاحظ كما

(*) الكاتب . بهيئة التدريس - كلية أصول الدين جامعة الأزهر .

(١) سورة البقرة الآية ٤ .

(٢) تفسير الطبرى ط . ص ٢٤٥هـ .

(٣) سورة البقرة الآية ٨ .

(٤) انظر إحياء علوم الدين جـ ١٦ ص ٢٩٥٩ .

(٥) انظر علم اللاهوت النظامى ص ١١٦٧ ، الفكر اللاهوتى فى كتابات بولس ص ٣٩٧ ، المعجم الفلسفى ، وجميل صليبا ط ص ٢٧ .

يقول شارل جينبير أن اليهود حين يتحدثون عن الآخرة لا يقصدون ما يقصده المسلمون أو المسيحيون ـ لأن اليهود يسخرون منها ويرون انها بعيدة جداً ، ولذلك أطلقوا عليها الاسم العبرى « احرنيت هياميم » التى معناها آخر الأيام أو الآخرة ، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئاً فى النص المتداول (٦) ، وسنزيد الأمر وضوحاً فيما يلى :

أولا : البعث عند اليهود

من الحقائق المعروفة أن الله أنزل على موسى ـ عليه السلام ـ التوراة فيها هدى ونور ، ومعلوم أن هذه التوراة قد اشتملت على العقائد والشرائع ، ومن أمور العقيدة التى وردت فى التوراة : (الآخرة) وما فيها من بعث ونشر وحساب وجنة ونار .. يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (٧) .

وإن أول ما أوحى به الله لموسى ـ عليه السلام ـ الأمر بالتوحيد وإقامة الصلاة والتحذير من الآخرة .. يقول تعالى : ﴿ إِنَّنِى أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى. إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ (٨) .

ويقول تعالى على لسان سيدنا موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٩) .

بالتأمل فى أسفار موسى الخمسة الحالية ، والتى يطلق عليها اليهود اسم التوراة وجدنا أنها خالية من الحديث عن البعث والجزاء والجنة والنار .

و(ابن كمونة) اليهودى فى كتابه « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » يعترف بخلو التوراة من البعث والثواب والعقاب فى (آخرة) ، بل ويدافع عن خلو التوراة من البعث والحساب والجنة والنار .

وإذا تركنا أسفار موسى الخمسة وتأملنا أسفار الأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى فيما سطروه ، وجدنا بعض الإشارات عن البعث والجزاء ، وبدراسة هذه النصوص وجدنا أنها مختلفٌ حولها فالبعض (١٠) يذهب إلى أن المقصود بها (العودة القومية) لليهود وانتصارهم على أعدائهم ، والبعض الآخر (١١) يذهب إلى أن تلك النصوص مقصود بها (البعث الأخروى) ، ولكن اليهود تأثروا فى عصورهم المتأخرة من الديانة الفارسية والبابلية بعد عودتهم من السبى .

---

(٦) انظر الفكر الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١١١/١١٢ .

(٧) سورة الأنعام الآية ١٥٤ .

(٨) سورة طه الآية ١٤/١٥ .

(٩) سورة غافر الآية ٢٧ .

(١٠) منهم على سبيل المثال صاحب كتاب تراث العالم القديم و . ح . دى بورج ص ٩٩ ومنهم ناشد حنا ، تفسيره لسفر أشعياء ، ومنهم صاحب السنن القويم فى تفسير العهد القديم ، وقاموس الكتاب المقدس وغيرهم كثير .

(١١) من هؤلاء صاحب كتاب علم اللاهوت الكتابى الفكر الإسلامى أطواره ومذاهبه ، واليهود تاريخاً وعقيدة ، وقصة الحضارة الخ ..

اليهودية والنصرانية والإسلام

أما التلمود وشروح مفكرى اليهود فإن نصوصهم تصرح بأن اليهود يعتقدون فى الآخرة وأن البعث عقيدة أساسية عند أمة اليهود .

وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية من البعث والجزاء .

ثم وجود بعض الإشارات عن الآخرة فى أسفار الأنبياء المتأخرين .

ثم إقرار علماء اليهود ومفكريهم بالبعث والجزاء . رأيت أن أدرس البعث عند اليهود فى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : خلو التوراة الحالية من البعث والجزاء :

لقد كان خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والجزاء مثاراً للطعن فيها والجدل حولها . ومفاد هذا الطعن أن التوراة المتداولة الآن لو كانت من عند الله لما جاز خلوها من الحديث عن البعث [١٢] ولكن (ابن كمونة) اليهودى يعترف بأن التوراة خالية من الحديث عن البعث والجزاء . ويعلل ذلك بأن الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام لم يكونوا منكرين لثواب الآخرة وعقابها . ومن ثم لم يتكلم موسى عنها - وإنما تكلم عن الشرك ووجوب توحيد الله - لأن أهل زمانه كانوا يعبدون الأشجار والكواكب .

ولأن الأنبياء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم ولذلك ركز موسى على مرض أهل زمانه - وهو التأكيد على الوحدانية وعبادة الله - أما البعث فهو لم يتكلم عنه ولم ينبه عليه لأنهم كانوا على علم به واعتقاد فيه[١٣] .

وما ذهب إليه (ابن كمونة) يبرز أمرين :

الأمر الأول : أن التوراة خالية من البعث والثواب والعقاب لأن قومه لم يحتاجوا إلى تكرار الحديث عنه ، وإنما جاء موسى ليذكرهم بعبادة الله وحده لأنهم كانوا يعبدون الأصنام .

الأمر الثانى : أن التوراة وإن خلت من الحديث عن البعث والجزاء فإن ذلك لايعنى أن اليهود ينكرون البعث والجزاء بعد موسى عليه السلام . فاليهود يعتقدون ويقرون بالبعث والنشور للأموات ، وبقاء النفس بعد موت الأجساد وتناقلوا ذلك خلفاً عن سلف كما يقول ابن كمونة .

وإن خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والجزاء وتصريح اليهود بذلك جعل كثيرا من الباحثين يذهبون إلى أن اليهود لايعتقدون فى البعث والجزاء ، وهذا يغاير الواقع الذى يصرح به اليهود . ويكون كلام الباحثين موافقاً للحقيقة إذا قصدوا أن التوراة المتداولة خالية من الحديث عن البعث وهذا لا يعنى أن اليهود منكرون للبعث ؛ لأن التوراة ليست المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منه . فهناك التعاليم الشفوية « التلمود » الذى يستمد اليهود عقائدهم منه[١٤] .

ونحن لا نوافق (ابن كمونة) وغيره من علماء اليهود فى قولهم ، فإن التوراة خلت من الحديث

(١٢) انظر تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ص ٤٠ لابن كمونه اليهودى - الناشر دار الأنصار .

(١٣) نفسه ص ٤١ .

(١٤) انظر التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠/٩١ .

عن البعث لأن خلو التوراة من الحديث عن الحساب يدل على التحريف الذى مارسه أحبار اليهود بالكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام ، ولذلك تحداهم القرآن الكريم : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١٥) .

والدليل على تحريف التوراة من جانب اليهود أن هناك توراة عبرية وتوراة سامرية وبينهما اختلافات جوهرية تتعلق بالأصل الذى نبحثه وهو البعث والجزاء .

يقول الدكتور السقا :

قد وجدنا التوراة التى بأيدى السامريين تختلف فى بعض الآيات عن التوراة التى بأيدى العبرانيين ومن الآيات المختلف فيها النص على يوم القيامة فهو فى التوراة السامرية صريح للغاية ، وهو فى التوراة العبرانية يحتمل معنيين إما الجزاء فى الدنيا ، وإما الجزاء فى الآخرة ، والنص المختلف حوله فى التوراة العبرانية هو : « أليس مكنوزا عندى مختوماً عليه فى خزائنى لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم »(١٦) وهذا النص فسره صاحب السنن القويم(١٧) فى تفسير العهد القديم بأن المقصود منه الجزاء فى الدنيا لا فى الآخرة .

أما النص فى التوراة السامرية التى يقول اليهود السامريون إنه صريح فى الإشارة إلى يوم القيامة فهو : « أليس هو مجموعاً عندى مختوماً فى خزائنى إلى يوم الانتقام والمكافأة »(١٨) ويعلق اليهود السامريون على النص السابق بقولهم : « إن قوله يوم الانتقام والمكافأة . يدل بصراحة ووضوح على قيام الناس من القبور للقاء الله فيجزيهم على أعمالهم التى عملوها فى الحياة الدنيا(١٩) » .

وهذا النص بالرغم من صراحته كما يدعى السامريون على يوم القيامة إلا أننا نجده لا يتناسب مع طول أسفار موسى الخمسة ، وهذا يدل على أن التوراة السامرية محرفة . والذى ننتهى إليه يعد عرضنا للاتجاه الأول وهو خلو أسفار موسى الخمسة من الحديث عن البعث والجزاء هو :

أولاً : أن خلو التوراة من الحديث عن اليوم الآخر يدل على التحريف البشرى والتدخل على الوحى المنزل على موسى عليه السلام ، ولا ينفى التحريف والتدخل البشرى على نصوص التوراة قول ابن كمونة « إن اليهود يؤمنون بالبعث والجزاء فلا حاجة لتكراره لأن الأمور العقائدية وخاصة فيما يتعلق بالغيبيات لابد من ذكرها وتكرارها ـ وذلك للاهتمام بها .

ثانياً : خلط بعض الباحثين بين خلو التوراة الحالية من الحديث عن الآخرة وعقيدة اليهود فى البعث والجزاء ـ إذ أن خلو التوراة المتداولة بين اليهود ـ لا يعنى أن اليهود لا يعترفون بالآخرة ، وثوابها وعقابها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ؛ لأن التوراة ليست هى المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منه ـ إذ أن هناك التعاليم الشفوية كالتلمود ، وأسفار الأنبياء المتأخرين والتى يرجع إليها اليهود فى عقائدهم وشرائعهم .(*)

---

(١٥) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(١٦) سفر التثنية ٣٢ / ٣٤ / ٣٥ .

(١٧) ـ جـ ٢ ـ ص ٥٠ .

(١٨) التوراة السامرية سفر التثنية ٣٨/٣٤ .

(١٩) نفسه ص ٣٩٢ / ٣٩٣ .

(*) لا نستطيع أن نقر الكاتب فى قوله : إن التوراة ليست هى المصدر الوحيد الذى يستقى اليهود عقائدهم منه ، ذلك لأن (التلمود) مشكوك فيه برمته عكس التوراة المتداولة ، فإنها ذات أصل معروف وإن دخلها التحريف ، وما يقال عن التلمود يقال عن غيره .

اليهودية والنصرانية والإسلام

ثالثاً : إن التوراة التى أنزلها الله على موسى كان فيها عقيدة اليوم الآخر وما فيه من بعث ونشور وثواب وعقاب . على اعتبار أن اليوم الآخر أحد الأصول العقائدية فى جميع رسالات الأنبياء من قبل موسى ومن بعده . يقول الله تعالى على لسان موسى وهارون : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ (٢٠) .

وأن دعوة موسى قد اشتملت على تفصيلات عن الآخرة وما فيها وأن هذه التفصيلات كانت منتشرة بين بنى إسرائيل وغيرهم من المصريين . نلحظ ذلك من قول السحرة بعد إيمانهم . ما صوره القرآن الكريم عنهم :

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا . وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى . جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾ (٢١) .

وهذه الآيات صريحة الدلالة على أن الإيمان بالآخرة قد تغلغل فى نفوس هؤلاء المصريين لدرجة أنهم لا يخشون عذاب فرعون وجنوده ، وعقيدة الآخرة تلك لابد أنهم سمعوها من موسى قبل الإيمان بموسى فلما آمنوا رسخت فى نفوسهم بعد أن خالط الإيمان شغاف قلوبهم ـ.

يتبـــع

(٢٠) سورة طه الآية ٤٨ .

(٢١) سورة طه الآية ٧٢ ـ ٧٦ .

أضواء على تاريخ الثقافة العربية في غرب أفريقيا

٣
للأستاذ الدكتور
احمد الحفناوى

مدينة « جنى » :

كان موقعها ارضا خصبة مليئة بالأشجار ، يقصدها رعاة الماشية ، نشأت فى اواسط القرن الثانى الهجرى وتقع إلى الجنوب الغربى من مدينة «تمبكتو» وصفها «السعدى» بانها مدينة عظيمة ميمونة ذات سعة وبركة ، جعل الله ذلك فى ارضها ، وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة[1] .

ولعل ذلك كان سببا فى جذب الناس إليها بخاصة المشتغلون بالتجارة من شتى البقاع .. حيث اتخذوها سوقا رائجة فى السودان الغربى ، يلتقون فيها مع تجار «تغازه» الذين كانوا يتاجرون فى : «الذهب» و «الملح» وقد زاد من الإقبال عليها ان موقعها كان ذا تاثير وجاذبية ، فقد كانت مياه نهر النيجر تعزلها فى وقت الفيضان بحيث تتحول إلى جزيرة مائية ، طوال معظم العام ابتداء من اغسطس حتى فبراير ولا يصل إليها أو يخرج منها رائح او غادٍ إلا بواسطة قارب[2] .

ويقال : إن فضل بنائها يرجع إلى (طوارق منهاجة) ، الذين اختطوها لتكون ملتقى للتجار من هنا وهناك .. وقد وفدت عليها قبائل «السوننكى» من جنوب غربى الصحراء وأقاموا فيها ، وما لبثوا أن ازداد عددهم بمرور الوقت . حتى اختلط الأمر على بعض الباحثين فذكر أن «السوننكى» هم الذين اختطوا هذه المدينة[3] .

وقد بَدَأَتْ تدخل فى النفوذ الإسلامى منذ القرن الخامس الهجرى حين أسلم أميرها (كنبر) ، وبنى مسجدها العتيق على نظام المسجد الحرام فى مكة ، ويستفاد مما ذكره «السعدى» : أن الثقافة الإسلامية كانت قد تسربت إلى المدينة قبل أن يدخل أميرها فى الإسلام ؛ ذلك لأنه عندما

(١) ، (٢) السعدى ، مرجع سبق ص ٣٣ ، ١١ ، ١٢ .
(٣) فاى منصور على : مرجع سبق : ص ٢١٢ .

الثقافة العربية فى غرب أفريقيا

تهيأ لإشهار إسلامه ، أمر بحشد جميع العلماء الذين كانوا فى المدينة فجمع منهم أربعة آلاف ، ونيف وأسلم على أيديهم[٤] ثم قام بتحويل قصره إلى مسجد لله سبحانه وأنشأ لنفسه قصراً آخر بجوار ذلك الجامع جهة الشرق منه .

وإذا كانت هذه المدينة تقع فى المرتبة الثالثة ـ من الناحية التجارية ـ بعد «تمبكتو» و «جاو» إلا أنها من الناحية الثقافية والعلمية استطاعت أن تحتل الموقع الثانى بعد «تمبكتو» .. بما كان فيها من علماء وطلاب محاطين بعناية السلطان الذى كان يتقرب إليهم ببناء المساجد ويساعدهم على إقامة المساكن للطلاب .. ويقدم إليهم الهدايا .

وكان «اسكيا محمد» أول السلاطين الذين عينوا فيها القضاة للفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية ثم تتابعت وثبتها بعد ذلك فشهدت نهضة ثقافية إسلامية لم تتوقف منذ القرن السادس الهجرى وهى نهضة قامت ـ فى أول أمرها ـ على أكتاف الأجانب من التجار الدعاة المسلمين ، وما لبث أن ازدادت هذه النهضة بإقامة الكثيرين من مشاهير العلماء فيها من أمثال : الشيخ «محمد ساخو» الذى كان فقيها عابداً ولاه السلطان «اسكيا محمد» القضاء فيها ، وكذلك القاضى «محمود بن أبى بكر» ، والقاضى «محمد سانو» .. وغيرهم كثير[٥]

هذا وقد امتدت مراكز الثقافة إلى الشرق فى المنطقة الواقعة شمال نيچيريا فى إمارات «الحوصة» ، بعد أن دخلت هذه الإمارات الإسلام وخضعت لنفوذ «سنغى» ، فظهرت مدينة :

كانـــو :

فى وقت مبكر من القرون الأولى للميلاد اكتشفت الجماعات التى كانت تشتغل بصهر وصناعة الحديد أن تربة التَّلين : «دالا» و «جورون» على الأطراف الجنوبية للصحراء الكِبرى ، وعلى الأطراف الشمالية من نطاق حشائش (السافانا) ، غنية برواسب الحديد ، فأخذت تتجمع عندهما أسر الحدادين التى تزعمها فيما بعد رجل يسمى «كانو» حول هذه التجمعات العارضة إلى محلة صغيرة عند سفوح تل «دالا» أو «دارا» وأخذت هذه المحلة تنمو تدريجيا إلى أن أصبحت مدينة ، واشتهر سكانها باسم «اباجازاوا» ، ولقد ظلت هذه المناطق تسكنها عشائر متفرقة إلى أن أتت إليها هجرات القبائل الشهيرة المعروفة باسم «الهاوسا» والتى تكون الغالبية العظمى من السكان ، وفى عهد هذه القبائل أخذت مدينة «كانو» تنمو وتتطور تطوراً سريعاً حتى أصبحت مدينة لها مركز هام بين مدن الإقليم .

وظلت السلطة فى المدينة يتنازعها زعماء الحدادين وهم السكان الأصليون و « الهاوسا» وهم السكان الوافدون إلى أن اعتنق ملوك «الهاوسا» الإسلام واستطاعوا فى ظل هذا الدين ونظامه الدقيق أن يوجهوا الحكم الوجهة التى أكسبتهم النفوذ والسلطان وقد تطورت المدينة فى ظل الإسلام تطورا تدريجيا حتى احتلت مكان الصدارة بين مدن غرب أفريقيا .

وفى عهد الأمير « يعقوب » فى منتصف القرن التاسع الهجرى ، حدثت هجرة كبيرة إلى

(٤) ، (٥) السعدى : مرجع سبق : ص ١٣ ، ١٦ .

« كانو » شملت عناصر من « مالى » التى تعرضت لغزوات خارجية من المغاربة والطوارق فى الشمال ومن « الموسى » فى الجنوب ، وكان لهذه العناصر المهاجرة أثر كبير ـ بعد اختلاطهم بالسّكان الأصليين ـ فى تعميق جذور العقيدة الإسلامية عند « الهاوسا » .

وفى عهد (محمد رومفا) ، أشهر سلاطين «كانو» المسلمين ، بلغت المدينة ذروة مجدها ، وبدأ فيها عهد إسلامى سادت فيه كل مظاهر الحياة الإسلامية ، من إحياء لليالى رمضان ، والاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية .. إلى جانب تنقية الحياة القبلية من أفكار وعادات تتعارض مع الإسلام ! وقد حرص هذا السلطان على استيفاد عدد من علماء «الأزهر» ليعلموا الإسلام الصحيح فى المدارس العديدة التى انشأها ، والمساجد العظيمة التى شيدها ، وبرغم غزوات «السنغهاى» التى تعرضت لها «كانو» وبرغم غزوات بعض القبائل البدائية الأخرى فى الجنوب ، إلا أن «محمد كيسوكى» سلطان «كانو» فى أوائل القرن العاشر الهجرى ، كان حريصا على استمرار ازدهار الحياة الإسلامية فيها ، ساعده على ذلك :

* أن «السنغهاى» فشلوا فى غزواتهم على «كانو» أمام المقاومة العنيدة لأهلها .

* إن القبائل البدائية الجنوبية التى أغارت على «كانو» ، أقبلت على الإسلام ، فاستوفدت من أهلها ، من ينشر الدين الجديد بين أبنائها !!

ولما تعرضت «تمبكتو» و «جنى» و «جاو» لغزوات المغاربة والبربر ، اضطر العلماء فى هذه البلاد إلى الهجرة إلى « كانو » التى كانت الحياة الإسلامية فيها فى ازدهار ، وقد زار « جلال السيوطى » العالم المصرى المعروف مدينة « كانو » وأقام فيها بضع سنين يعلم القرآن والفقه .

ظلت مدينة « كانو » تعيش فى ظل أمراء « الهاوسا » كمدينة إسلامية وكمحطة للقوافل ، وقد تعرضت المنطقة لهجرات سلمية من قبل « الرعاة » المعروفين باسم « الفولانى » الذين نزلوا القرى ، والآخرين الذين نزلوا الحضر المعروفين باسم « فولانى جيدا » وقام فى المدينة تعاون وتكامل اقتصادى بين « الهاوسـا » و« الفولانى » وحدث وئام واختلاط واندماج ساعد عليه أن كليهما ينتمى للإسلام ، ويحرص على التفقه فيه ، وفى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى ظهر على مسرح الحياة فى المنطقة عالم جليل هو « عثمان دن فديو » تفقه فى الدين وتعمق فى علوم القرآن والحديث والشرائع على يد علماء تعلموا فى « الأزهر » وآخرين تعلموا فى المدينة المنورة أو فى « الزيتونة » أو فى « القرويين » ونادى بتوحيد البلاد فى ملك إسلامى موحد ، وبدأ الجهاد لتحقيق هذا الهدف... ودخلت « كانو » اتحاد إمارات « الفولا » قرنا كاملاً فى ظل نظام إسلامى دقيق .. حتى بدأت طلائع الاستعمار البريطانى تصل إليها فى بدايات العصر الحديث .

« على أن معظم الذين قادوا حركة التحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى فى هذه البلاد ، تخرجوا فى معهد عربى ، انشأه « محمد السنوسى » سلطان « كانو » بمساعدة أحد التجار المصريين كان يقيم هناك يسمى : أحمد أحمد أبو السعود ، واستوفد السلطان علماء من الأزهر فى مصر ومن بلاد السودان الغربى للتدريس فى هذا المعهد[٦] .

(٦) محمد جلال عباس :مدينة «كانو» : مقال فى مجلة الأزهر : مجلد ٣٣ جـ ٦ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ

الثقافة العربية فى غرب أفريقيا

« كانم » و« برنو » :

من المراكز الإسلامية الهامة فى غرب أفريقيا ، وقد قامت فى منطقة بحيرة (تشاد) الواقعة إلى الشرق من دولة « الهاوسا » ، وتتوسط هذه البحيرة قلب هذه الدولة ، وكان لخلو المنطقة من العوائق الطبيعية أثره فى تيسير الانتقال منها وإليها وفى استقرار الكثير من المجموعات القبلية واشتغالها بالزراعة بجانب المجموعات التى اشتغلت بالرعى .

على أن سيل الهجرات ـ وكذلك الغزوات ـ لم ينقطع من حوض النيل وبخاصة بعد الفتح الإسلامى لمصر والشمال الأفريقى ، وأدى هذا إلى اختلاط المهاجرين من العرب وكذلك من الفولانيين والبربر بالوطنيين الزنوج إلى ضعف الصفات الزنجية النقية وبخاصة فى اللون ، فلم يعد هناك جنس خالص محتفظ بصفاته الأصلية ، بل توجد مجموعات من هذا الخليط ، ومن المجموعات التى استقرت فى منطقة «تشاد» مجموعة «الكانمبو» وإلى هذه المجموعة ينسب تكوين دولة «البرنو» الأولى فى «كانم» .

أما قبائل «الكانورى» ، فهم أغلب سكان منطقتى : «كانم» و«برنو» وهم خليط من العرب والبربر والزنوج وإليهم يرجع الفضل فى استمرارية الدولة بعد ذلك ، والمعروف أنهم قد اعتنقوا الإسلام فى وقت مبكر وقد اشتهرت المجموعات العربية فى منطقة «تشاد» باسم «شوا» وكذلك باسمى : «أروا» و «سولونج» وإن كان العرب انفسهم لم يستخدموا كلمة «شوا» التى غلبت على غيرها من التسميات وظلوا يحتفظون بأسماء قبائلهم العربية الأصلية التى ينتمون إليها .

كذلك انتشرت اللغة العربية والتقاليد العربية فى شرق «تشاد» بصفة خاصة ، وإن كانت اللغة العربية التى انتشرت تختلط بألفاظ سودانية .

وتاريخ « البرنو يمثله عنصران :

* **الأول : العنصر الكانمى :**

ويمتد من قيام الدولة فى إقليم «كانم» إلى نهاية القرن الثامن الهجرى .

* **الثانى : العنصر البرنوى :**

ويبدأ من أواخر القرن الثامن الهجرى إلى نهاية دولة «البرنو» بعد هجمة الاستعمار فى العصر الحديث .

وفى العصر الكانمى كانت «برنو» خاضعة «لكانم» وكانت العاصمة «جيمى»[(٧)] وإقليم «كانم» شرقى بحيرة «تشاد» .

وفى العصر البرنوى أضحت «كانم» جزءا من الدولة البرنوية وإن لم تخضع تمام الخضوع ، كما صارت العاصمة «بيرنى» فى إقليم «برنو» على نهر يوب غربى بحيرة «تشاد» .

وقد ظهرت دولة «برنو» على الخرائط الأوروبية فى العصور الوسطى مما يدل على أهميتها[(٨)] .

كانت الصلة بين «البرنو» والعالم الإسلامى قوية وذات جوانب متعددة تجاريا وثقافيا وسياسيا وأكثر ما قامت هذه الصلة بمصر وشمالى أفريقيا ، مما مكن هذه الدولة من التقدم والتطور طوال عمرها الفسيح حتى ملأت شهرتها ما بين «النيل» و«النيجر» ولهذا نجد صاحب

---

(٧) المقريزى : الإلمام باخبار من بارض الحبشة من ملوك الإسلام : ص ٢٧ ، ٣٧ .

(٨) دكتور : احمد الحفناوى : دولة «البرنو» الإسلامية .

(كتاب الفتاش) يقول : « إن سلاطين الدنيا أربعة : السلطان الأعظم سلطان بغداد وسلطان مصر وسلطان برن !! وسلطان مل[9] أى أن صاحب «برنو» أحد سلاطين الدنيا الأربعة .

كانت هناك منابع ثلاثة وفد منها الإسلام إلى هذه البلاد :

* من مصر إلى النوبة ، إلى «برنو» إلى بلاد «الهاوسا» .

* من شمالى أفريقيا عبر الصحراء إلى حوض «النيجر» .

* من الحبشة إلى «اليوريا» والأشانتى .

ويقال : إن أبا يزيد الفزارى كان يدعو للإسلام فى «البرنو» وقد ارتبط اسمه باسم أسرة مستعربة قدمت إلى هذه البلاد فى القرن الثامن الهجرى من وادى النيل .

ويقال أيضاً : إن أربعة من جنود جيش عمر بن عبد العزيز جاءوا من اليمن إلى «برنو» ، ودعوا أن يكونوا أسرة مالكة[10] .

وكان يطلق على ملوك «البرنو» لقب : «المايات» .. ويعتبر «الماى» «دونمه» الذى كان ملكا أوائل القرن السابع الهجرى أول من تلقب بأمير المؤمنين واقترن عهد «الماى» عثمان بن زينب الذى تولى فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى بنشاط كبير للدعوة الإسلامية حتى قيل : إن هذا «الماى» هو المقصود بالشخصية المعروفة فى الكتب العربية باسم «الهادى العثمانى» .

يقول العمرى : أول من بث الإسلام فيهم ـ أى أهل «الكانم» و «البرنو» ـ الهادى العثمانى ، ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان[11] .

كان الطريق المألوف لحجاج هذه البلاد ـ كما سبق أن عرضنا ـ هو طريق «مصر» .. وأول من حج من «المايات» : «الماى أوم» أواخر القرن السادس الهجرى ، وقد مات فى مصر ، ودفن فيها بعد ادائه فريضة الحج أو قبلها على خلاف بين المؤرخين .

اما «الماى دونمه» فقد حج أكثر من مرة ، وكان موكبه يبهر أهل مصر ، وقد ترك فيها ـ أى فى مصر ـ خلال حجته الأولى ثلاثمائة خادم ، ومثلهم خلال حجته الثانية ، وقد غرق عند «السويس» أثناء حجته الثالثة ، أو الرابعة ، واتهمت «برنو» حكومة الفاطميين بتدبير غرقه خشية منه أن يتدخل فى الصراع الداخلى على السلطة فى مصر آنذاك .

ذكر القلقشندى : أن أهل «الكانم» بنوا مدرسة للمالكية فى الفسطاط ينزل بها وفودهم[12] كما بنوا هذه المدرسة فى مصر زمن الماى « دونمه » ، بنوا كذلك فنادق لهم فى مكة لنزول حجاجهم زمن الماى «إدريس ألوما» .

تراث « برنو » الثقافى :

وتراث «برنو» الثقافى كله باللغة العربية ، وقد ظهر عدد كبير من العلماء فيها كان لهم دور بارز ، وفضل كبير فى النهوض بالتعليم ونشر العقيدة منهم : «إسحاق الكانمى» الأديب الشاعر ، وكذلك الإمام أحمد بن فرتوا الذى تعتبر كتاباته المصدر الرئيسى لتاريخ «برنو» .

وقد اشتهر مايات «برنو» بتشجيع العلماء والإقبال على التعليم ، وحسبنا دليلاً على ذلك تلك المحارم (وهى المراسيم) التى أصدروها بمنح

(9) محمود كعت : مرجع سبق : ص ٣١ .
(10) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢١٠ .
(11) العمرى : مسالك الابصار : جـ ٢ ص ١٩٢ .
(12) القلقشندى : مصدر سبق : ص ٤٩٢ .

الثقافة العربية فى غرب أفريقيا

امتيازات لكبار العلماء وأسرهم المعاصرين لهم(١٣)

وقد قفزت «برنو» إلى مصاف الدول السودانية العظيمة منذ اعتنق «المايات» الإسلام ، فنراها دخلت فى علاقات قوية ومباشرة مع «مصر» وشمالى أفريقيا ، وكانت علاقاتها بمصر أكثر من غيرها نظرا لأنها الطريق إلى الحج واشتهار حكوماتها على مختلف العصور بتسهيل وتيسير أدائه فضلاً عن التبادل التجارى والثقافى الذى يعتمد كلية على الأزهر ، المستمر منذ أقدم العصور .

وقد ازدادت هذه العلاقات ونمت منذ بداية العصر الفاطمى فى «مصر» ويلاحظ أن الجنود ببلاد السودان الغربى كانوا موضع عناية خلفاء الفاطميين فى مصر؛ لاسيما من «المستنصر الفاطمى» ، فإن أمه كانت سودانية وكانت تعطف على أبناء جنسها لمقابلة قوة الأتراك والمغاربة .

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن نذكر الدور البارز الذى أداه الأزهر الشريف لأبناء هذه البلاد ، فقد كان هناك رواق خاص «بالبرنوية» فى الجامع الأزهر ، ينزل فيه طلاب العلم منهم .

لقد كان «مايات» «البرنو» ينظرون إلى مصر على أنها «أم الدنيا» !!

فها هو «الماى» عثمان بن إدريس ، يكتب إلى برقوق سلطان المماليك فى مصر سنة ٧٩٤ هـ يقول : « إلى ملك مصر الجليل أرض الله المباركة أم الدنيا .. »(١٤)

وقد تلاشت دولة «البرنو» الإسلامية فى غمرة الاستعمار الأوروبى للقارة الأفريقية فى مطالع القرن العشرين الميلادى ، وقسمت أملاكها بين :

* انجلترا : التى أخذت «برنو» الأصلية ، مع إقليم كوكا !

* وفرنسا : التى أخذت منطقة «الكانم» !

وأدى ذلك إلى قيام حركات التحرر الوطنى ، ضد المستعمر الأوروبى فى هذه البلاد ، حتى ظفرت بالاستقلال وقامت على أنقاضها دول عدة منها :

* جمهورية «نيجيريا» التى استقلت فى اكتوبر سنة ١٩٦٠ م وكانت مستعمرة بريطانية وعاصمتها «لاجوس» .

* جمهورية «تشاد» التى استقلت فى يونية ١٩٦٠ م وكانت مستعمرة فرنسية ، وعاصمتها «نيجامينا» .

* جمهورية «أفريقيا الوسطى» ؛ التى استقلت فى أغسطس ١٩٦٠ ، وكانت مستعمرة فرنسية ، وعاصمتها : «بانجوى» .

---

(١٣)دكتور إبراهيم طرخان : امبراطورية البرنو الإسلامية : ص ١٧٥ .

(١٤) القلقشندى : مصدر سبق : جـ ٨ ص ١١٦ ، ١١٨

من أعلام الأزهر

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ علي حسن عبد القادر

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

فضيلة الأستاذ الدكتور

على حسن عبد القادر

لفضيلة الأستاذ الدكتور

حامد جامع

وكيل الأزهر

إثر تقليد جديد « لمجمع البحوث الإسلامية » ، وفى أول جلسة حضرها فضيلة الأستاذ الدكتور حامد عبد الحميد جامع، اقترح فضيلته على أصحاب الفضيلة أعضاء المجمع أن يوافقوا على ما عليه سنة المجامع ؛ إذ تعنى - عادة - بعد استقبال عضو جديد أن يعد فى الجلسة التالية كلمة فى ذكر من سبقه أو حَلّ محله ينوه فيها بما كان له من فضل وجهد ، وقد وافق الأعضاء بالإجماع على هذا الاقتراح بجلسة المجمع فى دورة انعقاده الجديد صباح الخميس ٧ من ربيع الأول ١٤١١هـ - ١٩٩٠/٩/٢٧م

وألقيت الكلمة التالية فى التنويه بفضيلة الأستاذ الدكتور على حسن عبد القادر بجلسة ٦ من ربيع الآخر ١٤١١هـ - ١٩٩١/١٠/٢٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد :

فإن سلفنا الراحل ، وشيخنا الكريم فضيلة الأستاذ الدكتور/ على حسن عبد القادر عالم جليل تخرج فى الأزهر الشريف ، ثم فى جامعات ألمانيا وانجلترا، فقد نال -رحمه الله- درجة العالمية من الأزهر سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد ، ثم درجة التخصص من الأزهر سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف ، وكانت الرسالة التى قدمها للحصول على هذه الدرجة عن المعتزلة .

ثم أُوفد ـ رحمه الله ـ إلى ألمانيا فنال درجة الدكتوراه فى القانون والشريعة سنة تسع وثلاثين وتسعمائة وألف ، وكانت الرسالة التى قدمها بالألمانية لنيل هذه الدرجة عن الفقهاء السبعة .

وفى سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف ، وأثناء إدارته للمركز الإسلامى فى لندن نال درجة الدكتوراه من جامعة لندن فى الفلسفة والعلوم الإسلامية ، وكانت الرسالة التى قدمها فى التصوف الإسلامى عن الجنيد وطبعت جامعة كمبردج هذه الرسالة فى سلسلتها المشهورة ، وهى المطبوع الوحيد فى هذه السلسلة لعالم عربى .

وبعد أن حصل شيخنا الدكتور على حسن عبد القادر العلم ، ونال درجاته العالية من الأزهر وألمانيا وانجلترا ، كان عطاؤه المبارك الغزير الذى عم طلابه فى كليتى أصول الدين والشريعة ، وفى الدراسات العليا بالأزهر وجامعتى القاهرة وعين شمس ، وفى معهد الدراسات الإسلامية بمصر ، ثم فى قسم الدراسات الشرقية بجامعة لندن ، وجامعة كولومبيا بنيويورك .

وفى هذه المؤسسات العلمية والجامعية التى تعلم فيها شيخنا وعلم ، توثقت بينه وبين أساتذتها وعلمائها وشائج علمية كان لها أثرها فى فتح نوافذ للعلوم والمعارف الإسلامية ، وفى نقل الثقافة الإسلامية إلى حيث يرجى الانتفاع بها ، ويؤمل أن تكون بفضل الله تعالى ورحمته فى ميزان الأعمال الصالحة والعلوم النافعة لشيخنا الراحل .

وقد خلف ـ رحمه الله ـ الكثير من المؤلفات منها :

فضيلة الأستاذ الدكتور
على حسن عبد القادر

- كتاب المعتزلة .
- نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى .
- أبو القاسم الجنيد ورسائله (بالانجليزية والعربية) .
- المعراج للقشيرى « نقد وتقديم وتعليق » .
- دواء التفريط للجنيد « نشر فى نصوص فلسفية » .
- الرياضة وأدب النفس للترمذى « نقد وتقديم وتعليق » .
- العقيدة والشريعة « ترجمة من الألمانية » .
- المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن « ترجمة من الألمانية » .
- المذاهب الفقهية « تقديم » .
- فقه المضاربة فى التطبيق العلمى والتجديد الاقتصادى .

من أعلام الأزهر

الدكتور على حسن عبدالقادر

● العقيدة الإسلامية فى أدوار التاريخ .

● دراسات فى الاقتصاد الإسلامى والمعاملات المعاصرة .

● الفقهاء السبعة فى المدينة وآراؤهم « باللغة الألمانية » .

● الملكية وحيازة الأرض « باللغة العربية والإنجليزية » .

● بحوث فى القضاء والحسبة والفقه الإسلامى فى دائرة الحضارة الإسلامية .

● الإسلام فى مجرى التاريخ « باللغة الإنجليزية » .

● معنى الطهارة فى الإسلام .

● النسابة الشرعية فى إطار القرآن .

● الفقه الإسلامى ومتطلبات العصر .

● رأى التشريع الإسلامى فى مسائل البورصة .

● الأجور والأسعار « تحت الطبع » .

هذا بالإضافة إلى محاضرات فى المؤتمرات والجامعات والمناسبات فى الفقه والدعوة ومحاضرات فى الإذاعات المصرية والبريطانية ، وتحرير مجلة إسلامية باللغة الإنجليزية .

وهذه الصفحة العلمية الحافلة بآثار فضيلة الأستاذ الدكتور/ على حسن عبد القادر صاحبتها صفحة أخرى مشرفة ومشرقة بأعماله ووظائفه ومناصبه ، فقد عمل ـ رحمه الله :

● أستاذاً للشريعة بالأزهر .

● عميداً لكلية أصول الدين ثم لكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر .

● أستاذاً للشريعة بالدراسات العليا بجامعتى القاهرة وعين شمس ، ومعهد الدراسات الإسلامية .

● أستاذاً للشريعة الإسلامية بجامعة لندن « قسم الدراسات الشرقية » .

● أستاذاً للشريعة الإسلامية بجامعة كولومبيا بنيويورك .

● مديراً للمركز الإسلامى بلندن .

● مديراً للمركز الإسلامى بواشنطن .

● عضواً بمجمع البحوث الإسلامية .

● عضواً بلجنة المراقبة الشرعية بدار المال والشركات الإسلامية .

● أما إسهامه ـ رحمه الله ـ فى أعمال مجلس المجمع ولجانه وأروقته ، فقد كان جهداً مباركاً وأنتم أعلم به منى .

وبعد هذه الحياة العلمية الحافلة بجليل العطاء ، انتقل شيخنا إلى رحمة الله تعالى .

وشغر مكانه فى مجمع البحوث الإسلامية ليشغله بقدر الله تعالى وإرادته أحد المنتفعين بعلم الراحل الكريم الداعين له ، الممتثلين قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته ،،،

فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب

إعداد: عادل خفاجه

درة من الرجال الذين جاد بهم الأزهر ، وإمام عامل اشتهر بالعلم الوفير والعمل الدعوب ، تشهد له على ذلك مؤلفاته ومصنفاته الكثيرة فى علوم الفقه والحديث والتفسير ، وفتاواه العديدة . بالإضافة إلى ولعه بالشعر الذى وظفه فى مدح رسول الله ﷺ وآله الكرام ؛ حتى استحق أن يدعى شاعر الرسول ﷺ .

إنه الشيخ الجليل « محمد خليل الخطيب » .

ميلاده ونشأته :

كان ميلاده ـ رحمه الله ـ عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩ م) ببلدة « نِيدَةَ » إحدى قرى مركز « أخميم » بمحافظة « سوهاج » بصعيد مصر وكان والده حافظاً للكثير من سور القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، فكان بيته محلاً للكتاب العزيز والحديث الشريف .

فى هذا الجو من الصلاح والتقوى نشأ شيخنا ، وحرص والده الشيخ خليل على غرس حب النبى ﷺ وآل البيت فى قلب ولده . فأثمر وأينع على خير ما يحب حتى أنه ـ وهو لا يزال صبياً ـ كثيراً ما كان يخبر والديه برؤيا الحبيب المصطفى ﷺ فيسجدان شكراً لله على ما أنعم به على ولدهما من نعمة فذة يتشوق إليها الكثير ، فرؤيته ﷺ فضل من الله الكريم . وما أن بلغ العاشرة من عمره حتى أتم حفظ القرآن الكريم ، وأتم حفظ العديد من المتون .

وأعطاه الله ـ تعالى ـ مقدرة خاصة على معارضة القصائد وهو لم يزل بعد ابن عشر سنين ، فكان إذا سمع قصيدة أتى بمثلها قوة وجمالاً .

تنقله فى مراحل التعليم :

حصل شيخنا على الشهادة الابتدائية من معهد أسيوط الدينى عام « ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م » .

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد خليل الخطيب

وحصل على « العالمية » من الجامع الأزهر عام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م ثم « التخصص » فى اللغة العربية عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م ، ومما يذكر برهانا على نبوغه ونباهته أنه حصل على الثانوية الأزهرية - فى سنة واحدة - كانت قطعاً للمرحلة الثانوية كلها - فحصل عليها عام « ١٩٢٨ م » .

عمله :

عمل شيخنا مدرساً بمعهد طنطا الأزهرى سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م ثم مدرساً بكلية الدعوة الإسلامية بطنطا ، فكان من أوائل الذين حَظُوا بشرف التدريس بتلك الكلية وقت افتتاحها ولم يترك طنطا - رحمه الله - طيلة عمله بالتدريس .

شعره :

كان - رحمه الله - يذود عن الشريعة ويذبُّ عنها مايحاول المفترون إلصاقه بها ، وكان يسفه من يَدَّعُونَ التصوف وهم قد ضلوا عن منهج الإسلام الصحيح ، وعَمُوا عن تعاليمه الواضحة . فنجده ناقدا ومصححا للكثير من أوضاع المجتمع التى يأباها الإسلام ، فمثلاً ، ينتقد مايحدث فى « موالد الأسياد » من مفاسد للعباد ، وينكر على المنشدين مايذهب إليه بعضهم من إنشاد كلمات الغزل فى هذه الليالى وتلك الموالد ، ثم هو ينادى بالاقتداء برسول الله ﷺ فنجده يصوغ كل ذلك شعراً بأسلوب شيق ممتع لا تمله النفس لسهولته وانسيابه، ثم هو حين يقرض الشعر إنما يقوله عفو الخاطر غير متكلف لما يمتاز به من طبيعة شاعرية فُطِرَ عليها ، فتراه فى كل موقف يشدو - غير هازل - بأبيات الشعر وأهازيجه ، مصححا أوضاع من حوله راسماً لهم طريق الحق ، فاجتمع لأسلوبه جدة الموضوع وعذوبة الكلمة وسلاسة العبارة .

فها هو ينادى بالاقتداء برسول الله ﷺ فنجده بأسلوبه الشيق الممتع يقول :

والله ليس بمؤمن من لم يكن
يهواك فوق النفس والأولادِ
ويكون ما يهواه تابع شرعة
لك سنها الرب الكريم الهادى

ثم يرد على من ينكر كرامة الأولياء فيقول :

يامنكراً للأولياء كرامة
بعد انتقالهمو لدار رضاه
أتجيزها للروح وهو مقيد
وتكفها والقيد قد خلاه
إنَّ الكرامة منه إكرام لهم
إذ أكرموه بفعل مايرضاه
مامات من قتلوا بسيف عداته
أيموت من قتلوا بسيف هواه
حاشا وكلا أن يموت من الذى
بوداده فى ذاته أحياه
ماالموت للأحياء إلا نقلة
من دار شدته لدار رخاه

ونراه يُعَلِّمُ محبيه ومريديه ما أولاه الله من معارف ونفحات فيقول :

لا نعمة فى تلك أو فى هذه
كانت نصيبك أو نصيب سواكا
إلا وكان السر فيها المصطفى
فاعرف مكانته يتم هداكا

ويصف الشيخ الجليل الطريق إلى الله تعالى ، فيقول :

واقطع نهارك بالتقوى وقم سَحَراً
فكم لربك فى الأسحار من كَرَمِ

نادى وقد نزل الدنيا بلا شبه
سبحانه عن صفات الخلق كلهم
إلى أن يقول :
ولا تغرنك الدنيا وبهجتها
فإنها والذى فيها إلى عدم
هى المتاع قليلاً فانياً أبِهِ
تبيع حظك فى الأخرى من النعم
وعن حكمة تعدد أزواج النبى ﷺ أنشد يقول :
وليس منهن إلا من تزوجها
لحكمة لم تكن تخفى على فَهِمِ
مكافئا أهلها أو عاقدا صلة
بقومها أو لها مرعية الحرم
أو هادماً عادة فى قومه رسخت
والهدم بالفعل فوق الهدم بالكلم

ولم يكن ـ رحمه الله ـ تنقصه روح الفكاهة ، فهو على ماكان عليه من كرم ـ لم يكن يرد سائلاً ـ لكنه يرى رفض إعارة الكتب ، خوفاً على فقدها ، وقدم ذلك فى وصية،وهو حين يقدم تلك الوصية ، لا تخلو كلماته من طرافة وظرف ، فيقول :

الكتب أحسن شىء أنت مدخر
فلا تُعِرْهَا ففيها يحصل الطمع
فكم فتى لا يغول المال ذو ورع
وأن يرقه كتاب جازه الورع

مؤلفاته :

وكما امتلأت حياته ـ رحمه الله ـ صبراً وكفاحاً وورعاً ، فقد امتلأت كذلك تأليفاً وتصنيفاً ، حتى بلغ ما ألف وصنف نحو ستين كتابا أو تزيد ، شملت مختلف العلوم الإسلامية والأدبية كالفقه والحديث والشعر ، نذكر منها :

١ ـ الأحاديث المختارة من البخارى وشرحها « خمسة أجزاء » .
٢ ـ شرح وتخريج أحاديث دلائل الخيرات .
٣ ـ تقريب صحيح الترمذى وشرحه .
٤ ـ رباعيات الخطيب وشرحها « فى مدح النبى ﷺ » .
٥ ـ غاية المطالب فى شرح ديوان أبى طالب .
٦ ـ إتحاف الأنام بخطب رسول الإسلام .
٧ ـ ديوان الإمام على كرم الله وجهه .
٨ ـ ديوان الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ وشرحه .
٩ ـ ديوان أبى الفتح البستى وشرحه .
١٠ ـ مناسك الحجاج .
١١ ـ الوسيلة والتوسل .
١٢ ـ التراجم المهمة للأربعة الأئمة .
١٣ ـ تفسير الخطيب للقرآن الكريم ـ عدة أجزاء .
١٤ ـ شرح الخطيب لكتاب العمدة فى الفقه الحنفى .

بالإضافة إلى مكتبة صوتية تركها الشيخ تضم شروح بعض أمهات الكتب .

وفاته :

توفى إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة الموافق ٢١ من شهر فبراير ١٩٨٦ م ودفن فى الضريح الخاص به بمسجد المحافظة بطنطا راجياً حسن المنتهى ، حيث كان يقول :

ومابلغوا الذى بلغوه إلا
بطاعة أحمد الزاكى السجايا
فَصَلِّ مسلما ربى عليه
وبارك فى الغدايا والعشايا
كذلك آله وصحاب صدق
وأتباع له حسنوا طوايا
وفى مرضاته بذلوا نفيسا
وانفاسا وأنفسهم ضحايا
وصل حبل الخطيب به ليهدى
ويهدى واستجب ربى دعايا
وبلغنى وأحبابى المرجى
وأعدائى وحسن منتهايا

تأملات في الحياة والناس

للإمام الشافعي

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنما قد حشا قلبي محبات
الناس داء ، ودَاءُ الناس قربهمُ ... وفي اعتزالهمُ قطع المودات

●●●

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً ، وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت ، وكنت أظنها لا تفرج

●●●

علمي معي ، حيثما يممت ينفعني ... قلبي وعاء له ، لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

●●●

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه ... وإن خليته - كمدا يموت

●●●

الدهر يومان : ذا أمن وذا خطر ... والعيش عيشان : ذا صفو وذا كدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأقصى قاعه الدرر
وفي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يُكْسَفُ إلا الشمس والقمر

●●●

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

ولست بهياب لمن لا يهابنى … ولست ارى للمرء مالا يرى ليا
فإن تدن منى تدن منك مودتى … وإن تنأ عنى تلقنى عنك نائيا
كلانا غنى عن اخيه حياته … ونحن - إذا متنا - اشد تفانيا

●●●

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى … من وصل غانية ، وطيب عناق
وصرير أقلامى على صفحاتها … احلى من الدوكاء والعشاق
والذ من نقر الفتاة لدفها … نقرى لألقى الرمل عن أوراقى
وتمايلى طربا لكل عويصة … فى الدرس أشهى من مدامة ساقى
وأبيت سهران الدجى ، وتبيته … نوما ، وتبغى بعد ذاك لحاقى

الأبيـــات :

هذه المختارات من شعر الإمام الشافعى تمثل خلقه ومنهجه فى الحياة واعتزازه بالعلم وحبه للحياة والأحياء ، وهى بحق اليق ما تكون بهمته العالية وسيرته النبيلة وثقافته الواسعة اللغوية والدينية ، وقد تنسب بعض الأبيات إلى غيره ، ولكن ما فيها من الشعور الحى والتجربة العميقة والمعرفة بالناس والحياة ما يجعلنا نؤكد نسبتها إليه .

الشاعر :

هو محمد بن إدريس الشافعى من أشهر أئمة المذاهب الفقهية لأهل السنة فى الإسلام ، يتعبد على مذهبه كثير من المسلمين فى الشرق العربى وهو واضع أصول علم الفقه ، ومن أوسع شيوخنا اطلاعا ونبوغا فى العلوم الإسلامية واللغوية ، بل أراد الله - تعالى له أن يضع علماً بأكمله هو علم الأصول ، وكان شاعراً مقلاً .

ولد فى غزة بفلسطين سنة ١٥٠ هـ - سنة ٧٦٧ م . يتيما أحسنت أمه تربيته وتنقل فى طلب العلم بين مدن اليمن والحجاز والعراق ، وفى سنة ١٩٩ هـ عزم الرحلة إلى مصر وقال فى ذلك :

لقد اصبحت نفسى تتوق إلى مصر … ومن دونها قطع المهامه والقفر
فو الله لا ادرى ، اللعز والغنى … اساق إليها ، ام اساق إلى القبر ؟

وقد استقبلته مصر بالعز والشهرة والمحبة والقبول وعاش فيها ينشر معارفه بعلوم الدين واللغة والشعر العربى ويجدد آراءه الفقهية ، وتتلمذ على يديه نوابغ نشروا مذهبه ، وكانوا امتداداً لحياته الحافلة بكل عظيم ، وقد توفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ - سنة ٨١٩ م . ودفن بها ، وباسمه حتى اليوم حى كبير بالقاهرة يضم مشهده تحيط به المقابر بـ (البساتين) ..

رحم الله الشافعى بقدر ما أعطى من علم وفقه وشعر ..

أرض مصر

للبهاء زهير

سقى واديا بين العريش وبرقة	من الغيث هطال الشآبيب هَتَّانُ
وحيا النسيم الرطب عنا إذا سرى	هنالك أوطاناً إذا قيل أوطان
بلاد متى ما جئتها جئت جنة	لعينك منها كل ما شئت رضوان
تمثل لى الأشواق أن ترابها	وحصباءها مسك يفوح وعقيان
فياساكنى مصر تراكم علمتم	بأنى ما لى عنكم الدهر سلوان ؟
وما فى فؤادى موضع لسواكم	ومن أين فيه ؟ وهو بالشوق ملآن
عسى الله يطوى شقة البعد بيننا	فتهدأ أحشاء وترقأ أجفان
علىّ لذاك اليوم صوم نذرته	وعندى - على رأى التصوف - شكران

القصيدة :

فيها من الحنين إلى مصر والتشوق إلى واديها وتحية نسيمها الرطب الذى يسرى حاملاً عنه أشواقه إلى تلك الجنة التى تتبدى بروائع حسنها لعين الرائى والتى يمثل ترابها المسك والذهب الخالص .

وفيها يخاطب أهل مصر شارحاً محبته لهم وطغيان الشوق على مشاعره حتى لم يعد بها موضع لسواهم ..

وهو يدعو الله أن يخفف نار البعاد ويقرب البعيد حتى تستقر الجوانح ، وتهدأ الجوارح وهو ينذر لله الصوم ويقدم الشكر ليوم القرب ، والقصيدة دفقة من دفقات الشوق إلى مصر والولاء لها ولأهلها ، وذلك فى كلمات واضحة معبرة تبتعد بعض الشيء عن المحسنات اللفظية والزخارف والصنعة التى كانت سمة لشعراء هذا العصر .

الشاعر :

هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الحلبى ولد بمكة المكرمة وجاء مصر وعاش بمدينة قوص ، وهى يومئذ مدينة العلم والفقه والأدب ، وقد نشأ فيها نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وعمل لديه رئيساً لديوان الإنشاء والرسائل « بمثابة وزارة الإعلام فى زماننا » . وقد عاصر الشاعر « ابن مطروح » بصعيد مصر .

إلى أبناء هذا الزمان

عقوق

شعر: علية الجعار

حَمَلْتُك فى الأحشاء عبئا محببا ... فلا ضاق جسمٌ بات بالحمل مُتْعَبَا
وقلتُ: إذا ما جاء طفلى ستختفى ... همومى وأسقامى فيا ألف "مرحبا"
وجئتَ فخلتُ الكون حولى خميلةً ... وطيراً تغنىّ للوليد على الرُّبَى
أرحتك فوق الصدر تمتص خيرَهُ ... وكل حنانى فى رضاعك ذُوِّبَا
ورغم نضوب الكف لم أشك قلة ... وكنتُ لك الأمَّ المغيثة والأَبَا
وصارعتُ وحش العيش وحدى ولم يكن ... لدىّ سوى الإيمان سيفاً لأغلبا
يدى أبعدت مر الحياة فلم تذق ... سوى حلوها رغداً هنيئاً وطيبا
وإن فاض نبع الخيرِ لم أرو غلتى ... وجئتك بالفيض الوفير لتشربا
رضيت من الدنيا الكفاف لكى أرى ... وحيدى فى أحضانها متقلبا
أضأتُ بدمع العين والقلب مشعلاً ... يضىء لك الدنيا إذا نورها خبا
عصرت حياتى قطرة بعد قطرة ... لأرويك حتى أورق الغصن بالصبا
كبرت فلما أثمرت فيك منحتى ... ورفّ فؤادى حول غصنك معجبا
خدشت بأشواك العقوق شغافه ... فخرَّ صريعاً بالهوان مخضبا
ومر نسيم فانثنى الغصن تحته ... فهبَّ فؤادى للنسيم مؤنبا
عجبت لقلبى كيف يصفو لغادر ... ويبقى مهينا فى الحياة معذبا
يئن ويبكى فى انكسار ولوعة ... فإن قلتُ: تشكوه إلى ربنا. أبى
أنا الأم أوصى بى إلهى ولم يزل ... وحسبك بالقرآن منه مؤدبا
لقد رفع الرحمن قدرى وقيمتى ... وأشرفُ خلق الله جاء سعقبا
فكيف نسيت الله فىَّ ولم تزل ... تمسَّكُ بالإسلام ديناً ومذهبا

العلوم الكونية في التراث الإسلامي ٥

أ. د. أحمد فؤاد باشا

خامسا : علوم المعادن والتعدين :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية بدراسة كوكب الأرض والظواهر المتعلقة به قبل أن ينقلوا معارف الحضارات القديمة إلى اللغة العربية . وكان في مقدمة الأسباب التى دفعتهم إلى دراسة علوم الأرض عموما ، أى الجغرافيا والچيولوچيا ، ما وجدوه في تعاليم دينهم الإسلامى الحنيف من حث على طلب العلم وعدم التوانى في تحصيله مهما بعدت مصادره ، وإعمال العقل والتفكير في كل ماخلق الله وسخره لخدمة الإنسان وإعمار الحياة ، بما في ذلك الأرض التى يعيش على صدرها وينعم بخيراتها . قال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١) ، وقال سبحانه : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾(٢) ، وقال عز من قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾(٣) صدق الله العظيم .

ولقد شهدت علوم الأرض تطورا ملحوظا عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وكثرت الأسفار والرحلات الميدانية للتعرف على ثروات

(١) سورة البقرة : ١٦٤ .
(٢) سورة طه : ٥٥ .
(٣) سورة الملك : ١٥

وتضاريس ومواقع الأقطار والبلدان لتوثيق الصلات بينها وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالعدل بين سكانها جميعا . وسوف نعرض هنا للحديث عن بعض إسهامات علماء الحضارة الإسلامية فى تأسيس وتطوير علوم المعادن والتعدين ، لاعتقادنا بأن هذا المجال دون غيره من مجالات علوم الأرض لم يحظ بالاهتمام المناسب من جانب المؤرخين لتراثنا الإسلامى ، وخاصة أنه يزخر بالعديد من النماذج والأمثلة التى تؤكد أصالة المنهجية العلمية فى فكر علماء المسلمين .

تعريف المعادن وخصائصها :

يعرف المعدن عموما بأنه مادة طبيعية غير عضوية ذات تركيب كيميائي ثابت وبنية بللورية محددة ، ومن ثم يتميز عما سواه بمجموعة معينة من الصفات الفيزيائية التى تحدد شكله ولونه وبريقه وصلابته وكثافته . وطبقا لهذا التعريف الموجز يكون الذهب والنحاس والكبريت والفضة والأحجار الكريمة ومكونات الصخور جميعها معادن . ذلك أن الجواهر والأحجار الكريمة ليست إلا معادن منتقاة ميزتها صفاتها الفيزيائية والكيميائية بالقدرة على مقاومة عوامل الفساد والاحتفاظ بجمال المنظر ونعومة الملمس ، كما أكسبتها ندرتها قيمة غالية بحيث لاتبتذل بالكثرة . أما الصخور فتطلق على التجمعات التى تشتمل على معدن أو أكثر . ولو أن معظم الصخور تشتمل على عدة معادن ، إلا أن بعض المعادن توجد أحيانا بمفردها وبكميات كبيرة ، ويمكن اعتبارها فى هذه الحالة على أنها تمثل معدنا أو صخرا مكونا من معدن واحد ، كما هو الحال بالنسبة لمعدن الكالسيت الذى يتكون كيميائيا من كربونات الكالسيوم (ورمزها الكيميائى $CaCo_3$) ويعتبر المكون الرئيسى لوحدات صخرية كبيرة تعرف باسم « الحجر الجيرى » .

وبالرغم من دقة التعريف الذى ذكرناه للتفرقة بين المعادن والصخور ، إلا أنه لايخلو من بعض العيوب . فهو مثلا يستثنى المركبات العضوية فى الوقت الذى يعتبر فيه معظم الچيولوچيين الفحم الحجرى والنفط من المواد المعدنية . هذا بالإضافة إلى أن التركيب الكيميائى لكثير من المعادن يتفاوت على مدى واسع نسبيا .

أسلوب علماء المسلمين فى دراسة المعادن :

عنى علماء الحضارة الإسلامية بدراسة المعادن وخواصها ، وطرق استخراجها وصهرها ، وتغير تركيبها ، وناقشوا فكرة تحويل الخسيس منها إلى نفيس ، تأييدا أو تفنيدا ، ثم

العلوم الكونية

فـى التـراث الإسـلامـى

سرعان ما اتصلت جهود الكيميائيين بجهود جماع الأحجار الكريمة ومقتنيها، وبجهود الأطباء والصيدلانيين المهتمين بما ينسب إليها من تأثيرات «علاجية»، فتحول الاهتمام بهذه الأحجار إلى علم قائم بذاته، وتفرعت الدراسات المتعلقة به لتشمل تركيبها الكيميائى، وصفاتها، وخواصها المميزة، ومواطن استخراجها، وطرق صقلها، وتقدير أثمانهـا، ومدى إمكـان استخدامها فى علم الصيدلة، إلى غير ذلك من الفوائد الجمة[٤].

واعتمد علماء المسلمين التجربة فى كثير من دراساتهم للمعادن والجواهر والأحجار الكريمة، وفى تمييز دخيلها من أصيلها. ويبدو أن قيمة الجواهر المادية واهتمام عِلْية القوم باقتنائها كان وراء الجدية فى إجراء التجارب التى تميز أصيل الجواهر من أشباهها. ويأتى هذا الرأى منسجما مع الرغبة المتزايدة لدى الأثرياء فى اقتناء الحجارة النفيسة والتزين بها، وموافقا لروح البذخ والترف التى سادت مجتمعات المسلمين فى عصر الازدهار الحضارى إبان القرنين الرابع والخامس الهجريـين. فقد أصبحت هذه الحجارة ـ فى عهد تميز بنمو الحركة التجارية وقوتها ـ بديلا مهماً لأنواع العملات المعدنية، فهى أكثر قيمة وأخف حملا[٥].

ويدلنا على أصالة المنهج التجريبى فى هذا المجال ماجاء على لسان البيرونى فى كتابه «الجماهر فى معرفة الجواهر» حيث يقول نقلا عن الكندى: «... وذكر الكندى أنه اشترى كيسا فيه حُصيَّات مجلوبة من أرض الهند غير مصلحة بالنار. وأنه أحمى بعضها فجاد صبغ أحمرها. وكان فيهما قطعتان إحداهما شديدة السواد يلوح من شفافها فى النور حمرة خفية والأخرى تشف بصبغ أقل. وأنه نفخ عليهما فى البوطقة مدة ينسبك فيها خمسون مثقالا من الذهب، وأخرجهما منها لما بردتا وقد نقى أقلها صبغا وقد قارب الوردى قليلا، وأما المظلم فإنه انسلخ اللون عنه حتى بقى كالبللور السرنديبى. وامتحنه فكان أرخى من الياقوت. ومن أجل هذا يُزيل الإِحْماءُ عن أحمره ماعسى أن يمازجه من سائر الألوان فيصفو منها. قال: ومتى أزال الحمرة دَلَّ على أن المحمى ليس بياقوت». ويؤدى تحليل هذا النص إلى معرفة تسلسل خطوات البحث التجريبى على النحو التالى[٦]:ـ

(أ) تمييز حصيات الياقوت بلونها الأحمر بعد الإِحماء بالنار.

(ب) التعرف على إحدى الحُصَيَّتيْن بعد النفخ والإِحماء فى «البوطقة» بثبات اللون.

---

(٤) عرف الحاجى خليفة فى كتابه «كشف الظنون» علم الجواهر بقوله: «هو علم يبحث عن كيفية الجواهر المعدنية البرية كالألماس والياقوت، والبحرية كالدر والمرجان وغير ذلك. ومعرفة جيدها من رديها بعلامات تخص كل نوع منها ومعرفة خواص كل منها وغايته وغرضه»، راجع: كتاب الجواهر وصفاتها، وفى أى بلد هى، وصفة الغواصين والتجار، تأليف يحيى بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣ هـ ـ ٨٥٧ م، حققه وعلق عليه الدكتور عماد عبد السلام رءوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧، ص ٤.

(٥) كتاب الجواهر وصفاتها، المرجع السابق، ص ٥.

(٦) د. عبد القادر عابد، المعادن (الجواهر والأحجار) فى التراث العربى الإسلامى، ندوة التراث العلمى العربى للعلوم الأساسية، طرابلس ليبيا، ديسمبر ١٩٩٠.

(جـ) تجريب قساوة تلك التى زال لونها وأصبحت كالبللور ، وملاحظة أنها أَلْيَنُ من الياقوت وتعد من البللور (أى الكوارتز) .

(د) استنتاج قاعدة علمية بالاستقراء مؤداها أنه « إذا زال اللون بالإحماء لم يكن المُحْمَى من جنس المعدن صاحب اللـون الأصيل » .

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث المعاصر يمكنه الآن أن يتعرف بسهولة على أى معدن باستخدام العديد من الوسائل التقنية المتقدمة كأجهزة التحليل الكيميائى والمجاهر وأدوات الفحص والقياس المتنوعة . وهذا يبين مدى الصعوبة التى واجهت علماء المسلمين فى التعرف على المعادن المختلفة عن طريق خصائصها الفيزيائية فقط ومحاولة قياس بعضها وتقديره كميا . ويكفى أن نشير هنا بإيجاز إلى اثنتين من هذه الخصائص لأهميتهما القصوى فى دراسة المعادن .

أمـا الخصيصة الأولى فتعـرف باسم « الصلابة » Hardness وهى تحدد درجة تماسك المعدن وقدرته على خَدْش معدن آخر ، ويمكن الحصول على قيمة عددية لصلابة المعدن باستخدام مقياس الصلابة المنسوب للعالم الأوروبى « موه » Mohs scale[(٧)] والذى يتكون من عشرة معادن كان أصلبها الماس (رقم ١٠) وأقلها صلابة التلك (رقم ١) ، ويحتل الياقوت (واسمه العلمى الكوراندم Corundum . الرتبة التالية للماس (أى رقم ٩) .

وقد فرق علماء المسلمين بين العديد من المعادن على أساس صلابتها قبل أن يضع « موه » مقياسه بعدة قرون . ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول البيرونى فى وصف صلابة الماس والياقوت : « إنما قدمت ذكر الماس على ما ذكر مما بقى من مثمنة الجواهر التى لها الرياسة أعنى اللؤلؤ والزمرد ، لأنه فاعل فى الياقوت الفاعل فيما دونه وغير منفعل بشىء فوقه ولا متأثر مما دونه .. والمناسبة بينه وبين الياقوت أقرب المناسبات بالرزانة والصلابة ... »[(٨)] .

المعدن	قيم البيرونى	القيم المعـروفـة حاليا
الذهب	١٩,٢٦	١٩,٢٦
الزئبق	١٣,٤٩	١٣,٥٩
الرصاص	١١,٤٤	١١,٤٥-١١,٣٩
الفضة	١٠,٣٨	١٠,٤٧-١٠,٤٣
النحاس الأصفر	٨,٥٨	٨,٤
النحاس الأحمر	٨,٦٨	٨,٧٣-٨,٦٧
القصدير	٧,١٥	٧,٢٩١
الحديد	٧,٩٢	٧,٧٩-٧,٦
الياقوت الأحمر	٤,٠١	٤,٤-٣,٩٩
الكوارتز	٢,٥٨	٢,٥٨

وبهذا أثبت البيرونى بطريقة عملية أن الماس أصلب المعادن ويليه الياقوت الذى هو حجر كريم تابع لمعدن الكوراندم .

والخاصية الثانية التى نشير إلى أهميتها هنا فى تحديد نوع المعدن هى خاصية « الوزن

---

(٧) يستعين العلماء حاليا بمقياس الصلابة هذا لمعرفة صلابة أى معدن مجهول . وتقدر صلابة ظفر الإنسان بحوالى ٢,٥ وصلابة قطعة النقود النحاسية بحوالى ٣ وصلابة قطعة من الزجاج بحوالى ٥,٥ ، فالجبس الذى تقدر صلابته على المقياس بحوالى ٢ يمكن خدشه بواسطة الظفر بسهولة ، بينما معدن الكالسيت الذى صلابته ٣ يخدش الظفر ولا يخدش الزجاج . أما الكوارتز وهو اكثر المعادن الشائعة صلابة فإنه يخدش الزجاج بسهولة .

(٨) عن د . عبد القادر عابد ، مرجع سابق .

في التراث الإسلامي

النوعى «Specific gravity» التى يعبر عنها كميا بعدد يمثل نسبة وزن حجم معين من المعدن إلى وزن حجم مساو له من الماء . فنقول ، على سبيل المثال ، إن الوزن النوعى لمعدن ما ، يساوى ٣ إذا كان وزن قطعة من هذا المعدن يساوى ثلاثة أضعاف وزن حجم من الماء مساو لحجمها . وقد عرف علماء الحضارة الإسلامية خاصية الوزن النوعى للمواد الصلبة والسائلة وعينوها لمواد كثيرة بدقة تطابق تقديرات علماء العصر الحاضر بالرغم من اختلاف المستوى التقنى للآلات والأجهزة التى استعملت فى هذين العصرين . ويأتى أبو الريحان البيرونى فى مقدمة هؤلاء العلماء الذين طوروا جهازاً لقياس الوزن النوعى للمعادن وللتمييز بينها على أساس التقدير الكمى لهذه الخاصية الفيزيائية ، ويوضح الجدول مقارنة بين قيم الوزن النوعى التى حصل عليها البيرونى لبعض المعادن وبين القيم المعروفة لها حاليا .

التعدين والتنقيب عن المعادن

يزخر تراثنا العلمى بالكثير من المؤلفات التى تؤكد الدور الرائد لعلماء المسلمين فى دراسة المعادن وتعدينها والتنقيب عنها . فقد تناول البيرونى ، على سبيل المثال ، العديد من المعادن بالفحص والتحليل ، موضحا مناطق وجودها وكيفية استخراجها من مناجمها وخواصها وفوائدها ومايوجد معها من أخلاط وشوائب ، وغير ذلك مما يدخل الآن فى مجالات علم التعدين الفيزيائية والجيولوجية . كما جمع ابن حوقل الكثير من المعلومات الخاصة بعلوم المعادن والتعدين فى «كتاب المسالك والممالك» وتكلم عن استخراج الرخام من « تبريز » والكحل من « أصفهان » والرصاص من « فرغانه » و« كرمان » والكبريت من « سوريا » و« فلسطين » والنفط من « باكو » والملح من « عبدان » والياقوت والزمرد والعقيق من «مصر» و «خراسان» و « جنوب شبه الجزيرة العربية » .

ويقول التيفاشى(٩) عن تعدين الزمرد الموجود خلف أسوان بمصر : « ... فيخرج منها الزمرد قطعا صغارا كالحصباء منبثة فى تراب المعدن . وأخبرنى رأس المعدّنين بمصر المكلف من قبل السلطان بهذا المعدن أن أول مايظهر من معدن الزمرد شىء يسمونه الطلق ... ثم يحفر فتجد طلقاً هشا فيه الزمرد فى تربة حمراء لينة .. وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع وهو جيده . وأما صغيره فإنه يوجد فى التراب بالنخل . وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة ... » .

ويعتبر الحسن بن أحمد الهمدانى من أفضل الذين كتبوا فى علم المعادن والتعدين ، فقد سرد فى « كتاب الجوهرتين العتيقتين » مناجم الذهب والفضة المعروفة فى جزيرة العرب وبلاد الأعاجم وأرض النوبة والحبشة ، واهتم بوصف مناجم اليمن وتهامة ونجد . وبفضل هذه المعلومات الهامة تمكنت بعثة للمسح الجيوفيزيائى من

(٩) أحمد بن يوسف التيفاشى ، أزهار الأفكار فى خواص الأحجار ، تحقيق د . محمد يوسف حسن ود . محمد بسيونى خفاجى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

الكشف حديثا عن العديد من المناجم الهامة فى أرض اليمن ، وتجرى حاليا دراسات تقديرية للجدوى الاقتصادية لهذه المناجم ، خصوصا بعد التأكد من توافر خامات الزنك والحديد والرصاص إلى جانب الفضة بكميات تجارية[١٠] وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على الأهمية المتزايدة للدراسات التراثية فى الحياة المعاصرة .

كذلك خصص الهمدانى من كتاب الجوهرتين العتيقتين جزءا كبيرا لشرح عملية تعدين الذهب والفضة من جميع النواحى النظرية والعملية والتقنية ، ابتداء من الحصول على الخام من منجمه وانتهاء بصب قوالب الذهب أو الفضة الخالصتين وإيضاح استخدامهما فى صناعة الحلى وترصيع التيجان وتزيين صفحات القرآن الكريم وغيرها . كذلك قدم وصفا تفصيليا لعملية الطبخ وعملية التملغم وعمليات الاتحاد الكيميائى لفصل الشوائب وخواص الأجهزة والأدوات المستخدمة وطرق تصنيعها أو تركيبها ، واستخدم الميزان فى التقديرات الكمية[١١] .

وأخيراً ، فهذا قليل من كثير مما يزخر به التراث العلمى الإسلامى فى مجال العلوم الكونية ، وما أحوجنا اليوم إلى أن نتخذ من أسلافنا القدوة والمثل فى حب العلم والحرص على طلبه والتفانى من أجله ، حتى ننقذ أمتنا الإسلامية من التخلف الذى ركدت فيه زمنا طويلا ، وندفعها لتستعيد مكانتها فى ركب الحضارة التى حملت لواءها من قبل قرونا عديدة .

---

(١٠) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ .

(١١) الحسن بن أحمد الهمدانى ، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) ، إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبى ، من التراث اليمنى الإسلامى (بدون تاريخ) .

تصويب

فى عدد رجب ١٤١١هـ - وفى ص ٧٢٩ فى النهر الثانى السطر الرابع سقطت كلمة (فقط) من قوله : ليس لأنه مكان عبادة .

وصحة العبارة : ليس لأنه مكان عبادة فقط .. إلخ

نأمل التصحيح .

الجديد في العلم والتقنية

د. نجوى السيد أحمد *

١ - اكتشاف مَجرّة جديدة في الفضاء الكوني

اكتشف علماء مركز الفلك التابع لمؤسسة العلوم القومية الأمريكية سحابة هائلة من غاز الهيدروجين في الفضاء الكوني يعتقدون أنها قد تتحول إلى مجرة جديدة . ويبدو أن هذا الاكتشاف هو أول دليل قوى على أن مجرات جديدة ربما لا تزال تتشكل في الكون .

٢ - أحدث تصنيف للنباتات حسب فوائدها الصحية

تم تقسيم النباتات التي تنمو في البيئة المصرية بقسم العلوم الصيدلية بالمركز القومي للبحوث إلى عدة أقسام منها :

* نباتات تخفض ضغط الدم مثل : (المانجو) و (الكركديه) و (الخلة البرية) .
* نباتات تخفض نسبة السكر في الدم مثل : (الكرنب) و (البصل) و (الكزبرة) و (الكرفس) .
* نباتات طاردة للديدان المعوية مثل : (الشّمر) و (الثوم) و (الترمس) و (التليو) .
* نباتات مضادة للتقلصات المعوية مثل : (الحلبة) و (الكراوية) و (البقدونس) و (الجزر الأحمر) .
* نباتات لها تأثير ملين مثل : (التمر هندى) و (الترمس) و (الخبيزة) و (البلح) .
* نباتات منشطة لعضلة القلب مثل : (الملوخية) .
* نباتات لها تأثير مضاد حيوى مثل : (الكرنب) و (الثوم) و (الكركريه) و (الكافور) .
* نباتات لها تأثير علاجى للأورام مثل : (الحنة) و (الكركديه) .

٣ - التليفزيون وأثره على الأعصاب

أكدت دراسة إحصائية استغرقت ثلاثة عشر عاماً أن للتليفزيون تأثيراً سلبياً على الإنسان إذ يجعله متوتراً غير قادر على التركيز . وشملت الدراسة بجامعة شيكاغو ١٢٠٠ شخص تتراوح أعمارهم بين ١٠ و٨٢ عاماً طلب من كل منهم حمل جهاز اليكترونى صغير في حجم الجيب يسجل جميع نشاطاته وحالاته النفسية خلال فترات مختلفة على مدار اليوم . وقد ثبت أن الجلوس أمام التليفزيون خاصة لفترات زمنية طويلة يترك الإنسان في حالة نفسية أسوأ من تلك التي كان عليها قبل المشاهدة .

(*) الكاتبة باحثة بالمركز القومي للبحوث .

٤ - ثورة فى تقنية الحاسبات الالكترونية

قامت شركة بريطانية بصنع أحدث جهاز كمبيوتر للخدمات Computing Service يستطيع أن يتعامل مع ١٢٠٠ مليون معلومة فى الثانية الواحدة .. ويتميز بأنه لا يحتاج تشغيله إلا لقدر طفيف من الطاقة ، كما أن تكاليفه قليلة نسبياً وحجمه لا يزيد على حجم التليفزيون . وهذا النوع من الأداء لا يمكن أن يحققه إلا أكبر الحاسبات العملاقة .

٥ - أول محاولة لاستخراج الطاقة الحرارية من باطن الأرض

بدأ فريق من الجيولوجيين حديثاً بحفر بئر استكشافية فى المنطقة الناشطة زلزاليا فى وسط كاليفورنيا ، وسيستمر الحفر لمدة أربع سنوات لتكون هذه البئر أول محاولة لاستخراج الطاقة الحرارية من تحت سطح الأرض ، حيث إن هناك على بعد بضعة أميال تحت سطح الأرض مصدراً للطاقة ، ألا وهو حرارة الطبقة الجيولوجية المسماة (بالغلاف الحجرى) أو (الوشاح الأرضى) .

٦ - فطر البينيسيلين يؤثر على خصوبة التربة الزراعية

استطاع الباحثون فى كندا أن يعزلوا نوعاً من « البينيسيلين » باسم « بينيسيلوم » بيلاجى ، (Bilaji) يتولد بصورة طبيعية ويتميز بجعل الفوسفات قابلاً للحل كى يسهل على الجذور امتصاصه . ولذا يمكن لفطر « البينيسيلين » ذى الصلة بزغب العفن الأخضر الذى ينمو على الثمر أن يخفض مقدار المخصبات التى يستخدمها المزارعون بنسبة ٩٠٪ . وفى الوقت الحاضر يجرى الإعداد لإجراء تجارب إضافية فى الولايات المتحدة وأوروبا ، حتى إذا ما نجحت هذه التجارب أمكن لهذا الفطر أن يحتل مكانه كإنتاج زراعى خلال بضع سنوات .

٧ - ثلاجة تعمل باشعة الشمس

تمكن الفرنسيون من اختراع ثلاجة تعمل بواسطة الفحم الخشبى والميثانول واشعة الشمس دون أن تحتوى على أية قطعة متحركة ميكانيكياً . تبدأ دورة التبريد ليلاً ، حيث يتدفق الميثانول من مستودعه إلى حيز مجاور مملوء بالفحم . ويؤدى تفاعل المادتين إلى تبخر الميثانول وحدوث انخفاض فى درجة الحرارة إلى الحد الذى يسمح بتجمد الماء . ويرى مصممو هذه الثلاجة أنها تتميز بسهولة إعادة شحنها خلال ساعات النهار عندما تسخن اللوحات الشمسية الفحم ويعود الميثانول إلى مستودعه .

يتوقع أن تكون للثلاجة الجديدة جاذبية خاصة بالنسبة للمقيمين فى مناطق نائية حيث يصعب الحصول على مصدر كهربى أو يندر وجود عمال الصيانة والتصليح .

٨ - نسيج شبكى متعدد الاغراض

اخترع الفرنسيون آلة تنسج شبكة مستمرة من الألياف الصناعية لا كنسيج عادى بل كنسيج أرضى Geotextile متماسك بما يكفى للحلول محل الأسمنت فى رصف الطرق السريعة ونافذاً للماء بما يكفى لاستعماله فى الأراضى المزروعة بالاعشاب والشجيرات . ويتوقع العلماء إمكانية استخدام هذا النسيج الشبكى فى أساسات الأبنية حيث يساهم فى تجنيبها صدمات الهزات الأرضية والرياح والارتجاج الميكانيكى .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أخـــى ..

لا ترض قول امرىء حتى ترضى فعله ، ولا ترض فعله حتى ترضى عقله ، ولا ترض عقله حتى ترضى حياءه ، فإن ابن آدم مجبول على أشياء من كرم ولؤم ، فإذا قوى الحياء قوى الكرم وإذا ضعف الحياء قوى اللؤم .

وفى هذا يقول الشاعر بشار بن برد :

وَأَعْـرِضُ عن مطاعم قـد أراهـا
فـأتـركـهـا وفى بطنى انطـواء
فـلا وأبيـك مـا فى العيش خـير
ولا الـدنيـا إذا ذهب الحيـاء

يبلغ الرجل ذروة الكمال:

إذا اتقى مَنْ خَلَقَه ، وجاد بما رزقه ، واختار من القول أصدَقَهُ ، وحَسُنَ فى كل الأحوال خُلُقه .

الأعرابيـــان

خرج أعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى ، فأقام بها مدة طويلة ، فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه أعرابى من حَيِّهِ فَقَدّمَ إليه الطعامَ ، وكان إذ ذاك جائعا فسأله عن أهله .

قائلًا : ما حال ابنى عمير ؟

قال : على ما تحب قد ملأ الأرض والحىَّ رجالا ونساء .

قال : فما حال أم عمير ؟

قال : صالحة أيضاً .

قال : فما حال الدار ؟

قال : عامرة بأهلها .

قال : وكلبنا « إيقاع » ؟

قال : قد ملأ الحىّ نبحا .

قال : فما حال جملى « زريق » ؟

قال : على ما يسرك .

قال : فالتفت إلى خادمه .

وقال : ارفع الطعام ، فرفعه ولم يشبع الأعرابى،ثم أقبل عليه يسأله .

قائلًا : يامبارك الناصية أعد علىَّ ما ذكرت .

قال : سل عما بدا لك ؟

قال : فما حال كلبى « إيقاع » ؟

قال : مات .

قال : وما الذى أماته ؟

قال : اختنق بعظمة من عظام جملك « زريق » فمات .

قال : أو مات جملى « زريق » ؟

قال : نعم .

قال : وما الذى أماته ؟

قال : كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير .

قال : أو ماتت أم عمير ؟

قال : نعم .
قال : وما الذى أماتها ؟
قال : كثرة بكائها على عمير .
قال : أو مات عمير ؟
قال : نعم .
قال : وما الذى أماته ؟
قال : سقطت عليه الدار .
قال : أو سقطت الدار ؟
قال : نعم .
فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا .

حقيقـــة

إذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأتمنه ، وأساء به الظن من كان يحسنه ، فإذا أذنب غيره نسب إليه ، ومن كان له صار عليه .

نعـــم

المـرء بفضيلته لا بفصيلتـه ، وبكمـالـه لا بجماله ، وبآدابه لا بثيابه .

من صفات الليل

قال بعض الأدباء لابنه : يابنى اجعل نظرك فى العلم ليلا ، فإن القلب فى الصدر كالطير ينتشر بالنهار،ويعود إلى وكره بالليل .
فهو فى الليل ساكن ما أَلْقَيْتَ إليه من شىء وعاه .
وقال بعضهم : فى الليل تَجُمُّ الأذهان ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتؤلف الحكمة ، وتَدُرُّ الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، والليل أحرى فى مذهب الفكر ، وأخفى لعمل البرِّ ، وأعون على صدقة السرِّ ، وأصح لتلاوة الذكر .

نصيحة مردودة

دخل أبو حازم المسجد فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك فقال له : وقد بلغ هذا من نصحك !!

ما أحلاك وما أملحك

قالت امرأة خالد بن صفوان له يوما : ما أجملك ! قال : ما تقولين ذاك ، وما لى عمود الجمال ولا علىَّ رِداؤه ، ولابرنسه !!
[« البرنس » : قلنسوه طويلة كانت تلبس فى صدر الإسلام ، وهو ـ أيضا ـ كل ثوب رأسه ملتزق به .]
قالت : أريد توضيحا ما عمود الجمال ، وما رداؤه ، ومابرنسه ؟
قال : أما عمود الجمال فطول القوام وفىَّ قِصَرٌ وأما رِداؤه فالبياض ولستُ بأبيض .
وأما برنسه فسواد الشعر وأنا أصلع .
ولكن لو قلت : ما أحلاك ، وما أملحك كان أولى .

دعـــاء

« اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد » .

الدين والأخلاق

لصاحب الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى

إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات

من الفضائل التى دعا إليها الإسلام : الحث على مكارم الأخلاق . ومكارم الأخلاق التى دعا إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلمها للإنسانية تتجلى فى حسن المعاشرة ، ولين الجانب ، وبذل المعروف ، وإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وعيادة المريض ، وحسن الجوار ، وتوقير الكبير ، والإصلاح بين الناس ، وكظم الغيظ واجتناب المنكر والبعد عن الغيبة ، ونبذ النميمة ، وعدم الكذب ، ومقاومة الشح والجفاء ، وَنَهْىٍ عن الخديعة . وقطيعة الرحم، وسوء الخلق، والتكبر والعدوان والظلم .

قال الكاتب - رحمه الله - :

[الدين والأخلاق :]

كلاهما يهدف لبيان الخير ويهدى إليه ، ويُعنى ببيان الشر وتبغيضه إلينا . والأخلاق كما تقول المعاجم ، والكتب العلمية التى تبحث فى هذا الفرع من فروع الفلسفة ، هى مجموعة القواعد التى بها نعمل الخير ، ونتجنب الشر . أو مجموعة قواعد السيرة الطيبة المحمودة ، القواعد التى يقبلها الناس عامة فى كل عصر وزمان .

فإذا كان الأمر كذلك ، كان من الطبيعى أن تكون صلة قوية بين الدين والأخلاق ، بل كان من الطبيعى أن تكون الأخلاق تابعة للدين . وهذا حقاً ، ما يعرفه تاريخ الفكر فى القديم والحديث .

نرى هذه الصلة الوثيقة فيما نعرف من تفكير قدماء المصريين والهنود والفرس ، وفيما نعرف عن المفكرين أتباع الديانات الوحيية : اليهودية والمسيحية والإسلام ، ذلك بأن الغاية من الدين ، وبخاصة ما كان سماوياً منه ، إصلاح الإنسان والإنسانية ؛ وليست الأخلاق إلا هذا .

كان المصريون القدامى كما نعرف ، يدينون

(*) المراد : الدين عامة ، والأخلاق عامة ، اى جنس كل منهما .

بحياة أخرى ، يسأل فيها المرء عما عمل فى حياته الأولى . فكان من هذا : حرصهم على أن يكونوا أخياراً .

ولدى الهنود ، نرى أن عقيدتهم فى خلود الروح والتناسخ ، ووحدة الوجود ، قد استتبعت أخلاقاً تقوم على الإعراض عن الدنيا وطيباتها ، وعلى رياضة النفس بالزهد والتأمل فى عزلة وسكون .

وفى فارس موطن دين « زرادُشت » الذى يقوم على الاعتقاد بإلهين : إله للخير ، وإله للشر ، نجد مذهباً فى الأخلاق أساسه ، أن فى الإنسان صراعاً دائماً بين مبدأين : مبدأ النور والخير ومبدأ الظلام والشر . ومن ذلك أن على الإنسان أن يعمل على نصرة مبدأ الخير ، وذلك باتباعه سبيل الفضيلة

هذا فى الديانات الوضعية الفلسفية ، والأمر فى الديانات السماوية أوضح من أن نحتاج للحديث فيه . فى كتب هذه الديانات : اليهودية والمسيحية والإسلام ، نرى صلة الأخلاق وثيقة جداً بالدين ، بل نجد الأخلاق جزءاً من الدين ، وليس فى هذا شىء من العجب .

إن الله العليم الحكيم هو الذى أرسل رسل هذه الأديان كلها مبشرين ومنذرين ، هادين بوحيه إلى الصراط المستقيم ، مرشدين الناس إلى سعادة الآخرة والأولى . وهذه السعادة تكون بالعقيدة الحقة الصالحة ، كما تكون بالأخلاق الطيبة المحمودة ، وبهذا كله نزل الوحى وجاء الشرع .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن أخلاق هذه الديانات تقوم على الترغيب والترهيب ، على الترغيب فى الخير بما وعدت من الثواب عليه ، وعلى الترهيب من الشر بما رتبت عليه من عقاب . ولم تر أن تدعو للخير ببيان ما فيه من حسن وجمال ولياقة بكرامة الإنسان والإنسانية ، ولا أن تبغض فى الشر بيان ما هو عليه من قبح فى نفسه وتناف لكرامة الإنسان كإنسان .

كما من الضرورى أيضاً الإشارة إلى ما لوحظ من أن كثيراً من الملحدين ، الذين لا يؤمنون بإله خالق ولا بحياة أخرى يكون فيها الجزاء على أخلاق فاضلة ، وخلال محمودة من الناحية الاجتماعية . بينما كثير من المؤمنين بهذا الدين السماوى أو ذلك ، لا يعرفون من الخير إلا اسمه ، ولا تتفق أعمالهم مع أقوالهم وعقيدتهم الدينية .

ولعل هذه الملاحظة وتلك ، هو مادعا بعض الفلاسفة والمفكرين المحدثين إلى محاولة فصل الأخلاق عن الدين ؛ وذلك بتعليل أحكامها عقلياً ، والبحث عن أسباب أو مبادىء أخرى تدفع للخير وتحبب فيه وتبعد عن الشر وتجعله بغيضاً ، دون حاجة للجوء للدين وما يرتبه من جزاء على الخير والشر ، وبذلك يؤمن بالأخلاق المتدين والملحد على السواء .

* * *

وإن أصحاب هذا الرأى ، أو إن رجال هذه المدرسة وعلى رأسهم « إميل دوركايم » الفيلسوف الفرنسى المعروف ، يقولون بأن من الممكن فصل الأخلاق عن الدين ، وجعلها عقلية فى مبادئها ووسائلها ؛ كما يرون بأن هذا من الخير ؛ إذ يعين على الوصول للغرض الذى تهدف إليه الأخلاق .

إنهم يرون بأن كون هذا العمل خيراً والآخر شراً ، ليس إلا حقائق لها وجود ، وكل ما كان كذلك يجب أن يكون من الممكن تفسيره بالعقل وحده دون حاجة للجوء للدين أو فلسفة ما بعد الطبيعة . ولم تعد قدرة العقل على تفسير كل حقيقة من هذا الضرب أو غيره موضع شك أو عجب ، بعد ما رأينا من تقدم علوم الطبيعة

من روائع الماضى فى مجلة الأزهر

الـــديـن والأخــــــــلاق

والحياة والنفس ، هذا التقدم الذى فهم به الإنسان الكون ، ودانت له عناصر الوجود أو كادت !

فإذا كان الأمر هكذا فى غير الأخلاق ، فلماذا لا يكون كذلك فى الأخلاق !؟ ولم نحتاج ـ فى رأى دُوركايم ـ فى سبيل تثبيت الأخلاق فى العقول والطباع ، أن نلجأ إلى طرق يعز على العقل إدراكها ، أن نلجأ إلى الدين أو ما بعد الطبيعة !

على أنه لا يصح فى سبيل جعل الأخلاق عقلية أن نحذف منها كل ما جاء عن الدين ، وإلا صارت أخلاقاً هزيلة ليس لها من أساس ، إن الواجب أن نبحث المبادىء الأخلاقية التى جاءت عن السماء ، وأن نحدد بعد هذا طبيعتها الخاصة ، وأن نعبر عن هذه المبادىء بلغة علمية عقلية .

ثم للأخلاق طابع قدسى خاص ، طابع إلزامى لا يمكن عدم الاعتراف به أو الخروج عنه ، حتى أنه قد يُقبل أن يلحد المرء فى دائرة العلم فلا يؤمن ببعض حقائقه ، ولكن لا يُقبل بحال أن يلحد فى الأخلاق . وهذا الطابع هو ما يجعل للأخلاق قوتها وأثرها الكبير على المعلم والمتعلم معا .

هذا الطابع يجب إذاً الاحتفاظ به ـ ولكن فيما يقول دوركايم ـ ليس من الضرورى رده للدين أو لمبادىء مما فوق الطبيعة ، بل من الممكن تفسيره عقلياً فى سهولة ويسر . وقد يمكن هذا التفسير بإسناده إلى ما يجب للإنسان والجماعة من كرامة وتقديس ، وذلك يجعل ما يتصل بهما من الناحية العملية مقدساً كذلك .

ونتيجة ذلك كله ، أن يكون فى الإمكان أن نغرس فى الطباع حب الخير لأنه جميل فى نفسه ، وكراهة الشر لأنه قبيح بغيض فى نفسه ، دون ضرورة للجوء للترغيب والترهيب . ومن مثل هذا المبدأ العام أن يفهم الإنسان أن من حقه وكرامته على نفسه أن يحترم ما فيه من إنسانية ، فلا يكذب ولا يكون جباناً مثلاً ، وأن يفهم كذلك أن من واجبه لغيره أن يحترم ما فيه من إنسانية فلا يغشه أو يخدعه ، وهكذا يمكن بهذا المبدأ أو ذاك غرس الخير وحب الفضيلة فى الطباع بعد أن يقتنع العقل تماماً أن ذلك جميل وحسن ومحبوب لذاته .

* * *

وأخيراً .. فإن فصل الأخلاق عن الدين لتكون علماً عقلياً ، أى اللجوء إلى العقل للتحبيب فى الخير والتنفير من الشر ، قد يكون له تأثيره الكبير على غير المؤمن بالدين ، الدين الذين يلجأ فى التحبيب إلى الفضيلة والتنفير من الرذيلة إلى الترغيب بالثواب والترهيب بالعقاب .

إلا أنه قد يلاحظ مع هذا أيضاً أن ربط الأخلاق بالدين لا يمنع الباحثين من جعلها علماً عقلياً ، وذلك بتفسير الأصول التى تستند إليها والمبادىء التى تقول بها تفسيراً عقلياً ، كما هو الشأن فى كل ما جاء به الدين من أحكام وتشريع .

إن القرآن كان حكيماً كل الحكمة بما أكد من ثواب وعقاب على عمل الخير والشر . ذلك ضرورى أول الأمر حتى يعتاد المرء عمل الخير وحتى يذوق حلاوته ؛ وحينئذ ليحله لنفسه ، وينتهى عن الشر لنفسه ، لا للثواب ولا للعقاب .

ثم حتى هذه الأيام ، لم يصل الفلاسفة والمفكرون فى هذه الناحية ، مع الرغبة وطول البحث ، إلى شىء آخر غير الدين يمكن أن تستند إليه الأخلاق ، ويكون له طابع القدسية والإلزام الذي نجده للدين ؛ هذا الطابع الذى هو جد ضرورى للأخلاق ، حتى فى رأى هؤلاء الفلاسفة الاجتماعيين العقليين .

اللغة والأدب والنقد

ابن القيم وحديث في أصول اللغة

القطامي وفخره بتقاليد البادية

نقد هادئ ورد أكثر هدوءا

ابن القيم وحديث في أصول اللغة

للأستاذ الدكتور
توفيق محمد شاهين

لابن القيم - رحمه الله - معلومات قيمة عن اللغويات ، أغرانى بتتبعها كتابه : « مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة » وبخاصة ما يتعلق منها بـ « الصوتيات » فلم أجد البون شاسعاً ، ولا الفرق واسعاً بين معارفه وبين معارف المحدثين من « المختصين » فى هذا الفن اليوم ، مع ملاحظة أن وسائل الأقدمين كانت بسيطة ، أو بدائية ، ومقدراتهم المادية للبحث والمعرفة نادرة إذا ما قورن ذلك بما هيىء من وسائل البحث الحديث اليوم من منجزات هائلة ودفع قوى وعون دائم يعين على الابتكار ، ومواصلة البحث والتجربة بتعقل ؛ لأن المحنة اليوم فى جهود ترفض التطور إطلاقاً ، وبين تطرف يفضى إلى شر العواقب ، فبقيت الوسطية العاقلة ..

ولسنا بهذه النظرة نقلل من قيمة الدراسات الحديثة ، ولا جهود القائمين بها ؛ فذلك أمر تتطلبه روح العصر ، وتعين عليه منجزات التكنولوجيا ، ويفتح آفاقا واسعة فى دنيا المعرفة والثقافة اليوم ، ويقتضيها طلبنا للرقى الحضارى فى شتى المجالات المعينة على النهوض .

وإنما قصدنا بهذه النظرة إبعاد شبح الانهزامية عن المسلم ، حتى يتمسك بتسلسل منطقى لإنشاء الحضارة ، بفكر القرآن والسنة واجتهادات أصيلة مبتكرة ، وتنقيتها مما تراكم حولها من سلبيات ، فتوحى بعد الغربلة الثقة فى نفس العربى والمسلم ، وينطلق من ضيق الأفق بسبب ماران عليه خلال عصور لم تكن فى صالحه ، ولا فى مقدوره أن يتخلص منها .. وعندما تبدأ ديناميكية الفكر عنده فى تنظيم

دورتها وتتابعها .. يوم أن ينهض من جديد بفكر وعمل خلاق ، يصل به ما بدأ به أجداده ، وما يوحيه إليه إسلامه ، وبدلا من التسول العلمى على موائد من نهضوا بمعارفنا ، سنصبح من جديد قبلة للعلم والعلماء .. وسيعلم أبناؤنا بالتالى أن بضاعتنا شرقت وغربت ، ولكنها ـ والحمد لله ـ عادت وردت إلينا .. فترد إلينا الروح وترجع لنا الثقة .

ففى هذا الجزئية التى نتناولها اليوم تتنوع جهود المؤلفين العصريين : منهم من يقتبس من جهود الأقدمين ، بغير ما إشارة إلى المرجع ، وبخاصة ما ألف فى العصور المتأخرة أو المظلمة كما نسميها .. وفى هذا ما فيه من الافتئات والغبن ، ولاعاصم منه إلا تحكيم الضمير ، والحس العلمى الحى .

وآخرون يؤلفون مقتدين بالغرب ومدارسه ، معجبين ومؤيدين ، ولا إشارة من قريب أو من بعيد ، لصنيع أجدادنا وعلمائنا القدامى ، ممن أفنوا عمرهم فى خدمة العربية والإسلام .. وهذا انسلاخ أو مسخ لا يرضاه عالم .. فإن كان الأمر جديداً فالعلم تركة موزعة بين أذكياء البشرية .. وإن أرسى علماؤنا قواعده ، وأسهموا فى إيجاده فأبسط حقوقهم أن يشار إلى عملهم ، وأن يشاد بفضلهم وجهدهم ، وتلك خلة محمودة : توحى بالثقة ، وتغرس الأمل ، وتغرى بمواصلة البحث والتقدم .

ولا يوافق عاقل أن تتوالى كتب الأبحاث اللغوية وما يتصل بها ، خلوا من الإشارة إلى ما قدمنا فى هذا المجال مما خلفه لنا تراثنا بدءا بالعبقرى الخليل بن أحمد ، ومروراً بالخالد (ابن جنى) وغيره من عباقرة العرب والمسلمين ..

ومن ثَمَّ فقد تهللت لبادرة الأستاذ الدكتور : أحمد مختار عمر فى كتابه (البحث اللغوى عند العرب) .. وحبذا لو توالت الأبحاث على هذا المنوال ترتكز على الأسس العتيقة وترفدها الدراسات الحديثة .. فيكون من هذا وذاك وقود النهضة الواعية الصاعدة ، بما يربطنا بماض مجيد أسهم فيه ابن القيم برسالته (أسباب حدوث الحروف) ، وابن جنى فى (سر الصناعة) ، وابن سنان الخفاجى فى (سر الفصاحة) ، ووواكبهم علماء البلاغة والبيان .

يقول أستاذنا الشيخ إبراهيم محمد نجا ـ رحمه الله ـ :

.. وقد كان للعرب فضل كبير فى هذه المباحث الطبيعية (مباحث علوم اللغة) فأجروا التجارب التى مكنتهم من أن يستنبطوا على ضوئها حقائق كثيرة :

فقد ابتكروا كثيراً من الآلات الموسيقية ، كالأرغون ، والرق ، والطبلة ، والقيثارة ، والطنبور ، والعود .. إلخ .

ويقول أيضاً :

ومن هنا نستطيع أن نقول : إنه لا غنى لدارس (علم الأصوات) عن الإلمام بالمبادىء الطبيعية التى تساعده على التعرف على أعضاء النطق ، وعن الإلمام بالمبادىء الاجتماعية ؛ لتعرف الأسس التى قامت عليها دلالة الألفاظ : كدراسة النواحى الجغرافية ، والفلسفية والنفسية ..

والعرب هم أول أمة عنيت بهذه الدراسة ، هادفين إلى ضبط القرآن الكريم ، والاهتمام بتلاوته ، ولذلك أطلقوا على هذه الدراسة : (تجويد القرآن) .

فهذا اللون من الدراسة وإن أصبح له فى دنيا الغرب الشأن الكبير ، وأفردت له الأقسام وخصصت له المعامل ، وأجريت عليه التجارب .. إلا أن للعرب فى هذا الميدان فضل السبق .. ومن

ابـن القـيم

وحديث فى أصول اللغة

حقهم وواجبهم اللحاق بالركب : حفاظاً على لغة القرآن ، وبيان فضلها وميزاتها ، وتحقيقا لما جد ويجد من نفع فى دراسة هذا اللون فى ميادينه المختلفة ؛ لأن الإلغاء الفج كلية لمثل هذه الدراسة تخلف حضارى لا شك فى ذلك .. كما أن الاكتفاء بالقشور قصور علمى .. لا يغنى ولا يسمن من جوع .

وقد حسدنا الغرب على الأصول التى وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدى (٩٩ هـ) لعلم الموسيقى ، ولم يكن هاويا ولا محترفا .. ولم يضرب على آلة قط ..

كما قد حسدونا على اختراع علم (التجويد) ، وضبط الألفاظ وطريقة نطقها بما حفظ لنا وللأجيال من بعدنا الطريقة الصحيحة لنطق القرآن الكريم . كما انزله الله تعالى إلى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم ، وعلمنا بالتالى كيف ننطق اللغة العربية التى هى وعاء الوحى .

وهذه مقتطفات مما لاحظته فى كتاب (مفتاح دار السعادة) ، لابن القيم - رحمه الله - ، فى هذا الصدد ، أسوقها بتعليق خفيف ، وأقارنها بسرعة بغيرها ، ليتبين الفضل والعلم .

كان ملحظ علمائنا الأوائل دينيا فى كل معارفهم ، بمعنى : أن الله تعالى كان قبلتهم فى كل شىء ، يقول الإمام ابن قيم الجوزية : (خلق - الله سبحانه - الأذن أحسن خلقة وأبلغها فى حصول المقصود منها ، فجعلها مجوفة كالصدفة لتجمع الصوت ، فتؤديه إلى الصماخ ، وليحس بدبيب الحيوان فيها ، فيبادر إلى إخراجه . وجعل فيها غضونا وتجاويف واعوجاجات تمسك الهواء والصوت الداخل فتكسر حدته ، ثم تؤديه إلى الصماخ ..

ويشير إلى حكمة الله تعالى فى أن جعل للإنسان حاستين وعضوين كالأذنين والعينين اللتين اقتضت الحكمة تعددهما : فإنه ربما أصيبت إحداهما أو عرضت لها آفة تمنعها من كمالها ، فتكون الأخرى سالمة فلا تتعطل منفعة هذا الحس جملة . وكان وجود أنفين فى الوجه شيئاً ظاهراً ، فنصب فيه أنفا واحدا ، وجعل فيه منفذين حجز بينهما بحاجز يجرى مجرى تعدد العينين والأذنين فى المنفعة وهو واحد ، فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين .

أحدهما للصوت والنفس الواصل إلى الرئة ، والآخر ، للطعام والشراب وهو المرىء الواصل إلى المعدة ، وجعل بينهما حاجزاً يمنع عبور أحدهما فى طريق الآخر ، منعا للهلاك لو وصل الطعام من منفذ النفس .

وجعل داخل الأذن مستويا كهيئة الكوكب ؛ ليطرد فيه الصوت حتى ينتهى إلى السمع الداخلى وقد انكسرت حدة الهواء فلا ينكؤه .

فقد لحظ ابن القيم أن تجويف الأذن تكفل بحفظها حين نشعر بالخطر ، وأن التجاويف تمسك الهواء والصوت حتى يصل إلى الصماخ فى رفق .. وأن تكرار الأذن فيه جمال واحتياط ، وكذلك العينان .. وقام منفذ الأنف مقامهما بما تركب فيه من حاجز وفى الحلق منفذان يحجز بينهما ليقوم كل منهما بما نيط من مهمات حيوية ، وبما يضمن السلامة للإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم .

ويعمم ابن القيم فى حديثه ، ثم يخصص زيادة فى البيان : فيذكر ما أودع الله تعالى فى الرأس - كأشرف مكان فى الإنسان - وما أودعه الله فيه من آلات تعين على استمرارية الحياة من جهة ، وتعين على الاختيار والتذوق لتفضيل

المناسب والانيق ، ثم تؤدى بالتالى نعمة الكلام والبيان ، مع الإشارة إلى الاتصال بينها وبين بعضها فى تناسق وترابط يشير إلى قدرة الخالق والمنعم ، ويذكر العبد بنعم المتفضل سبحانه ..

ولأن اللسان أخطر الأعضاء من جهة وأجلها من ناحية أخرى ، وحتى فى تخصيص مكانه وستره ، فضلا عن لطافته وحاجته إلى الرطوبة لتأدية وظيفته المزدوجة على نحو مرض وفعال .. كان فى داخل الفم لا خارجه .. ثم ما أحيط به من أسنان وشفاه .. وكانت بدايته فى أقصاه لا فى طرفه .. وكيف كان اختلاف الحناجر معجزة فى عدم تشابه الأصوات ، مما أشبه اختلاف البصمات .. وكان اختلاف الأصوات سببا فى حفظ الحقوق والعدل حين أباح العلماء للأعمى الشهادة ؛ لأنه يميز بين الأصوات الأصوات المختلفة ، فلا تستعصى عليه الشهادة .. تمكينا للعدالة فى دنيا الإنسان ..

يقول - رحمه الله - فى معرض الرد على الدهريين ، والطبيعيين ، ممن نسميهم اليوم بالماديين والملحدين : (شق للعبد الفم فى أحسن موضع ، وأليقه به ، وأودع فيه من المنافع وآلات الذوق والكلام ، وآلات الطحن والقطع ما يبهر العقول عجائبه ، فأودعه اللسان الذى هو إحدى آياته الدالة عليه ، وجعله ترجمانا لملك الأعضاء ، مبينا ، مؤديا عنه ، كما جعل الأذن رسولا مؤديا مبلغاً إليه ، فهى رسوله وبريده الذى يؤدى إليه الأخبار . واللسان بريده ورسوله الذى يؤدى عنه ما يريد) .

وعن وظيفة اللسان ، ومكانه ومكانته ، وما أحيط به للحفظ والزينة والإعانة على أداء وظيفته ، يقول :

(واقتضت حكمته سبحانه ، أن جعل هذا الرسول مصونا محفوظا مستورا غير بارز مكشوف كالأذن والعين والأنف ؛ لأن تلك الأعضاء لما كانت تؤدى من الخارج إليه جعلت بارزة ظاهرة ، ولما كان اللسان مؤديا منه إلى الخارج جعل له ستراً مصونا لعدم الفائدة فى إبرازه ، لأنه لا يأخذ من الخارج إلى القلب ، وأيضاً : فلأنه لما كان أشرف الأعضاء بعد القلب ، ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره .. ضرب عليه سرادق تستره وتصونه ، وجعل فى ذلك السرادق كالقلب فى الصدر .

وأيضاً : فإنه من ألطف الأعضاء وألينها ، وأشدها رطوبة ، وهو لا يتصرف إلا بواسطة الرطوبة المحيطة به ؛ فلو كان بارزا صار عرضة للحرارة واليبوسة والنشاف المانع له من التصرف ، ولغير ذلك من الحكم والفوائد .

ثم زين سبحانه الفم بما فيه من الأسنان ، التى هى جمال له وزينة ، وبها قوام العبد وغذاؤه ... متناسقة الترتيب ، كأنها الدر المنظوم .. وأحاط - سبحانه - على ذلك حائطين ، وأودعهما من المنافع والحكم ما أودعهما ، وهما الشفتان ..وجعلهما إتماما لمخارج حروف الكلام ونهاية له . كما جعل أقصى الحلق بداية له ، واللسان وما جاوره وسطا ، ولهذا كان أكثر العمل فيها له ؛ إذ هو الواسطة .. وخلق سبحانه الحناجر مختلفة الأشكال فى الضيق والسعة ، والخشونة والملاسة ، والصلابة واللين ، والطول والقصر ، فاختلفت بذلك الأصوات أعظم اختلاف ، ولا يكاد يشتبه صوتان إلّا نادراً . ولهذا كان الصحيح قبول شهادة الأعمى ؛ لتمييزه بين الأشخاص بأصواتهم ، كما يميز البصير بينهم بصورهم ، والاشتباه العارض بين الأصوات كالاشتباه العارض بين الصور .

ولو تأملنا براعة الإمام السكاكى فى توزيع الحروف الأبجدية بين أعضاء النطق ، فى رسم لا يختلف كثيراً عن رسومات المحدثين ، بما حباهم به العصر من منجزات التكنولوجيا المعاصرة .. لازداد إكبارنا لعلمائنا القدامى ،

ابن القيم

وحديث فى أصول اللغة

ولشعرنا بالتفوق .. واليوم إذا كان عصر التقدم التكنولوجى - على منجزاته الهائلة - عاجزا عن التشريح الدقيق وبيان الوظائف التفصيلية أو شبهها للمخ ، وكيفية عمله .. فلا عجب أن يشير الإمام ابن قيم الجوزية إشارات مقتضبة إلى هذا الجانب ، حين يقول :

(ومن عجائب خلقه : أنه جعل فى الراس ثلاث خزائن نافذاً بعضها إلى بعض : خزانة فى مقدمه ، وخزانة فى وسطه ، وخزانة فى آخره ، وأودع تلك الخزائن من اسراره ما أودعها ، من الذكر ، والفكر ، والتعقل) .

ولذا نجد بعض العلماء المعاصرين ، يتعرض لأعضاء النطق بالدراسة التفصيلية ، ما عدا (المخ) ، ويصرح بأنه لن يتعرض له بشىء من التفصيل لدقة تشريحه ، فضلا عن أن التشريح لم يصل بعد لتعرف شأنه تعرفاً تاماً .

ويجعل ابن قيم الجوزية التفكر فى مكان يفضل العبادة ، لما ورد فى الآثار ، ولأن الفكرة مخ العقل ، وعبادة الصالحين ، ولذا صرف المتكبرون عن التفكر فى آيات الله : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ .. ويفرق بين التذكر والتفكر : بأن الأول يثبت فى القلب ما عرف بالتكرار ، والتفكر يكثر العلم ويستجلب ما ليس حاصلا : فالفكر يحصله ، والتذكر يحفظه ، ولهذا قال الحسن : (مازال أهل العلم يغدون بالتذكر على التفكر ، وبالتفكر على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة) ، فالتفكر والتذكر بذار العلم ، وسقيه مطارحته ، ومذاكرته تلقيحه .. حتى يقرر أن أصل كل طاعة إنما هى الفكر ، وأصل كل معصية من جانب الفكرة حين يصادف الشيطان أرض القلب خالية فارغة ، فيبذر فيها حب الأفكار الردية .

ويتعرض الإمام ابن قيم الجوزية إلى الحديث عما فى داخل الإنسان مما لا نشاهده ، كالقلب والكبد والطحال والرئة .. ويتحدث عن بعض وظائفها ، مستدلا بذلك على عجائب خلق الله سبحانه ، ويجعل القلب ملكا يستعمل جميع آلات البدن ، وكلها خادمة له ؛ لأنه أشرفها ، وبه قوام الحياة ، والغرائز ، والصفات ، ولذا فالعين طليعته ورائده ، واللسان ترجمانه المؤدى للسمع ما فيه ، ومن ثم فكثيرا ما قرن المولى سبحانه الثلاثة ، كما فى قوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وبالجملة فسائر الأعضاء خدمه وجنوده ، وقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « الا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، الا وهى القلب » .

ولله در الشاعر حيث يقول :

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره
ومن هو فوق العرش فرد موحد

ويذكر ابن قيم الجوزية الإنسان بمنافع أعضائه : ... **والعينان** ، للاهتداء والجمال والزينة والملاحة ، ورؤية ما فى السموات والأرض وعجائبهما ، **والفم** : للغذاء والجمال وغير ذلك . **والأنف** : للنفس ، وإخراج فضلات الدماغ ، وزينة الوجه . **واللسان** : **للبيان والترجمة عنك** . **والأذنان** : صاحبتا الأخبار تؤديانها إليك ، واللسان يبلغ عنك ..

وابن قيم الجوزية حريص على بيان حكمة الله

فى جعل الحواس الخمس للإنسان فى أشرف مكان ، يقول :

وانظر إلى الحواس التى منها تشرف على الأشياء ، كيف جعلها الله فى الرأس كالمصابيح فوق المنارة لتتمكن بها من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل فى الأعضاء التى تمتهن كـاليدين والرجلين ، فتعرض للآفات بمباشرة الأعمال والحركات .. وحتى تتمكن من أداء رسالتها بيسر : (كان الرأس أليق موضع بها وأجملها : فالرأس صومعة الحواس) .

ثم يذكر الحكمة فى عدد الحواس ، فيقول :

جعل الحواس خمسا فى مقابلة المحسوسات الخمس ؛ ليلقى خمسا بخمس ، كى لا يبقى شىء من المحسوسات لا يناله بحاسة :

فجعل البصر فى مقابلة المبصرات ، والسمع فى مقابلة الأصوات ، والشم فى مقابلة أنواع الروائح المختلفات ، والذوق فى مقابلة الكيفيات المذوقات ، واللمس فى مقابلة الملموسات . فأى محسوس بقى بلا حاسة ؟ ولو كان فى المحسوسات شىء غير هذه لأعطاك له حاسة سادسة ..

ولما كان ما عداها إنما يدرك بالباطن أعطاك الحواس الباطنة ، وهى هذه الأخماس التى جرت عليها ألسنة العامة والخاصة ، حيث يقولون : المتفكر المتأمل ضرب أخماسه فى أسداسه : أى حواسه الخمس فى جهاته الست ، وأرادوا أنه جذبه القلب ، وسار به فى الأقطار والجهات حتى قلب حواسه الخمس فى جهاته الست ، وضربها فيها لشدة فكره .

فذكر الحواس الخمس الظاهرة ، ثم أشار إلى الحواس الباطنة ، وبذلك لا يستدرك عليه .

وهذه الحواس لا تعمل إلا بوسائط ووسائل ، تمكنها من أداء رسالتها ، لا شك فى ذلك ، يقول ابن قيم الجوزية :

ثم أعينت هذه الحواس بمخلوقات أخرى منفصلة عنها ، تكون واسعة فى إحساسها :

فأعينت حاسة البصر بالضياء والشعاع ، فلولاه لم ينتفع الناظر ببصره ، فلو منع الضياء والشعاع لم تنفع العين شيئا .

وأعينت حاسة السمع بالهواء يحمل الأصوات فى الجو ، ثم يلقيها إلى الأذن فتحويه ، ثم تصله إلى القوة السامعة ، ولولا الهواء لم يسمع الرجل شيئا .

وأعينت حاسة الشم بالنسيم اللطيف يحمل الرائحة ثم يؤديها إليها فتدركها ، فلولا هو لم تشم شيئا .

وأعينت حاسة الذوق بالريق المتحلل فى الفم ، تدرك القوة الذائقة به طعوم الأشياء ، ولهذا لم يكن له طعم لا حلو ولا حامض ، ولا مالح ولا حريف ؛ لأنه كان يحيل تلك الطعوم إلى طعمه ولا يحصل به مقصوده .

وأعينت حاسة اللمس بقوة جعلها الله فيها تدرك بها الملموسات ، ولم تحتج إلى شىء من خارجها ، بخلاف غيرها من الحواس . بل تدرك الملموسات بلا واسطة بينها وبينها ؛ لأنها إنما تدركها بالاجتماع والملامسة ، فلم تحتج إلى واسطة .

فذكر ضرورة الضياء لضرورة الإبصار ، وإلا لما تم المطلوب ، والهـواء ضرورى لحمل الأصوات . بينما النسيم العليل يمكن الشم من أداء مهمته ، وكان اللعاب فى الفم لإدراك المذوقات ، وترطيب اللسان بينما حاسة اللمس لها اكتفاء ذاتى حين تقوم بمهماتها .

القطامى

وفخره بتقاليد البادية

للأستاذ / السيد حسن قرون

القطامى[1] « لقب » واسمه عُمَيْر بن شُيَيْم من قبيلة تغلب ، وجاءه لقب (القطامى) من قوله : يصكهن جانباً فجانبا صك (القطامى) القطا الغواربا .

وقد يلقب « صريع الغوانى » لقوله :

صريع غوان راقهن وَرُقْنَه لدى شاب حتى شاب سود الذوائب

وهو شاعر إسلامى مجيد ومقل ، وكان نصرانيا وقيل اسلم ، وكان حسن التشبيب بالنساء رقيق الشعر فيهن ، روى له الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » شعراً فى وصف (حديث النساء الجميل) وهو قوله :

وفى الخدور غمامات بَرُقْنَ لنا
حتى تصيدننا من كل مصطاد
فهن ينبذن من قول يصبن به
مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وذو الغلة الصادى هو العطشان .

قال ابن قتيبة (٢١٢ ـ ٢٧٦هـ) فى كتابه « الشعر والشعراء » فى حديثه عن القطامى إنه « كان يمدح زفر بن الحارث الكلابى وأسماء بن خارجة الفزارى » وكلاهما من « قيس عيلان » .

وقبيلة تغلب عدو لقبائل قيس ، ومن ثم كان مدح القطامى التغلبى لزفر القيسى يحتاج إلى تعليل ومعرفة السبب ، والسبب وقوع القطامى أسيراً فى يد القيسيين فأرادوا قتله فحال زُفَر بينهم وبينه ، من ثَمَّ كان مديح القطامى لزفر فى قصائد عدة .

وقد نشأت عداوة تغلب لقيس وقبائلها بعد

(١) القطامى : طائر له مخالب ومنقار طويل .

معركة « مرج راهط » وهى موقعة كانت بين (مروان بن الحكم) وجيشه المكون من ثلاثة عشر مقاتلاً ، وبين جيش (الضحاك بن قيس) ومعه (زفر بن الحارث) الكلابى وستون ألف مقاتل وبالخديعة (طلب الهدنة من مروان والاستجابة له) .

أوقع مروان بالقيسية فهزمهم هزيمة منكرة ، فزعموا - والكلام لابن عبد ربه فى "العقد الفريد": أن رجالاً من قيس لم يضحكوا بعد يوم المرج حتى ماتوا جزعا على من أصيب من فرسان قيس ، فقتل من قيس يومئذ من كان يأخذ (شرف العطاء) ثمانون رجلا ، وقتل من سليم ستمائة ، وقتل لزفر بن الحارث ابنان يوم المرج ، وكأن تغلب كانت تنتظر هزيمة قيس لتعتدى عليها وتقتل أبناءها ، ولكن قيسا هزمت تغلب مرتين . المرة الأولى بقيادة (زفر بن الحارث الكلابى) ، وكانت بنواحى الجزيرة والموصل شمال العراق ، وكانت المعركة ليلا ، فلجأ التغلبيون إلى عبور دجلة لينجوا من القتل ، فكان ذلك أنكى وأشد ، فذكر أن من غرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف ، وأن الدم فى دجلة كان قريبا من رمية سهم - كما يقول أبو الفرج الأصبهانى فى كتابه الأغانى ، وقد عيَّر جرير الأخطل بها قال :

أنسيت يومك بالجزيرة بعدما
كانت عواقبه عليك وبالا

حملت عليك حماة قيس خيلها
شُعْثًا عوابس تحمل الأبطالا

مازلت تحسب كل شىء بعدهم
خيلا تُصب عليكم ورجالا

زُفَرُ الرئيس أبو الهذيل أبادكم
فسبى النساء وأحرز الأموالا

كانت تلك الغزوة قبل سنة ٧٣هـ فلما قُتل عبد الله بن الزبير ، وهدأت الأحوال السياسية ، واجتمعت الأمة الإسلامية على عبد الملك بن مروان كانت الموقعة الثانية بقيادة الجحاف بن حكيم السلمى ، وهزيمة تغلب ، وكان سببها بيتا من الشعر أنشده الأخطل أقام الخليفة عبد الملك والجحاف حاضر والبيت هو :

الا سائل الجحاف هل هو ثائر
لقتلى أصبت من سُلَيْم وعامر

وقد علق الخليفة على هذا البيت بقوله : إنه شؤم على تغلب ، فلما سمع الجحاف هذا الشعر خرج مغضبا فجمع جموعه من قبائل قيس فزحف على تغلب فى واد لهم يسمى « البشير » فقتلهم قتلا ذريعا ، وقتل ابنا للأخطل يقال له « أبو غياث » ولم يرض عن هذا المسلك عبد الملك وأراد عقاب الجحاف وجنده ، ولكن من حوله أشاروا عليه بدفع الجزية ، تتحملها قيس ، ولكن ولى العهد الوليد بن عبد الملك قام بجل الديات ،

ومع أن الجحاف عقب المجزرة فر إلى الروم إلا أنه عاد واشترك فى دفع الديات ، ورحل إلى كبير قيس الحجاج بن يوسف الثقفى فأعانه عليها بعد تأب وامتناع .

فى تلك الحروب كان (القطامى) بين رجال تغلب يذود عنهم ويقارع الفرسان ، فوقع فى الأسر فى يد فرسان قيس - كما قلنا آنفا - وأرادوا قتله فحال زفر بينهم وبينه ، ثم زاد على

القطامى وفخره بتقاليد البادية

ذلك أنه أطلق سراحه ووهب له مائة ناقة ورده إلى قومه سالما غانما ، فقال القطامى يمدحه :

من مبلـغ زفـر القيسى مـدحتـه
عن القطـامى قولا غـير إفناد ؟
إنى وإن كان قومى ليس بينهم
وبين قومك إلا ضربة الهادى(٢)
مُثْنٍ عليك بما أوليت من حسن
وقـد تعرض منى مقتـل بـادى
فإن قدرت على يوم جـزيت به
والله يجعـل أقـوامــا بمـرصــاد
ومن مديحه أيضا قوله :
الكفـر بـعـد رد المـوت عنـى
وبعـد عطائـك المائـة الرتـاعا(٣)
فلـو بيـدى سـواك غـداة زلت
بى القـدمـان لم أرج اطـلاعـا
إذن لهلكت لـو كـانت صغـار
من الأخـلاق تبتـدع ابتـداعـا

عقيـدتـــه :

والرواة يختلفون حول عقيدته ، قالوا كان نصرانيا ، وقيل أسلم ، والأمر يرجع إلى القبيلة تغلب فلقد تأخر إسلامها .

يحكى ابن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » قال :

حدثنى محمد بن الحجاج الأسيدى قال : خرجت إلى الصائفة فنزلت منزلا لبنى تغلب فلم أجد به طعاما ولا شرابا ولاعلفا لدابتى شِرًى ولا قِرًى ولم أجد ظلا ، فقلت لرجل منهم : أما فى داركم هذه مسجد أستظل بفيئة ؟ فقال : ممن أنت ؟ قلت : من بنى تميم . قال : ماكنت أرى عمك جريرا إلا أخبرك حين قال :

فينـا المساجـد والإمام ولا تـرى
فى دار تغلب مسجـدا معمـورا

وهذه النادرة تمثل بيئة القطامى وتعتذر للرواة إذ لم يهتدوا إلى معرفة عقيدته ، ثم إن شعره ينضح عن بدوية فيه وبُعْدٍ عن الحضارة ، بل إنه يتبرأ منها ، فمن شعره المشهور فى ذلك قوله :

فمـن تكـن الحضـارة أعجبتـه
فـأى رجـال بـاديـة تـرانـا ؟
ومن ربط الجحـاش فـإن فينـا
قنـا سلبـا وأفـراسـا حسـانـا
وكن إذا اغـرن(٤) عـلى قبيـل
فـأعـوزهـن كـون حيث كـانـا
اغرن من الضباب(٥) على حلال(٦)
وضبـة إنـه من حـان حـانـا
واحيـانـا عـلى بكـر اخينـا
إذا مـا لـم نجـد إلا اخـانـا

فالشاعر هنا لايتحدث عن حروب قيس مع تغلب ولكنه يتحدث عن تقاليد قبيلته التى لم تأخذ بأسباب الحضارة مثل القبائل الأخرى ولم تخضع لدستور الإسلام وهو القرآن الذى ينزل العقاب بقطاع الطرق ويعاقب من ينهب ويسلب ، فكأن القبيلة مازالت فى الجاهلية ، تعيش بلا قانون ولا أخلاق إسلامية والقطامى كمعاصريه فى العهد الأموى طرق الأغراض

(٢) الهادى العنق .
(٣) الرتاع التى ترتع وترعى .
(٤) اغُرن : عبر بالخيل عن الفرسان .
(٥) الضباب : قبائل ضبيب وضبة وحِسْل وحُسيَك .
(٦) حلال : قبائل متجاورة .

المعروفة منذ الجاهلية ، فقد مدح وهجا وفخر ، وتغزل ، ووصف ، وصاغ الحكمة من واقع رؤيته للحياة .

ونقاد الشعر من السلف أثبتوا له تفوقه فى وصف النساء وحديثهن ، وبراعته فى إرسال الحكمة والمثل .

ومن شعره الذى يتمثل به قوله :

والناس من يلق خيراً قائلون له
مايشتهى ولأم المخطىء الهبل[7]
قد يدرك المتأنى بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقوله :

كذاك وما رأيت الناس إلا
إلى ما جر غاويهم سراعا
تراهم يغمزون من استركوا[8]
ويجتنبون من صدق المصاعا

إجادته :

ولقد أجاد فى الوصف وقص القصص ولو اتجه إلى هذا المتجه لأتى بشعر يحسن الاستمتاع به ؛ لذا أقدم لك تلك القصة التى عنيت بها كتب التراث ، تجدها فى الأمالى لأبى على القالى ، وتجدها فى رسالة الغفران للمعرى عند حديثه عن مقابلة الشعراء فى الجنة وفى النار ، وأوردها ابن عبد ربه فى العقد الفريد عند حديثه عن البخلاء ، قال ابن عبد ربه : قال القطامى وقد ضاف فى ليلة ممطرة عجوزاً من محارب فلم تقره شيئاً فرحل عنها وهو يقول :

تضيفت فى طل وريح تلفنى
وفى طرمساء[9] غير ذات كواكب
إلى حيزبون[10] توقد النار بعدما
تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلى[11] بها برد العشاء ولم تكن
تخال وميض النار تبدو لراكب
فما راعها إلا بغام[12] مطيتى
تريح بمحسور[13] من الصوت لاغب
فجنت جنونا من دلاث[14] مناخة
ومن رجل عارى الأشاجع[15] شاحب
سرى فى جليد الليل حتى كأنما
يحزم بالأطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كورى[16] وناقتى
إليك فلا تذعر عن ركائبى
فسلمت والتسليم ليس يسرها
ولكنه حق على كل جائب[17]
فردت سلاما كارها ثم أعرضت
كما انحاشت[18] الأفعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها
من الحى ؟ قالت : معشر من محارب
من المشتوين القد[19] فى كل شنوة
وإن كان عام الناس ليس بناصب
فلما بدا حرمانها الضيف لم يكن
علىَّ مبيت السوء ضربة لازب

(٧) الهبل : الثكل يقال هبلته أمه أى ثكلته وفقدته .
(٨) استركوا : استضعفوا .
(٩) طرمساء : ظلمة شديدة .
(١٠) حيزبون : عجوز .
(١١) تصلى بها : تستدفىء .
(١٢) بغام : صوت الناقة .
(١٣) بمحسور : صعب .
(١٤) دلاث : مسربلة .
(١٥) الأشاجع : أصول الأصابع أو هى عروق ظاهر الكف .
(١٦) الكور : رجل البعير .
(١٧) جائب : جائل مسافر .
(١٨) انحاشت : انكمشت .
(١٩) القد : اللحم المقدد .

القطامى وفخره بتقاليد البادية

وقمت إلى مهرية قد تعودت
يداها ورجلاها حثيث المواكب
ألا إنها نيران قيس إذا شتوا
لطارق ليل مثل نار الحباحب[٢٠]

هذه قطعة من قصيدة طويلة ومطلعها :

نأتك بليلى نية لم تقارب
وماحب ليلى من فؤادى بذاهب

وأنت ترى فى هذه القطعة وصف حاله حين قدم على تلك العجوز فى تلك الليلة الشاتية ، وأنها كانت تستدفىء بنار لا تكاد تظهر ، وأنها لم تقابله مقابلة أهل السخاء ، فقد ارتاعت من صوت ناقته التى تريد الاستراحة هى وراكبها المحسور الضعيف ، بل زاد ارتياعها حتى جنت بل أرادت طرده ، ولكنه سلم والتسليم من شأن القادم فكان ردها قبيحا مصحوبا بالإعراض عنه ولم يتركها فتبادل معها الحديث ، ليعرف نسبها وحالها فكان جوابها أنها من قبيلة محارب الذين يحتفظون باللحم المقدد ولاينحرون لأنفسهم ولا للضيف ، هنا يئس من قراها ومن حديثها ، فما كان منه إلا الرحيل .

والرجل فى أغلب الظن كان صادقا فى خبره كما هو صادق فى أدائه ، ولا أتهمه هنا بالتعصب ضد قيس لأن هذه العجوز من محارب ، ومحارب من قيس ، وقيس هى التى فعلت الأفاعيل فى تغلب التى انحدر منها الشاعر .

ويخيل إلىّ أنه عجل بالرحيل حين قام إلى ناقته المهرية الأصيلة المتعودة السرعة مع القافلة أو حين المباراة ، عجل بالرحيل حتى لا تسأله عن نسبه فينكشف أمره أنه من تغلب ، فتصيح وتؤلب عليه أبناء محارب ، عرفها ولم تعرفه ، وأنكرته خوف قراه ، فما بالك لو علمت أنه من تغلب ؟ وأنه شاعرها القطامى ؟ ولو وقع فى يدها لما وجد زفر بن الحارث بجواره ليحميه وينقذه .

ولقد وفق الشاعر فى التصوير ، وقدم لنا لوحة فنية فيها الصورة الواسعة التى تجمع الحركة والصوت واللون ، وأسلوب القصة من الحوار والنسيج الذى ينتهى بالحل المرتقب .. ألا ترى أنه بعد السؤال والجواب وعرفانه الحرمان أسرع إلى ناقته فامتطاها وانصرف .

والخلاصة :

إن القطامى يمثل نوعا من التخلف الحضارى فى وقت قامت فيه الحكومة وحركة الحياة فى ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة واختلاط الشعوب شرقا وغربا ، فلقد امتدت الدولة فى عهده إلى الصين شرقا وإلى الأندلس وجنوب فرنسا غربا ، وكأنه هو غائب عن كل الأحداث ، وهمه فى السلب والنهب والإغارة على القبائل المتجاورة فإذا لم يجد ما يريده لجأ إلى بنى قومه فأغار عليهم ..

وأحيانا على بكر أخينا
إذا لم نجد إلا أخانا

والرجل على حاله من تلك الجاهلية يصنف فى شعراء الدولة الإسلامية لأنه ترفى سنة ١٠١هـ - ٧١٩م . ولقد ترك لنا ديوان شعر يحتوى على الإجادة ، وحياة البادية فى وقت الانطلاق والازدهار .

---

(٢٠) نار الحباحب : شعاع يضىء بالليل من ذباب يسمى الحباحب .

للأستاذ/
أيمن محمد ميدان

نقد هادئ ورد أكثر هدوءًا

احتضنت مجلتنا الغراء « الأزهر » بين صحائف عددها المنصرم مقالاً نقدياً ثاقباً للصديق الجليل دكتور شعبان مرسى ـ كتبه فور عودته من العاصمة الإسبانية « مدريد » حاصلاً على درجة الدكتوراة فى الآداب ـ تناول من خلاله بالنقد والتمحيص ـ كتاب « الوحوش » لأبى سعيد الأصمعى الذى صدر بتحقيقى ونشر ـ منجماً ـ فى مجلة الأزهر.

ولا أخفى عليكم أن نقد الصديق العائد ـ وإن بدا حاداً فى بعض جوانبه ـ أدخل السرور إلى نفسى ، وبدد مسحة من الحزن انغرست فى أعماق ذاتى فور صدور الكتاب مبعثها سلبية المتلقى العربى فى زماننا هذا .. فأجمل إحساس يحس به كاتب أو باحث أن يرى لكلماته صدى ، ولآرائه ردود أفعال ، ولاسيما إذا صدر الرد أو انعكس الصدى عن أناس يتسمون بعمق الفكر وسعة الثقافة .

بدأ الدكتور شعبان مقاله بالتنويه بالجهد المتواضع الذى بذلته ، والإشارة إلى قيمة الكتاب اللغوية والأدبية والتاريخية ، ثم انطلق يقرر ملاحظاته حول الكتاب وماوردت فيه من أفكار ، تلخصت ملاحظاته فى نقاط ست ، رايت ان اقف امام كل واحدة على حدة ، أبدد إبهاماً اعترى موقفاً لى ، أو اوضح راياً فى حاجة إلى ادلة جديدة .

أولاً : ذكر صديقى انه كان يتمنى ان لو ترجمت مقدمة « جاير » من الألمانية إلى العربية ، وأضاف أنه « ليس يكفى طالب الحقيقة قول أيمن : « وبعد فترة تتجاوز القرن من الزمان ... إلخ » .

أقول : قد يتبادر إلى ذهن قارىء عجل ، أو باحث لم يتيسر له الاطلاع على نشرتى للكتاب انه

نقد هادىء

ورد أكثر هـــــدوءا

لهذا السبب فقط أقدمت على نشر الكتاب ، فهناك دوافع كثيرة ذكرتها فى مقدمتى التى دبجت بها صدر الكتاب ، منها : العثور على نسخة خطية للكتاب لم يطلع عليها « جاير » ، وكثرة الأخطاء ، وأوهام القراءة التى وقع فيها جاير ، بالإضافة إلى انعدام وجود مطبوعة جاير ...

أما عن ترجمة مقدمة « جاير » إلى العربية ، فقد استطعت بمعاونة بعض الأصدقاء ترجمتها مشفوعة بتعليقاته ، ولا أخفى عليكم أنى لم أجد فى مقدمة « جاير » أهمية يمكن أن تضاف لنشرتى ، فهى مبتسرة لم تتعد خمس صفحات ، ركز فيها على نسخ الكتاب وأماكن تواجدها ، ومصادره ورموزها المختصرة . وأما عن تعليقاته فقد كانت عبارة عن تخريج للشاهد الرجزى والشعرى متكئا على مصادر لا عهد لباحث اليوم بها .

ثانياً : أشار صديقى إلى ضرورة وضع الآيات القرآنية بين قوسين ، ودلل على عدم التزامى بهذه القاعدة بالآية الكريمة ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . . ﴾ .

أقول : هذه النقطة التى أثارها الدكتور شعبان تعد من أبجديات هذا العلم ، والتى أعيها جيداً ، وقد التزمتها بدقة فى نشرتى تلك لكتاب « الوحوش » أما عن الآية القرآنية موضع المؤاخذة فلم ترد فى متن الكتاب ، ولكنها وردت فى ختام مقدمتى القصيرة للكتاب ، وجاءت على سبيل الدعاء .

ثالثاً : ذكر الدكتور شعبان بيت شعر للأصمعى يرثى به ـ ضمن أبيات أخرى ـ سفيان بن عيينة ، ورأى أن رواية البيت بهذه الصورة .

فليبك سفيان باغى سنة ودرست
ومستبـين آثـارات وآثـار

مناسب للمعنى .

أقول : إن الرواية التى أوردتها للبيت ـ وهى مستبيت ـ اقتبستها من عيون الأخبار لابن قتيبة ، يضاف إلى ماسبق أن « مستبيت » تعنى الإنسان القابع على الشىء بغرض إتقانه والإفادة به .

رابعاً : أشار أستاذى الدكتور إلى ضرورة تقسيم شيوخه وتلاميذه إلى قوائم ثلاث : شيوخه وتلاميذه وقائمة خاصة بمن أثروا فى الأصمعى وتأثروا به أيضاً مع إيراد نبذة مختصرة عن حياة كل علم منهم .

أقول : هذه ملاحظة ثاقبة جديرة بالأخذ بها ، أما عن نشرتى فقد نقلت قائمة شيوخه وتلاميذه وكتبه عن أستاذىّ الدكتور محمد صلاح الدين الهادى والدكتور رمضان عبد التواب فى مقدمة كتابهما « اشتقاق الأسماء » للأصمعى ، وإلى ذلك أشرت .

وعن الملاحظة الخامسة التى أثارها الدكتور شعبان على قولى : « كان منهج رواة كتب الأصمعى بصفة خاصة ، وعلماء القرنين الثالث والرابع الهجريين بصفة عامة ، إنهم يزيدون فيما يروون من كتب ورسائل مايرونه مفيداً ومتمماً لمادة الكتاب .. » .. والتى قال فيها : « هذه المسألة شائكة ، إذ المعروف أن رواة اللغة العربية كان يشترط فيهم العدالة والضبط ، وهما

الشرطان المعمول بهما فى علم الحديث وروايته .. » .

أقول : قد يُفْهَمُ من الملاحظة السابقة أن اتهاما لعلمائنا الأجلاء بعدم الدقة ، وقلة العدالة أصدرته ، فلا وألف « لا » ما قصدت شيئاً من هذا ، ولكن أردت الإشارة إلى ظاهرة اعترضت مسيرة بحثى أثناء تحليقى عبر آفاق علمائنا الرحبة ، ولا سيما الأصمعى ، فبين يدى الآن كتاب آخر « له » أعكف على تحقيقه وهو كتاب « السلاح » عن ثلاث نسخ خطية .. وقد انطوى ـ أيضاً ـ على هذه الظاهرة .

ونشوء هذه الظاهرة ـ فيما أرى ـ نابع من أن رواة كتب الأصمعى ـ وقد كانوا علماء ملء الأعين والأسماع ـ أضافوا على حواشى نسخهم التى نقلوها عن شيخهم بعض التعليقات الخاصة بهم ، والتى لا تعدو أن تكون تفسيراً للفظة ، أو نسبة لبيت شعر ، أو ذكر رواية ثانية للبيت ، أو رأياً مغايراً لعالم آخر ، ويدور الزمان ، ويرحل هؤلاء الرواة ، وتبقى نسخهم بما تحويه من تعليقات واستدراكات ، ويأتى جيل من « الوراقين » لا يعرفون أمر هذه التعليقات وتلك الاستدراكات فيقحمونها فى متن الكتاب ، وعن هذه النسخة ينقل الكتاب . ويتداول ويفاجأ الباحث منا بكتاب يحمل نصاً للمؤلف ، وتعليقاته تنتمى لعلماء متأخرين زمنياً .

وهنا يجد الباحث ـ منا ـ نفسه فى حيرة من أمره ، فإن هو قام بفصل هذه الإضافات وتلك التعليقات ، وإلى ذلك ذهب الدكتور شعبان ـ رمى بعدم مراعاة الأمانة العلمية التى تفرض على الباحث الاحتفاظ بالمخطوط بصورته التى وصلنا بها ، وإن هو أشار إليها وتركها مكانها من النص هوجم أيضاً .

وعلى كلٍّ فقد رأيت ضرورة الاحتفاظ بنص الكتاب كما وصلنا دونما بتر أو تشويه ، ثم الإشارة إلى هذه التعليقات وتلك الاستدراكات ـ مع تحرى الدقة فى حصرها قدر الطاقة ـ فى موضع خاص بها فى مقدمة الكتاب ، أو فى المكان المخصص لإلقاء الضوء على المؤلف وسيرة حياته ومنهج الكتاب ، ووصف نسخه الخطية ، وأسلوب تحقيقه .

والملاحظة السادسة لأستاذى الجليل تتصل بالمآخذ التى أخذتها على الأصمعى ، حيث وجد أن بها حيفاً ، متكئًا فى حكمه على ضرورة أن تكون أحكامنا نابعة من طبيعة العصر الذى عاشه هؤلاء العلماء لاعصرنا نحن .. وأنا أرى أن أحكامنا النقدية ينبغى أن تتفق وما أحرزه هؤلاء العلماء من عبقرية تعدت حدود عصرهم .

وفى النهاية أشكر لصديقى الدكتور شعبان مرسى جهده الطيب الذى بذله فى قراءة هذا الكتاب ، وتحبير ملاحظاته الثاقبة ، التى سوف أفيد منها فى أبحاثى المقبلة إن شاء الله تعالى ،

□

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

الإمام يبحث أمر إنشاء مركز إسلامى بالمجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته السيد / تاماشى كاتونا وزير الدولة المجرى للشئون الخارجية ، حضر اللقاء السيد ذولقان يرسلين سفير المجر بالقاهرة ، والسيد سفير جمهورية مصر العربية بالمجر .

وقد بحث فضيلة الإمام الأكبر مع السيد وزير خارجية المجر إنشاء مركز إسلامى فى المجر يتولى رعاية شئون المسلمين هناك . يبلغ عدد المسلمين نحو ١٣ ألف مسلم

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر للتعاون والمساعدة فى إنشاء هذا المركز

● ● ●

● شارك فضيلة الإمام الأكبر ووفد من علماء الأزهر الشريف فى أعمال المؤتمر الشعبى الذى عقد بالمملكة العربية السعودية فى الفترة من (٢٣ - ٢٦ جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق ٩ - ١٢ يناير سنة ١٩٩١ م) لبحث الموقف المتدهور فى منطقة الخليج من جراء الاحتلال العراقى للكويت .

الإمام الأكبر ودعم المسلمين فى ألبانيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته السيد / منظور الدالى - سفير جمهورية مصر العربية فى ألبانيا .

تم خلال اللقاء بحث مساهمة مصر فى دعم المسلمين فى ألبانيا الذين يمثلون ٧٥٪ من السكان .

وقد استجاب فضيلة الإمام الأكبر لاقتراحات السيد السفير وإدارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية بإرسال مجموعة من المصاحف المسجلة والمطبوعة والكتب الدينية وترجمات لمعانى القرآن الكريم باللغتين الانجليزية والفرنسية والأحاديث القدسية باللغة الألبانية .

الإمام الأكبر يوافق على إقامة الدورة التدريبية الرابعة عشرة

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على إقامة الدورة التدريبية الرابعة عشرة لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر فى الفترة من ١٩٩١/٣/٢ م حتى ١٩٩١/٥/٣١م .

من المنتظر أن تشترك فى هذه الدورة وفود من دول ثمان هى : نيجيريا ومالى والسنغال والكاميرون وسنغافورة والفلبين وسيرلانكا ويوغسلافيا .

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبد المنعم فودة ●

« احتفال مصر بليلة الاسراء والمعراج

حظى بتكريم السيد رئيس الجمهورية ليلة الإسراء والمعراج ، كبار رجال الدعوة الإسلامية ، وفى مقدمتهم :

اسم الإمام الأكبر فضيلة الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق ـ رحمه الله .

وفضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر الأسبق .

وفضيلة الشيخ محمد حسام الدين وكيل الأزهر السابق .

وفضيلة الدكتور عبد الودود شلبى الأمين العام السابق للدعوة الإسلامية بالأزهر .

● ● ●

● ذكر قائد الطيران الأمريكى فى حفر الباطن وهو يحمل رتبة (كولونيل) أن عدد الذين أشهروا إسلامهم من الضباط والجنود الأمريكيين فى حفر الباطن قد تجاوز الألفين .

ومن خلال احدى المحاضرات الثقافية الإسلامية التى تلقى على الجنود والضباط الأمريكيين طلب أحد الضباط إشهار إسلامه وقال : لقد حاولت طوال سنوات عديدة أن أبحث عن شىء ما ، شعرت أنه ينقصنى وخلالها قرأت أكثر من خمسمائة كتاب ومررت على أكثر من مائة كنيسة ، ولكن يبدو أن ما ذُكر أمامى عن الإسلام هو ما كنت أبحث عنه طوال السنوات الماضية ثم طلب من المحاضر أن يرشده إلى كيفية إشهار الإسلام ثم أعلن إسلامه .

« الحمد لله الذى جعل كلمة الإسلام هى العليا وكلمة أعداء الإسلام هى السفلى » .

تعليم الثقافة الإسلامية إجباريا فى ماليزيا

وضعت وزارة التربية الماليزية قانونا جديداً للتربية يهدف إلى جعل اللغة الماليزية اللغة الرسمية الأولى فى التدريس لجميع مراحل التعليم الخاص والعام . وجعل تدريس الثقافة الإسلامية والدين الإسلامى باللغة العربية إجباريا للطلبة المسلمين فى المدارس الأهلية والخاصة مهما قل عددهم .

وقد ذكر وزير التربية الماليزى الحاج أنور بن إبراهيم موضحا أن القانون الجديد لا يلغى المدارس واللغات الأخرى وأضاف أن القانون اهتم بالأطفال فى سن خمس وست سنوات .

أنبـــــاء وآراء

حزب إسلامى جديد فى يوغسلافيا

أعلن مؤخراً فى يوغسلافيا عن قيام أول حزب إسلامى باسم الحزب الإسلامى الديمقراطى ويضم الحزب ألف وخمسمائة من الشخصيات الإسلامية اليوغوسلافية وقد شارك خمسون صحفياً من مختلف أنحاء العالم فى تغطية أنباء تكوين الحزب الجديد .

والمرجو أن يكون هذا الحزب عاملاً على جمع شمل المسلمين بهذه البلاد ، مخططا للنهوض بالإسلام فيها ، وليس (واجهة دعائية) تتخذ ذريعة إلى إعلان حرية الأديان فى يوغوسلافيا وكم نسمع من هذا القبيل ما تمجه الأسماع .

مسجد كارولينا

ذكرت مجلة النيوزويك فى عددها الأخير أنه قد تم افتتاح مركز إسلامى كبير بمدينة (جرين فيل) بولاية (جنوب كارولينا) .

أقيم المركز على أنقاض إحدى الكنائس التى تم شراؤها مؤخراً وقد أنشىء بالمركز مسجد للصلاة وقاعة تلقى فيها الدروس والمحاضرات .

لم تمر هذه الحادثة بسلام أمام الصهيونية والمنصرين فبدأوا يوغرون الصدور ، من ذلك ماذكرته التايم بقولها : إن تحويل الكنائس إلى مساجد فى الولايات المتحدة الأمريكية صار واقعة تلفت النظر .

جهود المنصرين فى أندونيسيا

فى خبر تناقلته وكالة الأنباء الإسلامية : أنه قد بدأ المنصرون فى أندونيسيا فى تطبيق أسلوب جديد خبيث لجذب المسلمين إلى باطلهم يتمثل هذا الأسلوب فى بناء الكنائس على نمط الهندسة المعمارية العربية الإسلامية المستعملة فى بناء المساجد ، وكذلك طباعة الإنجيل على هيئة المصحف الشريف .

المنظمات التنصيرية منتشرة بصورة كبيرة فى أندونيسيا وتمتلك هذه المنظمات إمكانات هائلة لخدمة أغراضها ، منها المحطات الإذاعية والمطارات الخاصة والمستشفيات .

الدعوة الإسلامية فى أوروبا

تشهد القارة الأوروبية تطوراً إيجابيا فى حركة الدعوة الإسلامية فقد أجرت مجلة ليفجارو الفرنسية مؤخراً إحصائية أكدت أن عدد المساجد قد ازداد فى جميع أنحاء فرنسا حتى وصل إلى (١٥٠٠) مسجد تستقبل مايزيد على (٣,٥) مليون مسلم .

من رسائل القراء

أيـن الشخصيـة .. ؟!

الحمد والشكر لأرحم الراحمين الذى وهبنا أعظم نعمة في الدنيا والآخرة .. وهبنا الإسلام ، ذلك الدين الكامل الصالح للناس أينما كانوا زمانا ومكانا بما يحمل من مرونة فريدة لا ينهار معها خُلُق ، ولا يعلو - على حسابها - عدوان ، من عمل به ظفر بالدنيا والآخرة .

ولكم نأسف - حين نجد بعض المسلمين المستقيمين على أمر الإسلام ، نسأل الله تعالى لنا ولهم توبة نصوحا - حين يُسْألون عن سبب سلوكهم القويم - لا يـرجعون السبب إلى الإسلام ، لكنهم يتذرعون بأسباب أخرى وكأنهم يدرءون عن أنفسهم تهمة خطيرة فيقولون - مثلا - : إن امتناعهم عن الخمر لسبب صحى لا اكثر ، وساهم في انتشار هذه الأمية الدينية والدنيوية في نفس الوقت (وسائل الإعلام) التى تنفر من المضامين الدينية وتتجنبها ، وتعرض الكثير من الأفلام والمسلسلات الهابطة التى تركز على صور الانحلال والانحراف والجريمة وكأنها الأساس في هذه الحياة ، حتى المسلسلات الدينية دارت على صورة مكررة في المشاهد (الكـومبارس) ، ومجمـوعة من السيـوف والحروب والدماء .. وهذه المسلسلات كأنما تكرس بصورة متعمدة أو غير متعمدة فكرة أن الإسلام لم ينشر إلا بالسيف ، كما تكرس أيضا فكرة .. أنك إذا لم تكن رث الثياب غير مهندم مغلوبا على أمرك فلست بالمسلم المتدين عبث .. ومهزلة فما يمنع أن تكون المسلسلات الدينية على ارقى جودة ، ثم تنال أحسن إخراج نابع من دراسة أصيلة كتلك التى نشاهدها في بعض (الأفلام) الأجنبية مستخدمة ما نسميه : اللغة المباشرة : لغة الإعلام التى لا ابتذال فيها ولا عامية ، هذه اللغة هى التى تصلح فعلا لمخاطبة الجماهير من خلال وسائل الإعلام .. ولقد نجحت المسلسلات الأمريكية في اجتذاب عدد هائل من الجماهير إليها نظراً لأنها تستخدم هذه اللغة ونظرا لبراعة وجودة (التكنيك) الفنى من جمال المناظر والملابس وروعة الإخراج والحوار إلخ .. هذا على الرغم من تفاهة مضمونها ، بينما يزخر تاريخنا بوقائع فريدة لا تنقصها العناصر الفنية !! أصبحت أشك في مقدرة المعنيين من كتـابنـا المُعِـدِّين لـ (سينـاريـو) الفيلم الإسلامي .. هل صحيح أنهم مخلصون في العكوف على الدراسة الأصيلة للموضوعات الإسلامية والبحث عنها ؟

إن فريقا من كتابنا يشيدون بحلقات (نوتس لاندينج) التى خطفت انتباه وشدت مشاعر المشاهدين وعـرضها كحملـة واعية ضـد المخدرات !!

ويقول : (لا أنسى مشهداً في هذه المسلسلة عن تعاطى المخدرات هو أعظم وأقوى من عشرات الساعات من الوعظ والإرشاد) . وهكذا نلاحظ أن البعض يشيد بالأعمال الأجنبية ، ويطالب بتكرار عرضها على ما فيها من مزج الصالح بالطالح والغث بالسمين ؟!

إن الفن ينبغى أن يلتزم بمنهج الله ، والتزامه بهذا المنهج لن يحيله إلى مواعظ أو خطب منبرية ولن يعطى صورة وردية عن الإنسان فالإسلام منهج واقعى وله وسائله الاستعلائية أيضاً التى تتيح للإنسان أن يتخلص من آثامه وهبوطه ليشرف بأرفع القيم ، والحديث للإعلام .. فهل من مجيب ؟!

عبير محمد عبدالواحد

ثالثة صحافة - آداب اسكندرية

الأمن نعمة - بقية

وجراثيم الفساد كثيرة تخلخل الأمن وتوسوس فى صدور الناس بالنميمة وخلق المشاكل من لا شىء .. : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ « سورة المائدة _ ٩١ » .

الجاهلية فى أرض المسلمين

لقد أطلت جاهلية جامحة متمردة باغية على أرض المسلمين ثم تحركت تحمل أوزارها على ظهرها تريد للأمة المحمدية أن تتمزق شر ممزق إرضاء لنزوات ظالمة باغية ، وما كان الإسلام قائلا : « المسلم عدو المسلم » يوما ما : ولكن الله ثبت الذين آمنوا بالقول الثابت وقرر رسوله لكم أن « المسلم أخو السلم لا يظلمه .. » وأعلن أن كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، وهذه التعاليم خالدة لا تفنى ولا تبلى ، لكيلا يعيش الناس فى إرهاب وذعر وإزعاج وجوع ومسغبة ، ورحم الله القائل الحكيم :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصـوت إنسان فكـدت أطـير

انظر إلى ما يعده الإنسان « المسلم » لأخيه الإنسان « المسلم » من ألوان الإيذاء والانتقام المرير والله يقول : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ « سورة الأحزاب _ ٥٨ » .

أعـداء الله ورسله

وأعداء الله هم أعداء رسله فى كل وقت وحين ، لأن الناس صور مكررة وصحف مصورة ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ . . . ﴾ « سورة الفرقان _ ٣١ » .

و« المخربون المجرمون » أشد خطراً على الإسلام من غيرهم من الحاقدين على هذا الدين القيم الحنيف ، والإسلام لا يقبل اللؤم السخيف والتعدى العنيف ، والله يقول لرسوله الكريم صاحب الخلق العظيم : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ « سورة النحل _ ١٢٧ _ ١٢٨ » .

والإسلام يفرض على المسلمين ألا يصبروا على ضيم وألا يسكتوا على ضير ، بل عليهم أن يقاوموا كل كارثة عدوانية ومأساة خلقية ، لأن الإسلام دين سلام لكنه يأبى الاستسلام ويكره الضعف ويمقت الجبن .

فهو يسالم من يسالمه ويحارب من يحاربه ، ولا ينبغى أن يكون فى بلاد المسلمين فراغ يملأ بلئام فجار يسيئون إلى الإسلام باسم الإسلام _ بالفتنة التى تمزق وحدة أهله وتزلـزل استقرارهم ، فهل يقبل المسلمون الدنية فى دينهم والمذلة فى دنياهم ..

ودينهم يقول لهم : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة المنافقون _ ٨» .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
(مع الرئيس حسنى مبارك فى ليلة الإسراء والمعراج)	٨٣٣
● بيان ونداء	
لفضيلة الإمام الأكبر	٨٤٤
● اللقاء الصحفى	
لفضيلة الإمام الأكبر	٨٤٧
إعلان مكة المكرمة	٨٥٣
● لا هم عند يوسف	
للدكتور / السيد الجميلى	٨٦٠
● قبس من أنوار النبوة	
للشيخ على حامد عبدالرحيم	٨٦٣
● نظرات فى الفقه الاباضى	
لفضيلة الشيخ محمد حسام الدين	٨٦٦
حول توريث البنات	
لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد مصطفى شلبى	٨٧١
● الأمن نعمة	
فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	٨٧٨
● قضية القضايا الاقتصادية	
للأستاذ الدكتور / عبدالحميد الغزالى	٨٨٣
● الفتاوى	
إعداد أحمد تقى الدين	٨٩٠
● اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام	
للدكتور / فرج الله عبدالبارى	٨٩٤
● اضواء على تاريخ الثقافة العربية	
للأستاذ الدكتور / أحمد الحفناوى	٨٩٩
باب من أعلام الأزهر	
● فضيلة الأستاذ الدكتور على حسن عبدالقادر	
لفضيلة الأستاذ الدكتور حامد جامع	٩٠٦
● فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب	
إعداد عادل خفاجه	٩٠٩
تاملات فى الحياة والناس	
للإمام الشافعى	٩١٢
● ارض مصر	
للبهاء زهير	٩١٤
● عقوق	
شعر : علية الجعار	٩١٥
● العلوم الكونية فى التراث الإسلامى	
أ . د . أحمد فؤاد باشا	٩١٦
● الجديد فى العلم والتقنية	
د . نجوى السيد أحمد	٩٢٢
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبدالحفيظ أحمد عبدالحليم	٩٢٤
● من روائع الماضى فى مجلة الأزهر « الدين والأخلاق »	
إعداد : عبدالفتاح حسين الزيات	٩٢٦
باب اللغة والأدب والنقد	
● ابن القيم	
للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين	٩٣٠
● القطامى وفخره بتقاليد البادية	
للأستاذ / السيد حسن قرون	٩٣٦
● نقد هادىء ورد اكثر هدوءاً	
للأستاذ / أيمن محمد ميدان	٩٤١
● انباء واراء	
إعداد مصطفى عبدالمجيد	
وعبدالمنعم فوده	٩٤٤
● رسائل القراء	٩٤٧
القسم الإنجليزى	
إشراف د . أنس النجار	
● المقال الأول	
للدكتور أنس مصطفى النجار	٩٥٨
● المقال الثانى	
عبدالحكيم أحمد طه	٩٥٣

should never fall back in despair, it is an effort on the path to Allah, and if that effort is genuine in devotion, it will meet with success through Divine guardianship and support.

Human functions and efforts must be shared with others in support; this sharing lends mutual education, culture and exchange of knowledge. The proliferation of knowledge from one generation to another is fundamental to the progress of humanity, and to the mechanisms involved in its development and promotion.

Inspite of the endeavor to bring out the salient meanings of this hadith, it remains copiously productive with the wisdom of the Prophet. The Hadith will contiunue to eminate the radiance of knowledge for humanity. The coming generations will explore new meanings of understanding from the Hadith to add to its existing opulence of knowledge.

Translanted from the Arabic Original by **Dr. Anas M. El Naggar.**

Hadith, "When you ask, ask Allah; and when you seek support, seek support from Allah". The Holy Quran expresses this meaning in few words "Allah, the source of all support".

The other channels of support to mankind are the individual himself, the instruments of life, and finally man to man assistance. All these are secondary to Divine support, and act through Divine Will and Providence. The individual self support is achieved by exploiting the potent capabilities of one's self, harnessing them to serve his purpose. These potencies are those of the human mental capacities, will power, perception, skills, thoughts, and decision. The functional processes of the entire human existance are totally programed by Divine Authority. The support derived from the instruments of life to serve mankind; these instruments comprise all universal creations including energy sources, plant and animal life, the whole integrated cosmic environment are essentially instrumental in the service of makind. The utilization of all disciplines of sciences and technologies are Allah's Will to mankind in support of human progress and promotion. Man to man assistance, is essentialy the basic law of nature. Every individual human actior and effort is in its reality a service to other humans. The integral consitution of the human society is in effect the resultant fusion of all individual human efforts in reciprocal mutual benefits. The need of man to his fellow man in all walks of life is the natural process of the kinetics of human inter-relations.

The second phrase of the Hadith which is "despair" is the most elaborate form of literary elegance. The command "do not despair" bears in its basic concept four essential concepts, of understanding. The first is an ordinance not to allow despair to diffuse into one's thought, when one is capable of action and effort. The false idea of inability can gain entery into the mind through despair. Such false ideas should not gain mastery over the mind; it magnifies the problem, and minimizes the potenial capabilities. This false estimate of the issue allows despair to develop. The feeling of despair should be very rigorously challenged and defeated before it gains authority over the human mind. Despair is detrimental to the inertial initiative of human efforts. It must be antidoted by will power, true intention and resolution; self training is also indicated to individuals who require understanding of human potentialities.

The purpose of the Hadith is to encaurage man to work, explore, share, give effort, and initiate. These human functions must be utilized to continue the promotion of mankind towards the goal of excellence. The human mind must utilize the sciences of knowlege in earnest experimentation for man's benefit; this is a Divine Ordinance. The true effort forward is in itself success, and recession in despair is failure. Human effort

reward for the exemplary commendable action is the end. Between that beginning and that end, the time of request for support is justified as appropriate.

The methodology of requesting support is also another crucial matter. This is essentially based on true immaculate innocence of the soul, the mind, the self and the body. The innocence of the soul involves the total abnegation of heretical agnosticism; and the absolute submissive resignation to the Divine Supreme Being. The innocence of the mind entials the freedom from doubtful uncertain skepticism; a mental state achieved by true knowledge of the reality of creation, the recognition of the infinite dominion of the Transcendent Creator. The innocence of the self is achieved by cultural training aiming at the development of an auto oriented mechanism to programme the human faculties towards praiseworthy actions and chastised purposes. The functional capabilities of the self must be accurately balanced within a path of true moderation; to avoid destruction on one side, and on the other side to prevent stagnant paralysis of human talented qualifications, initiative innovation, and ingenuity of thought.

The innocence of the body is the freedom from the guilt of sinful actions or thought, the procurement of lawful earnings. Human action must be utilized in the service of the Creator as a form of constant worship. Human action must also be in the service of mankind by acts of justice. Human action must also be in the service of life itself to advance and promote the eloquent characteristic excellence of humanity. The Islamic doctrines condone the possibility of human error; and for such, the path to Redemption is continuously wide open to achieve atonement. The magnitude of success of any human action is directly proportional to the degree of innocence in all its complicated aspects. This entails the totality of man's existance; both materialistic demands and spiritual serafic righteous qualities.

The sources of support to mankind are limited to four fundamental channels. The first and foremost is the Divine Power. No support reaches mankind except through Divine Will. All other channels of support are derived from that original mainstem source. The infinite omniscient support of The Supreme Being to makind is very precisely optimized and justified conforming to the fact of reality. The Divine Will, Mercy Compassion, Bounty, Guardianship, Wisdom, Justice are Attributes of The Supreme Being that embrace mankind with Divine Support. This Divine support is never at fault, it strengthens and never weakens, continuous uninterupted, essential and not optional to human life. Divine support concerns the wholeness of the entire existance of man. The Islamic concept of "Support" is comprehensively given in the Prophet's

THE ROOTS OF WISDOM

Hadith of the Prophet

"Ask for Support and Do Not Despair"

By: Abdel Hakim Ahmad Taha

The Arabic syntax of this Hadith of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), directs the attention to the didactic nature of the words of the Prophet. This enduring ecumenical concept is cognitive of Islamic doctrinal teachnigs which are promoted by the profuse opulent knowledge of the Prophet. The exegesis of this erudite Hadith is comprehensive in respect to the request of support. Who is to be asked for support, how to ask, when to ask, and the concept of support to be asked for. All these relevant questions constitute the educational prescriptive nature of the Hadith.

Support is help and assistance, and this implies the understanding that it is an extrinsic part which is to be added to an original intrinsic part. It is an additional supporting element to an already existing quantity. This original existing quantity are the resultant of one's own capacity to achieve. On the other hand, when support is provided to the incapacitated, the impoverished, the ignorant, the disabled or the despondent; the subsidy given is a gratuity of offering. The subtle difference between support and gratuity must be well understood and appreciated. Support is to the able, the potent, the one making effort, but who require some assistance; whereas gratuity is granted to those who do not or unable to make effort. The poor who does not seek work, the ignorant who does not learn, the learned who does not research; all those do not in reality deserve gratuity, because they are not seriously earnest in life. There must be a threshold, quantity of effort input by the individual, before support is justified and provided.

According to Islamic teachings, asking support from Allah the Sovereign, the Vigilant, is the initial phase of any action of mankind. This is followed by detailed planning of the scheme for the work to be done; good faithful intention of true devotion to the effort. The action must in the first place be a legitimate laudable action. The praiseworthy sincerity of intention at the start of the action is the beginning; and the

Egypt's soil now as the message arrived. Go forward my companions, on the path of Allah, guided by Allah's grace, guardianship, and endowed by Divine Power.

Amre Ibn Al-Aas marched to Al-Arish with four thousand men, and with those words, and at those few hours in history, came the beginning of the most important campaign in Islamic history; the campaign to Egypt.

decision for a Muslim campaign into Egypt. He was well aware of the superior skills of Amre Ibn Al-Aas in military strategy and political craftsmanship. Amre was a man that possessed more cunning versatile nimble competence, rather than daring defiant reckless courage. He was talentend, well devised, experienced, worldly wise, patient temper, sophisticated mentality and ingenious proficient thoughfulness. He was educated, knowledgeable in matters of his time, and well conversant with literature, poetry, art, culture, and religious sciences. Omar Ibn Al-Khattab was also cognizant of the inherent dangers and difficulties associated with a Muslim expedition to Egypt; and aware of the grave repercussions on the Muslim nation in case such a campaign was to be met with failure. Omar Ibn Al-Khattab prayed in supplication to Allah to grant him the correct appropriate decision, which conforms with the prosperity, advancement, and proliferation of the Muslim nation. Omar Ibn Al-Khattab also called for opinion from his counselors and advisors at Al-Madinah, all were companions of the Prophet, men of superior distinction and wisdom. Omar explained in detail the issue of a Muslim expedition into Egypt, and presented the provisions of thought qualified by Amre Ibn Al-Aas. There was thorough exhaustive consideration of the subject, without unanimity of opinion, some agreed and others seriously opposed. The decision was left in the hands of Omar Ibn Al-Khattab, the man at the head of the state.

Omar Ibn Al Khattab took his decision, and wrote to Amre Ibn Al-Aas to move with contingents of his men from Palestine to Egypt with the Providence of Allah. The opponents to the campaign into Egypt became once again active and approached Omar Ibn Al-Khattab to cancel the campaign to Egypt. This situation placed Omar Ibn Al-Khattab in a very ambiguous self contradictory situation. He finally resorted to the most optimal means of diplomacy and administrative skill that would satisfy all parties concerned with the matter. Omar Ibn Al-Khattab wrote a second message to Amre Ibn Al-Aas instructing him to return if he had not yet crossed the Egyptian borders on the receipt of the message. However, if he had already set foot on Egyptian soil before the arrival of the message; Amre was to proceed to his purpose guided by Allah's ordained destiny and transcendent protection.

Amre Ibn Al-Aas was at a small village between Rafah and Al-Arish on the Mediterranean coast, when the messenger of Omar Ibn Al-Khattab arrived. After disclosing the contents of the message, Ibn Al-Aas asked to which country that village belonged, and he was informed that the village was in Egypt. At this moment, Amre Ibn Al-Aas addressed his men saying " Ameer Al-Moumineen Omar Ibn Al-Khattab instructs me to proceed into Egypt; if his message reaches us on Egyptian soil; and we are on

Several criteria had to be determined, making assurance double sure, before a decision of that paramount importance was to be made. Omar Ibn Al-Khattab made a thorough assessment of both the positive and the negative aspects of the issue at hand. Omar's last reply to Ibn Al-Aas was to wait until his return to Al-Madinah from where Omar was, to give his final answer to that very momentous issue.

Omar Ibn Al-Khattab, like may other Arabs at that time knew a great deal of imformation about Egypt. Arab-Egyptian connections were deep rooted since olden times, even long before the life of the Prophet Mohammad (prayers and peace from Allah upon him). Trade convoys travelled across land and sea from the Nile valley to the shores of the Arab peninsula carrying merchandize from the West to the East, and also from the East to the West. These trade movements encouraged social interactions and matrimonial relationships. The Nile valley and Egypt are mentioned in the Holy Ouran in several verses, and many of the Quranic narratives give descriptions of Prophetic epical anecdotes of their lives in Egypt. During the early era of Islam, the Prophet Mohammad sent messages to the rulers of all the states around the Arab peninsula, including a message to Al-Muqawqis chief of Egyptian coptic Christians.

The Muslim crusades in Iraq, Syria, and Persia certainly increased-their knowledge of the various lands around the Arab perninsula. They learned about the geography of the countries, the histories, the social structures and culture, the creedal beliefs, the wealth of the lands, and the various governmental orders. Egypt was considered a land of great resources and bountiful wealth, having a geographical position between East and West of great significance and importance, a country of ancient history, and deep rooted culture. The prevailing religious creed was Christian coptics, with several other Christian creedal beliefs, and also Judaism. Egypt at the time was under the rule of the Byzantine Roman Empire, which extorted the major part of the country's productivity, and domineered the Egyptians under their service. The Roman administration enforced a Christian doctrine of unified-christian beliefs to be adopted by force of the sword, and dire persecution. These matters resulted in a feeling of deep resentment to the Roman occupation of Egypt.

All these detailed particulars of the creedal, social, political and economic situation in Egypt was well known to Omar Ibn Al-Khattab, and also to Amre Ibn Al-Aas the original entusiastic proponent of a Muslim campaign into Egypt. Amre Ibn Al-Aas considered that a Muslim campaign against the Roman occuption in Egypt would be successful, mainly because of the indifferent neutral attitude of the Egyptians during the Muslim Roman confrontations. Omar Ibn Al-Khhattab considered the whole matter with meticulous analysis giving accurate assessment to every aspect in favor or against the

idea of an Egyptian campaign. This opposition had its rationality in the mind of Omar. The thought of Muslim territorial expansion remained in his understanding, one essentially confined to the ultimate aim of a Pan-Arab theopolitical unity in the Arab Peninsula, Syria and Iraq. The Muslim crusade into the Persian mainland imposed itself as an issue, necessary to safeguard Muslim presence in Iraq. This basic concept in the Muslim territorial expansion process was supported by the fact that the stability of Muslim domination in Syria was yet incomplete. A third most important aspect leading to the opposing attitude of Omar Ibn Al-Khattab regarding an Egyptian campaign, was the antagonistic home front at Al-Madinah. Several companions who acted as advisors to Omar Ibn Al-Khattab were highly antagonistic to the idea of a Muslim campaign into Egypt. The years of the famine in the Arab Peninsula, and the plague of Amws in Palestine, put an end to all thoughts regarding a Muslim crusade into the Nile valley.

Amre Ibn Al-Aas emerged from his silence after the end of the famine and plague, more determined to convince Omar Ibn Al-Khattab of the benefits and necessity of a Muslim campaign into Egypt. While Omar was visiting Palestine after the plague, to reorganize its legal adminstration, Amre Ibn Al-Aas took that opportunity to renew his talks to Omar Ibn Al-Khhattab, giving further rationalities of the necessity of a Muslim crusade into Egypt. Amre Ibn Al-Aas considered that the crusade into Egypt would certainly safeguard and secure Muslim presence in Syria and Palestine. The Muslim authority would remain to have the upper hand, and the Romans would never venture a counter-offensive against Syria, if they were to be confronted by Muslims crusading into Egypt. Amre added that Muslim domination of Egypt would be the supreme achievement on the path of Islamic proliferation; besides the prosperity and wealth that would be added to the copious affluence of Muslim revenues from Syria, Iraq and Persia. Even if Muslim warriors failed to achieve decisive victory over the Romans in Egypt, the balance of forces would compel the Romans to ask for cessation of hostilities. This in itself safeguards Palestine and Syria from any Roman attack. There was no real fear that a Muslim campaign into Egypt would fail to achieve purpose, or result into a Muslim tragic catastrophe.

Amre Ibn Al-Aas continued to present argument after another in continual rational reasoning of factual implicative thought; forwarding intelligent inductive doctrines of judgement and deductive inferences. Omar Ibn Al-Khattab listened to the logistic ratiocination presented by Amre Ibn Al-Aas, he stored them into a process of mental digestion and assimilation. Deep within his thoughts, Omar was inclined to accept the proposition of a Muslim campaign into Egypt, however, Omar was the character not to rush to a quick decision in an issue of such maximal sequential significance. Every aspect of Muslim life would be intimately involved in an issue of such prominance.

OMAR IBN AL - KHATTAB

The Campaign to Egypt

By: Dr. Anas Moustafa El-Naggar MD, Ph.D.

During the time that Muslim warriors were crusading through the plains and mountain ranges of the Persian mainland to bring about the final vanquish of the Persian Empire; Muslims were penetrating into Egypt from its Eastern territories, to bring about the end of Roman occupation of the Nile Valley. The Muslim campaign into Egypt started at the beginning of the nineteenth year of Hijrah. Amre Ibn Al-Aas was at the head of Muslim warriors, the man responsible for the whole campaign from its inception to its final culminative summit of success . Omar Ibn Al-Khattab at the head of the Muslim state at Al-Madinah was the man who took the decision, planned the strategy, summoned the man power, designed the schemes, organized the financial requirements, and formulated the conceptual systems of rational thought in support of this most daring adventure in early Muslim history.

The thought of the Muslim campaign to Egypt was initially conceived by Amre Ibn Al-Aas at the end of the defeat of Roman forces in Palestine, and after Jerusalem opened its gates to Muslims. Ibn Al-Aas approached Omar Ibn Al-Khattab at that time with the understanding that it was better from the strategic point of view to follow the retreating Roman legions into the lands of the Nile, before these forces had the chance to recover and recuperate from their defeat in Palestine. The words of Ibn Al-Aas were received by a recalcitrant refractory attitude on the part of Ibn Al-Khattab inspite of his certainty that the rational temptation to campaign into Egypt was highly desired. All financial, political, creedal, strategic, theological and geagraphical considerations supported the rational thought for Muslims to crusade into Egypt.

The Nile valley was very fertile and opulent, the Roman accupation of Egypt was not favoured by its inhabitants. The Romans devoured the wealth and riches of the fertile land to give more substance and luxary to the plutocracy in Rome. The creedal differences in doctrines of faith accentuated the gap between the rulers and the ruled. Inspite of all these supporting criteria, Omar Ibn Al-Khattab remained opposing to the

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART VIII

Shaaban 1411 HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab
The Campaign to Egypt
By: Anas Moustafa El Naggar

2. "Ask for Support and do not Despair
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رمضان ١٤١١ هـ
مارس ـ ابريل ١٩٩١ م
الجزء التاسع
السنة الثالثة والستون

م ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

يالله للمسلمين

اشرفت حرب بارض العرب على النهاية ، لتلقى باثقالها بكل مرارة .

حرب لم تكن إسلامية بكل المقاييس ، ومن ثمَّ فليس لمن اوقدها ، وسعى في إشعالها ، ونفخ في أوارها ، مُسَمًّى واحدٌ يستحق .. « وساماً » مما يطلقه الإسلام على مفاهيم الحرب العادلة في جنودها وعتادها وأحداثها ؛ فإن ترتد لتنال من راسه إلى عقبيه ، فتلك إرادة الله ـ تعالى ـ وهي الإرادة العادلة بكل عظاتها لمن يتدبر أو يخشى !!

حرب أوقدها طاغية ، حَفَّها بالشهوات لكنها بدأت بالطمع وانتهت بالدموع ، وبين الطمع والدموع كان النهب وهتك العرض وسفك القيم ، وفي مشارف النهاية كان الذل القاتل ووصمة التاريخ طَبَعَتْها شِفَاهٌ تعسة على حذاء زنيم .

قُبْلَةٌ ما كانت شرفا بحال ، ولاشهادة بحال ..

ترى :

كيف يزول عارها ...؟ ومتى يمحوه التاريخ ؟

وما الحرب ؟.. ومايُنتظر من الحرب ؟ أليست :

بغضاء في يمينها الغدر ، وفي يسارها الفقر .

شمطاء تمقت نُضْرَة الشباب ، وتحيله جُثَثاً بلا رموس ... لا سكينة ـ بعدها ـ في بيت ، ولا زفاف لعروس .

يالله للمسلمين

سواعدها خرقاء .. ومشاعرها صماء ..؟!

بدأها طاغية ليس ليطرد محتلا ، أو يزيل غاصبا ، أو ينقذ قُدْسا ، أو ينهض بأمة ، فاشتعلت ذميمة لاتصون عرضا ولاتحفظ أرضا ، ولاتبقى خيراً فَكَرَّتْ عليه بالذلة والمسكنة ، ووصمة هذا العار .

والويل - بعدها - يتجرعه ضعيفٌ بأرضه سيق إليها مرغما ، ونَاءَ بها ، وهو الذى لم يطلب لها ناراً ، أو ينفخ لها رماداً .

لذا ضاع الكريم ، وساد اللئيم ... حين التمس السلام الطريق فرفض الطاغية قيم السلام .

وإذا التمسنا العزاء فى الشريعة الطاهرة .. أحسسنا بالإجابة:« فتنة نائمة أُوقِظَتْ فَقَطَّبَتْ وجه الأرض بالدماء ولوثته بالخراب ، وأطلقت عنان النار إلى السماء لتظل مدة عامين ، لا يعلم - إلا الله - بعدهما كيف تكون !!»

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ إبراهيم - ٢٨

ثم للمعاصى رِدَّةٌ تَمْحَق ، ولأهلها عادة لا تزول : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ الأنعام - ٢٨

- فهل من توبة يَرَى - فى صفائها - الأثيمُ حِلمَ ربه وفضله ، ثم تكون له نظرة إلى ماض مفعم بحمرة ممقوتة ، ونعمة غير محمودة،وجاه من تراب ؟

لعله أن يتوب ..!!

إن النكبة فى طريقها إلى زوال .

ولاندرى : ماتكون المعصية ..؟!

ثم تَبْقَى - من بعد - الدماءُ :

عن عبد الله بن عُمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

« لن يزال المؤمن فى فُسْحَةٍ من دِينِهِ ما لم يصب دما حراما » رواه البخارى وأحمد ، واللفظ للبخارى . « دما حراما » أى دما أريق بغير حق .

قال ابن عمر - رضى الله عنهما :

« إن من وَرَطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حِلِّهِ »

ترى : كم من دم برىء سفكه الطاغية ، وأرضٍ أحال نضرتها رمادا ، وعمارها خراباً ، وَزَوَّدَها بالثكلى واليتيم والمعوق والشريد على غير مدد من مال أو جاه .

أيطمع - بعد - فى « مشروع مارشال » لينقذ فُتَاتًا أو يحيى مواتا ، أو يشيد عمرانا ، أو يصلح مصنعا .

هيهات ..!!

فَنِيَتْ أموال المسلمين ورَبَتْ خزائن إسرائيل .

وفنى شبابُ المسلمين ونَمَا شبابُ إسرائيل.

والله..الله للمسلمين .

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

منهج مدرسة الصوم

اللقاء الصحفى
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

منهج

مدرسة الصوم

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

هذه المدرسة افتتحها الله سبحانه بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ..

إن هذه المدرسة من أعظم المدارس أثراً وأكثرها نفعا ، إذ هى مدرسة اجتماعية إيمانية ، افتتحها رب العالمين بكلمته هذه القرآنية ، الذى علم الإنسان ما لم يعلم وهو خالق الإنسان الذى رباه واستخلفه فى هذه الأرض ، ويعلم سره ونجواه .

وتستمر الدراسة فيها شهراً واحداً فى كل سنة قمرية ، والتعليم فيها مجانى ، وينال الدارسون والملتحقون بها جوائز وحوافز مختلفة فى قيمها ومقاديرها بحسب تفاوتهم فى الجد والاجتهاد والتحصيل ، والشهادة الممنوحة فى ختام الدراسة (لعلكم تتقون) .

هذا الشهر حدده الله ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

ودخول هذه المدرسة إجبارى على كل مسلم ومسلمة ، بالغ عاقل بهذا الأمر الكريم ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

أما أصحاب الأعذار فمتى وجدوا القدرة من أنفسهم على تلقى الدروس فى هذه المدرسة فكان التوجيه ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

ومنهج الدراسة وضعه الله سبحانه الذى خلق فسوى ، العليم بما يصلح خلقه وينظم حياتهم .

هذا المنهج والكتاب المقرر هو القرآن الكريم : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتدارسه فى كل رمضان مع المسلمين ، كما كان يتدارسه مع أمين الوحى جبريل ـ عليه السلام ـ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ﴿ وَاتْلُ مَاأُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ .

ومن هنا درج السلف الصالح لهذه الأمة على الانتظام فى هذه المدرسة يترقبون افتتاحها ببزوغ هلال شهر رمضان ، ويغدقون على أنفسهم من خيره وفضله بتلاوة القرآن ومدارسته .

ولأن رمضان شهر القرآن فينبغى على كل المسلمين صغاراً وكباراً نساء ورجالاً أن يحرصوا على أن يكون الصيام والقرآن قرينين فى عملهم اليومى ليكونا شفيعين لمن حرص عليهما وأدى حقهما .

ففى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه قال : فيشفعان** » .

والمواظب على الدراسة فى هذه المدرسة يكسب الكثير الوفير من الفضائل فوق المنافع الجسدية والنفسية .

فالصوم يعلم الصائم الصبر والمصابرة فهو تدريب على تحمل الحرمان من الطعام والشراب ، وتنمية للإرادة الإنسانية على تحمل خشونة العيش ، وعلى التفوق على الشهوات والنزوات أياً كانت أهدافها بل وأياً كانت دوافعها ، وفى الصوم تقوية لعاطفة الرحمة والعطف على الضعفاء والفقراء والمحرومين ، وفيه سكون النفس وصفاؤها وفيه ـ على ما قال أهل الحكمة ـ التخلص من السموم المتراكمة فى قنوات الجسد وممراته والتخفيف عن أجهزة الهضم .

والصوم يهدينا إلى التخلص من عادات ضارة بالأبدان فى الطعام والشراب ويرشدنا إلى أن مدة الشهر كافية لتغيير العادة المرذولة مما اعتدناه فى حياتنا اليومية ، فهو يأخذ بيدنا إلى العلاج المفيد الذى يخلو من المردود الردىء ، والواقفون أمام هذه المدرسة فريقان :

أحدهما : ذلك الذى يرفض الانضمام إلى صفوف طلابها بدون عذر من الأعذار المشروعة مجاهراً بالمعاصى ، محادا الله ورسوله وهؤلاء مآلهم جهنم وبئس المصير .

روى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأصحابه : « احْضُرُوا المنبر ، فحضرنا ، فلما ارتقى درجة قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال : آمين ، فلما نزل قلنا يارسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه . قال : إن جبريل ـ عليه السلام ـ عرض لى فقال : (بَعُد من أدرك رمضان فلم يغفر له . قلت : آمين ، فلما رقيت الثانية قال : بَعُد من ذكرت عنده فلم يصل عليك . فقلت : آمين ، فلما رقيت الثالثة قال : بَعُد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة . قلت : آمين) . رواه الحاكم عن كعب بن عجرة .

منهــج مدرســة الصــوم

والفريق الآخر دخل فى هذه المدرسة ـ مدرسة الصوم ـ
وهؤلاء نوعان :

احدهما :

نوع يدخلها ولا يستفيد منها ، فهو يصوم شهر رمضان ، بالكف عن الطعام والشراب ، ولكنه لم يؤد ماأمره الله به ولم ينته عما نهى الله عنه ، وهذا كمن بنى قصراً يستظل به ثم هدمه ، وهذا هو الذى قال عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى رواه ابن عمر : « **رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش** » . وقال : « **من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** » .. رواه أبو هريرة .

والنوع الآخر :

يدخل مدرسة الصوم مستوعباً دروسها ، منتظماً فى صفوفها دارساً تالياً منهجها : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ ، وهؤلاء تنتهى بهم مرحلة الدراسة ومدتها شهر رمضان وهم فائزون برضا الله ورضوانه ، متطهرون مما ألموا به من الخطايا، ظافرون بما أعده الله للمخلصين فى صومهم وقيامهم من الفرحة فى الدنيا بالاستقرار النفسى والقناعة بما وهب الله ثم الأجر العظيم فى الآخرة ، ففى الحديث الشريف الذى رواه مسلم « **للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه** » .

إن الدروس فى هذه المدرسة كالمصفاة التى تنفى كل خبث ، فالصائم تصفو نفسه ويطهر قلبه من كل حقد وحسد وغل ويصير أخاً صالحاً لكل أفراد مجتمعه إنه يتخلص من الأنانية والذاتية ، فيشعر بحاجات الآخرين وآلامهم ويسارع إلى تخفيف الويلات والآلام ، لأنه أحس بوقع هذه الآلام وتأثير الحرمان وهو صائم فى شهر رمضان ، ثم هو ينقى جسده بقنواته المختلفة الوظائف ويعطيها وقتاً لتجديد خلاياها وتنشيط وظائفها .

إن مدرسة الصوم تهذب الأخلاق وتدعم المحاسن ، وتنفى الخبائث ، وتنمى التسامح مع الناس إن هم تهوروا بقول مثير أو بعدوان .

وهذا ما وجه إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : (**إذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم** .....) . تذكير للصائم بما يجب أن يكون عليه من ضبط للنفس وكبت للغيظ وارتقاب للأجر ، وكسر لحدة الأذى والشر ، وفى ذات الوقت ردع للمعتدى عن الاستمرار فى عدوانه ـ قولاً أو فعلاً ـ ودعوة له أنك مع إخوانك فى عبادة فى صف واحد فى مدرسة الصوم ، أشبه

بالصف فى صلاة الجماعة ، وكأنك بهذا التوجيه النبوى الكريم (**اللهم إنى صائم**) تواجه هذا العدوان بالرفق وتستدعى فى نفسه نية الصوم التى يبيتها الصائم وبها كان فى عبادة الله حتى يفطر بعد غروب شمس اليوم ، وكأنها تكبيرة الإحرام التى تدخل بها الصلاة فكما لا يجوز الخصام ولا الشجار ولا العدوان على المصلى أو منه فكذلك حال الصائمين الذين دخلوا مدرسة الصوم فى شهر رمضان طاعة لله ورغبة فيما عنده .

فى مدرسة الصوم تنمو مراقبة الله لأن الصوم سر بين العبد وربه ، فالصائم يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن الصائم يرى الله فإنه واثق من أن الله يراه ويعلم سره ونجواه .

هذه المراقبة لله متى نمت فى قلب وعقل كل إنسان صلحت نفسه واستقامت أعماله وهدى إلى صراط الله المستقيم .

وهاهى المدرسة (مدرسة الصوم) قد فتحت أبوابها بدخول شهر رمضان الذى باركه الله فأنزل فيه القرآن ، وفرض صومه وسن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيامه ، فلنقبل ـ نحن المسلمين ـ على هذه المدرسة نرتاد علومها ونتزود منها وخير الزاد التقوى .

ولنذكر أن الله سبحانه قد شمل هذه الأمة برحمته فتوقفت الحرب التى أنذرت أمة العرب والمسلمين بالشر المستطير ، وانكمشت الكارثة التى أثارها أولئك الذين لم يرعوا حق الأخوة فى الإسلام ، ولا حق الجيرة ، وخالفوا أوامر الله ورسوله فى تحريم العدوان ، وقد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر .

نحمد الله ونشكر فضله ونعمته أن أهل هلال شهر رمضان على أمة الإسلام ، وقد اندحر العدوان وأهله وانحسر ، فأمن موطن الرسالة ، ومهبط الوحى ، وكان توفيق الله مع أولئك الذين استنفدوا كل ما فى الوسع من وسائل لإخماد الفتنة وحصرها حتى انحسر شرها وتوقفت مسيرتها ، حتى يصوم المسلمون شهر رمضان ، وقد أيقنوا أن النصر من عند الله ، وأن الأخذ على يد الظالم كان فيه الخير الكثير ، وقد رد الله الذين ظلموا ، وبغوا ، واعتدوا ، لم ينالوا خيراً ، بل باءوا بكبائر الآثام .

ولعل هذا العدوان ينبه الأمة إلى أن الوقاية خير من العلاج ، وأن محادة الله ورسوله وإغفال أوامر الله وشيوع ارتكاب المحرمات وانتهاك الحرمات مما أعان العدوان وأغرى المعتدين ، فلتقبل الأمة فى شهر رمضان على التوبة إلى الله والوفاء بعهوده ولنعد إلى مدارسة القرآن وتنفيذ أحكامه ، ولنعمل على جمع الكلمة ووحدة الصف الإسلامى ، وليُتْرك أولئك الذين فرقوا كلمة المسلمين وأشعلوا النزاع ، ليتركوا للمصلحين مجالاً ، وللدعوة إلى الله أن تنفذ إلى الصدور ، فتنقيها مما ران عليها من غيوم حجبتها عن نور الله وأوقعتها فى حبائل الشيطان الذى فجر هذا الخسران .

ولينهض هؤلاء المصلحون إلى الأخذ بأسباب إصلاح ذات البين لتتواصل الأمة شعوباً وحكومات وتتواصى على التمسك بحبل الله المتين قولاً وعملاً .

﴿ إن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . .

شيخ الأزهـــر
جادالحق على جادالحق

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

وصحيفة نيوزويك والتليفزيون اليابانى ومراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته فى يوم الاثنين العاشر من شعبان الموافق ٢٥ من فبراير ١٩٩١ وفدا صحفيا وإعلاميا يتكون من مراسلة مجلة النيوزويك الأمريكية ، ومندوب التليفزيون اليابانى بالقاهرة ومندوب وكالة انباء الشرق الأوسط .

بدأ الحديث مندوبة مجلة نيوزويك فقالت :

● ما موقف الأزهر من الناحية الدينية حول المعركة الحالية فى الخليج ؟

ــ المعركة الحالية قامت لإجلاء القوات العراقية المعتدية التى احتلت الكويت وهذا دفاع عن النفس وهو عمل مشروع فى الإسلام .

● ما موقف الأزهر لو استمرت الحرب خلال شهر رمضان ؟

ــ الحرب فى رمضان كالحرب فى غيره مادامت مشروعة ، وقلت : إنها مشروعة بوصفها دفاعا عن النفس .

● ما رأى فضيلتكم حول إمكانية دور الأزهر فى المصالحة بعد الحرب ، والتسوية بين الدول العربية المتنازعة ؟

ــ الأمر سياسى اكثر منه دينى فالذى يتدخل لإجراءات الصلح هى الجهات السياسية مثل مجلس الأمن ، وجامعة الدول العربية ، ومنظمة الدول الإسلامية .

التليفزيون اليابانى :

● ما مستقبل العالم الإسلامى الاقتصادى بعد الحرب ؟ وما مستقبل المسلمين ؟

ـ بخصوص ما بعد الحرب لاشك أن المنطقة فى حاجة إلى ترتيب الأوضاع ، هذا يقتضى تسوية الخلافات التى تسببت فى هذه الحرب بين اطرافها ، ثم يعاد النظر فى وسائل دعم امن المنطقة من خلال منظمة المؤتمر الإسلامى ، وجامعة الدول العربية لإعادة النظر فى اتفاقية الدفاع المشترك ، إذ انه يجب ان يتوافر الامن بين دول المنطقة باعتبارها دولا متحدة الأصل واللغة والدين، ولاينبغى ان يكون هناك شقاق يستدعى مثل هذا التدخل مع وجود ضمانات تمنع تكرار مثل هذا العدوان الذى اضطر كل هذه المنظمات والجهات للتدخل وإصدار قرارات من مجلس الامن ، وان يعهد إلى بعض الدول ذات القدرات العسكرية إزالة هذا العدوان وإعادة الشرعية .

اما عن عدد المسلمين فى العالم الآن فإنه يزيد عن المليار ، ولاشك أن تضامن هذه الشعوب فى شان مستقبلها السياسى والاقتصادى امر فى صالحها ، لاسيما ونحن نرى اتجاه العالم الآن نحو التضامن ، وعلى سبيل المثال مانراه فى اوروبا وخطواتها نحو التضامن الاقتصادى من خلال سوق مشتركة والتنظيمات الأخرى ، كما ان لها ايضا مجلسا برلمانيا خاصا كوحدة اوروبية ، ولاشك ان مثل هذه الصورة فى العالم الإسلامى ستزيد من تضامن الشعوب وتعاونها .

● هل هناك علاقة بين الإسلام والسياسة ؟

ـ الإسلام دين ينظم علاقة الإنسان بالله فى هذا الكون ، ثم علاقة المسلمين بعضهم ببعض ، ثم علاقة المسلمين كافة بغيرهم فى العالم ، ولافرق فى الإسلام بين دين وسياسة ، لأن الإسلام دين ينظم كل العلاقات التى لها صلة بالله وعلاقة الإنسان بالله وأسرته ووطنه ، كما انه ينظم كل وسيلة مؤدية إلى العدالة بين الناس عامة وبين المسلمين باعتبارهم امة واحدة ، ولا فرق فى الإسلام بين تنظيم الحياة وبين الدين ، والإسلام ليس دينا للعبادة فقط ولكنه دين وسياسة .

● ماراى الإسلام فيما فعله صدام حسين ؟

ـ ماصدر من الرئيس صدام حسين تجاه الكويت أمر يحرمه ويجرمه الإسلام ، فهذا عدوان وفى الحديث الشريف :

« كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

وأى عدوان على أى من ذلك هو محرم فى الإسلام ، وما ارتكبه الرئيس صدام حسين فى الكويت عدوان وظلم ينبغى أن يتعاون الناس على دفعه .

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر

● كانت هناك صراعات بين الحضارة الأوروبية والإسلامية ، فهل وجود قوات اجنبية فى الخليج يعتبر استمرارا لمثل هذه الصراعات ؟

ـ لست أسمى مايحدث صراعا ، لأن الإسلام دين حياة يتعايش مع الديانات السماوية السابقة عليه ، وليس هناك صراع بالمعنى المقصود ولكن الدوافع الاستعمارية واستغلال الثروات الطبيعية التى لم تستثمر بسبب الضعف الذى مر به العالم الإسلامى ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾(١) فقد كانت دولة المسلمين قوية من قبل ، وأسهمت فى نشر العلوم ، والثقافة التى كانت مقدمة وسندا للحضارة الأوروبية ، ولا ينكر أحد من الغربيين هذا ومن هنا كانت الحضارة الغربية امتدادا للحضارة العربية الإسلامية .

ولست أعتبر هذا صراعا وإنما هذه نزوات من جانب القوى والصراعات التى حدثت وتحدث إنما تأتى من وراء بغى القوى على الضعيف ، وهذا مايفعله الغرب وليس المسلمون ، فالإسلام قد أمرهم فى كتابه بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٢) كما انتشر الإسلام بالقدوة من خلال التجار والرحالة فى آسيا وأفريقيا ، ومن خلال الدعوة الحسنة ولم تكن هناك حروب للمسلمين إلا الحروب الوقائية وليست العدوانية .

وكالة أنباء الشرق الأوسط :

● يقوم الأزهر ولايزال بدور رائد فى مواجهة التيارات الغربية المعادية للإسلام .. ما الجهود التى ترون فضيلتكم بذلها فى هذا الشأن ؟

ـ إن من أهم مايقوم به الأزهر هو : نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية بوجه عام واستقبال الطلاب من كافة الشعوب الإسلامية للدراسة والثقافة والعودة إلى شعوبهم ليعلموا وينشروا ماتلقوا ، من علوم ومعارف .

ثم معاونة هذه الشعوب بإمدادها بالكتب فى المعارف والعلوم العربية والإسلامية .

وابتعاث المدرسين من علماء الأزهر ليقوموا بتقديم هذه الثقافة والعلوم فى مدارس وجامعات تلك الشعوب فهو تبادل وتعاون ثقافى بالمعنى المتعارف عليه الآن .

● ما تصوركم لمجال الدعوة فى الداخل والخارج ؟

ـ كل القائمين على أمور الدعوة الإسلامية فى داخل مصر هم من أبناء الأزهر ، سواء كانوا من العاملين بالأزهر فى كافة هيئاته أو العاملين بالأوقاف أو الجمعيات المتصدية لنشر الثقافة والعلوم الإسلامية .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٠ .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥ .

وبالأزهر « مجمع البحوث الإسلامية » وهو القائم ـ بإداراته المختلفة ـ على نشر الدعوة الإسلامية داخليا وخارجيا .

والإدارة العامة للدعوة والإعلام الدينى لها رجالها المتخصصون الذين يعملون فى كافة أنحاء البلاد .

ثم رجال المعاهد الأزهرية وأساتذة جامعة الأزهر فى طول البلاد وعرضها .

وهؤلاء يقومون فى مواقعهم بواجب نشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وفى إجابتى عن السؤال السابق قلت : إنه يبتعث العلماء من الأزهر لنشر هذه الثقافة بالتعليم فى مدارس وجامعات الشعوب الإسلامية ، كما يستقبل الأزهر الطلاب الوافدين للتعليم فى الأزهر .

● كثر فى الآونة الأخيرة الحديث حول الحوار بين الأديان فما راى فضيلتكم فى هذا ؟

ـ الحديث حول هذا الموضوع أمر ينبغى أن يؤخذ بحذر ، ولاسيما أن الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام هى فى أصلها أديان سماوية ، كما أنها جاءت من قبل الله ـ سبحانه ـ لنفع بنى الإنسان جميعا .

وهى تختلف بواقعها الحالى فى النمط التشريعى والعقدى ومن هنا ، فإن الحوار الذى ينعقد بين هذه الديانات ينبغى أن يدور فيما يمثل السلوك العام ، والأخلاق . وإن شئت فقل : فيما يمس السلام الاجتماعى بين اتباع هذه الديانات .

أما أن يدور الحوار حول أصل العقائد ، ومناقشته فأعتقد أن هذا عمل ينبغى أن يكون بين جدران المدارس والجامعات المتخصصة ، وليس عملا جماهيريا أو إعلاميا ، لأن شأنه لايقل عن شأن الدراسات المعملية التى يجريها أصحاب التخصصات فى العلوم والطب .

وما انعقد من هذه الحوارات لم يثمر ثمرة واحدة تواجه أى خلاف بين أتباع هذه الديانات ، ذلك أنه يدور تحت عناوين عامة كالسلام مثلا دون تحديد مضمون السلام الذى نبحث عنه ، وهل يجرى الحوار فى العقيدة بمعنى وحدتها ؟

ذلك ماقلت : إنه ينبغى أن يكون بين أصحاب التخصصات .... أو السلام بمعنى تعايش الناس جميعا فى سلام ، وأن يقلعوا عن الخصام والحروب ، فذلك هدف إنسانى ، والإسلام أول الأديان فى الدعوة إلى هذا الهدف ، والعمل إلى الوصول إليه ، لكن ماحدث عن لقاء بين اتباع هذه الديانات التى تكررت لم تكن لها ثمرة ، لأنها لم تكن ذات موضوع يمكن أن يناقش .

وبالنسبة لمنطقتنا ، فإنه كلما كانت الرغبة الملحة من الآخرين لعقد هذه الاجتماعات كانت التفجرات الملحة أيضا .

الأمر الذى يشعر بالتناقض بين الدعوة والسلام وبين الواقع الذى نعيشه .

ومن ثم يجب أن تكون هذه اللقاءات ذات موضوع محدد فيما يمس السلام الاجتماعى بين أتباع هذه الديانات .

اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر

● **للأزهر الشريف دور فعال فى العالم الإسلامى فما هو دوره فى افريقيا فى مواجهة البعثات التبشيرية ؟**

ـ إن الطلاب من هذه الشعوب يأتون للدراسة بالأزهر ، وكما قلت : فإن دورهم بين مواطنيهم يأتى فى تصحيح المفاهيم ، وفى التثقيف بما يضمن سلامة عقيدتهم الإسلامية وثباتهم عليها ، وإذا كانت هناك طوائف للتبشير فأعتقد أن المسلمين المواطنين فى تلك الدول هم المنوط بهم الدفاع عن دينهم بمعرفة هؤلاء العلماء الذين تخرجوا من الأزهر مستعينين بعلماء الأزهر الذين يذهبون إلى هذه البلاد لنشر الثقافة الإسلامية .

● **مادور الأزهر إزاء الغزو الثقافى والإعلامى ؟**

ـ الغزو الثقافى أمر واقع لاسيما فى هذا العصر الذى تواصلت فيه المعارف والثقافات ، وأصبحت مذاعة من وسائل الإعلام المختلفة ، وهى فى أغلبها جعلت العالم كأنه قرية واحدة ، وفى هذا الخطر كل الخطر على الذاتية الإسلامية التى امتازت ـ عبر القرون ـ بأنها تنفى عنها خبث المعارف والثقافات وخبيثها ، وأنها تأخذ من معارف وعلوم كل عصر أصفاه وأنقاه مما لايتعارض مع نصوص القرآن ، والسنة ، ومما يزيد الأمة الإسلامية نماء وقوة فى ثقافتها ومعارفها وقوة بنيانها بالثقافات والعلوم ، والأمر مع هذه الظواهر الحالية شاق ينبغى أن نلتفت إلى خطورته الموجهة إلى تشويه سمات الأمة الإسلامية وشريعتها وعقيدتها وصرف شعوبها عن الانتماء إلى هذه العقيدة بشتى محتوياتها وأوامرها .

وينبغى لذلك أن يتثقف أبناؤنا وبناتنا منذ الطفولة بجرعات كافية لتحصينهم ضد هذا الغزو وفى مراحل التعليم المختلفة كل مرحلة بما يناسبها حتى لايفتنوا عن دينهم ، ولايباعد بينهم وبين أصول ثقافتهم دون أن ينعزلوا عن التصور العلمى الذى يسير العالم إليه باعتبار أن عوامل الحضارة المادية وعناصرها تملكه الإنسانية بوجه عام ، وأنه ينبغى أن يظهر أثره فى حضارة وتمدين كافة الشعوب ، بل على الأمة الإسلامية أن تسارع إلى أن يكون لها النصيب الأوفى كعنصر من عناصر تنمية هذه الحضارة وتوجيهها لخدمة الإنسانية فى كافة مناحى الحياة ، وألا تنحرف لتكون عنصرا للدمار ضد الإنسان وحياته كما هو واضح مما يحدث الآن من تصنيع المواد المهلكة للإنسان والنبات والحيوان ولكافة المخلوقات التى زين الله بها الحياة .

● **ماذا قدم الأزهر لمساندة الاقليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية ؟**

ـ قدم الأزهر ويقدم العلم والمعرفة والثقافة والإرشاد الذى يعينها على ترقية معارفها ويؤهل أبناءها لحسن الإدارة والعمل على جمع الكلمة ونشر العدل والمساواة كما أنه يساند هذه الأقليات بكل الوسائل التى تتيسر له إذا احتاجت لهذه المساعدة .

● **ما دور الأزهر لحماية الشباب من التيارات المتطرفة ؟**

ـ إن علماء الأزهر موجودون بين الشباب وفئات الأمة فى المدارس وفى المساجد وفى النوادى وفى المؤسسات الاجتماعية وفى الجامعات والسجون .

وفى كل مكان تجد علماء الأزهر يقومون بالنصح والإرشاد والتقويم وإصلاح ذات البين وهم ـ بحمد الله ـ فى حركة دائبة يسعون للإصلاح والصلاح ، والأمر يقتضى أن نعيد النظر فى كثير من الظواهر المفسدة فى حياتنا : مناهج التعليم فى حاجة لإعادة النظر . وكذلك مايقدم فى وسائل الإعلام المختلفة .

وفهم الحرية على أنها (الحرية الراشدة المنظمة والصحيحة) وليست المؤدية إلى الفوضى .

وأن الطفل إذا وضع فى يده عود الثقاب أحرق نفسه ، وهذا مثل لما يحدث وماينشر ومايذاع على الأعمار المختلفة فى وطننا والأوطان الأخرى .

علما بأن الهواء صار وسيلة لنقل الثقافات وغيرها بأجهزة الاتصال الشائعة التى أصبحت فى متناول الجميع وأصبح مايذاع فى أى مكان فى العالم يمكن رؤيته أو سماعه فى ذات الوقت .

كل هذه أمور ينبغى أن يعاد فيها النظر لتحصين وحماية الشباب والمواطنين جميعا إذا أردنا لشعبنا وأمتنا أن تحتفظ لنفسها بذاتيتها وشخصيتها وتراثها الذى توارثته طوال حياتها .

● **كيف ترون فضيلتكم دور أجهزة الإعلام فى حماية الشباب ؟**

ـ لاشك أن الإعلام بوسائله المختلفة يؤدى دورا هاما لحماية وتقويم الأخلاق والسلوك واستقامة الناس على طريق الحق .

وإذا التزمت أجهزة الإعلام فعليها أن تنقى ـ بصورة جدية ـ المواد التى تعرضها ، وتأخذ الحذر مما يضر ، وتكتفى ـ فيما تذيع وتنشر ـ بما يصلح ويسر ، ولاشك أننا نكون بذلك قد بدأنا الطريق الصحيح لتحسين سلوكنا وحسن تنشئة شبابنا نشأة صحيحة سليمة ، وينبغى على الصحافة بجميع مسمياتها أن تضع الضوابط لما ينشر فيها ... فقد دأبت الصحف على نشر الحوادث الإجرامية بتفصيلات تعد مدرسة للسلوك المنحرف سواء كانت هذه الجرائم جنائية أو نصبا أو دعارة ، فكل هذا لاشك فيه إغراء للقارىء على اختلاف مراحل العمر على تتبع سلوك المجرمين فيما سلكوه .

ثم هذه الأفكار التى تتردد فى بعض ماينشر من دعوة إلى الإباحية والخروج عن الأخلاق والآداب الإسلامية ... هذا أيضا فيه الخطر كل الخطر لاسيما إذا سيقت فى مساق الدعوة إلى حرية الكلمة والفكر والرأى و(التليفزيون) الذى يجرى دائما وراء الغريب البعيد عن الخلق الذى اعتدناه واستقيناه من الإسلام ـ فقد أغرم باستيراد الأفلام والمسلسلات التى صيغت فى بيئة غير بيئتنا وبأخلاق لم نعتدها ، بل ربما قد صيغت خصيصا لصرفنا عن آدابنا وأخلاقنا وهو غزو أخلاقى يفسد ولايصلح .

إن المأمول ـ على ماجرى به العرف فى عصرنا ـ أن يكون هناك ميثاق شرف لوسائل الإعلام تلتزم به فى أن تكون أمينة فيما تعرض حتى نعيد لشبابنا ـ بل ولكافة أعمار المواطنين ـ الأمن النفسى الذى يؤدى إلى الاستقامة والجدية فى العمل والإنتاج وهو ما نتمناه جميعا من عز وتماسك إنسانى وأُسرى وتظل سماتنا التى تميزنا بها ـ نحن المسلمين ـ فى أن نكون متماسكين متوادين متراحمين فى ظل الأسرة والمجتمع والأمة .

ترجم اللقاء احمد عبدالخالق محمد

مع القرآن في شهر القرآن

للأستاذ
عبد الحفيظ فرغلي القرني

لحكمة عليا انزل الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم فى شهر رمضان المبارك : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . . ﴾ ـ البقرة ١٨٥ ـ

وقد يكون الأمر بصيام هذا الشهر مترتباً على نزول القرآن فيه ، حيث فضله الله بذلك .

وعلماء اللغة يقولون : إن الفاء تاتى للترتيب والتعقيب ، ومن قبيل الترتيب التعليل ، فإنك تقول : انت تجيئنى فاكرمك ، فالمجىء علة الإكرام ، وكذلك يمكن ان يكون نزول القرآن علة فى هذا الصيام شكراً لله على فضله ، وحمداً له على نعمته العظيمة السابغة ، التى اكرم بها المسلمين ، بل الخلائق اجمعين فى عاجلهم وآجلهم بنزول هذا الكتاب المبين .

لقد فضل الله القرآن على سائر الكتب كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور .

فهذا القرآن هو حجة الله البالغة ، ومعجزته الخالدة ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وقد ضمنه الله من التشريعات والمبادىء ما فيه سعادة البشر أجمعين : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ ـ الإسراء ٩ ـ

ولذلك فقد تعهد الله بحفظه ليصبح دستوراً باقيا يجد الناس فيه زادهم الفكرى والثقافى والروحى والاجتماعى والاقتصادى ، ويلجئون إليه إذا أعوزتهم الحاجة إلى من يقودهم إلى شاطىء الأمان ومرفأ السلام .

فضل رمضان

ولقد وردت فضائل شهر رمضان معلنة على لسان خير المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن

ذلك ما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » .

وروى النسائى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله ـ عز وجل ـ عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب جهنم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة خير من الف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

وليلة القدر هذه هى التى أنزل الله فيها القرآن الكريم جملة إلى السماء الأولى .

جاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وعن ابن جُبير والحسن عن القرآن : « إن نزل فيه جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجما إلى الأرض فى ثلاث وعشرين سنة » . أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين .

نزول الكتب السماوية فى رمضان

ولأفضلية هذا الشهر أنزل الله فيه الكتب السماوية المختلفة ، وقد أخرج الطبرانى من حديث واثلة بن الأسقع عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين منه ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين » .

وذكر الشيخ محمود عبدالحليم الرفاعى فى كتابه الذى قدمته "مجلة الأزهر" عن « البيان المبين فى علوم كتاب الله رب العالمين » ص ٣٥ ـ ما أخرجه ابن كثير فى تاريخه من حديث معاوية بن صالح قال : « أنزلت التوراة على موسى فى ست ليال خلون من شهر رمضان ونزل الزبور على داود فى اثنتى عشرة خلت من شهر رمضان وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة ، وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم فى ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما ، وأنزل القرآن على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى أربع وعشرين من شهر رمضان » قال : أو فى سبع وعشرين منه على أصح الأقوال .

ولولا أن الله ـ تعالى ـ قد ادخر لهذا الشهر المبارك الكثير من الفضائل والمزايا ما اختصه بهذا الفضل الكبير من نزول كلامه العظيم فيه على مختلف رسله وأنبيائه .

وكان هذا الشهر لذلك جديراً بأن يفرض الله فيه الصوم على مختلف الملل والأجناس السابقة على ملة الإسلام .

صوم رمضان فرض فى كل الملل

ذكر الإمام القرطبى ـ رحمه الله ـ فى تفسيره قول الشعبى وقتادة وغيرهما فى تفسير قوله ـ تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ـ البقرة ١٨٣ .

قالوا : « التشبيه ـ أى فى قوله ـ تعالى ـ كما كتب على الذين من قبلكم ـ يرجع إلى وقت الصوم وقدر الصوم ، فإن الله ـ تعالى ـ كتب على موسى وعيسى صوم رمضان ، فغيروا ، وزاد أحبارهم عليهم عشرة أيام ، ثم مرض بعض أحبارهم فنذر إن شفاه الله أن يزيد فى صومهم عشرة أيام

مع القرآن فى شهر القرآن

ففعل ، فصار صوم النصارى خمسين يوماً ، فصعب عليهم فى الحر فنقلوه إلى الربيع » .

وهذا هو المنقول عن مجاهد أيضاً ، فقد قال : كتب الله ـ جل وعز ـ صوم شهر رمضان على كل أمة ، ولكنهم أخذوا بالوثيقة ـ أى الأحكام فى الأمر ـ فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ، قرنا بعد قرن ، حتى بلغ صومهم خمسين يوماً ، فصعب عليهم فى الحر ، فنقلوه إلى الفصل الشمسى ـ تفسير القرطبى ـ

ولكن الذى حدث فى الملل السابقة حفظ الله برحمته ونعمته منه ملة الإسلام ، فعصم المسلمين من أن يغيروا أو يبدلوا فى شعيرة الصوم ، وجعلهم يلتزمون بعدته وموعده ، وجعلوا وصاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » نصب أعينهم .

وكان هذا الحفظ الربانى لأمة الإسلام من التغيير فى موعد الصوم وعدته من معين حفظ الله للقرآن الكريم حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ـ الحجر ٩ ـ

فحفظ القرآن يتعلق به حفظ كل ما فيه من شعائر ومبادىء ، ولذلك لم يجترىء أحد أن يزيد على فرائض الصلاة فرضاً أو ينقص منها فرضا . أو يزيد فى الفرض المكتوب ركعة أو ينقص منه ركعة . وكذلك لم يجترىء مجترىء على أن يغير وقت الحج فيقدم أشهره أو يؤخرها ، ولم يستطع أحد أن يغير الأشهر الحرم عن موضعها الذى أقره الإسلام ، فينسىء فيها كما كانوا يفعلون فى الجاهلية ، ولم يفكر أحد فى تغيير أنصبة الزكاة التى شرعها الله ، أو فى تغيير مصارفها كما أقرها الله فى كتابه الحكيم .

والمجتهدون الذين استنارت بآرائهم واجتهاداتهم آفاق الأمة الإسلامية ، لم يتناولوا فى اجتهاداتهم إلا الفروع التى لم يرد فيها نص قاطع من قرآن كريم أو سنة شريفة .

شهر العبادة

لقد تيقن المسلمون أن شهر رمضان هو أفضل الشهور عند الله ، حيث اختاره الله من بينها لينزل فيه كتبه ، وكتبه هى رحمته التى تأخذ بأيدى الناس من الظلمات إلى النور وتهديهم إلى سواء السبيل .

وليس من شك فى أن هذا الشهر تضاعف فيه أجور الأعمال ، ويرقى فيه المتعبد بأعماله إلى أعلى الدرجات ، وخير عبادة فى شهر رمضان إلى جانب ما فرض الله من صلاة وصيام ، وسنَّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من صدقة وقيام ـ قراءة القرآن .

وقد أثنى الله على قارىء القرآن مطلقا ، فما بالك إذا كانت هذه القراءة فى الشهر الذى نزل فيه ؟

وفضل تلاوة القرآن أشهر من أن يذكر ، ويكفى أن نستشهد على ذلك بقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه مسلم ـ عن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ـ أوغيابتان ـ أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » .

وأخرج الدارمى فى سننه عن أبى الأحوص عن عبدالله قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات .. »

- القرآن فى شهر القرآن د . عبدالحليم محمود - ص ٤٣ .

فإذا كان الحرف بعشر حسنات فى أى وقت ، فلا يبعد أن يكون أكثر من ذلك بكثير فى شهر رمضان المبارك .

ومضاعفة ثواب الأعمال فى شهر رمضان يشهد لها النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه النسائى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : - لامرأة من الأنصار : « إذا كان رمضان فاعتمرى فإن عمرة تعدل حجة » .

ويقاس على ارتفاع أجر العمرة إلى أجر الحجة فى رمضان بقية الأعمال الصالحة الأخرى فيه .

وروى النسائى أيضاً عن عبدالرحمن بن عوف قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله - تعالى - فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

آداب القراءة

على أن الواجب على قارىء القرآن أن يتدبره فقد قال - تعالى - ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الْأَلْبَابِ ﴾ - ص ٢٩ - .

وقال - تعالى - ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ - محمد ٢٤ -

وأن يقرأه فى خشوع وخشية ، فإن كان سامعاً فعليه أن ينصت خاشعا متفكراً فى معانيه ، وقد قال - تعالى - فى ذلك : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ - الأنفال ٢ -

وقال - تعالى - ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ - الأعراف ٢٠٤ -

وتدبر القرآن يفتح أمام القارىء مغاليق الحكمة ، ويهديه إلى أبواب الخير ، ويرشده إلى منابع العلم ، واستنباط المكتوم من الأسرار .

فعلينا فى هذا الشهر الكريم ، شهر القرآن الحكيم ، أن نوثق صلتنا بهذا الكتاب الخالد المعجز ، الذى جعل الله فيه سعادتنا ونجاتنا وأمننا وصلاحنا .

إن فى التمسك بحروفه هداية لما نحن فيه من ضلال ، وجمعا لما نحن فيه من شتات ، ونجاة لما نحن فيه من ضياع ، وألفة لما نحن فيه من خلاف ، وسلاما لما نحن فيه من خصام .

والله يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل .

مرحبا بك يا رمضان

لفضيلة الشيخ جابر منصور مغربي

يستقبل العالم الإسلامي في مشرق الأرض ومغربها : شهر رمضان المبارك بفرحة كبرى ، فرحة تغمر قلوب الملايين من المسلمين ، إنها فرحة القلوب المؤمنة ، والقلوب الطاهرة ، والنفوس التي اشرق فيها نور الإيمان ، وصدق اليقين ، حين تستقبل الشهر العظيم والضيف الكريم .

فمرحباً به من قادم بالبركات ، ومرحباً به من زائر وآت ـ تُشرق به الدنيا . وتعمر به المساجد ، فالناس فيها بين قائم وراكع وساجد ـ لقد كان أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُحسون بنشوة الفرح تملأ قلوبهم ، وتشرح صدورهم . وتقربها عيونهم بإطلالة شهر رمضان المعظم ، إذ كانوا يرون في رمضان مغتسلاً طاهراً يزكيهم من أدران المعصية والآثام ، وجُنة من مساخط الله تعالى ومعاصيه ، كانوا يرون في رمضان ميداناً فسيحاً في الجهاد في سبيل الله ، والتقرب إليه والوصول إلى رضوانه تعالى .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : « كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبشر أصحابه بقدوم رمضان يقول : قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كُتب عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغل الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر » .(١) .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجان ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، ونادى مناد يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك في كل ليلة .

إن رمضان مدرسة تهذيب وتقويم وإصلاح لعل الكسالى يجدون ، والمهملين يجتهدون ، والمقصرين يتابعون ، والمذنبين يتوبون ويتداركون ـ قال معلم الأمة الإسلامية ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ـ هذا رمضان قد جاء تفتح فيه أبواب الجنة ،

---

(١) الأحاديث الواردة في المقال من صفوة صحيح البخاري .

وتغلق فيه النار ، وتغل فيه الشياطين بعدا : أى هلاكاً لمن أدرك رمضان فلم يغفر له . إذا لم يغفر له فمتى ؟

لا ريب أن فريضة الصيام من أهم الفرائض التى جاء بها ديننا الحنيف . والشريعة السمحة فهو أحد أركان الإسلام الخمسة التى بنى عليها . والتى قام بها .

وإذا نظرنا إلى الصوم لوجدناه تهذيباً للنفوس . وتنقية لها من شوائب الدنيا وشهواتها وتخليصاً لها من الانهماك فى متعها وزخارفها ، وسموا بالأرواح عن المادة . وعن مظاهر الحيوانية التى كل همها الأكل والشرب وإشباع البطن .

إن الصوم يربى فى النفوس الصبر على مكاره الحياة وعند الشدائد والملمات وقرع الخطوب ـ كما أنه يعودنا جرأة فى الحق ، وصراحة فى القول ، وإخلاصاً فى العمل .

فمن هذا المنطلق . فإنه يستل من قلوبنا الغل والحقد والحسد والعداوة والنفاق والإحن ، بل يقضى على كل نوازع الشر وما تحمله النفوس من الضغائن .

وإذا نظرنا إلى الصوم . لتبين لنا أنه يضبط النفس ويقوم شهوتها فإنها إذا شبعت طغت وتمردت وسعت لإشباع شهواتها ـ وإذا جاعت ، استقامت واعتدلت . وتحرت الطيب الحلال ـ « قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

الصوم يرقق القلوب ويهذب النفوس ويصقلها . ويملأ الأفئدة رحمة بالبائسين وعطفاً على المحتاجين والمقلين الذين قسا عليهم الزمان ، ولوعتهم الأيام ، يمنعهم الحياء من مذلة السؤال ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ـ فإن الغنى إذا ذاق ألم الجوع تذكر الجائع ، وأسرع بالإحسان إليه ـ قيل ليوسف ـ عليه السلام ـ لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟

قال : إنى أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .

وإلى كل هذه المعانى السامية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

ولما كان الصوم من أَجَلّ العبادات قدراً وأرفعها مكانة ، وأعظمها مثوبة ـ وهو سر بين العبد وربه ، ولا رياء فيه . نسبه الله تعالى إليه ، وأضافه إلى نفسه ، وجعل جزاءه لا يقف عند حد ـ بل تجاوز المعايير والمقادير ـ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن رب العزة : « يقول الله تعالى : **الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به** » .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

يقول الله عز وجل : « **إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلى . فالصوم لى وأنا أجزى به** .

ولما كان الصوم معدن الخير كله ، شرعه الله فى الأولين والآخرين ، فما من أمة من الأمم الماضية فى الأزمنة الخالية إلا وقد شرع الله لها الصوم ، وجعله لها عبادة ونسكا . قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ « البقرة

مرحبا بك يارمضان

١٨٣ » ، فهنيئاً للمسلمين بهذا الشهر المبارك ، وعساكم أن تكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فصونوا صومكم عن القيل والقال والغيبة والنميمة والفحش وهجر الكلام ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر . والإمام العادل . ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء . ويقول الرب : **وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين** » .

فاستقبلوا شهركم تائبين نادمين مستغفرين . وقد فتحتم مع الله تعالى صفحة جديدة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

المراسلات والاشتراكات

ترسل المكاتبات إلى المجلة باحد العنوانين التاليين :

(أ) مجلة الأزهر ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ مدينة نصر ـ القاهرة

(ب) مجلة الأزهر ـ الجامع الأزهر ـ حى الأزهر القاهرة

(جـ) لا تقبل إدارة المجلة الاشتراكات ، يرسل بالاشتراكات راساً إلى قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

●●●

الصوم عن الغير في الفقه الإسلامي

للدكتور/ محمد حسين قنديل

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات محمد ابن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
وبعد ..

فإن التراث الفقهى يزخر بالموضوعات التى تتعدد فيها الآراء وأسلمها ما ثبتت قوة أدلته ، وبرئت من الاعتراضات ، وهذا لا يكون إلا بالدراسة المقارنة .

ولذا اخترت أحد الموضوعات المختلف فيها بين الفقهاء وجعلته محلاً لهذه الدراسة ألا وهـو : « الصوم عن الغـير فى الفقـه الإسلامى » ..

وجعلت منهجى فى هذه الدراسة :

١ – عرض آراء الفقهاء مفصلة أو مجملة حتى يمكن تحديد مواطن الاتفاق والاختلاف بينها .

٢ – ذكرت عقب كل رأى أدلته مع بيان كيفية الاستدلال بها .

٣ – ثم ذكرت المناقشات التى وردت على الأدلة والرد عليها إن وجد .

٤ – ثم رجحت الرأى الذى تبين لى قوة أدلته ، وذكرت سبب ذلك .

وأسأل الله أن يجعل عملى خالصاً له وحده ، وأن ينفعنى به وسائر أبناء المسلمين آمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد .. ويشتمل على :

تعريف النيابة

أولاً : فى اللغة : مادة الكلمة [ن و ب] .
قال الجوهرى [1] : (« نوب » ناب عنى فلان ينوب مناباً ، أى قام مقامى) . والنوبة والنيابة

(١) الصحاح للجوهرى ١/ ٢٢٨ . ط دار العلم للملايين – بيروت .

الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى

بمعنى تقول : جاءت نوبتك ونيابتك وهم « يتناوبون » النوبة فى الماء وغيره »[٢] .

وجاء فى المعجم الوسيط [٣] : ناب عنه نيابة : قام مقامه ، فهو نائب ، وأناب فلانا عنه : أقامه مقامه ، والنائب : من قام مقام غيره فى أمر أو عمل .

ثانياً : فى الاصطلاح :

لا يوجد تعريف للنيابة فى كتب الفقه ، وإنما يوجد لها مرادف هو « الوكالة » ، ولذا نُعرف فيما يأتى الوكالة ليتضح معنى النيابة .

الوكالة فى اللغة [٤] :

وَكَّلَ : يقال : وكله بأمر كذا توكيلا . والاسم : الوكالة بفتح الواو وكسرها : اسم مصدر بمعنى التوكيل ، ومعناه التفويض . والوكيل : هو القائم بما فوض إليه كأنه فعيل بمعنى مفعول ، لأنه موكل إليه الأمر ، أى مفوض إليه .

الوكالة فى اصطلاح الفقهاء :

قال الأحناف[٥] : هى إقامة الإنسان غيره مقام نفسه فى تصرف معلوم .

وَحَدَّدَها ابن عرفة من المالكية بأنها[٦] : نيابة ذى حق غير ذى إمرة ولا عبادة فيه غير مشروط بموته (نيابة) إقامة جنس ، (ذى حق) فصل مخرج النيابة ممن لا حق له ، (غير ذى إمرة) أى إمارة وحكم ، (فيه) أى الحق (بموته) أى ذى الحق .

وقال الشافعية[٧] :

هى تفويض شخص ما له فعله مما يقبل النيابة إلى غيره ليفعله فى حياته .

وعرفها الحنابلة بأنها [٨] :

استنابة جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة .

مما سبق يتضح لنا أن فقهاء المذاهب الأربعة نصوا فى تعاريفهم للوكالة على أنها (نيابة) ، أى أن كلا اللفظين يتضمن إقامة الشخص غيره مقام نفسه فى أمر ما .

ومع هذا فإنهما يختلفان فى أن الوكالة لابد فيها من إذن وإرادة الموكل ، والنائب فى النيابة قد يقوم بالفعل ابتداء دون توقف على إرادة المنوِّب ، وقد يفعله بإذنه . وعلى هذا فإن العلاقة بينهما عموم وخصوص ، فكل وكالة نيابة ، وليس العكس .

ما يقبل النيابة من العبادات وما لا يقبلها :

قسم الفقهاء العبادات من حيث قبول النيابة فيها أو عدم قبولها إلى أنواع ثلاثة :

---

(٢) مختار الصحاح ص ٦٨٤ . ط إدارة الكتاب العربى . بيروت .

(٣) المعجم الوسيط ٢/٩٦٩ ـ ٩٧٠ ط دار إحياء التراث العربى .

(٤) الصحاح للرازى ص ٥٨٢ : ط دار الحداثة . المعجم الوسيط ٢ / ١٠٦٧ .

(٥) شرح فتح القدير ٦ / ٥٥٢ . ط دار إحياء التراث العربى ـ بلبنان .

(٦) مواهب الجليل للحطاب ٥ / ١٨١ . مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٩هـ ، شرح منح الجليل ٣ / ٣٥١ ـ ٣٥٢ . مكتبة النجاح بليبيا .

(٧) زاد المحتاج بشرح المنهاج للكوهجى ٢ / ٢٤٥ ط ٢ سنة ١٤٠٧ هـ .

(٨) كشاف القناع ٣ / ٤٦١ . ط : عالم الكتب ـ بيروت .

قال الأحناف (٩) : (العبادات فى الشرع أنواع ثلاثة : مالية محضة كالزكاة والصدقات والكفارات والعشور ، وبدنية محضة كالصلاة والصوم والجهاد ، ومشتملة على البدن والمال كالحج .

فالمالية المحضة تجوز فيها النيابة على الإطلاق وسواء كان من عليه قادراً على الأداء بنفسه أو لا ؛ لأن الواجب فيها إخراج المال وأنه يحصل بفعل النائب .

والبدنية المحضة لا تجوز فيها النيابة على الإطلاق لقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يصوم أحد عن أحد ولا يصلى أحد عن أحد » ، أى فى حق الخروج عن العهدة لا فى حق الثواب ، فإن من صام أو صلى أو تصدق وجعل ثوابه لغيره من الأموات أو الأحياء جاز ويصل ثوابها إليهم عند أهل السنة والجماعة .

وأما المشتملة على البدن والمال ، وهى الحج فلا يجوز فيها النيابة عند القدرة ويجوز عند العجز .

وقال القرافى (١٠) : (الأفعال قسمان منها ما يشتمل فعله على مصلحة مع قطع النظر عن فاعله كرد الودائع وقضاء الديون ورد الغصوبات وتفريق الزكوات والكفارات ولحوم الهدايا والضحايا وذبح النسك ونحوها فيصح فى جميع ذلك النيابة إجماعاً ؛ لأن المقصود انتفاع أهلها بها ، وذلك حاصل ممن هى عليه لحصولها من نائبه ، ولذلك لم تشترط النيات فى أكثرها .

ومنها ما لا يتضمن مصلحة فى نفسه بل بالنظر إلى فاعله كالصلاة فلا تجوز النيابة فيها إجماعاً .

ومنها قسم متردد بين هذين القسمين فيختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ فى أى الشائبتين تغلب عليه كالحج ، فمن لاحظ جانب العبادة فيه وهو مالك ـ رضى الله عنه ـ ومن وافقه قالوا لا تجوز النيابة فى الحج كالصلاة ، ومن لاحظ الفرق بين الحج والصلاة قال تجوز النيابة فى الحج ، والشائبة الأولى أقوى وأظهر) .

نلحظ من القولين السابقين أن الأفعال من حيث قبولها النيابة ثلاثة أنواع :

الأول : أفعال لا تقبل النيابة بالاتفاق كالصلاة ، **والثانى** : أفعال تقبل النيابة باتفاق كرد الودائع وقضاء الديون وتفريق الزكوات ونحوها .

والثالث : أفعال يجتمع فى أدائها الجانب المالى والبدنى كالحج ، واختلف الفقهاء فى قبولها للنيابة .

ومن الأفعال التى تردد الفقهاء ـ كذلك ـ فى قبولها للنيابة : (الصوم عن الميت) ، أما الصوم عن الحى فلا تصح النيابة عنه مطلقا .

فالأول موضوع بحثنا نقدمه من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول
فى
قضاء الصوم عن الميت

اتفق الفقهاء على أن الحىّ لا تصح النيابة عنه مطلقاً ، قال النووى (١١) : (قال أصحابنا وغيرهم : ولا يصام عن أحد فى حياته بلا خلاف سواء كان عاجزاً أو قادراً) .

---

(٩) البدائع ٣ / ١٢٨٨ ـ ١٢٨٩ . مطبعة الإمام بمصر .

(١٠) الفروق للقرافى ٢ / ٢٠٤ ـ ٢٠٦ . ط : عالم الكتب بيروت .

(١١) المجموع ٦ / ٣٧١ ط : دار الفكر .

◆ الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى

وغير القادر على الصيام ينظر إليه ، فإن كان العجز دائماً كالعجز الناشىء عن كبر السن ، أو الأمراض الميئوس من شفائها ؛ فلا يجب عليه الصيام ، ويخرج عن كل يوم فدية ، لقوله تعالى(١٢) : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ ، فإن لم يقدر على إخراج الفدية سقطت عنه (١٣) .

وإن كان العجز مؤقتاً بسبب المرض أو السفر أو غيرهما ؛ فإنه يفطر ثم يقضى بعد زوال السبب لقوله تعالى(١٤) : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ . وعلى هذا فإن الحى لا يجوز له أن ينيب من يصوم عنه فى حياته أياً كان عذره ؛ لأنه لم يقل أحد من الفقهاء بذلك ، ولم يرد ما يدل على جواز النيابة عن الحى فى الصوم .

وأما الصيام عن الميت ، فإن للعلماء فيه تفصيلات كثيرة نوضحها من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول
فى الصيام عمن أفطر بعذر واستمر به حتى الموت

إذا وجب الصيام على المسلم فلم يصم ، ثم مات وعليه قضاء أيام من رمضان ، فإن كان معذوراً فى تفويت الأداء ودام عذره إلى الموت كمن اتصل مرضه أو سفره أو إغماؤه أو حيضها أو نفاسها أو حملها أو إرضاعها ونحو ذلك بالموت ، لم يجب شىء على ورثته ولا فى تركته لا صيام ولا إطعام عند أكثر الفقهاء (١٥) .

ودليل هــذا :

أن الصيام فرض لم يتمكن المسلم من فعله إلى الموت فسقط حكمه كالحج (١٦) .

وقال قتادة وطاووس : يجب الإطعام على من مات وعليه صيام لم يؤده لعذر ، لأن الصوم واجب سقط عنه بالعجز ، فيصير إلى الإطعام قياساً على الشيخ الهرم إذا عجز عن الصيام لزمه الإطعام (١٧) .

وبالنظر فيما قاله قتادة وطاووس يتضح لنا : أن القياس مردود ؛ لأن المقيس والمقيس عليه مختلفان ، إذ الشيخ الهرم من أهل الخطاب لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ فهو وإن كان لا يستطيع الصوم إلا أنه مطالب بالفدية إن كان قادراً عليها بالنص . أما الميت المعذور فانقطع تكليفه بالموت وخاصة أن الصوم عبادة بدنية .

والراجح من وجهة نظرى رأى الجمهور ـ وهو أن من مات وعليه صيام لم يقضه لعذر اتصل بموته لا شىء على ورثته ، ولا فى تركته لا صيام ولا إطعام ـ لقوة حجتهم ، ولاتفاقه مع القواعد العامة التى جاءت بها الشريعة الإسلامية ، والتى منها رفع التكليف عن غير المستطيع لقوله

(١٢) الآية : ١٨٤ من سورة البقرة .
(١٣) الكافى ١ / ٣٤٤ . ط : المكتب الإسلامى .
(١٤) الآية : ١٨٤ من سورة البقرة .
(١٥) المجموع ٦ / ٣٦٨ مع التصرف .
(١٦) المرجع السابق .
(١٧) المغنى ٣ / ١٤٢ . ط : مكتبة الجمهورية العربية ـ مصر .

تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[18] .. والله أعلم بالصواب ..

المطلب الثانى
فى الصيام عمن مات
وهو مستطيع القضاء ولم يقض

من مات وعليه فرض قضاء من صيام رمضان ولم يقض مع أنه كان يمكنه ذلك ، فقد اختلف الفقهاء فى : حكم الصيام عنه ، أو ما يقوم مقامه من الإطعام ، ويرجع ذلك إلى مايأتى :

معارضة القياس للأثر ؛ وذلك أنه ثبت من حديث عائشة وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ أن من مات وعليه صيام قضى عنه وليه ، فمن رأى أن الأصول تعارضه ، وذلك أنه لا يصلى أحد عن أحد ، ولا يتوضأ أحد عن أحد ، فكذلك لا يصوم أحد عن أحد قال : لا صيام على الولى .

ومن أخذ بالنص فى ذلك قصر الوجوب على : (النذر) ؛ ومن قاس رمضان عليه قال : يصوم عنه فى رمضان ، وأما من أوجب الإطعام فمصيراً إلى قراءة من قرأ ـ ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ ﴾ ـ الآية . ومن خير فى ذلك فجمعا بين الآية والأثر .[19] .

وجاء خلاف الفقهاء السابق محصوراً فى الآراء الآتية :

الراى الأول [20] :

ذهب الجمهور : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى فى الجديد ، والحسن والزهرى فى رواية إلى أنه لا يصام عن ميت لا نذر ولا غيره .

وحكاه ابن المنذر عن ابن عمر وابن عباس وعائشة ـ رضى الله عنهم ـ .

ومع أن الفقهاء اتفقوا على ما سبق ، إلا أنهم اختلفوا فى الإطعام عنه ، وجاء تفصيل ذلك على النحو التالى :

١ ـ **قال الحنفية**[21] : من مات وعليه قضاء رمضان ، فأوصى به أطعم عنه وليه لكل يوم مسكيناً نصف صاع من بر ، أو صاعاً من تمر ، أو شعير .

ولابد من الإيصاء لإلزام الوارث ، فإن لم يوص فللوارث أن يخرجه ولا يلزمه ، وإذا أوصى أخرج عنه من ثلث المال مقدار صدقة الفطر .

٢ ـ **ويرى المالكية**[22] : أنه لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصى به .

أى أن المالكية يجيزون ـ فى حالة إيصاء الميت ـ الصيامَ أو الإطعام .

٣ ـ **وذهب الشافعية** :[23] إلى أنه يُطْعَمُ عنه لكل يوم مُدٌّ من طعام .

٤ ـ وحكى ابن المنذر عن ابن عباس والثورى أنه يُطْعَمُ عن كل يوم مُدَّان [24] .

---

(١٨) الآية ٢٨٦ من سورة « البقرة » .
(١٩) انظر : بداية المجتهد ١ / ٣٠٠ . دار المعرفة ـ بيروت .
(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٧ / ٢٦ . دار الفكر ، المجموع ٦ / ٣٧٢ ، فتح البارى ٤ / ١٩٣ . دار الفكر .
(٢١) انظر : شرح فتح القدير ٢ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨ . دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .
(٢٢) انظر : بداية المجتهد ١ / ٣٠٠ .
(٢٣) انظر : المهذب ١ / ١٩٤ . دار المعرفة ـ بيروت .
(٢٤) انظر : المجموع ٦ / ٣٧٣ .

الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى

الأدلــــة

أولاً : أدلة الجمهور على منع الصيام عن الميت :

١ ـ قوله تعالى [٢٥] : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ . دلت الآية على أن الإنسان لا يحاسب إلا بما كسب من خير أو شر ، فسعيه مجزى به دون سعى غيره .

٢ ـ وعن أبى قتادة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث : « ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجرى يبلغه أجرها ، وعلم يعمل به من بعده » [٢٦] .

بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأعمال التى يعود نفعها على صاحبها بعد الموت ، وليس من بينها الصيام ، فدل ذلك على عدم جواز الصيام عن الميت .

٣ ـ وروى أن ابن عمر كان يُسْأَلُ : هل يصوم أحد عن أحد ، أو يصلى أحد عن أحد ؟ فيقول : لا يصوم أحد عن أحد ، ولا يصلى أحد عن أحد . رواه مالك فى الموطأ . [٢٧] .

٤ ـ وروى عن ابن عباس أنه قال : « لا يصل أحد عن أحد ولا يصم أحد عن أحد » . أخرجه النسائى بإسناد صحيح من قوله .[٢٨] .

وجه الجمهور قول ابن عمر وابن عباس على أنهما يدلان على عدم جواز الصيام عن الميت مطلقاً ، حياً كان أو ميتاً .

٥ ـ وعن عائشة أنها قالت : (لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم) . اخرجه البيهقى .[٢٩] .

٦ ـ وروى أن امرأة اسمها عمرة سألت عائشة ـ رضى الله عنهما ـ عن أمها التى ماتت وعليها من رمضان فقالت لها عائشة : لا تقضى بل تصدقى عنها مكان كل يوم نصف صاع على كل مسكين .[٣٠] .

دل القولان السابقان على أنه لا يجب الصيام عن الميت ، وإنما يطعم عنه وليه . وهذا دليل لمن منع الصيام ، وقال بالإطعام .

وعلق ابن حزم على حديث ابن عباس وعائشة فقال [٣١] : إن كلا من عائشة وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ واللذين روى عنهما المجيزون للصيام ما يؤيد قولهم ـ قد روى عنهما خلاف ذلك ، وإذا ترك الصاحب الخبر الذى روى فهو دليل على نسخه ، لا يجوز أن يظن به غير ذلك ، إذ لو تعمد

---

(٢٥) سورة النجم : الآية (٣٩) .

(٢٦) أخرجه ابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، وابن عبدالبر فى جامع بيان العلم ، وإسناده صحيح كما قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/٥٨ . المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة . .

(٢٧) مشكاة المصابيح ١ / ٦٣٢ المكتب الإسلامى . بيروت .

(٢٨) نقل هذا صاحب عون البارى من ادلة صحيح البخارى عن الشوكانى ٣ / ٤٣ ، ٩ مطابع قطر الوطنية ١٤٠٢ هـ .

(٢٩) السنن الكبرى للبيهقى ٤ / ٢٥٧ . دار المعرفة ـ بيروت ، وقال التركمانى بالهامش يؤيد هذا ما روى عنها بسند صحيح من طريق عمرة بنت عبدالرحمن وهو الحديث التالى .

(٣٠) أخرجه الطحاوى ، وابن حزم فى المحلى ٧ / ٤ ، واللفظ له بإسناد صحيح كما قال ابن التركمانى .

(٣١) انظر : المحلى ٧ / ٤ ـ ٥ . مكتبة دار التراث بمصر .

ترك ما رواه لكانت جرحة فيه ، وقد أعاذهم الله تعالى من ذلك ، وقالوا : لا يصام عنه كما لا يصلى عنه .

٧ ـ ما روى عن عبادة بن نسى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من مرض فى رمضان فلم يزل مريضاً حتى مات لم يطعم عنه ، وإن صح فلم يقضه حتى مات أطعم عنه »(٣٢) .

دل الحديث على أن من مات وعليه صيام لم يقضه بغير عذر وجب الإطعام عنه .

٨ ـ **الدليل من القياس :**

أ ـ الصوم عبادة لا تدخلها النيابة فى حال الحياة ، فلا تدخلها النيابة بعد الموت كالصلاة .(٣٣) .

ب ـ ولأن الصيام عبادة بدنية لا مدخل للمال فيها ، فلا تفعل عمن وجبت عليه كالصلاة .(٣٤) .

الرأى الثانى :(٣٥)

يرى الشافعية فى القديم أن من مات وعليه صيام ، يجوز لوليه أن يصوم عنه ولا يلزمه ذلك ، وعلى هذا القول لو أطعم عنه جاز ، فهو مخير بين الصيام والإطعام .

وممن قال بهذا من السلف طاووس ، والحسن البصرى ، والزهرى وقتادة ، وأبو ثور .

---

(٣٢) المصنف لعبد الرزاق الصنعانى ٤ / ٢٣٧ . المكتب الإسلامى . بيروت . سنة ١٣٩١ هـ .
(٣٣) انظر : المجموع ٦ / ٣٦٧ .
(٣٤) انظر : المحلى ٧/ ٤ .
(٣٥) انظر : المجموع ٦ / ٣٦٩ .

نظرات فى الفقه الأباضى ٢

ظاهرة ينبغى رعايتها

وجاء فى تعريف الفقه عند الأباضية أنه هو : « علم النفس ، ما لها ، وما عليها : فعلا وتركا » وأن الفقه هو : « العلم بأحكام فعل العبد عملا ، وتركا ، وإباحة ووجوبا[1] »..

لفضيلة الشيخ

محمد حسام الدين

وقد أرادوا بهذا التعريف الأخير إخراج علم العقائد لأن أحكامه أحكام علمية لا تتعلق بفعل العبد : ولكن تتعلق بالسمعيات تصديقا .

كما قصدوا إخراج علم الأخلاق ، لأن الأخلاق صفات داخلية محمودة أو مذمومة .

وهذه الصيغة الأخيرة من صيغ تعريف علم الفقه تتفق إلى حد كبير مع أشهر تعريفات الفقه لدى أهل السنة وهو : « العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية »[2] ...

لكن مدلول الصيغة الأولى لدى الأباضية يشمل العقائد والأخلاق بوجه ما .

ومن هنا فقد عمد كثير من فقهائهم إلى تحرير المراد بالفقه فقال : « المراد بالفقه ما يعم العلم بالعمليات والعقائد ، والأخلاق »[3] ..

وهذا ما يجرى عليه العمل فى المذهب الأباضى ، فإنك لا تجد كتب الفقه إلا جوامع تجمع الأحكام العملية إلى كثير مما يدخل فى باب العقائد من مثل : « ما يسع المسلم جهله » « وما لا يسعه جهله » « وموقف المسلم من أهل المعصية » « والحديث عن الفرقة الناجية من المسلمين » « والولاية والبراءة » . وهكذا .. نظرا

(١) العلامة السالمى ـ شرح طلعة الشمس ـ جـ ١ ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) متن جمع الجوامع لابن السبكى .

(٣) شرح بهجة الأنوار ـ العلامة السالمى ص ٣٢ .

لوثاقة الصلة فى المذهب بين الأحكام العملية وهذه العقائد .

وكذلك فإن هذه الجوامع تضم الأخلاق الواردة فى أبواب الأدب ، وأبواب الرقاق .

كل هذا ينضوى تحت مفهوم الفقه كما أسلفنا ، ويتأثر به الرأى الفقهى فى غالب الأمر .

ويترتب على هذه السمة العامة ظاهرة تبدو واضحة لمن يتابع الآراء الفقهية فى المذهب ويجمع بينها ، وهى أن الرأى الفقهى يشتد بعض الشىء ـ وتبعا للرأى العقدى ـ كلما كان الفقه فى أرض ، أو موقع من مواقع العزلة ، يعانى فيه الأباضية ضغوطا ممن حولهم من المسلمين ، على ما كان عليه الحال بعد سقوط الدولة الرستمية سنة ٢٩٧ هـ فى شمال أفريقيا .

وقد نلحظ هذه الظاهرة فى فقه الشيخ أبو يعقوب يوسف الورجلانى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ . والشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثمينى المتوفى سنة ١٢٢٣ هـ . صاحب كتاب « النيل وشفاء العليل » ..

أما الظروف والأحوال الهادئة التى يلتقى فيها الأباضية بمن حولهم من المسلمين فى أمان ، ومودة ، فإن الرأى الفقهى فيها يبدو سلساً إلى حد كبير ، ويقترب من آراء فقهاء مذهب أهل السنة . فيما عدا ما يكون مرتبطا بأصل عقدى خاص بالمذهب .

هذا ما يتسم به الفقه العمانى فى الفترة المتقدمة التى دأب فيها فقهاء عمان على الاتصال بفقهاء البصرة ، وفى الفترة الأخيرة التى انتفضت فيها عمان فى ظلال الغزو والنفوذ الغربى ، فنشط فيها الفقه وعاد إلى السلاسة ، وارتبط بالأصول ، وبالفقه الإسلامى الشامل .

أما العصور الوسطى الإسلامية فقد خمل فيها التأليف وانقطع الفقه عن أصوله ، وأصبح مجالا لإيراد الرأى الشديد المضطرب .

ونحن إذا اطلعنا على « جامع » ابن بركة ، وهو الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن بركة البهلوى العمانى من علماء القرن الرابع الهجرى ، وجدنا به علما عميقا واسع الإحاطة بالأصول ، وبالأحكام ، يعرض آراء الأئمة من أهل السنة ، ويختار منها أحيانا ، أو يرجِّح رأيا فى مذهبه يخالف هذه الآراء .

وهو فى نظره للمسائل يجرى على النسق العام لفقهاء المذاهب السنية .

ويأتى على غراره كتاب « الجامع » لأبى الحسن البَسْيَوى تلميذ ابن بركة ومن الفقهاء المتقدمين فى المذهب[٤] ..

فإذا انتقلنا إلى الفترة التى وقع فيها العالم الإسلامى بأسره فى ربقة السيطرة الغربية ، وكانت فيها عمان مطمح الأنظار الأوروبية نظرا لموقعها الفريد من الخليج ، والبحر العربى ، والمحيط الهندى .

وهو العهد الذى نشطت فيه حركة الإبحار بين عمان وبين كثير من البلاد الإسلامية وغيرها .

فى هذه الفترة نشط التأليف الفقهى ، من جديد راجعا إلى أصوله العامة ، مبسوطا ، جامعا لوجوه الرأى ، ميسرا بنسبة كبيرة .

(٤) مقدمة الكتاب ـ ص ٩ ـ جـ ١

نظرات فى الفقه الأباضى

ونذكر من التآليف الجيدة الواضحة فى هذه الفترة ، « قاموس الشريعة » للعلامة الشيخ جميل بن إبراهيم الشجبى من علماء القرن الثالث عشر الهجرى .

وكتاب « بيان الشرع » وهو من تصنيف الشيخ محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندى النزوى ، من علماء هذا العهد .

وإن من أوضح التآليف فى إبراز سمت الفقه الأباضى فى الفترة الأخيرة ، استنادا إلى الآراء الإسلامية العامة ، مؤلفات العلامة أبى محمد بن عبد الله بن حميد السالمى ـ المتوفى ١٣٣٢ هـ ، ومنها كتاب « شرح طلعة الشمس » فقد رجع فيه إلى الآراء الإسلامية المختلفة كآراء عطاء ومالك ، والشافعى ، والمحاملى ، وابن الحاجب ، والبغوى ، والتفتازانى ، والرازى ، وأبى الحسن الأشعرى ، وأبى بكر الباقلانى ، والغزالى ، وأبى إسحاق الشيرازى ، وأبى المظفر السمعانى ، وابن السبكى ، والبنانى ، والمحلى ، والسيوطى وابن حزم الأندلسى ، كما رجع إلى آراء أبى هاشم الجبائى والقاضى عبد الجبار المعتزلى ، وغيرهم من علماء المذاهب الإسلامية .

رجع إلى هؤلاء فى عرض الرأى مثلما رجع إلى علماء مذهبه من مثل أبى الربيع ، والبدر الشماخى ، وعمروس ، وابن بركة ، والكرمى وأبى يعقوب الورجلانى وغيرهم(٥) .

قال السالمى ـ رحمه الله : لقد أخذت غالبه ـ أى غالب الكتاب ـ من منهاج الأصول ، ومن شرح البدر الشماخى على مختصره ، ومن مرآة الأصول ، وحاشية الأزميرى عليها ، ومن التلويح على التوضيح .. ومن شرح المحلى على جمع الجوامع ، وحاشية البنانى عليه .

فتارة : أخذ المعنى من هذه الكتب ، وتارة : آخذ المعنى بلفظه ومرة : أعزوه إلى مأخذه ، ومرة لا أعزوه .

كل ذلك بحسب موافقة الحال ، لا لأجل أن يقال ، والله المطلع على السرائر ، فلا يحسبن من وقف على هذا الشرح أن جميع ذلك من عندى(٦) .

وقد نبه العلامة السالمى إلى ضعف الفقهاء فى فترة الخمول والاضطراب وعدم درايتهم ، بتمييز غث الأقوال من ثمينها ، وخفيفها من رزينها فى المذهب فقال : (إن معرفة الفقه متوقفة على معرفة أصول الفقه ، فلا يتوصل أحد إلى معرفة الفقه حتى يكون عارفا بأصول الفقه ..

فإن قيل إن أصول الفقه إنما وضع فى القرن الثالث ، وهو زمان تابعى التابعين : فالصدر الأول من الصحابة والتابعين كانوا أفقه ممن بعدهم . فأين ذلك التوقف ؟ . قلنا : إن الذى وضع فى القرن الثالث إنما هو اصطلاحات الفن ، فإنه كان معلوما للصحابة ومن بعدهم ، فهم يقدمون الخاص على العام ، ويردون المتشابه إلى المحكم ،.. وهكذا ..

وهذه الكيفية هى نفس أصول الفقه فاندفع الإشكال ..

(٥) فى الدلالة على هذا العرض تراجع الصفحات ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، من الجزء الأول ـ وغيرها من صفحات الكتاب فهى اشارات شائعة فيه .

(٦) ص ٣٠٨ جـ ٢ من الكتاب .

نعم ـ وعلى طريقة الصدر الأول من الصحابة والتابعين قد جرى كل سلفنا من أهل عمان ، فتراهم يحكمون بالخاص فى موضع الخصوص ، وبالعام فى موضع العموم ، وبالمطلق فى موضع الإطلاق وبالمقيد فى موضع التقييد . وهكذا من غير أن يذكروا نفس العبارات التى اصطلح عليها أهل الفن .. وربما ذكرها بعضهم كابن بركة ..

لكن لما كان الذكاء القوى ، والفطنة الواقدة اللذان توصلوا بهما إلى وضع الأشياء فى مواضعها ، معدومين فى أهل زماننا تعذر عليهم الوصول إلى استنباط الأحكام من أدلتها إلا بعد معرفة اصطلاحات الفن وممارسة قواعده ، وضبط علله ، وقوادحه إجمالا وتفصيلا[٧] ..

وقد رغب عن ذلك كثير من أهل زماننا لجهلهم بما فيه من التحقيق ، وصعوبة ما فيه من التدقيق ، فقصارى فقههم حفظ أقوال الفقهاء ، وغاية نباهة أحدهم رواية ما قاله النبهاء ، لا يدرون غث الأقوال من ثمينها ، ولا خفيفها من رزينها ، قد حبسوا فى التقليد المضيق ، عن فضاء التحقيق ..» أ .هـ

وأيضا فقد نبه الكندى[٨] إلى هذه الظاهرة فقال :

(فالواجب عليه إذا أراد التفقه أن يتعرف على أصول الفقه وأمهاته ليكون بناؤه على أصول صحيحة .. لأنى رأيت العوام من متفقهى أصحابنا[٩] ، ربما غاب عنهم كثير من معرفة ما ذكرنا ، وتكلم عند النظر ، ومحاجة الخصوم بما تنكره الخاصة منهم وأهل المعرفة بذلك ..

لأنهم ربما وضعوا اللفظة فى غير موضعها ، ونقلوا الحجة إلى غير جهتها واستعملوها فى غير أماكنها ، والله نسأله توفيقنا وإياهم لما يقربنا إليه) .

من أجل هذا ينبغى لمن نظر فى فقه الأباضية أن يتعرف على طبقات فقهائها ، ومواطنهم ، وظروف التأثير فى رأيهم ، فى حال الكتمان والشدة ، أو حال العلن واليسر ، ليطمئن بهذا إلى أنه أصاب الرأى الوسط فى المذهب ..

والله ولى التوفيق

---

(٧) شرح طلعة الشمس ـ جـ ١ ـ ص ١٤ .

(٨) الشيخ محمد بن إبراهيم الكندى ـ مصنف كتاب «بيان الشرع » انظر ص ١٧ جـ ١ .

(٩) المراد : الأباضية .

قبس من أنوار النبوة

الصدقة عن الميت

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن عائشة - رضى الله عنها - أن رجلا قال للنبى - ﷺ : إِنَّ أُمِّى افْتُلِتَتْ نفْسُهَا ، وإِنِّى أَظُنُّهَا لَوْ تكلمتْ تَصَدَّقتْ فَلِى أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقتُ عنْها ، قَالَ : (نَعَم) - رواه مسلم .

جاء فى رواية لابن عباس رضى الله عنهما : أن الرجل السائل فى حديث السيدة عائشة : هو سعد بن عبادة الأنصارى - رضى الله عنه - وهو سيد من سادات الخزرج ، وصاحب راية الأنصار ، كان جواداً كثير الصدقة يحسن العوم والرمى ، مات بـ (حوران) بدمشق سنة خمس عشرة أو ست عشرة .

وأمه : عمرة بنت مسعود بن قيس ، أنصارية خزرجية أسلمت وبايعت النبى - ﷺ - وماتت سنة خمس من الهجرة ، والنبى - ﷺ - فى غزوة دومة الجندل ، وابنها سعد بن عبادة معه ، فلما رجعوا صلى النبى - ﷺ - على قبرها .

إن الصحابى الجليل سعد بن عبادة يحرص على الفوز برضاء أمه والإحسان إليها حية وميتة فيقول : إن أمى افتلتت نفسها - أى ماتت فجأة من غير مرض ، وإنى أظنها لو تكلمت تصدقت ، وهذا يدل على أنها لم تتكلم بما تريد أن تتصدق فتوقفت صدقتها بمفاجأة الموت لها .

وفى رواية الموطأ أنها تكلمت ولكن سعدا لم يعلم بما وقع منها ، والصدقة (الوصية) بدليل

الرواية الأخرى : إن أمى ماتت ولم توص أو (النذر) كما جاء فى رواية البخارى «إن أمى ماتت وعليها نذر» ولا تنافى بين الروايتين لاحتمال أن يكون سأل عن النذر وعن الصدقة ، وقد ورد أن (النذر) كان عتق رقبة فماتت قبل أن تعتق فقال سعد : أفيجزى أن أعتق عنها فقال النبى - ﷺ - «أعتق عنها» .

قال سعد رضى الله عنه : «وأظنها لو تكلمت تصدقت» وسند هذا الظن ما كان يعلمه عنها من حرصها على فعل الخير ، ورغبتها فى الطاعات .

«فلى أجر إن تصدقت عنها» وفى بعض الروايات «أفلها أجر» كأنه يقول أيشرع لى التصدق فلى أجر ؛ لأن المقصود : السؤال عن مشروعية التصدق عنها والأجر .

ومما لا خلاف فيه أن عمل الطاعات متى كان مشروعا أجر عليه صاحبه المباشر له لقول الله تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام) . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ . الكهف

وإنما الخلاف فى نفع الغير بهذا العمل إذا قصد به ذلك الغير وعمل لحسابه كما فى حديثنا ، وقد أقر النبى - ﷺ - مشروعيته ، ففيه الأجر لذلك الغير متى نوى به ، أو وهبه له ، وإن لم يحصل منه نية على فعلها ، وقد يثبت للميت من الأجر من غير معرفة ولا نية كما يدخل فيه أجر من يقتاته ، وأجر من يأخذ من ماله .

وكما أن ثواب الصدقة يصل للميت وينفعه كذلك المتصدق له أجر السعى ، فكل من المباشر للعمل والمعمول له مأجور . لا ينقص أحدهما من أجر الآخر شيئاً .

وكذلك ينتفع الميت بالدعاء ، صح فى الخبر «إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد فى الجنة فيقول العبد .. أنى لى هذه ، فيقول الله - عز وجل باستغفار ولدك لك» رواه أحمد بإسناد حسن .

أما (الصلاة والصيام) وقراءة القرآن والذكر وغير ذلك فقد قال جماعة من العلماء منهم الإمام أحمد وجمهور السلف بوصول ثواب جميع هذه العبادات إلى الميت ، جاء فى البخارى فى باب «من مات وعليه نذر» أن ابن عمر أقر من ماتت أمها وعليها صلاة أن تصلى عنها ، وبذلك قال عطاء ابن أبى رباح ، وإسحاق بن راهويه ، وقال الإمام البغوى فى كتابه (التهذيب) : لا يبعد أن يطعم عن كل صلاة مدا من طعام ، ودليلهم على ذلك القياس على الدعاء والصدقة والحج ؛ فإنها تصل إلى الميت بالإجماع .

وقال محققو المتأخرين من الشافعية : أنه يصح الصوم عن الميت أو تخرج عنه الفدية لكل يوم مد من غالب قوت البلد . وهذا بخلاف المشهور من مذهب الشافعى ومالك ومن وافقهما : لقوله تعالى ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ . النجم

ولقوله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» .

وأجيب بأن المعنى ليس للإنسان إلا ثواب ما سعى من حيث أن مناط نفع هذه الأعمال للميت هو إيمانه ، فما لم يؤمن لم يكن لشىء منها نفع ، فهى من سعيه لتوقفها على الإيمان الذى هو سعيه وكذلك لا إشكال فى الحديث فإنه لا ينافى أن له ثواب عمل غيره الذى عمل له لأنه من سعيه .

وأما الحقوق المالية الثابتة على الميت سواء كانت لله كالزكاة والحج والنذر والكفارة ، أو حقا

قبس من انوار النبوة

الصدقــة عن الميــت

للآدميين كديونهم وودائعهم فمذهب الشافعية وطائفة : أنه إن كان للميت مال وجب قضاؤها من رأس المال ، سواء أوصى بذلك أم لا ، إلا أن (النذر) إن كان فى مرض الميت فإنه يكون من الثلث ومذهب الحنفية والمالكية ، أنه لا يجب قضاء شىء من ذلك إلا إذا أوصى بذلك فيكون من رأس المال عند الحنفية ومن الثلث عند المالكية .

وإذا لم يترك الميت مالا فالشافعية والجمهور على أن الوارث لا يلزمه قضاء الدين لكنه يستحب ، وقال الظاهرية بلزوم قضاء الدين عملا بظاهر الحديث ، وأجيب : بأنه ليس فى الحديث تصريح بإلزام سعد ولكنه فعل ذلك تبرعا .

ونأخذ من الحديث : فضل بر الوالدين فى حياتهما وبعد موتهما ، واستحباب الصدقة عن الميت ، وأن ثوابها يصل إليه وينفعه كما ينفع المتصدق .

وأن الوصية مندوبة لا واجبة ؛ لأن النبى - ﷺ - لم يذم (أم سعد) على ترك الوصية ؛ بل بادر بالصلاة على قبرها وكيف كان الصحابة - رضى الله عنهم - يرجعون إلى النبى ﷺ فى أمورهم الدينية والدنيوية .

وفى الحديث أن موت الفجاءة غير مكروه فى كل أحواله ؛ لأن النبى - ﷺ - لم يظهر منه كراهية حين أخبر بموت أم سعد فجأة ، وما ورد مما يفيد أنه مكروه كما جاء فى خبر أبى داود «موت الفجاءة أخذة آسف» أى غضبان ، محمول على الفاجر الذى لم يتهيأ للموت ولذلك كان أخذه أخذا حيث فعل ما أوجب الغضب عليه ، والانتقام منه ، وأخذه بغتة .

يؤيد ذلك ما ورد عن السيدة عائشة وابن مسعود - رضى الله عنهما : «موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر» .

قال النووى : إن جماعة من الأنبياء والصالحين ماتوا كذلك ، وهو محبوب للمراقبين .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ، وختم لنا بالإسلام والإيمان .

كتب فضيلة الشيخ بهجت مامون ذكرى إلى المجلة يلفت النظر إلى (تعبيرين) وردا بهدية المجلة « محمد المصطفى - صلى الله عليه وسلم » التى صدرت مع عدد رجب ١٤١١ هـ وذلك لتصحيح العبارة الواردة بصفحة ٣٧ سطر ١٥ « راى الله بسامى حكمته » لتكون : « تفضل الله - تعالى - بسامى حكمته » .

والعبارة صفحة ٤٦ سطر ١٤ « الذبيح الذى قرر الله .. الخ » لتكون « الذبيح الذى قضى الله - تعالى - بقِدَمِ علمه أو قدم إرادته » الخ ..

نشكر لفضيلة الشيخ تصحيحه سائلين الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل ويعفو عن زلاتنا .

جاء ص ٨٧٥ من عدد شعبان فى النهر الأيمن سطر ١٥ كنت استاذنا للشيعة ، وصحتها كنت استاذنا للشريعة .

التحرير

في صدر الإسلام

من روائع الفن العسكري

للأستاذ الدكتور
محمد بهاء الدين محمود حنفي *

لقد بذل المستشرقون كل ماق وسعهم لإثبات أن انتصار المسلمين في معارك الفتح الإسلامي كان راجعاً إلى ماأسموه « الحماسة الدينية » فقط دون ماوعي بالعمل الحربي والعبقرية التقدمية فيه وراحوا يصورون الجيوش الإسلامية وكأنها مجموعات من المتعصبين يكتسحون كل ما أمامهم بهجمات محمومة دون أن يمتلكوا ناصية «فن وعلم الحرب »[1] وعلى الرغم من أن الجنرال «جلوب» كان في مقدمة من عملوا على ترسيخ تلك الفكرة المشوهة وبخاصة في كتابه « الفتوحات العربية الكبرى » ، فإنه تراجع واعترف بالحقيقة في كتابه « امبراطورية العرب » ولكن في إشارة موجزة وعابرة بقوله : « ظل العرب يمثلون أقوى قوة عسكرية في العالم بلا منازع طيلة قرنين كاملين .. ولايمكن أن ينسب استمرار هذا التفوق العسكري مثل هذه المدة الطويلة إلى مجرد تفجر «الحماسة الدينية » ، إذ أنه يعني أول ما يعني ، أنهم كانوا أكثر شعوب العالم في ذينك القرنين إتقانا لفن الحرب العسكري »[2] .

إن ماذكره «جلوب» هو وصف متواضع لما أنجزته المدرسة العسكرية الإسلامية من تطوير لفن الحرب اعتبره الكثير قفزة هائلة تمثلت في ابتكار وتطوير (استراتيجية) الحرب المتحركة التي لم تكن معروفة من قبل ، وكانت معارك الفتح الإسلامي هي الميدان الذي شهد هذا التطوير . ونحن نتفق في الرأي مع أستاذنا « اللواء الركن محمود شيت خطاب » في أن العسكرية الإسلامية رائدة وأنها عربية إسلامية خالصة وأن بعض من يقارنون بين المعارك القديمة والمعارك الحديثة يجعلون من العسكرية الإسلامية ذنبا للعسكرية الأجنبية »[3] إلا أننا نرى أيضا أن استخدام منهج المقارنة بين القديم والحديث مع وضع ظروف كل عصر في الاعتبار ،

* الكاتب لواء أركان حرب متقاعد .

من روائع الفن العسكرى

هو أسلوب مناسب لتأكيد حقيقة (ريادة الفن العسكرى الإسلامى) وأن الأمر لم يكن مجرد « حماسة دينية » لاغير كما يدعى البعض . فالمعركة الحديثة تتضمن صوراً ثلاثاً وهى :
المعركة الدفاعية .
والمعركة الهجومية .
والمسير مع توقع الدخول فى معركة تصادمية .

وبرغم اتفاق العسكريين على أن الصورة الأخيرة من صور المعركة هى أكثرها صعوبة فى التنظيم والإدارة ، فإن القليل منهم من يعلم أن الفضل فى وضع اسسها ومبادئها يرجع إلى المسلمين الأوائل ، وأنهم سبقوا فى هذا المضمار كلا من الفرس والروم . وهو ماسوف نبرزه فى مقالنا من خلال المقارنة بين المفهوم الحديث لهذه الصورة من صور المعركة ، والمفهوم القديم لها لدى المسلمين وأعدائهم .

(المسير) والمعركة التصادمية فى الحرب الحديثة

المسير : هو تحرك منظم للقوات فى أرتال* من منطقة لأخرى عبر طرق ومناطق مختلفة للوصول إلى خط أو منطقة معينة فى وقت محدد بحيث تكون القوات المتحركة فى حالة استعداد كامل لتنفيذ مهمتها القتالية بنجاح . وبجانب أهمية اتباع قواعد السرية والإخفاء والوقاية فإن السيطرة على (المسير) تمثل احد أهم عوامل نجاحه . وتتحقق من خلال تحديد الفواصل بين عناصر وأرتال القوات بما يتلاءم وطبيعة الأرض وسرعة التحرك ، وكذا تحديد نقاط وخطوط للسيطرة وأماكن للوقفات والراحات (لراحة الأفراد ولصيانة المعدات والأسلحة) . كما يتم تأمين المسير بدفع عناصر الاستطلاع والوقاية والحراسة (حرس أمامى ـ أحراس للجنب وللمؤخرة) مع دفع مقدمة أمام رتل القوة الرئيسية ، وأحيانا يتم أيضا دفع مفارز للقتال ، وتعطى اهمية خاصة للسيطرة على نظام استهلاك المياه عند المسير فى المناطق الصحراوية ، وذلك فضلا عن أهمية تنظيم تحرك الرتل الإدارى وحمايته .

وتزداد صعوبة تنظيم وتنفيذ المسير إذا ماجرى مع توقع الدخول فى قتال تصادمى مع العدو . والمعركة التصادمية هى المعركة التى يحاول فيها كلا الجانبين تحقيق مهامهما القتالية بالهجوم ، ولعل أفضل وصف لتلك المعركة أنها أشبه بالمعركة السريعة الشرسة التى تنشب بين نمرين يحاول كل منهما أن يعتلى ظهر خصمه ليطعنه فى مقتل ، ولذلك فإن النجاح فى هذه المعركة يتوقف على أهمية المحافظة على معدل التقدم السريع والقيام بأعمال القتال الحاسمة بسرعة الفتح إلى تشكيل المعركة والهجوم ضد اجناب ومؤخرة العدو لتجزئة قواته وتدميرها على مراحل . كما أن النجاح فيها يعتمد على تحقيق المبادأة والمحافظة عليها عن طريق توفير المعلومات المبكرة عن العدو والأرض ، وسرعة اتخاذ القائد للقرار المناسب والجرأة فى تنفيذه .

كل هذه العوامل تشير إلى أهمية دفع العناصر التى تمد القائد بالمعلومات باستمرار . كما أنه من الضرورى دراسة الحالة السياسية والاقتصادية فى منطقة العمليات المنتظرة ، وبخاصة موقف الأهالى المحليين وميولهم والموارد

* أرتال جمع رتل ـ بزنة قلم : صف من الجنود عميق ومتراص .

المادية المحلية بالمنطقة . وبعد هذا العرض الموجز للمفهوم الحديث لتلك المعركة ، نحاول تتبع المفهوم القديم لها .

(المسير) والمعركة التصادمية لدى الفرس والروم :

تميزت تكتيكات الفرس والروم قبيل نشوب معارك الفتح الإسلامى ، بالجمود والثبات . فقد اعتمد الفرس والروم على القتال فى تكتلات تقليدية برغم أن هذه التكتلات تطورت من تشكيل القتال المعروف «بالفلانكس» وهو مكون من خطين قتاليين ، إلى تشكيل « الليجون » المكون من ثلاثة خطوط أو أنساق مقسمة داخلها إلى وحدات فرعية زادت من عمق تشكيل القتال ومن قدرته على الحركة والمناورة باستخدام الاحتياط . كما برز دور سلاح الفيلة فى جيش الفرس باعتباره عنصر الصدمة (كالمدرعات) تستغل - بخاصة - عناصر المشاة الفارسية التى تتقدم خلفه مباشرة لتحقيق الاختراق[٤] .

أما (المسير) لدى الفرس والروم ، فكان الهدف الغالب له هو تحريك تلك التكتلات التقليدية إلى جبهة القتال دون اتخاذ تشكيل مناسب للقتال التصادمى أثناء التقدم فيما عدا دفع بعض عناصر الاستطلاع والإنذار .

أى أن تكتيكات الفرس والروم لم تخرج عن نمط القتال الجامد المعتمد على الاشتباك من الاتصال المباشر بالعدو ، ولم تتبلور لديهم أساليب القتال المناسبة للاندفاع واختراق المناطق الصحراوية والدخول فجأة فى قتال تصادمى . وهو مايفسر إصرار الجنرال «جلوب » على تكرار أن المسلمين كانوا دائما يسعون فى كل معركة إلى جر الجيش الرومانى إلى القتال فى الصحراء أو فى السهول المنبسطة فى سوريا بينما استندت استراتيجية « هرقل » على الاحتفاظ بقواته فى الخط الدفاعى المحصن بتلك المنطقة »[٥] وهو ماينفى تماما الادعاء بأن المسلمين اقتبسوا أسلوبهم فى المسير والقتال التصادمى من أعدائهم ، لأن أعداءهم افتقدوا هذا الأسلوب بل إنهم عجزوا عن اقتباسه من المسلمين بدليل انهم لم يجرءوا أبدا على اختراق الجبهة والتوغل فى عمق الدولة الإسلامية رغم التفوق العددى الساحق لقواتهم .

(المسير) والمعركة التصادمية لدى المسلمين :

كان التقسيم الخماسى للجيش (إلى : قلب ، ميمنة ، ميسرة ، ساقة فمقدمة) معروفا عند العرب فى العصر الجاهلى بدليل أنهم استخدموا كلمة « الخميس » فى شعرهم آنذاك[٦] . كما أنهم حددوا لكل عنصر من عناصر الخميس مهمة محددة عند نشوب القتال ، ذكر «الهرثمى » تفاصيلها فى كتابه [٧] . ثم جاءت معركة «بدر الكبرى » كى تفتح الباب أمام تطور وبناء المدرسة العسكرية الإسلامية الرائدة . فقد كان **«تشكيل مسير » قوات المسلمين إلى تلك الغزوة يعد قمة فى تطور فن الحرب آنذاك ، حيث تضمن : حرس مقدمة ، وقوة رئيسية ، وحرس مؤخرة ، مع دفع داوريات استطلاع امام القوات وعلى اجنابها لإعطاء إنذار مبكر عند ظهور العدو**[٨] . وعندما تولى أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) الخلافة ، عكست توجيهاته - إلى خالد بن الوليد عندما أرسله لحرب المرتدين مدى التطور فى مجال الاهتمام بالفن والعلم العسكرى لدى المسلمين . فقد تضمنت تلك التوجيهات (التركيز) على أهم نقاط تنظيم المسير والمعركة التصادمية باتخاذ تشكيل

من روائع الفن العسكرى

المسير المناسب ، وتحديد تشكيل القتال التصادمى ، وأسلوب تنظيم الاستطلاع والحراسة والوقاية وتحقيق المفاجأة وتوفير المطالب الإدارية للقوات(٩) . ثم قام خالد بن الوليد فى معركة « اليرموك » بالجمع بين نظام « الخميس » ونظام «الكراديس»* ، وعبأ قواته على هذا الأساس الذى اعتبر فتحا جديدا فى الفن العسكرى الإسلامى ولذلك سميت باسمه « التعبئة الخالدية »(١٠) .

وهكذا ، بينما ظل الفرس والروم يقاتلون بكتلهم الجامدة وبأساليبهم التقليدية ، تمكن المسلمون من تطوير نظام التعبئة أو المسير مع توقع الدخول فى معارك تصادمية كما نسميه فى المصطلحات العسكرية المعاصرة ، حتى بلغ قمة نضجه فى عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) . وهو مايعكسه بأمانة كتاب عمر إلى قائد جيشه سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) قبيل خوضه لمعركة « القادسية » . وهو ماسوف نراه بوضوح من خلال استعراضنا لهذا الكتاب .

كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)(١١) .

على الرغم من أن ماتضمنه هذا الكتاب يتناول الأمور العامة ، فهو بمثابة توجيهات صادرة من القائد الأعلى إلى قائد الجيش الميدانى ، فإنه يبين مدى روعة وعظمة تطور الفن العسكرى الإسلامى مقارنا بمفاهيم الحرب الحديثة . لذلك سوف أكتفى بعرض الكتاب مجزءا مع إضافة بعض الشروح الموجزة لإظهار هذه الروعة .

١ - مقدمة الكتاب

الهدف و الغاية

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد : فإنى آمرك ، ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله افضل العدة على العدو ، واقوى المكيدة فى الحرب ، و آمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ؛ لان عددنا ليس كعددهم ، ولاعدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية ، كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا ان عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ماتفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله ، ولاتقولوا : إن عدونا شر منا ، فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بنى إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا ، واسالوا الله العون على انفسكم كما تسالونه النصر على عدوكم ، اسال الله تعالى ذلك لنا ولكم) .

بهذه المقدمة المباركة ، بعد الاستفتاح بذكر الله تعالى ، بدأ أمير المؤمنين بكلمة الامر آمرك فى صياغة قوية تحمل كل معانى الإصرار والتصميم ، وتمتد لتشمل كل الأجناد كى تؤكد مسئولية القائد عن كل فرد فى جيشه . ثم عمد

* الكردوسة : الطائفة العظيمة من الخيل أو الجيش والجمع كراديس .

إلى توضيح الركيزة الأولى لتحقيق النصر ووضعها موضع الصدارة فى توجيهاته ، حيث وجه قائد جيشه وجنوده من ورائه إلى أن العقيدة الراسخة والإيمان القوى والاستمساك بأوامر الحق سبحانه وتعالى هى طريق المسلمين إلى النصر . وفسر ذلك فى إيجاز وبلاغة فأثبت أن نتائج المقارنة المادية للقوات بشريا وتسليحا لن تكون بحال فى صالح المسلمين ، وأن « تقوى الله » هى وسيلتهم كى يميل ميزان القوى لصالحهم .

ولاشك أن وقع هذه المقدمة على ايجازها لايدانيه وقع عبارات «التوجيه المعنوى» التى لاتقوم على العقيدة والتى تتصدر تعليمات وأوامر القتال والعمليات فى الحرب الحديثة .

٢ ـ القدرة على المسير :

(وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ، ولاتجشمهم مسيرا يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكراع) .

تعنى القدرة على (مسير القوات) فى مفهوم المعركة الحديثة ، أنها أقصى مسافة يمكن للقوات قطعها خلال يوم مع استعدادها لمواصلة المسير بنفس المعدل لليوم التالى . وهنا تبرز مهارة القائد فى الموازنة بين عاملين متضادين : سرعة التحرك .. وراحة القوات . وقد يضطر القائد إلى تنفيذ المسير على عجل فى حالة قلة الوقت المتيسر للوصول إلى الهدف وهو مايسمى (المسير الاضطرارى) ويكون على حساب (إجهاد القوات) . وأهم هدف من المسير هو (وصول القوات إلى الخط المحدد) بحيث تكون فى حالة استعداد كامل للقتال بنجاح ، وهو مايعبر عنه حديثا بـ (أهمية المحافظة على درجة الاستعداد القتالى للقوات طوال المسير) ولقد بين أمير المؤمنين هذا المفهوم فى عبارة بليغة موجزة حوت الأمر كله .

٣ ـ الوقفات والراحات :

واقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها انفسهم ، ويرمون أسلحتهم وامتعتهم . وَنَحِّ منازلهم عن قرى اهل الصلح والذمة فلا يدخلها من اصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزا احداً من اهلها شيئا ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ، ولاتستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح) .

تضمنت هذه الفقرات أسلوب تنفيذ الوقفات والراحات ومدتها ومعدل تنفيذها والهدف منها والأعمال التى تتم فيها لتوفير الراحة للأفراد والتفتيش على الأسلحة والمعدات وصيانتها وإصلاح ماتلف منها . كما تضمنت تحديد طبيعة الأماكن والمناطق المناسبة لتنفيذ هذه الراحات وأسباب ذلك ، ففضل أن تكون بعيدة عن المناطق المأهولة بالسكان مراعيا فى ذلك دواعى الأمن فضلا عن الجوانب السياسية المتعلقة بالمحافظة على العهود الممنوحة لأهل الصلح والذمة وعدم توريطهم فى قتال أو تعريضهم لأضرار لا مبرر لها .

والواقع أن الخبراء العسكريين يدركون تماما مدى دقة وروعة هذه الفقرات وأنها تضاهى ماتوصل إليه فن وعلم الحرب المعاصر .

والواقع أيضا أن التزام أمير المؤمنين بما حتمته الشريعة الإسلامية وتمسكه بها كان هو المنطلق لهذا الأمر ، ولا يمنع ذلك أن هذا الالتزام كان فى نفس الوقت يحقق الأمن لقوات المسلمين فى مسيرهم ويحمى ظهورهم عند القتال .

من روائـع الفـن العسكـرى

٤ ـ الاستطلاع والأدلاء :

(وإذا وطئت ارض العدو فَأَذْكِ العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك امرهم ، وليكن عندك من العرب أو من اهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لاينفعك خبره ، وإن صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عينا لك) .

تشير هذه الفقرات إلى أن عناصر الاستطلاع كانت تتولى القيام بمهامها طوال المسير ، وأنه بالوصول إلى أرض العدو ، يجب على القائد أن يكثف من دور هذه العناصر وأن تركز على مهام محددة هى دراسة الأرض بين قوات المسلمين والعدو ، والحصول على المعلومات الكاملة عن العدو وإرسالها بسرعة إلى القائد . وقد عبر أمير المؤمنين عن كل ذلك فى إيجاز بليغ بقوله **ولا يخف عليك امرهم** .

ثم أكد على أهمية استخدام « الأدلاء » لأن المسلمين يقاتلون فى أرض جديدة عليهم ، كما حدد أهم شروط « الدليل » وهى إلمامه بطبيعة الأرض وولاؤه وصدقه وأمانته .

٥ ـ عناصر الأمن والمفارز :

(وليكن منك عند دنوك من ارض العدو ان تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم ، وتتبع السرايا عوراتهم ، وتنق للطلائع اهل الراى والباس من اصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوا كان اول ماتلقاهم القوة من رايك ، واجعل امر السرايا إلى اهل الجهاد ، والصبر على الجِلاد ولا تخص بها احدا بهوى فتضيع من رايك وامرك اكثر مما حابيت به اهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ، ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة او ضيعة او نكاية) .

تضمنت هذه الفقرات سردا سلسا وموجز لتسلسل إجراءات اى قائد ناجح قبيل الاشتباك فى المعركة التصادمية :

الإجراء الأول : هو الإكثار من عناصر تأمين المسير عند الاقتراب من العدو ، ثم دفع المفارز (قوات صغيرة قوية) لملاقاته قبل قتاله بالقوات الرئيسية . كما شملت التعليمات تحديداً قاطعاً لتشكيل تلك المفارز بما يناسب طبيعة عملها سواء من ناحية الصفات الشخصية لقادتها ونوعية أفرادها أم معداتها وأسلحتها ـ فالقادة من أهل الرأى واليأس والجهاد والصبر ، والجنود من ذوى القوة والرغبة فى الجهاد ، أما المعدات والتسليح فهى سوابق الخيل حتى تمتلك هذه المفارز خفة الحركة والقدرة على المناورة .

كذلك حدد أمير المؤمنين طبيعة مهمة المفارز ، فحذر من تضييعها بدفعها فى مهام غير مأمونة أو محوطة بالغموض ، وأمر بدفعها فى الاتجاهات التى تتمكن فيها من تحقيق النجاح ، وبعد أن تتجمع معلومات كافية عنها ، وهى بخاصة ضد أجناب ومؤخرة العدو لقطع خطوط إمداداته وكشف نقاط ضعفه . ولقد سعى أمير المؤمنين عمر إلى تحقيق هدف هام هو **(إحراز المباداة وهزيمة العدو معنوياً قبل هزيمته مادياً)** معبراً عن ذلك بقوله **(فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رايك)** .

٦ ـ القتال التصادمى :

(فإذا عانيت العدو ، فاضمم إليك اقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك

وقوتك ، ثم لا تعاجلهم بالمناجزة ، ما لم يستكرهك قتال ، حتى تُبصر عورة عدوك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنعه بك ، ثم أذْكِ أحراسك على عسكرك ، وتيقظ من البيات جُهدك ، لا تؤتى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولى أمرك ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان والحمد لله رب العالمين) .

فى كلمة واحدة وهى « معاينة العدو » جمع أمير المؤمنين معانى كثيرة ؛ فهى تعنى إلمام القائد بالعدو بشكل كامل وكأنه يراه رأى العين - عدته وعَددَه وتسليحه ومكانه وأعماله وتحركاته بل وأيضاً استنتاج نواياه - ثم الموازنة بينه وبين قوة المسلمين لاتخاذ القرار المناسب لقتاله وهو ما يطلق عليه (**تقدير الموقف**) فى المفهوم المعاصر . ثم يحدد أمير المؤمنين الفكرة العامة لهذا القرار وهى تجميع القوى وحشدها وتنظيمها : خداع العدو والكيد له ، تحديد نقاط الضعف فى العدو لضربه فيها ، الإلمام التام بالأرض كلها لتحقيق المناورة بنجاح ، ثم أخيراً الجرأة فى القتال .

وفى صياغة رائعة وبليغة ، يحذر عمر قائد جيشه من عدوه ، ويفهمه أن العدو سوف يسعى - كما يسعى هو - إلى مفاجأته ، وينصحه بالتأنى قبل المبادرة بالهجوم وهو ما يسقط إدعاءات المستشرقين بأن المسلمين انتهجوا أسلوب الاندفاع المحموم المبنى على مجرد « الحماسة الدينية » .

كما يؤكد عمر على نقطة هامة فى تلك المرحلة من القتال ، وهى (حيوية تأمين الجيش الإسلامى) بالإكثار من الأحراس على الجنب والمؤخرة وبخاصة حول المعسكرات ليلاً ، ويحدد أسلوب معاملة الجواسيس حتى يأمن الجيش خطرهم . ثم يختتم أمير المؤمنين كتابه بإعادة تذكرة قائد الجيش بأن النصر من عند الله سبحانه وتعالى طالما اتقاه ، وتوكل عليه هو ومن معه من الجند . وكما بدأ عمر (رضى الله عنه) توجيهاته بالاستفتاح باسم الله اختتمها بحمده وطلب العون منه سبحانه وتعالى .

ولم يكن كتاب عُمر السابق هو آخر توجيهات أمير المؤمنين إلى قائد جيشه سعد بن أبى وقاص ، وإنما تبادل معه أكثر من سبع رسائل حتى التحم سعد بجيشه مع الفرس فى معركة القادسية(١٢) .

وقد تضمنت تلك الرسائل تقارير عمليات مرفوعة من القائد الميدانى للجيش إلى القائد الأعلى عمر بن الخطاب وتوجيهات عمر ردا عليها . وجرى خلالها عمل دراسة دقيقة ورائعة لطبيعة أرض المعركة المقبلة وتدقيق كامل لأوضاع جيش الفرس وقوته وتسليحه وموقف جيش المسلمين فى مواجهته . وتكرر بها التأكيد مرارا على أهمية « التحام » قائد جيش المسلمين بجنوده والتزامهم جميعاً بتقوى الله والصبر على الجهاد . وانتهت تلك الرسائل بنصيحة أمير المؤمنين لقائده حدد فيها القرار المناسب للقتال واستمر الاتصال بين عمر وقائد جيشه قائماً حتى فتح الله على المسلمين ونصرهم . ويضيق المجال هنا عن استعراض تلك الرسائل وإظهار مدى ما حققته المدرسة العسكرية الإسلامية من تطور فائق فى مجال « علم الحرب » وقدرة المسلمين آنذاك على الدراسة المتأنية واستخلاص دروس وخبرات القتال بشكل فاق كل تصور .

خاتمـــة

لقد ابتكرت العقلية الاستشراقية دعوى أن « الحماسة الدينية » كانت سبباً فى انتصار المسلمين فى معارك الفتح دون ما دراسة واعية لطبيعة العمل الحربى والعبقرية فيه . وللأسف

من روائع الفن العسكرى

الشديد ، انتقلت تلك المقولة إلى كتابات العديد من المسلمين ، بل أصبحت تُدرس لأبنائهم حتى تربت أجيال على أنها حقيقة لاشك فيها وبالتالى ترسخت فى خيالهم صورة غير صحيحة لمعارك الفتح الإسلامى .

واعتقد أن ما جاء فى هذا المقال اثبت أن « التمسك بالدين » كان هو السبب الحقيقى للنصر ، وليست « الحماسة فقط » والفارق بعيد بين المفهومين ، فالحماسة الدينية أمر يعتمد على العاطفة التى قد تصل إلى حد الاندفاع والتهور وهو وصف لا ينطبق على سلوك المسلمين كما رأينا ، بينما « التمسك بالدين » أمر عقلى يتسم بالرزانة ويرفع من قدر العلم ويعتمد على الإرادة الصلبة والالتزام بالحق . وفى ظل التمسك بالدين تنطلق الطاقات الإبداعية فى شتى المجالات ، ومنها مجال العلم العسكرى . ولا نتصور ـ أن ما حققته الـ ـة العسكرية الإسلامية من تطور رائع فى مجال العلم العسكرى ـ وقد رأينا جانباً واحداً منه ـ يمكن أن يحدث فى ظل « الحماسة الدينية » ولكنه كان إحدى ثمار « التمسك بالدين » .

والحمد لله رب العالمين

المراجـــع

١ ـ منير شفيق ، بين حروب نابليون وحروب الفتوحات العربية الأولى ، مقال منشور فى مجلة « دراسات عربية » أبريل ١٩٧٢ .

٢ ـ جون باجوت جلوب ، امبراطورية العرب ، دار الكتاب العربى ـ بيروت ١٩٦٦ .

٣ ـ لواء ركن محمود شيت خطاب ، العسكرية العربية الإسلامية ، دار الشروق ـ ط أولى ١٩٨٣ .

٤ ـ منير شفيق ، علم الحرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٢ .

٥ ـ جون باجوت جلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٣ .

٦ ـ مولوى حسينى ، الإدارة العربية ـ الألف كتاب ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٧ ـ الهرثمى الشعرانى ، مختصر سياسة الحروب ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٨ ـ لواء ركن محمود شيت خطاب ، غزوة بدر الكبرى الحاسمة ، ملحق مع « مجلة الأمة » القطرية .

٩ ـ د . أحمد غنيم ، الخلافة الراشدة والبطولة الخالدة فى حروب الردة (تحقيق لأربعة مخطوطات للكلاعى الأندلسى) دار الاتحاد العربى للطباعة ، القاهرة ١٩٧٩ .

١٠ ـ مقدم ياسين سويد ، معارك خالد بن الوليد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٥ .

١١ ـ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥ . وايضاً أحمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العرب فى العصور الزاهرة الجزء الأول ، مكتبة الحلبى ـ القاهرة ١٩٧١ .

١٢ ـ ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥ وأيضاً : أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٩ واحمد زكى صفوت ، مرجع سابق .

أُحُــــد .. وثباته صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور عبد البصير خليفة حسن

كانت وقعة" احد" يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة قال قتادة : لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال .

وقال عكرمة : يوم السبت للنصف من شوال ، وكان في هذا اليوم ما كان من الابتلاء والاختبار والتمحيص ، ميز الله فيه الخبيث من الطيب ، والمؤمن من المنافق ، والثابت من المضطرب ، قال تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾(١) .

شجاعة الرسول ﷺ

من الثابت ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اشجع الناس ، روى الدارمى بسند صحيح عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « ما رايت انجد ولا اجود ولا اشجع ولا أرمى من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ » .

وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما : « كنا ـ والله ـ إذا حمى البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذى يحاذى به . يعنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم » رواه مسلم .

وفى هذا اليوم انكشف المسلمون عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وظل واقفاً فى وجه العدو تفيىء إليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفترق عنه أخرى وهو يدعوهم « إلىّ عباد الله » قال تعالى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾(٢) لقد ثبت ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه عصبة من أصحابه وما زالوا قدماً واحدة .

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤٠ ـ ١٤١

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٥٣

أحد .. وثباته ﷺ

روى أبو يعلى بسند حسن عن على - رضى الله عنه - قال : « لما انجلى الناس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم "أحد" نظرت فى القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : والله ما كان ليفر ، وما أراه فى القتلى ، ولكن أرى الله تعالى غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه - صلى الله عليه وسلم - فما لى خير من أن أقاتل حتى أقتل فكسرت جفن سيفى ، ثم حملت على القوم ، فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله - صلى الله عليه وسلم بينهم أى يقاتلهم » .

مصرع أبىّ بن خلف بيد رسول الله - ﷺ - :

روى البيهقى فى دلائل النبوة عن عروة بن الزبير قال : « كان أبى بن خلف أخو بنى جُمَحٍ قد حلف - وهو بمكة - ليقتلن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلما بلغت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حلفتَه ، قال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فأقبل أبىّ متقنعاً فى الحديد ، وهو يقول : لا نجوت إن نجا محمد ، فَحَمَلَ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبدالدار ، يقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه ، فقتل مصعبَ بن عمير ، وأبصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى بن خلف من فرجة بين سابغة الدِرع والبيضة(٣) ، فطعنه بحربته فوقع أبى من على فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا : ما أجزعك إنما هو خدش فذكر لهم قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : أنا أقتل أبياً ، ثم قال : والذى نفسى بيده لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون ، فمات إلى النار فسحقاً لأصحاب السعير .

روى الشيخان - واللفظ لمسلم - عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله - عليه وسلم : اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله - عز وجل » .

ما أصابه - صلى الله عليه وسلم - من جراح :

جاء فى صحيح مسلم عن أنس - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كسرت رباعيته(٤) يوم "أُحُد" وشُجَّ فى رأسه فجعل يَسْلِت الدم عنه ويقول : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته - وهو يدعوهم إلى الله - فأنزل الله عز وجل (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ)(٥) .

ومجموع ما ذكر فى الأخبار أنه شُجَّ وجهه ، وكسرت رباعيته ، وجرحت وجنته(٦) وشفته السفلى من باطنها ، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت(٧) ركبته . كما هشموا البيضة على رأسه - صلى الله عليه وسلم .

روى البزار - بسند حسن - عن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « اشتد غضب الله على قوم هشموا البيضة على رأس نبيهم وهو يدعوهم إلى الله » وضرب وجه النبى - صلى الله عليه وسلم - فى هذا اليوم سبعين مرة حفظه الله من سوئها .

روى عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى قال .

« ضرب وجه النبى - صلى الله عليه وسلم - يومئذ بالسيف سبعين ضربة » .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : هذا (مرسل) قوى ، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة فى الكثرة .

(٣) البيضة : الخوذة

(٤) رباعيته : قال فى الفتح : هى السن التى بين الثنية والناب انها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من اصلها .

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٢٨ .

(٦) وجنته : ما ارتفع من الخدين .

(٧) جحشت ركبته : خدش جلدها .

الذين صنعوا ذلك بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومصيرهم :

تروى كتب السير أن الذين فعلوا ذلك بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن قمئة الليثى ، وعتبة بن أبى وقاص ، وعبدالله بن شهاب ، قال ابن هشام:إن عتبة بن أبى وقاص هو الذى كسر رباعية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وعبدالله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته ، وعبدالله بن قمئة جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من المغفر[٨] فى وجنته ، أ . هـ . بتصرف .

فأما عتبة بن أبى وقاص فما حال عليه الحول حتى مات كافراً .

قال السهيلى : ولم يولد من نسل عتبة ولد يبلغ الحلم إلا وهو أهتم أبخر يعرف ذلك فى عقبه . وأما عبدالله بن شهاب فأسلم بعد ذلك ، وابن قمئة لما رمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أقمأك الله » فسلط الله عليه تيس[٩] جَبَلٍ فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة » .

كيف داوى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرحه :

روى الشيخان والبيهقى والطبرانى واللفظ له عن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ : « أن وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جرح يوم "أحدٌ" ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وانصرف المشركون فخرج النساء إلى الصحابة فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اعتنقته ، وجعلت تغسل جراحته وعلى يسكب الماء بالمجن فتزايد الدم ، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصيرة فأحرقته بالنار حتى صار رماداً ، فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم » .

تعظيم أجره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك :

قال الحافظ فى الفتح : إن الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ، ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم .

رحمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفقته على أمته :

قال القرطبى ـ رحمه الله : قال علماؤنا فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم » ، استبعاد لتوفيق من فعل ذلك به ، وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ تقريب لما استبعده وإطماع فى إسلامهم ، ولما طمع فى ذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » كما فى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : « كأنى أنظر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » .

قال علماؤنا : فالحاكى فى حديث ابن مسعود هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، وهو المحكى عنه بدليل ما قد جاء صريحاً مبيناً أنه عليه الصلاة والسلام لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم "أحد" شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً وقالوا لو دعوت عليهم فقال : « إنى لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة ، اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » أ . هـ

وفى هذا بيان لحلمه وعفوه وشفقته على قومه ودعائه لهم بالهداية والغفران ، وعذرهم فى جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون ، جزاه الله عن أمته ودينه بأفضل ما جزى به نبياً من أنبيائه على حلمه وصبره وما قدم لأمته .

وبالله التوفيق .

---

(٨) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

(٩) تيس جبل : الذكر من الظباء .

أول بيان سياسى

للخلافة في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الدكتور
عبد المقصود محمد نصار *

لقد أذاع أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - أول بيان سياسى بعد توليه الخلافة ، يعتبر وثيقة سياسية لكبار السياسيين والمصلحين ، وقمة فى منهج الحياة الكريمة ، وأسوة طيبة لمن وسد إليه أمر الدنيا والآخرة . ودستوراً للحكم الصالح ، كما احتوى على قيم سياسية لم تعرفها البشرية من قبل ، لما فيها من المبادىء السامية القائمة على تقوى من الله تعالى .

وضع - رضى الله تعالى عنه - كما يقولون : النقط فوق الحروف لقضايا الحكم الراشد ، فكان المنهج لمن يريد الإصلاح للوصول بالمجتمع إلى المجد .

قال - رضى الله تعالى عنه - بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه :

« أيها الناس .. إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت(1) فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ، إن شاء الله تعالى ، لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، اطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » .

هذا هو البيان الذى وجهه أبو بكر للناس بعد بيعته ، وقد صار على رأس الدولة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيان بديع محكم ، ولو

---

* أستاذ التاريخ المتفرغ - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

(1) وفى رواية : (وإن صدفت) صدف عن الشىء لم يفكر فيه ، أو صرف الناس عنه ، يقال : صرف عنه من باب ضرب وجلس أعرض وصدف فلانا وأصدفه عن كذا صرفه وأماله عنه .

اننا وقفنا بين يدى هذا البيان أياما وأياما نتأمل ما فيه من خطوط ترسم سياسة الصديق العامة ، وتبين عظمة الإسلام ومبادئه السامية لوجدنا الكثير - وإنا على كثرة ما عرفناه من التاريخ من مواثيق وخطب استهل بها الحكام عهودهم وحكمهم ، لم نجد فى ماضيه الطويل أو فى حاضره مثل هذه الحكمة التى بدأ بها أبو بكر عهده مع الناس .

« ايها الناس .. إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن احسنت فاعينونى وإن اسات فقومونى .

الا ما أعظمها من بداية حين يبدأ الحاكم عهده مع الناس بانتزاع أى وهم من صدورهم يمكن أن يجعلهم يضعون الحاكم فوق قدره ، أو فى مستوى أعلى من مستواهم ، وإنما يبين لهم فى وضوح وصدق إيمان أن الحكم لن يرفعه عليهم ،

وإنما الحكم فى راى ابى بكر رضى الله تعالى عنه . خدمة عامة ومسئولية كبرى أمام الله تعالى ، إنه وظيفة لا استعلاء ، إنه ولاية للشعب بأمر الشعب لا غطرسة ولا استبداد لأنه ليس بخيرهم ، وإنما هو واليهم - يحكم بهدف تربية شعب حر كريم عزيز ، يعرف الناس فيه وعنه أن حاكمهم واحد منهم ، وليس متميزا عنهم ، وتولى أمرهم ليدبر حركة حياتهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، وهو مع كل هذا بشر يحسن فيقروه على أمره إن أحسن ، ويؤيدوه ويشدوا ازره ، ويقوموه ويشيروا عليه بالراى الصواب إن أساء .

« إن أحسنتُ فأعينونى ، وإن أسـأت فقومونى » .

الله أكبر !! يالها من مبادىء لو طبقت لصنعت ما يشبه المعجزات .

هذا أبو بكر رضى الله تعالى عنه ثانى اثنين إذ هما فى الغار وصديق النبى - صلى الله عليه وسلم - بل وصاحبه ووزيره وخليفته من بعده ، يضع فى أول خطبة له دستوراً فيه دعوة للرعية أن يعينوه على حكمهم إذا أحسن ، وأن يقوموه إذا أساء .

إنه رضى الله عنه بهذه العبارة الخالدة جعل محاسبة الشعب للحاكم مبدأ أساسياً من مبادىء الحكم الإسلامى ، وحكمهم له أو عليه هو دستور واجب النفاذ .

إن هذا المبدأ - مراقبة الشعب لحاكمه ، ومحاسبته إياه لهو مبدأ تتباهى به الديمقراطيات الحديثة ، وتحسب أنه من بدع العصر الحديث ، وما عرفوا أنه من وضع الصديق رضوان الله تعالى عليه ، وأنه مقرره فى أول بيان له إلى الأمة منذ أكثر من اربعة عشر قرنا قد مضت .

كان أبو بكر رضى الله عنه ، بهذه الكلمات صاحب أعظم برنامج سياسى عرفناه .

إنه فرد فى الأمة ، وليست الأمة فى فرد ، رغم أنه كان خيرهم لأنه الصديق الذى توافر له من الصدق ، ومن الأمان ، ومن السابقة فى الإسلام ، ومن الرشد ما لم يكن لأحد بعده ، لكنه مع كل هذا ، وغيره مما هو كثير ، يعرفهم بأنه ليس بأفضلهم ، أو ليس له من المنزلة ما يجعله فوق المساءلة .

رجل له كل هذه الصفات والمزايا وسط هذه الجماعة المؤمنة الفاضلة يبدأ خلافته بهذا البيان ، يوضح فيه أنه فى أشد وأمسّ الحاجة إلى

أول بيان سياسي للخلافة فى الإسلام

ما عندهم من رشد ورأى ، ذلك لأنه صاحب مبدأ :

« الصدق أمانة والكذب خيانة » .
ومن أولى بالصدق من الصديق .

الصدق مع الله تعالى فيما عاهد الله تعالى عليه .

والصدق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما آمن به وصدقه .

وصدقه مع النفس فيما يراه واجبا عليه للأمة الإسلامية .

كذلك كانت نفس الصديق - رضى الله عنه - وشعاره الصدق الثابت له فى حياته .

لذلك كان حين يستعرض فى فترة خلافته أمراً ، نراه صادقا فى كل ما عاهد الله تعالى عليه ، صادقا فى كل ما دعا شعبه إليه لأنه تربى فى مدرسة الصادق الأمين ، وتتلمذ على يد محمد - صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يغر الأمة بوعود كثيرة تتكشف عن خواء ؛ إنه الصديق وقد التزم بشعاره الذى أعلنه فى بيانه :
« الصدق أمانة والكذب خيانة » .

سيادة القانون :

ثم إنه قد أوجب على نفسه أن يشعر بضعف الضعيف ، وحاجة المحتاج ، وأن يكون عونا للضعيف حتى يصل إلى حقه » .

« الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له » .

هل سيادة القانون ، وهو المبدأ الذى ينادى به المصلحون إلا هذا الذى جاء فى طى عبارة أبى بكر ؟ إنه يعلى مبدأ الحق ، ويعيش حياته كلها فى سبيل نصرة الحق .

« والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله تعالى » إذاً فلتهنأن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - براعيها بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يعلن هذه المبادىء .

ولا ننسى أنه أعلن هذه المبادىء ، وهو يعلم أن فى المجتمع المسلم الناشىء رجالا بلغوا من العصبية القبلية مبلغا قد يجعلهم يحسون أن لهم على الناس فضلاً ومنزلة بها يتميزون عليهم كما هو معلوم لدارس تاريخ العرب قبل الإسلام والجهد الذى بذله الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى القضاء عليها . وها هو أبو بكر رضى الله تعالى عنه يعلن أن حكومته ومبدأه فى الحكم (لا طبقية) ، و (لا أرستقراطية) بل عدالة فى الحق أمام قانون إسلامى فوق الجميع ، جاء به الوحى الأمين ، وطبقه محمد - صلى الله عليه وسلم .

مرجع عظمة الأمة :

ثم إن هذه الأمة الإسلامية لم تبلغ هذه العظمة التى عاشت فى ظلالها إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى ، فلا بدّ من أن يحافظ عليه حتى تكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فهذا قوله « لا يدع أحد منكم الجهاد ؛ فإنه لم يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل » .
يريد بذلك أن يوضح للأمة الإسلامية سبيل بقائها عزيزة كريمة غلّابة ، إنه الطريق الواحد

طريق الجهاد فى سبيل الله تعالى لإعلان كلمة الحق والعدل الذى تشع عليه شمس الكرامة والعزة ـ هو الجهاد الذى لم يدعه قوم إلا ضربهم الله تعالى بالذل والهوان والاستعباد .

صدق التطبيق :

ولقد كانت حياته ـ رضى الله تعالى عنه ـ بعد هذا البيان تطبيقا لما قال .

رأيناه بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينادى فى الناس : أنفذوا جيش أسامة .

ويأتيه من يحذره من خطر المرتدين ، فينظر إلى من حذره ، ويصيح قائلا : « والله لو لم يبق غيرى وتخطفتنى الذئاب لأنفذته كما أمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما هذه العبارة الخالدة إلّا دليل قاطع على صدق ما يقول :

« والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحاربتهم عليه » .

يالروعة إيمان الصديق وصدقه فى الجهاد .

والحديث عن الصديق جميل وممتع وإننا نتمنى : أن يكون هذا البيان هو دستور أمتنا العزيزة ، بل وكل العالم الإسلامى الذى يستمد من الأزهر ، النور والعلم والمعرفة ، فهو الذى يشع معالم الشريعة الإسلامية الخالصة من كل شائبة ، كما تقررت فى القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم . كما اتمنى أن يكون هذا البيان دستوراً لكل الدول الإسلامية ، وأن يكون منهجاً للمسئولين وتطبيقا لما قاله الصديق قولا وعملا .

الفتاوى

إعداد: أحمد تقى الدين

تفضيل بعض الأولاد على بعض

يقول علي . م . ف إنه قد وزع بين ابنائه،وهم:سبعة ذكور واربع إناث مبلغا من المال فى حياته ولم يساو بينهم فى عطيته فبالنسبة للذكور خص اربعة منهم بجزء كبير حيث إن احدهم مريض وعاجز عن الكسب، والثانى كثير الأولاد،والثالث حتى يشجعه على العمل بجد واجتهاد،والرابع لسعيه فى طلب العلم اما البنات فقد وهبهن ربع ما وهب الذكور موزعا بينهن بالتساوى فما راى الدين فى ذلك ؟

أجاب فضيلة الشيخ عطية صقر فقال :

فى عدة روايات لمسلم يكمل بعضها بعضا : ان عمرة بنت رواحة أم النعمان بن بشير سألت اباه أن يهبه بعض ماله ، فالتوى بها سنة - أى تباطأ - ثم بدا له أن يفعل فوهبه غلاما ، فقالت : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابنى ، فأخذ بيده ، وكان يومئذ غلاما فأتى رسول الله ﷺ فقال له : يارسول الله ، إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذى وهبت لابنها ، فقال له رسول الله ﷺ : «يابشير الك ولد سوى هذا» ؟ قال : نعم فقال : «أكلهم له مثل هذا» ؟ قال : لا ، قال : «لا يصح هذا ، اشهد على هذا غيرى ، فإنى لا أشهد على جور ، اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم ، الا يسرك أن يكونوا لك فى البر سواء» ؟ قال : بلى ، قال : «فإنى لا أشهد» .

وروى مسلم وغيره أن النبى ﷺ قال : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا» .

وروى عن النبى ﷺ أنه قال : «إن الله يحب ان تعدلوا بين أولادكم حتى فى القُبَل ، سووا بين أولادكم فى العطية ، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء على الرجال» رواه الطبرانى وسنده ضعيف .

لكن قال عنه ابن حجر فى فتح البارى: رواه سعيد بن منصور البيهقى من طريقه وإسناده حسن .

قال النووى فى شرح صحيح مسلم (ج ١١ ص ٦٦):فلو فضل بعضهم أو وهب لبعضهم دون بعض فمذهب الشافعى ومالك وأبى حنيفة: أنه مكروه وليس بحرام ، والهبة صحيحة ، وقال طاووس وعروة ومجاهد والثورى وأحمد وإسحاق وداود : هو حرام .

واحتجوا برواية «لا أشهد على جور» وبغيرها من ألفاظ الحديث ، واحتج الشافعى وموافقوه بقوله ﷺ «فأشهد على هذا غيرى» قالوا : ولو كان حراما أو باطلا لما قال هذا الكلام ، فإن قيل : قاله تهديدا ، قلنا : الأصل فى كلام الشارع غير هذا .. ثم قال : وأما قوله ﷺ :«لا أشهد على جور» فليس فيه أنه حرام؛لأن الجور هو الميل عن الاستواء والاعتدال ، وكل ما خرج عن الاعتدال

فهو جور سواء أكان حراما أم مكروها . وارتضى النووى أنه مكروه كراهة تنزيه ، وكما قال أصحاب الشافعى : يستحب له أن يهب الباقين مثل الأول؛فإن لم يفعل استحب رد الأول .

قال العلماء : ومحل الحرمة أو الكراهة فى التفضيل إن لم يكن لسبب شرعى فلو كان أحدهم مريضا أو أحدهم لا يستطيع الكسب ولا الوفاء وحده بما يلزم فذلك جائز ويحمل على هذا ما ورد من تفضيل الصحابة بعض أولادهم على بعض ، لأن أبا بكر فضل عائشة على غيرها من أولاده ، وفضل عمر ابنه عاصما بشىء وفضل عبدالله بن عمر بعض أولاده على بعض «الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع جـ ٢ ص ٨٩» .

جاء فى معجم الفقه الحنبلى لابن قدامة «ص ٧٢٠» : يجب على الإنسان التسوية بين أولاده فى العطية إذا لم يختص أحدهم بمعنى يبيح التفضيل ، فإن خص أحدهم أو فاضل بينهم أثم ووجبت عليه التسوية ، إما بِرَدِّ ما فضل به البعض ، وإما بإتمام نصيب الآخر ، أما التسوية فى الميراث فهى كما شرع الله ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، وإن خص بعض أولاده بعطية لمعنى يقتضى التخصيص كزَمَانة أو كثرة عائلة أو انشغاله بعلم ، أو صرف عطيته عن بعضهم لفسقه أو بدعته أو لاستعانته بذلك على معصية جاز ذلك ، وقيل : لابد من التسوية ويمنع التفاضل ، والأول أصح .

وجاء فيه أيضاً : وإذا أراد أن يقسم ماله قبل موته بين أولاده فالأولى أن يترك ذلك لفرائض الله ، فلعله يولد له بعد القسمة ، فإن ولد فأعجب إلى أن يرجع فيسوى بينهم ، فإن ولد الولد بعد موت أبيه لم يكن له الرجوع على إخوته ، وفى رواية:يحق له ذلك ، ولا خلاف فى أنه يستحب لإخوته أن يساووه فى هذه العطية .

ولو فاضل بين أولاده فى العطية وهو فى صحته ثم مات قبل أن يسترده ثبت ذلك للموهوب له ولزم ، وليس لبقية الورثة الرجوع ، وفى رواية : لسائر الورثة أن يرتجعوا ما وهبه . أ هـ .

هذا ، وجاء فى كلام النووى «شرح صحيح مسلم جـ ١١ ص ٦٦» قوله : ينبغى أن يسوى بين أولاده فى الهبة ، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل ، ويسوى بين الذكر والأنثى. وقال بعض أصحابنا ـ الشافعية ـ يكون للذكر مثل حظ الأنثيين . والصحيح المشهور أنه يسوى بينهما لظاهر الحديث .

يقول الشيخ طه حبيب ـ عضو المحكمة العليا الشرعية الأسبق ـ بعد ذكر حديث النعمان وتعليق النووى عليه : من هذا يتبين أن هبة الوالد لولده كل ماله ، أو تمييزه أحد أولاده عن بقيتهم ـ تصرف مكروه شرعا ، ومع ذلك نافذ لازم متى كان المتصرف صحيحا غير محجور عليه وكان التصرف منجزا ، أما إذا كان التصرف مضافا إلى ما بعد الموت فإنه يعتبر وصية . فإن كان لأجنبى نفذ من ثلث المال بعد الدين والتجهيز ، أجاز الورثة أم لم يجيزوا ، وتوقف على إجازتهم فيما زاد على الثلث ، فإن أجازوا نفذ وإلا لم ينفذ ، وإن كان التصرف المضاف إلى ما بعد الموت للوارث فإنه يعتبر وصية ، ولا وصية لوارث إلا بإجازة بقية الورثة بعد موت المورث .

ومثل ذلك التصرف المنجز فى مرض الموت للوارث فإنه يعتبر وصية أيضاً لا تنفذ إلا بإجازة الورثة . ثم قال :

وصفوة القول:أن تصرف المالك فى ملكه نافذ من كل ماله متى كان صحيحا غير محجور عليه ، ليس لأحد حق الاعتراض عليه ، ونفاذ التصرف لا يمنع من أن يكون المتصرف ظالما يستوجب بهذا الظلم الإثم إن قصد بإعطاء أحدهم

الفتـــــاوى

الإضرار بالباقين ، أما إذا أعطى أحدهم جزءا من ماله لسبب يقتضيه كما لو كان ذا أولاد كثيرة ، أو كان فى حاجة إلى معونة لسبب آخر كطلب العلم ، أو كان قصده أن يشجعه على العمل بجد واجتهاد؛ فإن هذا لا إثم فيه ولا حرج ، وإن كان الأفضل أن يسوى فى العطاء ، حتى قال بعضهم: بتسوية البنت والغلام فى العطاء ، لأن هذا شىء غير الميراث .

ثم قال :

إن حق الورثة لا يتعلق بمال المورث إلا إذا كان مريضا مرض الموت ، وهو الذى يكون منه الموت ، فلا محل للقول بأن تصرف الرجل الصحيح الخالى من الحجر لسفه أو دين ينافى حكمة التوريث ، لأن التوريث بعد الموت ، والتصرف قبله فى وقت لم يكن لأحد من الذين سيرثون عند الموت حق فى مال المتصرف .

وبهذا الايضاح يتبين أن حرمة الملك مكفولة ، والحكمة فى التوريث محققة لا تنافى صحة التصرف الصادر من الصحيح الذى يملكه .

الحضانة للجدة

● انا جدة ولى حفيدة من ابنى عمرها الآن اربعة عشر عاما واربعة اشهر وقد تركتها امها فى حضانتى وقت انفصالها عن ابيها بناء على اشتراطه التنازل عن الحضانة لإتمام الانفصال ، وابوها الآن متزوج من اجنبية وعنده ابناء . امها الآن متزوجة من اجنبى وعندها منه ابناء ، وانا كسيدة تتوافر فى شخصى جميع شروط الحضانة الشرعية: هل من حقى الشرعى الاحتفاظ بحضانة حفيدتى بعد سن الرابعة عشرة .

(م . م . م)

ـ مادامت الأم قد تنازلت عن حضانة ابنتها وليس هناك من يصلح للحضانة إلا جدتها لأبيها وقد احتضنتها فعلا حتى بلغت الرابعة عشرة ، وهى تسمح لأبيها برؤيتها والاستمتاع بلقائه ، كما تسمح لوالدتها المطلقة برؤية ابنتها فى منزل الجدة ،أو فى منزل أم المحضونة (المطلقة)،أو حسبما يتم الاتفاق على مكان التلاقى .

وبناء على هذا لا تستحق الأم أن تستقل بحضانة البنت لزواجها من أجنبى، ولا للأب بحضانتها؛ لأنه متزوج من اجنبية، والمصلحة تقتضى أن تبقى الفتاة فى حضانة جدتها لأبيها ولا يجوز انتزاع المحضونة منها لا للأب ولا للأم لما قد يؤدى إليه ذلك من ضرر الفتاة حتى تتزوج والله تعالى أعلم .

يطبق حد الزنى

● هل يطبق حد الزنى على رجل زنى بامرأة ثم تزوجها ، وما حكم هذا الزواج ؟

ـ نعم يطبق حد الزنى على من زنى بامرأة ولا يسقط الحد بزواجه منها بعد ذلك ، وإن لم يقم عليه الحد يجب أن يتوب إلى الله توبة نصوحا عسى أن يغفر له ، أما الزواج منها ففيه خلاف بين العلماء حول الجواز والحرمة بناء على تفسير قوله تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور / ٣) .

وعلى ذلك نهى رسول الله ﷺ (مرثدا الغنوى) ان يتزوج (عناق) وكانت بغيا . ولكن إذا كان زواجه منها على أحد الرايين شعوراً بالندم وتوبة إلى الله فقد يكون ذلك أمارة على قبول توبته .

وقال ابن القيم فى (بدائع الفوائد) : لو زنى بامرأة ثم أراد أن يتزوجها لا يصح إلا بعد علمه بتوبتها ، وذلك بمراودتها على الزنى ، فإن أبت كانت تائبة ، ويرى آخرون أن زواجها صحيح مادام قد استوفى الأركان والشروط .

أرض الإسراء والمعراج

فلسطين واليهود

القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

فلسطين واليهود

١

للأستاذ الدكتور أحمد شلبى

يوجد فى فلسطين فى العهد الحاضر صراع بين القوة من جانب والحق من جانب آخر، وهذا الصراع يتخذ من التاريخ سنداً له، فاليهود اصحاب القوة فى العهد الحاضر يدعون ان الأرض ارضهم ضاعت منهم فترة من الزمن وعادوا إليها، والفلسطينيون يرون عكس ما يراه اليهود، ويؤكدون أن وجود اليهود على ارض فلسطين كان فترة قصيرة طارئة منذ آلاف السنين، وان الأرض ارضهم هم، ولهم فى ذلك حجج وبراهين.

ونريد فى هذه الدراسة ان نبين الحق كل الحق معتمدين على ادق مالدينا من مصادر فى هذا الموضوع، وان نسير فى هذه الدراسة مسيرة علمية لا دخل للعواطف فيها، فنتخذ من المصادر الأجنبية مراجع لنا حتى نبعد عن اى اتهام.

اقدم السكان فى منطقة فلسطين:

إذا أردنا أن نتعرف على أقدم السكان فى هذه المنطقة فإننا ينبغى أن نعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد لنرى أفواجاً من القبائل العربية تهاجر من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال تحت ضغط القحط وقسوة الصحراء، ويقول Charles Faster Kent[1] إن (الفينيقيين) كانوا أسبق هذه الجماعات المهاجرة، وقد وجدوا على شاطىء البحر المتوسط مستقراً لهم فأقاموا به، وكان مقرهم شريطاً ساحلياً ضيقاً يحده البحر من الغرب وتعزله السلاسل الجبلية بالشرق عن باقى المنطقة، ومن هنا اتجه هؤلاء إلى البحر فركبوه واتصلوا عن طريقه بدول كثيرة عن طريق

(١) A History of the Hebrew People p. 29

التجارة ، وسرعان ما أصبح هؤلاء جنسا شهيرا فى سيادته التجارية عبر البحار ، ثم امتد نشاطهم فأصبحوا حملة الحضارة بين دول العالم القديم .

وإلى الجنوب من (الفينيقيين) نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها قبائل (الكنعانيين) حوالى سنة ٢٥٠٠ ق . م واستقرت على ضفة الأردن الغربية منسابة نحو البحر المتوسط وسميت هذه المنطقة باسمهم فأصبحت تدعى « أرض كنعان » وهو الاسم الذى يكثر وروده فى التوراة . وحوالى سنة ١٢٠٠ ق . م نزلت بالساحل المطل على البحر الأبيض جماعات من جزيرة كريت (اقريطش) وكانت هذه الجماعات أو القبائل تسمى قبائل فلستين ، وقد نزلت بين يافا وغزة ، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت ، وتم بين هؤلاء وأولئك مزيج غلب عليه الدم العربى واللغة السامية من جانب ، والاسم الوافد من كريت من جانب آخر ، فأصبحت هذه البلاد تعرف بفلسطين .

فى الشمال الشرقى لنهر الأردن كانت تعيش قبائل (الآراميين) الوافدة من حوض الفرات بعد أن ازدحمت سهول دجلة والفرات بالوافدين من الجزيرة العربية ، وهذه القبائل هى المعروفة فى الكتب المقدسة بالسوريين ، وكانت دمشق عاصمتها ، وكانت هذه القبائل تعمل فى الزراعة ، ولكن موقعها دفعها للعمل فى التجارة البرية ، فإذا كان الفينيقيون قد اشتهروا بركوب البحر متاجرين ؛ فإن السوريين ركبوا البر منافسين لهم فى النشاط التجارى ، والآراميون كانوا قريبين جداً من الكنعانيين فى لغتهم وديانتهم وعنصرهم .

وإلى الشرق من نهر الأردن إلى جنوب البحر الميت تقع الممالك الثلاث : عَمُون ومُؤَاب وأُدوم ،

المنطقة قبل زحف العبرانيين

وسكانها ينحدرون - كالآراميين - من سهل الفرات وتربطهم بهم روابط نسب ، كما أن روابط جمة تشمل اللغة والعادات والأفكار الدينية كانت تربط هذه الممالك بعضها ببعض ، وكانت لغتها لهجة من الكنعانية .

مــؤاب :

وتعتبر مؤاب أكثرها حضارة إذ كانت أسرعها فى التحول من (نظام البدو) إلى عالم الحضارة ، ويبدو أن خصب موقعها ساعد على سرعة التحول فاستقرت واشتغلت بالزراعة وبنت المدن العظيمة .

فلسطين واليهود

ادوم :

أما مملكة أدوم فكانت تمتد إلى خليج العقبة ، وأهم ما كانت تشتغل به هو رعى الأغنام فى السهول الفسيحة التى تتبعها ، ومن أجل هذا كانت أقل الممالك الثلاث حضارة ومدنية .

عمـون :

وكانت عمون ـ فى الشمال من مؤاب ـ تعمل فى الزراعة والرعى جميعا فبعض بطونها استقر وبنى المدن واشتغل بالزراعة ، والبعض الآخر ظل يتجول ويرعى الغنم والماشية ، وهى لهذا تعد من جهة المدنية وسطا بين مؤاب التى اتجهت إلى الاستقرار والزراعة ، وبين أدوم التى ظلت تعيش عيشة البادية(١) .

المناطق المحيطة :

المناطق السابقة هى المناطق ذات الصلة الوثيقة بدراستنا عن اليهود ، وبقى علينا بعد ذلك أن نتكلم كلمة عن الدول المحيطة بهذه المناطق ، ونعنى بها : مدين فى الجنوب الشرقى ، ومصر فى الجنوب الغربى ، وبابل وآشور فى الشمال والشمال الشرقى ، وطبيعى أن اليهود ـ وهم فى فلسطين ـ عرفوا هذه الدول واتصلوا بها مسالمين حينا ، ومحاربين حينا ، وتأثروا كثيراً بأفكار السكان ومعتقداتهم ، فتعرُّفنا على هذه الدول هنا يعد أساسا من أسس هذه الدراسة :

مـديــن :

تقع مدين فى الشمال من شبه الجزيرة العربية ، وكانت لها صلة وثيقة بالجزيرة العربية وبمصر وأرض كنعان ، وسنرى أن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لجأ إليها عقب هروبه من مصر ، وتعتبر مدين معبراً بين الصحراء العربية وبين فلسطين وما حولها .

مصـر وبـابــل :

على أن مصروبابل كانتا أكثر تأثيراً فى أرض كنعان ، فإن أرض كنعان وقعت بين هاتين الدولتين الكبيرتين اللتين ازدهرت فيهما أرقى حضارة فى العصور القديمة ، وكانت هناك حروب ومنافسات لا تنقطع بين هاتين الدولتين ، وكانت أرض كنعان ميدانا لهذه الحروب كما كانت تتأثر بنتائجها ، فالغالب منهما يسيطر على كنعان وتكون له السيادة على سكانها ولذلك يقول ول ديورانت(٢) : إن موقع فلسطين جاءها بالغنى والحرب .

وتدل الآثار البابلية على أن بابل لها السلطان على أرض كنعان فى الألف الثالث قبل الميلاد ، وكانت حضارة الكنعانيين شديدة التأثر بحضارة بابل ، وساعد على تقديم بابل تغلب الرعاة الهكسوس على مصر ، وهؤلاء الرعاة هم من أعراب الجزيرة العربية وقد اجتاحوا أرض مصر مدفوعين بالقحط الذى كان قد أصاب الجزيرة العربية وسوريا ، وقد انتهز الهكسوس فرصة انحلال الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية بسبب

---

(١) Charles Foster Kent : A History of the Hebrew People

(٢) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٢١ .

الخلاف على ولاية العهد فاستولوا على شرق الدلتا ، واتخذوا « منف » بالقرب من القاهرة عاصمة لهم ، ثم انتقلوا إلى « أواريس » بالقرب من الزقازيق ، وكونوا لهم أربع أسر من الأسر القديمة التى حكمت مصر ، واستمر حكمهم من حوالى ١٨٠٠ ق .م إلى سنة ١٥٨٧ ق . م .

أما الفراعنة فقد بقوا بجنوب مصر متخذين طيبة (الأقصر) عاصمة لهم ، ثم انتقلوا إلى غرب الدلتا واتخذوا (سخا) عاصمة لهم ليكونوا مواجهين لأعدائهم الغاصبين .

كانت هذه الفترة فترة نضال بين الهكسوس الذين سلبوا السلطة وبين الأمراء المصريين الذى هبوا يصارعون لاستعادة سلطانهم وطرد المعتدين ، وقد تمكن البطل (أحمس) فى النهاية من النصر ، فطرد الهكسوس وأسس الأسرة الثامنة عشرة المصرية ، ومن أشهر الملوك المصريين الذين اكملوا انتصارات أحمس (الملك تحتمس الثانى) الفاتح العظيم ، الذى دانت له فلسطين وامتد سلطانه لسوريا ، فتوارى أمامه سلطان بابل فى تلك البقاع ، كما خضع له (الحيثيون) بالشمال . وسنرى أنه فى عهد الهكسوس عاش اليهود بمصر ، فلما سيطر الحكم الوطنى بها اضطرب موقف اليهود ولذلك يرى Maspero أن سيطرة الساميين على مصر اتاحت لليهود بعض الحماية[١] .

تحـركـــات العبـريـين :

ونجىء الآن إلى العبريين أو العبرانيين لنسير معهم خطوة خطوة ولكن ينبغى لنا فى مطلع هذا البحث أن نقف وقفة نتساءل :

مامعنى كلمة عبرى ؟

فى الإجابة عن هذا نقرر : أن العلماء لا يتفقون على معنى هذه الكلمة وإن اتفقوا جميعا على مدلولها ، فالعبرى هو المنحدر من ذرية إبراهيم ، ولكن لماذا سمى عبريا أو عبرانيا ؟ يرى بعض الباحثين أن إبراهيم سمى عبريا لأنه عبر النهر ، ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن .

ويروى الدكتور إسرائيل ولفنسون[٢] رأيا آخر هو احتمال أن يكون إبراهيم منسوبا إلى جد من أجداده الأقدمين يعرف باسم « عبر » ولكن الدكتور ولفنسون لا يرضى بهذا الرأى ولا بالرأى الذى قبله . ويرى أن كلمة عبرى لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه ، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلى لبنى إسرائيل ، وذلك أن بنى إسرائيل كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان ، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى ، وكلمة عبرى فى الأصل مشتقة من الفعل الثلاثى (عبر) بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادى أو النهر من عبرة إلى عبرة ، أو عبر السبيل : شقها ، وكل هذه المعانى موجودة فى هذا الفعل سواء فى العربية أو العبرية وهى فى مجملها تدل على التحول والتنقل الذى هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية ، فكلمة عبرى مثل كلمة بدوى أى ساكن الصحراء أو البادية ، وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بنى إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل

---

(١) Strug gle of Nations Vol 4 p. 70 .

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ ـ ٧٨ .

فلسطيـــن واليهـــود

العمران ، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدنية والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبرى التى كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة ، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببنى إسرائيل فقط .

ويرى J.W.Smith[1] أن العرب فى العصر الحديث هم الذين يمثلون ملامح الساميين القدماء الجسمانية ، أما اليهود فإن صلاتهم مع الحيثيين بآسيا الصغرى ، وتبادل الزواج معهم قد أثر فيهم ، وأخفى منهم كثيراً من الملامح السامية .

ورئيس الأرومة السامية التى دخلت فلسطين قادمة من العراق هو إبراهيم الخليل - عليه السلام - وهو ابن (تارح)[2] وينتهى نسبه إلى نوح ، وقد نشأ فى أورالكلدانيين ، وكان أبوه يزاول عمل الأصنام وسخر إبراهيم من عمل أبيه ومن قومه الذين يعبدون ماينحتون ، وناقشهم مناقشة عقلية يرويها القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ[3] ﴾ ثم تحولت السخرية إلى عمل ضد هذه الأصنام ، إذ انتهز إبراهيم فرصة وجوده وحده فأمسك فأسا وحطم هذه الأصنام ، وجعل منها كومة من الحطام ، ولم يدع إلا صنما كبيراً كان أعظمها شكلاً وأكبرها حجما ، فوضع الفأس فى يده ، وجلس ليرى ، فلما عاد أبوه وقومه من عيدهم الذى كانوا يحتفلون به خارج المدينة جن جنونهم لما رأوا ، وصاحوا بإبراهيم :

أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم ؟

وأجاب إبراهيم فى هدوء : (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم) .

قالوا فى ثورة : كيف نسألهم وهم لا ينطقون : وكيف يعمله كبيرهم وهم لا يتحركون ؟

قال إبراهيم : إذاً كيف تعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وماتعملون .

وكان ذلك من إبراهيم مطلع ثورة على الفكر والسلطان فى بلاد الكلدان ، ولم يستطع إبراهيم أن ينشر الحق فهاجر من أور الكلدانيين هربا من شرهم ، وهاجرت معه زوجته سارة ولوط ابن أخيه وبعض الأقارب والخدم ، وأخذوا معهم مايملكون من أغنام وماشية وأخذوا يضربون فى الأرض ، ويبدو لى من تتبع المراجع ، ومن دراسة الآثار اللغوية والاجتماعية التى اقتبسها هذا الرهط أن خط سيرهم كان أشبه بجزء من دائرة ، فقد اتجهوا إلى الشمال حتى اتصلوا بمناطق الآراميين ، ثم انحدروا إلى الجنوب حتى دخلوا أرض كنعان ، وأطلق أهل كنعان على إبراهيم ورفاقه « العبريين » لعبورهم نهر الفرات إذ لم يكونوا قد عبروا نهر الأردن بعد ، أو لأنهم بدو متجولون يعبرون من واد إلى واد كما ذكرنا من قبل .

متى تمت هذه الرحلة ؟

يرى أكثر الباحثين أنها تمت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، ويرجح بعضهم حدوثها حوالى

(١) God and Man in Early Israel p. 5 .

(٢) كذا نسبه فى العهد المتداول .

(٣) سورة الشعراء ٦٩ ومابعدها .

سنة ١٨٥٠ ق . م[١] ، ومن الواضح أن رحلة هؤلاء لم يكن يقصد بها الاستقرار ، وإنما كانت فلسطين إحدى المحطات فى رحلتهم التى لم يكن لها هدف إلا البحث عن مواطن العشب والماء هنا وهناك ، ومن هنا فقد استانفوا رحلتهم إلى مصر .

انعزالية بنى إسرائيل :

وحط إبراهيم رحاله فى تلك البقاع ، ونعم بما فيها من رخاء وفير ، ولكن شيئا خطيرا كان يحدث دون أن يلتفت إليه أحد ، أو ربما دون أن يدبره أحد ، ذلك هو الانعزالية التى كانت طابع الوافدين الجدد .

لقد رأينا الكنعانيين يختلطون بالفلسطينيين .

ورأينا الساميين الذين هاجروا إلى مواقع الخصب فى الشمال يمتزجون بسكان الشمال .

أما العبرانيون فقد عاشوا وحدهم وآثروا العزلة منذ هاجروا من (أور الكلدانيين) وقد يكون السبب فى ذلك أنهم كانوا يرفضون عبادة الأصنام فى حين كانت الأصنام هى معبودات الكلدانيين كما سبق ، فاعتزلهم إبراهيم ومن آمن معه ، ولكن العزلة أصبحت طابع العبرانيين حتى عندما انحرفوا وعادوا أو عاد أكثرهم إلى عبادة الأصنام ، كانت العزلة طابعهم فى أرض (كنعان) وكانت طابعهم فى مصر بعد ذلك بسبب ارتباط العبرانيين بالحكام المستعمرين فى مصر (الهكسوس) وبالتالى نظر الشعب لهم نظرة ريبة فلم يتم اختلاط بين هؤلاء وأولئك .

ثم إن البون كان شاسعا بين العقليتين ، فالعبرانيون كانوا قوما بدوا لا ثقافة لهم ، نزلوا بين أقوام لهم تاريخ ولهم حضارة ، فلم يكن من السهل الإندماج بين الطائفتين[٢] ، ثم أصبحت العزلة تقليداً يهودياً لا محيد عنه ، وترتب على هذه الإنعزالات مجافاتهم لمن حولهم فى جميع مراحل التاريخ ، واعتبارهم من حولهم من الأمم أعداء لهم[٣] ، ويصف الدكتور وايزمان أول رئيس لإسرائيل طابع العزلة فى اليهودية بقوله : وكان اليهود فى موتول (مسقط رأسه) بروسيا يعيشون كما يعيش اليهود فى مئات المدن الصغيرة والكبيرة ، منعزلين منكمشين ، وفى عالم غير عالم الناس الذين يعيشون معهم[٤] ، ثم اتجه الفكر اليهودى إلى اعتبار العزلة أساس حياة اليهود ، وأدق صورة للتحريض على العزلة والتمسك بها ، ما ذكره سلامون شختر فى خطابه بمدرسة اللاهوت اليهودية العليا ، حيث قال : إن معنى الإندماج فى الأمم هو فقدان الذاتية ، وهذا النوع من الإندماج مع ما يترتب عليه من النتائج ، وهو ما أخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات[٥] .

وتسبب عن هذه العزلة أحداث بالغة الخطورة ، فقد نظروا إلى سواهم نظرة عداء وحذر ، وبالتالى لم يدينوا بولاء إلى الوطن الذى يجمعهم بالآخرين ، وإنما اتجهوا بولائهم إلى جماعاتهم ، فأصبحت هذه الجماعة هى وطنهم ، وهى دينهم ، وهى موضع تقديسهم ، وليس لهم بسواها صلة أو ارتباط . وقد نتج عن ذلك ما ذكره Charles Kent[٦] بقوله : خلال أكثر فترات التاريخ كان العبرانيون محاطين بدائرة من الأمم المعادية التى تمثل حلقة من نار لا تدع لهم فكاكا . ■

يتبع

(١) J.W.D.Smith : God and man in Early Israel p. 5.

(٢) دكتور فؤاد حسنين : التوراة ص ١١ .

(٣) Charles Kent : A History of the Hebrew People p. 25.

(٤) مذكرات وايزمان ص ٣ .

(٥) عبد الرحمن سامى : الصهيونية والماسونية ص ٤٦ .

(٦) مذكرات وايزمان ص ٣ .

القدس

بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

بقلم لواء أ.ح. د. فوزى محمد طايل

ترتفع الأصوات هنا وهناك فى اعقاب هدوء « ازمة الخليج » من اجل إيجاد تسويات سلمية لمشكلات « الشرق الأوسط » ، وخاصة اهم مشكلاته واكثرها حساسية ، وهى « المشكلة الفلسطينية » .

ويحق لمسلمى العالم ، بل ولكل المؤمنين بعقيدة سماوية ان يتساءلوا عن مصير « القدس » فى إطار اية تسوية قادمة .

تلكم المدينة التى باركها الله ، والتى تضم اولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، وغاية مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ إذ يقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ « الإسراء / ١ » .

هذا فضلا عما تحتويه هذه المدينة من مقدسات إسلامية ونصرانية ويهودية .

وقد لا يتسع المجال لتوضيح الحجج غير الشرعية التى قامت على أساسها « الدولة اليهودية » ، إذ قامت على أنقاض مجتمع مستقر ، وطردت وشردت شعبا بأكمله ، وأنكرت عليه حقه فى أرضه .

وقد لا يتسع المجال لتبيان أن اليهود وصف يتصف به « بنو إسرائيل » وغيرهم ممن ينتسبون إلى شريعة موسى ـ عليه السلام ـ من أجناس(*)

(*) جاء فى سفر « أستير » « الاصحاح الثامن » ١٥ ـ ١٧ : « وخرج موردخاى من أمام الملك بلباس ملكى اسمانجونى وابيض ، وتاج عظيم من ذهب ، وحلة من بَزٍّ وارجوان . وكانت مدينة شوشن متهللة وفرحة . وكان لليهود نور وفرح وبهجة وكرامة ، وفى كل بلاد ومدينة ، كل مكان وصل إليه كلام الملك وامره كان فرحا وبهجة عند اليهود ، وولائم ويوم طيب . وكثيرون من شعوب الأرض تهودوا ، لأن رعب اليهود وقع عليهم .

العرب ، والروم ، والفرس ، بل ومن سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى ـ عليه السلام ـ ومن المصريين الذين آمنوا فكانوا ممن أسرى بهم موسى ـ عليه السلام .

وقد لا يسعنا المقام أيضا لإثبات أن مخترعى « الفكرة الصهيونية » التى تدعو يهود العالم إلى العودة « لأرض الميعاد » ـ ، وأن « منشئى الدولة اليهودية » ، والذين يسيطرون على أعلى وأهم المناصب فيها حتى الآن هم من : « الأشكنازيم » ـ أى الذين عاشوا فى « ألمانيا » و« شرق أوروبا » و« الاتحاد السوفيتى » ـ وهم جميعا من سلالة قبائل « الخزر » الوثنية ، الذين كانوا يسكنون تلكم المناطق ، واعتنقوا اليهودية فى القرن العاشر الميلادى ، ولا يمتون بأية صلة عرقية ، سواء لبنى إسرائيل ، أو حتى لليهود « السفارديم ـ أى الذين هاجروا إلى « أسبانيا » و« شمال أفريقيا » ، وغيرها وعاشوا فى كنف الإسلام ، وحماية المسلمين عدة قرون .

وأخيراً،فإن المقال قد لا يتسع لسرد وقائع توضح أن من اليهود ـ ومن بنى إسرائيل ـ من دخل النصرانية ، على مدى تسعة عشر قرنا ، ومنهم من دخل الإسلام ، على مدى أربعة عشر قرنا ، كما أن من النصارى من دخل اليهودية ، ومنهم من لا يزال يدخلها إلى الآن ، من خلال عمليات « التهويد » التى تقوم بها معاهد متخصصة فى « إسرائيل»،وفى الولايات المتحدة الأمريكية » .

هذا ، وقد يقتصر تناولنا للموضوع على وضع « القدس » من الناحية القانونية الدولية ، هذه القواعد التى استند إليها « المجتمع الدولى » فى معالجته « لمشكلة الخليج » من خلال تحرك « سياسى / قانونى » واسع النطاق ، كان من أدواته استخدام « القوات المسلحة » لتنفيذ قرارات « مجلس الأمن » وللتأكيد على استقرار مبدأين هامين هما :

ــ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة المسلحة .

ــ عدم جواز تغيير الوضع القانونى للأرض المحتلة .

الغزو الصهيونى لفلسطين قبل قيام الأمم المتحدة :

لقد جاء فى الإعلان الذى صدر عن المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى مدينة « بال » « بسويسرا » عام ١٨٩٧ م ، أن : « هدف الصهيونية هو إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين تحت حماية القانون العام » Secured by Public Law .

وبطبيعة الحال فإنه ليس بهذا الإعلان أية صفة قانونية اللهم سوى أن من أصدروه قد الزموا انفسهم بالانصياع لحكم القانون ، وأخضعوا الحركة الصهيونية فى فلسطين للقانون .

سعت الحركة الصهيونية العالمية من أجل الحصول على دعم القوى الكبرى فى العالم ـ آنذاك ـ فاستغل اللورد « آدموند روتشيلد » ، الانجليزى اليهودى صاحب بيوت المال الشهيرة ، استغل الضائقة المالية التى كانت بريطانيا تمر بها قرب نهاية الحرب العالمية الأولى ، وأن اليهود كانوا قد شاركوا بالقتال فى صفوف الحلفاء ، فتقدم إلى وزير خارجية بريطانيا « آرثر جيمس بلفور » بمشروع تصريح ـ وافقت عليه دول الحلفاء الكبرى ، بطريق غير رسمى ، واعتبرت

القـدس بيـن المواثيـق الدولية

نفسها مسئولة عن تنفيذه ، حتى قبل صدوره .

صدر يوم الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧ م مايعرف « بوعد بلفور » ، وجاء فيه : « ... إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين .. على أن يكون مفهوما بوضوح أنه لن يتم فعل أى شىء من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين » .

ونظرا لعدم وجود أية صفة قانونية دولية لمثل هذا الوعد ؛ ولأن اليهود فى فلسطين لم يكونوا يمثلون سوى ستة فى المائة من السكان ، ولم يكونوا يمتلكون من الأراضى المسموح بتملكها ملكية خاصة سوى ثنتين ونصف فى المائة ، فقد سعت الصهيونية العالمية بجد كى تكسب هذا الوعد شكلا قانونيا بتضمين صك الانتداب على فلسطين له .

لذا ..... جاء فى ديباجة هذا الصك ، الصادر فى الرابع والعشرين من يوليو ١٩٢٢ ، أن « القوى الرئيسية للحلفاء قد وافقت ـ استنادا إلى نص المادة رقم ثنتين وعشرين من عهد عصبة الأمم ـ على وضع التصريح ، الصادر من قبل حكومة جلالة ملك بريطانيا يوم الثانى من نوفمبر ١٩١٧ ، موضع التطبيق ، وأن هذه القوى تتبنى إقامة « وطن قومى للشعب اليهودى » فى « فلسطين » ويجب أن يكون مفهوما بجلاء أنه لن يتم فعل أى شىء قد يلحق ضررا بالحقوق المدنية والدينية للجاليات غير اليهودية الموجـودة بفلسطين .

وقد تكرر هذا المبدأ عدة مرات فى عجز المواد المختلفة .

ــ ففى المادة الثانية جاء النص على : « الحفاظ على الحقوق المدنية والدينية لكل سكان فلسطين ، دون نظر لاختلاف الجنس أو الدين » .

ــ ونصت المادة التاسعة الفقرة الثانية على أن « .. المصالح الدينية للأفراد سوف يتم الحفاظ عليها وضمانها كاملة Fully guaranteed وبصفة خاصة مراقبة وإدارة « الأوقاف » فإنها ستمارس طبقا للشريعة Religious Law ولشروط منشئيها .

ــ أما المادة الثالثة عشرة فجاء فيها تعهد حكومة ملك بريطانيا ، نيابة عن عصبة الأمم ، أن تتحمل المسئولية الكاملة عن الأماكن المقدسة ، والمبانى ، والمواقـع الدينيـة فى فلسطين ، بما فى ذلك الحفاظ على الحقوق الموجودة آنذاك ، وحرية الوصول إلى الأماكن المقدسة ، والمبانى والمواقـع ذات الطبيعة الدينية ، وحرية ممارسة العبادة فيها ، مع المحافظة على النظام العام واللياقة .. إلخ .

هذا وقد انضمت « الـولايات المتحـدة الأمريكية » لما جاء بقرار عصبة الأمم فيما يختص بصك الانتداب على فلسطين فأصدر مجلس الشيوخ الأمريكى ، ومجلس النواب ، فى جلسة مشتركة « للكونجرس » قرارا فى الحادى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٢٢ م تضمن « رعاية الولايات المتحدة الأمريكية » لإقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، مع وجوب أن يفهم بجلاء أن شيئا لن يتم القيام به ويكون من شأنه الإضرار بالحقوق المدنية والدينية للجاليات « المسيحية » ، وكل الجاليات « غير اليهودية » فى فلسطين ، وأن الأماكن المقدسة والمبانى والمواقع الدينية فى فلسطين سوف يتم حمايتها حماية كافية Shall Be Adequately Protected .

أما عن مفهوم « الوطن القومى » National Home ، فلم يكن يعنى لدى الدولة مانحة

« وعد بلفور » أنه إنشاء دولة يهودية بفلسطين ، إذ جاء فى الكتاب الأبيض الذى أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠ أن ما تضمنه « تصريح بلفور » فى شأن إنشاء وطن قومى يهودى بفلسطين لا يعنى البتة إقامة « دولة يهودية » بها ، وإنما يعنى مجرد الوعد بالعمل على تهيئة مركز لهم هناك .. وأن « الوطن القومى » يعنى « مجرد التوطن » .

ومن ناحية أخرى فقد أقرت « عصبة الأمم » التقرير الذى قدمته « لجنة تحقيق خاصة » ، اطلعت أثناء عملها على الوثائق ، واستمعت إلى مرافعات محامين حول النزاع بين العرب واليهود ، وبخصوص ملكية الحائط الغربى الذى يسميه اليهود « بحائط المبكى » ، وأصدر ملك بريطانيا على أساس ما أقرته العصبة ، مرسوما ملكيا يعرف باسم « مرسوم الحائط الغربى لعام ١٩٣٠ » ، ونشر المرسوم فى الجريدة الرسمية لفلسطين ، ونشر بعد ذلك ضمن « مجموعة قوانين » « درايتون » ، التى اعتمدتها حكومة الانتداب رسميا ، وبقى مرسوم الحائط الغربى ساريا حتى بعد قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ م .. وقد جاء فى التقرير المشار إليه :

- للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى ، ولهم وحدهم الحق العينى فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف .

- للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط ، وأمام المحلة المعروفة بحائط المغاربة المقابلة للحائط لكونه موقوفا حسب الشرع الإسلامى لجهات البر والخير .

- أدوات العبادة التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لا يجوز بحال من الأحوال أن تعتبر أو يكون من شأنها إنشاء اى حق عينى لليهود فى الحائط أو الرصيف المجاور له .

- لليهود حرية الوصول إلى الحائط الغربى لإقامة التضرعات .. إلخ .

ذلك ، وقد تزايدت الأطماع الصهيونية فى فلسطين فى عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ، وازدادت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وكثرت الاضطرابات بين اليهود وبين سكان البلاد الأصليين ، وتطور الأمر فاستخدمت الأسلحة ، وعم الإضراب كل فلسطين عام ١٩٣٦ ، فشكلت بريطانيا لجنة تحقيق ملكية سميت بلجنة بيل « Peel » عام ١٩٣٧ لإيجاد حل وسط ، خاصة فى مسألتى الهجرة ، والأراضى ، فأوصت اللجنة المذكورة بتحديد هجرة اليهود باثنى عشر ألفا خلال السنوات الخمس التالية ، كما اقترحت تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق ، وأعلن تقرير لجنة « بيل » هذه فى السابع من يوليو عام ١٩٣٧ م ليشمل :

- إقامة « دولة عربية » موحدة تضم شرق « الأردن » ، و« غزة » ، و« بئر سبع » ، و« صحراء النقب » ، و« الخليل » ، و« القسم الشرقى من مناطق طولكرم » و« جنين » ، و« بيسان » ، و« يافا » .

- إقامة « دولة يهودية » تشمل « حيفا » و« الجليل » ، بما فى ذلك « صفد » و« عطا » وكل السهل الساحلى من أسدود حتى الجليل الشمالى ..

- وضع القدس ، والناصرة ، وشواطىء طبرية ، ومدينتى اللد والرملة تحت الانتداب البريطانى الدائم .

وبينما رفض العرب المشروع فى الثامن من يوليو عام ١٩٣٧ ، ثم فى مؤتمر « بلودان » فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٣٧ ، فقد قبله المؤتمر الصهيونى العالمى فى أغسطس من نفس العام . وقامت « الوكالة اليهودية » بوضع مشروعها الخاص بتقسيم فلسطين على أساس أن تشمل « الدولة اليهودية » غرب نهر الأردن ، ومنطقة

القدس بين المواثيق الدولية

غزة ، ومنطقة بئر سبع ، فضلاً عن تقسيم القدس بين « الدولة اليهودية المقترحة » ، وبين الانتداب البريطانى .

قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين والوضع القانونى للقدس :

بانتهاء الحرب العالمية الثانية وقيام « الأمم المتحدة » بذلت المحاولات خارجها فى البداية من أجل التوصل إلى حل للمشكلة الفلسطينية ، فقدمت بريطانيا مشروعا سمى باسم اللورد « موريسون » Morrison نائب رئيس الوزراء البريطانى ، إلى المؤتمر العربى / البريطانى الذى عقد فى لندن فى المدة من العاشر من سبتمبر حتى الثانى من أكتوبر ١٩٤٦ ، وتضمن المشروع تقسيم فلسطين إلى أربعة أقسام : منطقة يهودية وثانية عربية ، ومنطقة صحراء النقب ، والمنطقة الرابعة تشمل مدينة « القدس » وبيت لحم وضواحيهما المجاورة ..

بيد أن المشروع رفض من قبل العرب واليهود جميعاً .. فاقترحت بريطانيا عقد مؤتمر فى لندن فى « الثامن والعشرين من يناير عام ١٩٤٧ م عرض فيه مشروعاً سمى بمشروع « بيفن » ومفاده من أجل الانتداب على فلسطين خمس سنوات أخرى تقام خلالها حكومة عربية وأخرى يهودية تتمتعان باستقلال ذاتى ، ويتم الحد من الهجرة لتصل إلى ستة وتسعين ألف مهاجر ، على أن يعاد فتح الموضوع للبحث بعد مرور الخمسة الأعوام .

رأى الجانبان أن المشروع لا يفى بمطالب كل منهما فرفعت بريطانيا الأمر « للجمعية العامة للأمم المتحدة » لمناقشة المشكلة الفلسطينية فى المدة من الثامن والعشرين من إبريل حتى الخامس عشر من مايو عام ١٩٤٧ م .

فقررت الجمعية تشكيل لجنة خاصة لفلسطين مكونة من إحدى عشرة دولة ، قدمت فى نهاية عملها مشروعاً لتقسيم فلسطين .

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على مشروع لتقسيم فلسطين بقرارها رقم ١٨١ فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ وكان أهم ما جاء بالقرار :

ـ الجزء الأول : ١ ـ إنهاء الانتداب ، والتقسيم ، والاستقلال :

تقسيم فلسطين(*) إلى :

● دولة عربية تشمل « الجليل الغربى ، ولواء نابلس ، والسهل الساحلى ، حتى حدود مصر » ، و« لواء الخليل » و« جبل القدس » ، و« غور الأردن الجنوبى » وتبلغ مساحتها ٤٢,٩٪ من مساحة فلسطين ، ويسكنها ٦٦١ الفا ، منهم ١١ الفا من اليهود .

● دولة يهودية تشمل « الجليل الشرقى » ، و« مرج بن عامر » ، والقسم الأوسط من السهل الساحلى ، و« منطقة النقب » ، ومساحتها ٥٦,٥٪ من أرض فلسطين ويسكنها ٩٩١ الفا منهم ٤٩٥ الفا من العرب .

(*) تمكنت الوكالة الصهيونية منذ عام ١٨٨٢م من جلب اليهود إلى فلسطين بأعداد كبيرة فى شكل هجرات جماعية ، خاصة من الاتحاد السوفيتى « وأوروبا الشرقية » ، واستولت على مساحات كبيرة من الأراضى عن طريق الشراء بالترغيب والترهيب .

مدينة القدس وتخضع لنظام دولى خاص :
« Special International Regime For The City of Jerusalem

- الجزء الثانى : الأماكن المقدسة ، والمبانى ،والمواقع الدينية :

١ - لا يجوز الحرمان من الحقوق الدينية فى الأماكن المقدسة والمبانى أو المواقع الدينية ، ولا يجوز الإضرار بها « Impaired » .

٢ - يتم ضمان حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة ، وزيارتها ، والتنقل بينها حسب الحقوق الموجودة « آنذاك » ، لسكان المدينة وللاجانب عنها ، دون تمييز بسبب قومية ، مع مراعاة متطلبات الأمن والنظام العام واللياقة .. وببساطة حرية العبادة يجب أن تكون مضمونة ..

٣ - يتم المحافظة على الأماكن المقدسة ، والمبانى أو المواقع الدينية ، ولا يسمح بأى تصرف قد يؤدى إلى الإضرار بطبيعتها المقدسة بأى طريق . وإذا ظهر للحكومة أن مكانا مقدساً بالذات ، أو مبنى أو موقعا دينياً يحتاج إصلاحاً سريعاً ، فعلى الحكومة أن تستدعى الجالية ، أو الجاليات المعنية للقيام بمثل هذه الاصلاحات، ويمكن للحكومة أن تقوم بهذا العمل على حساب الجالية أو الجاليات المعنية إذا لم تقم هذه الجهات بإجراء ما خلال مدة معقولة .

- الجزء الثالث : مدينة القدس :

(أ) نظام خاص : تعتبر مدينة القدس كيانا مستقلاً « Corpus Separatum » يحكمها نظام دولى خاص وتديرها الأمم المتحدة ..
Special internatonal regime and shall be administered by the united nations ...

(ب) تشمل مدينة القدس « بلدية القدس » « آنذاك » بالإضافة إلى القرى والمدن المحيطة بها ، وحدودها الشرقية « أبوديس » ، والجنوبية « بيت لحم » ، والغربية « عين كريم » ، والشمالية « شوفاط » ..

(حـ) نظام إدارة المدينة .. إلخ مما قد نتعرض له تفصيلاً فى مقال قادم بإذن الله .

هذا وقد وافق على قرار الأمم المتحدة ثلاث وثلاثون دولة ، وعارضه ثلاث عشرة دولة ، وامتنعت عشر دول عن التصويت .. وقبل الصهاينة القرار؛ لأنه يحقق مطالبهم ، وإلا لما كانوا قد وافقوا عليه .

هذا وقد صدر إعلان قيام دولة إسرائيل فى الرابع عشر من شهر مايو عام ١٩٤٨ م بمجرد إنهاء بريطانيا انتدابها على فلسطين فجأة ومن جانب واحد ، وكان السند القانونى لقيام هذه الدولة هو قرار الأمم المتحدة المذكور ، فجاء نص الإعلان مايلى :

On the 29 th November 1947 the United Notions General Assembly passed a resolution calling For the establishment of a Jewish State in Eretz-Istael ... This recognition ... is irrevocable ...

ACCORDINGLY ... BY VIRTVE OF OUR NATURAL AND HISTORIC RIGHT AND ON THE STRENGTH OF THE RESOLVTION OF THE UVITED NATIONS GENERAL ASSEMBLY, HEREBY DECIARE THE ESTABLISHMENT OF A JEWISH STATE .

لئن كان هذا هو الأساس الذى قامت عليه « إسرائيل » ، والذى بدونه تصبح « كيانا غير قانونى » فبأى حق تكون « القدس » عاصمة لها ؟

لعل الأمر يحتاج إلى مزيد من المعالجة لبيان بطلان حجتهم . يقول الله تعالى :

﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ . « الأنفال / ٦ »

الدعوة الإسلامية في كينيا

■ إعداد التحرير

ينقسم المجتمع الكينى إلى مجموعات بشرية متعددة ، منها القبائل الكينية الشهيرة ، ذات الأصول البانتوية ، مثل « الكيكويو » و « الكامبا » و « اللوا » و « الجالوا » و « الماساى » وغيرهم ، ومنها العرب المهاجرون من قديم الزمان ، الذين استوطنوا الساحل بدءاً من « كيسيمايو » على حدود الصومال الجنوبية إلى حدود « تنزانيا » الجنوبية ، وأغلبهم من أصول يمنية وحضرمية ، ومنهم أيضا الهنود المهاجرون من شبه الجزيرة الهندية .

هذه المجموعات الثلاث تشكل أهم عناصر المجتمع الكينى الحديث ، ويتركز المسلمون فى المناطق التى تقع على ساحل المحيط الهندى ، فى المدن الشهيرة ، ذات التاريخ والتقاليد الإسلامية العريقة ، مثل : « لامو » و « ماليندى » و « ممباسا » وتنتشر بعض مجموعاتهم الصغيرة فى العاصمة « نيروبى » وبعض المناطق الداخلية ، ومازال هؤلاء العرب يحتفظون بثقافتهم الإسلامية ، وتقاليدهم العربية فى الزواج والأفراح والمناسبات المختلفة ، واللباس العربى التقليدى ، ومازال بعضهم يحتفظ بلغته العربية ، مشوبة بألفاظ سواحيلية وانجليزية .

وإذا قدر لك أن تخالط هذا المجتمع العربى الإسلامى فى بعض المناسبات ، يأخذك العجب عندما يتحدثون باللغة العربية وكأنك فى بلد عربى لا أفريقى ، ولكنهم ينتقلون بسهولة بالغة من الحديث بالعربية إلى السواحيلية إلى الانجليزية فى ذات الوقت والمقام ، **ولكن مما يؤسف له حقا أن الأجيال الجديدة من أبناء العرب وبناتهم قد فقدوا إلى حد كبير لغتهم العربية ، وأصبح من الصعب عليهم التواصل بها تواصلا كاملا ، وإن احتفظوا بكثير من العبارات والجمل العربية المتعلقة بالدين وبالأخص جانب العبادات** ؛ ويواجه معلمو اللغة العربية مشكلة تعليم هؤلاء لغتهم العربية ، خاصة حروف الحلق التى فقدوها أو أوشكوا ، ومما يدهش أيضاً أن ينسى أبناء العرب أن أجدادهم كانوا حكام المنطقة وسادتها قبل أقل من مائة عام فقط ، لدرجة أنك لو ذكرت فى فصل دراسى بعض زعمائهم أو أدبائهم من العرب ، يسألونك : من هذا الزعيم ؟ أو من ذلك الأديب ؟ .

لقد نسوا بالفعل تاريخهم وتراثهم .

والعرب عموما مازالوا على درجة عالية من الثراء والوفرة المادية ، لكنهم فقدوا بحق مراكزهم القيادية فى المجتمع الكينى وقل تأثيرهم فى المجموعات الأفريقية الأخرى ، وخرجت السلطات السياسية والتنفيذية غالبا من أيديهم ، وأصبحوا مقادين مأمورين ، وتشعر بهم منزوين مبتعدين عن الأحداث أو محاولة التدخل لتعديل مسارها أو اتجاهها : كما أنهم فى ظل انتشار المادية الحديثة ، واهتمام الناس بجمع الأموال ، لا يبذلون الجهد المناسب فى الدعوة إلى الإسلام ، واجتذاب المزيد من المجموعات البشرية الأخرى إلى حظيرة الإسلام(*) .

هذا مع العلم بأن هؤلاء العرب هم الكوادر الحقيقية والقادرة على القيام بعبء الدعوة ، نظرا لمعرفتهم بلغات القوم وعاداتهم ، وقدرتهم على الحركة داخل البلاد ، ولكن الحقيقة أيضاً أن هؤلاء العرب يحتاجون فى المرحلة الحالية إلى إعادة تثقيفهم وتعريفهم بالإسلام وثقافته ، وتسليحهم أيضاً بالوسائل المعنوية التى تؤهلهم للقيام بهذا الدور الخطير ، وخصوصاً أنهم يواجهون عتاة المبشرين المسلحين بكل الأسلحة المادية والثقافية والمدعومين من السلطة السياسية والهيئات الدولية .

وثمة مجموعة ثانية من المسلمين هم الهنود والباكستانيون وهؤلاء بأيديهم عصب الحياة التجارية والصناعية فى كينيا ، وهم أثرياء البلد ووجهاؤها ، يملكون القصور الفخمة والمقتنيات ذات القيمة والسيارات الفارهة وغير ذلك ، وهم أيضاً مختلفون دينيا ومذهبيا ، فمنهم غير المسلمين من الهندوس والسيخ وغيرهما ، ومنهم المسلمون وبعضهم من « البهرة » وهم الأغلبية ، وبعضهم من الشيعة الإسماعيلية ، وقليل منهم اثنا عشرية أو (سُنِّيُون) .

ومن سوء الحظ أن هذه الطبقة ذات النفوذ والقدرة على التأثير ، تشعر بها طبقة غير اجتماعية هى - بدورها - منعزلة منطوية لا تميل إلى الاختلاط بالآخرين ، وقد جعلت همها فى النشاط الاقتصادى وهم لا يشعرون بالأمان والاطمئنان ، ويتوجسون الشر من أهل البلد ، ويتوقعون أن يحدث لهم ما حدث لزملائهم فى « أوغندا » عندما طردهم الرئيس السابق « عيدى أمين » . وكان هذا يدفعهم إلى المبالغة فى نشاطهم والتفنن فى مضاعفته متعاونين - فى ذلك - متكاتفين ، وهم يحظون بقدر كبير من الكراهية من المجموعات البشرية الأخرى ، ويتعرضون أحيانا للاعتداء منهم .

والمسلمون من هذا المجموعة ليسوا مؤهلين للقيام بدور فى الدعوة إلى الإسلام فى هذا البلد ، بل العكس هو الصحيح لأن كراهية الوطنيين للهنود عموماً ، لا تقربهم منهم بل تنفرهم وتبعدهم ، ومع ذلك يوجد نشاط ملحوظ (للإسماعيليين) منهم فى مجال الدعوة ، وكذلك فرقة « الأحمدية » المنظمة تنظيما عاليا وقد اكتسبوا إلى صفهم أعدادا هائلة من السكان فى أفريقيا عموماً ، ولكن تأثيرهم فى كينيا محدود للغاية .

---

* يبدو أن هذا الموقف هو رد الفعل الطبيعى للمذبحة التى راح ضحيتها العرب عندما قام يوليوس نيريرى بالتخلص منهم تحت شعار الأعداء البيض .

الدعـوة الإسلاميـة فى كينيا

وهناك مجموعة ثالثة هم الأفريقيون ذوو الأصـول البانتـوية فهم ـ عـلى اختلافهم وانقسامهم إلى قبائل ـ يجمعهم تراث وثقافة مختلفة ومتفقة فى آن واحد ، وهم المجموعة الكبرى التى تعرضت للتبشير والتأثير الثقافى الغربى ، بهدف تحويلهم عن معتقداتهم القديمة إلى العقيدة النصرانية على الأسلوب الغربى ، والذين تحولوا منهم إلى المسيحية مختلفون أيضاً فى مذاهبهم المسيحية ، فمنهم الكـاثوليـك والبروتستانت ، ومذاهب أخرى أشهرها الآن ما يسمى بالمذهب الأفريقى المستقل ، وهو مذهب لا يتبع أيا من المذاهب المشهورة ، ويحاول أن يجد لنفسه طريقا أفريقيا مسيحيا متفردا ، يتميز بسمات أفريقية خالصة ، ولو قدر لك أن تزور بعض كنائسهم تلك المستقلة يأخذك العجب العجاب ، فهى تجمع بين تقاليد مسيحية معروفة وعناصر ثقافية أفريقية خالصة ، بمعنى أنهم مزجوا بين المسيحية والعقائد الأفريقية القديمة ، وأدخلوا ضمن شعائرهم عناصر لا تمت إلى المسيحية بصلة ، أخصها الرقص والطبول والموسيقى الأفريقية الصاخبة داخل الكنيسة ، وكأنك فى مسرح لا دار عبارة .

وأكثر المجموعات الأفريقية قد تأثرت على يد الغرب بكراهية للإسلام وسوء فهم عجيب لهذا الدين ، بدرجة تنفر الإنسان من هؤلاء الذين أدخلوا فى روعهم ـ باسم المسيحية ـ هذا النفور من الإسلام وإساءة فهمه وتشويه ثقافته ومبادئه ، ولقد جمعتنى وبعضهم ـ ومنهم رجال كنسيون يقومون بأداء الشعائر وقيادة الناس وتوجيههم فى الكنائس ـ جمعتنى وإيـاهم مناقشات حادة ، علمت منها أنهم يفهمون أن المسلمين لا يعبدون ربا واحداً ، أو هم يعبدون إلها خاصا بهم اسمه « الله » وأن الله ليس رب الناس أجمعين (وأعوذ بالله من مقالتهم هذه) كما أدهشهم أننى كمسلم أومن بإبراهيم أبى الأنبياء وعيسى عليه السلام ومريم العذراء وموسى وأيوب والنبيين المذكورين فى القرآن الكريم . أومن بهم أنبياء مرسلين .

وسألونى مندهشين :

هل تؤمنون بهؤلاء الأنبياء ؟ .

هل تؤمنون بأن مريم كانت عذراء عندما ولدت المسيح .. ؟

هل تؤمنون بإبراهيم واسحق ويعقوب .. إلخ هل .. هل .. ؟ ولما أجبتهم بأنهم مذكورون فى القرآن الكريم ، وأن الذى لا يؤمن بهم أو بأحدهم لا يكون مسلما صعقوا من جهلهم بالإسلام ، واجتمعوا حولى ليالى طوالا يسألون ويستعلمون ، وطلبوا منى نسخة من القرآن الكريم بالسواحيلية أو بالانجليزية ، ولما أطلعتهم على نسخة كانت عندى ، وقرأوها ، عادوا إلىّ معتذرين فى أدب شديد ، وقال أحدهم ـ وهو رئيس إحدى الكنائس : « إننا نأسف لجهلنا بالإسلام ، ونأسف لأننا تلقينا معرفتنا بالإسلام من المبشرين » وأعلن هذا الرئيس أن لفظة « الله » ما هى إلا مرادف للفظة (مونجو) التى تعنى بالسواحيلية الإله القادر الخالق البارىء المصور الذى لم يوكل أحدا فى (الخلق) عنه .

وما جاء على لسان هذا الرجل حقيقة كبرى يجب ألا يهملها دعاة المسلمين ، وهى أن الأفريقيين عموما يؤمنون بإله خالق قادر ، وإن

اختلفت أسماؤه لديهم ، وهذا مما يقربهم من الإيمان بالله الواحد كما هى فى الإسلام ، وفى الديانات السماوية الأخرى قبل أن يصيبها التحريف .

وخلاصة تجاربى بين الشعب الكينى عموماً ، قد دلتنى على حقيقة أخرى مؤكدة لاجدال فيها ، وهى أن المسيحيين الكينيين الذين يشكلون الآن نحو ٦٠ ٪ من عدد سكان هذه الدولة (حوالى ٢٤ مليون نسمة) مازالوا فى دور التحول ، بمعنى أن أغلبهم مسيحيون بالاسم ، اختلطت فى أذهانهم العقائد والشعائر والثقافات ، ومازال المثقفون منهم يسألون متشككين فى كثير من عناصر عقيدتهم ، فإذا أضفنا إلى ذلك جهلهم بحقيقة الإسلام ، وسماح هذا الدين بشىء مما لديهم من موروثات قديمة كتعدد الزوجات المحدود ، وهى الفكرة التى يلح المبشرون فى تشويه الإسلام بها ، إذا أدركنا هذه الحقائق ، فإننى أقول بكل ثقة :

إن الوقت مازال متسعاً للدعوة الإسلامية فى هذا البلد ولم تزل الفرصة متاحة لإعادة اكتساب الشعب الكينى إلى حظيرة الإسلام وأنه من اليسير ، بل من اليسير جدا تحويل هذا الشعب إلى دين الله .

ويحتاج الأمر إلى جهود تتكاتف من أجلها قوى رجال الدعوة من المسلمين من البلاد العربية وغيرها .

يحتاج الأمر إلى خطة مشتركة تضم دعاة المسلمين من رجال الأزهر الشريف ، مع رجال مكتب الدعوة فى نيروبى ، والهيئات الأخرى المناظرة التى تعمل فى هذا البلد باستحياء شديد وبجهود ناقصة مبتورة ، لا تكاد تقوى على مواجهة خطيرة قد حشد لها مجلس الكنائس العالمى بذاته ، وهيئات دولية مسيحية أخرى ، حشدوا لها كان الجهود وأعدوا لها الخطط والوسائل الكفيلة بنجاحهم .

ولقد أدهشنى وذهب بلبى ، لماذا التركيز على هذا البلد بالذات من تلك الهيئات المسيحية العالمية ؟ وأدركت بعد بحث ، أن كينيا لها أهمية استراتيجية كبرى فى مجال الدعوة ، لأنها ملتقى المستقرين والظاعنين فى كل أفريقية ، بل ملتقى الظاعنين من أفريقيا إلى آسيا إلى أوروبا وبالعكس ، كما أنها تخترق جغرافيا امتدادا بشريا إسلاميا هائلا يمتد من الصومال إلى أقصى نقطة فى جنوب القارة ، كما تمتد إلى وسط القارة بحدود مع أثيوبيا وجنوب السودان وأوغندا ، حتى لتشكل حزاما بشريا يراد له أن يكون كالطوق المحكم يمنع تسرب الإسلام القادم من الشمال والمنطلق إلى الجنوب ، كما أن سكانها وجيرانهم فى أوغندا وتنزانيا يحيطون كالسوار بالمعصم حول البحيرات الكبرى ، مصدر ماء النيل الدائم ، ولو قدر لك أن تزور هذه البلاد الساحرة الآسرة جمالا وثروة وغنى ، والتى لا نظير لها فى كل بقاع الدنيا ، لو قدر لك أن تزور هذه البلاد للازمك الإحساس طول عمرك ، بأن هذه الجنة حرام أن تُحْرَمَ من الإسلام .

هذه بلاد ليس لها إلا شباب الأزهر الشريف الذى يمكن أن يعد إعداداً تاماً بلغة خطابهم ، وله – بعد – من إيمانه ويقينه وحماسه وشبابه ما الله موفقه وهو سبحانه غالب .

المسلمون والتراث الأفريقى

فى غرب أفريقيا

للدكتورة / رجاء سليم

كان هذا هو موضوع المحاضرة التى نظمها اتحاد طلاب غرب افريقيا بالقاهرة فى نادى الطلبة الوافدين بـ (عماد الدين)[1] حضرها طلبة غرب افريقيا الذين يدرسون فى « جامعة الأزهر الشريف » .

وكان المحاضر هو الطالب : عبد الله سانا الذى يدرس دبلوم تربية « جامعة عين شمس » وعقب عليها المستشار الأول بسفارة السنغال بالقاهرة السيد / احمد تيام .

وأول ما استرعى انتباهى هو فصاحة اللسان والتحدث باللغة العربية بطلاقة واقتدار من قبل المحاضر والمعقب . وهذا يعتبر مثارا للفخر والاعتزاز بجامعة الأزهر الشريف التى نجحت فى تخريج طلاب من أبناء الدول الأفريقية ليكونوا حماة الإسلام المتحدثين بلغته فى بلادهم .

وقد استهل المحاضر حديثه للحاضرين بقوله :

« أيها الشباب الأفريقى يامن تعتبرون مستقبل الأمة الأفريقية .

يامن تعتبرون طاقة إنسانية متجددة فى العمل والابتكار .

يامن تعتبرون عقل الأمة الأفريقية فى المستقبل وتفكيرها الحيوى .

أيها الذين تركوا بلادهم وأهليهم إلى عالم المعرفة والعلم ، المتعطشون إليها ، كلل الله خطاكم بالنجاح لتعودوا إلى بلادكم مظفرين ترتقوا بحياة شعوبكم ومجتمعاتكم إلى المستويات الحضارية الإنسانية فى الحاضر والمستقبل .

بهذا الاستهلال يتبين أن المحاضر قد تلمس واقع الطالب الأفريقى الذى تكبد أكثر من مشقة فى سبيل دراسته للعلوم الإسلامية واللغة العربية ، كما يدل أيضا على مدى أهمية الدور

(١) شارع بوسط القاهرة .

الذى يمكن أن يؤديه هؤلاء الطلاب لتدعيم روح الإسلام فى بلادهم بعد عودتهم ، وكل هذا يستحق منا التقدير والاحترام والرعاية لهؤلاء الطلاب .

وقد تناول المحاضر - فى كلمته - خمس نقاط رئيسية هى :

أ - التعريف بالمسلمين فى غرب أفريقيا حيث ذكر أن المسلمين فى هذا الجزء من أفريقيا ينحدرون من قبائل لها أصالتها وعراقتها وتجاربها التاريخية والعقائدية ، يدينون بالإسلام وتنعكس هذه العقيدة فى سلوكهم وأسلوب حياتهم وينتمون لدول مختلفة طبقا للتقسيم السياسى لدول القارة .

ب - التأكيد على أهمية الأدب والفن اللذين يشكلان التراث الثقافى للمسلمين فى غرب أفريقيا ، من خلال تراثهم الثقافى فإنهم يستطيعون أن يتبوءوا به مكانة عالمية فى مجال الأدب والفن . ولكن الواقع أن المسلمين فى غرب أفريقيا لا يعبرون عن أنفسهم تعبيرا منسقا منظما ، ولا يعبرون عن عواطفهم وعن أفكارهم وأحاسيسهم أو مشكلات مجتمعاتهم .

والذى نلاحظه على هذا الجزء من كلمات المحاضر ودراستنا عليه أنه يفرق بين مجموعتين من أبناء أفريقيا :

مجموعة عكفت على الدراسات الإسلامية الشريفة ، وأخلصت فى التبحر فيها وكانت بعملها هذا وسلوكها أقرب إلى أبناء أفريقيا ، وكان من الممكن جدا لهذه المجموعة - بحكم دراستها ومستواها العالى - أن تعكف شيئا ما على التراث الفنى والأدب الأفريقى فتعمل على إحياء هذا التراث وإبرازه للعالم الأدبى .

[مع تقويمه فى ضوء الدراسات الإسلامية]

كذلك على هذه المجموعة أن تعمل جاهدة على بناء شخصية الأفريقى المسلم ، وتوظيف ما تلقته من هذه العلوم الشريفة لإصلاح أحوال المسلمين الدينية والاجتماعية والاقتصادية ، إذ مما يؤسف له أن القصور فى هذا الجانب يتخذه المغرضون سلاحا ضد الإسلام ، وهو الدين الذى لم ينقض قط سبيلا لرفع كيان المسلم علما وأدبا وفنا له إطاره الكريم مشاعر وإحساسا وجمالا وعفه .

والمجموعة الثانية تلك التى تلقت تعليمها فى الغرب الأوروبى الأمريكى ، وهؤلاء عنوا بهذا الجانب وبرزوا فيه وقلما سمعنا عن كاتب أديب أفريقى إلا وكان أحد تلامذة الغرب .

ثم ينحى المحاضر باللائمة على المجتمع حيث لا توجد المؤسسات لتعليم أبناء المسلمين ، وحيث يفقد المسلمون الحركة العلمية أو الثقافية بل الدينية أيضا وكل حركة قام بها المسلمون فى أفريقيا الغربية كانت تفتقر إلى عوامل النجاح الضرورية . وبقى المسلمون على تخلف من العشوائية والجهل والفقر .

ويتساءل المحاضر : يجب أن يبحث المسلمون فى غرب أفريقيا فى الإجابة عن هذا السؤال :

كيف يمكن أن يحدث لهم النضوج الفكرى الذى ينتج الأدب الرفيع ؟ والنضوج العلمى الذى ينتج الاختراعات لإفادة الأمة ؟

ويجيب عن هذا السؤال بقوله :

المسلمون والتراث الأفريقى فى غرب أفريقيا

إنه يجب علينا نحن الأفارقة المسلمين كسب المعرفة ولن تكون لنا هذه المعرفة إلا إذا كانت لدينا مؤسسات تربوية وتعليمية جيدة منظمة ، قائمة على أسس علمية وعلى نظريات تربوية نفسية ، نستطيع من خلالها إكساب النشء من أبناء المسلمين الأفارقة بطريقة منسقة فى مراحل حياتهم المبكرة . ولكن لا يوجد من المسلمين الأفارقة من يؤلف كتابا من أجل الطفل ومستقبله ، وبدون الاهتمام بالتعليم الجيد للأطفال فى مراحل حياتهم المبكرة ، لن يكون هناك أدب ولا أعمال فكرية أو حضارية .

ج ـ الأسباب التى تعوق بروز الفكر والثقافة الإسلامية فى الأدب الأفريقى : يذكر المحاضر أن انتشار العلوم الإسلامية فى غرب أفريقيا كان ومازال ضعيفا ، بل إن هذه العلوم فى أيدى قلة من المسلمين وليست لدى العامة ، وأيضا إن مالدى هذه القلة من الناس غير مصنف ، ومعظمها يكتنفه الغموض وينقصه الوضوح ، والكتب الدينية المتداولة هى متون الكتب القديمة التى لم تجد لها شارحا ولا محققا ولا مصنفا ، بالإضافة إلى غياب التأليف فى الكتب الإسلامية والفكر الإسلامى .

ويطالب الطلاب الذين تخرجوا فى الأزهر بالقيام بأداء واجبهم « يجب علينا نحن الطلاب المسلمين الدارسين فى الجامعات الإسلامية والعربية أن نقوم بالتأليف للكتب الدينية فهى مسئولية خريجى كليات « أصول الدين » ، « وكلية الدعوة » « والشريعة » فيخرجوا لنا كتبا فى الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين والأحكام الشرعية ، وعمل كتيبات يجد المسلمون العامة فيها ضالتهم .

فلا بد لهؤلاء أن يكتبوا لأن القلم يصل إلى آلاف الناس فى كل مكان .

ولكن المشكلة فى غرب أفريقيا أنه لا توجد مكتبة إسلامية واحدة يمكن أن يجرى فيها الباحث بحثا .

د ـ المجالات التى يبرز فيها خريجو الجامعات الإسلامية :

المجال الأول :

هو مجال الدراسات الإسلامية وينقسم قسمين :

أ ـ حركة التأليف فى الكتب الدينية من فقه وتفسير وتوحيد وحديث وأحكام شرعية وأصول فقه وغير ذلك مما يتصل بجوهر العلوم الدينية الإسلامية .

ب ـ حركة تبسيط وشرح وتصنيف وتخصيص فى تلك العلوم وتيسيرها للمسلمين هناك بحيث تتفق ومستواهم المعرفى والفكرى .

المجال الثانى :

هو البيئة الأفريقية والتراث الأفريقى .

وهذا المجال هو مايتصل بذات الإنسان الأفريقى ، وفى هذا المجال هم أجدر على التعبير عن بيئتهم أكثر من غيرهم . والأدب الأفريقى ذو صلة وثيقة بإسلام الشعوب الأفريقية . بل إن بعض القصص أدت إلى إسلام بعض ملوك القبائل ، كما أن الأدب الأفريقى ذو صلة وثيقه بتاريخ الشعوب الأفريقية .

المجال الثالث :

هو البيئة الاجتماعية الأفريقية الحديثة : بما فيها من أوضاع المسلمين فى دولهم وحركاتهم المذهبية .

المجال الرابع :

هو الدراسات الحرة للعلوم الإنسانيـة والعلمية :

فنحن أبناء المسلمين الأفارقة الدارسون فى الجامعات الإسلامية والعربية ، إذا أردنا أن نمسك بالأقلام ونعمل بالكتابة ، لابد لنا أن يضع كل واحد منا أمامه عدة تساؤلات هى :

١ ـ ما غايتى من التعليم الذى من أجله اتصلت بهذه الجامعات ولماذا هذه الجامعات بالذات ؟

٢ ـ ماالمطلوب منى تحقيقه عندما أعود إلى بلادى بعد إنهاء تعليمى ؟

٣ ـ ماذا يمكن أن أقدمه لمجتمعى من خلال تعليمى وما اكتسبته من المعرفة ؟

٤ ـ ما الجانب الذى أستطيع أن أقدم فيه مساهمة ؟

٥ ـ هل لدى فعلا معرفة أو خبرة فى جانب من جوانب الحياة فى بلدى ؟

٦ ـ ما الذى يعانيه الناس فى بلدى من مشكلات ؟

٧ ـ كيف يمكننى المشاركة فى حلها أو فى حل بعضها ؟

٨ ـ ما الذى سيجنيه الناس فى بلدى أو يستفيدونه مما سأقدمه ؟

٩ ـ هل هم حقا يحتاجون إلى مثل هذه المساعدات ؟

١٠ ـ حذار أن تسأل ما الذى سأجنيه من مساهمتى لحل مشكلات الناس ؟

هـ ـ مشكلة اختيار لغة التعبير لدى المسلمين فى غرب أفريقيا :

يقول عبد الله سانا ، نحن ـ المسلمين ـ فى غرب أفريقيا نواجه نفس المشكلة الحضارية ، لأننا نعيش فى دول يتميز فيها كل شىء ، فاللغات الأوروبية هى اللغات الرسمية فيها وهى لغة التعليم والإدارة وهى جزء من لغة الأدب المكتوب.

ونحن ـ المسلمين ـ يلزمنا أيضا تعلمْ اللغة العربية ؛ لأنها لغة القرآن ، بل لغة العبادة فى الإسلام ، وبها نسافر إلى الجامعات الإسلامية والعربية ، ونواصل تعليمنا العالى بها . ويلزمنا تعلم اللغات الأوروبية ، لأنها اللغات الرسمية فى البلاد . وكذلك تعلم اللغات الأفريقية .

إنه لا خلاف فى هذا كله ، ولكن الخلاف يكمن فيما إذا كان يمكن اختيار اللغة العربية لتكون لغة أدبية وعلمية وتعبيرية وإدارية فى الدول الأفريقية .

إن هذه الخلافات تثور بين أبناء المسلمين الدارسين فى الجامعات الإسلامية والعربية ، أما أبناء أفريقيا الذين يتعلمون فى الجامعات الأوروبية فلا تشغلهم هذه القضية .

ـ والجدل يثور بين الطلاب : ففريق يرى أنه لا يوجد مايمنع أن يعتزوا باللغة العربية ويتخذوها لغة تعبيرية أدبية بالإضافة إلى أنها لغة الدين والعبادة ، وبخاصة أنها أصبحت لغة واسعة الانتشار وعالمية ، وهى لغة رسمية فى الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية .

ـ وفريق آخر ذهب إلى أنه لا يمكن للغة العربية أن تتجاوز نطاق الدين والعبادات فى البلدان الأفريقية ، وأنهم يتعلمون اللغة العربية من أجل

المسلمون والتراث الأفريقى فى غرب أفريقيا

الدين فقط ، ولولا الدين الإسلامى ما تعلموا اللغة العربية . ومن يتعلم اللغة العربية لا مكانة له فى المجتمعات الأفريقية ، ولا وظيفة لمن يتعلمها مهما تعلم .

وهذا اتجاه خطير ينبغى العمل بوعى على استبداله لتأخذ العربية مكانها الذى أراده الله - تعالى - لها .

إن هذه المحاضرة تثير قضايا عدة هامة .

اولا :

أوضاع المسلمين فى غرب أفريقيا .

ثانيا :

المشكلات التى يواجهها المسلمون فى غرب أفريقيا .

ثالثا :

قضية اللغة العربية .

رابعا :

الدور الذى يجب أن تقوم به جامعة الأزهر والأزهر الشريف فى متابعة الخريجين من أبناء هذه الدول ، ومساعدتهم علميا عن طريق

تزويدهم الكتب والمطبوعات الدورية التى يصدرها الأزهر فى المناسبات المختلفة . عن طريق المراكز الإسلامية فى الدول الأفريقية ثم عن طريق إنشاء رابطة تضم أبناء الدول الأفريقية فى غرب أفريقيا الذين تخرجوا فى جامعة الأزهر ، وعددهم يقدر بالآلاف . بالإضافة إلى الأئمة الذين حصلوا على دورات تدريبية .

خامسا :

تزويد المراكز الإسلامية بمجلات الأزهر وكتبه وسلسلاته الثقافية ومساعدة أبناء هذه الدول وتشجيعهم على التأليف والترجمة ونشر إنتاجهم الأدبى .

سادسا :

الاتفاق بالطرق الدبلوماسية مع حكومات الدول الأفريقية بالغرب ليتم فتح فصول للتعليم باللغة العربية على غرار الابتدائية الأزهرية تكون ملحقة بالمساجد ، ويتم تزويدها بالأساليب الحديثة فى التعليم مع الاستعانة بأبناء الدول الأفريقية الذين تخرجوا فى الأزهر للتدريس فيها .

سابعا :

تزويد مكتبة المراكز الإسلامية والمراكز الثقافية المصرية بالكتب اللازمة للباحثين فى الدراسات الإسلامية .

ثامنا :

أن تنظم جامعة الأزهر مكتبا لمتابعة الخريجين من أبناء المسلمين سواء فى الدول الأفريقية أو الآسيوية ، وعددهم بالآلاف ، حتى لا تنقطع الصلة بهم .

تاسعا :

تشجيع أبناء الدول الأفريقية على التأليف باللغة العربية بعد مراجعة المادة العلمية من جانب المسئولين بالأزهر ، لأن التأليف بواسطة أبناء أفريقيا سيجد رواجا من القراء الأفريقيين .

والله المستعان ، .

الشعر والشعراء

إشراف : رشاد محمد يوسف

مرحبا رمضان

إشراقة رمضان

من وحي غزوة بدر

قصيدة العباس في مدح الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم

من وحى غزوة بدر

للأستاذ أحمد المنشاوى الوردانى

من ذلك الجيش الذى يَتقدمُ ... والصخر من وثباته يتضرمُ
يمشى على الأطواد فهى مطيةٌ ... ويسير فى القيعان لا يتبرم
تتلفت الدنيا إليه حفيَّةً ... والشمس فى آفاقها والأنجم
تلك البحارُ : العيرُ تهدر فى الثرى ... تلك الرعود : الخيلُ حين تحمحم
تلك الوجوه عزيمة جبارة ... تلك القلوب عقيدة لا تُهْزَمُ
جند كأنهمُ الجبالُ شوامخاً ... منهم يفيض سنا الجلال عليهم
تركوا حياةَ الناسِ خلفَ ظهورهم ... ودعاهم الشرفُ الرفيعُ فاقدموا
كلٌ يدكُ البغىَ سِنُّ سلاحه ... والمجد من عزماته يتبسم
هُمْ إنْ جهلتهَمُ جنودُ محمدٍ ... وأميرهم هذا النبىُ المسلم
فى « بدرَ » حيث قُوى الضلال تجمعوا ... ومراجلُ الأحقاد تغلى فيهمُ
الحقُّ ابلجُ مستفيضٌ نُورُهُ ... لكنَّهمْ عن نور طلعته عمُوا ..
ألقى لهم شيطانهم ما يشتهى ... ورمى إليهم انهم لن يُهزموا
فيهم « ابو جهل » وفيهم « شيبة » ... « وامية » والمقت ياكل منهُم
قالوا : مبارزة ، فخف إليهم ... لله والإسلام قوم اسْلَمُوا
هذا « علىّ » فى النزال و « حمزة » ... هيهات يفلت منهما متوهم
وتقابل الجمعان : هذا كافر ... ضارٍ ، وهذا بالهدى مستعصم
جاءوا بألفٍ فاتكين يقودهم ... حقدٌ دفينٌ فيهم متحكم

ظنوا سلاح البغى ينصر جمعهم — « واللات » من سهم المنية تعصم
والمسلمون على الصعيد قلائل — كلٌّ على رد الحقوق مصمم
ونبيّهمْ يدعو الإله مناجياً — وملائك الرحمن ثمةَ حُوّم
•رَمَى الطغاةَ المارقين بسهمه — فتساقطوا صرعى الوغى وتحطموا
والحق إن يجد المجيبَ فحسبه — سلم ، وإن يَعْدمْ مجيبا فالدم
هيهات ينتصر الطغاةُ ببغيهم — مهما أعدوا للقتال وأحكموا
هذى شريعتنا ، وهذا ديننا — لا عاجز فيه ، ولا مستسلم
بالأمس كنّا ، ما انطوى عَلَمٌ لنا — نبنى كما شاء الإله ونهدم
إن نحن قلنا فالورى سمعٌ لنا — ما ثمّ بعد مقالنا متكلم
واليوم تلك جموعنا كثرت وما — عزَّتْ ، وهان على الأسى المتألم
دبّ الشقاق فما هنالك وحدة — وعُرَى الأخوة بيننا تتفصم
بِتْنا يُقَتِّلُ بعضُنا بعضاً، وما — عقل يصدّ المعتدى ويقوّم
ومن البلية أن يُؤَيَّد ظالماً — قومٌ نسوا يوم الحساب فأجرموا
هيهات تلتئم الجراح ، لأنها — اقوى من الداء العُضال وأعظم
ياقوم دينكم السلام فاقلعوا — عن غيّكم وبدينكم فاستعصموا
يارب هذا حالنا فارفق بنا — انت القوى المستعان الأعلم

مرحباً رمضان

للأستاذ
محمود شاور ربيع

رمضان أشرق ، مرحباً رمضانُ ∴ فيه الهدى والبر والإحسانُ
فيه اهتدت للنور أفواجُ الورى ∴ وأفاض ينشر نُورَه « القرآن »
فى ليلةٍ نزلت ملائكةُ الهدى ∴ وتعطرت بنزوله الأكوان
عمَّ السلامُ فكلُّ سرب آمنٌ ∴ والقلب وثَّابُ الرؤى نشوان
طهرٌ يَسيلُ ورَحْمَةٌ فيَّاضة ∴ مَنَحَ البريَّةَ هَدْيَهَا الرحمٰن
فإذا نظرت فعن يمينك صفوةٌ ∴ صَامتْ ، وأثلج صَدْرَهَا الإيمان
مسكتْ عن الدنيا وعاجلِ ما بها ∴ وسرى يُؤَلّف بينها التحنان
تقضى النهار على بديع صفائها ∴ وبليلها تَتَرَتلُ الألحان
لونٌ فريدٌ فى الحياة نعيشه ∴ وبروحنا تتآلَفُ الألوان
رمضانُ أقْبل فى ركابك نصرنا ∴ ولكل خصم ذلة وهوان
فانشر علينا رايةً خفاقةً ∴ فى ظلها يتوحدُ الأخوان

إشراقة رمضان

للأستاذ: رفعت المرصفى

رمضان نجمٌ بالهداية سَارِ ... رمضان نهر بالتراحم جارِ
رمضان عطر نرتوى بعبيره ... ونذوب شوقا، ياسنا الأسحار
رمضان وجهٌ لا مثيل لحسنه ... روح القصيد ونشوة الأوتار
يهفو علينا.. ننتشى بأريجه ... وترطب النسمات كل أوارِ
والرحمة المُهداةُ تطلق فى الورى ... مدفوعةً كالموج من تيّار
كل الخلائق ترتوى من نبعه ... والكون يَغْمُرُ من رضا الغَفَّار
اسمى الأمانى فى أواخر عشرة ... حيث انعتاق من سعير النار
و (القدْرُ) ليلته تفج بنورها ... فَتُبَارِك الايامَ بالأنوار
ياقدس إنك فى العروق وفى النُهى ... زيتا يؤجِّج موعدا للثَّارِ
إنْ كَانَ بَاعُ الشرك فرّقَ بيننا ... فالليل دوما مُخْلَفٌ بنهار
وغدا هلال الصوم يشرق فى المدى ... والمسجد الأقصى طليق إسار
ويعود للإسلام مجد «صلاحه» ... ونقيمُ فيه تشكرا للبَارى
وتسود روح الصف أكرم أمةٍ ... والمسلمون لبعضهمْ كَجَدار

قصيدة العباس في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

دراسة نصية منهجية

الدكتور : أحمد محمد على حنطور

في دراسة النص الأدبي :

دراسة النص الأدبى متعة فنية وفكرية للمتذوق الحصيف الفاهم أهداف الفنون وغاياتها فى الحياة ، وهى تلتقى فى بعض جوانبها مع النقد التفسيرى الكاشف لمناحى الجمال أو سلبيته فى الأعمال الأدبية . وسبيل تحقيق ذلك ان تكون تلك الدراسة محاورة جادة كاشفة لعناصر الفن فى النص ، ومحاورة حول استخدام هذه العناصر على حد سواء . فعلى قدر إدراكنا لكون هذه العناصر ادوات ناطقة بطبيعة التشكيل الجمالى للنص ، ورسم ملامحه الفنية فى دقة أو ترهل ، وإحسان او إساءة ؛ ياتى قدر معرفتنا باثر قدرة الشاعر فى صوغ هذه العناصر على نحو ينهض باعباء التعبير عن تجربته وتصويرها فى براعة وإحكام ، أو عجزه عن امتلاك ناصية الفن لرقة فى قواه او طيش فى استخدام أدواته .

ومن ثم يجب أن ينظر فى قراءة النص الأدبى ودراسته من مستوى الرؤية الداخلية للنص التى لا تغفل طبيعة البناء الأدبى ، وما تحمله أدوات بنائه من سمات ودلالات ، ومستوى الرؤية الخارجية الماثلة فى التعرف على الموضوع على النحو الذى تخيله الشاعر ، وعلى الطريقة التى اراد التعبير بها عنه .

ونحن نوقن بأن لهذه المحاورة وسيلة وغاية ، ويمكن تحديدها فى أن هذه الوسيلة هى التشريح وتلك الغاية هى البقاء ، ولا غرو فى القول بذلك ، فإننا لسنا تجاه جسوم بالية يذهب بها التشريح ويغوص بها فى أعماق الفناء ، وإنما نحن أمام أريج يزداد عبقه بإظهار مكامن العطر فيه ، وفن أصيل مهما تعقبت أجزاؤه لتنفى عنه شيئا منها تجاذبت إليك الأوصال لتخبرك بأنه ليس فى داخل الصدفة غير اللؤلؤ .

بيد أن لهذه الوسيلة كيفية متنوعة الرؤى والاهتمامات .

هذا أبو العباس المبرد فى كتابه « الكامل » يعنى بجانب اللغة من النصوص المختارة

والوقوف أمام بنية المفردات وبناء التراكيب .

وهذا الخطيب التبريزى فى شرح القصائد العشر الجاهلية يضيف إلى العناية باللغة النظر فى المعنى وتقديمه فى عبارة واضحة تكشف عن منحى الشاعر فى تناول معانيه .

ورأينا الأستاذين : أحمد العوامرى وعلى الجارم يهتمان فى شرح البخلاء بإبراز المسائل البلاغية فى النص من معان وبيان وبديع .

وشاهدنا المنهج المدرسى الذى يعنى بالوقوف على مفردات النص وتوضيح معانيه وشرح أفكاره ، وبيان أوجه الكمال أو النقص فى عناصر التجربة الشعرية ، ودلالتها على شاعرية الأديب ومستوى الفن فى عصره .

ووقفنا على كتاب الدكتور محمد العزب « البعد الآخر فى الإبداع الشعرى » الذى حاول فيه استبطان النص ومغادرة السطح إلى العيش فى الأعماق وتقديمه فى قراءة جديدة تظهر حيوية التجربة وعمق تفاعل الشاعر مع الحياة .

وقبل تحديد منهج هذه الدراسة فى تناول النصوص الأدبية يجدر التطلع إلى حقيقة الغاية من ورائها ، فألق تلك الغاية ينم عن طرائق الوصول إليها ، ولكل صيد نصال ، وذلك حتى لا يكون هناك ضرب فى غير مطلب ، أو مطلب ضلت النفس طريق الوصول إليه .

فغاية دراسة النص الأدبى هى الوقوف على مدى تحقق أسباب خلوده ، والتعرف على مظاهر الجودة فى عناصره الفنية ، وإبراز مزاياه الذاتية الدالة على فوح العبقرية ومكامن الشعور وخصب الخيال . وذلك بالاهتداء إلى مكونات الرؤية الأدبية عند صاحبه ، وتبين الآفاق النفسية التى يحلق فيها ، وتبصر طريقته الخاصة فى تكوين الصورة الفنية ، وتأمل تعامله مع اللغة ودلالات التراكيب ، وسبل توظيف الموسيقى لديه ، على نحو يساعد فى الحكم للعمل الأدبى أو عليه .

وسبيل هذه الدراسة فى تحقيق ذلك يشير إليه مدخلنا فى هذا الحديث ، وهو أن : « دراسة النص الأدبى محاورة جادة كاشفة لعناصر الفن فيه ، ومحاورة حول استخدام هذه العناصر على حد سواء » . وقد نضيف إليهما حوارا آخر لا مفر منه يتعلق بالتعرف على هدف الأديب الفنى من عمله وموقفه من تحقيق هذا الهدف .

ذلك أننا لا نستطيع أن نهمل جانب الأديب باعتبار أن نتاجه أولا ثمرة نشاط لغوى متفنن للتعبير عن الذات ، ولا نتغاضى عن طبيعة الأدوات التى استعان بها وطريقة استخدامها ، مادامت هى مظهر هذا التعبير وسفارته المادية المفصحة عما فى الضمير ، ولا نغفل التعرف على موقف النص من قيم الفن والجمال التى ارتضتها شرعة الذوق وَنَقَدَةُ الفن فى هذا المجال ، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد خطوات الدراسة فى النقاط الآتية :

١ ـ البحث (بين يدى القصيدة) عن أمرين يمثلان الخطوة الأولى التى تسبق الدخول إليها :

أولهما : ربط النص بقائله ؛ نسبة بالتثبت من دخوله فى أعماله ، ونسبا يمكننا من دراسة القصيدة من خلال الشاعر . « فإن العمل الأدبى يشبه الكائن الحى حين ينفصل من الأديب ، وقد تخلق هذا الكائن فى خاطر صاحبه ، ثم نما وترعرع فى حياطة وجدانه ومشاعره ، وهو بهذا الاعتبار قطعة من نفس الأديب وترنيمة صادرة من أعماقه[1] » .

---

(١) مذاهب النقد وقضاياه . دكتور عبد الرحمن عثمان . مطابع الإعلانات الشرقية صـ ١٩ .

◆ قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم ﷺ

وثانيهما : ربط النص ببيئته العامة بما تحمله من ثقافة ينعكس أثرها على الأدب ، وبيئته الخاصة بما تشير إليه من ملابسات تتصل بموضوع القصيدة ، وومضات عن موقف الشاعر منه ؛ توثق خطا البحث وتجعله فى مأمن من التيه بين دروب الرمز والإلغاز .

٢ ـ قراءة النص ومحاولة فهمه والقيام بـ(التحليل اللغوى) لأبياته وفق ما تتطلبه طبيعة النص وحاجة المتلقى إلى ذلك ، وتلك خطوة تلتقى مع منهج القدماء فى شرح اللفظ الغريب وتوضيح المعنى الغامض ، وهى تمثل الأساس لما يأتى بعد ذلك من خطوات . « غير أنها لا تميط اللثام عن الملامح الفنية ، وإنما تقتصر فائدتها على المعرفة الإجمالية لما يحمل النص من حسن أو قبح ، كأثر من آثار التأثرية التى يشعر بها ابتداء كل من ينظر فى نماذج الفنون على اختلاف وسائلها وأدواتها[٢]» .

٣ ـ الوقوف طويلاً أمام النص وبيان مقوماته التعبيرية والفكرية والتصويرية ، فى إطار (التحليل الأدبى) الكاشف عن طبيعتها للقارىء ، وتلك مهمة يحتاج الدارس فيها فى ذاته إلى قدر من الذوق والثقافة والذكاء ، كما يحتاج فيها من عالمه إلى النظر فى الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية التى تمكنه من النجاح فى مهمته .

٤ ـ وحين نصل بالدرس إلى هذه الخطوة فإن ذلك يمكننا من تقديم (نظرات نقدية) تمثل فى جوهرها شهادة للعمل الأدبى أو عليه ، وحين نكتفى بالشهادة دون الحكم فلأن للحكم مع ماسبق وسيلة الموازنة التى تؤازر الأدلة النابعة من النص عن طريق التحليل .

وتحاول هذه الشهادة جاهدة تحديد خصائص الفن فى عناصر العمل الأدبى وفقاً لما يتصل بها من قيم ، وتلخيص موقفه من القضايا الفنية المرتبطة بالنص وقائله ، وذلك حين يصل الدارس بالحوار إلى غايته ، ويقدم الإجابة عن تساؤلات يجيلها فى نفسه حول القضايا الفنية التى تثيرها القصيدة وطبيعة معالجتها لها . وحول الربط بين موضوع القصيدة ، وما تحمله من إيحاءات داخلية تثرى القصيدة بمستويات دلالية تجتاز فى تعمقها الموضوع الخارجى إلى الدخول فى التجربة الإنسانية الفنية الرحبة ، والوصف الظاهرى إلى التلويح بالموقف النفسى من رحلة الحياة .

وحول طبيعة العاطفة وتحقق مقاييس الجمال الفنى فيها ، أو إخفاقها فى بث ألق شعاعها الوهاج بين التراكيب . وحول تمكن الشاعر من الترجمة عن شعوره ترجمة أمينة تتسم بالصدق الفنى ، أو مجانبته التوفيق فى الترجمة بالعبارة عن ذلك الشعور . وحول تحليق الشاعر فى آفاق الخيال وقدرته على تقديم تصوير يرف بالصور المتنوعة الأخاذة ، أو اكتفائه برؤية أرضية يكتنفها الغموض واهتزاز التصوير .

وحول صياغة الأديب لمعانيه ومدى ما تتسم به من خصائص فنية يرتفع بها المعنى ويعمق فى النفوس ، والوسائل التى استعان بها فى ذلك .

---

(٢) دراسات فى الأدب العربى فى أزهى عصوره . مطبعة المدنى بالقاهرة . القسم الثانى صـ ٧ .

وحول طبيعة المعنى وما يتسم به من استقامة أو التواء ، وعمق أو سذاجة ، واستحالة أو جواز وإنسانية أو ذاتية ، وابتكار أو عامية .

وحول قدرة الشاعر على أن يحقق لقصيدته تيارا فكريا يسرى بين أبياتها ويبعث المواءمة بين عناصر الفن فيها ، أو افتقاده السيطرة الفنية على عمله فنبا لذلك كل عنصر عن قرينه . وحول توظيف الشاعر موسيقاه توظيفا ينمى من مزية الجمال فى العمل الأدبى .

وقد تكون الإجابة عن هذه التساؤلات أو الشهادة إيماء وتلويحا اعتمادا على بيان مقوماتها فى التحليل ، وقد تأتى تفصيلا وتوضيحا لما لم يتحمل التحليل بيانه من قضايا وظواهر ، وهى قد تتلون فى بعض نماذجها وفقا لمقاييس النقد وتطورها فى تناول الفنون الأدبية المختلفة ، لكنها جميعا تملك الرغبة والقدرة على إضاءة النص وتحديد معالمه الفنية فى وضوح وجلاء .

ويبقى التعليل لمبعث القصد فى اختيار هذا النص ، وهو يرجع إلى أمرين :

أولهما : أن العباس ـ رضى الله عنه ـ من أسرة الرسول الكريم ـ ﷺ ـ وأحبائه المقربين إليه من أهله ، ومن ثم فهو فى مقدمة المحيطين به ﷺ الواقفين على خصائصه وشمائله .

وثانيهما : أن العباس شاعر مقل ، وذلك فى ذاته يدفع إلى الوقوف على طبيعة تلك القلة ومدى ارتباطها بالفن وتحديد منزلتها فى الأدب ، وقديما ذهب ابن قتيبة ـ فى الشعر والشعراء ـ إلى أن الشعر « قد يختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره ، أو لأن شعره قليل عزيز » . ونحن لا نسلم بأن مثل هذا الاختيار دليل تفوق ، لكنه يتعاون مع التعرف على جهود المكثرين من الشعراء فى رصد جوانب حركة الفن ومسيرته الأدبية .

١ ـ بين يدى النص :

(أ) إطلالة على القائل :

يحفظ التاريخ الدينى للعباس بن عبد المطلب ابن هاشم عم الرسول الكريم ـ ﷺ ـ مشاركته فى عديد من المواقف ذات الأثر البالغ فى مسيرة التاريخ الإسلامى . فقد حضر مع رسول الله ـ ﷺ ـ بيعة العقبة الثانية ، واشترط له أن يمنعه الأنصار ممن خالفه أو يدعوه بين عشيرته(٣) وعاد مع الرسول الكريم إلى مكة يوم الفتح مشاركا فى أحداثه ومصاحبا أبا سفيان بعد دخوله الإسلام(٤) وثبت بجانبه ﷺ يوم حنين مع نفر قليل من صحبه وأهله ـ رضوان الله عليهم ـ حين انكشف عنه الناس(٥) . ومن ثم فليس غريبا أن غضب الرسول الكريم حين تعرض له بعض الناس ، وقال : « العباس منى وأنا منه ، لاتؤذوا العباس فتؤذونى »(٦) .

بيد أن للعباس ـ رضى الله عنه ـ موقفا كذلك مع الشعر ، فقد كانت له فيه تجربة تمخضت عن مقطوعات من الشعر قالها فخرا بنفسه واعتدادا بقومه ومدحا للرسول ﷺ ، ولاغرو فهو من بيت قال عنه ابن رشيق : « وليس من بنى عبد المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر ، حاشا النبى ﷺ »(٧) . وهو ـ كما قال ـ عن شاعريته : « وأما العباس فكان شاعرا مفلقا حسن التهدى ، من ذلك قوله ـ رحمه الله ـ يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله ﷺ :

---

(٣) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضرى

(٤) السابق صـ ٢٢٤ .

(٥) السابق صـ ٢٣١ .

(٦) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد حـ ٤ صـ ١٥ . ومصدر الحديث فى التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول حـ ٣

(٧) العمدة لابن رشيق حـ ١ صـ ٣٦ .

قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم ﷺ

الا هل أتى عرسى مكرى وموقفى
بـوادى حنـين والأسنـة تشرع
وقولى - إذا ما النفس جاشت لها:قدى
وهـام تدهـدى والسواعـد تقطـع
وكيف رددت الخيـل وهى مغيرة
بـزوراء تعطى بـاليـدين وتمنـع
نصرنا رسول الله فى الحرب سبعة
وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا[8]

ومن افتخاره بأهله قوله :

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت
قواطع فى أيمـاننا تقطر الدمـا
إذا خالطت هام الرجال رأيتهـا
كبيض نعام فى الوغى قد تحطما
وزعنـاهم وزع الخـوامس بكـرة
بكـل يمـانى إذا عض صممـا
تـركنـاهم لا يستحلـون بعـدهـا
لذى رحم يوما من الناس محرما[9]

وفى كتب التراث ما يدل على ذيوع شعر العباس ، واستشهاد العلماء به ، وتلفت الشعراء إليه ؛ فقد نقل صاحب مشكلة السرقات : « ويـذكـر الـرواة أن بيت العبـاس بن عبد المطلب :—

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالـدار التى كنت تعلم

قد نقله الـفرزدق فقال :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم
ولا الدار بالدار التى كنت تعرف[10]

وقد استشهد القرشى فى جمهرة أشعار العرب على أن « فى القرآن الكريم مثل مافى كلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعانى » بقول العباس رضى الله عنه :

انـت نـور مـن عـزيـز راحـم
تقمـع الشرك وعبـاد الـوثـن

فنور بمعنى هدى ، ومثله قول الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى هداها

وبدهى أن قدر معالجة العباس للشعر ، واقتصاره على أغراض محدودة ، وقلة الرواية لشعره وتوزعه فى شتى الكتب ، وجذب الأحداث الإسلامية المسلمين فى عصر الخلفاء الراشدين إلى الاشتغال بالعمل أكثر من متابعة القول ، كل ذلك يجعل جمع شعره أمرا عزيز المنال ، غير أن مقتضى هذه الحقيقة لا يحول دون النظر فى تلك المقطوعة الشهيرة التى قالها فى مدح الرسول الكريم عقب غزوة تبوك ، فهى نموذج يكشف النقاب عن ماهية شعره وطبيعة القيم التعبيرية والمعنوية التى يقوم عليها ، فضلا عما تحمله من نظرة ذاتية للعباس تجاه الرسول الكريم - ﷺ - .

يتبـع

(8) العمدة حـ ١ صـ ٣٦ . والأبيات - مع مغايرة فى الكلمات والعدد - فى الحماسة البصرية حـ ١ صـ ٩ ، ومعنى عرسى : زوجى ، وتشرع : تقبل مسددة ، جاشت : ارتاعت وخافت ، قدى : الزمى ، وهام تدهدى : وراس تدحرج ، اقشعوا : ذهبوا وتفرقوا . وفى كتب السيرة أن الذى ثبت مع النبى يوم حنين ثمانية : أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأخوه ربيعة ، ومعتب بن أبى لهب (نور اليقين صـ ٢٣١) .

(9) الحماسة البصرية بتحقيق الدكتور عادل سليمان حـ ١ صـ ١٨٠ - والبيت الثالث فى الكامل للمبرد ، ونصه :
ضربنـاهـم ضرب الأحـامس غـدوة
بكـل يمـانـى إذا هـز صممـا
(الكامل حـ ٣ صـ ١٢٣٨ . مؤسسة الرسالة : تحقيق محمد الدالى)

(10) مشكلة السرقات فى النقد العربى . د . محمد مصطفى هدارة صـ ١٩ .

العلوم الكونية

التأصيل الإسلامي لعلم الإنسان

الجديد في العلم

التأصيل الإسلامى

لعلم الإنسان

دكتور/ زكى محمد إسماعيل

■ يعد علم الإنسان « الانثروبولوجيا » أحدث العلوم الإنسانية بمفهومه الغربى الحديث ، إذ لا تتجاوز دراساته بهذا المفهوم قرنا من الزمان ، وإن كانت جذوره الأولى تمتد فى التراث العربى الإسلامى إلى أكثر من ثمانية قرون على يد الرحالة من العلماء المسلمين الرواد كما سنشير بعد .

وكلمة انثروبولوجى An thropology مشتقة فى لفظها الغربى من أصلين يونانيين أنثروبوس Anthropos أى «إنسان » ولوجوس Logosاى علم أو كلمة أو دراسة .

وقد يكون هناك لبس ما بين علم الإنسان وغيره من العلوم الإنسانيةHumanities أو Human Sciences والتى يدرس كل منهما فرعا خاصا من هذه العلوم كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة والجغرافية البشرية والتاريخ ، بيد أن علم الإنسان يختلف عن كل منها من حيث منهجه فى الدراسة ، وموضوعه فى المعالجة ، ونظرته فى التحليل والتفسير والتأويل ، وشموليته فى دراسة الإنسان ككل متكامل من جانبيه الفيزيقى من ناحية ، والثقافى الاجتماعى من ناحية أخرى ، ولهذا يعتبر هذا العلم أقرب العلوم الإنسانية صلة بالعلوم الطبيعية التجريبية كالتشريح والفيزياء والكيمياء الحيوية وعلم الحياة « البيولوجى » والطب ، وعلم طبقات الأرض « الجيولوجى » ولهذا فإن أحد فرعى هذا العلم « علم الإنسان الفيزيقى » Physical Anthropology لازال يدرس حتى الآن فى جامعات أوروبا وأمريكا فى كليات العلوم والطب وكان يدرسه فى الستينيات أحد علماء التشريح بجامعة الأسكندرية وذلك فى معهد العلوم الاجتماعية .

ولعل أشهر التعاريف لمفهوم « علم الإنسان » ما ذكره العالمان الأمريكيان رالف لينتون R. Linton وهيروسكوفتش Heroskovitsعلى أنه : «دراسة الإنسان وأعماله » .

ويرى جوزيف جرينبرج J. H. Greenberg

أنه تبعا لأصل الكلمة وتاريخها فإنها أكثر الدراسات الأكاديمية شمولا فى معالجتها للإنسان ، هذا الشمول يتمثل فى اهتمام هذا العلم بدراسة الإنسان مطلقا من قيود الزمان والمكان ، ولا تقتصر - كما كان يرى البعض فى قصرها على دراسة ماسمى بالرجل البدائى Primitive Man فتلك نظرة لم يعد لها وجود فى ساحة علم الإنسان المعاصر ، وفى هذا يقول الأنثروبولوجى الأمريكى هيبل Hoebel إن علم الإنسان ينبغى له أن يدخل فى مجاله بحق دراسة الإنسان على أى مستوى ثقافى سواء كان هذا المستوى بدائيا أم متحضرا ، وينبغى أن يدخل فى أبحاثه دراسة الإنسان فى أى زمن ، سواء كان هذا فيما قبل التاريخ أو فى العصور التاريخية أو المعاصرة .

إن الأنثروبولوجيا يجب أن تنتهى إلى نتائج يستفاد منها فى مشكلات المجتمع الحديث ، ويجب عليها أن تضع مناهجها تحت تصرف العلوم الأخرى .

وإذا كان علم الإنسان يتعدى حدود الزمان والمكان فى دراسته للمجتمع البشرى ، فإن منطقة نفوذه العلمية تتسع لتشمل مجالات متنوعة كاللغة والبناء الاجتماعى ، وأنساق الثقافة ، والتعبيرات الجمالية والمعتقدات والقرابة وسائر أنشطة الإنسان الثقافية والاجتماعية مما جعل بعض العلماء يطلقون عليه « علم طبائع الشعوب » .

إن هذا الثراء والتنوع فى تحديد مجال علم الإنسان دعا إلى أن يتفرع إلى عديد من العلوم شبه المستقلة يشترك كل علم منها مع أحد العلوم المستقلة الراسخة فى دراسة نفس الموضوع الذى يهتم به العلم . مثال ذلك : الأنثروبولوجيا الاجتماعية التى تتصل اتصالا وثيقا بعلم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا النفسية أو « الثقافة والشخصية » ، والتى تتصل اتصالا وثيقا بعلم النفس ، والأنثروبولوجيا التاريخية التى ترتبط ارتباطا عضويا بعلم الآثار القديمة .. الأركيولوجى ، وهو العلم الذى يدرس حضارات المجتمعات الإنسانية فى العصور القديمة وعصور ماقبل التاريخ عن طريق التنقيب وتحليل المعلومات المستنبطة ووصف الأدوات وتصنيفها مع التركيز على المعلومات ، والأنثروبولوجيا اللغوية والتى إن ركزت اهتمامها على دراسة لغات ولهجات الشعوب والقبائل شبه البدائية ومقارنتها ببعضها البعض إلا أنها تتصل بعلم اللغويات وتستعين به فى مجال التحليل والتفسير والتأويل باستخدام أحدث أجهزة التقنية الحديثة ، كما أن علم قياس الجسم الإنسانى Anthro pometsy والذى يهتم بدراسة هذه المقاييس ومقارنتها من حيث طول القامة والجمجمة والرأس والأنف والعيون والمخ للوصول إلى نتائج علمية يتصل اتصالا وثيقا بعلم الأحياء «البيولوجى» وبالجغرافيا البشرية .

إن من أهم أهداف علم الإنسان تفسير الطبيعة البشرية فى شتى مظاهرها بدءا بالبدائيين فأشباههم ونهاية بالمتطورين ، فهو فى أساسه علم مقارن لأنواع العقليات وأنماط التفكير وأنساق العادات والمعتقدات ، ومن ثم فإنه يدعو المؤمنين وبكل صراحة إلى تحقيق منهج الآية الكريمة : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[1] .

(١) سورة الحجرات ١٣ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

وعليه فإن علم الإنسان يوجه دراساته لتكون بمثابة مرآة يشاهد فيها الإنسان المعاصر تاريخ حياته ونظمه وكيف تطورت من البسيط إلى المركب ، سواء فى بقايا تلك النظم التى تتحدث عن نظرة الإنسان إلى الكون والنفس والخلق أو فى مقارنة القيم والعادات والمعايير والإجابة عن سؤال هام هو : هل اندثرت تلك القيم تماما أم مازالت آثارها ودلالاتها تظهر فى حياتنا المعاصرة بصورة أو بأخرى ؟

ولعل فى دراسة الآثار الفرعونية والمسيحية والإسلامية فى مصر مايلقى ظلالا على بعض أصول عاداتنا وقيمنا وموروثاتنا الشعبية .

وإذا كان علم الإنسان ينادى بضرورة دراسة الثقافة فى علاقتها المتبادلة بالشخصية الفردية والجماعية أو القومية العامة للوصول إلى مزيد من هذا الفهم الواعى المستبصر ، فإن القرآن الكريم دعا إلى هذا الاستبصار من خلال دراسة النفس فى قوله تعالى ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٢) . وبنفس القدر وجه القرآن الكريم الإنسان للنظر والدراسة لاستجلاء بداية الخلق ، ونشأة الحياة وتطور المجتمعات البشرية من خلال دراسة علمية واعية لاظن لا يغنى عن الحق شيئا وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾(٣) .

وعلى أية حال فإذا كان من أهم أهداف علم الإنسان أن يساعدنا على فهم أنفسنا من خلال دراستنا لثقافات الآخرين انطلاقا من القاعدة المنطقية « وبضدها تتمايز الأشياء » فذلك لنصل إلى إحساس عام وهام هو أن الناس فى جوهرهم وحدة واحدة لا انفصام لها ، وإذا شاء الله تعالى للبشر أن يكونوا شعوبا وقبائل وبطونا وأفخاذا وفصائل فليس ذلك للاختلاف أو التفرقة والانفصام وإنما لتحقيق الأخوة الإنسانية فى إطار التفاهم والسلام ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾(٤) .

وارتكازا إلى هذا المفهوم فإن اختلاف القيم والعادات والمفاهيم ليس غايته الفصل ، وإنما تأكيد التعاون والوصل ، وليدرك الناس أقدار بعضهم البعض .

فالناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض ـ وإن لم يشعروا ـ خدم

إن الانتماء الثقافى حقيقة من حقائق الخلق جديرة بالدراسة والتسجيل والتقويم والتحليل ، ويعد منهج المعايشة الميدانية أو الملاحظة بالمشاركة التى ينتهجها علم الإنسان فى دراسته لاستجلاء القيم والعادات والتقاليد لمجموعة ما من المجموعات البشرية ـ يعد أنسب الطرق العلمية المعاصرة التى تحقق للدعوة الإسلامية أهدافها وغاياتها من خلال دراسة الأنماط السلوكية للمدعوين ، وثنيين كانوا أم كتابيين ، موحدين أم ملحدين ، وذلك لأن فهم الآخرين ودراسة قيمهم مفتاح التفاهم معهم والدعوة إليهم ، على أسس من الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن ، وهو هدف يلتقى بمنهج الآية الكريمة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٥) .

---

(٢) سورة الذاريات ٢١ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٠ .

(٤) سورة هود ١١٨ .

(٥) سورة البقرة ١٤٣ .

وإذا قال المفسرون بأن . « وسطاً » تعنى خياراً عدولاً ، فإن هذا لا يتم إلا من خلال شهادة العدل التى تقتضى الدراسة للمعرفة فى أدق صورها واستجلاء آفاقها . يقول زهير :

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

على أنه لايمكن القول بأن دراسة المجتمعات البشرية بمنهج علم الإنسان للوقوف على ثقافات الآخرين غاية فى ذاتها ، وإنما وسيلة لغاية أسمى هى إدراك طبيعة المساواة والتسامح بين البشر حيث لافضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا فى إطار العمل المخلص ، والنوايا الطيبة والسعى لخير الآخرين ، وكل هذا يندرج فى المفهوم القرآنى تحت « التقوى » أى خشية الخلق والعمل بوحى من إرشاده وتوجيهه وهديه جل وعلا ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٦] ومن خلال هذه المقدمة وفى إطارها نطرح التساؤل التالى موضوع بحثنا:

ما المقصود بالتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بعامة وعلم الانسان بخاصة ؟

فى الواقع أن التأصيل الإسلامى يعنى عرض قضايا ونظريات العلوم الإنسانية على أصول الشريعة الإسلامية باعتبارها المعيار الذى يقوِّم هذه العلوم من حيث أسسها ومنطلقاتها ، فالشريعة وضعت المبادىء العامة للعلاقات الإنسانية فى عمومياتها ، مثال ذلك . ماتدعو إليه الشريعة من إرساء قيم العدالة والسلام والمساواة والتسامح والتدين والإخاء الإنسانى وتماسك الأسرة وإرساء مفاهيم الحق والواجب ، فإذا كان هناك من قضايا وأيديولوجيات العلوم الإنسانية مايناقض هذه المبادىء كالماركسية التى تعتمد أساسا على عبادة المادة وهدم الدين باعتباره ـ فى منظورهم ـ أفيون الشعوب ، أو البراجماتية التى تتخذ من النفعية المادية أو الذرائعية أساسا لمنطلقاتها ومقوماتها ، وجب عندئذ التصدى لمثل هذه الأيديولوجيات بالنقاش والتحليل والتقويم ردا عليها ، ودرءًا لها ، وإظهارا لفساد أو تضليل منطلقاتها ومسلماتها .

إن أهم تحد يواجه تأصيل العلوم الإنسانية تأصيلا إسلاميا هو دفاع النظرة التأصيلية عن عالم غيبى هو صنو لعالم الشهادة ، هو درء لأيديولوجية علمانية تفصل الدين عن الدنيا ، هو الإيمان بالخالق الأعظم جل وعلا فى مواجهة نظرة إلحادية لاتؤمن بالله وتنكر الأديان . إن التأصيل الإسلامى للعلوم الإنسانية والاجتماعية إنما هو جهد يبذل لخدمة اتجاه قيمى أخلاقى ، وهذا نقيض مايهدف إليه معظم علماء الغرب والشرق معا إذ يرون أن العلم محايد لاعلاقة له بالإيمان ولا بالأخلاقيات ، هذا فى نفس الوقت الذى تلون فيه النظرية ، ويغلف الاتجاه وتمحور المبادىء طبقا لأيديولوجية الدولة ذاتها .

ومن الأهمية الإشارة إلى أن عملية التأصيل وهى تدعو إلى اتباع أسس المنهج الإسلامى ، فهى بالتالى تضع المعايير الأساسية للمنهج العلمى التجريبى الصحيح كما أرساه ونادى به العلماء المسلمون الرواد أمثال البيرونى والحسن بن الهيثم وابن خلدون وغيرهم وذلك قبل أن ينادى بذلك أساتذة علم المناهج المعاصرون بأربعة عشر قرنا من خلال القواعد الآتية :

١ ـ يطرح الإسلام جانبا أية معرفة غير يقينية فهو يرفض الظن تماما .

واليقين نوعان : يقين الوحى الإلهى ، ويتضمن غاية الإعجاز ما اكتشف وما لم يكتشف بعد ، وحقيقة الآيات الكونية ، وقد حثنا الإسلام على النظر فى سنن الله الكونية ،

(٦) سورة الحجرات ١٣ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

لاكتشاف قوانينها ومحاولة تحليلها وتفسيرها تفسيرا علميا عليا قائما على الملاحظة والتجربة ، وهو ما اتبعه العلماء المسلمون الرواد ، الأمر الذى جعلهم يبدعون المناهج العلمية التجريبية يوم كان الغرب يعيش فى جهالة بعيداً كل البعد عن هذا التقدم العلمى الذى رفعت لواءه الحضارة الإسلامية .

٢ ـ الإسلام يدعو إلى العلم والأخذ بأسبابه ، وطرق كل أبوابه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ ﴾(٧) ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾(٨) .

والعلم فى الإسلام مفهوم شامل لايقتصر على العلم الشرعى وإنما يتجاوزه إلى سائر فنون العلوم التجريبية التى تهدف إلى اكتشاف سنن الكون ، أو قوانين الطبيعة التى أحكم الله صنعها ، وأبدع بناءها .. ﴿ أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٩) وفى آية أخرى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ﴾(١٠) .

٣ ـ يحث الإسلام على البحث عن كل علم نافع ، والواقع أن صفة «نافع» هنا تنسحب على التطبيق للنظرية العلمية إذ ليس هناك علم غير نافع ، فالعلم أيا كانت قوانينه التى يصل إليها الإنسان بالمنهج العلمى السليم إنما هو علم نافع ، ولكن إذا استخدمت قوانينه فيما يضر البشرية . قيل هنا إن التطبيق لقوانين العلم تطبيق ضار ، وهنا يختلف توظيف العلم بين ضار ونافع ، فقوانين الذرة التى استخدمت فى اختراع قنبلتها المدمرة ، كان تطبيقها سيئا مفزعا ، ولكن حين وظفت فى العلاج والتشييد والتعمير كان التطبيق جيدا ومفيدا للبشرية ، وهذا هو مايدعو إليه الإسلام ويحث عليه ويهيب بالمسلمين اتباعه ، وحين وظفت دراسات علم الإنسان ومناهجه على يد خبراء المستعمرات الذين كانوا من علماء الإنسان فى توطيد الاستعمار ، وامتصاص دماء الشعوب الفقيرة ، كان ذلك تطبيقا سيئا ، وذلك بعكس مايهدف إليه علماء الإنسان اليوم من توظيف دراساتهم فى مجالات التنمية والتعمير والتشييد من ناحية ، وفى مجال الدعوة الإسلامية وانتشارها على أسس علمية سليمة من ناحية أخرى .

وإذا كان ذلك تفسيراً للمقصود بالتأصيل الإسلامى للعلوم الإنسانية ، فإن مجال التأصيل فى علم الإنسان وأهدافه ومجالاته سواء فى الدعوة الإسلامية ، أو فى مجال التنمية فى العالم الإسلامى ، يستحق منا تفصيلا نرجئه للعدد القادم بإذن الله .

والله ولى التوفيق .

(٧) سورة الزمر ٩ .
(٨) سورة العلق ٣ ـ ٥ .
(٩) سورة الأعراف ١٨٥ .
(١٠) سورة ق ٦ .

الجديد في العلم والتقنية

إعـــداد
د. نجـوى السـيد أحمد *

أشعة الليزر بدلا من «مشرط» الطبيب

نجح العلماء فى أوروبا وأمريكا فى القضاء على أورام المرىء والقولون فى المراحل المبكرة من الإصابة ، وذلك باستخدام أشعة الليزر كذلك تمكن العلماء من فتح القنوات التى تنسد بسبب الإصابة بالسرطان فى أورام المرىء والقولون باستخدام نفس الأشعة .

أثر الجلوكوز على الذاكرة

أوضح فريق من الأطباء بإحدى الجامعات الأمريكية أن تناول السكر بجرعات معينة يحددها الطبيب المختص ينشط الذاكرة لدى كبار السن وكذلك الأشخاص الذين تعرضوا لإصابات فى الرأس ، أو الذين يعانون من (الخرس) المبكر . والمعروف أن (الجلوكوز) هو الوقود الرئيسى للدماغ فهو يستخلص من الطعام إلى الدورة الدموية ، ومنها إلى خلايا المخ حيث يساعد فى تكوين (الكيماويات) التى تنقل الاشارات العصبية بين خلايا المخ .

أحدث سيارة بالطاقة الشمسية

أنتجت اليابان نوعا جديدا من سيارات السباق التى تعمل بالطاقة الشمسية . والسيارة الجديدة ذات ثلاث عجلات فقط ، اثنتان منها فى الأمام والثالثة فى الخلف ، ومزودة بخلايا سيلكون ذات بلورة واحدة وقوة ١,٤ كيلو وات تخزن فى بطاريات ، وسرعتها القصوى ١٢٠ كيلو مترا فى الساعة .

إنسان آلى للتنقيب عن البترول .

توصلت إحدى الشركات النرويجية إلى ابتكار إنسان آلى للتنقيب عن البترول فى البحر . ويقوم الإنسان الآلى بعمل رصيف للتنقيب عن البترول ومن المتوقع استخدامه بدلا من الغطاسين الذين يقومون بأعمال التنقيب والصيانة وإصلاح معدات الغاز والبترول ، ومن المقرر تزويده

* الكاتبة : باحثة بالمركز القومى للبحوث القاهرة .

الجديد فى العلم والتقنية

بوسائل ميكانيكية حتى يستطيع أن يعمل على عمق ٦٠٠ متر دون أن يزود بغطاس آدمى .

الجديد فى تقنية الصور المجسمة .

أمكن التوصل مؤخرا إلى (تقنية) جديدة للحصول على صور مجسمة للأجسام بأبعادها وألوانها الحقيقية ؛ فقد كان التصوير المجسم المعروف علميا باسم « هولوجرافى» Holography يعطى صورا أحادية اللون أو مشوهة . لكن تقنية التلوين الجديدة ستزيد كثيرا من الدقة والجمال الفنى للصور المجسمة ، وينتظر أن تؤدى إلى تحسين ملحوظ فى التصوير الطبى ، وفى التصاميم التى تتم بمساعدة الحاسبات الالكترونية . وتتلخص نظرية هذه التقنية فى عمل ثلاث صور مجسمة بثلاثة ألوان مختلفة من ضوء (الليزر) ثم جمع الصور الثلاث فى صورة مجسمة واحدة كاملة الألوان .

مبيدات جديدة تجعل الحشرات تقتل نفسها

توصل الباحثون إلى تحضير نوع جديد من المبيدات الحشرية التى تجعل الحشرات تقتل نفسها ، وذلك عن طريق التمثيل الغذائى Metabolism وليس بمهاجمة الجهاز العصبى كما هو متبع فى غالبية المبيدات الحشرية المتداولة تجاريا . وقد أثبتت التجارب العملية أن المبيد الجديد يكون أكثر فتكا إذا تعرضت الحشرات التى يؤثر فيها إلى الضوء .

الحيتان تصعق الفريسة بأصواتها المدوية .

تشير التسجيلات الصوتية (للدلافين) والحيتان ، وهى فى البحر ، إلى أن بعضها يصدر نبضات صوتية حادة قد تدوِّخ السمك وتجعل فريستها عاجزة . ومن المعروف أن أنواعاً عديدة من الدلافين وغيرها من الحيتان ذوات الأسنان تعثر على ضحيتها بطريقة «تعيين الموقع بالصدى » . فهى تصدر فرقعات فوق صوتية متتابعة بسرعة ، وتنصت للصدى الراجع من الأهداف فى الماء .

أول طائرة لدراسة ثقب الأوزون .

يقوم الآن بعض العلماء الأمريكيين ببناء طائرة يتم التحكم فيها بواسطة (الكمبيوتر) لتطير من خلال ثقب فى طبقة الأوزون بالقطب الجنوبى وتتولى جمع معلومات عن الأحوال هناك . ويعتقد بعض الخبراء أن هذه الطبقة الوقائية أصابها الضرر بفعل الغازات المنبعثة من مكيفات الهواء والثلاجات ومصادر أخرى .

مجمع شمسى فى فرو الدب القطبى

يوجد مجمع طبيعى فى فرو الدب القطبى يعمل على تحويل جزء من طيف الإشعاع الشمسى إلى حرارة بكفاءة تتجاوز ٩٥٪ ، وهو مايزيد على

ضعفى كفاءة أفضل المجمعات الصناعية للطاقة الشمسية . وقد اكتشف أن الشعرة المفردة للدب القطبى هى فى الحقيقة عديمة اللون وتبدو تحت المجهر مثل ليفة الكوارتز . ويعتقد أن نصل الشعرة ينقل الإشعاع الشمسى بطريقة ما إلى سطح الجلد ، حيث يمتص ويحول إلى حرارة ، وتضاف هذه الحرارة المتولدة من الخارج إلى الحرارة الناتجة من التمثيل الغذائى .

يحاول العلماء حاليا الاستفادة من هذه الظاهرة التى حباها الله تعالى لحيوان الدب القطبى فى عمل مجمعات شمسية مسطحة بألياف شبيهة بالشعر .

كومبيوتر الجيب

من المعروف أن (تقنية) الحاسبات قد مرت بمراحل عديدة من التطور قبل أن تصل إلى حالتها التى نراها عليها اليوم ، فقد أمكن اختزال حجمها كثيراً بعد أن كانت تشغل أحجاما كبيرة بسبب الاعتماد فى بنائها على الصمامات المفرغة . ويطلقـون الآن اسم « كمبيوتر الجيب » على أصغر حاسب الكترونى خفيف الوزن بحجم الآلة الكاتبة ، يمكن وضعه فى حقيبة يد واستعماله فى الطائرة أو القطار أو حتى السيارة ، ويعمل على بطاريات داخلية يمكنها تشغيله لمدة خمس ساعات فقط .

تحويل السوائل إلى مادة صلبة بواسطة الكهرباء

حققت بريطانيا نجاحاً هاما فى تطبيق نظرية السوائل التى تتحول فوريا إلى حالة الصلابة عن طريق معالجتها بتيار كهربى معين ، وبعد ذلك تتحول إلى حالة السيولة مرة أخرى عند فصلها عن التيار الكهربى .

الدراسات تجرى الآن لتقدير قيمة الكشف الجديد التجارية من ناحية التطبيق العملى ، وخاصة بالنسبة لصناعة الأسلاك الصُلبة ، ومختلف المجالات الصناعية الأخرى . كما أن الطريقة الجديدة ستساعد على إقامة نظم تحكم وتشغيل عالية الكفاءة بدلا من الوسائل التقليدية الحالية .

وتقول جريدة التايمز إنه إذا أثبتت التطبيقات العملية نجاح نظرية السوائل الصلبة ، فإن ذلك يعنى انقلابا تقنيا جديدا ، وستختفى أجهزة ومعدات عديدة من عالم الوجود ، مثل الفرامل الميكانيكية ، وحدات توزيع الطاقة ، والعديد من الأجهزة والمعدات الفضائية .

العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملاوى

للأستاذ
محمود عبد الرازق عقباوى

كان علىّ قبل ان اكتب عن استاذنا ان افكر مليًا واتروّى طويلًا فاجعل لى حدًا ادنى وقدراً معيناً لا اتجاوزه إذا كتبت عن هذا العالم الجليل ، لكننى وجدت من آثاره ما دفعنى إلى الترسل فيه ورايت فى الترجمة عنه مزيداً من الفائدة ، فقد توافرت معالم شخصيته وتكاملت لها الدقة فى الفكر والاستنباط وإثارة العواطف ويقظة الوجدان مع ذهن فياض يدعمه دابٌ يصح ان يكون مضرب الأمثال ..

مؤلفاته وعلمه :

نظرت فى بعض مؤلفاته فتصفحت مضمونها وتلمحت فنونها فوجدتها جامعة لفنها بغزارة فى المادة وجمال فى العبارة ، ابدع فيها ما أودع من العلم الغزير والأدب المترامى والفكاهات المستطرفة ليصل بنا إلى الحقيقة العلمية فى النهاية على أيسر سبيل وأجمله .

كتب تلميذه الوفى الأستاذ مصطفى السقا الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة يتحدث عنه ، قال : هو الأستاذ اللغوى الثقة الحافظ الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوى نسبة إلى « امنية حمل » من قرى بلبيس « شرقية » ، وهو عربى الأرومة يُنمى إلى الدوحة العلوية الكريمة ، كما صرح بذلك فى كثير من قصائده فى ديوانه ..

وقد ذكر على مبارك فى كتابه (الخطط التوفيقية) ٩ / ٧٧ .. أنه ولد سنة ١٢٧٣ هـ سنة ١٨٥٦ م ، وتربى فى حجر والده وقرأ وتلقى كثيراً من العلوم الشرعية والأدبية عن افاضل عصره ، ثم دخل (مدرسة دار العلوم) وتلقى الفنون المقرر قراءتها بها ، ونال الشيخ إجازة التدريس من دار العلوم عام ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م .

وبعد مُدَيْدَة أعلنت دار العلوم بحاجتها إلى مدرس للعلوم العربية ، وعقدت لذلك امتحان

المرحوم الشيخ احمد الحملاوى

ولد سنة ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م وتوفى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

مسابقة كان الشيخ من أوائل المبرزين فيه فنقل إلى دار العلوم ، وعمل بمدارس الحكومة ، وقد ترك الأستاذ التدريس بمدارس الحكومة مؤثراً الاشتغال بالمحاماة فى المحاكم الشرعية ، وفى أثناء ذلك أقبل على التحضير لنيل شهادة العالمية من الأزهر فنال بغيته وكان أول من جمع بين العالمية وإجازة التدريس من الأزهر إلى جانب إجازة التدريس من دار العلوم .

وعلى أثر ذلك عهدت إليه الجامعة الأزهرية تدريس التاريخ والخطابة والرياضيات لطلابها .

وفى سنة ١٩٠٢ أضيفت إليه مع ذلك نظارة مدرسة المرحوم عثمان باشا ماهر ، وهى مدرسة حديثة كان يُعلم بها القرآن والتجويد ثم العلوم الدينية والعربية والعلوم الحديثة على نحو ما يجرى فى بعض أقسام الأزهر التى نُظمت حينئذ تنظيماً حديثاً ، وكان المنتهون منها يلحقون لإتمام دراساتهم بمدرسة القضاء الشرعى أو لأزهر أو دار العلوم .

وقد قضى المترجم عنه فى نظارة هذه المدرسة خمساً وعشرين سنة انتفع به فيها طلاب كثير كان يمدهم بمعارفه المتفننة الواسعة ويتعهدهم بالتربية الإسلامية والقومية القوية ويزودهم بنصائحه وتجاربه الكثيرة إلى أن علتْ سِنّه فآثر الراحة وترك العمل عام ١٩٢٨ ، ثم أدركته الوفاة فى الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٥١ - الموافق للسادس والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م .

وأحسب أن هذا الإطار التاريخى العام لحياة أستاذنا الكبير - وإن كان لا يحوى بداخله الصورة التى تمثل ملامح شخصيته العلمية والخلقية ، إلا أنها تعتبر النمط الذى جرى عليه المترجمون للعلماء من أصحاب المعاجم وكتب الطبقات .

لذلك أعود إلى ذكرياتى الخاصة فأستوحيها بعض ما ارتسم فى نفسى من آثاره الباقية التى لم تَخْلُقْ جدتها على طول السنين ومر الأعوام والتى يشاركنى فى الإحساس بها أولئك الذين ألموا بمعرفة هذا الحِبْرٌ من تلاميذه وعارفى فضله :

امتاز أستاذنا العلامة بخلال كثيرة ، تعاونت كلها على التأثير الشديد فيمن أخذوا عنه العلم وفيمن خالطوه وعاشروه من الأساتذة والعلماء ؛ فجعلت تلاميذه يُعجبون به ويحرصون على الأخذ منه والتعلق بأسبابه وآدابه وجعلته بين العلماء والأدباء ورجال القضاء والمحاماة موضع الثقة

من اعلام الأزهر

العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملاوى

ومفزع الرأى والمشورة ومحل السر والنجوى .

أوتى الشيخ بسطة فى الجسم ووجاهة ووسامة فى الهيئة والوجه مع حسن ذوق واعتناء بالزى ؛ فكانت رؤيته تملأ العين جلالة والنفس مهابة ، ومنح قوة فى الصوت واللسان فكان حسن الإعراب والبيان يحرص على العربية دائماً ، لا يشوب كلامَهُ شائبةٌ من عامية أو لكنةٍ أوْ عِيٍّ أو حَصَر ، وإنما ينساب حديثه فى النفس انسياب النهر المتدفق فى رزانة ووقار ، وكان حسن العرض للكلام جيِّد الإنشاد للشعر لا يُمل حديثه وإن طال ولا يُسأم إنشاده وإن بلغت قصائده المئين من الأبيات فى بعض الأحيان .

وكانت فصاحة الشيخ ونصاعة بيانه وجودة إلقائه وحسن ادائه وتمام شرحه لما يلقيه ، كل ذلك يجعل درسه نقشاً ثابتاً فى نفس سامعيه ، فلا يحتاج الطالب إلى استذكار أو معاودة درس .

وقد كسب الشيخ معارفه العلمية فى بيئتين :

الأولى : الأزهر ، حيث درس علوم الدين من تفسير وحديث وعقائد وفقه على مذهب الإمام الشافعى الذى خالط حبُّه شغاف قلبه وتمكن من نفسه ودرس العلوم اللسانية من نحو وصرف وعروض وبلاغة ووضع الخ .. على شيوخ عصره وأحرز من كل ذلك قسطاً موفوراً دل عليه تمكنه منها فى كتبه ودروسه وإحرازه درجة العالمية بعد تركه خدمة الحكومة .

والثانية : دار العلوم التى انشأها علي مبارك باشا وزير المعارف المصرية لتخريج معلمين يحسنون تعليم اللغة العربية والدين لتلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية ، وكان طلابها حينئذ ينتخبون بامتحان مسابقة من صفوة الطلاب الأزهريين الذين أنهوا دراساتهم أو كادوا ينتهون منها ، وكانوا يدرسون فيها العلوم الدينية والعربية ، وكانت عناية المدرسين بها تجمع بين المحاضرة والتطبيق العملى ، وكان بين أساتذتها نخبة من علماء الأزهر أمثال الشيخ حسين المرصفى ، والشيخ حسن الطويل والشيخ محمد عبده ، والشيخ سليمان العبد وأضرابهم من الفحول ، وكان الجمع فى دار العلوم بين العلوم الإسلامية والعربية القديمة وبين العلوم المدرسية الحديثة (كما يسمونها) ، ثم بين المنهجين النظرى والتطبيقى .. ما أفاد مدارس وزارة المعارف بالثمرات التى وصلت ماضى الأمة العربية بحاضرها ، فكانت العوامل فى النهضة الأدبية والعلمية التى ظهرت بواكيرها فى وادى النيل منذ بدء القرن التاسع عشر .

كان ـ رحمه الله ـ ضليعاً فى علوم العربية نحوها وصرفها ولغتها ، وعروضها وبلاغتها وأدبها ، وكان يروى من ذلك كله ويحفظ الشىء الكثير مع حسن اعتناء بفهم ما يحفظ ، وجودة نقد لما يروى ، وبراعة استخراج للعبرة والفائدة ، وكان النحو والصرف واللغة والشعر الميدان المحبب إليه يجول فيها فيمتع ، ويتتبع أقوال الأوائل والأواخر ، فلا يكتفى ولا يشبع ويظهر لى أنه كان معجباً بابن هشام الأنصارى من النحاة المصريين (٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ) ، وبما جمع شرحه لألفية ابن مالك الموسوم (بأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) من مادة غزيرة فحفظ مسائله وجعل أساس دراساته النحوية والصرفية وتحقيقاته اللغوية التى كان ينثرها بين يدى تلاميذه فى دروسه ومحاضراته ، ومنه التقط أغلى درره التى ألف منها أهم كتبه :

« شذا العرف فى فن الصرف مع ما أضاف إليه من شذرات أخـرى من (مفصّل)

الزمخشرى ومن (شافية) ابن الحاجب وشرحها (لرضىّ الدين الاستراباذى) ، وغيره من محققى الأعاجم المتأخرين الذين عُنوا بالدراسات الصرفية وأشبعوها تأليفاً وتوضيحاً وتصنيفاً .

أسبغ الشيخ على هذه المادة التى أحسن اختيارها من كتب العلماء كثيراً من ذوقه وخبرته بأساليب التعليم والتصنيف فتصرف فيها توضيحاً وتهذيباً وتنسيقاً وتبويباً حتى جاء هذا الكتاب محكم الطريقة ، واضح الأسلوب ، جامعاً للعناصر الضرورية التى لابد منها لدارسى اللغة وفنونها ممثلاً ما وصلت إليه الثقافة اللغوية فى مدارس البصرة والكوفة وبغداد والفسطاط والأندلس ، ثم ما انتهت إليه أخيراً على يد (ابن مالك) و(أبى حيان) ، وتلاميذهما من رجال المدرسة النحوية الأخيرة التى لا تزال آثارها قوية باقية .

وإجمال القول : أن كتاب (شذا العرف فى فن الصرف) من أنفع الكتب لطلاب الدراسات الصرفية .

وكان من سعادة الجد واكتمال الحظ أننى سمعت من أستاذنا الحملاوى جمهور مادة هذا الكتاب ، وكنت أنا وزملائى إذا عرضنا ما يذاكرنا به الشيخ من مسائل التصريف والنحو على (شذا العرف) ، وعلى (أوضح المسالك) لم نجد بينهما وبين عبارته فرقاً إلا ما يكون بين الحسناء وخيالها فى المرآة فكنا نعجب من قوة حفظه ، وامتزاج مادة الدرس بعقله ونفسه امتزاجاً قوياً .

على أن الشيخ كان يمتاز ـ فوق ذلك ـ بمزية بارزة ، كان تعليمه نظرياً وعملياً معا يشرح الموضوع بعبارته القوية فإذا أحس أن المقام دقيق لا تكفى فيه الإشارة ولا طويل العبارة أسرع إلى سبوره المعلم فوضح الدقائق بخطه ورسم المشكلات بقلمه ، وأشبعها إيضاحاً وتفصيلاً فى تدرج عقلى حتى يبين الصبح لذى عينين ، وذلك مما أفاده من تدريسه للرياضيات ومن خبراته الواسعة بأساليب التعليم ، ومن طبيعة ذهنه الرياضى ذلك كان شأنه فى (التصريف) و (الإعراب) و (اللغة) ، وكذلك كان شأنه فى (التاريخ) لا يكاد يمر به عَلَمٌ أو بلد أو أرض حتى يسرع إلى ضبط أو تبيين موضعه على المصوَّرات المرسومة أو على مصوِّر يرسمه بيده ، كما كان يتبع دروسه النظرية دائماً بتطبيقات عملية يعنى بتصحيحها ويقف الطلاب على مواضع أخطائهم منها .

أما سائر معارف الشيخ من اللغة والعروض والأدب العربى شعره ونثره والتاريخ والجغرافيا والرياضيات ، فقد كان محيطاً بها إحاطة قلما اتفقت لرجال المدرسة القديمة التى عاصرته ، وكان ـ رحمه الله ـ معنياً بتتبع ما يطبع من الكتب الحديثة التى يؤلفها رجال عصره من أمثال : (حفنى بك ناصف) و (محمد بك دياب) ، ونظرائهما من رجال المعارف ، وكان ينقدها ويساجل أصحابها فى مآخذها ، كما كان مشغوفاً بقراءة ما ينشر أو يحقق من الكتب القديمة ويستفيد منها فوائد لا تلبث أن تصبح موضوع حديثه مع تلاميذه .

أذكر مرة أنه علم بنشر كتاب (الهمع) للسيوطى لأول مرة سنة ١٣٢٧ ـ ١٩٠٩) ، فبعث فى شراء نسخة منه ثم جاء فى ثانى يوم يقول لطلابه قرأت أمس فى كتاب (الهمع) للسيوطى أن من اللغات فى لفظة اللائى من الأسماء الموصولة (اللا) بالقصر التى شاعت بين العامة فينطقها بعضهم باللام المشددة مفتوحة ، وبعضهم بكسرها (قلب الألف ياء اللى) ، وكنا نظنها عامية فإذا هى من صميم اللغة فى بعض أحوالها .

من اعلام الأزهر

العلامة الكبير الشيخ أحمد الحملاوى

كان أستاذنا الشيخ الحملاوى شاعراً مكثراً من الشعر يقوله فى المناسبات العامة والخاصة ، ويقوله فيما يعرض لحياته الخاصة من شئون ، وما يتطلع إليه من آمال ، وما يضطرم فى نفسه من آلام ، وأشعاره تنبىء عن صفاء روحه وقوة نفسه واستمساكه بآداب الدين وفضائله حتى لقبه بعضهم : « الشاعر الصوفى » .

له أشعار فى الالتجاء إلى الله وطلب المغفرة وقد ملك عليه نفسه وحسه حب النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال فى مدحه قصائد كثيرة مطولة بلغ بعضها المئتين عارض فى أكثرها القدماء من أمثال : كعب بن زهير والبوصيرى ، وله فى آل بيت النبى - صلى الله عليه وسلم - وخاصة أبناء فاطمة - رضى الله عنها - الذين يتصل نسبه بنسبهم شعر كثير .

أما علماء الإسلام فقد خص الإمام الشافعى بنصيب موفور من مدائحه ، وكان يحضر مولده فى كل عام يبتدى الاحتفال بقصيدة ويختمه بأخرى ، ومدح (أبا البركات الدردير) من علماء المالكية المتأخرين بقصائد كثيرة فى مولده ومدح ورثى كثيراً من رجال عصره كالزعيم مصطفى كامل باشا - رحمه الله - وكصديقه فقيد المعارف الأستاذ / حسن توفيق العدل ومرثيتاه فيهما من محاسن شعره .

وليس هذا مقام التفصيل فى دراسة شعره وشاعريته وبيان مزاياه وخصائصه وإنما موضعه صدر ديوانه ، وقد أعده أستاذ فاضل من علماء الجامعة الأزهرية لنشره ولعله يصدر قريباً فيتمكن الدارسون من تتبعه وتفصيل القول فيه وحسبنا أن نورد هنا مثالين منه :

قال يمدح ، ويوازن بين الشافعى وبين الجاه والمال فى مطلع قصيدة يمدح فيها الإمام عند بدء الاحتفال بمولده سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م :

الفخر بالعلم لا بالجاه والمال
والمجد بالجِّد لا بالجَّد و الخال
كم من ملىءٍ وضىء الوجه تحسبه
للعلم خلا ولكن فكره خالى
فى المال والجاه أسباب الغرور ومن
يعتز بالأهـل كالمعتـز بالآل
تلك الأمور سحابات تغيرها
حوادث الدهر من حال إلى حال
ولكن العلم لاينفك صاحبه
معظم القدر فى حَلٍّ وترحالِ
أفق السماكين بل أعلاه مقعده
فى كل حال تراه ناعم البال
إن عاش عاش أجل الناس منزلة
أو مات مات بإعظام وإجلال

وقال فى رثاء الزعيم مصطفى كامل باشا وقد نشرت بصحيفة اللواء فى ٢٢ من صفر ١٣٢٦ - ٢٥ من مارس ١٩٠٨ م :

ياأيها المنطيق مالك سـاكتاً
حتى متى هذا السكوت أما كفى
قم وَارْقَ مِنبرَك الذى عودته
حسن الخطابة فالنفوس على شفا
واصدع بأمرك يا همام فكلنا
مرضى وأنت لنا من المرض الشفا

ومنها على لسان الزعيم ناصحاً بنى وطنه :

قد كنتُ فرداً فَحَجَجْتُ من
فى الحكم جار على البلاد وأجحفا
واليوم كلكم رجال فـاقتفوا
أثرى وجدوا فالهمام من اقتفى

إن مات منكم مصطفى فجميعكم
من بعد موتى ياأفاضل مصطفى
فثقوا بمولاكم ولا تتفرقوا
إن التفرق كم أذل واضعفا

ومن رثائه لصديقه المرحوم الأستاذ حسن توفيق العدل :

ماذا جرى حتى تركت أحبة
حفظوك فى سر الفؤاد وفى العلن
كانت لمنعاك البيوت مآتما
والناس قد ضجوا ومدمعهم هتن
نبكى شمائلك التى فاقت على
من فى الحواضر والبوادى قد فطن

تلاميذ الشيخ :

أما تلاميذ الشيخ الذين أخذوا عنه فى دار العلوم فكثير ، من أشهرهم الأساتذة : الشيخ عبد العزيز جاويش وهو أزهرى درعمى ، ومحمد عاطف بركات والشيوخ : محمد الخضرى بك ومهدى زيكو ، وأحمد الأسكندرى ، وحسن منصور ، ومحمد مهدى خليل .

وممن تلقوا العلم عليه فى مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا الأساتذة حسن مأمون رئيس المحكمة الشرعية العليا ، ثم الإمام الأكبر الأسبق ، وعبدالله عفيفى ، وأمين الخولى وأحمد زكى صفوت ، وحسن محمد زهران المحامى ، وطه أبو بكر ، ومهدى علام ، ومصطفى السقا

وصفوة القول أن أستاذنا العلامة الشيخ أحمد الحملاوى هو أحد أركان النهضة اللغوية فى العصر الحديث بما ألف من كتب وبما تخرج على يديه من رجال القضاء الشرعى والمحاماة وأساتذة اللغة العربية ، وكلهم ممن شغلوا مكاناً فسيحاً فى حياة مصر العلمية والأدبية فى معاهدها الكبرى وجامعاتها القديمة والحديثة .

وقد أفضنا فى الحديث عن كتابه « شذا العرف فى فن الصرف » الذى كنا ندرسه فى السنتين الرابعة والخامسة الثانويتين بالمعاهد الأزهرية فلابد أن نتكلم عن كتابه : (زهر الربيع فى المعانى والبيان والبديع) الذى كانت ألفاظه سهلة عذبة ، اشتمل على غرر البيان ودرره ومُلح الأدب ونوادره والتصرف فى فنون القول : من تقرير إلى تعجب إلى تهكم إلى نفى لكى يكسب الفاظه جدة ولئلا يذهب نشاط السامع سدى .

ومن مؤلفاته (مورد الصفا فى سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، و(فوائد التأييد فى عقائد التوحيد) . وهو رسالة صغيرة طبعت بمطبعة مصطفى البابى الحلبى ايضاً .

وله ديوان شعر من جزءين .

وولده الأستاذ فرج الحملاوى غصن مثمر من دوحة هذا الشيخ الجليل عمل بـ (وزارة المعارف) ما يزيد على ثلث قرن وصل فيها مجد الأبناء والأحفاد بمجد الآباء والأجداد .

وبعـــد ..

فليس غريباً أن يلج المؤلف هذه الآفاق ويجول فى مسالكها وشعابها بل مثار الإعجاب والإكبار فى جمعه ما فى هاتيك الآفاق المترامية من أزاهير العلم وضمها فى باقة فريدة وليصل بك عن أخصر سبيل إلى جوهر المعرفة ولب الحقائق العلمية ومن الواجب أن يطلع على هؤلاء الأعلام ، أبناء هذا الجيل ليعرفوا شيئاً عن هؤلاء الأفذاذ لا لذيوع شهرتهم ، بل للاقتداء بهم ولبيان ما قاموا به من جلائل الأعمال .

جزاه الله عن الإسلام والعلم خيراً ، والله الموفق المعين .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ألا تأخذ من بيت المال ؟

ارسل سيدنا عمر - رضى الله عنه - إلى سيدنا عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - يستسلفه أربعمائة درهم .

فقال سيدنا عبد الرحمن : أتستسلفنى وعندك بيت المال ، ألا تأخذ منه ثم ترده ؟

فقال سيدنا عمر : إنى أتخوف أن يصيبنى قدرى ، فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة .

ولكنى أتسلفها منك لما أعلم من شحّك فإذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثى .

حقا

قال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا .

ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لفاز بهما جميعا .

ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا .

تعلم اللغات

بقدر لغات المرء يكثر نفعه
وتلك له عند الشدائد أعوان
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا
فكل لسان بالحقيقة إنسان

عشرة لا تقال

دخل الحسن البصرى - رضى الله عنه - على رجل يعوده فى مرضه ، فرآه يصوِّب بصره فى صندوق فى بيته ويصعده ، ثم قال :

أبا سعد ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤد عنها زكاة ولم أصل رحما ؟

قال الحسن : ثكلتك أمك ولم كنت تجمعها ؟

قال الرجل : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة .

ثم مات فشهده الحسن ، فلما فرغ من دفنه قال : انظروا إلى هذا المسكين أتاه شيطانه ،

فحذره روعة زمانه وجفوة سلطانه ، ومكاثرة عشيرته عما رزقه الله إياه وغمره فيه انظروا كيف خرج من هذا الدنيا مسلوبا محروبا .

ثم التفت إلى الوارث فقال :

أيها الوارث لا تخدعنى كما خدع صويحبك بالأمس ، أتاك هذا المال حلالا ، فلا يكونن عليك وبالا ، أتاك عفوا صفوا ممن كان له جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، ومن حق منعه فطمع فيه لجج البحار ومغاوز القفار .

لم تكدح فيه بيمين ، ولم يعرق لك فيه جبين .

إن يوم القيامة ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك ، فيالها عثرة لا تقال ، وتوبة لا تنال .

ريح الأمانى

تمنى ابن ابى عتيق أن يهدى له مسلوخ يتخذ منه طعاما ، فسمعته جارة له فظنت أنه قد أمر أن يشترى له فانتظرت إلى وقت الطعام ثم جاءت تدق الباب :

وقالت : شممت ريح قدوركم فجئت لتطعمونى .

فقال ابن ابى عتيق : جيرانى يشمون ريح الأمانى .

تذكَّر دائما

وما من يد إلا يد الله فوقها
وما من ظالم إلا سيبلى بأظلم

من العجائب

ثلاثة بنو أعمام كلهم كانوا فى زمان واحد ، كل واحد منهم اسمه على ولهم ثلاثة أولاد كل واحد منهم اسمه محمد ، والآباء والأبناء علماء أشراف ، وهم :

على بن الحسين بن على بن أبى طالب وعلى بن عبد الله بن العباس وعلى بن عبد الله بن جعفر .

رضى الله عنهم أجمعين .

وصية

قال الحسن البصرى - رحمه الله - : التواضع مع البخل والجهل خير من الكبر مع الكرم ، فحسبك من حسنة غطت على سيئتين ، وسيئة غطت على حسنتين .

دعاء

«اللهم ارزقنى قلبا تقيا نقيا ، لا كافرا ولا شقيا ، ومن الشرك بريا» .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

أثر الصيام في تقويم الشخصية الإنسانية

للأستاذ / محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

جريا على سنة الله في الكون .. يطل علينا شهر رمضان الكريم في عام جديد ضمن دورة الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

قال رحمه الله :

كان الناس إلى زمان قريب يحسبون أن الصيام من الشئون الخاصة بالأديان ، ولكن لم يكد ينتشر تاريخ الطب بين الناس حتى علموا أن الصيام اعتبر في كثير من الأمراض من مقومات الصحة الجسمانية ، فقد علموا أنه عد من عهد « أبقراط » عاملا قويا من العوامل المنقية للجسم من سموم الأغذية .

نعم سموم الأغذية ، فإن المواد الحيوانية التى نتناولها بشراهة ، تحتوى على مواد دهنية ، ومواد رباعية العناصر ، لا تطيق البنية البشرية أن تختزن مقداراً يزيد على الحاجة منها ، وهذه الحاجة الضئيلة منها يمكن الحصول عليها من النباتات أنقى وأصح مما يمكن الحصول عليها من المواد الحيوانية .

ولا يوجد من ينكر أن البوذيين في الهند والصين ، وهم يعدون بمئات الملايين لا يأكلون لحوم الحيوانات تدينا ، وهم على أكمل حال من الصحة ، بل يوجد غيرهم في أوروبا ممن لا يؤمنون بالشرائع الدينية لا يأكلون المواد الحيوانية بتاتا .

لسنا هنا بصدد تفضيل الأغذية النباتية على الأغذية الحيوانية ، ولكنا بسبيل إثبات أن الصوم عمل ضرورى طبيا ، لإيجاد الاتزان الطبيعى بين مواد الأغذية البشرية ، إذا حدث ما أخل بذلك الاتزان ، أو اقتضت الدورة الحيوية

للإنسان إحداث عمل مباشر لإعادة نظام التغذية ، تفادياً مما يحدث بسبب اختلالها من اختلال الوظائف الهضمية ، ولاختلال هذه الوظائف فى العالم الإنسانى آثار بعيدة الأثر على حياته المدنية .

هذا التأثير الغذائى خاص بالنوع البشرى ، لأنه الكائن الوحيد المطلق الحرية فى شئون تغذيته دون سائر الكائنات ، فإن لكل منها نوعاً من الأغذية صيغت على موجبه أعضاؤها الهضمية ، فكل نوع منها خصت به أنواع خاصة من المواد لا يتعداها فى تغذيته ؛ وأطلقت الحرية للإنسان فهو يتناول منها كل ما يقع تحت يده ، وكثيراً ما يصاب بسبب هذه الحرية بآفات مرضية تكون فى أول أمرها وبالا عليه ، ثم يعتادها فتصير مألوفة له مع بقاء أضرارها حائقة به من ضروب شتى ، حتى يتنبه إليها ويحاول التخلص منها ، وقد تمر الأجيال فلا يستطيع أن يتحول عنها . فهو من هذه الناحية معرض لانحرافات بعيدة . وقد كشف العلم هذه الانحرافات كلها ، وبحثها بحثاً عميقاً حتى لم يبق محل للمزيد .

كل ذلك لم يثن الإنسان عن المضى فيما هو عليه ، متجاهلاً أحكام العلم ، شأنه فى جميع محاولاته المادية والأدبية ، حتى إنه ليجتمع الذين يعلمون والذين لا يعلمون على مائدة واحدة ، فلا تستطيع أن تفرق بين الفريقين ، لتساويهما فى عدم المبالاة بالصنوف التى يتناولونها ، وهذا شأن الإنسان ، وأشد أدوائه تأثيراً عليه .

نعم ، إن العلم فى اقتباسه الصوم من الدين لم يتقيد بمواعيده ، ولا بمدته ، ولا بأسلوبه ، فلم يأخذ منه إلا المبدأ : وهو أنه لكل مايلقى فى المعدة من المواد تأثير على الجسم والعقل والشعور معا ، ومن هنا يصح أن يكون ذا تأثير بالغ فى تخفيف الأعراض التى تنتاب الأعضاء الباطنة والظاهرة ، وتحويل محمود فى حالة المريض يتأدى منه إلى التخلص مما أصابه من الآلام والانحرافات .

وحصة الروح من هذا التحويل لا تقل قيمة عن حصة الجسم ، فإنه يخلى الطريق أمامها لإيصال النفس الإنسانية إلى مستوى من الشعور أرفع من مستواها وهى متورطة فيما هى فيه من الشئون الحيوية .

وقد استفاد الطب من هذه الناحية ما لم يستفده من ناحية العلاج بالعقاقير ، فجعل مناط علاجه للأمراض تخير المواد الغذائية التى يجب أن يعول عليها المريض فى التغذية . وقد أنشئت فى عواصم أوروبا مصحات هى عبارة عن قصور فخمة فى وسط حدائق غناء ، ومياه جارية ، يقصدها المرضى من أرجاء الأرض ، ويمكثون بها أياما أو أسابيع يخرجون بعدها وقد تملأوا صحة وقوة ، لا يشكون شيئاً مما كان يلازمهم ويؤلمهم ، ولم يتعاطوا فى مكافحته عقاراً ، ولم يشعروا بأنهم تحت سلطان نظام صحى دقيق ، فلا يمر عليهم أكثر من أسبوعين حتى يروا أنهم قد انتقلوا من حال إلى حال لم يكونوا يحلمون بها من قبل . كل هذا ببركة اختيار الأطعمة ، والاقتصار على غير الضار منها .

وقد شرع الله الإسلام خاتماً للأديان ، لأنه جمع كل ما كان لخير الإنسانية منها وجعل الصيام ركنا من أركانه ، وجعل عدة أيامه مايتفق أن يكون عليه رمضان بين ٢٩ و ٣٠ يوما ، مختاراً له نظام الامتناع عن تناول شىء من

من روائع الماضى

أثر الصيام فى تقويم الشخصية

الطعام أو الشراب ما بين أذان الفجر إلى أذان المغرب ، وهى مدة تتراوح بين تسعة وعشرين وبين ثلاثين يوماً . وقد آثر الله أن يجعله انقطاعاً عن التغذى نصف ساعات اليوم دون أن يقصر ما يؤكل على صنوف من الأطعمة دون صنوف . وهذا فيما يظهر خير نوعيه ، لأن مايحرم منه الصائم بالصوم يعوضه أضعافا مضاعفة فى شهور الإفطار فيضر نفسه ضرراً بليغاً . لذلك تركه الإسلام يختار لنفسه القدر الذى يكفيه من الأطعمة مع النصح له بالتخفف من الأغذية هرباً من سوء مغبة الإفراط منها على الصحة .

ونزيد على ذلك ، أن لخلاء المعدة من العمل ساعات متوالية فى حالة راحة تامة ، تأثيراً فى إعادة قواها إليها لا يمكن الحصول عليه بأية وسيلة أخرى . مثلها فى ذلك مثل العامل المتعب الضعيف ، يستحيل أن تعود إليه قواه وهو مستمر فى العمل مهما كان ما يعمله هينا ؛ ولكن بالانقطاع عن العمل بتاتا يعود إليه كل ما فقده من قواه ، فإذا عاد للعمل عاد إليه وهو حاصل على قواه كاملة ؛ وفرق بعيد بين الحالتين فى حفظ هذا الجثمان بعيداً عن الوهن أطول مدة ممكنة .

فالصيام فى الإسلام إذن يكون له أثر بعيد جداً فى حفظ صحة أهله ، وسلامة جسومهم من العاهات ، ولكن أكثرهم لا يأبهون كثيرا بالمستقبل ، ولا يحسبون حسابا للشيخوخة ، ولا يعرفون للقوى حدوداً ، فيعيشون كما يجىء لا كما يجب .

المجلد الثانى والعشرون

اللغة والأدب والنقد

ابن القيم وحديث في أصول اللغة

لحظات طيبات مع الإمام سفيان الثوري

٢

ابن القيِّم

وحديث فى أصول اللغة

للأستاذ الدكتور
توفيق محمد شاهين

ويقرر باحثو علم اللغة حديثا أن اعضاء النطق فى الإنسان لم تكن خاصة بالنطق والكلام ووقفا عليه .. بل لها منافع وميزات أخرى متعددة متنوعة ، وهذا ما اشار إليه ابن قيم الجوزية ، حيث يقول :

وفى هذه الآلات مارب اخرى ومنافع سوى منفعة الكلام :

ففى الحنجرة مسلك النسيم البارد الذى يروح على الفؤاد بهذا النفس الدائم المتتابع . وفى اللسان منفعة الذوق فتذاق به الطعوم ، وتدرك به لذتها ، ويميز به بينها ، فيعرف حقيقة كل واحد منها . وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام ، وان يلوكه ويقلبه حتى يسهل مسلكه فى الحلق .

وفى الأسنان من المنافع ما هو معلوم ، وإسناد الشفتين وإمساكها عن الاسترخاء ، وتشويه الصورة .

وفى الشفتين منافع عديدة يرشف بها الشراب ، حتى يكون الداخل منه إلى حلقه بقدر ، فلا يشرق به الشارب . ثم هما باب مغلق على الفم الذى ينتهى إليه ما يخرج من الجوف ، ومنه يبتدىء ما يلج فيه ، فهما غطاء وطابق عليه ، يفتحهما البواب متى شاء ، ويغلقهما إذا شاء . وهما أيضا جمال وزينة للوجه وفيهما منافع أخرى سوى ذلك .

وقد بان لك أن كل واحد من هذه الأعضاء

ينصرف إلى وجوه شتى من المنافع والمآرب والمصالح : كما تتصرف الأداة الواحدة فى أعمال شتى .. ثم يعترف بأن فى تركيب العقل ، وصيانته ، وعمله .. مايحير الألباب والعقول ، وصدق الله : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

والمحدثون من علمائنا ، مازالوا يقولون فى مثل هذه الدراسات :

إن الجهاز الصوتى عند الإنسان بالغ حد الروعة ، لما فيه من مرونة عجيبة : فقد تهيأ للإنسان بتلك المرونة إخراج عدد لا يحصى من الأصوات . وإن هذا الجهاز لم يكن فى أصل خلقه لإصدار الأصوات ، وإنما كان لكل جزء مهام أخرى : كالتذوق بالنسبة للسان ، والمضغ للأسنان ، والشم للأنف ، وهكذا ...

ولكن عزى إليها الكلام لأهميته .

وقد لايقدر الإنسان نعم الله عليه حق قدرها ، ولا يعرف أهميتها مع تمتعه بها . بيد أنه إذا أصابها عطب أو تعطلت عن القيام بواجبها ـ فإن شعوره بالحسرة على فقدها يتضاعف .. بل إن الشعور بالألم يضاعف الآلام أكثر مما يحسه الإنسان ، إذا تخيل أنه فاقد لحاسة من حواسه ، أو حرم من نعمتها بعد الإنعام بها . لذلك يضع ابن قيم الجوزية أمام الأنظار .. ما يعظم لدى الإنسان نعمه عليه من المنعم .. ويقارن بين المصائب والعلل : أيها أكثر ضررا وأشد تعويقا للإنسان .. وبخاصة فيما يتعلق بأمور الدين .. يقول :

إن فقد البصر أشد ضررا من فقد السمع ، وإذا صبر فاقده فله الجنة .. وقد كان فى الصحابة أضراء ، ولم يكن فيهم أطروش .. والمعاف من عافاه الله منهما ومتعه بسمعه وبصره ، وجعلهما الوارثين منه .

والهواء حياة الأحياء ، وناقل الصوت ، ومعبر الكلام إلى السامع ، فما قيمة الهواء ؟ وماهو ؟ يقول ابن قيم الجوزية عن : (الهواء) ومافيه من المصالح ، فهو حياة الأبدان ، وتطرد الأصوات فتحملها وتؤديها كالرسول الحامل للبريد والأخبار ، وصلاح حياة الحيوان والنبات ، وحامل المطر كالراوية ، ويتفرق فى الجو حتى لا ينزل المطر جملة فيكون مهلكا . ويلقح الشجر والنبات حتى لا تكون عقيما ، وتسير السفن ، وتبرد الماء ، وتجفف المبتل ، وتضرم النار ، ولو ركدت لأنتن العالم ، وتلفت النفوس والنباتات ، واستشرى الوباء ... ولذا قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الرياح : إنها من روح الله ، تأتى بالرحمة .

ثم ينبهنا إلى لطيفة اللطائف فى هذا الهواء (مما يعنينا فى موضوعنا هذا) ، وهى : (أن الصوت أثر يحدث عند اصطكاك الأجرام ، وليس نفس الاصطكاك ، كما قال ذلك من قاله ، ولكنه موجب الاصطكاك ، وقرع الجسم للجسم ، أو قلعه عنده ؛ فسببه قرع أو قلع ، فيحدث الصوت ، فيحمله الهواء ، ويؤديه إلى مسامع الناس ، فينتفعون به فى حوائجهم ومعاملاتهم بالليل والنهار ، وتحدث الأصوات العظيمة من حركاتهم .

فلو كان أثر هذه الحركات والأصوات يبقى فى الهواء ، كما يبقى الكتاب فى القرطاس لامتلأ العالم منه ، ولعظم الضرر به ، واشتدت مؤنته ، واحتاج الناس إلى محوه من الهواء والاستبدال

ابن القيم

وحديث في أصول اللغة

به أعظم من حاجتهم إلى استبدال الكتاب المملوء كتابة ؛ فإن مايلقى من الكلام فى الهواء قرطاس خفي ، يحمل الكلام بقدر ما يبلغ الحاجة ، ثم يمحى بإذن ربه ، فيعود جديدا نقيا لاشىء فيه ، فيحمل ماحمل كل وقت) .

وهذا وصف مبسط عند المحدثين لحرف من الحروف العربية ، يتبين منه كيف يتكون ، والمراحل التى مر بها ، حتى صار حقيقة تدرك ومعجزة تحققت مثلا :

(حرف التاء) : وصفه علماء الأصوات بأنه : حرف مهموس ، شديد ، مستفل ، منفتح ، مصمت . ويرجع همسه لعدم اهتزاز الأوتار الصوتية حال نطقه ؛ لانبساط فتحة المزمار ، واتساع مجرى الهواء . كما أن شدته ترجع إلى حجزه الهواء خلفه حجزا تاما حال تقابل عضوى النطق ؛ وهما طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .

وهو عند المحدثين انفجارى ؛ نظراً لانطلاق الهواء بقوة حال انفصال هذين العضوين عن بعضهما .

ونظراً لعدم ارتفاع اللسان به إلى أعلى كان مستفلا ، ومنفتحا .

ولما لم يعد ضمن حروف الخفة (مر بنفل) كان مصمتا .

ويتكون هذا الحرف مصاحبا لهواء الرئتين ، فيمر بالقصبة الهوائية إلى أن يصل إلى الحنجرة فتنبسط فتحة المزمار ، ويبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما بما يسمح لمجرى الهواء بالاتساع ، مما ينجم عنه عدم الاهتزاز للأوتار الصوتية ، ومن ثم عد هذا الحرف مهموسا ، ثم يتابع الهواء سيرة ، ماراً بالحلق فاللسان إلى أن يتصل طرفه بأصول الثنايا العليا اتصالا محكما يمنع الهواء من التسرب ولذلك عدّ (شديدا) وعندما ينفصل العضوان عن بعضهما ينطلق الهواء بقوة ، ولذا سمى انفجاريا عند المحدثين . ونظرا لعدم ارتفاع اللسان به إلى أعلى كان (مستفلا) و (منفتحا) ، وهو مصمت لما سبق . ونظرا لغلبة الصفات الضعيفة عليه ، يعد من الحروف الضعيفة .

هذا ماقرره العلم الحديث لحدوث الصوت .. فما هو تصور ابن القيم فى هذا الجانب ؟

يتصور الإمام ابن قيم الجوزية ، حدوث الصوت اللغوى على النحو التالى ، يقول :

(.. ثم تأمل فى هذا الصوت الخارج من الحلق ، وتهيئة آلاته ، والكلام وانتظامه ، والحروف ومخارجها ، وأدواتها ومقاطعها وأجراسها .. تجد الحكمة الباهرة في هواء ساذج يخرج من الجوف فيستهلك فى أنبوبة الحنجرة حتى ينتهى إلى الحلق واللسان والشفتين والأسنان ، فيحدث له هناك مقاطع ، ونهايات ، وأجراس ، يسمع له عند كل مقطع ونهاية كل جرس مبين منفصل عن الآخر ، يحدث بسببه الحرف . فهو صوت واحد ساذج يجرى فى قصبة واحدة ، حتى ينتهى إلى مقاطع وحدود تسمع له منها تسعة وعشرين حرفا ، يدور عليها الكلام كله : أمره ونهيه ، وخبره واستخباره ، ونظمه ونثره ، وخطبه ومواعظه وفضوله ... ومنه الكلمة التى لا يلقى لها بالا صاحبها يهوى بها فى النار .. والكلمة التى لا يلقى لها بالا صاحبها يركض بها فى أعلى الجنان ، فى جوار رب العالمين . فسبحان من أنشأ ذلك كله من هواء

ساذج ، يخرج من الصدر ، لا يدرى مايراد به ، ولا أين ينتهى ، ولاأين مستقره . هذا إلى ماق ذلك من اختلاف الألسنة واللغات ، التى لايحصيها إلا الله ... واللسان الذى هو الجارحة واحد فى الشكل والمنظر ، وكذلك الحلق والأضراس والشفتان ، والكلام مختلف متفاوت أعظم تفاوت ..) .

وعن تركيب آلات الكلام وعملها ، ومخارج الحروف وصفاتها ... يحدثنا ابن قيم الجوزية بما لا يبعد عن الذى قرره علماء الأصوات حديثا ، يقول : ـ

(فانظر الآن فى الحنجرة ، كيف هى كالأنبوب لخروج الصوت ، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغمات ، الا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم الحروف التى تخرج منها ومن اللسان . ومن سقطت شفته كيف لم يقم اللام والراء . ومن عرضت له آفة فى حلقه كيف لم يتمكن من الحروف الحلقية !!

وقد شبه أصحاب التشريح مخرج الصوت بالمزمار ، والرئة بالزق الذى ينفخ فيه من تحته ، ليدخل الريح فيه والفضلات التى تقبض على الرئة ليخرج الصوت من الحنجرة بالأكف التى تقبض على الزق ، حتى يخرج الهواء فى القصب والشفتين والأسنان التى تصوغ الصوت حروفا ونغما بالأصابع التى تختلف على المزمار فتصوغه الحانا ، والمقاطع التى ينتهى إليها الصوت بالأبخاش التى فى القصبة . حتى قيل : إن المزمار إنما اتخذ على مثل ذلك من الإنسان .

فإذا تعجبت من الصناعة التى تعملها أكف الناس ، حتى تخرج منها تلك الأصوات .. فما أحراك بطول التعجب من الصناعة الإلهية التى أخرجت تلك الحروف والأصوات من اللحم والدم والعروق والعظام ! ويابعد ما بينهما !

ولكن المألوف المعتاد لا يقع عند النفوس موقع التعجب ، فإذا رأيت مالا نسبة له إليه أصلا إلا انه غريب عندها تلقته بالتعجب وتسبيح الرب تعالى وعندها من آياته العجيبة ماهو أعظم من ذلك ، مما لايدركه القياس .

ثم تأمل اختلاف هذه النغمات وتباين هذه الأصوات مع تشابه الحناجر والحلوق والألسنة والشفاه والأسنان !! فمن الذى ميز بينها أتم تمييز مع تشابه محالها .. سوى الخلاق العليم) .

ومن الحروف تتألف الكلمات ، ومن الكلمات تعبير وبيان لمن رق طبعه ولطف حسه ، ومن البيان سر وروعة .

وعن نعمة البيان وأقسامه ، ومراتب الوجود ، ومدح من انتفع بذلك ، وذم سواه يحدثنا العلامة ابن قيم الجوزية ، فيقول : ـ

ثم تأمل نعمة الله على الإنسان بالبيانين : البيان النطقى ، والبيان الخطى ، وقد اعتد بهما سبحانه فى جملة ما اعتد به من نعمة على العبد ، فى قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ...... يَعْلَمْ ﴾ .

فقد تضمنت الآيات على إيجازها مراتب الخلق والوجود : من ذكر عموم الخلق ، وهو إعطاء الوجود الخارجى ـ ثم ذكر ثانيا خصوص خلق الإنسان .. ثم ذكر ثالثا : التعليم بالقلم ، الذى هو من اعظم نعمه على عباده . إذ به خلود العلوم ، وثبات الحقوق ، وتعلم الوصايا ، والحفظ والضبط .. الخ

(فالله) أعطى (الإنسان) الذهن الذى يعى به ، واللسان الذى يترجم به ، والبنان الذى يخط به ، وهيأ ذهنه لقبول هذا التعليم دون سائر الحيوانات ..

﴿ وحديث فى أصول اللغة

والتعليم بالقلم يستلزم مراتب الوجود الثلاثة ، والتى هى مسندة إليه سبحانه خلقا وتعليما ، وهى : مرتبة الوجود الذهنى ، والوجود اللفظى ، والوجود الرسمى .. فمن فضله وكرمه ذكر تعليمين :

خاصا ، وعاما ، وكذلك خلقين : عاما وخاصا ..

وكذلك المتأمل فى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ .

يرى أنه سبحانه أعطى مراتب الوجود بأسرها : الإيجاد الخارجى فى خلق الإنسان ، والوجود العلمى الذهنى فى تعليم القرآن . وتعليم البيان يتناول البيان الذهنى ، الذى يميز فيه بين المعلومات . والبيان اللفظى الذى يعبر عن المعلومات ويترجمها .

والبيان الرسمى الخطى ، الذى ترسم به تلك الألفاظ فتبين معانيها للناظر إليها . فهذا بيان للعين ، والثانى بيان للسمع ، والأول بيان للقلب .

ولذا جمع سبحانه بين الثلاثة فى مثل قوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ويذم من عدم الانتفاع بها فى اكتساب الهدى والعلم النافع ، كقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَيَرْجِعُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتابه : « مذهب السلف القويم ، فى تحقيق مسألة كلام الله القديم » ، خلاصة لما سبق فى عبارة وجيزة : بأن لكل شىء أربعة وجودات : وجود خارجى هو الوجود فى الأعيان .

ووجود علمى هو الوجود فى الأذهان .

ووجود لفظى هو الوجود فى المنطق واللسان .

ووجود رسمى وهو الوجود فى الخط بالبنان .

ولكون تعليم الخط يستلزم غالبا تعليم العبارة واللفظ المستلزم لتعليم العلم ، قال تعالى : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

وأطلق التعليم ، ثم خص فقال : ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

على كل يجب أن نعلم أن للعرب فضلا كبيراً فى هذه المباحث الطبيعية ، انتفعت بها أوروبا إبان نهضتها . ومن هنا نعلم أن الأجداد لم يقصروا فى حق الأبناء ، ولم يقصروا أيضا فى تأدية رسالتهم . وبقى دور الأحفاد .

لحظات طيبات مع الإمام سفيان الثورى

إعداد الأستاذ
عادل خفاجة

قال سفيان بن عيينة : أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ابن عباس فى زمانه والشعبى فى زمانه وسفيان فى زمانه .

ومن الدلالة على سعة علمه وعمقه قول ابن المبارك : أقعد إلى سفيان الثورى فيحدث ، فأقول : مابقى من علمه شىء إلا سمعته ، ثم أقعد عنده مجلسا آخر فيحدث فأقول : ما سمعت من علمه شيئا .

وتعريفا بهذا الإمام نقول : إنه سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله موهب بن منقذ بن نصر بن الحارث بن مالك بن ملكان بن ثور بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ..... الثورى أبو عبد الله الكوفى أحد الأئمة الأعلام .

كان ـ رحمه الله ـ عالما عابداً زاهدا ، وكانت صفاته هذه تشكل منظومة متناسقة لا تخرج إحداها عن الأخرى ، وهو على ذلك لاتخلو روحه من دعابة .

كان رحمه الله حريصا على طلب العلم ؛ لما فى طلبه من عز وشرف فكان يقول : الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم وكان حريصا على ألا يُحرم أهلُه من هذا العز وذاك الشرف ، فنجده يقول لرجل من العرب : « اطلبوا العلم ، ويحكم . فإنى أخاف أن يخرج منكم فيصير فى غيركم ، أطلبوه ويحكم فإنه عز وشرف فى الدنيا والآخرة » .

ثم يوضح كيفية الحفاظ على العلم فيقول : « تعلموا العلم فإذا تعلمتموه فاكظموا[1] عليه ،

(١) يريد فاستمسكوا عليه بشدة .

الإمام سفيان الثورى

ولا تخلطوه بضحك ولا لعب فتمجه القلوب .

وهو يعلم ما للعلم من قيمة وما للحديث الشريف من مكانة مع تقدير لدى احترام السلف له ومبلغ تفانيهم فى طلبه ، قال أبو عاصم : سمعت سفيان الثورى يقول : كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث تأدب وتعبد قبل ذلك بعشرين سنة .

وقد رسم سفيان ـ رحمه الله ـ طريق العلم وبين مراحله فكان يقول : « أول العلم : صمت ، والثانى : الاستماع له وحفظه ، والثالث : العمل به ، والرابع : نشره وتعليمه » .

وكم من طالب للعلم ـ فى أيامنا هذه ـ يغفل أو يتغافل عن أهم مراحل طلب العلم ، وهى مرحلة العمل به ، فينتقل مباشرة من مرحلة الحفظ إلى مرحلة النشر !!

ولم يكن سفيان ـ رحمه الله ـ هو من تغيب عنه هذه المسائل فكان يقول : « لولا أن للشيطان فيه نصيباً ما ازدحمتم عليه » ـ يعنى العلم .

ولم يكن سفيان ينكر على أحد ـ مهما كان ـ طلبه العلم .

وكان ـ رحمه الله ـ يعتبر العلم ما كانت ثمرته خشية الله تعالى فكان يقول : « ليس طلب العلم فلان عن فلان ، إنما طلب العلم الخشية لله عز وجل » . فليس العلم فى نظره هو البراعة فى الحفظ والإلمام الدقيق بالمادة ولكن العلم هو مايرى أثره على حامله ؛ لذلك نجده يقول : زينوا العلم بأنفسكم ولاتَزَيَّنُوا به ، لقد منَّ الله على سفيان وعمَّه بفضله ، حتى أتاه الكبير والصغير يستفترنه ،

ولم يكن سفيان ليترك العلم لحظة ؛ فقد قال الفضل بن المهلهل : قال لى سفيان : فيم السلامة ؟

قلت : ألا تعرف !، قال : هذا ما لا يكون ، ولكن السلامة الا تحب أن تعرف .

أسلوبه :

كان أسلوبه ـ مع سعة علمه ـ يتسم بالإيجاز الشديد وأحب هو ذلك ، وحض عليه ، فقد جاءه رجل فقال : السلام عليكم يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته ، كيف أنت وكيف حالك ؟ فقال سفيان : عافانا الله وإياك ، لسنا أصحاب تطويل .

وكتب إلى أخيه مرة أخرى . قال : « أما بعد ، فأحسن القيام على عيالك ، وليكن الموت من بالك ، والسلام » .

فأنت ترى إيجاز خطابه فى كلمات ثلاث .

بُعْده عن الأضواء :

كان ـ رحمه الله ـ لايحب مجالس الأمراء ؛ فكان دائم الهرب منهم . قال عطاء بن مسلم : لما استخلف المهدى بعث إلى سفيان ، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه فقال : ياأبا عبد الله هذا خاتمى ، فاعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة ، فأخذ الخاتم بيده وقال : تأذن فى الكلام ياأمير المؤمنين ؟ قال : نعم . قال : أتكلم على أنى آمن ؟

قال : نعم . قال : لا تبعث إلى حتى آتيك ، ولا تعطنى شيئا حتى أسألك . قال : فغضب من ذلك وهَمَّ به ، فقال له كاتبه : اليس قد امنته يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلى . فلما خرج حف به أصحابه فقالوا : ما منعك يا أبا عبد الله ، وقد أمرك أن تعمل فى هذه الأمة بالكتاب والسنة ؟

قال : فاستصغر عقولهم ، ثم خرج هارباً إلى البصرة .

وقال عبد الرحمن بن مهدى : قدم سفيان الثورى البصرة ، والسلطان يطلبه ، فصار فى بعض البساتين فأجَّر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمر به بعض (العشارين)(١) فقال له : من أنت ياشيخ ؟ قال : من أهل الكوفة . قال : أخبرنى أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال : أما رطب البصرة فلم أذقه ، ولكن رطب السابرية بالكوفة حلو ، فقال : ما أكذبك من شيخ ! الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه ؟ [ثم رجع هذا المتكلم إلى عامل المنطقة](٢) فأخبره بما قاله ليعجبه ، فقال : ثكلتك أمك ، أدركه فإن كنت صادقاً فإنه سفيان الثورى فخذه لتتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدى ، فرجع فى طلبه فما قدر عليه . ثم يحكى سفيان بنفسه عن ذلك فيقول : طُلبت فى أيام المهدى فهربت فأتيت اليمن ، فكنت انزل فى حى حى ، وآوى إلى مسجدهم ، فسرق فى ذلك الحى فاتهمونى فأتوا بى معن بن زائدة ـ وكان قد كتب إليه فى طلبى ـ فقيل له : إن هذا قد سرق منا ، فقال : لم سرقت متاعهم ؟ فقلت : ما سرقت شيئاً ، فقال لهم : تنحوا لأسائله ، ثم أقبل علىّ فقال : ما اسمك ؟ فقلت : عبد الله بن عبد الرحمن ، قال : يا عبد الله بن عبد الرحمن نشدتك بالله لما نسبت لى نسبك ، قلت : أنا سفيان بن سعيد بن مسروق ، قال : الثورى ؟ قلت الثورى .

قال : أنت بغية أمير المؤمنين ؟ قلت : أجل . فأطرق ساعة ثم قال : ما شئت فأقم ، وارحل متى شئت ، فوالله لو كنت تحت قدمى مارفعتها .

لم يكن هربه ـ رحمه الله ـ عن خوف من الأمراء ، بل كثيراً ما كان ينتقدهم بحدة ، ولكن بأدب العالم ، فقد كان يقول : « لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى ، رفيق فيما يأمر ، رفيق فيما ينهى ، عدل فيما يأمر ، عدل فيما ينهى وها هو يقول للمهدى : كم انفقت فى حجتك ؟

قال : ما ادرى ، قال : لكن عمر بن الخطاب يدرى ، أنفق ستة عشر ديناراً فاستكثرها .

ولم تكن وفاة أمير المؤمنين المهدى بناهية لمطاردة الإمام سفيان فهاهو ـ مرة أخرى ـ بغية أمير المؤمنين هارون الرشيد .

قال هارون بن عبد الله : سمعت منادى هارون الرشيد أمير المؤمنين ينادى : من دلنا على سفيان فله ألف درهم .

قال أبو الحسن بن إبراهيم البياضى : أخبرت أن أمير المؤمنين هارون الرشيد قال لزبيدة : اتزوج عليك ؟ قالت زبيدة : لا يحل لك أن تتزوج علىَّ ، قال : بلى . قالت زبيدة : بينى وبينك من شئت ، قال : ترضين سفيان الثورى ؟ قالت : نعم . قال : فوجه إلى سفيان الثورى فقال : إن زبيدة تزعم أنه لايحل لى أن اتزوج عليها ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ ثم سكت فقال سفيان : تَمِّم الآية ، يريد أن يقرأ ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ وانت لاتعدل ، قال : فأمر لسفيان بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها .

لم يقبل سفيان دراهم الأمير ، وما كان لرجل زاهد مثله أن يقبلها ، قال يحيى بن اليمان :

(١) جمع عشار وهو اخذ ضريبة العشر ممن يدخل ارض المسلمين للتجارة فيها .
(٢) مابين القوسين للإيضاح لما فى الأصل من إيجاز شديد .

الإمام سفيان الثورى

سمعت سفيان الثورى يقول : « العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه ، فمتى يداوى غيره ؟

نعم ، لقد رأى سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ فى دراهم الأمير داء للدين ، فأما نظرته المطلقة إلى المال فنجدها محددة فى قوله : « كان المال فيما مضى يكره فأما اليوم فهو ترس المؤمن » .

ويقول محمد الباهلى : جاء رجل إلى الثورى [وقد رأى فى يديه مالا][(١)] فقال : يا أبا عبد الله ، تمسك هذه الدنانير ؟ فقال : اسكت لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك . قال وقال سفيان : من كان فى يده من هذه شىء فليصلحه ، فإنه زمان من احتاج كان أول مايبذل دينه .

رأى سفيان فى المال أنه : (داء الدين) ورأى فيه أنه (تُرْسُ المؤمن) وقد يبدو فى الأمر صعوبة . لكن الأمر يسير :

فأما مال الأمراء ، وحب سفيان فى إقصاء العلماء عنه ، وتحذيره إخوانه من مجالستهم لما فيها من فتنة يعصم الله من يشاء منها ... كُلُّ ذلك حال أبعده عن تناول مالهم فتركه .

فأما المال الذى هو ثمرة الجهد فى عمل حلال لاتتخلله حرمة بأى وجه من الوجوه مع عدم الشغف به وحبه لذاته ، ونظرته إليه أنه يعصم الإنسان عن سؤال الناس فذلك (ترس المؤمن) يقيه ضربات الأيام .

ولأن المال ـ بهذه القيود التى تجعله ترس المؤمن ـ فى حاجة إلى نظرة سديدة ، وصبر أشد ، وبحث أدق فى شرعية العمل الذى سيأتى بهذا المال .. وقل من يتحرى ذلك ... هذا الذى دفع سفيان ـ رحمه الله ـ إلى القول بأنه : « لايعتد بعبادة رجل له عيال » .

قال أبو الأحوص سلام بن سليم : قال لى سفيان الثورى : « عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال ، والإنفاق على العيال » .

كان ـ رحمه الله ـ سريع البديهة ، قوى المنطق ، يمج التطرف ويظهر ذلك فى العديد من فتاواه ، نذكر منها ما يأتى :

● قال شعيب بن حرب : قلت لسفيان الثورى : ماتقول فى رجل قصار إذا كسب درهما كان فيه مايقوته وقوت عياله ولم يدرك الصلاة فى جماعة ، وإذا كسب أربعة دوانيق أدرك الصلاة جماعة ولم يكن فيه مايقوته ويقوت عياله .. أيهما افضل ؟

قال : يكسب الدرهم ويصلى وحده .

● وجاءه رجل فسأله عن مسألة وعلى رأسه قلنسوة سوداء فنظر إليه فأعرض عنه ، فقال له : يا أبا عبد الله أيسألك الناس فتجيبهم ، وأسألك فتنظر إلىَّ ثم تعرض عنى ؟

فقال : هذا الذى تسألنى ، أى شىء تريد به ؟

قال : السُّنَّة .

قال : فهذا الذى على رأسك أى شىء هو من السنة ؟!

هذه سنة سنها رجل سوء يقال له أبو مسلم لا تستن بسنته فنزع الرجل قلنسوته فوضعها ثم لبث قليلاً ثم قام فذهب وقيل : كانت مسألة الرجل عن الحج ، فقال : وضعك هذه يعدل حجة .

● سئل سفيان الثورى : طلب العلم أحب إليك

(١) ما بين القوسين لزيادة الإيضاح وليست فى الأصل .

يا أبا عبد الله أو العمل ؟ فقال : إنما يراد العلم للعمل ، لا تدع طلب العلم للعمل ، ولا تدع العمل لطلب العلم .

● وقيل له : أيكون الرجل زاهداً ويكون له مال ؟

قال : نعم ! إن كان إذا ابتلى صبر ، وإذا أعطى شكر .

● وسئل : يا أبا عبد الله أين تطيب العبادة ؟

قال : حيث جوالق من خبز بدرهم ؛ حتى لا يمدن أحد عينه إلى أحد .

نعم ، ومن لها غير أبى عبد الله ؟

وبقدر ماشمر سفيان ـ رحمه الله ـ عن ساعد الجد طلبا للعلم فقد شدَّ للعبادة مئزره .

● قال الحوارى بن أبى الحوارى أبو عيسى : رأيت سفيان الثورى يصلى قائما حتى تغلبه عيناه ، ثم يصلى قاعداً حتى يَعْيَى فيضطجع فيصلى مضطجعا .

وكان سفيان الثورى يصلى ثم يلتفت إلى الشباب فيقول : إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟

● وقال عطاء الخفاف : مالقيت سفيان الثورى إلا باكيا ، فقلت : ماشأنك ؟ قال : أخاف أن أكون فى أم الكتاب شقياً .

وكان يقول : البكاء عشرة أجزاء تسعة لغير الله . وواحده لله فإذا جاء الذى لله فى السنة مرة فهو كثير .

● قال أبو منصور الواسطى : زارنى سفيان إلى واسط ، فأتيته بثريد فأكل ، وأتيته بطُباخ (١) فأكل ، وأتيته برطب فأكل وأتيته بعنب فأكل وأتيته برمان فأكل ، فلما رآنى أنظر إليه قال : يا أبا منصور إنما هى أكلة فإذا أكلت فأشبع .

● قال مكى بن إبراهيم : دخلت على سفيان ابن سعيد يوماً وبين يديه رغيف وكف زبيب ـ أو حفنة ـ فقال لى : ادنُ يامكى ، قلت : يا أبا عبد الله : دخلت إليك غير مرة ، وأنت تأكل فلم تدْعُنى قبلها ، قال : اليوم حضرتنى النية .

● قال عبد الله بن الأسود : كنا عند سفيان الثورى فى بيته فجاء بقدر فيه لحم ومرق فأكفاه وصب عليه سمنا ، فقلت : يا أبا عبد الله أليس يُكْرَهُ الخليطان ؟ فقال : كان يُكْرَهُ لشدة العيش .

لقاؤه ربه :

● قال عبد الرحمن بن إسحق الكنانى : كنت بـ(عبادان) وسفيان مختف بالبصرة ، فأرسل إلى فجئت فإذا هو فى الموت ، فأدخل يده تحت رأسه ، فأخرج كيسا فرمى به إلىَّ وامرأة تتكلم خلف الستر فقال : إن هذه المرأة تزوجتها وبقى لها عندى من صداقها ثلاثون درهماً ، فإن هى تركتها فكفنى بها ، وإن لم تتركها فكفنى فى ثيابى ، فلما مات حملته إلى المغتسل أغسله ، فحللت إزاره فإذا فيها رقعة فيها أطراف الحديث .

● وقال عبد الرحمن بن مهدى : لما مات سفيان الثورى أردنا أن ندفنه ليلاً من أجل السلطان فأخرجناه فلم ننكر الليل من النهار .

قال الأوزاعى : إذا مات ابن عوف وسفيان الثورى استوى الناس .

وقال جرير بن حازم :

من كان يبكى على حى لمنزلة
بكى الغداة على الثورى سفيانا

وقال عبد الله بن الصباح :

أبكى عليه وقد ولى وسؤدده
وفضله ناضر كالغصن ريانا

وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ عام واحد وستين للهجرة وله من العمر أربع وستون سنة .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

الإمام الأكبر يلتقى ومستشار سفارة افريقيا الوسطى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته والسيد / چاك ديما مستشار أول سفارة أفريقيا الوسطى الجديد ، حضر اللقاء السيد / جريس بيبى جريل ليندر المستشار السابق بالسفارة .

وقد أعرب المستشار السابق عن شكره لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على الخدمات التى يقوم بها الأزهر لطلاب أفريقيا الوسطى وعلى التعاون المثمر الذى لمسه أثناء فترة تواجده فى عمله بالسفارة بالقاهرة .

كما أعرب المستشار الجديد عن امانيه فى أن يستمر التعاون بين سفارة جمهورية أفريقيا الوسطى والأزهر الشريف لخدمة طلاب افريقيا الوسطى المسلمين .

وفى نهاية اللقاء كرر السيدان چاك ديما وجريس بيبى شكرهما العميق لفضيلة الإمام الأكبر على الحفاوة وحسن الاستقبال .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الشباب والرياضة فى مدغشقر

استقبل فضيلة الإمـام الأكبر بمكتب فضيلته السيد/ بـدرالدين وزيـر الشباب والرياضة والإسكان بجمهورية مدغشقر .

وقد تم خلال اللقاء طلب بحث مزيد من التعاون بين الأزهر وجمهورية مدغشقر ، وقبول طلابها وإلحاقهم بالدراسة فى الأزهر ، وإيفاد العلماء لإلقاء المحاضرات الدينية للتوعية الدينية خلال شهر رمضان المعظم من كل عام .

وقد أعرب السيد الوزير عن شكر بلاده لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر لطلاب مدغشقر الدارسين بالأزهر الشريف .

●●●

الإمام الأكبر يفتتح أحدث المنشآت الأزهرية بالدقهلية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بعض المشروعات التعليمية التابعة لمعاهد الأزهر الشريف وجامعته ضمن منشآت المركز الإسلامى (فى بلدة تفهنا الأشراف) الذى أقيم بالجهود الذاتية ..

وقد قام فضيلته بوضع حجر الأساس لفرع جامعة الأزهر (فى تفهنا الأشراف) الذى يضم

كليات أصول الدين والشريعة واللغة العربية والدراسات الإسلامية للبنات .

احاديث يومية بالتليفـزيون المصري لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

بمناسبة شهر رمضان المعظم يعرض التليفزيون المصرى على قناته الأولى حديثاً يومياً لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وذلك عقب صلاة العشاء .

●●●

إيفاد نخبة من علماء الأزهر لإحياء ليالي رمضان في إحدى عشرة دولة

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قراراً بإيفاد نخبة من علماء الأزهر الشريف فى بعثات إلى إحدى عشرة دولة هى : أمريكا وبريطانيا واستراليا وأثيوبيا وبلجيكا والمالديف ونيجيريا ومدغشقر وبلغاريا وإسبانيا والبرتغال .

وذلك خلال شهر رمضان المبارك للقيام بالتوعية الدينية .

●●●

الإمام الأكبر يشيد بالدور التاريخي للأزهر في حمل راية الدعوة والدراسات العلمية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر احتفال كلية الطب جامعة الأزهر بمرور ٢٥ عاماً على إنشائها .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر بالدور التاريخى للأزهر فى حمل راية الدعوة والدراسات الإسلامية .

ونوه فضيلته بالأعداد الوفيرة من أبناء مصر والدول الإسلامية الذين تخرجوا فى كلية الطب

●●●

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبد المنعم فودة ●

توحيد المنظمات الاسلامية فى كشمـير

نقلت الإذاعة اللندنية فى مقابلة إذاعية مع البرفيسور (أليف الدين الترابى) أحد أعضاء حركة تحرير كشمير أن اثنتى عشرة منظمة جهادية إسلامية فى كشمير قد توحدت فى حركة واحدة باسم « حركة تحرير كشمير » وأخذت تمارس دوراً قياديا للتحرر من الاحتلال الاستعمارى الهندى .

بدأت الحركة من يناير الماضى عملياتها التحريرية .

●●●

مطبعـة للمصحف فـى الاتحـاد السوفيتي

أعلن (الشيخ طلعت صفا تاج الدين) مفتى مسلمى القسم الأوروبى وسيبريا ـ بالاتحاد السوفيتى أنه قد أنشئت مطبعة كبيرة لطباعة المصحف الشريف والكتب الدينية وعلى رأسها ترجمة معانى القرآن الكريم .

وأعلن الشيخ طلعت أن أولويات العمل تتمثل فى إعادة بناء المساجد التى خربت فى الماضى وعددها (ثلاثة عشر مسجدا)

مجلة الأزهر : إن طباعة المصحف تتوقف على أعمال فنية دقيقة جدا لها خبراتها النادرة ، نرجو أن يتمكن القائمون على أمر طبع المصحف

أنبـــــــــــاء وآراء

بالاتحاد السوفيتى مراعاتها حتى يأتى الكتاب العزيز فى هذه الطبعة خاليا تماما من الأخطاء .

●●●

الهندوس يطـاردون ويقتلـون المسلمين

أفادت الأنباء الواردة من الهند نقلا عن وكالة الأنباء الإسلامية أن المسلمين فى المناطق الغربية من الهند بولاية (براديش) قد تعرضوا لاضطهاد عنيف خلَّف أحوالا لا يمكن وصفها حيث قتل أكثر من ألف شخص فى مدينة بحتورا على أيدى الهندوس .

ولم يقنع الهندوس بسفك الدماء فعرجوا على السكان فى عمليات نهب وسلب وتجويع مما أجبر أكثر من ٨٠٪ من السكان على الهجرة خوفا من هذه الحملات الدموية .

سبق لسفير الهند أن التقى بالإمام الأكبر فى واحد من هذه الشئون مقررا أن حكومة الهند حريصة على تطبيق الديمقراطية وتجنب وقوع مثل هذه الأعمال .

ونذكر - فى هذا المقام - بما صدر من السيدة رئيسة الوزراء أنديرا غاندى فى مشكلة مماثلة إذ قررت عدم تقديم المذنبين إلى المحاكمة بحجة أن تقديمهم إلى المحاكمة يثير الجمهور مرة أخرى .

●●●

مسـجـد جديد بالعــاصمـة التشيلـيـــة

افتتح مؤخرا أول مسجد بالعاصمة التشيلية (سانتياجو) بالجهود الذاتية للمسلمين

يبلغ عدد المسلمين ٣٥٠٠ مسلم ومسلمة .

يشكل الأصل العربى نصفهم والنصف الآخر من التشيليين .

ويعد مسجد النور فى العاصمة (سانتياجو) من المساجد الكبيرة فى العاصمة ، يهتم القائمون بالأمر فيه بتحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، ودراسة اللغة العربية .

●●●

مسلمو الفلبين يرفضون حكماً ذاتياً محدوداً

رفض مسلمو جبهة مورو الإسلامية فى جنوب الفلبين ما اقترحته رياسة الجمهورية بإعطاء حكم ذاتى محدود للمناطق الإسلامية بجنوب الفلبين .

وأكدوا تمسكهم بأحترام اتفاقية طرابلس عام ١٩٧٦ م .

هذا وقد أعلنت جبهة مورو الإسلامية عن إسلام عدد كبير من الوثنيين فى الفلبين على أيدى دعاة الجبهة فى المناطق الجبلية والغابات بالفلبين .

أوزبكستـان الاسـلامية تعلن الاستقـلال

أعلنت (أوزبكستان) الإسلامية فى استفتاء شعبى إعلان استقلال قوانينها عن قوانين الاتحاد السوفيتى .

قالت وكالة (تاس) السوفيتية التى أعلنت النبأ : إن وثيقة أقرت فى أول اجتماع لبرلمان طشقند الجديد بسيادة قوانين أوزبكستان .

الفهـرس

الموضـوع — الصفحـة

● بالله للمسلمين
د . على أحمد الخطيب ٩٦١

باب الامام الأكبر شيخ الأزهر

● منهج مدرسة الصوم ٩٦٤
● اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر ٩٦٨
● مع القران فى شهر القران
للأستاذ عبد الحفيظ على القرنى ٩٧٤
● مرحباً بك يارمضان
للشيخ جابر منصور مغربى ٩٧٨
● الصوم عن الغير
للدكتور محمد حسين قنديل ٩٨١
● نظرات فى الفقه الاباضى
لفضيلة الشيخ محمد حسام الدين ٩٨٨
● قبس من نور النبوة
للشيخ على حامد عبد الرحيم ٩٩٢
● من روائع الفن العسكرى
للأستاذ الدكتور محمد بهاء الدين محمود حنفى ٩٩٥
● احد وثباته صلى الله عليه وسلم
للأستاذ الدكتور عبد البصير خليفة حسن ١٠٠٣
● اول بيان سياسى للخلافة فى الإسلام
لفضيلة الأستاذ عبد المقصود محمد نصار ١٠٠٦
● الفتـــاوى
إعداد : أحمد تقى الدين ١٠١٠

باب أرض الاسراء والمعراج

● فلسطين واليهود
للأستاذ الدكتور أحمد شلبى ١٠١٤
● القدس بين المواثيق الدولية والاطماع الصهيونية
بقلم لواء ا . ح . د . فوزى محمد طايل ١٠٢٠
● الدعوة الإسلامية فى كينيا
إعداد : التحرير ١٠٢٦
● المسلمون والتراث الافريقى فى غرب افريقيا
للدكتورة رجاء سليم ١٠٣٠

● باب الشعر والشعراء

إشراف د . رشاد يوسف

الموضـوع — الصفحـة

● من وحى غزوة بدر
للأستاذ أحمد المنشاوى الوردانى ١٠٣٦
● مرحباً رمضان
للأستاذ محمود شاور ربيع ١٠٣٨
● إشراقة رمضان
للأستاذ رفعت المرصفى ١٠٣٩
● قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم ﷺ
للدكتور أحمد محمد على حنطور ١٠٤٠

باب العلوم الكونية

● التاصيل الإسلامى لعلم الإنسان
د . زكى محمد إسماعيل ١٠٤٦
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د . نجوى السيد أحمد ١٠٥١
● من أعلام الأزهر « الشيخ احمد الحملاوى »
للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى ١٠٥٤
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٠٦٠
● من روائع الماضى لمجلة الأزهر « أثر الصيام فى تقويم الشخصية الإنسانية للأستاذ محمد فريد وجدى
إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات ١٠٦٢

باب اللغة والأدب والنقد

● ابن القيم وحديث فى أصول اللغة
للأستاذ الدكتور توفيق محمد شاهين ١٠٦٦
● لحظات طيبات مع الإمام سفيان الثورى
إعداد الأستاذ عادل خفاجة ١٠٧١
● انباء وأراء
إعداد : مصطفى عبد المجيد
عبد المنعم فودة ١٠٧٦

● القسم الانجليزى

إشراف د . أنس النجار
● المقالة الثانية
للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه ١٠٨٢
● المقالة الأولى
د . أنس مصطفى النجار ١٠٨٦

The practice of hardiness in diet indicates that man should avoid excess of food, should refrain from gluttony and excessiveness. The practice of hardiness in appearance is practiced by modesty in dress and living condition. Even health and beauty should practice hardiness by modesty, humbleness, chastity, serenity calmness and composure. The practice of hardiness in knowledge is its honest transmission and education to others; its proliferation to serve human prosperity. The concept of hardiness is a way of life, a culture that should be schooled to the human societies from an early age. Children must be taught to respect and properly utilize Divine bounties and gifts to mankind.

The Islamic doctrinal teachings aim at teaching the practice of hardiness in life, the avoidance of over indulgence and excessiveness, an the full respect of Allah's bounties and gifts to mankind. These doctrines teach and preach the control of human carnal desires. All rituals of worship in Islam are systematized practices of self discipline and self control. Prayers are practices of commitment and exercises of social human equality and self evaluation. They are programs of disciple, humbleness and devotion to the Transcendent Divine Power. The time of prayer is a short repose with the self aside from worldly life. Fasting is more rigorous form of self discipline, it is periodic total abstention of all body demands; the most elaborate form of self discipline and self control. The Zakat is the practice of giving with the aim of establishing social welfare, social equality and social justice. The Zakat purifies the wealth of the opulent, and upgrades the economic standards of those who are less affluent. It is a practical implement of the practice of hardiness by giving away part of one's money in satisfaction of a prescribed Divine doctrine. All forms of "Jihad" are efforts of hardships on the path of serving the cause of Allah. All forms of life's functions that serve humanity are considered forms of Jihad. In Islamic concept, such functions of life are practices of hardiness because they promote human society and proliferate the endeavors of mankind towards human goodness through social justice.

All human actions that motivate and publicize chastity, justice, benevolence, magnanimity, social equality, honesty, and decency; are acts that conform with the practice of hardiness, self control and self discipline. By such actions, the personal love of wealth will develop into a social system of economic utilization; a paradigm whereby wealth will serve instead of becoming master. Furthermore, all dealings and transactions between people will follow the Divine Code of practice for human inter relations. The optimization in the implementation of such code is achieve through the practice of hardiness.

Islam through its basic meaning is the total submission of whole human constitution and life to the Transcendent Creator. Everything that relates to human life are granted favours from the Divine Power. It is the duty of mankind to accept these favours with decorous respect, propriety and intelligent behaviour of recognition.

(Translated by Dr. Anas Moustafa El Naggar)

Quran indicates that meaning in several verses "And He giveth you of all that ye ask for, and if ye enumerate the favours of Allah, never will ye be able to number them (Surat Ibrahim, XIV, 34). Again the Holy Quran says "If ye count the favours of Allah, never would ye be able to number them; for Allah is Oft-forgiving, Most Merciful" (Surat Al-Nahl, XVI, 18). It is inherently conceived that of all the favours of Allah upon mankind, the Grace, Mercy, Forgiveness and Providence in the spiritual dimension of man's existence are the greatest and of most supreme value.

Everything that mankind enjoys is a grant gifted from Allah. Mankind accepts these gifts as a matter of fact, and recognizes them only when they are lost. The gift of respiratory function, the gift of digestion, the gift of excretion, the gift of mental faculty, the gift of energy, the gift of perception and senses; the complete integrated body structural anatomy and functional biology are infinite countless continuous endowments from Allah to mankind. These Divine bounties are utilized, exploited, functionally designed, consumed and manipulated to serve mankind. The optimal practice of management to utilize Allah's bounties is the justified practice for the ultimate human benefit. Over indulgence in relish, ease, comfort, delight and regalement, will ultimately result into disorganization, disintegration and mortification of the human faculties. The mind will lose the bright luster of thought and understanding; the spirit will become void of its seraphic attribute; and the body will deteriorate in vital functions to sink as a victim of depression, deterioration, disease, doubt and despair. Such conditions of deterioration affecting individuals will eventually reflect on the family and to a larger extent on the human society.

The Hadith is an instruction to mankind to practice hardiness in life, because opulence and wealth do not endure. In this context, opulence and wealth constitute all types of Divine favours and bounties, including health, knowledge, affluence, economic prosperity, and all other aspects pertaining to plentifulness. The Hadith instructs that mankind should endeavour hard to exploit all elements of Allah's bounties and favours to serve humanity to a useful purpose. This exploitation should carry within its schemes, serious intention, hard work, mental and physical fitness, avoidance of ease, relish, comfort and regalement. The concept must be well conceived that Allah endows mankind with gifts and favours, wealth and opulence, health and fitness, thought and understanding; not to be incorrectly utilized. These Divine gifts and endowments must be seriously practiced to serve the promotion of mankind. This seriousness entails the practice of serious hard living in all its forms, and the avoidance of extreme comfort in all its forms.

ROOTS OF WISDOM

HADITH OF THE PROPHET

" Practice Hardiness, Opulence does not Endure "

By: Abdel Hakim Ahmad Taha

The natural phenomenon of life is that nothing in existence is eternal that endures to defeat time. Everything ends, and the patterns of materiality are continually changing through preordained divinely controlled processes. Opulence as one aspect of materiality has a transient phase with people; favouring sometimes and depriving other times. It does not perish, it only changes ownership. Impoverished indigence is an opposite state to opulence, being a natural occurrence in life's processes. This state becomes factual norm of individual actuality; and perpetuates to gain accepted habituation by the individual. In some individual situations, richness cannot be utilized in exploitation nor consumption. The wealthy individual becomes deprived of the ability to use his wealth. Reasons for such deprivation are such conditions of misery, parsimony, incapability through illness, careless indolence, and deterrent actions.

Few people understand that Divine Blessings to mankind constitute the greater part of man's wealth and opulence. One aspect of Allah's mercy to humans is that fortune and prosperity are among several individuals who thank for the bountiful abundance. Deprivation from such plentifulness should be met with patient acceptance. Both thanksgiving and patience are too attributes bestowed by Allah upon mankind which rank as most supreme in quality.

All wealth, opulence, abundance, plentifulness, bountifulness, grace, patience, content, decorum are essentially Divine grants from Allah to mankind. This context is indicated in the Holy Quran " Say Allah, Sovereign of all Dominion, Thou givest Power to whom thou pleasest, and Thou strippest off Power from whom Thou pleasest: Thou enduest with honour whom Thou pleasest. and Thou bringest low whom Thou pleasest: In Thy hand is all Good. Verily, over all things Thou hast power." (Surat Al-Imran, III, 26). The bountiful favours that Allah bestows upon mankind are infinite. The Holy

of the north African coast. This would certainly have a two fold value; the propagation of Islam into Egypt and effectually into the north African continent, and also the safeguard security of Muslims in Palestine and Syria.

The whole panorama of the entire status of Egypt was vivid in the mind of Omar ibn Al-Khattab, he must allow time for inductive reasoning, discourse and consultative dialogue with men of ranking wisdom at Al-Madinah, men who were associated with Omar ibn Al-Khattab as an advisory body most of whom were companions of the Prophet Mohammad (prayers and peace from Allah upon him). Omar pleaded in prayerful appeal for being granted the correct resolution by Divine Providence. Omar ibn Al-Khattab finally took his decision to allow Amre ibn Al-Aas to lead a campaign into Egypt under the grace, mercy and expedient Divine Will. Omar ibn Al Khattab reached that resolution in thought after discussing the matter in meticulous detail with men of council.

Omar ibn Al-Khattab wrote to Amre ibn Al-Aas to advance to Egypt, a command that was most desirable to ibn Al-Aas, who marched to Al-Arish with a small contingent of Muslim warriors. This marked the start of a crucial vital milestone in early Islamic history.

teachings of justice and freedom that became proverbially recognized. The reputation of the performance of Muslim warriors on the field of combat was also highly acknowledged. Both Omar ibn Al-Khattab and Amre ibn Aas were among the most concerned about the internal modalities and events inside Egypt. The repercussions of the changing patterns of authority affected by the internal conflicts in Egypt, were of major concern to the Muslims. The security of Muslim warriors in Palestine and Syria, was directly related to the situations governing the Roman occupation of Egypt.

Omar ibn Al-Khattab meticulously analysed the complete portrait of the Romans in Egypt, and the precise situation of the Egyptian inhabitants, when he was addressed by Amre ibn Al-Aas concerning a Muslim campaign in Egypt. The suggestion conformed with the favourable opportune circumstances of the Roman defeat at Jerusalem, and their retreat from Palestine. Omar ibn Al-Khattab was not in favour to embark on such a bold undertaking without giving the matter the necessary thought, careful consideration and prior consultation. His initial reactionary attitude was the outcome of the sagacious judicious prudence of statesmanship and foresight. The complete issue had to be carefully deliberated with objective speculation, rational appraisal and requisite logistics.

Omar ibn Al-Khattab was well aware of the unstable conditions in Egypt as the result of Roman despotic authority. The creedal belief of the Egyptian inhabitants as Christians with the correct conceptualization of Christian Doctrines, provided an appropriate medium for Islamic propagation. The roots of both Christianity and Islam originate from the same Divine Light; the Holy Quran constitutes several sections about Christianity, and the birth and death of Jesus Christ. Islamic doctrinal teachings as presented by the Revelation of the Holy Quran are essentially more detailed ramified continuity of Christianity as was preached by the Prophet of Christianity Jesus Christ. Such people who truly followed the Christian faith, would understand and accept Islam as the natural instinctive paradigm in the thought sequence of belief. The didactic precepts of the Islamic faith have always been, and will remain recognized in affirmative acknowledgement by the human mind soliciting Truth and Reality of Divinity.

The spectral delusion of the Roman authority in Egypt was arbitrarily diverging the authentic doctrines of Christianity, to allow ground for a mosaic chimera of Christian thought under the specious pretext of unified Christianity. Such an allegation was rigorously rejected by the Egyptian Christian priesthood. This situation aggravated the initially existing discordant relations between the Egyptian inhabitants and the Roman authority occupying Egypt. The introduction of Islamic doctrines through a Muslim crusade against the Romans in Egypt, would not be resented by Egyptian Christians. Such a crusade, if successful, would drive the Roman Legions to the western territories

was famous for its pontific magnificence of great splendor. The inhabitants of the grand city were from various races mainly from Europe and north Africa; and these inhabitants belonged to the Jewish and Christian faiths.

Alexandria was also famous for its miraculous lighthouse, temples, galaries, amphitheaters, arenas, auditoriums, public baths, market grounds, and grand mansions. The splendor of the city was overwhelming, and the greatness of the harbour was incomparable in activity of trade action. The ship building arsenal of Alexandria was distinguished for the construction of maritime vessels, and worships of any size and capacity.

This capital city of Alexandria was the center of a great scientific, cultural activity, and numerous libraries. This scientific reputation of Alexandria became less active during the Roman occupation of Egypt, than during other eras. The picture of magnificence that elaborated the city of Alexandria corresponded to the heightened cultural status of the various theological and theosophical parties. During the Roman occupation of the country, the city of Alexandria in particular and Egypt in general, experienced a situation of creedal oppression, affliction and despotism. The Roman Emperor Heraclius, reputed at the time of Persian defeat, as the savior and champion of Christianity, presented to the Christian population in Egypt what he defined as a Unified Christian Doctrinate. This new scholastic Christian teachings were rejected by the more ardent orthodox Christians of Egypt. The forced imposition of the new Christian thought by the Romans, and the refusal of that thought by the Egyptian Christians, created a situation of hatred, anarchy and contentious polarization.

This religious despotism was not the only justification for the anti-Roman feelings expressed by the Egyptians towards the Roman occupation. Several other reasons including heavy taxation, injustice, economic failure, absence of reformative reconstructive plans, and the attitude of servitude by which the Romans treated the Egyptians. All these criteria, resulted in a feeling of poignant antagonism by the Egyptians towards the Roman occupation of their country.

The details of the despotic conditions dominant in Egypt were well known to the Arabs of the Peninsula during the life of the Prophet, the reign of Abu Bakre, and also at the time of Omar ibn Al-Khattab. The continuous trade convoys between the two territories across the Red Sea made the inhabitants of both countries very familiar with the social, political, economic and theological events and state of affairs. The news of the Muslim crusades in Iraq, Syria, and Palestine; provided examples of the Islamic

OMAR IBN AL-KHATTAB

THE RESOLUTION

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The geographical position of Egypt as a passageway trade route interconnecting Europe with Asia, and situated north of the African continent, attributed particular importance to Egypt throughout history. This designation of significance culminated into an acme of classical mastery of all fields of culture; and provided the Nile Valley with the well deserved reputation of profuse agricultural productivity. The inhabitants of Egypt had been known through the ages as industrious, assiduous, diligent, hardworking population.

During the early Islamic era, Egypt was a state of the Eastern Byzantine Roman Empire. The Roman Legions were permanently stationed in Cairo, Alexandria, and several other places in Egypt. During the second decade of the Seventh Century AD, Egypt was occupied by the Persian Empire. The Persians retreated from Egypt, Palestine, and Syria after their defeat by the Romans under the leadership of the Roman Emperor Heraclius. This Roman victory over the Persians established the authoritative domination of the Romans over the entire territory from the western borders of Egypt to the eastern edge of the Syrian nomadic desert separating the Syrian mainland from the Arab Iraq, and the lands between the two rivers dominantly occupied by the Persian Empire.

Egypt as the land of the very fertile richly productive Nile Valley, yielding various grains and crops was exemplary as a country of copious productivity. Most of this abundant production supplied the Roman Empire. Besides, the cultivation productivity, Egypt was also renouned for its other mineral resources and great potentialities. It was the center of the combined cultures of the east and west, with broad dimensions in art, industry, agriculture and trade. These potentialities were progressively expanding in growth, giving opulence of prominent grandeur. The capital city was Alexandria, which

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART IX

Ramadan 1411, HIJRAH

EDITOR:** Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, **M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab
   The Resolution.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. Roots of Wisdom
   Hadith of the Prophet
   "Practice Hardiness, Opulence does not Endure"
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٩٠٥٤٧٣ / ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٥٠٦
شوال ١٤١١ هـ
ابريل - مايو ١٩٩١
الجزء العاشر
السنة الثالثة والستون

١٢٥
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

ثلاثٌ بثلاث

إن قوما أطاعوا الله فى ثلاث أكرمهم بثلاث :

أولئك مسلمون تركوا - لله ، عز وجل - من الحلال الطعام والشراب وسُوَيعات المتعة من أزواجهم ، وتَبِعَتْهم ذرياتُهم فأكرمهم الله - سبحانه - بِعِيدٍ جَمَعَ ثلاثا هى :

الفِطْر والسَّعَة والسلام .

فما أشرق فجر العيد حتى تمت لهم الفرحة برضا الله عنهم لأدائهم صابرين صيامهم ، وقيامهم ، ورضاهم عن انفسهم بما حل فيهم من فطر وسَعَةٍ وسلام .

وفى الحق أنه ماكان عيد الفطر لِعَاصٍ رفض رمضانَ وَأَكَل وشرب كالأنعام .

إن الشريعة سَمَّتْهُ (عيد الفطر) ليكون عيد الصائمين ، لا عيد المفطرين فليس لأولئك منه نصيب فى الدنيا ولا فى الآخرة .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه الإمام البخارى : للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه .

وأين المفطرون من ذلك ؟ !

إنما يفرح بالعيد صائم تقرب إلى الغنى الكريم بطاعته ، وصَدَقَ اللهَ فيها سرًا وعلنا : فجزاه الله جزاء غير مقرون بحساب ، أليس - سبحانه - القائل ، فيما يرويه البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن ربِ العزة :

كُلُّ عمل ابنِ آدم له إلا الصيام ، فإنه لى ، وأنا أجزى به .

وعيد الفطر سَعَة :

سَنّ الله ـ تعالى ـ فيه للمسلمين صدقة الفطر حتى لا يكون ـ بين الناس فى هذا اليوم ـ بائس ولا محروم فأَوْجَبَ وَتَأكَّدَ ليجرى المال بأيدى المساكين فلا ينكسر يتيمٌ لحاجة ، ولا مسكين لضائقة .

وبهذه السعة تسعى إليهم حاجاتهم ، ويُشبعون ـ فى أنفسهم ـ رغباتهم .

ولا يزال المسكين يوم العيد ينال ثم ينال ثم ينال حتى يتصدق بدوره ..

وهل بعد أن يتصدق المسكين دليل على ما أراد الله ـ تعالى ـ لهذا اليوم من سعة .

تلك قطرة من شرعة البارى ـ جل علاه ـ تذكرك بقوله ـ سبحانه :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1] .

●●●

والعيد ـ فى الإسلام ـ سلام :

جاء فى (أبواب صحيح البخارى) قوله :

(باب مايُكْرَهُ من حَمْل السلاح فى العيد[2] والحَرَم) وفيه تمت التسوية بين العيد والحرم ليكونا سلاما لا يرتفع فيهما السلاح إلا لضرورة .

وقد استطرد البخارى فقال :

وقال الحسن [أى البصرى] :«نُهُوا أن يحملوا السلاح يوم عيد إلا أن يخافوا عدوا »

ولقد يعلم المسلمون مدى ماأوجب الله من أمن للحرم ، ومثله ينبغى للعيد ، وبذا تتم فرحة العيد ، فلا يتخللها هزة خوف تبث القلق وتنزع السلام .

ولقد يحل العيدُ نفسُه فى الحرم فيتأكد الأمان ويتضاعف السلام ، وذلك ماقرره الإمام الصالح (عبد الله بن عمر) ـ رضى الله عنهما ـ وقد راح ضحية طاغية .

روى الإمام البخارى ـ فى صحيحه ـ عن ابن جبير ـ رضى الله عنهما ـ قال :

كنتُ مع ابن عمر حين أصابه سنان الرمح فى أَخْمَصِ قدمه فلزقت بالرِّكاب فنزلتُ فنزعتها ، وذلك بِمِنَى فبلغ الحجاج[3] ، فجعل يَعُودُهُ ، فقال الحجاج : لو نعلم من أصابك ؟ فقال ابن عمر : أنت أصبتنى !

قال : كيف ؟

قال : حَملتَ السلاح فى (يوم) لم يكن يُحْمَل فيه ، وأدخلت السلاح (الحرم) ولم يكن السلاح يدخل الحرم .

ولم يلبث ابن عمر أن توفى ـ رحمه الله .

د. علي أحمد الخطيب

---

(١) الأعراف ١٥٦ .

(٢) انظر كتاب العيدين .

(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف ، وكان ضَيِّقا بمن عاصره من الصحابة حتى إن أكثر من مؤرخ ـ فى مقدمتهم ابن الأثير ـ صرح بأن جرح عبد الله بن عمر بزج رمح فى قدمه كان مدبرا مقصودا للتخلص من ابن عمر وقد مات ـ رضى الله عنه ـ بسببه .

ليلة القدر

فى

خطاب الرئيس مبارك

الإمام الأكبر شيخ الأزهر .. العلماء الأجلاء .. الإخوة والأخوات .

إن من دواعى السعادة أن التقى بكم الليلة فى هذا الملتقى الكريم ، لكى أحتفل معكم بذكرى حدث عظيم ، ذكرى بدء نزول الوحى على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .. إنها «ليلة القدر» التى هى ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ والتى ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

وأنتهز هذه الفرصة ـ ونحن نجتمع فى نور القرآن ـ لأقدم التهنئة الصادقة بهذه المناسبة المباركة ، إلى كل مواطن على أرضنا الطيبة ، أرض مصر ، وإلى كل شقيق فى بلادنا العربية ، وإلى كل أخ فى أمتنا الإسلامية .

كما أنتهز فرصة هذه الليلة المشرقة بنور القرآن ، والتى تتنزل فيها ملائكة الرحمن لأحيى قواتنا المسلحة الظافرة ، وأدعو الله ـ جل علاه ـ أن يجعل النصر دائما حليفها ، والفوز أبدا طريقها والمجد قاعدة راسخة لراياتها .

كما أنتهز فرصة هذه الليلة الميمونة ـ التى يستجيب الله فيها الدعاء ويفتح أبواب السماء ـ لكى ابتهل إليه سبحانه ، أن يحقق لنا جميعا ما نصبو إليه من أمن وسلام ووحدة ووئام ، ومن عز وفخار وتقدم وازدهار ، وأن يتم نعمته علينا بتحرير كل شبر من أرضنا العربية ، وبإحقاق الحق والشرعية فى كل بلادنا الإسلامية ، وبأن يتوج انتصاراتنا بحل القضية الفلسطينية ، حلا عادلا كريما ، يمكن الشعب الفلسطينى من نيل حقه المشروع ، واسترداد أرضه السليبة .

إن احتفالنا ببدء نزول الوحى ، هو احتفال بفجر الدعوة المحمدية ، وهذا يجب أن يذكرنا بما جاءت به تلك الدعوة من دين حنيف ، قوامه عقيدة صحيحة ، وشريعة قويمة ، وقيم إنسانية رفيعة .

* ألقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى « ليلة القدر » السابعة والعشرين من رمضان المبارك لهذا العام ١٤١١ هـ الكلمة التالية بالسرادق المقام بميدان القلعة .

كذلك يذكرنا هذا الاحتفال بما صنعه هذا الدين بالعرب أولا ، وبما حققه للعالم ثانيا ، وبما أسداه إلى الإنسانية آخر الأمر ، فقد أخرج هذا الدين العرب من الجاهلية والتخلف ، إلى المدنية والتقدم ، وحولهم من قبائل مفرقة وشيع ممزقة ، إلى أمة موحدة ودولة موحدة .. كذلك حرر هذا الدين الشعوب المستعبدة والأمم المقهورة ، ففك عنها أغلال الدول المسيطرة والامبراطوريات المتجبرة ، وبهذا نعم العالم بحرية لم يعرفها من قبل ، وتنحت القوى الظالمة مفسحة الطريق للقوى الإسلامية المحررة ، وللدولة الإسلامية المتصدرة المتحضرة .. كذلك حمل الإسلام إلى الإنسانية ـ عبر كل العصور قيم الحرية والديمقراطية ، والمساواة والعدل، والمحبة والسلام ، حيث حارب العبودية والاستبداد . وقاوم التفرقة والظلم ورفض الصراع والعداوة والنزاع .. كذلك تذكرنا هذه المناسبة الكريمة ، بأن أمتنا قد نهضت عندما أخذت بتعاليم الإسلام وقيمه . وأنها تخلفت حين تنكرت لهذه التعاليم والقيم . كما أن قادة هذه الأمة يصيبون وينصرون ، حين تكون هذه التعاليم والقيم هاديهم الذى فى نوره يسيرون . ولكنهم يخطئون ويهزمون ، حين لهذه التعاليم والقيم يتنكرون أو لها يزيفون أو بها يتاجرون .

وهكذا يعلمنا التاريخ الإسلامى درسا يجب أن تعيه بكل العمق أمتنا . كما يجب أن يدركه بكل الحرص كل مسئول فى هذه الأمة .. فقد تألق نور الحق ، لكل من له عين ترى . ومن لا يرى هذا النور ، يصدق عليه قول ربنا : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ كما أن من يجادل فى هذه النتائج الباهرة يحق عليه قوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ . وحسبنا نحن أن نقول فى كل الأحوال :﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ .

الحرص على اخوة المسلمين

والآن . وبعد أن تجلى نور الحق . وتوارت ظلمات الزيف . وبعد أن حقق الله نصر من اتخذوا موقف الصدق والعدل والشرعية . ولبوا نداء النجدة والمروءة والأخوة ، بعد هذا تبدأ مرحلة جديدة فى حياة أمتنا . هى مرحلة ما بعد الأزمة . أو مرحلة ما بعد المحنة .. وهذه المرحلة تحتاج إلى مراجعة كاملة . تسلم إلى خطة عمل عربية جماعية . تحقق فى أقرب وقت ، تجنب عثرات الماضى . وتحول دون تكرار أخطائه . وتفتح الطريق إلى مستقبل مضىء تعيش فيه أمتنا ما هى جديرة به من حياة حرة كريمة . وتأخذ ما هى أهل له من مكانة عالية عظيمة . تستحق بها أن توصف بأنها: ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

واعتقد أن خطة العمل التى تسلم إليها هذه المراجعة الكاملة لكل ما حدث يجب أن تنبثق مما انبثق منه فجر الدعوة الإسلامية . حين بدأت أشعة هذا الفجر الجديد مع ليلة القدر . إنه القرآن الكريم ومبادىء ديننا الحنيف .. فليس علينا إلا أن نأخذ أنفسنا بتعاليم قرآننا وقيم ديننا وأن نسير على هدى ربنا دون انحراف أو تأويل ودون تحريف أو تبديل . ودون تسخير للآيات المطهرة والنصوص المقدسة ، لأغراض دنيوية زائلة أو منافع شخصية باطلة ، وفى هذا المقام أرى أن علينا فى هذه المرحلة ـ من مراحل أمتنا ـ ما يلى :

أولا : الحرص على الأخوة بين أبناء أمتنا . بحيث نتجنب أساليب الانتقام ونطرح مشاعر الحقد .

وننسى أحاسيس الكراهية . ونحل محل ذلك كله : الحب الأخوى الصادق . الذى يقرب القلب من القلب . ويشد اليد إلى اليد . ويضم الصف مع الصف . والذى يفرض التعامل الأخلاقى بغير نفاق أو خداع وبدون تلون أو تشكل .. التعامل الأخوى الحضارى الذى تتم معه المكاشفة . ويتحقق الصدق والمصارحة والذى يتسع للحوار الهادىء وينفسح للاختلاف فى الرأى دون اتهام بالخيانة ، أو رمى بالعمالة . أو طعن بالكفر والذى تحل معه كل الخلافات - إن وجدت - فى جو أخوى سلمى حضارى . لا يعرف الهجوم ولا العدوان . ولا يلجأ إلى التآمر أو العنف ، فهذا هو الأسلوب الذى يتفق مع مبادىء الإسلام السامية . وتقاليد العروبة الراقية . بل أكثر من هذا أرى أن الحرص على الأخوة يفرض علينا الحرص على روح التكافل . بحيث نستشعر جميعا - أفرادا وجماعات . شعوبا وحكومات - أن الواحد منا عليه واجب نحو أخيه . يفرض عليه أن يحس آلامه ويدرك احتياجاته ، ويوجب عليه أن لا يهنأ بينما أخوه يشقى ، ولا ينعم بينما شقيقه يعاني .. فقد قرر كتابنا العزيز هذه الحقيقة وأكد عليها . ومن ذلك قوله تعالى فى عبارة موجزة معجزة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وفصل النبى عليه الصلاة والسلام هذه الإخوة فى صورة إنسانية رائعة . حين صور المؤمنين فى صورة جسد واحد «إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» .

ثانيا : الحرص على تمكين أصحاب الحقوق المسلوبة من أن ينالوا حقوقهم .. لأن رد الحق إلى صاحبه فريضة واجبة الأداء ، وقد يتسامح الله فى حقه هو ، ويغفر لمن يقصر فى واجب من واجباته ولكنه لا يتسامح أصلا فى حقوق العباد ، ولا يغفر إطلاقا لسالب حق غيره . إلا إذا استرد صاحب الحق حقه ، أو تسامح هو بمحض إرادته متنازلا عن هذا الحق .. وذلك لأن حقوق العباد فى الإسلام مقدسة والدفاع عنها حق مشروع بل واجب محتم وقد أكد هذا رسولنا الكريم حين قال : «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» ، وحين قال فى خطبة الوداع : «أيها الناس .. إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام . كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا» . بل إنه - صلوات الله عليه - قد أباح لمن يتعرض لاغتصاب ماله على يد معتد ، أن يقاتل هذا المعتدى وقرر أن المدافع عن ماله إن قُتل فهو شهيد . وأن المعتدى إن قُتل فهو فى النار .

ثالثا : الحرص على مجازاة المسىء بقدر إساءته .. وذلك لكى يتحقق الزجر لكل من تسول له نفسه الإساءة فى المستقبل ، وما أصدق قول ربنا : ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ على أنه يجب أن تكون المحاسبة دون انتقام أو تجاوز أو تشفٍ ، وعلى أن يكون الصفح والعفو أملا يرتجى لا فرضا يلزم ، وأقل ما يطلب فى حالة الصفح والعفو ، أن يعترف المسىء بأنه أساء . وأن يقرر الرجوع إلى الحق ويتعهد بعدم تكرار الإساءة ، فالرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل ، والاعتراف بالخطأ من صفات الصادقين الشرفاء .. وحسبنا فى الحرص على مجازاة المسىء بقدر إساءته إلا إذا تم العفو ، حسبنا قول الله سبحانه : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾ .

رابعا : الحرص على تجاوز المحنة ، بكل ما خلفت من جراح أو سببت من آلام ، لأن الوقوف أمام الكوارث يفضى إلى العجز ، والاستمرار فى الكبوة يفرض الاستمرار فى الانكفاء ، ويحول دون النهوض ، فضلاً عن القدرة على السير والتقدم . ومن أجل هذا - وضمن أهداف إسلامية كثيرة - كنا مطالبين بالإيمان بالقضاء والقدر ، حتى لا ننهار أمام الكوارث ، ولا نشل حيال النكبات ، وكان علينا - كمؤمنين بقضاء الله وقدره - أن نكون ممن يصدق فيهم قوله جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ وما اروع قول ربنا سبحانه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

خامسا : الحرص على جمع الشمل وضم الصف ووحدة الكلمة . فقد كان من آثار المحنة ، هذا التفرق ، الذى كأنه انفجار نووى سياسى عربى ، ذهب بأناس فى واد ، وبآخرين فى واد آخر ، ولم يقتصر الأمر على بعض الحكام والرؤساء ، بل تعداهم - بكل أسف - إلى فصائل من الكتاب والسياسيين بل تجاوز هؤلاء وهؤلاء إلى طوائف من الجماهير المحتاجة إلى وحدة تجمع شتاتها وإلى ألفة تضم جمعها ، وإلى أخوة تربط بين قلوبها ، حتى تكون قوة ضاربة فى مجال الإنتاج فى مناخ الاستقرار ، قصدا إلى التقدم والرخاء والازدهار .. وما أكثر ما نردد قول الله سبحانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ أجل . ما أكثر ما نردد هذا التوجيه القرآنى الإلهى النورانى الكريم ، ولكن الأحداث تؤكد - بكل أسف - أنه يمر على آذان الكثيرين منا دون أن ينفذ منها إلى القلوب ، أو أن يترجم إلى حقيقة فى السلوك .

المزيد من الديمقراطية

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الاستجابة إلى هذه الدعوة الإلهية المضيئة التى تقيم ما انهدم من بنائنا ، وترمم ماتصدع من وحدتنا ، وتلملم ما تبعثر من جمعنا .. إننا فى عصر التجمعات الكبيرة والتكتلات الضخمة ، أى أننا فى عصر لا مكان فيه للكيانات الصغيرة ، فضلاً عن الكيانات الممزقة أو الفصائل المفرقة .. إن روح العصر تفرض علينا أن نحرص على التجمع والتآزر قصدا إلى القوة وطلبا للبقاء العزيز الكريم ، فإما أن نكون كالجبال الرواسى أو نكون كالذرات فى مهب الريح ، تدفع بنا الأنواء كيف تشاء . ويكون مصيرنا - لاقدر الله - أن نذهب هباء ونضيع بددا .

سادساً : الحرص على مزيد من الديمقراطية .. فديننا الحنيف ، هو دين الشورى ، التى هى الوجه المضىء للديمقراطية ، وقد مجد الله المؤمنين لأخذهم بها كمبدأ من أهم مبادىء الإسلام ، وذلك حين قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ، بل إنه جل شأنه قد أمر رسوله - صلوات الله عليه - وهو المعصوم من الخطأ - والذى يتلقى الوحى عن ربه - أمره بأن يعمل بالشورى ولا ينفرد بالرأى ، وذلك فى قوله سبحانه : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وكان - عليه الصلاة والسلام - القدوة الحسنة والمثل الأعلى ، حين نفذ هذا الأمر الإلهى ، وأخذ بالشورى ، حتى نزل على رأى الأغلبية وإن خالف رأيه فى بعض الأحيان .

إن المحنة وما جلبته من كوارث لم تكن لتدهمنا لو أن الديمقراطية التى تسمح بالرأى والرأى الآخر ، وتفسح الصدر لمن يخالف فى الرأى ، أن يبدى رأيه ويجلى وجهة نظره ، لو أنها وجدت مكانها الصحيح ، فلا شك أن الفرد يخطىء أحياناً ولا يصيب دائماً ، وإنما يحميه من الخطأ ويوجهه إلى الصواب ، تعدد الآراء وتقابل وجهات النظر ، ثم اختيار الرأى الذى تختاره الجماعة وتؤثره الأغلبية .. فقلما يخطىء هذا الرأى ، وهو مهما شابه من خطأ ، فلا يمكن أن يصل إلى فداحة خطأ الفرد المتسلط ، الذى يتوهم أنه وحده الملهم والمصيب ، وكأنه - فى وهمه - إله خبير بصير ، لا يمكن أن يخفى عنه أمر من الأمور ، بينما هو عبد من عباد الله ، محدود القدرة ، بشرى النظرة ، معرض للخطأ بقدر تعرضه للصواب .

سابعاً : الحرص على مزيد من التنمية المرتبطة بالأمن .. فلا أمن لنا دون تنمية جادة ، تتيح فرص عمل شريف للجميع ، وتحول دون البطالة والقلاقل ، التى يسببها الفراغ والتعطل .. كما أنه لا تنمية جادة ، دون أمن يصون ما ننميه ويحفظ ما ننتجه وكل ما نحققه من مكاسب .

التنمية طريقنا للاستقرار

وليتنا ندرك أن التنمية والاستثمار على أرضنا العربية خير وأبقى من محاولتهما على الأراضى الأجنبية ، فبلادنا هى عمقنا الاستراتيجى ، وهى بعدنا الجغرافى والبشرى ، وشعوبنا التى تمثل قوى عاملة مقتدرة ، مستطيعة بخبرتها أن تحقق تنمية عربية أفضل ، واستثمارات عربية أمثل ، كل ذلك فى إطار من الأخوة التى تحرص على مال الغير وتصونه ، وترعى حق الأخ ولا تخونه .. وعلاوة على ذلك فإن فى التنمية والاستثمارات على أرضنا العربية ، تحقيقا للتكافل المطلوب من الأخ نحو أخيه أولاً ، وأخذاً بلون إيجابى من ألوان التكامل المحقق للوحدة ثانياً .. إن هذا التكامل يسد بالفائض لدى البعض ، ما قد يكون من نقص عند البعض الآخر ، وكلنا عندنا فائض فى مجال ونقص فى مجال آخر . وبأسلوب التكامل نسد احتياجاتنا ، ونستغنى ـ أو نكاد ـ عن غيرنا ، ولا تخضع إرادتنا لمن يتخذوننا أسواقاً ويتعاملون معنا من منطلق أننا محتاجون مستهلكون ، وليس من منطلق أننا أنداد مستغنون متساوون .

إن التنمية الصحيحة فى ظل الأمن المستقر ، هى سبيلنا إلى تحرير إرادتنا ، وأخذنا لمكانتنا وصوننا لكرامتنا ، حيث نتعامل مع الآخرين مرفوعى الرءوس ، مصونى الكرامة ، ونعيش حياة عزيزة شامخة ، هى حياة الجديرين بأن يعيشوا كبارا فى عصر الكبار ، وأن يدركوا دورهم على خريطة العالم الجديد ، المقبل على القرن الحادى والعشرين .

ثامناً : الحرص على الأخذ بكل أسباب القوة .. وأعنى بالقوة : القوة فى أوسع معانيها وأشمل دلالاتها ، القوة العلمية ، والقوة الثقافية ، والقوة الفكرية ، والقوة الاقتصادية ، والقوة العسكرية وذلك أن ديننا الحنيف يحثنا على هذه القوة بكل الإلحاح والحماسة . وما أروع قول ربنا فى أمر شامل كامل يجمع بين روعة الإيجاز وروعة الإعجاز : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ ، وواضح أن القوى تشمل كل مجالات القوة ، ولا تقف فقط عند قوة السلاح والعتاد ، فالعلم قوة ، والفكر قوة ، والاقتصاد قوة والخلق الكريم قوة ، والتدين الصحيح ـ قبل كل ذلك ـ قوة .. وجميع ما تقدم تحميه وتدافع عنه القوة العسكرية المقتدرة .. وقد أثبتت تجربة أزمة الخليج أن بلادنا العربية لاتزال محتاجة إلى أن تأخذ بأسباب القوة ، وخاصة القوة العسكرية ، ومن هنا كانت الضرورة التى لجأت إلى الاستعانة بالأصدقاء غير العرب . ونحن إذ نشكر لهؤلاء الأصدقاء نجدتهم وكريم عونهم ، نرجو أن نستطيع ـ فى المستقبل القريب ـ أن تكون لنا ـ كعرب ـ قوتنا الكافية المقتدرة ، التى تحمى أرضنا ، وتصون ترابنا ، وتدفع أى معتد ، تسول له نفسه الاعتداء علينا .. وهذا مطلب يفرضه الأمن العربى الضرورى للاستمرار دون نكسات ، ولتجنب تكرار ماحدث من عثرات ، نسأل الله أن تكون آخر ما يصيب أمتنا من ملمات .

ملحمة انتصارات جند مصر

الإخوة والأخوات :

لقد تجلى الله علينا بالنصر لسيرنا على مبادىء دينه وأخذنا بقيم قرآنه ، الذى نحتفل الليلة بذكرى بدء نزوله .. وإن كان هذا العطاء الكريم يفرض علينا أن نضاعف له الشكر ، ونجزل له الثناء والحمد .. وإن الشكر العملى يتمثل ـ فى رأيى ـ فى أن نعمل أكثر وأكثر ، لكى نحقق الانتصار الكامل فى معاركنا الداخلية ، كما حققناه فى معاركنا الخارجية ، ولكى ننال الفوز الأعظم بالجهاد الأكبر ـ بعد أن سعدنا بالفوز فى معركة الجهاد الأصغر ..

إن أمامنا على أرضنا معوقات ومشكلات ، هى من ألد أعدائنا ولابد من قهرها والانتصار عليها ،

وبنفس الروح التى تسلحنا بها فى معركة رمضان الخالدة على أرض سيناء ، ومعركة شعبان المظفرة على أرض الكويت .. إنها روح الإيمان الدافع إلى العمل ، والعمل الواصل إلى التجويد ، والتجويد المفضى إلى التفوق ، والتفوق المحقق للكفاية ، والكفاية المتطورة إلى الرخاء .

إن درس انتصار رمضان ـ منذ ثمانية عشر عاماً على أرض سيناء ـ ودرس انتصار شعبان ـ هذا العام على أرض الخليج ـ ليؤكدان أننا قادرون على حل كل المشكلات وإزالة كل المعوقات ، وتحقيق أعظم الانتصارات فى كل المجالات .

إن أبناء مصر حين يريدون ، وبالله يستعينون ، وبحبله يتمسكون ، يستطيعون أن يفعلوا ما يشبه المعجزات ، وأن يحققوا ما يبدو فى عداد المستحيلات .. إننا فقط نحتاج إلى الإيمان بربنا وأنفسنا ووطننا ، وأن نترجم هذا الإيمان إلى عمل دائب ، وجهد عارق ، وانتماء قوى ، وعزم فتى ، وأمل لا يعرف اليأس .

أمامنا أيها الإخوة ، معركة التنمية وتحقيق الاكتفاء فى الغذاء والكساء والإسكان ، وكل المتطلبات الضرورية لحياتنا ، حتى نستغنى بجهدنا ، ونحرر تماما إرادتنا ، ونحقق المستوى المعيشى الكريم لشعبنا .. وهذه المعركة التنموية تتطلب منا عملاً مضاعفاً ، فى ميادين الزراعة والصناعة والتشييد والتعمير، وهو عمل لا يقل عن عمل المحاربين الذين يحررون الأرض ويصونون العرض ، لأن هذا العمل فى ميادين التنمية المختلفة ، يحرر إرادتنا ، ويحطم أغلال الحاجة والتعاسة عن أبناء وطننا ، ويحقق لهم حياة كريمة يستشعرون فيها إنسانيتهم ، ويعتزون بمصريتهم ، ويسعدون بانتمائهم إلى وطنهم .

ومن هنا أرى أن من ألد أعدائنا التكاسل والتراخى ، والتواكل والإهمال ، وضعف الانتماء ، وإهدار الوقت ، لأن نتيجة كل هذا هى قلة الإنتاج وعجزه عن الوفاء بما تتطلبه حياتنا أو تخلفه عن أن يكون فى المستوى اللائق بنا ، وعدم قدرته على أن يفتح الأسواق الخارجية أمامنا ، أو أن ينافس إنتاج من يسابقوننا ويعملون على التفوق علينا وكل هذا مضعف للاقتصاد ، ومثقل لكاهل الشعب بمزيد من الديون ، أو بمزيد من المعاناة ، من أجل الحصول على ضرورات الحياة .

معركتنا .. إصلاح الاقتصاد

وأمامنا أيها الإخوة معركة إصلاح الاقتصاد المصرى وتحريره ، لكى ينطلق مزدهراً وينمو متعاظماً ، من أجل أن يعين الدولة على تحقيق مسئوليتها نحو المواطنين ، فى خدماتهم ورعايتهم ، غذاء وكساء ، وتعليما وعلاجاً . وإسكانا واتصالا وأمنا وأمانا .. وهذا الإصلاح الاقتصادى ، لن يتم بالقروض التى كانت ضرورة فى بعض المراحل ، وإنما يتم بمزيد من الإنتاج والتجويد ، وتجنب الإسراف والتبديد ، وبالحرص على المال العام ، وبأداء حق الدولة فى الضرائب وسائر الالتزامات التى تفرضها المواطنة الصحيحة على المواطنين الصادقين .. كل هذا بالإضافة إلى التسلح بأخلاق ديننا الحنيف ، فى الأمانة والتعفف وترك الاستغلال والاحتكار ، والإقلاع عن التلاعب بأقوات الناس ، أو الطمع فى أموالهم والثراء على حساب امتصاص دمائهم .

وأمامنا بعد هذا ـ بل قبل كل هذا ـ مشكلة الانفجار السكانى الذى يعطل كل تنمية ، ويضعف كل اقتصاد ، ويبدد كل إنتاج ، ويلتهم كل جهد .. ولا سبيل إلى نجاح التنمية وإصلاح الاقتصاد والانتفاع بالإنتاج وكل ما يبذل من جهد ، إلا بإيقاف هذا الانفجار المدمر ، والأخذ ـ فى جدية وحزم ـ بأسلوب تنظيم الأسرة ، حتى لا نزيد المجتمع كل عام بمليون وثلث المليون من الوافدين الجدد الذين يرهقون آباءهم مادياً وصحياً ، ويزيدون بلدهم عجزاً عن رعايتهم وتقديم الخدمات المطلوبة لهم ولغيرهم وإن مما

يشرف ديننا الحنيف ، أنه قد أباح هذا التنظيم الأسرى ، بل دعا إليه وحث عليه ، ما دام ذلك من أجل دفع مفسدة محققة ، فقد نهانا ربنا سبحانه ، أن نلقى بأيدينا إلى التهلكة ، ولاشك أن فى هذا الانفجار السكانى تهلكة مدمرة ، كما استعاذ رسولنا ـ صلوات الله عليه ـ من « جهد البلاء » ، وفسره بأنه « كثرة العيال مع قلة المال » كذلك حض الرسول الكريم المسلمين على أن يكونوا أقوياء غير محتاجين ، فبين:« أن المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف » وقال:« لأن تدع أبناءك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس » .. وحين دعا الرسول اتباعه إلى الزواج والتناسل لكى يتكاثروا ولكى يفاخر بهم الأمم يوم القيامة ، لم يكن يعنى أن تبلغ الكثرة منهم حد الانفجار المدمر ، أو المسبب للضعف والفقر والتخلف ، فمن غير المعقول أن يفاخر الرسول بأتباع ضعفاء عاجزين ، أو أذلاء محتاجين ، فقد دعا الرسول دائماً إلى القوة والعزة وحث على الكرامة والقدرة ، حتى يكون اتباعه فعلاً:﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وأمامنا كذلك أيها الإخوة مشكلة التطرف ، التى تشق الوحدة الوطنية ، وتفرق بين أبناء الأمة ، وتثير القلق أحياناً ، وتنشر الفزع فى بعض الأحايين . وهى فى كل الحالات تحول دون الاستقرار ، وتفسد مناخ التنمية ، وتلحق أشد الأضرار بالاقتصاد ، فضلاً عما تسببه من إراقة دماء زكية ، وإزهاق أرواح بريئة ، وإيقاع الأذى بأبرياء آمنين مسالمين . كل ما قد يكون منهم ، فى رأى المتطرفين ، أنهم مخالفون فى الرأى ، أو مغايرون فى العقيدة ، أو أنهم سائرون فى حياتهم على أسلوب غير الأسلوب الذى يسير عليه المتطرفون .. ومن مفاخر ديننا السمح أنه يسمح بالمخالفة فى الرأى ، بل يسمح بحرية العقيدة ، ويرسم الطريق لمن يريد عرض رأيه على غيره ، أو من يريد ترشيد مسلك آخر سواه . فبين أن الطريق هو طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، حيث أنه:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ وحيث أنه:﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ وحيث أن:« الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » وحيث أن الأمر الإلهى الصريح يقول : ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . . أما مسألة تغيير المنكر ، فمحتاجة إلى فهم أدق ووعى أصح ، وحسبنا أن الحديث الشريف قرر ابتداءً مراحل ودرجات لتغيير هذا المنكر ، وبين أنه ليس كل إنسان يستطيع أن يغير المنكر بيده ، وهذا من فهم الرسول المعجز وقوله الفصل ، الذى لا ينطق عن الهوى ، حيث أنه لو أبيح لكل إنسان حق التغيير باليد ، لأصبح المجتمع غابة ، يعتدى فيها من يشاء على من يشاء .. إن التغيير باليد مباح لمن له حق التغيير باليد كولى الأمر والوالد والمدرس ونحوهم .. وكذلك التغيير باللسان ، فهو مباح لمن له القدرة بعلمه وخبرته ومكانته ، وإلا تحول الأمر إلى مجادلات ومهاترات ومشاحنات ، وهكذا نرى أن ما يلجأ إليه بعض المتطرفين من محاولة حمل الآخرين على رأيهم بالقوة ، لا سند له من تعاليم الدين ولا من تقاليد الإسلام ، وإنما الأمر لا يعدو أن يكون فهماً ناقصاً لهذا الدين أو أخذاً ببعض الآراء المتشددة الغريبة ، التى ولدت فى بيئات غير بيئاتنا العربية الإسلامية المستنيرة الرشيدة .. إن الإسلام لا يعرف التعصب ولا التطرف ولا العنف ، ولا يقر البغضاء ولا الشحناء ولا العدوان وإنما يدعو إلى التعاطف والتراحم والحب ، ويأخذ الأمور باللين والرفق ، وبروح السماحة والأخوة .. وهذا يحتاج منا جميعاً ـ علماء ومفكرين ، ومثقفين وإعلاميين ، وآباء ومربين ـ يحتاج منا جميعاً ، إلى إشاعة هذه الروح السمحة ، وترسيخ قيم الإسلام الرحيمة ، والقضاء على روح التطرف الغريبة على ديننا ، والمفسدة لمجتمعنا ، والمفرقة لوحدتنا .

المخدرات تهدد مستقبلنا

وأمامنا أيها الإخوة ـ بعد كل ما تقدم ـ مشكلة المخدرات ، التى تخرب العقول وتدمر الشباب ◀

وتدفع إلى الإجرام ، كما تبدد الأموال ، وتهدد مستقبل القادم من الأجيال .. ولابد لنا من القضاء على هذا العدو الرهيب ، لكى نرد إلى كل أبناء شعبنا يقظة العقل ، وصحوة الضمير ، وعافية النفس ، وصحة البدن ، ولكى نصون الأموال ونحمى قادم الأجيال ، ونحول بين أبنائنا وبين الضعف والانحراف والانحلال .. ومن عظمة ديننا الرشيد ، أنه حرَّم بكل الحسم هذه المخدرات وجاء تحريمها بالنص والقياس معاً ، أما النص فحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى نهى فيه عن كل مسكر ومفتر ، وأما القياس ، فهو اشتراك هذه المخدرات مع الخمر فى إذهاب العقل ، وزيادتها عليها إضراراً بالصحة وتدميراً للإنسان .. ولذا علينا أن نضاعف الجهد فى محاربة هذا العدو الرهيب ، الذى ابتلينا به فى السنوات الأخيرة ، والذى يمثل تآمراً إجرامياً على أبنائنا ومجتمعنا ومستقبل بلدنا .. وهذه ليست مسئولية الأمن ورجال المكافحة فحسب ، وإنما هى مسئولية الجميع ، البيت والمدرسة والنادى ، وكل مسئول فى أى تجمع كبير أو صغير ، فلا سبيل إلى القضاء على هذا البلاء إلا بتعاون الجميع ويقظة الجميع وجهود الجميع .

أيها الإخوة والأخوات

إن عدم الوصول بالتنمية إلى المستوى الذى نريد ، وإن عدم ازدهار الاقتصاد على الوجه الذى نرجو ، وإن مشكلة الانفجار السكانى المعوق ، والتطرف الدينى المخرب ، وإن مشكلة الإدمان المدمر ، إن هذه جميعاً هى تحدياتنا التى يجب أن نخوض من أجلها جهادنا الأكبر ، وإنى على ثقة من أننا قادرون ـ بعون الله ـ على الانتصار فى حلبة هذا الجهاد ، كما انتصرنا من قبل فى معركتنا المظفرة على أرض سيناء ، وكما انتصرنا أخيراً فى حربنا التحريرية الإنسانية على أرض الخليج العربى .

إننا لن نيأس ولن نضعف ، وسوف تستمر معاركنا لإنجاح التنمية ، وإصلاح الاقتصاد ، وإيقاف الانفجار السكانى ، وترشيد التطرف الدينى ، ومحاربة عدونا الوافد الرهيب ، الذى ينفث الدمار مع الدخان الأزرق ، وينشر الموت الأسود مع المساحيق البيضاء .. أجل ، لن نيأس ولن نضعف ، لأن تاريخ هذا الشعب وانتصارات هذا الشعب على كل ما اعترض مسيرته فى ماضيه وحاضره ، تؤكد أنه شعب قادر على اجتياز الصعوبات مهما بلغت ، وقهر المشكلات مهما تعقدت ، وأنه شعب أصيل مؤمن ، وكل عثراته أمور عارضة ، وهو بأصالته وإيمانه ، لابد أن يصحح كل خطأ ويتجاوز كل أزمة ، وذلك بالكفاح والعمل والصدق والأمل ، وبالتمسك بقيم الإسلام وتعاليم القرآن .

فليكن احتفالنا الليلة بداية مرحلة جديدة ، نزداد فيها تشبثاً بكتابنا العزيز ، ونسير على هديه المضىء ، ونمضى وفق قيمه العالية وتعاليمه السامية ، حتى يتم انتصارنا فى معركة التنمية والإصلاح ، كما تم ـ بعون الله ـ انتصارنا فى معارك التحرير والسلام .

وأكرر التهنئة لأمتنا العربية والإسلامية جمعاء ، مؤملاً أن يتحقق ما بسطته لها من رجاء .

كما أكرر التهنئة لأسرتنا المصرية وكل أبنائها الأعزاء فى كل الأرجاء ، راجياً أن نخوض معاً ـ بكل الحماسة والفدائية معركتنا الداخلية ، كما خضنا بكل النبل والشرف معركتنا الخارجية .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مع الإمام الأكبر

عيد الفطر وثمرات الصوم

تهنئة بعيد الفطر المبارك

بيان ونداء من الأزهر الشريف

عيد الفطر

وثمرات الصوم

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[1] فقد اعان على صوم شهر رمضان وكشف من قبله الغمة فتوقف لهيب الفتنة .

اليوم عيد الفطر ، يوم : الخروج من زمن إلى زمن لا يستمر اكثر من يوم .

يوم : فرضه الدين على الناس للسلام والبشر والوفاء .

يقول الإنسان للإنسان عند اللقاء : « كل عام وانتم بخير » هو يوم الثياب الجديدة او المجددة يظهر بها الوجه الإنسانى بطابع جديد فهو يوم الزينة التى لا يراد منها إلا إبراز التغيير الشامل للنفس ، فتتخلى عن نوازعها حتى يصبح الناس كل الناس فى يوم مودة وتفاهم وحب .

يوم : يصطلح فيه المتخاصمون ، ويتقارب المتباعدون .

يوم العيد : تحلو فيه كلمات كل فم ، وتشيع ألفاظ الدعاء والتهانى مرتفعة متدفقة ـ بقوة من الله وبتقواه لتعلو فوق منازعات هذه الحياة .

فى هذا اليوم ينظر كل إنسان إلى ذاته نظرة تعلوها السعادة بعد تأدية العبادة وينظر إلى أهله نظرة الإعزاز وإلى ما حوله نظرة تدرك جمال صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وإلى الناس جميعا نظرة تستظهر المودة والصداقة فتؤوب كل نفس راضية زاهية مبتهجة بالعالم وبالحياة .

---

(١) فاطر ٣٤

إنه يوم الفكر السامى الذى يجعل السرور فكرا مثمرا ظاهرا فى العمل ، تعيش به النفوس هادئة مستريحة كأن ليس فى هذه الدنيا إلا كل شىء ميسور .

وما أحرانا ـ نحن المسلمين ـ فى يوم عيد الفطر إلى أن ندرك أهداف هذا العيد الذى فرضه علينا الدين ، وأن نرتفع إلى مستواه بفهم جديد نلقاه به ، فتسعد به أيامنا وتتجدد فيه نفوسنا بمعانيه الجليلة ، لا كما نلمحه الآن فى حياتنا.أكبر همنا فيه تجديد الثياب وتمديد الفراغ واتساع ابتسامات النفاق .

العيد : هو المعنى الذى يكون فى يومه ، وليس اليوم نفسه .

العيد فى الإسلام : عيد الفكرة المطمئنة العابدة وليست الفكرة العابثة المبعثرة للفضائل الناشرة للرذائل .

إن عبادة الفكرة التى يعنيها العيد فى الإسلام هى فى جمع الأمة فى إرادة واحدة وليس جمعها على مظهر المنفعة دون معناها .

العيد إثبات الأمة وجودها الروحى الإسلامى فى أجمل وأبهى المعانى وليس إبراز الوجود الحيوانى فى أكثر وأغلظ المظاهر .

العيد : يوم استرواح القوة من بعد الجِدِّ فى الطاعة وليس استراحة الضعف إنه يوم المبدأ الرفيع لا يوم المادة الوضيع .

فى العيد تشعر الأمة بأن فيها قوة تغيير الأيام وما بالنفوس من أوهام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٢) وليس شعورها بأن الأيام تتغير .

العيد : يوم تباهى فيه الأمة بجمال نظامها الاجتماعى ، وتناسق أحفالها وتساميها فيصبح يوم الشعور الواحد فى نفوس الجميع والكلمة الواحدة التى ينطق بها الجميع ، ومن هنا كانت زكاة الفطر طهرة للصائمين وعونا للضعفاء والمحرومين والمساكين ومواساة من الأغنياء لأولئك الذين تعسرت أرزاقهم وباتوا طاوين .

فى العيد : تتعلم الأمة كيف تشيع روح حسن الجوار ، وتمتد حتى يكون البلد وكأنه لأهل دار واحدة ، تمكن فيها الإخاء بالمعنى العملى ، واستعلنت فيه فضيلة الإخلاص ، حتى تهادى أهله عن مودة ومحبة ، وكأنما العيد بهذا قد أطلق روح الأسرة الواحدة فى الأمة كافة .

إن العيد فى الإسلام : صوت قوة يؤذن فى الناس : أن اخرجوا من الأتراح إلى الأفراح فاليوم يوم النصر على شرور النفس وآثامها .

(٢) الرعد ١١

عيـد الفـطـر وثمـرات الصــوم

سيكون العيد محوطا بالسرور مشبعا بالحبور لو أنه تميز بطابع الأمة الاجتماعى الشعبى وقيمها الذاتية الإسلامية ، ثيابها الجديدة من صنعها ، وكل ما تترفه به من إنتاجها عندئذ تكون معلنة فى عيدها استقلالها ، فى وجودها وفى جودة صناعاتها ، ووفرة إنتاجها ظاهرة بقوة إيمانها متناصرة بقوة طبيعتها وعدتها وعتادها واقتصادها وتماسك بنيانها ، مبتهجة فى دورها وأسواقها وحدائقها وكافة مباهجها .

للعيد فى التقاء الكبار بالصغار فرح بالحياة الناجحة المتقدمة ، فيه يتعلم الكبار من صغارهم براءة الفكر والتعبير من كل نفاق وخداع ، بل فى صفاء ونقاء العيد تعليم الأمة كيف تتجه بقوتها إلى معنى واحد ، فهذا الدين قد وضع العيد قاعدة تتخرج عليها أمثالها ، فتكون أيامها أعياداً ترفل فيها من نصر إلى نصر .

تلك بعض الأهداف التى فرض من أجلها العيد ميراثا أبديا فى الإسلام ما كانت الحياة .

وما أبهى العيد حين يلتقى الصغار والكبار والرجال والنساء فى صلاة العيد الذى افتتحوا يومه بالتكبير والتهليل والذكر والشكر لله ، الذى أتم عليهم النعمة واستمعوا إلى خطيبهم فى المسجد ؛ يذكرهم بتلك المعانى والأهداف ويبشرهم فى كل عيد بالجديد من الخطوط والتخطيط الذى يضبطون عليه إيقاعهم فى الحياة العملية وفى صلتهم بالله خالقهم وفى صلة الإنسان بالإنسان ؛ ألا ليت أئمتنا خطباء المساجد يرتفعون بما يقولون إلى حكمة التشريع يصوغونها للناس بلسما شافيا موجها .

اليوم عيد الفطر

به تكون أمة المسلمين قد ودعت شهر رمضان الذى تراءت ثمرات صومه وتوافرت ، الصوم تهذيب وتأديب وتدريب ..

فيه يكون الناس شعورا واحدا وحسا واحدا وطبيعة واحدة ، ويتحكم الصوم بقوة الإرادة وباستجابة لطاعة الله فتحول بين البطن وما تبتغى من مادة وسائر الشهوات ، وبهذا يضع الصوم الأمة المسلمة كلها فى حالة نفسية واحدة تلم بأنفس المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتتعلم منه هذه النفوس الرحمة والمساواة بين الغنى والفقير ، إذ هذه الرحمة تنشأ عن الألم ، وهذا بعض الحِكَم الاجتماعية للصوم حيث يبالغ الصائم أشد المبالغة ويحتاط كل الحيطة فى منع الغذاء وشبهه عن البطن ، جهد الطاقة ، وهذه طريقة عملية لتربية الرحمة فى الإنسان ومتى تحققت رحمة الغنى للجائع الفقير ، كان للكلمة الإنسانية الداخلية (الجوع) سلطانها النافذ فيبادر الغنى الجائع إلى الاستجابة لمواساة الفقير ودفع جوعه الذى أحس به بصومه ..

فى الصوم ثمرة الثمرات إذ به تتربى الإرادة وتقوى بهذا الأسلوب العملى ، حيث يتدرب الصائم على أن يكف نفسه باختياره عن شهواته وملذاته الحيوانية مصابرا نفسه ، مزاولا فى كل ذلك أفضل الطرق لاكتساب الفكرة الثابتة التى تترسخ ولا تتبدل ، وتلك منزلة اجتماعية سامية تقتل التردد فى الفكر وفى العمل .

والمسلمون حين يودعون شهر رمضان باستقبال عيد الفطر ينبغى أن يتساءلوا مع أنفسهم : هل حالكم يوم تودعونه خير من حالكم يوم استقبلتموه ؟

وهل تشعرون بأنكم قد أديتم هذا الركن من أركان الإسلام فأصبحت نفوسكم أطهر وأخلاقكم أكرم وأهواؤكم أرفع ؛ وهل به أصبحتم أشد قربا من الله وتحققت لديكم قوة المراقبة لله (الوازع الدينى) الحارس الأمين وهل توثقت صلتكم بالناس وملأت الرحمة قلوبكم وارتديتم الصبر عند الجزع والفزع وطبتم نفسا بالحياة ؟

لعلنا ـ نحن المسلمين ـ الصائمين الصابرين نجيب بالإيجاب .

وهذا ما يدعونا أن نستثمر هذا الذى اعتدناه من خصال الخير فى كافة شهور العام ونجعلها كشهر رمضان فنستمر فى الصوم عن ظاهر الإثم وباطنه ، ونغل أيدينا عن الأذى ونكف ألسنتنا عن الكذب وقول الزور والغيبة والنميمة والقول فى الدين بغير علم ، والجرأة على الفتوى فيما لا نحسنه ، ونطهر قلوبنا من الحقد والحسد والغل وننزه مكاسبنا عن الحرام ، ونبرأ إلى الله من الغش فى الصناعة والتجارة والنصيحة وسائر الأعمال .

لعل صوم رمضان يثمر فينا أن نقتصد فى الإنفاق خارج بيوتنا لنوسع على أنفسنا وأهلينا بقضاء حوائجهم ونقتصد كذلك فى الأنس بالمقاهى والنوادى لنوفر كثيرا من الأنس بالأسرة لنصلح من شأنها ونهدىء من روعها ونتابع أولادنا .

وإذا كان السِّكِّير قد هجر خمره طوال رمضان صائما طائعا ، فزكا بهذا قلبه وصح بدنه وتوافرت أمواله فلماذا وهذه ثمرة طيبة للصوم لا يواصل العيش على هذا المنهج بعد رمضان ـ لا سيما ـ وقد تربَّت إرادته ، وقويت عزيمته حتى انهزم أمامها إدمانه ، وأفاق مما انغمس فيه من إثم وحرمات وإتلاف وهذا المدخِّن الذى استمسك ضد التدخين طوال نهار أيام رمضان فاستراح صدره وسكنت أعصابه وقويت شهوته للطعام واستفاد جسده لماذا لا يستثمر هذه الإرادة وتلك العزيمة عزيمة الصوم فيلغى عادة التدخين واستهلاك الأموال بالإحراق بالنار ونفخها فى الهواء .

وهذا القوى الذى تعلم الحلم والصبر من الصوم فكان يمر باللغو مر الكرام فيقابل الإساءة بالإحسان والقطيعة بالتواصل ، فاستقر السلام والأمن فى قلبه وسعدت نفسه بالوئام مع الناس لماذا لا يحرص على هذا الخلق الذى استفاده واعتاده ثلاثين يوما وليلة فيسعد نفسه ويسعد به الناس ويكون قدوة حسنة فى العالم .

عيـد الفطـر وثمـرات الصـوم

وهذا التاجر الذى راض نفسه بالصوم فوقف عند حدود الله فى تجارته فأوفى الكيل والميزان ولم يقارف الاحتكار ولم يغش بضائعه ، ولم يغل الأسعار ورضى الله عنه بذلك الصنيع الطائع لله ورسوله ـ ﷺ ـ ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾[٣] (من غشنا فليس منا) (المحتكر خاطىء) افلا يستمر فيما أرضى به ربه ، وأن يلزم نفسه ذلك فى كل أوقاته وتصرفاته بعد أن ذاق طعم الحلال وأدرك حلاوة ومذاق الحق .

ـ ونحن المسلمين ـ نستقبل اليوم عيد الفطر ونودع شهر رمضان ينبغى أن نستديم خيره عبادة وسلوكا وأخلاقا وبرا وعدلا وإحسانا .

إنه شهر رياضة نفسية وجسدية وموسم استشفاء فلنروض أنفسنا على استمرار الثمرات التى اكتسبناها من صوم شهر رمضان ولنعتبر بذلك المريض الذى يهرع إلى الطبيب يستنصحه الداء والدواء ، فإذا ما فرض عليه طبيبه نظاما معينا للطعام والشراب والنوم والرياضة ، التزمه طلبا لشفائه فكيف وقد وصف الله خالقنا دواء لأدوائنا النفسية والجسدية صوم شهر رمضان كيف لا نلتزم هذا الدواء وثمراته .

إن الفرح بالعيد إذا امتزج بثمرات الصوم كانت المباهج وتضاءلت المثالب وكان شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن قد انصرم وبقيت ثماره زاداً من التقوى للقلب وللروح وقوة الجسد وشفاء لما فى الصدور وعدة من الصبر والجهاد والجلاد والعمل المنتج المثمر زادا وعتادا لهذا الأمة .

وباسم الأزهر الشريف بكافة هيئاته وطلابه وعلمائه وباسمى أهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء وشعوب الأمة الإسلامية وأدعو الله أن يكشف عن هذه الأمة ما حاق بها وألا يؤاخذها بما فعل السفهاء من أبنائها وأن يربط على قلوب قادتها وأن يأخذ بنواصيهم إلى عمل الخير وخير العمل وأن يبصرهم بصوالح الأمة ويهديهم إلى الالتزام بكتابه القرآن وبسنة رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ القائل : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى) .

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

---

(٣) الشعراء ١٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

تهنئة فضيلة الإمام الأكبر بعيد الفطر المبارك

إلى أبنائه وإخوانه رجال القوات المسلحة المصرية بالكويت

في هذه المناسبة الكريمة ـ عيد الفطر المبارك ـ أبعث إليكم فرداً فرداً باسم الأزهر الشريف : طلابه وعلمائه ، وجميع هيئاته ، وباسمي : أخلص التهاني ، وأدعو الله ـ سبحانه ـ أن يرعاكم ويؤيدكم بنصره إذ أنتم مرابطون في سبيل الله ردعاً للظالم ودفعا للظلم ونصرة للمظلومين ، وقد رد الله بكم الحق إلى أصحابه .

وأوصيكم ـ حتى تنالوا ثواب المجاهدين ـ بطاعة الله ـ سبحانه ـ فيما أمر به من عبادات ومعاملات وحسن الأخلاق ، وأن تجتنبوا المحرمات .

« إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»

جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهـر

بيان ونداء من الأزهر الشريف

فى شأن الفارين من العراق إلى إيران وتركيا

لقد حث الإسلام على التكافل بين المسلمين ، وطلب منهم أن يتضامنوا عند الكوارث ، وأن يتعاونوا فى البناء وفى إقامة حياة جماعية مستقرة يسودها العدل والإحسان .

ففى القرآن الكريم قول الله سبحانه فى سورة التوبة : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ وفى سورة المائدة قول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

ولقد شرح الله هذا البر فى سورة البقرة فى قوله تعالى :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ .

فالبر المطلوب من المسلمين هو عقيدة وعبادة وتحمل فى الشدائد ، ومنح وإعطاء للمحتاجين والمنكوبين والبائسين وإيمان بالله وباليوم الآخر والكتاب والنبيين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحسن المعاملة ، والوفاء بالوعود وبالعهود ، وبذل المال ـ على الرغبة فيه والحرص عليه ـ لمن استحق العون والمساعدة من أبناء الجماعة المسلمة .

فهو تكافل فى البناء والاستقرار وهو تكافل فى المحافظة على البقاء ، وعلى هذا فإن رسالة المسلمين فى الحياة رسالة الاستقرار والبناء ، وتعاون فى سبيل تحقيق هذه الرسالة ، وليست رسالة هدم ولا كسل ولا بطالة ولا ضعف ولا استكانة أمام أحداث الحياة .

وهاهى الأمة الإسلامية تواجه طرد فئة من المسلمين من ديارهم واضطهادهم ، وتشريدهم وإهلاكهم بأسلحة الدمار .

وها هم الفارون من ظلم واضطهاد حكام العراق يهيمون على وجوههم فى الجبال والصحراء حفاة عراة جياعا ، هاهم الأطفال والنساء والمرضى والعجزة والشيوخ تراهم هاربين مطاردين دون مأوى ولا طعام ولاكساء ولاغطاء ، فأين شعوب الأمة الإسلامية وحكوماتها من هؤلاء ، وأين الإحسان والعطاء والبر... الإحسان الذى أمر الله به فى كتابه ونبه الرسول صلى الله عليه وسلم إليه فى سنته .

إن الأزهر الشريف ينادى الشعوب الإسلامية وحكوماتها أن أغيثوا هؤلاء المعذبين المطرودين ، بالطعام والكساء والدواء والغطاء ، وأعينوا هؤلاء الذين أَوَوْا ونصروا ، وفتحوا لهم الحدود والسدود ، ولا تأخذوا هؤلاء بجريرة حكام العراق الذين فَجَّرُوا هذا الخراب الذى أنزلوه بالأمة ، وهذا الزلزال الذى هز كيانها فى كل مكان ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

أيها المسلمون فى كل مكان:كونوا أرحم بإخوانكم العراقيين المطرودين ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ ولاتتركوا الفضل والبر ينفرد به غيركم .

إن الأزهر الشريف ينادى كافة جهات الإغاثة فى العالم الإسلامى أن تسارع إلى تحمل مسئوليتها تجاه هؤلاء المشردين بحكم الأخوة الإنسانية والإسلامية ، وأن تنظم وتعلن عن قبول التبرعات المالية والعينية ، فإن فى هذه الأمة حياة ونخوة وحبا للخير وحرصا على أوامر الإسلام وأخلاقياته ، فيسروا للشعوب الإسلامية بأجهزتكم أداء واجبها نحو النازحين العراقيين إلى تركيا وإيران وغيرهما من بلدان العالم﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ بل أَقْبِلوا على الخير ﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾

٢٤ من رمضان سنة ١٤١١ هـ
٩ من ابريل سنة ١٩٩١ م

شيخ الأزهر
ورئيس المجلس الإسلامى العالمى
للدعوة والإغاثة
(جاد الحق على جاد الحق)

الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم

أ. د. محمود محمد رسلان

هاتان الآيتان المباركتان من سورة العلق ، التى افتتحها الله جل جلاله بقوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ وهما الآيتان الرابعة والخامسة .

اى اقرا يامحمد ما انزل إليك من القرآن مفتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسمية فى ابتداء كل سورة .. فالمقروء محذوف تقديره : اقرا القرآن وافْتَتِحْهُ باسم الله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ النحل : ٩٨ .

والحكمة من تخصيص الإنسان بالقراءة والعلم بالقلم : التشريف له والتكريم ، والعلم بالقلم هو الخط والكتابة ، أى علّم الإنسان الخط بالقلم .

روى سعيد عن قتادة قال :

القلم نعمة من الله تعالى عظيمة ، ولولا ذلك لم يقم دين ، ولم يصلح عيش فدل ذلك على كمال كرمه سبحانه بأنه علّم عباده مالم يعلموا . وهذه منة عظيمة يضاف إليها أيضا قوله سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾(البقرة : ٣١) .

ففى العلم تخلص من ظلمة الجهل ، وفضل الكتابة عظيم ، فلولاها لما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كُتب الله المنزلة إلا بالكتابة ، ولولا هى ما استقامت أمور الدين والدنيا ، ولا ارتقى الفكر الإنسانى .

اما تسمية الأداة المستخدمة للكتابة : قلما ؛ فلأنه يقلم أى يقطع[1] ، وفى وصف القلم قال بعضهم :

فكانه والحبر يخضب رأسه
شيخ لوصل خريدة يتصنع
الا الاحظه بعين جلالة
وبه إلى الله الصحائف ترفع[2]

كان أول ما نزل من القرآن هو هذه الآيات الكريمات الشريفات وهن : أول رحمة رحم الله بها العباد .

وأول نعمة أنعم الله بها عليهم .

وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة ، ومن تكريم الله للإنسان أن علمه ما لم يعلم ..

﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ

(١) قلم يقلم باب : ضرب .

(٢) راجع تفسير القرطبى : سورة العلق .

وَالْأَفْئِدَةَ . . ﴾[٣] . فشرفه ، وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم عليه السلام على الملائكة .

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ .

يفهم منه مايلى : (أ) إما أن يكون المراد من العلم بالقلم هنا : الكتابة التى تعرف بها الأمور الغائبة ، فيكون القلم كناية عنها .

(ب) وإما أن يكون المراد علم الإنسان الكتابة بالقلم وكلاهما متقارب .

والمراد التنبيه على فضيلة الكتابة .

يروى أن سليمان عليه السلام سأل عن الكلام فقيل : ريح لايبقى ، قال : فما قيده ؟ قيل : الكتابة[٤] .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

وفى الأثر : « قيدوا العلم بالكتابة »[٥] .

وصح عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه ـ فهو عنده فوق العرش :

« إن رحمتى تغلب غضبى » .

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :

« أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب فكتب مايكون إلى يوم القيامة فهو عنده فى الذكر فوق عرشه »[٦] .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ اى أن الله عز وجل أودع فى نفس آدم علم جميع الأشياء من غير تجديد ، ولا تعيين ، فالمراد بالأسماء المسميات ، عبر عن المدلول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له ، وسرعة الانتقال من أحدهما إلى الآخر .

والعلم الحقيقى : إنما هو إدراك المعلومات أنفسها ، أما الألفاظ الدالة عليها فإنها تختلف باختلاف اللغات التى تجرى بالمواضعة والاصطلاح ، فهى تتغير وتختلف والمعنى لا تغيير فيه ولا اختلاف[٧] .

ومن فضل الله على الإنسان أن هيأه قابلا لتعلم البيان كما فى قوله عز شأنه :

﴿ الرَّحْمَٰنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[٨] .

﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ اى علم نبيه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى اداه إلى جميع الناس .

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴾ .

قال ابن عباس ، وقتادة والحسن يعنى آدم عليه السلام .

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ أسماء كل شىء ، وقيل : علمه اللغات كلها .

وقال السدى : علم كل قوم لسانهم الذى يتكلمون به ، ونظيره : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

قال الضحاك عن ابن عباس : هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ودواب وسماء وأرض ، وسهل ، وبحر ، وخيل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها من الصحفة والقدر ، .... وكل شىء[٩] .

وتعليم الله هنا : إلهام علمه ضرورة .

قال ابن عطاء : لو لم يكشف لآدم علم تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة فى الإخبار عنها ﴿

(٣) سورة النحل اية ٧٨ .

(٤) راجع التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى جـ ٣٢ ط الثالثة . دار إحياء التراث العربى بيروت .

(٥) سنن الدارمى .. المقدمة باب (من رخص فى كتابة العلم) الحديث ٥٠٣ .

(٦) تفسير القرطبى سورة العلق .

(٧) راجع تفسير المنار جـ١ ص ٢١٨ .

(٨) سورة الرحمن الآيات ١ ـ ٤ .

(٩) راجع تفسير ابن كثير جـ١ ص ٧٣ ص الحلبى .

﴿الــذى علــم بالقلــم﴾

وهذا واضح[١٠] . إذ لما سأل الملائكة رب العزة عن وجه الحكمة فى خلق آدم وذريته وإسكانه إياه فى الأرض ، وأخبر سبحانه وجه الحكمة على سبيل الإجمال بقوله عز شأنه : ﴿ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أراد رب العالمين أن يزيدهم بيانا ، ويفصل ما أجمل بيان فضل آدم عليه السلام مالم يكن معلوما لهم . وذلك بأن علّم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله . وقصورهم عنه فى العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالى فقال : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

قال الأشعرى والجبائى والكعبى : اللغات كلها توقيفية : بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ وتلك المعانى ، وبأن تلك الألفاظ موضوعة لتلك المعانى ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

ومن ثم يقتضى إضافة التعليم إلى الأسماء ، وذلك يقتضى فى تلك الأسماء أنها كانت قبل التعليم ، ومن هنا يفهم أن اللغات كانت حاصلة قبل ذلك التعليم .

وأيضا فإن آدم عليه السلام لما تحدى الملائكة بعلم الأسماء فلابد ، وأن تعلم الملائكة أنه صادق فى تعيين تلك الأسماء لتلك المسميات ، وإلا لم يحصل العلم بصدقه ، وذلك يقتضى أن يكون وضع تلك الأسماء لتلك المسميات متقدما على ذلك التعليم .

والذى ينبغى معرفته لدى البشر ـ بعدما تقدم ـ أن العلم فى الإسلام ليس ترفا ، ولا فخرا ، ولا هو من الكماليات ، بل هو من ألزم الضرورات فى الحياة ، فإن دعوة القرآن واضحة فى التأكيد على القراءة والتعلم بالقلم وهما من شعار الإسلام الحنيف ، ودعوته الخالدة .

وبعد :

فإذا كان أبو البشر ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ جعله الله ـ سبحانه ـ على هذه المرتبة العليا من العلم والحكمة ، فما هذا الذى يثيره المؤرخون نحو (الإنسان الأول) حيث هو أقرب إلى الوحش ، جاهل ، يتخبط فى عبادة الكائنات ... أدوات حياته ساذجة .. بسيطة تأويه الجبال والوحوش ... إلخ ؟

نقول : ينبغى ألا ننسى أن المؤرخين ينقلون حياة الإنسان فى فترة تاريخية توصل إليها التنقيب .. ولم يصلوا ـ بعد ـ إلى أول خلق الله للإنسان .. لم يصلوا إلى أبى البشر ـ عليه السلام . فإن التنقيب حتى يومنا هذا لم يتجاوز ـ بحال ـ نحو ستة آلاف سنة من قبل الميلاد .

وللأمم دورات تاريخية مقررة معروفة ، ليس إلى نكرانها سبيل ، فالأمة ـ من الأمم ـ ترتفع حضاريا إلى أوج الرفاهية والحضارة ثم تدور بها عجلة الزمن فإذا هى فى الحضيض .. لا علم .. ولا حضارة ويفقد أبناؤها كل شىء .. حتى الصلات الوثيقة بالآباء .. وما الإنسان الأول فى التاريخ إلا إنسانا فَقَدَ حضارته ، وانقطعت السبل التى تهديه سواء السبيل فعاش بعضه فترة ما بعد الطوفان هائما على وجهه يلوذ بالجبال والكهوف ترتعد فرائصه من الرعد والبرق .. وما يذكره بهذا الحادث العريق .. ثم كان البحث والتنقيب الذى وصل به العلماء إلى قريب من هذه الفترة .. وقالوا عنها فترة الإنسان الأول وليس عن ذلك تحدث المولى عز وجل حين يتحدث عن أبى البشر : آدم عليه الصلاة والسلام[١١] فحديث المولى ـ جل وعلا ـ عن أول إنسان خلقه .

---

(١٠) تفسير القرطبى ٢٣٨/١ ط الشعب .

(١١) راجع للدكتور على الخطيب ـ الصوم من البداية حتى الإسلام ـ المقدمة ، ط بيروت ١٤٠٠هـ .

قبس من أنوار النبوة

تناسي المنكرات بلاء عظيم

الشيخ على حامد عبد الرحيم

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إن أَوَّلَ مادَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيقُولُ : يَاهَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَمْنَعَنَّهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ الآيات ـ ٧٨ ـ ٨١ المائدة .

ثُمَّ قَالَ : « كَلَّا ، وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الحَقِ أَطْرًا ، وَلَتَقْصِرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْرًا أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ » رواه ابو داود ، والترمذى وقال حديث حسن ـ

١ ـ الأَطْر : العطف والرد ٢ ـ القصر : الحبس والمنع .

ولفظ الترمذى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان متكئا فقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا » .

قبـس مـن أنـوار النبـوة

جاء الإسلام ليضيء آفاق الحياة أمام الناس بهديه الوضاح ، وليمحو من دنياهم الضلال والظلام ، وبين لهم كيف يحيون كما يريد ربهم ويرضى وكيف يقيمون علاقاتهم فى شتى مجالات الحياة وفق عقيدتهم السليمة ومبادئهم السامية ، وحرم على المسلم الذى يخلص لله فى عقيدته ، وعبادته ، أن يقصر فى دوره الاجتماعى ، ويعيش فى فردية وأثرة وأنانية ، ولا يشارك فى تحقيق الطمأنينة والعدالة فى المجتمع ولا يسهم فى إشاعة الخير ، ونشر الرحمة والهداية بين الناس ولا يشعر بالمسئولية المشتركة بينه وبين أفراد المجتمع الإسلامى بمقتضى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ - التوبة - ٧١ -

والمؤمنون متكافلون فى هذه الدعوة ، وكل واحد عليه أن يدعو ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكما يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة امتثالا لأمر الله ، فإنهم مأمورون بالنهوض بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهم أولياء بعض ، إنهم كالأسرة الواحدة ، إذا فسد فرد فيها أساء إليها كلها ، وتقويم هذا الفاسد إصلاح للأسرة جميعها .

ولقد زكى القرآن الكريم الأمة الإسلامية بشرط القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولم يزكها عصبية لمجرد انتسابها إلى الإسلام ، لينهض كل فرد بأداء واجبه فى هذا المجال ، حتى لا يستشرى الفساد ، وينتشر الظلم ، ويشيع الانحراف ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران « ١١٠ » ولقد خشى الصديق أن يتأول بعض المسلمين الآية الكريمة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَايَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ المائدة - ١٠٥ - فخطب رضى الله عنه فقال : أيها الناس : إنكم تقرأون هذه الآية وتؤلونها على خلاف تأويلها ، وإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما من قوم عملوا بالمعاصى ، وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم ، فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده » - أبو داود والنسائى -

وسأل أبو ثعلبة الخشنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تفسير هذه الآية فقال : فيما رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه « يا أبا ثعلبة ، مر بالمعروف وانه عن المنكر ، فإذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام ، إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم ، للمستمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم .

قال أبو ثعلبة : بل منهم يارسول الله . قال : لا .. بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولايجدون عليه أعوانا » .

وإذا انتشرت المنكرات وشاع الفساد عم العقاب فلا يقتصر على المخالفين الذين كانوا سببا فى وقوع البلاء ، بل يعم الصالح والطالح والمحسن والمسىء ، ولذا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم . - فيما رواه الإمام أحمد - « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا

المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه ، فإذا فعلوا عذب الله الخاصة والعامة » .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ ـ الأنفال ٢٥ ـ

وعندما تشيع المنكرات ويستفحل خطر المعاصى ، دون أن تجد من يقاومها ويدعو إلى المعروف ، ينزل بنا العقاب وتتسلط البلايا والشدائد ، عندئذ نفقد استجابة الدعاء ، فإذا سألنا الله ـ عز وجل ـ المعونة مُنعناها ، وإذا رجونا نصره لايرانا أهلا لفضله .

قال تعالى فى الحديث القدسى ـ فيما رواه ابن حبان فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم : ياأيها الناس « إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا اجيب لكم ، وتسـألـونى فـلا أعطيكم ، وتستنصرونى فلا أنصركم » .

فعلى المسلم أن يقدر تلك المسئولية الجماعية ، ولا يقصر فيها ولا يمنعه خشية أحد من أدائها ، فعن أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لايحقرن أحدكم نفسه قالوا : يارسول الله ، كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله ـ عز وجل ـ له يوم القيامة ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ، فيقول خشية الناس ، فيقول الله تعالى : « إياى كنت أحق أن تخشى » ـ أخرجه ابن ماجة ـ

ولنعلم أن ما حل ببنى إسرائيل من اللعنة والطرد ، يمكن أن يحل بمن صنع مثل صنيعهم ، واستحل المنكر ، وسكت الناس عن التصدى له وكبح جماحه ، فهل نستفيد مما وقع لأمتنا من أحداث ، وما أصاب مجتمعنا من نكبات بسبب تقصيرنا فى واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟

وتغيير المنكر له مراتب بعد التحقق من كونه منكرا .

أولها : تغيير باليد وهى وظيفة من له الولاية من حاكم فى رعيته ورب أسرة مع أهله وولده ، وكذلك المربون والرؤساء الذين ملكهم القانون شيئا من صور التغيير العملى .

ثانيها : تغيير بالقول واللسان لمن يقدر عليه ويكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثالثها : تغيير بالإنكار بالقلب والبعد عن صاحب المنكر وذلك أضعف الإيمان .

وحتى لا نكون كبنى إسرائيل الذى لعنهم الله فى محكم كتابه وعلى السنة رسله ..

فضيلة الأستاذ الدكتور حامد جامع وكيلا للأزهر الشريف

صدر قرار السيد رئيس الجمهورية رقم ١١٧ لسنة ١٩٩١ بتاريخ ٢٢ من شعبان ١٤١١ هـ الموافق ٩١/٣/٩ بتعيين فضيلة الأستاذ الدكتور حامد عبد الحميد عبد الله جامع وكيلا للأزهر الشريف .

كما أسند إليه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مهمة القيام بأعمال الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية .

ومجلة الأزهر تهنىء فضيلته راجية له تمام التوفيق .

وسائل الاجتهاد في الفقه الإسلامي

أ. د. محمد الدسوقي
قسم الفقه والأصول كلية الشريعة
جامعة قطر

يعد (علم أصول الفقه) المنهج أو الأساس الذى يقوم عليه صرح البحث الفقهى ، فهذا العلم هو الذى يضبط قواعد الاجتهاد ، أو يقدم الأصول والمبادىء العامة لاستنباط الأحكام .

والفقهاء المسلمون بهذا العلم سبقوا فقهاء القانون فى تأصيل القواعد التى يبنى عليها الفكر القانونى ، فلم يُعْن فقهاء القانون الوضعى هؤلاء بوضع أصول القانون إلا منذ نحو قرنين تقريباً على حين وضع فقهاء المسلمين أصول الأحكام أو (قواعد الاجتهاد) منذ نحو اثنى عشر قرنا ، وكان أول كتاب وصل إلينا فى هذا هو (كتاب الرسالة) للإمام الشافعى (ت : ٢٠٤ هـ) .

وبعد الشافعى كثرت الكتابات الأصولية ، وتنوعت مناهجها ، بيد أنها كلها كانت تتغيا هدفا واحداً ، وهو الكشف عن الأصول الأساسية لاستنباط الأحكام ، سواء كان ذلك عن طريق وضع القواعد مجردة عن الفروع غالبا ، أو استقراء الفروع ، واستخلاص القواعد منها .

ولا خلاف بين الفقهاء والأصوليين فى أن النص الشرعى قرآنا أو سنة هو المصدر الأول للأحكام ، وأن الاجتهاد هو المصدر الثانى لها ، لا باعتباره وسيلة مستقلة عن النص ، وإنما باعتباره أداة لفهم النص وتطبيقه ، واستلهام روح التشريع ومقاصده فى الوصول إلى حكم ما لم تتناوله النصوص بأسلوب صريح أو مباشر .

يشهد لهذا ماروى عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما بعثه إلى اليمن قال له : كيف تقضى إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله . قال : فإن لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . قال : فإن لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى ولا ألو . قال معاذ : فضرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

صدرى ، ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله[1] .

فهذا الحديث يدل على أن مصدر الأحكام الكتاب والسنة والاجتهاد بالرأى ، وهو اجتهاد كما أومأت ـ آنفا ـ يدور فى فلك النص ولا يخرج عليه بحال .

على أن الاجتهاد قد يكون فرديا ، وقد يكون جماعيا ، والأول هو كل اجتهاد لم يثبت اتفاق المجتهدين فيه على رأى فى المسألة ، على حين أن الثانى هو كل اجتهاد اتفق المجتهدون فيه على رأى فى المسألة[2] .

ولكل من نوعى الاجتهاد وسائله ، فالاجتهاد الفردى يعتمد على : (القياس) و (الاستحسان) و (المصلحة المرسلة) ، و (الاستصحاب) ، وسوى ذلك مما تناولته المؤلفات الأصولية قديما وحديثا بالتحرير والبيان .

وأما الاجتهاد الجماعى فوسيلته الإجماع الأصولى .

والذى تجدر الإشارة إليه أن أوسع مجالات الاجتهاد بنوعيه ما لم ينص على حكمه فى الكتاب والسنة ، وقد يدخل النص فى مجال الاجتهاد إذا كان ظنى الثبوت أو ظنى الدلالة ، فإذا كان ظنى الثبوت كان موضع بحث المجتهد فيه سنده ، ومدى صلاحيته لإثبات الحكم ، وإذا كان ظنى الدلالة كان البحث فى تفسيره أو تأويله ، وفى قوة دلالته على المعنى المقصود ، وفى سلامته من المعارضة ، أو معارضته بما يؤثر فيه ، أو فى خصوصه أوعمومه ، وما يدخل فيه من الجزئيات وما لا يدخل وهكذا[3] .

وقد تدخل بعض النصوص القطعية فى ثبوتها ودلالتها فى مجال الاجتهاد ، من حيث البحث عن مقاصد الشارع فى هذه النصوص ، وقد حصر الشاطبى فى الموافقات درجة الاجتهاد على من اتصف بوصفين :

أحدهما : فهم مقاصد الشريعة على كمالها .

والثانى : التمكن من الاستنباط بناء على فهمه[4] فيها .

وبين العلماء اختلاف فى وسائل الاجتهاد ، وما يعتد به منها وما لا يعتد ، وقد نجم عن ذلك اختلافهم فى كثير من الأحكام والآراء ، وهو اختلاف لا يقدح فى مكانة هؤلاء العلماء ، أو يسىء إليهم ؛ لأنه قام على أصول علمية ، ويشهد لهم بالحرص البالغ على أن يكون لكل منهم أجر المجتهد المصيب .

واختلاف العلماء فى وسائل الاجتهاد وما يمكن أن يؤخذ به منها وما لا يؤخذ جعلهم يقسمون مصادر الأحكام إلى : (متفق عليها) و (مختلف فيها) .

والمصادر المتفق عليها هى : النص الشرعى ، ويلى النص مصادر يقول العلماء : إن الجمهور يأخذ بها ، فهى من ثم محل اتفاق لا بين جميع العلماء ، وإنما بين أغلبهم ، أو جمهورهم ، وهذه المصادر هى : الإجماع والقياس . ولكنهم حين يتحدثون عن المصادر التى يأخذ بها الجمهور

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، وانظر أعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٢٠٢ تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٢) انظر ، أصول التشريع الإسلامى للأستاذ على حسب الله صـ ١٠٧ ، ١٠٨ ط دار المعارف .

(٣) المصدر السابق صـ ٧٩ .

(٤) الموافقات جـ ٤ صـ ١٠٥ ط التجارية .

وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى

يقولون : إنها الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وهو قول غير دقيق ، ومرد ذلك إلى أن النص الشرعى الذى لا ريب فى صحته هو المصدر الذى لا خلاف فيه ، أما الإجماع والقياس فمن الفقهاء من يرفض اعتبارهما من المصادر الفقهية ، وإن كان أغلب الفقهاء يأخذ بهما ، ولهذا أرى أنه كان ينبغى أن تقسم المصادر على النحو التالى :

أولا : المصادر المجمع عليها ، وهى النص الشرعى الذى لا ريب فى صحته .
ثانياً : المصادر المتفق عليها بين الجمهور ، وهى : الإجماع والقياس .
ثالثاً : المصادر المختلف فيها وهى مادون ذلك مثل الاستحسان والمصلحة المرسلة والعرف والاستصحاب .. إلخ .

ومن العلماء من يطلق على هذه المصادر المختلف فيها أو على بعضها اسم المصادر التبعية ، ويعنى بذلك أنه لا استقلال لها ، وإنما تؤول إلى مصادر أخرى ، أو إلى قواعد أو مقاصد شرعية ، ومنهم من يسمى هذه المصادر المختلف فيها باسم الأدلة ، وهى تسمية فيها تجاوز أو توسع ، فهى ليست بذاتها أدلة ، وإنما تراعى فى استنباط الأحكام ، تطبيقا لمقصد شرعى من مصلحة أو ضرورة أو أخذ برخصة ، ولهذا تُعد ـ فيما أرى ـ وسائل للاجتهاد ، وفق الضوابط الأصولية الخاصة بها ، وليست بأدلة أو مصادر . وينسحب هذا أيضا على المصادر المتفق عليها بين الجمهور ، فالقياس وسيلة عقلية أو منطقية لتطبيق النص ، والإجماع وسيلة جماعية فى الاستنباط لها مستند من نص أو ما يحمل عليه .

وقد رغبت فى تقديم دراسة عن تلك الوسائل المتفق عليها بين الجمهور ، والمختلف فيها ، لا تقوم على سرد الآراء ومناقشتها والترجيح بينها بقدر ما تتوخى إلقاء نظرة نقدية تحاول أن تقدم جديدا مفيدا إن شاء الله .

وأبدأ هذه الدراسة بالوسائل المختلف فيها ؛ لأنها من القضايا الأصولية التى كثر الجدل حولها ، ومن ثم تحتاج إلى مزيد من القول عنها ؛ لتحرير أسباب الاختلاف فيها ، ولعل هذا يعين على دراسة علم الأصول على نحو آخر ، ينأى بمن يدرسه عن المسائل النظرية والجدلية التى شغلت العلماء قديما وحديثا دون غناء يذكر من ورائها ، وتُحقق له فى الوقت نفسه فقها جامعا بمنهج البحث الفقهى ، حتى يمكن أن يعيش هذا البحث (الواقع) المعاصر بكل أبعاده ، وحتى لا يظل فكرا نظريا مثاليا لا يعرف طريقه إلى التطبيق العملى ، ولا يمت إلى ما يجرى فى دنيا الناس من مشكلات إلا بسبب ضعيف .

أولا : الاستحسان :

تدور مادة « ح س ن » فى اللغة العربية حول معانى الجمال والتزين والإجادة والإتقان ، وكل ما تهش له النفوس من مكارم الأخلاق والعادات والتصرفات ، قال الراغب الإصفهانى فى المفردات : الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه ، وذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، ومستحسن من جهة الهوى ، ومستحسن من جهة الحس .

والحسنة ، يعبر بها عن : كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان فى نفسه وبدنه ، وأحواله ، والسيئة تضادها .

ومعنى الاستحسان فى اصطلاح الأصوليين القائلين به ، يلتقى مع بعض المعانى اللغوية لمادة « حسن » ، وإذا كان بين هؤلاء اختلاف فى التعريف فهو اختلاف لفظى ؛ لأن كل ما صدر عنهم لا يخرج عن معنى أن الاستحسان ليس قولا بالهوى ، وإنما هو تطبيق لقاعدة شرعية كالأخذ بما هو أرفق للناس أو مراعاة ما فيه صلاح لهم ، أو رفع للحرج عنهم .

ومن تعاريف الاستحسان لدى الآخذين به انه : العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضى هذا العدول[٥] .

أو أنه العدول عن موجب قياس إلى قياس اقوى .

أو هو : تخصيص قياس بقياس أقوى منه[٦] .

تاريخ الاستحسان :

على أن مصطلح الاستحسان لم يعرف فى عصر الصحابة والتابعين من حيث الشكل وإن كان قد عرف من حيث المضمون ؛ لأن الاجتهاد بالرأى فى القرن الأول كان يشمل كل ما سوى الأخذ من النص سواء أكان قياسا أم مصلحة ، أم عرفا أم سدا للذرائع .

وفى القرن الثانى جرى هذا المصطلح على السنة الفقهاء ، وبخاصة لدى مدرسة الكوفة ، واشتهر الإمام أبو حنيفة بأنه كان يمضى الأمور على القياس فإذا قبح القياس أمضاها على الاستحسان ، وبأنه إذا اختلف مع أصحابه وقال : أستحسن لم يلحقه أحد[٧] ، كما أثر عن الإمام مالك أن الاستحسان تسعة أعشار العلم[٨] .

ولم يكن مصطلح الاستحسان فى القرن الثانى قد تبلور مفهومه ، وتحررت أقسامه وضوابطه ، ولهذا وقف الإمام الشافعى منه موقف المهاجم له والمحذر منه ؛ لأنه رأى فيه ظلالا من المعانى التى قد تفتح باب الأهواء ، وتجعل من يقول بالاستحسان مشرعا ، أو مستحسنا ما يراه بعقله ، وذلك أن هذا المصطلح ـ كما أومأت أنفا ـ عرفته الحياة الفقهية فى الكوفة أولا ، وكان فقهاء هذه المدينة يتوسعون فى الرأى ؛ لكثرة المشكلات لديهم ، وقلة الآثار بأيديهم ، فلما تناقل العلماء هذا المصطلح عن هؤلاء الفقهاء كان له وقع نفسى خاص بالنسبة للإمام الشافعى ، حمله على أن يهاجم القائلين بالاستحسان[٩] .

وكان من أثر حملة الشافعى على الاستحسان ومن اتبع سبيله من الظاهرية والشيعة أن القائلين به أو تلاميذهم حاولوا أن يدافعوا عن وجهة نظرهم ، وأن يثبتوا أنهم لا يشرعون ، ولا يخرجون فيما يجتهدون على النصوص ، أو القواعد الشرعية بحال من الأحوال .

وعرفت المؤلفات الأصولية جدلا حاميا حول هذا الموضوع ، وكان كل فريق يسعى للانتصار لما يذهب إليه ، ويسوق من الأدلة والبراهين ما يراها كافية لتوضيح موقفه ، وأنه على حق فيما يقول به ، وإن كانت أدلة الجميع ظنية الدلالة ،

---

(٥) انظر المدخل الفقهى العام للأستاذ مصطفى الزرقاء جـ ١ ص ٧٧ ط دمشق .

(٦) انظر أصول البزدوى جـ ٤ ص ٦ ط تركيا .

(٧) انظر أصول الفقه الاسلامى للشيخ محمد مصطفى شلبى ص ٢٥٨ ط بيروت .

(٨) انظر الرسالة للشافعى تحقيق الشيخ احمد شاكر ص ٥٠٣ .

(٩) انظر الأم للشافعى جـ ٣ ص ٢٣٢ .

وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى

وكثير منها لا علاقة له بالموضوع إلا من حيث الجذر اللغوى لمادة « حسن » ولكن التعسف فى التأويل كان يذهب بكل فريق وجهة خاصة فى تفسير النصوص ؛ طوعا لما يراه ، وما كان الأمر فى حاجة إلى هذا الصراع الفكرى الذى لا جدوى منه ، لو كان هناك ما يسمى بتحرير موضع النزاع ، وهذا يعنى أن الإمام الشافعى ومن سلك سبيله هاجموا مفهوما للاستحسان ليس هو المفهوم الذى أخذ به الحنفية والمالكية والحنابلة ، بل إن هذا الإمام الجليل أخذ ـ فيما يروى عنه ـ بمفهوم الاستحسان الذى أخذت به المذاهب الثلاثة ، فقد جاء : أنه استحسن ثبوت الشفعة للشفيع إلى ثلاثة أيام ، وقال : إنه استحسان منى وليس بأصل[10] كما أنه استحسن التحليف على المصحف ، وقال فى هذا : وقد رأيت بعض الحكام يُحَلِّف بالمصحف وذلك عندى حسن[11] .

ولأن الخلاف بين الفقهاء والأصوليين حول الاستحسان كان مرده إلى عدم تحرير موضع النزاع ، آثرت الا أخوض فى هذا الخلاف ، والا أعرض لأدلة القائلين بالاستحسان والمنكرين له ؛ لأنه لا التقاء بينهما ؛ لتفاوت المفهوم الذى يتحدث عنه كل منهما ؛ ولأن هذه الأدلة ـ كما أشرت سابقا ـ ظنية الدلالة ، وتفسر وفق ما استقر فى الذهن من مضمون ، ومن ثم رأيت أن اذكر بعض الصور الفقهية التى جاء القول فيها بالاستحسان ، وأعقب عليها بكلمة عن هذا المصطلح ، ومدى اعتباره وسيلة من وسائل الاجتهاد أو إفراده بدراسة فى علم الأصول .

من المقرر أن المرأة كلها عورة بالنسبة للأجنبى فيما عدا الوجه والكفين ، ولكن أبيح للطبيب أن يرى من المرأة الأجنبية ما يقتضى علاجُها النظر إليه ، وإن كان محرما عليه فى الأصل ، وهذه الإباحة مرجعها إلى الضرورة ودفع المشقة فى العلاج استحسانا[12] .

وإذا كان المحجور عليه للسَّفه لا تصح تبرعاته ؛ فإن وقفه على نفسه مدة حياته يصح استحسانا ؛ لأن هذا الوقف يحفظ العقار الموقوف من الضياع ، للزوم الوقف ، وعدم قبوله للبيع والشراء ، فيتحقق الغرض الذى حجر عليه من أجله ، وهو المحافظة على أمواله ، فهو من ثم استحسان يستند إلى المصلحة[13] .

كذلك تصح وصية المحجور عليه فى سبيل الخير ؛ لأنها لا تناقض المقصود من الحجر ، فهى لا تفيد الملك إلا بعد الوفاة ، فاستثناؤها من القاعدة العامة ، وهى عدم صحة التبرع من المحجور عليه ، لأنها تحقق خيرا له ، أى مصلحة دون أن يلحقه بها ضرر فى ماله فى حياته[14] .

ولأن الوقف يقتضى تأبيد الموقوف كان العقار هو الذى يجوز وقفه ؛ لأنه يقبل التأبيد والدوام ،

---

(١٠) المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٨٩ .

(١١) انظر اصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢١٠ ط دار الفكر العربى .

(١٢) انظر لدراسة الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٢٠١ ط مؤسسة الرسالة .

(١٣) انظر اصول الفقه الإسلامى للدكتور وهبة الزحيلى جـ ٢ ص ٧٤٦ ط دار الفكر . دمشق .

(١٤) انظر فتح القدير للكمال بن الهمام جـ ٧ ص ١١٢ ط الاميرية .

أما المنقول فلا يجوز وقفه لسرعة الهلاك إليه ولكن استثنى الفقهاء من هذه القاعدة العامة وقف المنقول الذى جرى العرف بوقفه فهو جائز استحسانا كالكتب وأدوات الإضاءة فى المساجد(١٥) .

والقاعدة العامة فى تطهير النجاسات هى إزالتها ، وعدم بقاء أثرها ؛ فإذا وقعت نجاسة فى بئر فلا سبيل لصب الماء على البئر ليطهرَهُ ، فالماء الذى يدخل فى البئر يتنجس بملاقاة الماء النجس ، والماء الذى ينبثق من باطن الأرض يتنجس كذلك ، فكانت الضرورة قاضية باستثناء الآبار من القاعدة العامة فى تطهير النجاسة ، والاعتماد فى تطهيرها على نزح عدد من الدلاء يغلب على الظن معه خفة النجاسة وضآلتها ، وهذا على وجه الاستحسان(١٦) .

وإذا باع الإنسان أرضا زراعية ؛ فإن حقوق الارتفاق ، أى المنافع كحق المرور والشرب والمسيل لا تدخل فى عقد البيع إلا بالنص عليها ، فهل إذا وقف الإنسان أرضا زراعية فإن حقوق الارتفاق لا تدخل إلا بالنص ، أم يجوز أن تدخل دون نص عليها ؟

يذكر الفقهاء أن مثل هذه المسألة يتنازعها قياسان :

الأول : أن يقاس الوقف على البيع باعتبار أن كلا منهما إخراج للعين من ملك صاحبها فلا تدخل تلك الحقوق إلا بالنص عليها ، ويسمى الفقهاء هذا القياس بـ(القياس الجلى) ، أى الواضح الذى يتبادر إلى الذهن .

والقياس **الثانى** هو قياس الوقف على الإجارة باعتبار أن كلا منهما يراد به إفادة ملك المنفعة فقط ، وهى لا تتأتى إلا بحقوق الارتفاق ، ومن ثم تدخل دون نص عليها ، وهذا القياس يسميه الفقهاء بالقياس الخفى ، أى الذى لا يتبادر إلى الذهن ولا يتجه إليه المجتهد إلا بعد تفكير وروية ، ولهذا يرجح الأخذ به استحسانا(١٧) .

ومن ذلك (مسألة سؤر سباع الطير) ، وهو بقية الماء الذى يشرب منه ، فإن سباع الطير كالنسر والحدأة تشبه سباع البهائم فى كون لحمها نجسا لا يؤكل ، وكونها تتغذى من الحيوانات ، وبما أن سؤر سباع البهائم كالسبع والفهد نجس ، فكذلك يكون سؤر سباع الطير نجسا أيضا ، وهذا هو القياس الجلى ، ولكن المجتهد يتجه لقياس آخر خفى ، وذلك أن سؤر سباع البهائم كان نجسا لوجود لعابها فى الماء ، واللعاب يتصل باللحم فهو نجس بنجاسته ، أما سباع الطير فهى تشرب بمناقيرها ، وهو عظم طاهر لا تتخلله نجاسة من دم أو لعاب ، فتشبه الإنسان الذى يشرب بفمه وهو طاهر فيكون سؤر سباع الطير طاهرا قياسا على الإنسان استحساناً(١٨) .

استخدام الاستحسان

من هذه الفروع ونحوها مما هو مبثوث فى كتب الفقه يتضح أن الفقهاء قد استخدموا الاستحسان فى حالتين :

(١٥) انظر كشف الأسرار على أصول البزدوى للبخارى جـ ٤ ص ٦ تركيا .

(١٦) انظر ، أصول الفقه للدكتور الزحيلى جـ ٢ ص ٧٤٦ ، وأصول الفقه الإسلامى للشيخ زكى الدين شعبان ص ١٨٢ ط ليبيا .

(١٧) انظر ، أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢١٠ .

(١٨) رواه الشيخان .

وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى

الأولى : استثناء مسألة جزئية من قاعدة عامة لوجه اقتضى هذا الاستثناء كضرورة أو عُرف أو مصلحة مثل إباحة النظر إلى المرأة للعلاج ، وصحة تبرعات المحجور عليه للسفه ، وصحة وقف المنقول .

الثانية : ترجيح قياس خفى على قياس جلى ، لقوة تأثير ذلك القياس ، كما فى طهارة سؤر سباع الطير ، ودخول حقوق الارتفاق دون النص عليها فى حالة وقف الأرض الزراعية .

ومادام الاستثناء فى الحالة الأولى لوجه يقتضيه ؛ فإن هذا الوجه هو الذى يعول عليه فى بيان الحكم فهو دليله ، وليس بلازم أن يطلق على هذا كلمة استحسان ، اللهم إلا إذا قلنا : إن هذا أصبح مصطلحا ولا مشاحة فيه .

يبدو أن بعض العلماء يتوسعون فى هذا الاستثناء فيدخلون فيه ما كان استثناء من قاعدة عامة لنص ، أو إجماع ، ويطلقون عليه الاستحسان ، كقولهم : إن السلم ـ وهو بيع شىء غير موجود عند البائع بثمن حال يدفعه المشترى ـ جائز استحسانا ، استثناء من القاعدة العامة التى تشترط وجود المعقود عليه وقت إنشاء العقد ، وأن سند هذا الاستحسان هو السنة المروية عن رسول الله ـ ﷺ ـ فقد نهى عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص فى السلم فقال : « من أسلم منكم فليسلم فى كيل معلوم أو وزن معلوم إلى أجل معلوم »[19] كما قالوا : إن الاستصناع ـ وهو أن يتعاقد شخص مع صانع على أن يصنع شيئا نظير أجر معين ـ جائز استحسانا ، استثناء من قاعدة بطلان كل عقد يكون المعقود عليه وقت العقد معدوما ، وأن سند هذا الاستحسان هو تعامل الناس به فى كل الأزمان ، من غير إنكار العلماء فكان إجماعا[20] .

وفى إطلاق الاستحسان على مثل هذه الصور الفقهية التى دليلها السنة أو الإجماع تجوز لا ضرورة له ، فالمجتهد لا يستند فى حكمه على ترجيح أو مراعاة ضرورة ، وإنما دليله النص أو الإجماع .

أما الترجيح بين قياسين فهو لون من الترجيح بين الأدلة ، أو العمل بأقوى الدليلين ، ثم إن الخفاء والظهور مسألة نسبية ، كما أن قوة التأثير مسألة ترجع إلى النظر والاجتهاد .

ومهما يكن الأمر فهذا الترجيح يئول إلى مراعاة مصلحة أو ضرورة ، أو عرف أو تيسير تماما كاستثناء مسألة جزئية من أصل كلى ، وبذلك لا يكون الاستحسان دليلا ؛ لأنه كما يقول الإمام الشوكانى[21] راجع إلى الأدلة ، ولهذا رأى أن ذكره فى بحث مستقل لا فائدة فيه ، ويبدو أن ذكر الاستحسان وإفراده بالبحث لدى القدماء والمحدثين كان بسبب الخلاف الذى نشأ بين العلماء حوله .. والواقع أن هذا الخلاف لم يكن له ما يسوغه ، وقد شغل العلماء فى الماضى دون فائدة جوهرية ، ودفعهم الجدال والانتصار للآراء إلى تشقيق القول فى ألوان مختلفة من الاستحسان ، وبيان العلاقة بينه وبين القياس ، وكذلك العلاقة بينه وبين المصلحة المرسلة ، وتابع .

---

(١٩) انظر أصول الفقه الاسلامى للشيخ زكى الدين شعبان ص ١٧٩ ط ليبيا .

(٢٠) قال الشوكانى ، فى إرشاد الفحول ص ٢٤١ : فعرفت بمجموع ما ذكرنا أن ذكر الاستحسان فى بحث مستقل لا فائدة فيه أصلا ؛ لأنه إن كان راجعا إلى الأدلة المتقدمة فهو تكرار ، وإن كان خارجا عنها ، فليس من الشرع فى شىء ، بل هو من التقول على هذه الشريعة بما لم يكن فيها تارة ، وبما يضادها أخرى .

(٢١) جـ ٢ ص ١٣٦ ط دار الفكر ، دمشق .

جمهور المحدثين والمعاصرين منهج القدماء فى الحديث عن الاستحسان ، فعرضوا لكل ما أثاره هؤلاء من قضايا ومسائل ، وكان الأولى بهم ألا يفعلوا ، لأن معركة الاستحسان فى الماضى والحاضر معركة فى غير ميدان ، سببها عدم تحرير المراد منه .

وأختم الحديث عن الاستحسان بما قاله الإمام الشاطبى فى الاعتصام قال : « وأما الاستحسان فإن أهل البدع أيضا تعلقوا به فإن الاستحسان لا يكون إلا بمستحسن ، وهو إما العقل أو الشرع .

اما الشرع فاستحسانه واستقباحه قد فرغ منهما ؛ لأن الأدلة اقتضت ذلك ، فلا فائدة لتسميته استحسانا ، ولا لوضع ترجمة له زائدة على الكتاب والسنة والإجماع ، وما ينشأ عنهما من القياس والاستدلال ، فلم يبق إلا العقل هو المستحسن ، فإن كان لدليل فلا فائدة لهذه التسمية ، لرجوعه إلى الأدلة لا إلى غيرها ، وإن كان بغير دليل فذلك البدعة التى تستحسن ».

والشاطبى فى هذا النص على إيجازه حلل مرد الاستحسان ، وبين أنه لا فائدة من هذه التسمية مادام الأمر يرجع إلى الأدلة لا إلى غيرها ، وهو بهذا يرفض دراسة الاستحسان كموضوع من موضوعات علم الأصول ، على ذلك النحو الذى درسه به القدماء واقتفى أثرهم فيه المحدثون ، ويكفى أن نومىء إلى هذا المصطلح فى ثنايا الحديث عن مآلات الأفعال ، أو المقاصد العامة للشريعة ، ولا ينبغى أن نشغل انفسنا بما شجر بين العلماء من خلاف حوله ، فلا ثمرة لهذا الخلاف ، كما لا ينبغى أن نسلك هذا المصطلح فى الأدلة المختلف فيها ، لانه إن كان راجعا إلى الأدلة فذكره تكرار وإن كان خارجا عنها فليس من الشرع فى شىء .

"ندوات الأزهر"

إذا كانت آمال العرب والمسلمين تتجه إلى مصر ، فإن مصر بدورها تتجه إلى الأزهر الشريف الذى سمقت مآذنه إلى السماء منذ الف عام يؤدى حق الله بتبليغ دعوته ، وإقامة حجته ونشر دينه ، وتعاليم أحكامه ، فهو المعقل الوحيد الذى ثبت لحملات الغير ، فانتهت إليه أمانة الرسول ، واستقرت به وديعة السلف واستعصمت به لغة القرآن .

ولقد استن القائمون على أمر الأزهر الشريف سنة حسنة فى شهر رمضان المعظم هذا العام وذلك بإقامة ندوات دينية شملت العديد من المحافظات ، شارك فيها كوكبة ممتازة من العلماء الأفاضل دفعهم إلى الإسهام فى هذه الندوات إيمانهم بان عليهم الكثير من الواجبات لقاء ما وهبهم الله من كفاية دينية ، وما ميزهم به من مستوى فكرى رفيع .

ولأن هذه الندوات صادرة عن إيمان وعقيدة صادقة ، ولأنها - أيضا - تمثل قوة المنطق الإنسانى فى الحجة ، وتحمل من الحقائق الدينية ما يبصر المسلمين بمكانتهم على نحو ما دعا إليه رسول الله - ﷺ - لاقت هذه الندوات إقبالا جماهيريا كبيرا .

ولعل الله يجعل منها توجيها سديدا ودعوة ليقظة مباركة تعيد للمسلمين امجادهم ونهيىء لهم فى الحياة مستوى إنسانيا كريما .

عبد الحفيظ محمد

حول على حول

الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى

كتب الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى كلمته التى نشرت بمجلة (منار الإسلام) بعنوان « رأى جديد جرىء حول المصحف الشريف » بعدد شهر ربيع الأول سنة ١٤١١ ص٦ . والأستاذ الدكتور البيومى أعرفه ، كما أعرف مايجب له من إعزاز وتقدير وتكريم ، فهو عالم أديب صحب ركب « العربية » الزاهر زهاء نصف القرن لا يبخل على بحوثها ، ولا يكل عن التنقيب فى أمرها ثم هو - فوق ذلك - الزميل الكريم الذى جمعنا وإياه هذا الأزهر الشريف ، فإن عرج بقلمه إلى الكتاب العزيز فهو المحب الذى يؤدى عن اجتهاد .

لذلك أرسل بهذه الكلمة - لأخى ، وللقراء حتى نقف من « رأيه » موقف بحث فى تؤدة تؤدى بنا إلى حق ولقاء كريم .

يتلخص رأى الدكتور البيومى فى أمرين :

أولهما : أن الأكثرية من قراء كتاب الله العزيز يلتزمون التزاما مطلقا بما جرى عليه العرف من تقسيمه إلى « أجزاء » فـ « أحزاب » و « أرباع » وفق ماجاء فى المصحف الشريف ، فالقارىء يبدأ القراءة أحيانا بأول الجزء ، كما يبدؤها أحيانا بأول الحزب أو أول الربع ، وأكثر هذه الابتداءات واضح المعنى لا لبس فيه ، إذ يأتى القول الجليل غير متصل مما سبقه فتتم المعانى القرآنية على وجهها الحميد .. ثم يستطرد فيقول :

ولكن الواقع الملموس يقدم لنا أمثلة لا يصلح الابتداء بها صلاحية توضح المرمى لمن لا يحفظ كتاب الله - تعالى .

كما يقدم لنا أمثلة لا يصلح الوقوف عندها ، إذ تبقى المعانى المتصلة مطردة السياق فيظل السامع متعطشا إلى تالٍ يكمل الموضوع ...

وضرب الدكتور البيومى أمثلة عدة لبدايات ونهايات لا يستقيم معها المعنى تاما فى ذهن السامع غير الحافظ لكتاب الله .

ثانيهما : اقتراحه تأليف لجنة علمية لتنظر إلى

رد لفضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض

* الكاتب : وكيل لجنة مراجعة المصحف بمجمع البحوث الإسلامية .

هذه الوقوف المعترض عليها . ثم لتضع الوقوف المناسبة . أ هـ .

يريد الدكتور أن تكون تلك الوقوف التى تنتهى إليها اللجنة فى القرآن موضوعة بهامش المصحف ، كما هو الحال الآن حيث توجد الأجزاء والأحزاب والأرباع .

ثم حوت كلمته بيانا بأن هذا التقسيم - كما نقل السيوطى - فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى ... واعقبه بدراسة نسبت التقسيم إلى أبى بكر بن عياش الذى لحق بربه عام (١٩٣) هـ .

أقول - لأخى الدكتور - والله المستعان :

اما ما قلت بشأن القراء - لا المصحف - فأنا أؤيدك فيه ؛ بل أزيد فأقول : إن من القراء من يسىء إلى نفسه وإلى القرآن العزيز ، وإلى الناس حين يرضى لنفسه أن يختار من الكتاب العزيز آيات بعينها ليقرأها ، ثم يتوقف عن المضى فيما يليها خشية أن يسىء إلى أحد .

وإلى القراء - قراء مجلة الأزهر ثم منار الإسلام ، وإلى أخى الدكتور البيومى - أسوق هذه العبارات القصار للإمامْ عَلَم الدين على بن محمد السخاوى من كتابه العاشر « علم الاهتداء فى معرفة الوقف والابتداء » وذلك من كتابه القيم .. « جمال القراء وكمال الإقراء » ص ٥٥ ومابعدها من الجزء الثانى . قال .. رحمه الله :

« أجاز حمزة الوقف حيث ينقطع النفس إلا نحو قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ﴾ لا يقف على (قالوا) ولا يقف على (اليهود) فى قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ولا على (اليهود) ، فى قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ ﴾ ولا على (النصارى) فى قوله - عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ١ هـ .

فمثل هذه وقوف تفسد المعنى ، بل تؤدى إلى خلط اثيم ، مُنِعَ الوقف عليها حتى فى حال الضرورة ...

لقد أساء كثير من القراء فيما يفعلون ، والحمد لله أن الأخ الدكتور البيومى قد أشار - بصراحة - إلى أن أغلبهم ليسوا بعلماء ، ولقد قال الإمام السخاوى أيضا : « إن من الفواصل مالا يحس الوقوف عليه كقوله - عز وجل : - ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ لأن المراد : فويل للساهين عن صلاتهم المرائين فيها ، فلا يتم هذا المعنى إلا بالوصل » ٥٥٣/٢ .

وذلك يعنى أن على القراء للكتاب العزيز أن يتقوا الله ويعلموا مايجب عليهم نحو كلام الله وقفا وابتداء فلا يفسدون على الناس معانى التنزيل الجليل ، فإن الإساءة إلى التنزيل إساءة للمولى .. عز وجل .. نسأل الله الرحيم لنا ولهم أن يجنبنا إياها .

ثم نعود إلى المصحف فأقول لأخى الدكتورْ - بعد شكرى الغزير له :

لا ، يادكتور فأما كتاب الله .. تعالى - فينبغى صيانته عن امتداد الأيدى إليه حتى بهذه الفكرة التى لا تمسه فى شىء .

إننى - وأرجو أن يكون أخى الدكتور معى - انبذ هذا العمل ؛ فإن لجنة كالتى يقول ستفتح الباب إلى لجان ... وعصور ... لجان تقول : جاز كذا وكذا ، وتتالى العصور فلا نعلم : ماذا يكون من الأحداث ...

أخى الدكتور .

اذكرك ياأخى بأمر الكعبة المشرفة :

حـــول علـى حـــول

أليس قد قال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم ـ وأورد ذلك البخارى ـ رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعائشة : ياعائشة لولا أن قومك حديثُ عهدهم ـ قال ابن الزبير : بكفر ، لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب يدخل الناس ، وباب يخرجون » ففعله ابن الزبير . أ هـ صحيح البخارى .

وحتى يلم القراء بهذه الواقعة أسوق لهم رواية الإمام ابن ماجه ـ رضوان الله تعالى عليه ـ قال .. بسنده إلى الأسود بن يزيد عن عائشة ـ رضى الله عنها ؛ قالت :

سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحجر ـ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : هو من البيت ، قلت : مامنعهم أن يدخلوه فيه ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم : عجزت بهم النفقة ، قلت : فما شأن بابه مرتفعا لا يصعد إليه إلا بسلم ؟ قال : ذلك فعل قومك ليدخلوه من شاءوا ويمنعوه من شاءوا ، ولولا أن قومك حديث عهد بكفر مخافة أن تنفر قلوبهم لنظرت : هل أغيره فأدخل فيه ماانتقص منه ، وجعلت بابه بالأرض » صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

أخى دكتور البيومى .

لقد فعل ـ ابن الزبير هذا الأمر ـ وأنت بذلك أدرى ـ عام (٦٥هـ) ثم أعيد بناء الكعبة على ما كانت عليه قبل بناء ابن الزبير ـ رضى الله عنهما . ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يعيد الكعبة على أساس إبراهيم الخليل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لصحة الخبر الوارد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى سقناه عن عائشة رضى الله عنها لكن نصحه الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ بترك هذا الأمر ، وكان مما قال لأبى جعفر :

أخاف أن يكون البيت نهبا للملوك فتضيع هيبته ، يأتى هذا فيقول : أصنعه على ماكان عليه ، ويأتى الثانى فيقول كذا ، فهذا يزيد وهذا ينقص » رضى الله تعالى عن الإمام مالك .

ولقد جاء فى ترجمة البخارى لحديث الكعبة هذا قوله :

(باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه) .

وقال الإمام ابن حجر ـ رضى الله عنه فى فتح البارى ١/١٩٩ : ط أولى « ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع فى المفسدة ، ومنه : « ترك المنكر خشية الوقوع فى أنكر منه .

وإن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولا مالم يكن محرماً .

أخى د/ البيومى :

لقد صحبتَ وصحبتُ زمانا قام فيه خصوم هذا الدين، حتى من بعض من يحملون شعاره ـ بمحاولات ترمى إلى زعزعة شىء من أحكامه الشريفة فى النفوس .

فنادى فريق بكتابة المصحف بالخط الإملائى ..

وآخرون أرادوا حشو الكتاب العزيز بعلامات الترقيم من استفهام وتعجب وفصلة ونقطة .. الخ .

بل ذهب بعضهم إلى المطالبة فى مؤتمر باختصار القرآن العزيز .

فلما ضُيِّقَ عليهم اتجهوا إلى السنة يذبذبون الناس فى أمرها .

وحاشاى ، وإياك أن نحدث فى القرآن حدثا

البقية ص ١١٦١

عصر الإيمان

للدكتور: محمد رجب البيومى

جميع الدلائل توحى باننا مقبلون على عصر جديد ، عصر يستقبل الإيمان استقبالا مطمئنا تؤيده الحجج ، وتسنده البراهين ، ويُشَيِّعُ الإلحاد تشييعاً لاحزن فيه ولاهم ، بل تنفيس للصعداء ، كمن أزيح عن صدره عبء ثقيل ، فقد كان القرنان التاسع عشر والعشرون من أسوأ قرون التاريخ عصفا بالحقائق ، وتزييفاً للمقررات ، وتهجما على المقدسات ، لا بالرأى المقنع ، والدليل الحاسم ، بل بالشبهة العارضة ، والخاطر السانح ، والوهم الخادع ، حتى وقر لدى الكثيرين أن الشبهة حجة ، وأن الخاطر برهان ، وأن الوهم قياس منطقى تترتب فيه المقدمات على نسق مطرد لتفضى إلى النتائج الناطقة ببطلان كل ما لا تراه العين أو تسمعه الأذن مادام خارجا عن دائرة المحسوس المنظور !

مضى القرن التاسع عشر بشره ، واكبر شر جلبه للناس هو رواج الأسطورة الداروينية على نحو متسع فسيح ، لأن صاحب النظرية العلمية ، واقول النظرية من باب التسليم الجدلى فقط ؛ لأن النظريات لاتقوم على الفرض بل تعتمد على قدر اكبر من اليقين ، وقد اعترف دارودين أن رأيه فى نظرية التطور فرض يجعل المصادفة اقوى دلائله ، ولن تكون المصادفة دليلاً مقنعا ! اقول إن صاحب نظرية التطور لم يرد أن ينتقل بها إلى مسألة الوجود الأول للكون ، وما جال بخاطره ان تتخذ وسيلة للطعن فيما جاءت به الأديان عن أصل الإنسان ؛ ولكن ذوى الأهواء المنحرفة شاءوا أن يجعلوها مطية الإلحاد ، لأنهم لايطيقون قيود الإيمان ، وقد تعاظمهم أن ياتوا الفجور فيجدوا من يحذرهم بطش الرقيب المحاسب فى يوم تشخص فيه الأبصار ، ويقوم الناس لرب العالمين ، فلينكروا هذا اليوم ، وليجعلوا نظرية التطور إحدى الدعائم القوية فى هذا الانكار ...

وجاء أصحاب الدراسات الإنسانية ، ليجعلوا نظرية التطور ركينتهم الوطيدة فى هذه

عصـــــر الإيمـــــان

الدراسات ، وهى نقلة من العمليات إلى النظريات ، نقلة أحبوها تسهل لهم أن يعصفوا بالدين ، فلا تكون له حقيقة أصيلة فى دنيا العلم والعلماء ، فأساطين علم الاجتماع يتركون لُباب القضايا الاجتماعية ليبحثوا فى أصل الدين على ضوء نظرية التطور التى تقول بالارتقاء من الأسهل إلى الأصعب ، فإذا الدين ـ عندهم ـ قد نشأ عن أساطير فى العالم البدائى ، حيث كان الإنسان الأول فى وهمهم يخاف الظواهر الطبيعية من برق ورعد ومطر وشمس ، فاتجه إلى عبادتها ، وقام دينه على الخوف ، ومازال يخاف ويخاف حتى اتخذ لنفسه إلها يخافه ، إلها لا وجود له إلا فى عالم التفكير البدائى ، حتى إذا نضج فكره تجاوز دور البدائية إلى ما بعدها من تعقل يقوم على التفكير العلمى تارة وعلى النظر الفلسفى تارة ، وإذن فالقول بـ(الإله) وهم لا حقيقة له ، وما الدين إلا ركيزة هذا الوهم البعيد ! لقد أتاحت لهم نظرية التطور أن ينزعوا عن كواهلهم أعباء الرجولة ، وتكاليف المروءة وقيود العفة ، أو بمعنى آخر أتاحت لهم نظرية التطور أن يتطوروا إلى الأسفل ، لا إلى الأعلى فلا يكونون أناسيَّ بل حيوانات !

وإذا كان للدين أنصاره الذين يجادلون عنه بالحق الناصح ، وقد فهموا مدلوله الصحيح الذى لا مرية فيه ، فلابد ـ لأتباع دارون ـ من تحريف هذا المدلول ، وبدل أن يكون الدين علاقة وطيدة بين الخالق والمخلوق تقوم على اتباع ماسنه من قوانين العدالة والإخاء والمساواة ليستقيم نظام الكون على أقوم صراط ، أصبح الدين عند هؤلاء مجموعة طقوس وتقاليد ، أكدتها الأيام لتصبح شرعة متبعة !! وهو تعريف هش يسهل نقضه ، وإذا كان هو التعريف الوحيد لديهم فلابد أن نهجم على الطقوس البدائية والتقاليد الخرافية ليتم الهجوم على الدين ، فلا يصح له وجود عقلى !!

وإن تعمد الخيانة فى هذه التعريفات الخاصة بالألوهية والدين وسائر المعتقدات السماوية يدل على أن أصحاب هذا التحريف المقصود لا يستشعرون أدنى كرامة علمية تلزمهم بتحرى الحقائق ، فليسوا ممن يجهلون أثر الدين فى سعادة الإنسان ، وسلامته من الأرجاس إذا التزم بما يأمر ، وارتدع عما ينهى ، كما يعرفون كيف كان المتدينون سادة العالم يوم تمسكوا بمبادىء الدين الصحيح ، فقادهم إلى الحضارة المزدهرة والرخاء السعيد .

نعم إنهم يعرفون هذه الحقائق إذ هى مدونة فى صحائف متكررة تقرؤها الأجيال جيلا بعد جيل ، ولكنهم يتعمدون إغفالها ليستقيم التعريف الخرافى للدين فيكون تقاليد بدائية وطقوسا خرافية ابتدعها الإنسان الأول فى ماضيه البعيد ..

يجىء القرن العشرون بعد القرن التاسع عشر فيضيف إلى الإلحاد مذهباً مدمراً هداما هو (الشيوعية) التى اعتمدت على الحديد والنار فى انتشارها ، ولم تقف عند الدعوة بالمنطق الواضح ، والدليل المقنع ، فتجذب النفوس عن يقين ، وإذا كان الدين أول مناهض للبطش ، فقد جعلت الشيوعية الدين ألدَّ أعدائها ، وأظهر خصومها ، فأنتجت المعاول لهدم بنائه ، وراج فى الناس ما يقال على لسان الشيوعيين من أن الدين (أفيون الشعوب) أى أنه يخدر العقول فلا تفهم طريق سعادتها !!

ولو كان الدين مخدرا للشعوب مالازم الإنسانية منذ ميلاد آدم إلى أن يقوم الناس لرب

العالمين ، فكل إنسان يشعر فى أطوائه بقدرة تهديه ، وقد كانت السبب فى إيجاده ، وبدونها لم يكن شيئا مذكورا ، والملحدون أنفسهم لايجزمون جزما أكيداً بنفى هذه القوة ، ولكنهم يشكون ويترددون ، بل إن أعرق فلاسفة الماديين أمثال هربرت سبنسر قد انتهى إلى وجود (قوة فعالة) دبرت أمور الكون ، وإن أنكر معرفة حدودها ، والقوة الفعالة التى يقول عنها سبنسر هى (القدرة الإلهية) عند المؤمنين . وبذلك تضاءلت شقة الخلاف إلى حد كبير .

أجل جاءت الشيوعية فرأت سطوة الدين ، وقوة نفوذه ، فذهبت إلى إنكاره ، مدعية أن رجال الدين كانوا السبب فى مظالم البشر ، وهم الذين مكنوا الملوك والأباطرة من استغلال الناس ، إذ زينوا لهم الزهد ، والعزوف عن الحياة لتكون مباهجها حجراً محجوراً على نفر قليل من الرؤساء !

وأنت تسأل : هل كان (رجال الدين) فى جميع الأديان أداة تنويم وتخدير ؟ حتى يكون الدين تعويذة تنويم ، وأداة انصراف عن شئون الحياة !

إن المسيحية فى لُبابها إخاء ومحبة ، ومن شذ عن أصولها فليس من رجال الدين ، مهما انتسب إليه وتزيى بأزياء الأحبار والرهبان ، والإسلام منذ أشرق نوره على الآفاق أوجد من علمائه من جابهوا الطغيان ، ورأوا الباطل فى فترات معينة فما وهنوا فى مقاومته ، بل قادوا المسلمين إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فكيف يكون الدين مخدرا للشعوب ، وملهيا عن أداء الحقوق ؟ لقد حاربت الشيوعية الإسلام فيما استولت عليه من بلاده الأصيلة محاربة ضارية ، وكأنه أعدى أعدائها .

فهل كان الإسلام كما زعمت مخدر عقول ، وأفيون رءوس ، أو كان عامل يقظة حية ، وباعث حرية كريمة فى حياة زاهية ذات حضارة وتمدن ؟

إننا نطالع تاريخ الإسلام فى مد عصوره فنجد علماءه سيوفاً تحطم رقاب البغى ، وتجابه الطغيان فى ميدانه الرهيب !

ألسنا نجد أمثال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، ويحيى بن يعمر والحسن البصرى يواجهون الحكام فى العصر الأموى هاتفين بكلمة الحق ؟

ألسنا نجد عمرو بن عبيد وأبا حنيفة النعمان ومالكا وابن حنبل وابن السكيت والأوزاعى ومن لا نحصى من الأفذاذ يجابهون الطغاة فى العصر العباسى ؟

ألسنا نجد سلسلة لا تنقطع حلقاتها إلى الآن تضم أمثال العز بن عبد السلام وابن تيمية والمنذر بن سعيد وابن دقيق العيد ومحيى الدين النووى من علماء العصر المملوكى إلى ورثتهم من بعدهم فى شتى الأقطار الإسلامية ممن صدعوا بالحق ، وعرفوا الشعوب حقوقها كما جاء بها القرآن !

فكيف تحارب الشيوعية الإسلام بضراوة لم تعهد ، واصمة إياه بأنه مخدر شعوب ؟

إن هذا البلاء النازل على الناس قد امتد ليله قرابة ثلاثة وسبعين عاما حتى أدركه الزلزال الرهيب ، فهوت الشيوعية فى منابت جذورها ، وتبرأت منها الدول التى أجبرت على اعتناقها حين رأت أنها وحدها كانت المخدر الرهيب ، الذى أكل عقول من غرتهم الظواهر الخادعة فانساقوا مبهورين ، ادعت الشيوعية أنها جاءت لتطعم الناس على قدم المساواة ، ثم تكشف الواقع عن مرارة كارثة حين وجد المخدوعون أن الرؤساء وحدهم كانوا أصحاب الرفاهية الملكية التى لم

عصر الإيمان

يحلم بها أعرق السلاطين ، وأكبر الأباطرة فى التاريخ ، وأن الإفلاس والقحط كان من نصيب الذين يزرعون ولا يأكلون ويعملون ولا يكسبون !

لقد انهارت الشيوعية قبل أن ينتهى القرن العشرون بعقد كامل ، وعلم الناس شرقاً وغرباً أن ظلاماً دامساً قد انجاب إلى غير رجعة ، وأن الإلحاد الشيوعى قد فسح الطريق لرسالة الإيمان كى تسطع انوارها فتمحو الغياهب من جديد ! لقد انقضى عصر الإلحاد ، وأشرق عصر الإيمان ليعود إلى النفوس الحائرة أمنها المستقر ، وللقلوب الجريحة بلسمها الناجع ، وللعيون الكحيلة نورها الهادى ! ولن يأتى ذلك كله إلا عن وحى السماء ، وشريعة رب العالمين ..

لقد وهت أركان الإلحاد ، وتطلع الناس إلى عصر الإيمان ، لينقذ من شرور داهمت الناس ، أهونها هذه الحروب المدمرة - ومنها حربان عالميتان - روعت فيها الأسلحة المبيدة ملايين الآمنين دون جريرة ، فأسقطت المنازل ، وفجرت الزلازل ، ونشرت الخراب فى كل مكان ، حيث الثواكل الباكيات ، واليتامى من الأطفال والمعوقون والمشوهون ممن تساوت حياتهم كثيرا مع الممات .

أفلو كان الإيمان يشرق بنوره ، فعرف مثيرو الحروب ، وتجار الأسلحة أنهم محاسبون على ما يقترفون .

أفلو كان الإيمان يشرق بنوره فعرف مخترعو الديناميت والقنابل الذرية ، والصواريخ القاذفة انهم مسئولون عن تسخير العلم فى الشرور ، وتدبير الاكتشافات المذهلة للإبادة والاستئصال !

أفلو كان الإيمان يشرق بنوره فى هذين القرنين لحاسب كل مجرم نفسه قبل أن يفكر فى الدمار بل لحاسبت الشعوب المؤمنة رؤساءها حين يدفعون بها إلى معارك طاحنة طمعا فى سيطرة كاذبة ، واستعلاء مقيت .

إن ضياع السلام فى قرنين مظلمين كريهين ، قد كشف للعقول ماران عليها من غشاوة كثيفة إذ صارت الحياة سباقا وحشيا يعتمد على الأنياب والمخالب دون ارتقاب لعدل إلهى يردع الظالم وينصف المظلوم لقد انحدر الناس فى سيطرة المذاهب المنحرفة من قمة الإنسانية إلى حمأة الحيوانية ، لأن الحيوان هو الذى يحيا دون إيمان سماوى ، فيعيش فى الغاب فى صراع مع الأضداد المتنازعة ، فرحا بالنصر تارة ، شقيا بالهزيمة تارات ، حتى يحين فناؤه فلا يعود شيئا يذكر ، فإذا أنكر الإنسان إيمانه بربه ، فما أتعسها حياة تقضى به بعد العراك المرهق إلى فناء بائد ، ككلب يموت بمدرجة الطريق .

هذا الهوان الإنسانى المرير قد ضاعف من مأساته ماتخلص منه الماديون من قوانين الخلق الفطرى ، وتعاليم الدين السماوى ، ولِمَ ينهضون بأعباء الفضيلة وتكاليف الكرامة ؟ وهم يعتقدون أن الموت فناء أبدى لا يعقبه بعث أو حساب ، وأن غرائزهم الهابطة لتدفع بهم إلى خضم الموبقات المنكرة ، فيجترحون السيئات دون رقيب ، وهم يقولون كما قال أسلافهم من قبل ﴿ مَاهِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَالَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ الجاثية ٢٤

هذا عن المجتمع بعامة .

أما الفرد بخاصة ؛ فما أتعسه حين يتعامل مع إنسان لا يؤمن بثواب أو عقاب !!

إن الشكوك تمنع الثقة ، وتدعو إلى الارتياب !

إنك حين تتعامل مع إنسان يؤمن بربه ، تطمئن كثيراً إلى كلمته الصادقة ، وتدع لديه مالك وسرك

ووثائقك ووصاياك دون هاجس من ظن يحوم حوله ؛ لأن إيمانه سياج يقى من الغدر ، تأتمنه على ابنتك وعلى ولدك الصغير حين يحتاج إلى من يرعاه بعد ارتحالك ، أما حين تتعامل مع إنسان مادى لايخشى جزاء ، أو يحذر عقابا فأنت منه على مثل موج البحر ؛ لأن ظروف خيانته أكثر كثيراً من أحوال أمانته فإذا وجدت الخيانة لدى المؤمنين بنسبة خمسة فى المائة أو عشرة على الأكثر ، فإنها بين الماديين شىء طبيعى قد تبلغ درجتها التسعين !! ومن تمسك بالفضيلة من هؤلاء فهو استثناء لايمثل القاعدة التى تطرد فتشمل المجموع لا الجميع !

وحسبك من مبادئهم : « الدول بطبيعتها أعداء ، والغاية تبرر الوسيلة ».

لقد تولى عصر الإلحاد ، وجاء عصر الإيمان ليقارن المنصفون بين اطمئنانهم الراسخ ، وقلقهم الملحد ، فيرون الاطمئنان راحه نفسية ، والقلق زلزلة راجفة لاتغمض بها عين أو يرقد معها جنب .

إلى من يلجأ المريض إذا فقد إيمانه وعجز الطب عن مداواته .

إلى من يلجأ المظلوم إذا دلس الظالم على العدل فأخذ مال غيره بسطوة القضاء .

وإلى من يلجأ من أصيب قضاء وقدرا بما بتر ساقه أو فقأ عينه ؛ إنه إذا كان مؤمناً فقد أوى إلى ركن شديد ، أما إذا كان مادياً فقد قذفت به الأوهام فى قلق لايزول إلا حين تزول الحياة .

يتحدث بعض الملحدين عن نفسه فيقول : لقد كنت فى بعض الأوقات أتصور نفسى دون إيمان ، كأننى أجلس على قمة مرتفعة لقطعة من الأرض ممتدة إلى البحر يحيط بها الماء من كل مكان ، فأجد نفسى محاطا بالمجهول من كل ناحية ، كأنى أقف فى إقيانوس لاساحل له ، وليس لدى سفينة ، أو شراع أو بوصلة فسألت نفسى عند ذلك ، مامعنى هذا التأمل فى المجهول إن لم يكن انفجاراً للعاطفة الدينية ، التى زادها العلم المحسوس قوة بدل أن يطفىء جذوتها ..

وإذا كانت التجربة أكبر أستاذ فإن تجربة قرنين مريرين فى ظلام الإلحاد ، كفيلة بأن تسرع بالناس إلى الفطرة الطبيعية المؤمنة ، وإذ ذاك يحمدون الله على النجاة ، كما يحمده من يستيقظ من كابوس مرعب تملأه المزعجات ، ليجد نفسه نائماً على فراشه بعيداً عما كان يتهدده فى نومه الثقيل ...

الصوم عن الغير

فى الفقه الإسلامى ٢

د. حسين محمد قنديل

ادلة الرأى الثانى :

١ ـ عن عروة عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : من مات وعليه صيام صام عنه وليه [٣٦] .

دل الحديث على أنه يصوم الولى عن الميت إذا مات وعليه صوم ، أى صوم كان . [٣٧]

٢ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « جاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : نعم ، فدين الله أحق أن يقضى » [٣٨] ، دل الحديث على جواز صوم الولى عن الميت [٣٩] .

٣ ـ عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه ـ رضى الله عنه ـ قال : بَيْنَا أَنَا جالس عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أتته امرأة فقالت : إنى تصدقت على أمى بجارية وإنها ماتت . قال ، فقال : وجب أجرك وردها عليك الميراث قالت : يارسول الله ، إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال صومى عنها . قالت : إنها لم تحج ؟ افأحج عنها قال حجى عنها . [٤٠] .

دل الحديث على جواز صوم الولى عن الميت وإن لم يوص بذلك [٤١] .

علق ابن حجر على الأمر الوارد بالصيام فى الأحاديث السابقة فقال ـ بعد أن ذكر « صام عنه وليه » : (خبر بمعنى الأمر ، تقديره : فليصم عنه وليه ، وليس هذا الأمر للوجوب عند الجمهور ، وبالغ إمام الحرمين ومن تبعه فادعوا الإجماع على ذلك ، وفيه نظر ؛ لأن بعض أهل الظاهر أوجبه فلعله لم يعتد بخلافهم على قاعدته) [٤٢] .

٤ ـ ولأن الصوم عبادة تجب بإفسادها

(٣٦) صحيح مسلم مع شرح النووى ٢٣/٧ .
(٣٧) نيل الأوطار ٢٣٦/٤ .
(٣٨) فتح البارى ١٩٢/٤ .
(٣٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٦/٧ .
(٤٠) المرجع السابق .
(٤١) نيل الأوطار ٢٣٧/٤ .
(٤٢) فتح البارى ١٩٣/٤ .

الكفارة فجاز أن يقضى عنه بعد الموت كالحج (٤٣) .

الرأى الثالث : (٤٤)

يرى الظاهرية ، وأبو ثور ، وأبو سليمان وغيرهم : أن من مات وعليه صوم فرض من قضاء رمضان ، أو نذر ، أو كفارة واجبة ، فَفَرْضٌ على أوليائه أن يصوموه عنه هم أو بعضهم ؛ ولا إطعام فى ذلك أصلاً ، أوصى به أو لم يوص به ، فإن لم يكن له ولى استؤجر عنه من رأس ماله من يصومه عنه ، ولابد أوصى بكل ذلك أو لم يوص ، وهو مقدم على ديون الناس .

أدلة الظاهرية ومن معهم على أن الصوم عن الميت فرض

١ ـ قوله تعالى : (٤٥) ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ . دلت الآية بعمومها على أن الدين أياً كان نوعه يقضى ، والصيام الذى على الميت دين : فيلزم الورثة قضاؤه عنه بالصيام .

٢ ـ ذكر ابن حزم حديث عائشة وابن عباس وعبدالله بن بريدة السابق فى أدلة الرأى الثانى ثم قال : (٤٦) هذه السنن المتواترة المتظاهرة التى لايحل خلافها تدل على أن من مات وعليه صوم ففرض على أوليائه أن يصوموا عنه ، أو يستأجروا من يصوم عنه) .

٣ ـ واستدل ابن حزم على مذهبه بالمعقول فقال : (٤٧) (وكلهم يقول : يحج عن الميت إن أوصى بذلك ، ثم لا يرون أن يصام عنه وإن أوصى بذلك ، وكلاهما عمل بدن ، وللمال فى إصلاح ما فسد منهما مدخل بالهدى ، وبالإطعام ، وبالعتق) .

الرأى الرابع :(٤٨)

قال ابن عباس ، وأحمد ، واسحق ، والليث ، وأبو عبيد : يصام عنه صوم النذر ، ويطعم عن صوم رمضان .

ادلـــته :

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم نذر ، افأصوم عنها ؟ قال ارأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟ قالت : نعم ، قال : فصومى عن أمك (٤٩) .

دل الحديث على أن من مات ، وعليه صوم نذر يصوم عنه وليه .

٢ ـ حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ السابق والذى جاء فيه : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » . متفق عليه (٥٠) .

حمل الحنابلة ، ومن معهم ، حديث عائشة

(٤٣) المجموع ٦/٣٦٧ .
(٤٤) انظر : المحلى ٧/٢ .
(٤٥) الآية ١٢ من سورة النساء .
(٤٦) المحلى ٧/٢ .
(٤٧) المحلى ٧/٣ .
(٤٨) انظر : المغنى ٣/١٤٣ ، صحيح مسلم بشرح النووى ٧/٢٦ .
(٤٩) صحيح مسلم مع شرح النووى ٧/٢٤ ـ ٢٥ .
(٥٠) مشكاة المصابيح ١/٦٣١ .

الصـــوم عـن الغيـــر

على صوم النذر ؛ لأنه قد ورد النهى فى حديث ابن عباس من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أن يصلى أحد عن أحد ، أو يصوم أحد عن أحد ، وقالوا : وفقنا بين هذين النصين بحمل النهى على النيابة فى صوم الفرض ، وحملنا الإذن فى النيابة على صوم النذر .

وقـال الشوكـانى : (٥١) حديث عـائشة (مطلق) ، وحديث ابن عباس الوارد بجواز قضاء صوم النذر عن الميت (مقيد) فيحمل عليه ، ويكون المراد بالصيام صيام النذر .

٣ ـ وقد قوى ابن القيم مذهب الحنابلة فقال : (٥٢) النذر ليس واجباً بأصل الشرع ، وإنما أوجبه العبد على نفسه ، فصار بمنزلة الدين الذى استدانه ، ولهذا شبهه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالدين فى حديث ابن عباس ، والمسئول عنه فيه : أنه كان صوم نذر .

والدين تدخله النيابة ، وأما الصوم فلا تدخله النيابة بحال ، كما لا تدخل الصلاة والشهادتين ، فإن المقصود منها طاعة العبد بنفسه ، وقيامه بحق العبودية التى خلق لها ، وأُمِرَ بها ، وهذا أمر لا يؤديه عنه غيره ، كما لا يسلم عنه غيره ، ولا يصلى عنه .

وسر الفرق : أن النذر التزام المكلف لما شغل به ذمته ، لا أن الشارع ألزمه به ابتداء ، فهو أخف حكماً مما جعله الشارع حقاً له عليه ، شاء أم أبى ، والذمة تسع المقدور عليه ، والمعجوز عنه ؛ ولهذا تقبل أن يشغلها المكلف بما لا قدرة له عليه ، بخلاف واجبات الشرع ؛ فإنها على قدر طاقة البدن ، لا تجب على عاجز .

وعلى هذا لا يلزم من دخول النيابة فى واجب النذر بعد الموت ، دخولها فى واجب الشرع .

يتلخص ما سبق فى أن النيابة تدخل فى العبادة بحسب خفتها ، والنذر أخف حكماً من الواجب بأصل الشرع لإيجابه من نفسه . (٥٣) .

مناقشة الأدلــة

أولاً : مناقشة أدلة الرأى الأول :

١ ـ نوقش دليل الجمهور الأول وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ بأنه لا يدل على ما وجه به ؛ لأن الحج عن الغير ليس من سعى النائب ؛ وإنما هو من سعى المنوب عنه من حيث النفقة والأجر ؛ لأن نية العمل تعود عليه وليس على النائب .

ولم يوجد فى الآية ما يدل على أن له من سعى غيره عنه ، والصوم عنه من جملة ذلك . ومما يبين تناقض الجمهور فى استدلالهم بهذه الآية : أنهم يجيزون الحج عن الميت ، ولم يعتبروا هذا من سعى الغير عنه . فإن قالوا : إنما يحج عنه إذا أوصى بذلك ؛ لأنه داخل فيما سعى . قلنا لهم ، قولوا بأن يصام عنه كما إذا أوصى بذلك ؛ لأنه داخل فيما سعى . فإن قالوا : للمال فى الحج مدخل فى جبر ما نقص منه . قلنا : وللمال فى الصوم مدخل فى جبر ما نقص منه بالعتق والإطعام .(٥٤) .

---

(٥١) انظر : نيل الأوطار ٢٣٧/٤ .
(٥٢) انظر : تهذيب معالم السنن لابن القيم ٢٨٢/٣ . مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧١هـ .
(٥٣) انظر : كشاف القناع ٣٣٥/٢ . عالم الكتب .
(٥٤) انظر : المحلى ٤/٧ .

٢ ـ ونوقش الدليل الثانى بأنه لا يصلح للاحتجاج ؛ لأن الأعمال المذكورة فى الحديث ليست من سعى الغير ، وإنما هى من سعى الإنسان وعمله أو هى آثار عمله ، يقول ابن كثير ـ (٥٥) بعد أن ساق حديث « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده ، أو علم ينتفع به » . يقول : [فهذه الثلاث فى الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله ، كما جاء فى الحديث : « إن أطيب ماأكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه » ، رواه أبو داود والدارمى ، وعند ابن ماجه بإسناد صحيح (٥٦) : (إن أطيب ماأكلتم من كسبكم ، وإن أولادكم من كسبكم) . والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه ، والعلم الذى نشره فى الناس فاقتدى به الناس بعده . هو أيضاً من سعيه وعمله ؛ وثبت فى الصحيح « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شىء »] .

ونوقش الحديث أيضاً بأنه : لا يوجد فيه ما يدل على انقطاع عمل غير الميت عنه ، وعلى هذا فصيام الولى عن الميت جائز ، ومقبول بدلالة الحديث نفسه (٥٧) .

٣ ـ ونوقش قول ابن عمر بأنه يعارض ما ثبتت صحته عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من رواية عائشة ، وابن عباس ، وبريدة . فيعمل بما ثبت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيره (٥٨) .

٤ ـ ونوقش حديث ابن عباس بأنه رأى له وفتوى أفتى بها ، وهذا يخالف ما رواه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثبتت صحته ، والراجح أن المعتبر ما رواه لا ما رآه لاحتمال أن يخالف ذلك لاجتهاده ، ومستنده فيه لم يتحقق ، ولا يلزم من ذلك ضعف الحديث عنده ، وإذا تحققت صحة الحديث لم يُتْرَكِ المحقق للمظنون ، والمسألة مشهورة فى الأصول . (٥٩).

٥ ـ ونوقش ما روى عن عائشة فى الدليل الخامس والسادس ، وابن عباس فى الدليل الرابع بأن عائشة وابن عباس رويا الخبر وتركاه فقول فاسد لوجوه (٦٠) .

احدها : انه لا يجوز ما قالوا ، لأن الله تعالى إنما افترض علينا اتباع رواية الصاحب عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يفترض علينا قط اتباع رأى أحدهم .

والثانى : انه قد يترك الصاحب اتباع ما روى لوجوه غير تعمد المعصية ، وهى أن يتأول فيما روى تأويلاً ما ، اجتهد فيه فأخطأ فأجر مرة ، أو أن يكون نسى ماروى فأفتى بخلافه ، أو أن تكون الرواية عنه بخلافه وهما ممن روى ذلك عن الصاحب ، فإن كل ذلك ممكن فلا يحل ترك ماافترض علينا اتباعه من سنن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما لم يأمرنا باتباعه لو لم يكن فيه هذه العلل ، فكيف وكلها ممكن فيه ؟ ولا معنى لقول من قال : هذا دليل على نسخ الخبر ؛ لأنه يعارض بأن يقال : كون ذلك الخبر عند ذلك الصاحب دليل على ضعف الرواية عنه بخلافه ، أو لَعَلَّهُ قد رجع عن ذلك .

(٥٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٦٢/٦ . دار الأندلس بيروت ـ سنة ١٣٨٥هـ .
(٥٦) مشكاة المصابيح ٨٤٤/٢ .
(٥٧) انظر : المحلى ٤/٧ .
(٥٨) انظر : المرجع السابق .
(٥٩) انظر : فتح البارى ١٩٤/٤ .
(٦٠) انظر : المحلى ٥/٧ ـ ٦ .

الصــوم عــن الغيــر

والثالث : أنهم إنما يحتجون بهذه الجملة إذا وافقت تقليدهم ، وأما إذا خالف قول الصاحب رأى أحد منهم فأهون شىء عندهم اطراح رأى الصاحب والتعلق بروايته ، وهذا فعل يدل على رقة الدين وقلة الورع .

والرابع : يمكن أن نقول : لعل الذى روى عن عائشة فيه الإطعام كان لم يصح حتى ماتت فلا صوم عليها .

والخامس : أنه قد روى عن ابن عباس الفتيا بما روى من الصوم عن الميت كما سبق ، فصح أنه قد نسى ، أو غير ذلك مما هو فى علم الله .

وهناك وجه آخر للرد على الاستدلال بما روى عن عائشة وابن عباس ، وهو أن الآثار المذكورة عن عائشة وابن عباس فيها مقال ، وليس فيها ما يمنع الصيام إلا الأثر الذى عن عائشة وهو ضعيف جداً [٦١] .

٦ ـ ونوقش دليل الجمهور السابع بأن الاستدلال بحديث عبادة بن نسى مردود لعلل ثلاث فيه : [٦٢]

الأولى : أنه مرسل . **والثانية** : أن فيه الحجاج بن أرطاة وهو ساقط .

والثالثة : أن فيه إبراهيم بن أبى يحيى وهو كذاب .

وعلى فرض صحة الحديث ، فهو دليل عليهم لا لهم ؛ لأن فيه إيجاب الإطعام عنه إن صح بعد أن مرض ، والحنفيون والمالكيون لا يقولون بذلك إلا أن يوصى بذلك ، وإلا فلا ..

٧ ـ ويمكن أن يناقش القياس بما يأتى :

أ ـ قياس الصيام على الصلاة مردود ؛ لأن الصلاة تدخلها النيابة ، فينبغى أن يكون الصيام كذلك .

يحقق هذا ماقاله ابن حزم [٦٣] : يصلى عنه النذر ، وصلاة فرض إن نسيها أو نام عنها ولم يصلها حتى مات ، فهذا داخل تحت قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « فدين الله أحق أن يقضى » ، والعجب أنهم كلهم أجمعوا على أن تصلى الركعتان إثر الطواف عن الميت الذى يحج عنه ، وهذا تناقض منهم لاخفاء به .

ب ـ وقولهم « الصيام عبادة بَدَنِيَّة لا مدخل للمال فيها » ، أيضاً مردود ، لأن للمال مدخلا فى جبر ما نقص من الصوم بالعتق والإطعام ، وهو فى هذا يختلف عن الصلاة ، فلا يصح قياسه عليها .

ثانياً : **مناقشة ادلة الرأى الثانى** :

ناقش المخالفون للمذهب الثانى أدلتهم بما يأتى :

١ ـ المراد بالصيام عن الميت فى حديث عائشة : صيام النذر دون غيره ، وهذا المعنى يزيل التعارض بين حديثى عائشة وابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أى أن حديث عائشة مطلق ، وحديث ابن عباس مقيد ، فيحمل عليه . [٦٤] .

واجيب عن هذا بانه لا يوجد تعارض بين الحديثين حتى يجمع بينهما ، فحديث ابن عباس

(٦١) انظر : فتح البارى ٤/١٩٤ .
(٦٢) انظر : المحلى ٧/٤ ـ ٥ .
(٦٣) انظر : المحلى ٧/٨ .
(٦٤) انظر : نيل الأوطار ٤/٢٧٣ .

صورة مستقلة ـ أى أنه من التنصيص على بعض أفراد العلم ، فلا يصلح لتخصيصه ولا لتقييده ، كما تقرر فى الأصول ـ سأل عنها من وقعت له ـ وأما حديث عائشة فهو تقرير قاعدة عامة ، وقد وقعت الإشارة فى حديث ابن عباس إلى نحو هذا العموم حيث قيل فى آخره « فدين الله أحق أن يقضى » . (٦٥)

ونوقش حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ من جهة ثانية بأنه ـ إن صح ـ يتأول على أن المراد : الإطعام ، أى يفعل عنه ما يقوم مقام الصيام وهو الإطعام ، وهو نظير قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « التراب وضوء المسلم إذا لم يجد الماء ». علق الماوردى على الحديث فقال : (سمى المبدل باسم البدل فكذلك هنا) (٦٦) .

وأجيب عن قولهم : (إن صح يتأول على أن المراد الإطعام) : بأن حديث عائشة رواه البخارى ومسلم ، وقال البيهقى أيضاً فى (معرفة السنن والآثار) : قد ثبت جواز قضاء الصوم عن الميت من رواية عائشة (٦٧) .

وأجيب عن قولهم : (سمى البدل باسم المبدل) : بأنه صرف للفظ عن ظاهره بغير دليل .(٦٨) .

٢ ـ ونوقش حديث ابن عباس بما يأتى :

أ ـ ضعف بعض الشافعية حديث ابن عباس بما روى عن بريدة بن زريع عن حجاج الأحول عن أيوب بن موسى عن عطاء عن ابن عباس قال : « لا يصوم أحد عن أحد ويطعم عنه » ، وفى رواية عن ابن عباس أنه (فى صيام رمضان يطعم عنه وفى النذر يصوم عنه وليه)(٦٩) .

وأجيب عن هذا بأنه لا يوجد فيما ذكروا مايوجب ضعف الحديث فى الصيام عنه ؛ لأن من يجوز الصيام عن الميت يجوز الإطعام عنه(٧٠) .

وعارض النووى ما قاله بعض الشافعية فقال(٧١) : الصواب الجزم بجواز صوم الولى عن الميت سواء صوم رمضان والنذر وغيره من الصوم الواجب للأحاديث الصحيحة السابقة ، ولا معارض لها ، ويتعين أن يكون هذا مذهب الشافعى ؛ لأنه قال : إذا صح الحديث فهو مذهبى واتركوا قولى المخالف له ، وقد صحت فى المسألة أحاديث كما سبق ، والشافعى إنما وقف على حديث ابن عباس من بعض طرقه كما سبق ، ولو وقف على جميع طرقه ، وعلى حديث بريدة ، وحديث عائشة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يخالف ذلك ـ كما قال البيهقى من أن « الأحاديث المرفوعة أصح إسناداً وأشهر رجالا وقد أودعها صاحبا الصحيحين كتابيهما ، ولو وقف الشافعى على جميع طرقها ونظائرها لم يخالفها » ـ لأن كل هذه الأحاديث صحيحة صريحة فيتعين العمل بها لعدم المعارض لها .

(ب) ادعى البعض أن حديث ابن عباس مضطرب لاختلاف المسئول عنه والسائل(٧٢) .

وأجيب عن هذا : بأن حديث عائشة لا اضطراب فيه ، وأما حديث ابن عباس فإن الاضطراب فيه ليس مسلما ؛ لأن السؤال وقع عن نذر ، فمنهم من فسره بالصوم ، ومنهم من فسره بالحج ، والذى يظهر أنهما قصتان ،

(٦٥) انظر : فتح البارى ١٩٣/٤ ـ ١٩٤ .
(٦٦) انظر : المجموع ٣٦٩/٦ ، فتح البارى ١٩٤/٤ .
(٦٧) انظر : المجموع ٣٧٠/٦ .
(٦٨) انظر : فتح البارى ١٩٤/٤ .
(٦٩) انظر : المجموع ٣٧٠/٦ .
(٧٠) انظر : فتح البارى ١٩٤/٤ ـ ١٩٥ .
(٧١) انظر : المجموع ٣٧٠/٦ .
(٧٢) انظر عون البارى ١٣٦/٣

الصـوم عـن الغيـر

ويؤيده أن السائلة فى نذر الصوم (خثعمية) كما فى رواية أبى حريز المعلقة ، والسائلة عن نذر الحج (جهنية) كما تقدم فى موضعه ، وقد ثبت فى أواخر الحج أن مسلما روى من حديث بريدة أن امرأة سألت عن الحج وعن الصوم معا . وأما الاختلاف فى كون السائل رجلًا أو امرأة والمسئول عنه أختا أو أما ، فلا يقدح فى موضع الاستدلال من الحديث ، لأن الغرض منه مشروعية الصوم أو الحج عن الميت ولا اضطراب فى ذلك[٧٣] .

(جـ) ورد الحنفية حديث عائشة وابن عباس لأن فتواهما تخالف ما روياه ، وفتوى الراوى على خلاف مرويه بمنزلة روايته للناسخ ، ونسخ الحكم يدل على إخراج المناط عن الاعتبار[٧٤] .

وأجيب عن هذا : بما سبق أن ذكرناه عند مناقشة حديث ابن عباس فى أدلة الرأى الأول ، ويزيد على ذلك ما قاله صاحب (عون البارى) بعد أن ذكر الاعتراض السابق[٧٥] : (والحق أن الاعتبار بما رواه الصحابى لا بما رآه ، والكلام مبسوط فى الأصول ، والذى روى مرفوعا صريح فى الرد على المانعين) .

٣ ـ ونوقش حديث بريدة بأن بعض الروايات جاء فيها أنها قالت : (كان عليها صوم شهرين)[٧٦] ، والتردد بين الشهرين والشهر يجعل الحديث مضطربا ، وأيضا يمكن تأويل الحديث بأنه : تطعم عنها ابنتها . ويمكن أن يجاب عن هذا بما أجيب به عن دعوى اضطراب حديث ابن عباس . وأما عن التأويل ، فهو ضعيف بل باطل وأى ضرورة إليه ، وأى مانع يمنع من العمل بظاهره مع تظاهر الأحاديث مع عدم المعارض لها[٧٧] .

٤ ـ ونوقش القياس بأنه باطل ، لوجود الفرق بينهما ، إذ أن الحج تدخله النيابة فى الحياة فى حالة العجز ، ولا تدخل الصوم النيابة فى الحياة بلا خلاف[٧٨] .

يتبع بالجزء الاخير

---

(٧٣) انظر فتح البارى ٤/١٩٤ـ ١٩٥

(٧٤) انظر عون البارى ٣/٤٣٥ .

(٧٥) انظر عون البارى ٣/٤٣٦

(٧٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٧/٢٥ ـ ٢٦

(٧٧) انظر المرجع السابق

(٧٨) انظر المجموع ٦/٣٦٩

نظرات في الفقه الأباضى

رأى يعالج مشكلة لنا حاضرة

للشيخ محمد حسام الدين

اعتصم المذهب الاباضى بعمان فى أواخر العهد الاموى ، وصدر الدولة العباسية .

وكان ابناؤها يرحلون فى طلب العلم إلى البصرة فيتلقون عن تلاميذ جابر بن زيد شيخ المذهب ، ويعودون إلى بلادهم معلمين .

وغدت عمان منذ ذلك الوقت دار علم ، ومطمأنا ، وموطنا لهم .

وقد نشأت بها مدرستان كبيرتان إحداهما فى « نزوى » والثانية فى « الرستاق » : مدينتين بها . تخرج فيهما عدد كبير من العلماء على تتابع الأجيال .

وكذلك كان للأباضية مدارس فى شمال افريقيا انجبت عددا من العلماء . ونحن إذا نظرنا إلى المذهب الأباضى اليوم ، وجدنا له فصائل من اتباعه تقيم بالأردن ، والعراق ، والإمارات العربية ، واليمن ، وحضر موت ، وكذلك فى زنجبار ، وأفريقيا الشرقية ، والوسطى ، وفى شمال افريقيا : ليبيا وتونس ، والجزائر .

أما الموطن الرئيسى للمذهب فهو فى عمان .

وفى الحق أن اتباع هذا المذهب واجهوا ـ فيما مضى ـ ضغوطا سياسية واجتماعية وابتلاء شديدا فى كل موقع ، ومع هذا فقد بقيت فصائله على ثباتها ، وتمسكها أمام مُخْتَلِفِ الظروف ، فلم تفقد صلابتها ، ولم يؤثر فيها مناخ الكثرة الكاثرة من حولها ، من أبناء مذاهب أهل السنة ، أو المذاهب الأخرى .

ولم تفقد هذه الفصائل خصائص مذهبها ، ولم تمحقها العوامل فتذوب فى المجتمعات حَوْلَها ولم تتأثر بالغواشى التى غشيت العالم الإسلامى مؤخرا ، وما نشهد من تيارات فكرية واجتماعية خطيرة تزلزل الأقدام .

والرأى عندى أن هذه المتانة التى اتسمت بها هذه الفصائل ترجع إلى مبادىء عقدية ، وفقهية يختص بها هذا المذهب ومن بينها : حكم فقهى يحرم على المجتهد أن ينصرف عن الرأى الذى يرى أنه أقرب إلى العدل ـ أى إلى الصواب وقوة الدليل ـ ليتجه إلى الرأى الذى يرى أنه أضعف فى الحجة .

ولا يستثنى من هذه القاعدة إلا أن يكون فى الرأى الأهزل فى نظره نوع زهد وورع ، وفى الرأى الراجح ترك لهذا التنزه والورع .

♦ نظرات فى الفقه الأباضـى

أما الضعيف ـ وهو من لاقدرة له على الاجتهاد ، ولا استطاعة له على ترجيح الأقوال ، فإنه إذا اراد أن يقوم بعمل يختلف الفقهاء فى حكمه ، وجب عليه أن يشاور من قدر على مشورته من العلماء والفقهاء ، استعانة بهم لطلب الرأى الأعدل ، ولا يجوز له أن يأخذ بقول مفضول مع وجود الفاضل وفى مكنته أن يسأله عنه .

قال السالمى [١] : « يحرم على المجتهد العدول عن الرأى الذى يرى أنه هو الأقرب إلى العدل للأدلة التى عنده عليه ، والأخذ بالرأى الذى يرى أنه أبعد عن الصواب لمخالفته للأدلة التى عنده ، لأن الله « عز وجل » كلف كل واحد منا أن يأخذ عند الحاجة إلى الأخذ بما ادى إليه اجتهاده ، فهو فرض فى حقه ، والعدول إلى غيره عدول عن فرضه) ..

(واستثنى بعضهم من هذا الرأى ، ما إذا كان فى الرأى الذى يرى أنه الأهزل فى نظره نوع زهد وتنزه ، وفى الرأى الذى يرى أنه الأرجح والأعدل ترك لذلك التنزه والورع ، فها هنا يجوز له أن يترك ما يرى أنه الأعدل فيأخذ بما فى نظره أنه الأهزَلُ)[٢] ..

وقال : (اختلف العلماء فى الضعيف الذى لاقدرة له على الاجتهاد ، ولا استطاعة له على ترجيح الأقوال وقد أراد أن يعمل بشىء من الأشياء التى قد اختلف العلماء فى حكمها .

فذهب بعضهم إلى أن لهذا الضعيف أن يأخذ بأى قول شاء من تلك الأقوال الموجودة فى مسألته ، ولا يلزمه فى كل قضية أن يستعين بالفقيه الحاضر ..

وذهب آخرون إلى أنه يجب على هذا الضعيف إذا شاء العمل بما يختلف فيه ، أن يشاور من قدر على مشورته من الفقهاء ، وأن يستعينه فى طلب الأعدل من الأقوال ، والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[٣] .

لأن الاستنباط لايكون إلا من الفقهاء العلماء به ، وقد أمر الضعفاء برد الأمر فيه إليهم والأخذ فيه بقولهم ، فهم الحجة فيه لهم وعليهم ..

اقول[٤] : وهذا المذهب أقوى دليلا ، وأقوم سبيلا من الذى قبله لهذه الأدلة ، ولما فى مشورة العالم من إمكان الاطلاع على دليل القول الذى يرشده عليه ، ويأمره بالأخذ به ، فيكون مع ذلك اخذا بالدليل الذى سمعه ، فَيُنَزَّلُ فى وجوب المشاورة للعالم عند وجوده منزلة القادر على الاجتهاد .

ولا يخفى أن حكم من كان مجتهدا ، ولم يطلع على الأدلة فى شىء من الأحكام أن يكون حكمه حكم الضعيف ، لأنه فى ذلك الحكم ضعيف ايضا ، بناء على القول بتجزئة الاجتهاد ، وهو مذهب الإمام الكومى « رضى الله عنه »[٥] .

وقال أيضا[٦] : (يلزم ـ المجتهد ـ أن ينظر فى أقوى الأمارات ، ويأخذ بمقتضى أرجحها ، فإن تعارضت معه الأدلة ، ولم يمكنه الترجيح وجب عليه الوقوف ، ويلتمس الأرجح إن رجا حصوله ، فإن غلب فى ظنه عدم وجود الأرجح

---

(١) بهجة الأنوار ـ ص ٣٥ .
(٢) بهجة الأنوار ـ ص ٣٦ .
(٣) الآية ٨٣ من سورة النساء .
(٤) أى : يقول السالمى .
(٥) المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .
(٦) شرح طلعة الشمس جـ ٢ ص ٢٨٦ .

فقيل يطرحها جميعا ، ويرجع فى تلك الحادثة إلى حكم العقل .. والصحيح أنه يكون فى تلك القضية بمنزلة الجاهل فيجب عليه إذا شاء العمل أن يأخذ بقول غيره فيها ، كما يجب ذلك على الضعيف) .

وقال : «واعلم أنه يجب على المقلد البحث عن حال المفتى فى الصلاحية للفتوى ، وهل هو جامع للاجتهاد والعدالة .. أم لا ؟ .. وقيل : لايلزمه ذلك إذ لاطريق له إلى تحقيقه ، كما لا يلزمه البحث عن وجه الحكم» ..

ورد بأنه إن لم يبحث عن حال المفتى لا يأمن فسقه تصريحا أو تأويلا ، أو جهله بعلوم الاجتهاد ، أو بعضها ، فلا يصلح للفتوى فيكون تقليده إقداما على ما لا يؤمن قبحه ، ويكفيه فى ذلك سؤال من يثق بخبره ويثمر الظن ، ويكفيه أيضا أن يرى استفتاء الناس إياه معظمين له آخذين بقوله . قال صاحب المنهاج : إذا كان فى بلد شوكته لأهل الحق الذين لايسكتون على منكر ، وإلا لم يأمن مع استفتاء الناس إياه كونه غير صالح والله أعلم[٧] .

وجاء فى كتاب (بيان الشرع) :[٨] قال أبو سعيد : فى العالم (أى المجتهد) إذا أفتى بشىء يعلم الأصل فيه ، فزلت لسانه فى فُتْيَاه ، فخالف الحق ، فإنه لايسع المُفْتَى - بفتح التاء - أن يعمل بما أفتاه (أى العالم) من الباطل ، ولو لم يعلم أنه باطل ، فإن مات وهو على ذلك الباطل الذى يخالف الكتاب والسنة والإجماع فهو هالك ، ولا إثم على العالم فى ذلك .

وأما إذا كان المُفْتِى (بكسر التاء أى المجتهد) لا يعرف الأصل فتحرى من فُتْيَاه الصواب ، وأفتى فخالف الكتاب والسنة والاجماع فالمُفْتِىَ - بكسر التاء - والمُفْتَى - بفتح التاء مع الألف المقصورة - هالكان كلاهما ..

وإن وافق الحق من قول المسلمين مما يجوز فيه الرأى ، فالمُفْتَى - بفتح التاء مع الألف المقصورة - سالم إذا وافق الحق ، وأما المفتى - بكسر التاء - فقد قيل فيه بالخلاف ، فبعض عذره لأنه وافق الحق وبعض لم يعذره لأنه تكلم فى الاسلام بغير علم ، وقد قال الله فى تعداد المحرمات : ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٩] ..

قيل له : فإن حسن فى عقله (أى عقل المستفتى) خلاف ما يُفْتَى - بفتح التاء - به ، وهو إلى الحق أقرب ، إلا أنه باطل فى الأصل .. هل عليه أن يعمل بما حسن فى عقله ، ويدع الفُتْيَا ، إذا لم يحسن فى عقله غير هذا ؟ قال : ليس له أن يعمل بالباطل على أى حال .. سواء اعتمد على حجة عقل ، أو قول معبر» أ هـ .

ومجمل القول أن الأباضية يوجبون على المفتى - أى المجتهد - أن يتحرى الرأى الأعدل أى الأقوى ، وأن لا يعدل عنه إلى الأهزل أى الأضعف إلا إذا كان فى هذا الرأى جانب زهد وورع .

ويجعلون المجتهد بمنزلة الضعيف المستفتى ، إذا لم يطلع على الأدلة الشرعية من كتاب وسنة وإجماع ، أو إذا عجز عن النظر فيها مباشرة فيما يخص هذه المسألة بذاتها ، وذلك تبعا للقول بتجزئة الاجتهاد .

ومنعوا على هذا العالم أن يقول فيها برأيه ، أو أن يعمل فيها القياس ، أو يسلك إليها مسالك الاستدلال بالقواعد إذا عجز عن الاستنباط من الأدلة الشرعية الأصلية .

(٧) شرح طلعة الشمس جـ ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٨) للشيخ محمد بن إبراهيم الكندى من علماء القرن الرابع .

(٩) الآية ١٦٩ من سورة البقرة .

نظرات فى الفقه الأباضى

ومن ثم فقد أنزلوه منزلة الضعيف ، وأوجبوا عليه وعلى المستفتى أن يبحث عن الأرجح والأعدل من الفقهاء ، فإن أخذ برأى الأضعف ، أو المخالف لجمهرة العلماء كان هالكا .

أما أهل السنة فإنهم فى جمهرة علمائهم يجيزون الأخذ برأى المفضول مع وجود الأفضل .

قال فى شرح جمع الجوامع(١٠) : يجوز تقليد المفضول من المجتهدين ، وفيه أقوال :

احدها : ورجحه ابن الحاجب : يجوز لوقوعه فى زمن الصحابة وغيرهم مشتهرا متكرراً من غير إنكار .

ثانيها : لا يجوز . لأن أقوال المجتهدين فى حق المقلد كالأدلة فى حق المجتهد ، فكما يجب الأخذ بالراجح من الأدلة يجب الأخذ بالراجح من الأقوال والراجح منها قول الفاضل ، ويعرفه العامى بالتسامع وغيره .

ثالثها المختار : يجوز لمعتقده فاضلا غيره ، أو مساويا ، بخلاف من اعتقده مفضولا كالواقع(١١) ـ جمعا بين الدليلين المذكورين بهذا التفصيل . ومن ثم لم يجب البحث عن الأرجح من المجتهدين لعدم تعيُّنه ، بخلاف من منع مطلقا .

فإن اعتقد العامى رجحان واحد منهم تعين لأن يقلده وإن كان مرجوحا فى الواقع عملا . والراجح علما فوق الراجح ورعا فى الأصح لأن لزيادة العلم تأثيرا فى الاجتهاد بخلاف زيادة الورع ، وقيل بالعكس ، لأن لزيادة الورع تأثيراً فى التثبت فى الاجتهاد وغيره بخلاف زيادة العلم ، ويحتمل التساوى لأن لكل مرجحا . أ هـ .

هذا : وقد فشت بيننا اليوم ظواهر خطيرة تتمثل ـ اجمالا ـ فى الجرأة على القول فى الدين دون تثبت أو خوف وحذر .

فقد نبتت فينا نابتة لم تتأهل للنظر فى الأحكام بل ، ولم تتأهل للأخذ من كتب الفقهاء .

ومع هذا فإن هذه النابتة تصدر القول فى الدين على غير روية ، وتتلمس شديد الرأى من هنا أو هناك ، وترمى المجتمع الإسلامى بالضعف أو المروق .

وقد نرى فى أعطاف هؤلاء عاطفة إصلاحية ، لكنهم بالتأكيد يخطئون الطريق .

ولدينا فى مقابل هذه الظاهرة ظاهرة أخرى أسوأ ، وهى ما يمكن أن نطلق عليها ظاهرة التجديد .

وليس المراد بالتجديد هناك بعث الأمة ، وإيقاظها لتستأنف صالح مسيرتها من جديد ، أو لتضع أساسا لعمل علمى واضح .

على مثل ما فعل عمر بن عبد العزيز ، أو الشافعى ، أو ابن دقيق العيد .

ولكن المراد بالتجديد هنا هو التغيير قصدا إلى مواكبة العصر على مايدعون .

ولقد نعلم أن هذه الظاهرة بدأت بالهند عندما خضعت للسيطرة الغربية ، وأراد الغربيون ضرب المجتمع الإسلامى ، وتنحيته عن مركز القيادة هناك ـ وهو ما حدث بالفعل ـ .

ثم انتقلت هذه الظاهرة إلى مصر مباشرة ، على بعد المسافة بينها وبين الهند ، ثم تجاوبت

---

(١٠) الجلال شمس الدين المحلى فى شرحه لجمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب بن السبكى . جـ ٢ ص ٣٩٥ ـ الحلبى ١٩٣٧ .

(١١) قال البنانى فى الحاشية «قوله كالواقع» بدل من مفضولا ، أو نعت له ، أو مفعول مطلق .

أصداؤها فى أرجاء المجتمعات الإسلامية .

وقد وقف إلى جانب هذه الظاهرة حشود كثيرة ممن تأثروا بالثقافات والتيارات الغربية ، إلى جانب آخرين ممن يغريهم هذا الشعار .

وأنك لو رجعت إلى دائرة من دوائر المعارف الغربية : دائرة المعارف البريطانية - فى أى إصدار لها - أو دائرة المعارف الأمريكية ، أو دائرة المعارف الإسلامية - الصادرة عن «ليدن» بهولندا - أو راجعت كتابا من كتب المستشرقين أمثال كتب : «جولد تسيهر» ، أو «جوليوم» أو «هنرى ماسيه» ، أو غير هؤلاء ، لوجدت هذه المراجع فى حديثها عن الشريعة الإسلامية تفرد فصلاً لهذا التجديد : تحبذه وتدعو إليه ، وتعيب من يقفون عقبة فى سبيله .

ولعله من الواضح أن هؤلاء القوم يستهدفون مصالحهم بأكثر مما يبتغون وجه الله ، أو صادق العلم .

ومما يذكر أن الدعوة إلى التجديد فى الشريعة ، واكبتها فى ذات الوقت دعوة أخرى للتجديد فى الأدب العربى ، ليستقى من الأدب الغربى ، ولينفتح على العالم ... !!!! هكذا قيل .

وعلى أثر الدعوة إلى تجديد الأدب العربى نشأت محادة شديدة بين مذهب الأصالة ، وتيار المعاصرة ثم كانت النتيجة هذا المسخ المشوه الذى لا ينتمى إلى عربية ، ولا أعجمية .

وظاهرة جديدة ثالثة فى أيامنا غريبة فى بابها ، وهى ما يمكن أن نسميها ظاهرة النقد لمجرد النقد .

ومن أطرف ما صدر عن هذه الظاهرة أنها تعيب على الإمام أحمد بن حنبل أنه يقدم الحديث الضعيف على القياس .

وكأننا بعثنا اليوم لنصحح للأئمة أصول مذاهبهم الفقهية .. !!

ومن المعلوم أن الإمام أحمد يأخذ بالحديث الضعيف إذا لم يجد فى الباب ما يدفعه ، أى ما يعارضه .

ثم إن الحديث الضعيف عند الإمام أحمد هو ما قابل الصحيح ، بمعنى أنه يشمل الحسن ، والمقبول الذى يستدل به جميع فقهاء أهل السنة بمن فيهم الإمام ابو حنيفة .

فمصطلح الضعيف عند الإمام أحمد لا يعنى المتروك أو الواهى ، أو المنكر .

هذا : فضلاً عن أن الحكم بصحة الحديث ، أو ضعفه إثر بحث السند ليس حكما قطعيا ، لكنه حكم رجح ظنا ، وقد يروى الراوى الضعيف حديثا صحيحا .

والإمام أحمد من جهابذة نقد الأحاديث ومن المقدمين فى المعرفة بها ، وهو أحد أقطاب مدارس الفقه التى تعتمد على الحديث فى مقابلة مدارس الرأى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾(١٢) .

وبعد :

فقد حرم الأباضية على المجتهد أن يعدل عن الدليل الأقوى إلى الدليل الأضعف .

وحرموا على المفتى أن يلجأ إلى الرأى إذا عجز عن النظر فى الدليل والاستنباط منه ، وجعلوه بمنزلة الضعيف .

وأوجبوا عليه وعلى المستفتى أن يشاور من قدر على مشورته من العلماء وأن يأخذ برأى الأعدل - قربا من الدليل - .

وقد كان فى هذا الحكم - مع معتقد وجوب الولاية لأهل الحق - عصمة لمذهبهم وثبات لمجتمعهم .

ولو أخذ الناس من أتباع مذهب أهل السنة بهذا الرأى - وهو موجود فى مذهبنا - ثم وعوه ، واستمسكوا به ، لكان فيه منجاة من هذه الآراء التى شغبت على الأحكام الشرعية وشغبت على المجتمع الإسلامى . ولله عاقبة الأمور .

(١٢) الآية ١٤٨ من سورة البقرة .

القدس

٢

بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

بقلم لواء
أ.ح. د. فوزى محمد طايل

تزايدت « الأطماع الصهيونية » شيئاً فشيئاً منذ عقدت الحركة الصهيونية العالمية مؤتمرها الاول ، فسعت هذه الحركة « العنصرية » منذ نهاية القرن التاسع عشر من اجل الحصول على « وطن قومى » فى فلسطين ، وتمكنت ـ فى غفلة من المسلمين ـ من أن تحصل على حماية دولية لإنشاء ذلكم الوطن ، الذى لم يكن يقصد به بأى حال من الاحوال إنشاء دولة ، ولم يكن من شان ذلك المساس بالأوضاع الدينية أو القانونية لمدينة القدس ..

ويسجل التاريخ المعاصر أن الصهيونية العالمية قد نجحت فى مسعاها ، مستغلة تفكك الأمة الإسلامية ، ووقوع معظم أقطارها تحت السيطرة « الامبريالية » ، **فاعدت « الوكالة اليهودية » مشروعاً لتقسيم فلسطين ، قدم للجمعية العامة للأمم المتحدة ، التى وافقت عليه بقرارها رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ م، متجاوزة بذلك صلاحيتها بموجب ميثاق الأمم المتحدة .**

وعلى الرغم من كون هذا القرار مشكوكاً فى قانونيته ، **فقد اعتبره الزعماء اليهود الذين اعلنوا قيام « الدولة اليهودية » السند القانونى الوحيد لقيام دولتهم ، وهم يعلمون كل العلم ان قرار الأمم المتحدة ينص على أن تكون القدس كياناً مستقلاً** « Corpus Separ-atum » ، وأن أى مساس بوضعها يعد خرقاً للمواثيق الدولية ، وينسف الأساس القانونى لقيام دولة إسرائيل ذاتها ، الأمر الذى يفرض

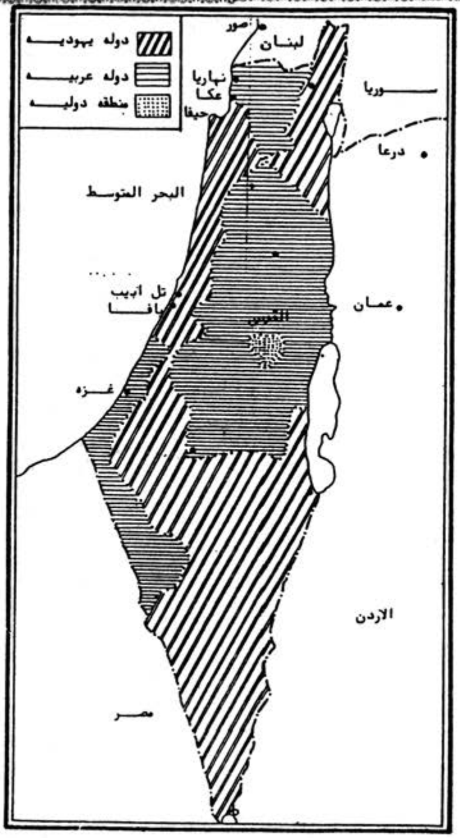

حدود قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين

على كل دول العالم الموقعة على ميثاق الأمم المتحدة ، والتى انضمت إليه التزاماً قانونياً برد الأمور إلى نصابها .

هذا ، ولم تكن « الدولة اليهودية » ، منذ قيامها ، براغبة فى احترام القانون ، أو الالتزام بالمواثيق الدولية ، فسعت من خلال الحركة الصهيونية العالمية ، مستغلة نفوذها ، بل سيطرتها على قطاعات مالية وإعلامية عريضة ، فى أوروبا الغربية ، وأمريكا ، بل ولدى أجهزة ومؤسسات اتخاذ القرار فى هذه البلدان ، وفى بلدان الكتلة السوفيتية .

أقول سعت للتأثير على المواقف الرسمية لحكومات تلكم الدول ، وللتأثير على الرأى العام فى داخل البلدان وتزييفه ، وتم تصوير المشكلة منذ عام ١٩٤٨ على أنها (**مشكلة لاجئين**) ، وعلى أنها (**صراع بين قوميتين هما** : « **القومية العربية** » ، و« **القومية اليهودية** ») ، فتم تداول اصطلاح « الصراع العربى الإسرائيلى » ، فرسخ هذا الاصطلاح فى الأذهان ، وبذا تم التعتيم على عنصرين هامين من عناصر هذه المشكلة هما :

« أرض فلسطين » .

ووضع « القدس » .

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

فبدأ الأمر كما لو كان أمراً لا يمس أحد مقدسات كل المسلمين فى كل بقاع الأرض ..

وقد عملت « الدولة اليهودية » منذ قيامها على تحقيق الأهداف التالية : ـ

- تأمين وجود الدولة والحصول على الاعتراف القانونى الدولى بها .
- تطويع إرادة البلدان العربية المحيطة بها لقبول الكيان الصهيونى ، الذى طرأ على المنطقة ، والتعامل معه كحقيقة واقعة ، وذلك باستخدام القوة المسلحة ، والتحرك الدبلوماسى فى آن واحد .
- تحريك حدود « الدولة اليهودية » إلى أن تتطابق مع « الحدود التاريخية » (انظر الخريطة) أو مع حدود « أرض الميعاد » : « من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » ، وفى أى الحالين تستجلب الدولة إليها الجزء الأكبر من يهود العالم (قرابة ٢٢ مليونا) ، وتتخذ من « القدس الموحدة » عاصمة لها .

هذه الأهداف تعنى ببساطة تهيئة الظروف الدولية التى تسمح بقبول ، أو غض النظر عن ، انتهاكات إسرائيل لمبادىء القانون الدولى ، وللمواثيق الدولية ، وأن يكون استيطان اليهود المهاجرين إليها خارج الحدود التى رسمها « قرار التقسيم » ، الذى يعد السند القانونى الوحيد لقيام الدولة اليهودية ، وأن يقوموا بطرد الشعب الفلسطيني من ارضه شيئاً فشيئاً . وهذه الأهداف تعنى بوضوح النية المبيتة منذ اللحظة الأولى لتغيير الوضع الدينى والقانونى لمدينة القدس .

بيد أن التحرك الصهيونى تجاه تحقيق هذه الأهداف لم يخل فى ذاته من دليل دامغ يوضح الأطماع الصهيونية التى لا تعبأ بالعهود والمواثيق الدولية . فعلى إثر إعلان قيام دولة « إسرائيل » قام وسيط الأمم المتحدة بتقصى الحقائق لتقديم تقاريره للأمم المتحدة ، فصدر قرار الأمم المتحدة رقم (١١١) ١٩٤ فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ متضمناً تقريراً عن مهمة « الوسيط » ـ وكان ذلك بعد بداية الحرب التى بدأت منذ مطلع عام ١٩٤٨ بين قوات شبه عسكرية يهودية ، وأخرى فلسطينية تدعمها عناصر من الدول العربية المجاورة تطوعت للقتال بجانب الفلسطينيين ـ وقد جاء فى هذا التقرير دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة كى تتولى مسئوليتها فى الحفاظ على الأماكن المقدسة ، وأن يتم تأمين طرق الوصول إليها ، وأن تسارع لجنة الوساطة التابعة للأمم المتحدة بتقديم مقترحاتها التفصيلية الخاصة بإقامة نظام دولى دائم « للقدس » يضمن حماية المقدسات ، ويضمن النزع الكامل للسلاح فى « بلدية القدس » والقرى والمدن المحيطة بها (حسب ما جاء بقرار التقسيم) ، وأن يحقق هذا النظام الاستقلال الكامل « للقدس » عن باقى فلسطين .

ذلك ، ويصعب القول بأن نتيجة حرب عام ١٩٤٨/١٩٤٩ ، والتى انتهت بتوقيع اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل وبين الدول العربية المجاورة (مصر ـ لبنان ـ الأردن ـ سوريا) ، فى المدة من فبراير حتى يوليو ١٩٤٩ م ترجع فقط إلى التآمر « الصهيونى الامبريالى » ، الذى كان يفرض الهدنة تلو الأخرى ، لإتاحة الفرصة لإسرائيل كى تنظم صفوفها ، وتتلقى المزيد من المهاجرين ، والمتطوعين ، والسلاح ، لكن نتيجة هذه الحرب ترجع أيضاً وبالدرجة الأولى إلى عدم إدراك المسلمين للخطر المحدق بأولى القبلتين وثالث الحرمين ، وإلى تفككهم .

لقد تمكنت إسرائيل خلال تلكم الحرب من احتلال الجزء الغربى من « مدينة القدس » ، واستولت على ٧٧,٤٪ من أرض فلسطين ، وشردت مليونا وربع المليون من شعب فلسطين ، ومع ذلك فقد صدر قرار الأمم المتحدة رقم (١١١) ٢٧٣ ، بتاريخ الحادى عشر من مايو عام ١٩٤٩ بقبول إسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة فنص على ما يلى : ـ

ـ إسرائيل راغبة فى القيام بالتزاماتها التى يوجبها ميثاق الأمم المتحدة ، وتتعهد باحترام هذه الالتزامات من يوم قبولها عضواً فى المنظمة .

ـ ذكر القرار ٢٧٣ بقرار تقسيم فلسطين الصادر فى التاسع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٤٧ ، وبقرار الأمم المتحدة الصادر فى الحادى عشر من ديسمبر عام ١٩٤٨ (المذكور أعلاه) ، وبأن إسرائيل تعهدت أمام اللجنة السياسية التى شكلتها الأمم المتحدة ، باحترام وتنفيذ هذين القرارين ، اللذين ينصان ، كما أوضحنا من قبل ، على أن « القدس » كيان مستقل ، ولا يجوز المساس بالأوضاع الدينية أو القانونية أو بحرية ممارسة العبادة ، أو بالمبانى والأماكن المقدسة فيها .

كان المفروض أن يؤدى قبول إسرائيل فى الأمم المتحدة (بوصفها العضو التاسع والخمسين) ، وقبول الدول العربية لقرار التقسيم ، فى اليوم التالى مباشرة ، إلى أن تلتزم بالمواثيق الدولية ، وأن تسوى مشكلة اللاجئين ، وأن تعود إسرائيل إلى الحدود المقررة « للدولة اليهودية » بموجب قرار التقسيم ...

ثم أعلن رئيس حاخامية « الأراضى المقدسة » ، « بن صهيون مائير هاعوزيل » ، ومقره القدس ، أعلن أنه « قد تم تحقيق المثل الأعلى لإقامة « دولة إسرائيل » ، التى عمل من أجل إقامتها جميع الصهاينة .. ومايزالون يعملون منذ ثلاثة قرون ، ودعا اليهود إلى أن

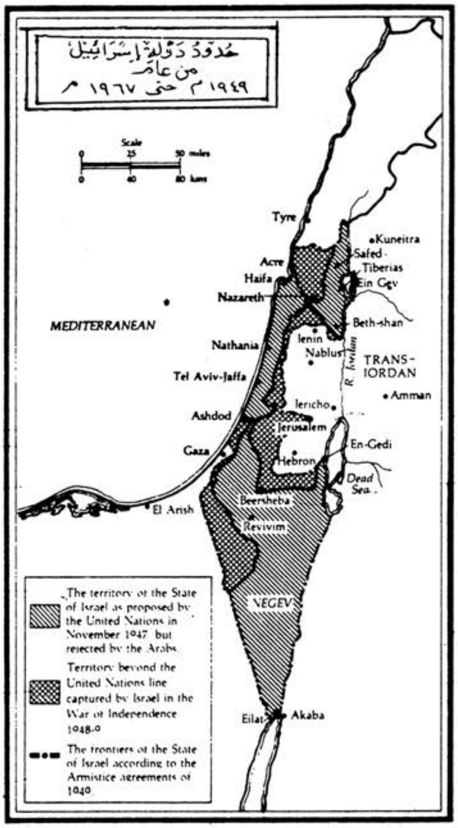

ـ اراضى الدولة اليهودية حسب قرار التقسيم فى ١٩٤٧/١١/٢٩

ـ مناطق خارج حدود قرار تقسيم فلسطين استولت عليها إسرائيل فى حرب ١٩٤٨/١٩٤٩ .

ـ حدود دولة إسرائيل بموجب اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ م هذا وثمة مغالطات تاريخية بالنسبة للاراضى منزوعة السلاح التى استولت عليها .

يحققوا فورا مشروعهم المثالى بالتوسع فى كل فلسطين ، وشرق الأردن ، وسوريا ، وبعد ذلك العراق ، وإيران ... » .. وربما كان « ديفيد بن جوريون » ـ أول رئيس وزراء لإسرائيل ـ أكثر تحفظاً عندما أعلن عام ١٩٥٢ أن : « إسرائيل ليست إلا جزءاً من وطننا » ..

ورغم الأطماع الصهيونية فقد أعد « مجلس الوصاية » التابع للأمم المتحدة قانوناً لمدينة « القدس » تمت المصادقة عليه فى الرابع من أبريل عام ١٩٥٠ م . ولعل أهم ما جاء فى هذا القانون التفصيلى ، الذى احتوى على ديباجة وثلاث وأربعين مادة :

القدس بين

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

اما الديباجة فقد جاء فيها :

حيث إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد قررت فى قرارها رقم (١١) ١٨١ الصادر فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧م أن « القدس » ، بالتحديد الوارد فى القرار ، (★) سوف تصبح كياناً مستقلاً « Corpus Separ-atum » يحكمها نظام دولى خاص ، وتديرها الأمم المتحدة .

وحيث إن الأمم المتحدة قد أوكلت إلى « مجلس الوصاية » القيام بمهام السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة .

وحيث إن الأهداف الخاصة ، التى أوكلت من قبل الأمم المتحدة ، فى القرار سالف الذكر ، كى تتولى القيام بمهامها الإدارية هى كما يلى :

(أ) من أجل الحماية والحفاظ على المصالح الروحية والدينية الموحدة الواقعة فى المدينة ، والتى تخص عقائد التوحيد فى العـالم : النصرانية ، واليهودية ، والإسلامية ، فيلزم تأمين النظام والسلام ، وبصفة خاصة السلام الدينى ، ليسود « القدس » .

(ب) من أجل تنمية التعاون بين سكان المدينة فى مجال مصالحهم الخاصة ، وتشجيع ودعم نمو العلاقات السلمية المتبادلة بين « الشعبين الفلسطينيين » (★★) فى كل الأرض المقدسة Between The Two Palestinian Peoples Throughout The Holy Land فيجب المساهمة فى تأمين وتحسين الأحوال

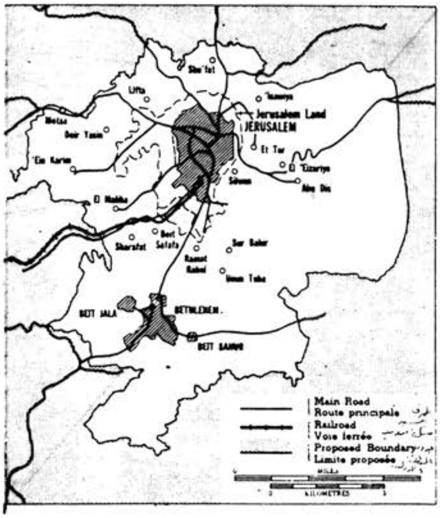

مدينة القدس
الحدود المقدمة بمعرفة اللجنة التى شكلت لبحث المسالة الفلسطينية

المعيشية ، واتخاذ أى إجراءات بناءة للنهوض بالسكان المقيمين هناك ، مع الأخذ فى الاعتبار الظروف والأعراف الخاصة بمختلف الشعوب والجاليات .

وحيث إن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد كلفت ، فى قرارها سالف الذكر ، مجلس الوصاية بإعداد قانون تفصيلى « للمدينة » والتصديق عليه ، وتم إعداد نصوص مواده التى شملها هذا القرار ..

وحيث إن .... الخ ، وبدون المساس بالمبادىء الأساسية للنظام الدولى الخاص « لمدينة القدس » ، حسب ما جاء بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١١) ١٨١ الصادر فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧م ..... يصادق « مجلس الوصاية » على القانون التالى لمدينة القدس : ـ

(★) يرجع للمقال السابق وللخريطة المرفقة فى هذا المقال .
(★★) يشير هذا القانون إلى كل من العرب واليهود ، القاطنين ـ آنذاك ـ فى « القدس » ، بوصفهم جميعاً فلسطينيين ، لينفى بذلك اية شبهة حق لإسرائيل فى مدينة « القدس » .

واما مواد القانون المذكور :

فقد حوت أحكاماً تنظم كل جوانب الحياة فى المدينة ، من أهمها أنه :ـ

ـ عرفت المادة الأولى المقصود « بالنظام الدولى الخاص للمدينة » فقالت إنه يعنى أن تصبح مدينة القدس « كياناً مستقلاً » Corpus » « Separatum تحت إدارة الأمم المتحدة .

ـ أوضحت المادة الثالثة أن « هذا القانون » هو الوحيد الذى يسرى فى « مدينة القدس » ، وأنه لا يجوز أن يسرى عليها أى قرار قانونى آخر يتعارض أو يتداخل مع نصوص « هذا القانون » ، كما لا يجوز أن يسرى أى تصرف إدارى أو إجراء تشريعى يتعارض أو يتداخل مع نصوص هذا القانون :

« This Statute Shall Prevail In The City. No Judicial Decision Shall Conflict Or Interfere With Its Provisions, And No Administrafive Act Or Legislative Measure Which Conflicts Or Interferes With Its Provisions Shall Be Valid. » (Article 3) .

ـ أكدت المادة الرابعة على حدود « بلدية القدس » ، كما جاء بقرار الأمم المتحدة فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٧ (حسب الخريطة المرفقة) .

ومن المادتين الثالثة والرابعة يتضح للقارىء الكريم البطلان الكامل للإجراءات الإسرائيلية ، النابعة من أطماعهم الصهيونية ، فيما يختص بضم أى شبر من القدس ، فضلاً عن بطلان ضم القدس الغربية ، أو كل القدس ، أو سريان القانون الإسرائيلى عليها ، أو اعتبار القدس ـ ذات الوضع القانونى الدولى الخاص ـ عاصمة لإسرائيل !..

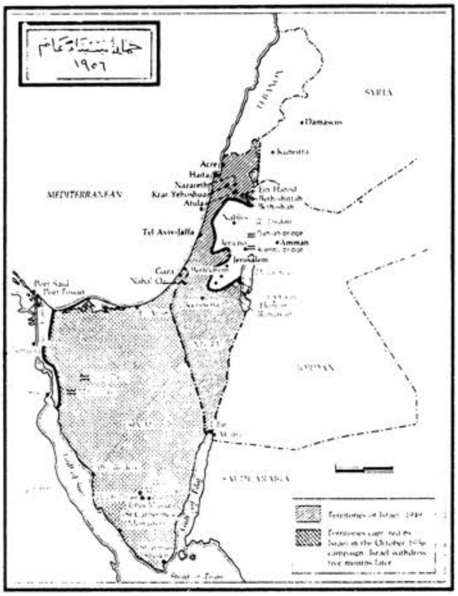

ـ وبينما توضح المادة الخامسة من القانون مسئولية مجلس الوصاية فى إدارة المدينة نيابة عن الأمم المتحدة ، فإن المادة السادسة تؤكد على « وحدة أراضى القدس » The Territorial « Integritg Of The City » .. وتحرم تماماً أية محاولة لتغيير نظامها الخاص بالقوة .

ـ أما المادة السابعة فتؤكد حياد المدينة وعدم جواز تواجد قوات عسكرية أو شبه عسكرية بها ، أو أن تتم على أرضها تدريبات أو نشاطات من هذا القبيل ، فيما عدا ما تقرره المادة الخامسة عشرة من تواجد قوة للشرطة تابعة لمحافظ المدينة لغرض حفظ النظام .

ـ هذا ، وتنظم المادة الثلاثون دخول الحجاج والزوار إلى المدينة ، والخروج منها ، وتنص فى فقرتها الثانية على أن يتولى محافظ المدينة السيطرة على عمليات الهجرة إليها بغرض التوطن فيها مع مراعاة ما يصدره مجلس الوصاية من تعليمات فى هذا الشأن ، وحسب الطاقة الاستيعابية للمدينة ، وبما لايخل بالمساواة بين الطوائف المختلفة .

البقية ص ١١٨٠

الصحابى الجليل ذو الصوت الحسن

أبو موسى الأشعرى

لفضيلة الشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

هو : عبد الله بن قيس بن سليم بن حضّار بن حرب، ويكنى بابى موسى الأشعرى من اهل زَبِيد « بتهامة »، غادر اليمن بلده ووطنه إلى مكة ، فور سماعه ببعثة نبى يدعو إلى التوحيد ، ويامر بمكارم الأخلاق .. وفى مكة المكرمة ، جلس بين يدى النبى - صلى الله عليه وسلم ، وتلقى عنه الهدى واليقين بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، وعاد إلى بلاده يحمل كلمة الله ، ويبشر بهذا الدين الجديد ، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين : على رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ويؤيد هذا ماروى عن مسلم بن الحجاج قال : حدثنا عبد الله بن برّاد الأشعرى ، ومحمد بن العلاء الهمدانى قالا : حدثنا ابو أسامة قال : حدثنى بريد عن أبى بردة عن أبى موسى قال : بلغنا مخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين انا وأَخَوَان لى ، انا اصغرهما ، أحدهما : ابو بُرْدة ، والآخر : ابو رهم ومعنا - إما قال : بضع.وإما قال : ثلاثة وخمسون رجلا من قومى ، فركبنا السفينة ، فالقتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن ابى طالب واصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثنا ههنا وامرنا بالإقامة ، فاقيموا ، فاقمنا معه ، حتى قدمنا جميعا ، قال : فوافقنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا ، أو قال : أعطانا منها ، وما قسم لأحد غاب عن خيبر منها شيئا إلا من شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر واصحابه » .

قال أبو عمر : « إنما ذكره ابن اسحاق فيمن هاجر إلى أرض الحبشه ؛ لأنه أقبل مع قومه . إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانوا فى

سفينته ، فألقتهم إلى الحبشة ، وخرجوا مع جعفر وأصحابه : هؤلاء فى سفينة ، وهؤلاء فى سفينة ، فقدموا جميعا ، حين افتتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيبر ، فقسم لأهل السفينتين »

الأشعريون وثناء الرسول عليهم

وقد سمى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا الوفد بالأشعريين ، ونعتهم بأنهم أرق الناس أفئدة ، وكثيراً ماكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضرب بهم المثل الأعلى لأصحابه ، فيقول فيهم وعنهم مارواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » .

وإذا أرملوا : أى قل زادهم فى الغزو أو فى الحضر ، جمعوا ماعندهم واقتسموه بالسوية ، رفقا ورحمة بفقيرهم .

والأشعريون قبيلة ، تنسب إلى أبيهم الأشعرى ، بأرض اليمن ، وكانوا معروفين بالشجاعة والبسالة ، والعفة والأمانة .

روى الترمذى عن أبى عامر الأشعرى رضى الله عنه : عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « نعم الحى الأشعريون ، لا يفرون فى القتال ، ولا يغلون (أى لا يخونون) هم منى وأنا منهم » ..

عبادته وورعه وعلمه

كان أبو موسى رضى الله عنه : عابدا ورعا ، حسن الصوت بالقرآن ، يقرؤه ، فيهز أعماق من يسمعه .

ولقد مر به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات ليلة ، وهو يقرأ ، فجعل يستمع لقراءته ، وقال : « لقد أوتى مزمارا من مزامير آل داود » .

وقال : « ياأبا موسى لقد مررت بك البارحة ، وأنت تقرأ ، فجعلت أستمع لقراءتك ، فقال : لو علمت أنك تستمع لقراءتى : لحبرتـه لك تحبيرا » . أى حسنته لك تحسينا .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلما رآه دعاه ليتلو عليه من كتاب الله قائلا له : « شوقنا إلى ربنا ياأبا موسى ، فيقرأ وهم يستمعون » .

وكان رضى الله عنه ذكيا حصيفا ، وعالما ضليعا .

سئل عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال : « صبغ فى العلم صبغة » كان فقيها : برع فى الإفتاء ، وبَزَّ فى القضاء .

وفيه قال الشعبى : « قضاة هذه الأمة أربعة : عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وأبو موسى الأشعرى ، وزيد بن ثابت » .

جهاده واستبساله

كان مناضلا صلبا ، ومقاتلا جسورا ، كان يحمل مسئولياته : فى استبسال مجيد ، ومراس شديد مما جعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول عنه : « سيد الفوارس : أبو موسى » ويحدثنا عن نفسه : كمقاتل عرف بالصبر ، وقوة الجلد : « خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزاة ، نقبت فيها أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وتساقطت أظفارى ، حتى لففنا أقدامنا بالخرق » .

كان موضع ثقة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وثقة صحابته وحجتهم ، ولاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على « زبيد » « وعدن » ، واستعمله عمر ـ رضى الله عنه ـ على البصرة .

الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى

قال عاصم بن حفص : « قدم أبو موسى إلى البصرة سنة سبع عشرة من الهجرة واليا ، بعد عزل المغيرة بن شعبة ، وكتب إليه عمر رضى الله عنه : أن سر إلى الأهواز ، فأتى الأهواز ، فافتتحها عنوة ، وقيل : صلحا » .

وقال ابن اسحاق : بعث سعد بن أبى وقاص سنة تسع عشرة عياض بن غنم إلى الجزيرة ، وبعث معه ابنه عمرو بن سعد وأبا موسى ، ثم بعث عياض أبا موسى إلى « نصيبين » : فافتتحها فى سنة تسع عشرة من الهجرة ..

وفى المعارك : التى خاضها المسلمون : ضد امبراطورية فارس ، كان لأبى موسى الأشعرى ، بلاؤه العظيم وجهاده الكريم .. ففى موقعة « تستر » حيث انسحب الهرمزان بجيشه إليها ، وتحصن بها وجمع فيها جيوشا كبيرة، كان ابو موسى بطل هذه الموقعة .. ولقد أمده عمر بن الخطاب بعدد كبير من المسلمين ، على رأسهم : عمار بن ياسر ، والبراء بن مالك ، وأنس بن مالك ، ومجزأة البكرى ، وسلمة بن رجاء .. والتقى الجيشان : جيش المسلمين : بقيادة أبى موسى ، وجيش الفرس بقيادة الهرمزان ، فى معركة عظيمة ، من أشد المعارك ضراوة وبأسا ، وانسحب الفرس إلى داخل مدينة « تستر » المحصنة ، وحاصرها المسلمون أياما طويلة ، حتى أعمل ابو موسى عقله وحيلته ، فأرسل مائتى فارس مع عميل فارس أغراه أبو موسى ، بأن يحتال ، حتى يفتح باب المدينة ، أمام الطليعة التى اختارها لهذه المهمة ، ولم تكد الأبواب تفتح ، والفرسان يقتحمون الحصن ، حتى انقض أبو موسى بجيشه ، انقضاضا عظيما ، واستولى على المعقل الخطير : فى ساعات قلائل ، واستلم واستسلم قادة الفرس ، حيث بعث بهم أبو موسى إلى المدينة ، ليرى أمير المؤمنين عمر رأيه فيهم ..

وافتتح أبو موسى « أصبهان » سنة ثلاث وعشرين ، فقد هبط بجيشه على أهلها الذين صالحوه على الجزية فصالحهم ، بيد أنهم لم يكونوا فى صلحهم صادقين ، إنما أرادوا أن يهيئوا لأنفسهم فرصة الإعداد لضربة قوية غادرة ، ولكن فطنة أبى موسى التى لا تغيب عند الحاجة إليها : كانت تستشف أمر أولئك ، وما يبيتون له من مكر وخديعة ، وغدر وخيانة ، فلما هموا بضربتهم ، لم يؤخذ القائد على غرة ، وهنالك بارزهم بالقتال ، فلم ينتصف النهار ، حتى كان قد انتصر عليهم ، انتصارا باهرا ..

مرضه ووفاتـــه

لما ثقل أبو موسى : صاحت عليه امرأته ، فقال لها : أما علمت ما قال رسول الله - (ﷺ)

قالت : بلى ، ثم سكتت ، فقيل لها بعد : أى شىء قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : قال : « إن الله برىء ؛ ممن حلق أو خرق أو سلق » أخرجه الإمام أحمد من حديث أبى معاوية .. (سلق : أى رفع صوته عند المصيبة ، وقيل : هو أن تصك المرأة وجهها) ..

ومات بالكوفة ، وقيل : بمكة سنة اثنتين وأربعين من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، رحمه الله رحمة واسعة ..

المراجع :

(١) البخارى
(٢) صحيح مسلم
(٣) سنن الترمذى
(٤) مسند الإمام أحمد
(٥) الإصابة فى تاريخ الصحابة
(٦) أسد الغابة فى معرفة الصحابة
(٧) السيرة الحلبية
(٨) البداية والنهاية

الفتاوى

إعداد:
أحمد السيد تقى الدين

● س : تسأل « ب » السكرى من سوهاج هل هناك أجناس ثابتة ومعينة تلزم المزكى أن يخرجها فى زكاة الفطر ؟

ـ ج : نصت الأحاديث الواردة فى زكاة الفطر على أصناف معينة من الطعام وهى : التمر والشعير والزبيب و« الأقط » ، وهو اللبن المجفف الذى لم ينزع زبده وزادت بعض الروايات : القمح وبعضها : السلت أو الذرة ، فهذه الأصناف تعبدية ومقصودة لذاتها بحيث لا يجوز للمسلم العدول عنها إلى غيرها من أصناف الأطعمة الأخرى والأقوات .

أما المالكية والشافعية فقالوا : هذه الأصناف ليست تعبدية ولا مقصودة لذاتها ، ولهذا كان الواجب على المسلم أن يخرج فطرته من غالب قوت البلد ، وفى قول : من غالب قوت الشخص نفسه .

وظاهر مذهب أحمد أنه لا يجوز العدول عن الأصناف الخمسة المنصوص عليها مع قدرته سواء كان العدول إليه قوت بلده أو لم يكن .

كما يجوز عند أبى حنيفة وأحمد إخراج الدقيق والسويق لأنه مما يكال وينتفع به الفقير .

وفى الواجب من الأجناس المجزئة ثلاثة أوجه : أصحها عند الجمهور غالب قوت البلد ، والثانى قوت نفسه ، والثالث يتخير بين الأجناس ، والذى يظهر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما حدد الأصناف المذكورة لأنها كانت هى الأقوات المتداولة فى البيئة العربية عندئذ ، فلو أن قوماً يعيشون على الأرز كما فى الريف المصري لكان واجبهم الأرز ، فالأرجح فى ذلك أن يخرج المرء فطرته من غالب قوت بلده أو من غالب قوته إذا كان أفضل من قوت البلد .

● س : هل يجوز تعجيل زكاة الفطر قبل وقتها ؟

ـ ج : صح عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ آثار وأخبار كثيرة تبين جواز تعجيل زكاة الفطر عن وقتها ، ومن ذلك ما رواه البخارى عن ابن عمر قال : « كانوا يعطونها قبل الفطر بيوم أو يومين . والضمير فى « كانوا » يرجع إلى أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم الذين بهم يقتدى فيهتدى وإلى هذا ذهب أحمد وقال : لا يجوز أكثر من ذلك ، يعنى يوماً أو يومين . وهو المعتمد عند المالكية أيضاً ـ وأجاز بعضهم التقديم إلى ثلاثة أيام .

وقال بعض الحنابلة : يجوز تعجيلها من بعد نصف الشهر .

الفتـــــاوى

وقال الشافعى : يجوز من أول شهر رمضان لأن سبب الصدقة الصوم والفطر عنه ، فإذا وجد أحد السببين جاز تعجيلها كزكاة المال بعد ملك النصاب .

وقال أبوحنيفة : (يجوز تعجيلها من أول الحلول لأنها زكاة فأشبهت زكاة المال) .

إلا أن قول مالك وأحمد أحوط وأقرب إلى تحقيق المقصود وهو إغناؤهم فى يوم العيد بالذات .

والقول بجواز إخراجها بعد نصف الشهر أيسر على الناس وخاصة إذا كانت الدولة هى التى تتولى جمع زكاة الفطر ، فقد تحتاج إلى زمن لتنظيم جبايتها وتوزيعها على المستحقين بحيث تشرق شمس العيد ، وقد وصل إليهم حقهم .

● س : يسال السيد / م . ح . عوض من الزقازيق ـ عما إذا كانت زكاة الفطر واجبة على الجنين ام غير واجبة ؟

ــ ج : ذهب جمهور العلماء والفقهاء إلى عدم وجوبها عنه .

وقد ذكر الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار : أن ابن المنذر نقل الإجماع على أنها لا تجب على الجنين ، وكان أحمد يستحبه ولا يوجبه .

يقول الإمام النووى فى المجموع : لا تجب فطرة الجنين لا على أبيه ولا فى ماله بلا خلاف عندنا ، ولو خرج بعضه قبل غروب الشمس وبعضه بعد غروبها ليلة الفطر لم تجب فطرته لأنه فى حكم الجنين ما لم يكمل خروجه منفصلاً .

وقال ابن حزم : إذا أكمل الجنين فى بطن امه مائة وعشرين يوماً قبل انصداع الفجر من ليلة الفطر وجب أن تؤدى عنه صدقة الفطر لما صح فى الحديث أنه ينفخ فيه الروح حينئذ .

والحق أن ما ذكره ابن حزم لا دليل فيه على وجوب التزكية عن الحمل ، ومن التعسف أن يقال إن كلمة صغير فى الحديث تشمل الحمل .

كما أن ما روى عن عثمان وغيره لا يدل على أكثر من الاستحباب ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ .

● س : إذا صام صائم ثلثى الشهر فى بلد ما وكان ينوى صيام بقية الشهر فى بلد آخر ويشهد العيد فى هذا البلد ، ففى أى البلدين يجب أن يخرج الزكاة ؟
(سيد أحمد محمود ـ القليوبية)

ــ ج : يخرج المسلم زكاة فطره فى البلد الذى تدركه فيه أول ليلة من شهر شوال (ليلة العيد) لأن هذه الزكاة ليس سببها الصيام وإنما سببها الفطر ، ولهذا أضيفت وسميت زكاة الفطر ، ولهذا لو مات إنسان قبل مغرب اليوم الأخير من رمضان لم تكن زكاة الفطر واجبة عليه وإن صام سائر أيام رمضان ، ولو ولد مولود بعد مغرب آخر يوم من رمضان أى فى الليلة الأولى لدخول شهر شوال كان من الواجب إخراج زكاة الفطر عنه بالإجماع فهى زكاة مرتبطة بالعيد وبتعميم الفرحة به بحيث تشمل الفقراء والمساكين ، ولهذا جاء فى الحديث : « أغنوهم فى هذا اليوم » ..

● س : ويسأل ج . ع السيد من المنصورة عما إذا كان الدين المؤجل يمنع زكاة الفطر أم لا ؟

ــ ج : إذا كان فى يد الإنسان ما يخرجه عن صدقة الفطر وعليه دين مثله لزمه أن يخرج الصدقة إلا أن يكون مطالباً بالدين فعليه قضاء الدين ولا زكاة عليه .

قال ابن قدامة فى كتاب « المغنى » : إنما يمنع الدين الفطرة كما يمنع زكاة المال لأنها آكد وجوباً بدليل وجوبها على الفقير ، وشمولها لكل مسلم قدر على إخراجها ، ووجوب تحملها عمن وجبت نفقته على غيره ولا تتعلق بقدر من المال فجرت مجرى النفقة ، لأن زكاة المال تجب بالملك فأثر فيها ، وهذه تجب على البدن والدين لا يؤثر فيه وتسقط الفطرة عند المطالبة بالدين لوجوب أدائه عند المطالبة ، وتأكد بكونه حق آدمى معين ولا يسقط بالإعسار وكونه أسبق سبباً وأقدم وجوباً يأثم بتأخيره ، فإنه يسقط غير الفطرة وإن لم يطالب به لأن تأثير المطالبة إنما هو إلزام الأداء وتحريم التأخير .

● س : ويسأل ع . م . عبدالباقى من دمنهور عن شروط وجوب الفطرة على الفقير ؟

ـــ ج : لقد اشترط الجمهور لإيجاب هذه الزكاة على الفقير أن يكون عنده مقدارها فاضلاً عن قوته وقوت من تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وأن يكون فاضلاً عن مسكنه ومتاعه وحاجاته الأصلية ، فمن كان له دار يحتاج إليها لسكناها أو إلى أجرها لنفقته أو ثياب بذلة له أو لمن تلزمه مؤنته أو بهائم يحتاج إلى ركوبها والانتفاع بها فى حوائجه الأصلية أو سائمة يحتاج إلى نمائها كذلك أو بضاعة يختل ربحها الذى يحتاج إليه بإخراج الفطرة منها فلا فطرة عليه ، ومن له كتب يحتاج إليها للنظر فيها والحفظ منها لا يلزمه بيعها ، والمرأة إذا كان لها حلى للبس أو لكراء تحتاج إليه لم يلزمها بيعه فى الفطرة،وما فضل من ذلك عن الحوائج الأصلية وأمكن بيعه وصرفه فى الفطرة وجبت الفطرة به لأنه أمكن أداؤها من غير ضرر أصلى فأشبه ما لو ملك من الطعام ما يؤديه فاضلاً عن حاجته .

● س : ويسأل ع . ش من الإسماعيلية عن وقت إخراج زكاة الفطر ، وهل تبقى دينا فى ذمة من لم يخرجها أم انها تسقط عنه ؟

ـــ ج : روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة ..

وعن عكرمة قال : يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدى صلاته إن الله تعالى يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ « سورة الأعلى ١٤ ـ ١٥ » .

وقد أخرج البخارى ومسلم عن أبى سعيد « كنا نخرج فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الفطر صاعا من الطعام » ، وظاهره صحة الإخراج فى اليوم كله ، ولكن الشراح تأولوا بأول اليوم ، وهو ما بين صلاة الصبح وصلاة العيد .

وحمل الشافعى التقيد بـ « قبل الصلاة » على الاستحباب لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « أغنوهم فى هذا اليوم » واليوم يصدق على جميع النهار . فلو أخرها عن صلاة الإمام وفعلها فى يومه لم يأثم وكانت أداء وإن أخرها عن يوم الفطر أثم ولزم إخراجها وتكون قضاء ـ وهو مروى عن مالك وأبى حنيفة وأحمد .

ويرى جمهور الفقهاء أن تأخيرها عن الصلاة مكروه لأن المقصود الأول منها إغناء الفقير عن السؤال والطلب فى هذا اليوم ، فمتى أخرجها فات جزء من اليوم دون أن يتحقق هذا الإغناء .

ومن لم يؤدها حتى خرج وقتها وجبت فى ذمته ، وماله لمن هى له فهى دين له وحق من حقوقهم ، وقد وجب إخراجها من ماله وحرم عليه إمساكها فى ماله فوجب عليه إخراجها أبدا ، ويسقط بذلك حقهم ويبقى حق الله فى تضييعه الوقت لا يقدر على جبره إلا بالاستغفار

وصف خروج المتوكل
لصلاة عيد الفطر
للبحترى

بالبر صمت وأنت أفضل صائم
وبسنة الله الرضية تفطر
فانعم بيوم الفطر عيدا إنه
يوم أغرّ من الزمان مُشهّر
أظهرت عز الملك فيه بجحفل
لجب ، يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
عدداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل ، والفوارس تدعى
والبيض تلمع ، والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها ،
والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس ماتعة توقد بالضحا
طورا ، ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت
تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
وافتن فيك الناظرون : فَإِصْبَع
يُومى إليك بها ، وعين تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها
من أنعم الله التى لا تكفر
ومشيت مشية خاشع متواضع
لله لا يزهى ، ولا يتكبر
فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما
فى وسعه لسعى إليك المنبر

الشاعر :

هو أبوعبيدة الوليد بن عبيد الطائى ولد بناحية منبج بالشام عام ٢٠٤ هـ وتنقل فى قبائل طىء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطىء الفرات ، فغلبت عليه فصاحة العرب ، اتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان ـ وتوفى عام ٢٨٤ هـ ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال وإجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح وقد لازم الشاعر أبا تمام وتأثر به ، وكان لذلك أثر واضح فى جودة شعره .

القصيدة :

رغم أنها تمدح المتوكل العباسى إلا أن الشاعر يبرز بوضوح قوة الإسلام حينئذ مجسمة فى جيش ضخم كان يحف بالمتوكل وكأنه جبال تتحرك فترجف الأرض وتهتز لضخامته وعدده الكثيف ، ويتحدث عن جلال موكب المتوكل فى أثناء خروجه لأداء صلاة عيد الفطر ، وما أحاط المتوكل من هالات ومن محبة للشعب ، كل ذلك فى وصف دقيق وشعر رقيق وجمال صوتى بديع وارتفاع باختيار الكلمات والملاءمة بينها فى الجرس حتى أننا نجد بين الحروف والكلمات وحركاتها ما يرتفع بها إلى مرتبة موسيقية لم يلحقه فيها شاعر ، وكأنما كانت له أذن داخلية مرهفة تقيس كل حرف وكل حركة وكل ذبذبة صوتية حتى جاء شعراً مصفى مروقاً تلذ به الألسنة والآذان والأذهان .

ابتهال

للأستاذ/ عمر موسى البرعى

يامن له الأمر فى الأولى وفى الأخرى ... جلت أياديك فاقبل منى الشكرا
ياخالق الأرض والأفلاك مقتدرا ... فى بدع صنعك رحنا نمعن الفكرا
يامن جباه الورى تعنو لعزته ... اكشف بفضلك عنا البأس والضرا
انت الميسر لليسرى وأنت إذا ... ما شئت بدلت عسر المشتكى يسرا
فى ظل فضلك يحيا الناس فى رغد ... من يرتجيك بصدق لا يرى الفقرا
انت الذى ابدع الأكوان من قدم ... وسخر الشمس والأفلاك والبدرا
وانت من ابدع الأشياء فى صور ... شتى وانشأ فيها السهل والوعرا
قد سبحت باسمك الدنيا باجمعها ... طوعا واخلصت التوحيد والذكرا
من يعبد الواحد الديان محتسبا ... اثابه الله واستوفى له الأجرا
ياكاشف الضر والأرزاء مكرمة ... فى ظل فضلك نرجو العفو والخيرا
إنى بجاهك ياألله معتصم ... ومن يلوذ به لا يرهب الدهرا
من يتق الله للتوحيد منتسبا ... بنى له الله فى جناته قصرا
ياعالم الغيب والأسرار اجمعها ... لأنت تعلم منى السر والجهرا
إنى اقترفت ذنوبا لاعداد لها ... وأنت من يغفر الزلات والوزرا
ياسابغ الفضل إحسانا ومرحمة ... أسبغ علينا الرضا والفضل والسترا
فالله يحفظ من بالحب آثره ... وفى عبادته يستعذب الصبرا
انزلت «ذكرك» للإنسان موعظة ... كم فاز بالخير عبد يقرأ الذكرا
فاجعله يارب يوم العرض يشفع لى ... يامن له الأمر فى الأولى وفى الأخرى

قصيدة العباس في مدح الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

دراسة نصية منهجية ٢

د. أحمد محمد على حنطور

(ب) الرواية والتوثيق :

وردت أبيات العباس بن عبد المطلب فى مدح الرسول الكريم فى مصادر متعددة ، نوجز الحديث عما وقفت عليه منها فى ذكر المصادر الآتية :

١ ـ غريب الحديث ، لأبى محمد عبد الله ابن قتيبة الدينورى « ت ٢٧٦ هـ » ، فقد جاء فى الجزء الأول ص ٣٥٩[٢] . « وقال أبو محمد فى حديث النبى ﷺ ، إن العباس ابن عبد المطلب قال له : يارسول الله ، إنى أريد أن أمتدحك ، قال : قل لا يفضض الله فاك .

قال العباس : « من المنسرح »

١ ـ من قبلها طبت فى الظلال
وفى مستودع حيث يخصف الورق[١]

٢ ـ ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق

٣ ـ بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق[٢]

٤ ـ تنقل من صالب إلى رحم
إذا مضى عالم بدا طبق[٣]

---

(١) جمهرة أشعار العرب . تحقيق على محمد البجاوى . ص ٢٩ .

(٢) تحقيق الدكتور عبد الله الجبورى . نشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العراقية . مطبعة العانى ببغداد .

(٣) يريد : من قبل هذه الحياة طبت فى ظلال الجنة ، وفى الموضع الذى استودعته منها . حيث يخصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة .

(٤) نسر : صنم كان لقوم نوح ، وألجمهم الغرق : وصل إلى أفواههم فصار لهم مثل اللجام للدابة .

(٥) الصالب : الصلب ، وهو الظهر ، والمراد بالطبق القرن ، ويطلق على العالم أو الأمة كذلك .

٥ - حتى احتوى بيتك المهيمن من

خنـدف علياء تحتها النُّطق[٤]

٦ - وأنت لما ولدت أشرقت الـ

أرض وضاءت بنورك الأفق[٥]

٧ - فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ

ـور وسبل الرشاد نخترق[٦]

٢ - الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية ، لأبى حاتم أحمد بن حمدان الرازى « ت ٣٢٢ هـ » وقد أورد الأبيات الخمسة الأولى فى الجزء الأول من الكتاب ص ١١٠[٧] .

٣ - أمالى الزجاجى ، لأبى القاسم عبد الرحمن ابن أبى اسحاق الزجاجى « ت ٣٤٠ هـ » ، وقد أورد الأبيات السبعة فى كتابه ص ٦٥ ، وذلك مع مخالفة فى رواية البيت الأخير ونصه :

ونحن فى ذلك الضياء وفى سبـ

ـل الهدى والرشاد نخترق[٨]

٤ - دلائل النبوة ، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى « ت ٤٥٨ هـ » ، وقد ذكر الأبيات السبعة فى الحديث عن أعقاب غزوة تبوك . حـ ٥ ص ٢٦٨[٩] .

٥ - الفائق فى غريب الحديث ، لجار الله محمود ابن عمر الزمخشرى « ت ٥٣٨ هـ » ، وقد أورد الأبيات السبعة فى كتابه الجزء الثالث ص ١٢٣[١٠] .

٦ - النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين المبارك بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير « ت ٦٠٦ هـ » ، وقد جاءت الأبيات السبعة مفرقة فى الأجزاء : ١ ص ٥٦ ، ١٧٠ ، ٢ ص ٣٨ ، ٣ ص ٤٤ ، ١٠٥ ، ١٦٠ ، ٢٩٥ ، ٥ ص ٤٧ ، ٧٥ ،١٦٨ ، ٢٣٩ ، ٢٧٥[١١] .

٧ - الحماسة البصرية ، لصدر الدين على ابن أبى الفرج البصرى « ت ٦٥٦ هـ » ، وقد جاءت روايته للأبيات فى الجزء الأول ص ٦١٠ ، وهى تقتصر على ستة منها مرتبة بترقيم ابن قتيبة على النحو الآتى : ٦ ، ٧ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤[١٢] .

٨ - تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن الكريم ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى « ت ٦٧١ هـ » ، وقد ذكر فى تفسيره لآخر سورة الشعراء أربعة أبيات منها ، هى من ١ - ٤ بترتيب ابن قتيبة .

٩ - لسان العرب ، لجمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم بن منظور « ت ٧١١ هـ » ، وقد جاءت الأبيات السبعة مفرقة فى المعجم فى مواد : أفق ، بيت ، خصف ، صلب ، ضوأ ، ظلل ، علا ، نطق ، هبط ، همن ، ودع . « طبعة دار المعارف بالقاهرة » .

١٠ - زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية « ت ٧٥١ هـ » ، وقد جاءت الأبيات السبعة فى الجزء الثالث ص ٥٥١[١٣] .

---

(٦) احتوى بيتك : حاز شرفك . المهيمن : الشاهد بالشرف القائم بالأمر . « وخندف كزبرج : اسم امرأة إلياس بن مضر ، وهى ليلى القضاعية أم عرب الحجاز » والتى يضرب بها المثل فى الشرف . والنُّطق جمع نطاق والمراد بها أعراض الجبال وأوساطها . فقومه يمثلونها ، وهو فى العلياء أى فى القمة من شرف قومه .

(٧) ضاءت الأفق : استنار ما ظهر من نواحى الفلك وأطراف الأرض .

(٨) نخترق : نسلك ونسير .

(٩) تعليق حسين بن فضل الله الهمدانى . مطابع دار الكتاب العربى بمصر .

(١٠) تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة المدنى بالقاهرة .

(١١) توثيق وتخريج د . عبد المعطى تلعجى . دار الكتب العلمية ببيروت . الطبعة الأولى .

(١٢) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى . مطبعة عيسى البابى الحلبى .

(١٣) تحقيق طه الزواوى ومحمود الطناحى . مطبعة عيسى البابى الحلبى .

قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم

ومن قراءة الأبيات فى المصادر السابقة يمكن الخروج بالملاحظات الآتية :

١ ـ أن ترتيب الحماسة البصرية أقرب إلى القبول من ناحية الدراية ، فهى أوفق من ناحيتى الابتداء وعود الضمائر . فقصة الأبيات تحكى أنه لما « دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه ، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن : طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع « الأبيات »

فلما أشرف على المدينة قال : هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه ، فلما دخل المدينة قال العباس : يارسول الله ائذن لى أن أمتدحك ، فقال ﷺ : قل لا يفضض الله فاك[14] » ، فقال الأبيات .

فالحوار قائم بين الرسول الكريم ﷺ وعمه ، وتصدير الأبيات بضمير المخاطب « أنت » يأتى فى نسقه المتوائم مع المقام ، وفى البدء بقوله « من قبلها » يواجهنا عود الضمير على غير مذكور . وقد تأول شراح الأبيات أن يعود الضمير على مفهوم هو : الحياة الدنيا أو الولادة أو النبوة كما يؤخذ من الأبيات[15] . أو الأرض ونزوله إليها ، فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى[16] أو البلاد بعده ، فهو ضمير يفسره مابعده على ما ذهب الأخفش فى مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ « سورة الحج » .

٢ ـ ويتصل بما سبق أن صاحب الحماسة البصرية ذو بصر بالشعر ونسقه ، وقد أعمل ذوقه حين ذكر الأبيات بهذا الترتيب ، وهو بذلك يختلف عمن سواه من العلماء الأجلاء الذين نجدهم بين لغوى محدث يصوب نظره إلى الشاهد اللغوى قبل الفن فى الشعر ، أو معجمى مؤصل للغة يبحث عن المستعمل فى كلام العرب فى نظرة جزئية تحول دون رؤية العمل فى تناسقه الكلى ، أو عالم دينى ينهج طريق أصحاب السير فى عنايتهم بتسجيل الأحداث كما سمعت دون تحقيق البناء . وذلك يذكرنا بما قاله أبو عثمان الجاحظ « طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد ابن عبد الملك الزيات[17] » .

ويشهد للترتيب الوارد فى غريب الحديث لابن قتيبة أن أبيات العباس جاءت ـ فيما نرى ـ تجاوبا مع الأحداث المتقدمة عليها ، من إنشاد أهل المدينة فى استقبالهم للرسول الكريم ، وقوله عند إشرافه عليها « هذه طابة . » وذلك يجعل الأبيات ـ بعد التجاوب ـ تعقيبا على كلمة « هذه طابة » ، ويقف بنا على معود جديد للضمير لم نجده لدى الشراح وهو طابة ، كما يؤكده التعبير بالفعل « طبت » . ومن ثم فنحن نتناول الأبيات فى نسقها الوارد فى «غريب الحديث» لذلك ، فضلاً عن تسلسلها المعنوى فيه الذى يجعل منها قصة متتابعة الأحداث .

---

(١٤) تحقيق الدكتور عادل جمال سليمان . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

(١٥) تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة ببيروت .

(١٦) زاد المعاد حـ ٣ ص ١٥٥١ . وفى غريب ابن قتيبة من حديث حريم بن أوس بن حارثة قوله : هاجرت إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد منصرفه من تبوك . فسمعت العباس يقول ذلك لرسول الله ﷺ (حـ ١ ص ٣٥٩) .

(١٧) الكشف عن مساوىء المتنبى . كتاب الإبانة عن سرقات المتنبى للعميدى . دار المعارف ص ٢٤٤ .

العلوم الكونية

علم الزلازل

ناقوس الخطر: الإسراف في تناول الطعام

الجديد في العلم والتقنية

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

علم الزلازل

د. أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء بكلية العلوم

جامعة القاهرة

علم الزلازل فى التراث الإسلامى :

العلم الحديث الذى يعنى بدراسة ظاهرة الزلازل والتعرف على أسبابها وخواصها وآثارها من جميع جوانبها الجيولوجية والجغرافية والكونية والفيزيائية يعرف باسم « علم الزلازل » أو « السيزمولوجيا » Seismology وهى كلمة إغريقية الأصل .

وقد كان التعليل القديم لحدوث الزلازل قائماً على الخرافات والأساطير والتصورات العقلية البحتة ، كأن يعتقد أن الثور الذى يحمل الأرض يتعب فينقل الأرض من قرن إلى قرن ، أو أن الأموات يحاولون أن يخرجوا إلى سطح الأرض فتهتز من محاولتهم[١٤] . حتى ماجاء فى الفلسفة الإغريقية عن الزلازل يعتبر مجرد تخيلات عقلية بعيدة عن الواقع ، يمثلها رأى أرسطو الذى يقول بأن الأرض جافة بطبيعتها ، لكن المطر يملؤها بالرطوبة ، وتقوم الشمس ونارها بتسخينها وتتسبب فى الرياح ، والزلازل هى نتيجة ضرورية لذلك[١٥] .

ولم يشهد علم الزلازل بدايته الحقيقية إلا على أيدى علماء الحضارة الإسلامية الذين تشبعوا بروح الإسلام وتعاليمه ، واستلهموا منها مقومات البحث العلمى ومنهج التفكير السليم فى مختلف الظواهر الكونية للتعرف على طبيعة سلوكها والاهتداء إلى حكمة وجودها فى ربط

(١٤) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، محرم ١٣٩٧ ـ كانون الثانى ١٩٧٧ ، ص ٥٦ .

(١٥) Vide Arstotle : Meteorologica, ed. ross, Oxford 1930, Vol.3, P.3656

عن كتاب : « الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، الثالث والرابع الهجريين ، الترجمة العربية ، الكويت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠ م ، ص ١١٧

الإنسان بخالقه ، وربطه أيضاً بعالمه الذى يعيش فيه .

فقد ذكر ابن سينا آراء علمية عن أسباب حدوث الزلازل بقوله : « الزلزلة حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض بسبب ما تحته ، ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه ، والجسم الذى يمكن أن يتحرك تحت الأرض ويحرك الأرض ، إما جسم بخارى دخانى قوى الاندفاع كالريح ، وإما جسم مائى سيال ، وإما جسم هوائى . وإما جسم نارى ، وإما جسم أرضى ، والجسم النارى لا يكون ناراً صرفة بل يكون لا محالة فى حكم الدخان القوى وفى حكم الريح المشتعلة ، والجسم الأرضى لا تعرض له الحركة أيضاً إلا بسبب مثل السبب الذى عرض لهذا الجسم الأرضى فيكون السبب الأول الفاعل للزلزلة ذلك ، فأما الجسم الريحى ، ناريا كان أو غير نارى ، فإنه يجب أن يكون هو المنبعث تحت الأرض ، الموجب لتمويج الأرض فى أكثر الأمر »(١٦) .

ويذكر ابن سينا أن أكثر أسباب الزلزلة هى الرياح المحتقنة ، ويستدل على ذلك بأن البلاد التى تكثر فيها الزلازل إذا حفرت فيها آبار وقنى كثيرة حتى كثرت مخالص الرياح والأبخرة قلت الزلازل بها ، وأكثر ما تكون الزلازل إنما تكون عند فقدان الرياح ، لأن مواد الرياح يعرض لها الاحتباس ، وأيضاً أكثر ماتكون الزلازل فى بلاد متخلخلة غور الأرض ، متكاثفة وجهها ، أو مغمورة الوجه بماء يجرى ، أو ماء غمر كثير لا يقدر الريح على خرقه » ولا يفوت عبقرى الحضارة الإسلامية أن يذكر بفوائد الزلازل والغاية منها فيقول : « منافع الزلازل تفتيح مسام الأرض للعيون ، وإشعار قلوب فسقة العامة رعب الله تعالى »(١٧) . كما يصف ابن سينا بعض أنواع الزلازل فيقول : « منها مايكون على الاستقامة إلى فوق ، ومنها مايكون مع ميل إلى جهة ، ولم تكن جهات الزلزلة متفقة ، بل كان من الزلازل رجفية ، ما يتخيل معها أن الأرض تقذف إلى فوق ، ومنها ما تكون اختلاجية عرضية رعشية ، ومنها ماتكون مائلة إلى القطرين ويسمى القطقط ، وماكان منها مع ذهابه فى العرض يذهب فى الارتفاع أيضاً ويسمى سلّمياً »(١٨) . ويتضح من الدراسة التحليلية لهذه النصوص أن تصور ابن سينا للرياح المحبوسة يختلف تماماً عما ذكرناه منسوباً لأرسطو ، كما أن آراء ابن سينا تتفق مع ماجاء فى علم الجيولوجيا الحديث من أن خسف الأرض الملازم أحيانا للهزات الأرضية يحدث نتيجة لخروج حمم بركانية أو لوجود فراغات تحت سطح الأرض فى المناطق التى يكثر فيها حجر الجير ، وكنتيجة للهزة الأرضية ينخفض مستوى سطح الأرض أو يحدث أحياناً انجراف أرضى أثناء حدوث الزلازل . وفيما يتعلق بفوائد الزلازل فى تفتح العيون فهو صحيح من الناحية العملية ،

---

(١٦) د . عبد الحليم منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ١٤١ .

(١٧) د . عبد الحليم منتصر ، المرجع السابق ، نفس الصفحة . انظر أيضاً مؤلفنا : « التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٢٥ .

(١٨) انظر المرجعين السابقين . وتجدر الإشارة إلى أننا لم نعثر على معنى لكلمة « القِطْقِط » يتصل بحدوث الزلزال ، اللهم إلا ما جاء فى لسان العرب ، مادة « قطط » ليشير إلى الميل والانحدار ، حيث يقال : تقطقطت الدلو إلى البئر ، أى انحدرت ، ولعل هذا ما قصده ابن سينا من التسمية تعبيراً عن الحركة المائلة للزلزلة . أما الزلزال السلمى الذى يذهب فى العرض وفى الارتفاع ففيه معنى السلم الذى يرتقى عليه .

علم الزلازل

حيث تؤدى الزلازل إلى تفتح عيون المياه ، وخاصة عيون المياه المعدنية فى بعض الحالات .

أما عن تقلص عدد الزلازل فى المناطق التى تحفر فيها آبار وقنى كثيرة ، بحسب رأى ابن سينا ، فقد كان يعتقد حتى عهد قريب أنه رأى لا يوجد له سند علمى نظراً لعمق مصادر التحركات الأرضية المسببة للزلازل إلى مسافات كبيرة تحت سطح الأرض . ولكن دراسة السجلات الاهتزازية أوضحت حديثاً أن أغلب الزلازل تنشأ عن أعماق تبدأ من ٥ كم حتى أقل من ٦٠ كم تحت سطح الأرض ، وتعرف بالزلازل الضحلة ، بينما تحدث نسبة ضئيلة من الزلازل العميقة والمتوسطة العمق عند أعماق أكبر تصل إلى ٧٠٠ كم ، وتتجه الأنظار حاليا إلى الاستفادة من هذه الدراسات فى ولاية كاليفورنيا التى تحدث بها الزلازل عند أعماق ضحلة ، مما يسهل من عمليات الحفر باعتبارها من الحالات المناسبة للتحكم فى الزلازل[١٩] .

كذلك حاول « إخوان الصفا » شرح أسباب الزلازل ، فجاء فى الجزء الثانى من رسائلهم أن « الكهوف والمغارات والأهوية التى فى جوف الأرض والجبال ، إذا لم يكن لها منافذ تخرج منها المياه ، بقيت تلك المياه هناك محبوسة زمانا ، وإذا حمى باطن الأرض وجوف تلك الجبال ، سخنت تلك المياه ولطفت وتحللت وصارت بخاراً ، وارتفعت وطلبت مكانا أوسع ، فإن كانت الأرض كثيرة التخلخل ، تحللت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ ، وإن كان ظاهر الأرض شديد التكاثف حصينا ، منعها من الخروج ، وبقيت محتبسة تتموج فى تلك الأهوية لطلب الخروج ، وربما انشقت الأرض فى موضع منها وخرجت تلك الرياح مفاجأة وانخسف مكانها ويسمع لها دوى وهدة وزلزلة .. وجوف الأرض على درجة حرارة عالية جداً ويوجد بداخله أيضاً مياه كبريتية أو نفطية دهنية ، ولهذا فإن الرياح التى تتخذ طريقها فى الأجزاء السفلية تتطاير وتتحد مع الكبريت وينتج عنها قوة انفجارية ودخان ونار »[٢٠] .

ومرة أخرى ، يحاول الذين يصرون على إسقاط الدور الإسلامى من حركة التاريخ أن يؤصلوا للعلم الحديث بالرجوع إلى عصر الإغريق ، وذلك بالمقارنة بين هذا الرأى « لإخوان الصفا » والرأى الذى ذكرناه منسوبا لأرسطو ، لكن المقارنة الأمينة بين الرأيين توضح لنا فارقا كبيرا فى التحليل والتعليل ، تبين ما عليه الرأى العربى من وضوح وتوافق مع آراء المدرسة العلمية الإسلامية من جهة ، على نحو ما وجدنا عند ابن سينا ، ومع الآراء العلمية الحديثة من جهة أخرى .

علم الزلازل فى العصر الحديث :

يرى العلم الحديث أن الزلازل ما هى إلا هزات سريعة خاطفة ومتلاحقة لسطح الأرض الذى نعيش عليه نتيجة وصول طاقة زلزالية إليه تكون قد انطلقت فى جميع الاتجاهات على هيئة موجات زلزالية من بؤرة تقع على أبعاد ضحلة أو متوسطة أو عميقة تحت سطح الأرض . وتنقسم الموجات الزلزالية المنبعثة من البؤرة إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى :

(١٩) تاربوك ولوتجنز ، الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، الترجمة العربية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات ، جامعة الفاتح ، طرابلس ليبيا ١٩٨٩ ، ص ٤٠٠ .

(٢٠) الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

(أ) الموجات الأولية التضاغطية ، وتنتقل خلال الأرض بسرعة تزيد قليلاً على ٦ كم/ث ، وتنتقل بنفس الطريقة تقريباً التى تنتقل بها موجات الصوت خلال الهواء ، أى أنها عبارة عن موجات طولية تحرك جسيمات الوسط فى نفس اتجاه انتقالها ، وتتميز بقدرتها على الانتقال خلال المواد السائلة والصلبة .

(ب) الموجات الثانوية المستعرضة ، وهى تنتشر بسرعة ٣ ـ ٤ كم/ث وتحرك جسيمات الوسط فى اتجاه عمودى على اتجاه حركتها ، ولا يمكنها الانتقال إلا خلال الأوساط الصلبة .

(حـ) الموجات السطحية ، وهى أبطأ الموجات الزلزالية ، وتنتشر فقط على طول سطح الأرض بحركة تشبه حركة أجزاء الماء المتموج . وتعتبر حركة الموجات السطحية من أكثر الحركات الموجبة تعقيداً ، ويحدث أثناء انتقالها عبر سطح الأرض أن تحركه وتحرك كل ما فوقه بنفس الطريقة التى تقذف بها أمواج المحيط العاتية سفينة فوق سطح الماء . فبالإضافة إلى حركة الموجات السطحية إلى أعلى وإلى أسفل ، تتحرك أيضاً من جانب إلى جانب آخر فيما يشبه حركة الموجات الثانوية المتجهة أفقيا ، وهذه الحركة الأخيرة هى المسئولة عن الدمار الذى يلحق بالمبانى والمنشآت .

أما شدة الهزات الزلزالية فى منطقة ما ، فتقدر بأعداد وضعها العالم « ريختر » على مقياس يعرف باسمه ، ويقضى بأن الزلازل الضعيفة تتراوح درجتها بين ١ و٣ وتحدث بمعدل ٩٠٠,٠٠٠ زلزال سنويا ، ولكن الإنسان لا يشعر بها عادة ، والزلازل المتوسطة تتراوح بين ٤ و٥ والزلازل العنيفة بين ٦ و٧ والزلازل التى يصاحبها دمار شامل لكل المواقع المأهولة القريبة تزيد درجتها على ٨ واحتمال حدوثها عالميا ضئيل جداً . ولقد بلغ أقوى زلزال حتى الآن حوالى ٨,٦ على مقياس « ريختر » وهو ما حدث فى جنوب شيلى عام ١٩٦٠ ، ويبدو أنه لم يقع أى زلزال يزيد مقداره على ٩ ويتم تسجيل هذه الموجات الزلزالية بواسطة المرجفة أو السيزموجراف Seismograph لكن العلم لايزال عاجزاً أمام التنبؤ بالتحديد الدقيق لموعد ومكان وشدة الزلزال قبل حدوثها .. وبالرغم من ذلك فإن الأمل فى إنقاذ البشرية من أى زلزال مدمر هو الذى يدفع العلماء إلى مواصلة البحث الذى بدأه علماء الحضارة الإسلامية عن أسباب حدوث الزلازل ومحاولة التحكم فى شدتها وتخفيف آثارها المدمرة .

ناقوس الخطر

الإسراف في تناول الطعام

د. موسى مدني مصطفى

إذا كان الغذاء هو الأساس في بناء الجسم وتجديد نشاطه وقواه، فهو - في الوقت نفسه - من أسباب ضعفه ومرضه، وليس في جسم الإنسان ما هو أضر به من إدخال الطعام وازدحام المعدة به.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِهِ ».

رواه النسائي والترمذي وقال: حسن صحيح؛ « وأكلات » جمع: « أكلة »، وهي لقمة: وروى الديلمي عن أنس - رضي الله عنه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « إياكم والبطنة[1] من الطعام، فإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على آخرته » وروى الطبراني عن واثلة - رضي الله عنه -، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « أصل كل داء البرَدَة ».

و « البردة »: « التخمة »، لأنها تبرد حرارة الشهوة. والمضار الكثيرة التي يسببها الإفراط في تناول الطعام هي التي جعلت سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول للناس:

« إياكم والبطنة، فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن السَّرف، وإن الله ليبغض الحبر السمين ».

والتخمة أو الإفراط في تناول الطعام بأنواعه (المواد النشوية والسكرية والبروتين والدهون)، هو العامل الرئيسي لإحداث السمنة، حيث يأخذ الجسم حاجته منها في صورة سعرات حرارية، ويخزن الزائد في صورة دهون، فإذا صاحب ذلك قلة استهلاك الطاقة لعدم بذل الجهد البدني، فإن ذلك يؤدي إلى

تراكم كميات زائدة من الدهون في جسم الإنسان وهو ما يعرف بالسمنة[2].

---

(١) البطنة: الامتلاء الشديد نتيجة الإسراف في تناول الطعام.

(٢) تعرف السمنة بأنها فرط « زيادة » في دهن الجسم.

وتشيع السمنة بعد سن الخامسة والثلاثين حيث تقل كمية المجهود البدنى الذى يبذله الشخص بعد هذه السن ، ومع اقتراب منتصف العمر ، فإن الترقى لوظائف إدارية كبيرة وما يتبع ذلك من الجلوس على المكتب لساعات طويلة دون جهد بدنى يذكر ، يؤدى إلى المزيد من السمنة » .

من هنا فإن نقص النشاط الجسدى إذا لم يصاحبه نقص مماثل فى الأكل (إدخال الطعام إلى الجسم) ، فإن ذلك يؤدى إلى السمنة ، وكذلك وجد أن تناول بعض الأدوية يؤدى إلى السمنة .

وقد يؤدى الخلل الهرمونى الناتج عن خلل فى وظائف الغدة الدرقية أو النخامية أو جار الكلوية إلى السمنة ، كما أن هرمونات الأنوثة تلعب دوراً فى ذلك ، فقد تحدث السمنه عقب الحمل ، أو بعد استئصال المبيضين ، أو الرحم ، أو فى سن اليأس ، وفى هذه الحالات يؤدى علاج الخلل الهرمونى إلى تحسن ملحوظ فى السمنة .

أما عن عوامل الوراثة فلم يفهم دورها فى السمنة بصورة واضحة ومن ناحية أخرى فإن العادات الغذائية للأسرة قد تكون هى المسئولة عن السمنة أكثر من العوامل الوراثية ، فأطفال الأسر التى تميل إلى تناول الأطعمة المقلية والحبوب ومنتجات الألبان والحلويات يكونون أكثر وزنا من جيرانهم الذين يميلون إلى تناول الخضروات والفواكه واللحوم .

الأخطار المنسوبة إلى السمنة : تزيد السمنة خطر المرض ، خصوصاً عندما يصاحبها الداء السكرى[٣] أو ارتفاع الكولسترول فى الدم ، أو الضغط الدموى المرتفع ، وفرط الوزن يشكل عامل خطر يمكن أن يؤدى إلى حدوث تصلب الشرايين ومرض الشريان التاجى للقلب ، وبعض أنواع السرطان ، وبعض الاضطرابات المعدية والمعوية ومنها : الحصاه الصفراوية ، ولكن السمنة لا تكون دائما مرتبطة مع أمراض أخرى .

مرض السكر (البول السكرى) :

تمثل السمنة عاملا قويا فى الإصابة بمرض السكر فى مراحل العمر المتوسطة وزيادة الوزن دائما تكون علامة خطر ، ويرتبط نمط الداء السكرى الثانى بالسمنة فى أكثر الأحيان ، فثمانون فى المائة من المصابين بالنمط الثانى هم من السمان ، ويعتقد أن السمنة من أسباب مقاومة الإنسولين فى هذا النمط من الداء السكرى ، ولذلك فإن أفضل وقاية معروفة من الداء السكرى هى إنقاص الوزن بين المرضى ، وقد وجد « كيسبا » وزملاؤه عام (١٩٨٢) أن الداء السكرى يتوافق مع دهن القسم الأعلى من الجسم أكثر مما يترافق مع دهن الطرفين السفليين ، ويؤدى إنقاص الوزن فى المصابين بالداء السكرى إلى إنقاص مستوى مقاومة الإنسولين ومستوى الجلوكوز فى الدم ، وكذلك إلى نقص ارتفاع ضغط الدم ودهنيات الدم العالية التى تصاحب الداء السكرى .

وعموما فإن تنظيم التغذية هو أفضل علاج لمرضى السكر المسنين المصابين بالسمنة ، كما أنه

(٣) الداء السكرى : المقصود به مرض السكر فى الدم (مرض البول السكرى) .

الإسراف فى تناول الطعام

عامل مساعد إلى جانب العلاج بالإنسولين فى مرضى السكر صغار السن .

ارتفاع ضغط الدم :

أكدت الدراسات الوبائية والتجارب على العلاقة الوثيقة بين زيادة وزن الجسم (السمنة) وارتفاع ضغط الدم ، كما أن إنقاص الوزن يؤدى إلى نقص ارتفاع ضغط الدم والعكس بالعكس ، وارتفاع ضغط الدم يشكل عامل خطر يمكن أن يؤدى إلى حدوث مرض الشريان التاجى للقلب ، وللحوادث المخية الوعائية (السكتات) وكذلك يمكن أن ينسب عدد كبير من حالات مرض الكلية فى المرحلة المنتهية إلى ضغط الدم العالى ، والعلاج الأمثل لارتفاع ضغط الدم الأولى ليس صيدلانيا بل إنه قوتى بالدرجة الأولى . وهو يتضمن إنقاص الوزن ، والحد من الصوديوم ، والحد من الكحول ، وإيقاف التدخين ..

تصلب الشرايين :

ويعتبر مرض تصلب الشرايين الناتج عن السمنة[4] سببا لأكثر الأمراض القلبية الوعائية ، ومع أن بعض الأمراض القلبية الوعائية يمكن أن تعزى إلى عوامل أخرى ، فإن مرض تصلب الشرايين يسهم فى هذه الأمراض أو يزيدها سوءاً ، وهذه الأمراض كلها قد تؤدى إلى الشلل الدائم ، وكلها من عواقب تصلب الشرايين الذى لم يزل يعزى إلى السمنة الناتجة عن الإفراط فى تناول الطعام .

الكوليسترول :

وقد خلص كبير أطباء الولايات المتحدة أوزدهس فى تقريره الحديث عام (١٩٨٨) عن التغذية والصحة إلى أن الصلة بين كوليسترول الدم ومرض تصلب الشرايين صلة قوية مستمرة ومتدرجة ، وقد خلص التقرير إلى العلاقة الأكيدة بين كوليسترول الدم وتناول الطعام .

إن تناول الدهون والكوليسترول فى الطعام يرفعان المستوى الكلى لكوليسترول الدم ومستويات البروتينات الدهنية الضارة . والأطعمة الغنية بالكوليسترول هى اللحم ومشتقات الحليب والبيض ، ويوجد الكوليسترول فى القسم الدهنى من النواتج الحيوانية (القشده والسمن ..) ، ولذلك فهو قليل فى النواتج الحيوانية القليلة الدهن أو المقشودة (الجبن القريش والزبادى) ، ولا يوجد الكوليسترول أبداً فى الخضار أو الحبوب .

وقد أجريت فى السنوات الأخيرة عدة دراسات تجريبية غايتها فهم كيف يسهم الكوليسترول فى تشكيل اللويحات التصلبية الشرايينية ؟ حيث وجد أن البروتينات الدهنية المحتوية على

(٤) ثبت علميا وجود علاقة وثيقة بين ارتفاع نسبة الدهون فى بلازما الدم وبين الإصابة بتصلب الشرايين فقرب أول القرن الحالى احدثت لويحات تصلبية شرايينية ، شبيهة بتلك التى تشاهد فى شرايين الإنسان ، وذلك بإعطاء الحيوانات طعاما من الكوليسترول المصفى وأطعمة غنية بالبروتينات الحيوانية .

الكوليسترول تسهم فى تبطين جدران الشريان ، وينتج عن ذلك تكاثر الخلايا الشريانية والخثار Thrombosis وتشكيل اللويحات التصلبية الشرايينية . والدهون المشبعة مسئولة بشكل خاص عن ازدياد كوليسترول الدم . وهى تزيد أيضا نشاط التجلط وتكدس الصفيحات الدموية .

والأسباب الأخرى لارتفاع كوليسترول الدم هى :

- ازدياد نسبة الدهون المشبعة فى الطعام « تتضمن الدهون من أصل حيوانى ».
- الداء السكرى « مرض السكر » .
- السمنة .
- تدخين السجائر .

ولا ينبغى أن يساء تفسير هذه المعلومات فيستنتج منها أنه من المفيد تناول كميات كبيرة من الدهون المتعددة اللاتشبع ، فكل الدهون ، سواء كانت مشبعة ، أم وحيدة التشبع ، أم متعددة اللاتشبع « غنية بالسعرات الحرارية » وتناولها بكثرة يؤدى إلى السمنة وخطر احتمال الإصابة بمرض تصلب الشرايين وأمراض القلب الوعائية .

أما عن آثار السكريات فى مستويات كوليسترول الدم فقد لوحظ أن السكروز « سكر المائدة » والفركتوز « سكر الفواكه » ، دون باقى السكريات لهما تأثير عظيم فى ارتفاع دهون الدم خاصة الدهن ثلاثى الجليسريد .

وقد أوصى فريق من الخبراء فى اجتماع دعت إليه منظمة الصحة العالمية حديثا بأن « يكافح المرض القلبى التاجى « مرض شريان القلب التاجى » بالوقاية الأولية .. البادئة فى الطفولة فيمنع الأطفال من الإفراط فى الأكل الذى يؤدى إلى سمنة مبكرة يصعب التخلص منها .

- وبالتركيز على التمرين المنتظم ومراقبة الوزن .
- وعدم التدخين .
- وتناول طعام متوازن يحد فيه من الدهون الكلية ، والدهون المشبعة والكوليسترول والملح .

التغذية والسرطان :

اتفقت أكثر البيانات على وجود ترابط قوى بين التغذية وبين حدوث بعض أنماط السرطان . وقيل إن الطعام « بنسبة ٣٥٪ » ، والتدخين « بنسبة ٣٠٪ » ، هما من أهم الأسباب التى يعزى إليها حدوث السرطان والترابط القوى يشاهد عملياً بين فرط تناول الدهون والسرطان أكثر منه بين البروتين والسرطان .

وقد ذكرت بعض الدراسات ، وجود دلالة إيجابية بين ازدياد وزن الجسم ، وبين ازدياد خطر السرطان وخلصت دراسة استخدمت معطيات الوزن ومعدل الوفيات بالسرطان فى مجموعة فيها ٧٥٠,٠٠٠ رجل وامرأة ، إلى أن أقل معدل وفيات بالسرطان قد شوهد فى الرجال الذين تتراوح أوزان أجسامهم بين ما هو أقل بـ ١٠٪ من الوزن الوسطى لسنهم وطولهم ، وما هو أكثر بـ ٢٠٪ من هذا الوزن .

أما النساء فقد كان الخطر الأدنى لهن فى اللواتى تتراوح أوزانهن بين ما هو أقل بـ ٢٠٪ من الوزن الوسطى وما هو بأكثر بـ ١٠٪ منه ، كما أنه توجد علاقة وثيقة بين تعاطى الكحول والتدخين والإصابة بالسرطان .

وتشير عدة دراسات دولية على أن السكان الذين يستهلكون أقواتا غنية بالأطعمة المعالجة لحفظها بالخل ، وبالملح ، وبتعريضها للدخان ، معرضون أكثر من سواهم للإصابة بسرطان المعدة والمرىء ، وعند تدخين الأطعمة

ناقوس الخطر

الإسراف في تناول الطعام

وتفحيمها ، تشكل هيدروكربونات عطرية حلقية متعددة ، منها عدة مواد قد تكون مسرطنة ، وقد يحدث هذا عند معالجة الطعام أو عند طبخه في نار عارية اللهب .

وقد أثبتت أكثر الدراسات وجود علاقة عكسية بين تناول الأطعمة الغنية بالألياف ، وبين حدوث سرطان القولون ، ولم تستطع بعضها « وهى أقل من ١٠٪ » كشف أى فعل ، ومع ذلك فالدليل قائم على أن الألياف تحمى من السرطان .

ومصادر الألياف الرئيسية في الطعام هي : الفواكه ، والخضار ، والبقول ، والحبوب الكاملة غير المنخولة .

التغذية والشيخوخة :

تشير آخر الأبحاث في هذا المجال ، إلى أن بعض المواد الكيماوية الموجودة في الجسم قد تعجل ظهور الشيخوخة ، وأهم هذه المواد :

١ ـ مادة الليبوفيوسين « تنتج عن تحلل المواد الدهنية » .

٢ ـ مادة السكر . المعروف أن مادة « الليبوفيوسين » تنتج عن تحلل المواد الدهنية ، وتزيد مع تقدم العمر ، وهى تنتج داخل خلايا الجسم المختلفة ، وربما يؤدى وجودها بكميات كبيرة إلى تعطيل بعض العمليات الحيوية ، وبالتالى إلى ظهور الشيخوخة .

أما مادة السكر فتمثل ـ حسب ما يرى معظم العلماء حاليا ـ المسئول الأول عن الشيخوخة ، يؤكد ذلك البروفيسور « ريتشارد بوكلا » الذى توصل إلى أن جزىء الجلوكوز ـ أحد أنواع السكر ـ يؤدى إلى إصابة بروتينات الخلية المختلفة بعديد من الأعطاب ، مما يؤثر على كفاءة الخلية في القيام بوظائفها المختلفة .

مما سبق يتضح جليا أن أعظم الأخطار وأكثرها ضرراً على الإنسان تكمن في كثرة الأكل والشرب ، لهذا جاء الخطاب صريحا من الله عز وجل يحذرنا من كثرة الأكل والشرب ويأمرنا بالاعتدال في تناول الوجبات ، قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأعراف آية ٣١ .

* لقد أرسل المقوقس حاكم مصر إلى النبى محمد ﷺ بهدايا ثلاث : جارية وفرس وطبيب ، فقبل النبى الهدية الأولى والثانية ، ورد الثالثة شاكرا قائلا : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » .

وكان قوله ﷺ حكمة خالدة ، ونصيحة طبية غالية ، تبقى ما بقى الزمن .

إرشادات طبية في التغذية

الدهون والكوليسترول :

ينبغى الإقلال من تناول الدهون « وخصوصا الدهن المشبع » والكوليسترول . ويفضل تناول أطعمة تقل فيها هاتان المادتان ، كالخضر ، والفواكه ، والأطعمة ذات الحبوب الكاملة ، والسمك والطيور الداجنة ، واللحوم القليلة الدهن ، ومشتقات الحليب القليلة الدهن .

طهى الخضروات بطرائق لا تستعمل من الدهن إلا النزر اليسير . البعد عن الأطعمة المقلية بقدر الاستطاعة .

الطاقة ومراقبة الوزن :

اعمل على أن يكون وزن جسمك هو الوزن المستحب ، وحافظ على هذا الوزن ، ولتحقيق ذلك ، اختر طعاما يكون فيه مدخول السعرات الحرارية مناسبا لإنفاق الطاقة ولإنقاص مدخول السعرات الحرارية ، ينبغى الحد من تناول الأطعمة الغنية بها مثل الدهون والسكر ، وتجنب تعاطى الكحول ما استطعت وهو محرم شرعاً ، ينبغى الامتناع عن التدخين تدريجيا ، يجب زيادة إنفاق السعرات الحرارية بنشاط جسدى منتظم ومستمر .

السكريات المركبة والألياف :

ينبغى تناول الأطعمة ومنتجات الحبوب ذات الحبات الكاملة - والخضار ، بما فى ذلك اللوبيا والفاصوليا والفول والبازلاء « البسلة » المجففة والفواكه .

الصوديوم :

انقص مدخول الصوديوم(٥) باختيار الأطعمة القليلة الصوديوم ، وبتحديد مقدار الملح المضاف عند إعداد الطعام وعلى المائدة .

(٥) مصادر الصوديوم فى الاكل هو ملح الطعام .

حـــول علـــى حـــول - بقيـــة

يقصر فهم الناس عنه ثم يقال : جاز كذا وكذا فما يمنع أن يكون كذا وكذا .

وذلك حسبى ، فإنما أخاطب عالما لا أزيده علما .

ثم دعنى - ياأخى - المس .. « معلومة » برفق لأنهنه من غربها وأرد تعميما فيها إلى صواب يلزمها جانب العلم .

لقد ذهب عامة الناس فى أمر التحزيب من أجزاء وأحزاب وأرباع إلى زمن الحجاج حتى أبى بكر بن عياش ، كما سبقت الإشارة .

ومن الحق أن نقول : إن هذا الأمر يمتد إلى عصر الصحابة وصدر الإسلام : حَزَّب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - روى أبو عبيدة بسنده - إلى عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفى عن جده الذى كان فى وفد قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم وتأخر - عليه الصلاة والسلام - يوما عن موعده معهم ، قال :

« فاحتبس عنا ليلة ، فقلنا : يارسول الله ، لبثت عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث قال : نعم ، طرأ علىّ حزبى من القرآن فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه .

هذا .. وجاء - فى (المدنى الأخير) الذى رواه إسماعيل بن جعفر - بسنده إلى شيبة مولى أم سلمة زوج النبى - صلى الله عليه وسلم - وعن أبى جعفر يزيد بن القعقاع مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى ، وعليه الآخذون لقراءة نافع اليوم ، وبه ترسم الأخماس والأعشار ، وفواتح السور فى مصاحف أهل المغرب(١) ...

وفى ذلك إشارة واضحة إلى قدم التحزيب بأسبق من عصر الحجاج بمدى طويل والله أعلم .

(١) انظر جمال القراء للسخاوى ١/١٢٤ ، ١٨٩ نشر الخانجى مطبعة المدنى سنة ٤٠٨ .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حقا

الإيمان بالله هداية ، والابتعاد عن المعصية رشد ، والقيام بطاعة الله قربة ، والقربة إلى الله سعادة .

هكذا كانوا

قال رجل ليونس بن عُبَيْد : تَعْلَمُ أحداً يَعمل بِعَملِ الحسن - رضى الله عنه - ؟

قال : والله ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله !

قيل : فصفه لنا .

قال : كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه[1] ، وإذا جلس فكأنه أسير أُمِر بضرب عنقه ، وإذا ذُكرت النار فكأنها لم تُخلَق إلا له .

نصيحة

قال رجل للمأمون :

ياأمير المؤمنين الله ، الله فى أصحاب الأخبار ، فإنهم قوم إن أُعطوا كذبوا ، وإن حُرموا كذبوا ، فإن أُعطوا مدحوا وهم كاذبون ، وإن حُرموا ذموا وهم كاذبون .

فقال المأمون : لله درها من كلمة ما أقصدها وأبين فضلها وأمر أن تثبت فى أمور أصحاب الأخبار .

فلسفة بخيل

حكى عن بخل « مروان بن أبى حفصة » : أنه كان يرسل غلامه كل يوم ليشترى له رأس خروف مطبوخ فيأكله .

(١) نفس عزيزة عليه .

فقيل له : نراك لا تأكل إلا الرأس دون سائر اللحم صيفاً وشتاء .

فقال : نعم .

أولاً : لأن الرأس أعرف سعره فلا يقدر الغلام أن يغبننى فيه وليس بلحم فيأخذ منه دون أن أعلم .

ثانياً : إن مسَّ عينا أو أذناً أو خدا أعلم به ، ثم إننى آكل منه ألواناً ، فعينه لون ، وأذنه لون ، ودماغه لون ، ولسانه لون ؛ ففى الرأس ألوان شتى .

المال

المال يذهب حِلّهُ وحرامه
يوما ويبقى فى غد آثامه

أخى

لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءا وأنت تجد لها فى الخير محتملاً .

لا تأمن الدنيا

لما بنى المأمون بن ذى النون ، وكان من « ملوك الأندلس » قصره وأنفق فيه بيوت الأموال ، جاء على أكمل بنيان فى الأرض ، وكان من عجائبه أن صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة ، وبنى فى وسطها قبة وساق الماء من تحت الأرض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد أحكمه المهندسون ، وكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليها محيطا بها متصلاً بعضه ببعض فكانت القبة فى غلالة من ماء سكبا لا يفتر والمأمون قاعد فيها .

وروى : أنه بينما هو نائم إذ سمع منشداً يقول :

اتبنى بناء الخالدين وإنما
بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الأراك كفاية
لمن كل يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها إلا يسيراً حتى قضى نحبه .

ووجد مكتوباً على قصر قد باد أهله واقفرت منازله .

هذى منازل اقوام عهدتهم
فى خفض عيش نفيس ما له خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا
إلى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك لما عَدَتْ هذا البيت :

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض
على الماء خَأْنَتْهُ فروج الأصابع

حق لى أن أعجب

قيل لإياس بن معاوية : مافيك عيب إلا أنك معجب !!

قال : أفأعجبكم ؟

قالوا : نعم .

قال : فأنا أحق أن أعجب بما يكون منى .

دعاء

« اللهم ارحم غربتى فى الدنيا ، ومصرعى عند الموت ، ووحدتى فى القبر ومقامى بين يديك »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

أنين الأشجار المريضة :

توصل العلماء حديثا إلى نتيجة علمية مثيرة تقضى بأن الشجرة المريضة ترسل بالفعل صوتا هادئا هو بمثابة الأنين الذى يصدر عن المريض عندما يتألم . فقد قام باحثون من إدارة الغابات فى وزارة الزراعة الأمريكية برصد هذا الأنين عن طريق ربط مجسات على لحاء أشجار أصيبت بالجفاف ، وسمعوا بوضوح أنات الألم والحزن .

يقول « روبرت هاك » الإخصائى بعلم الحشرات فى إدارة الغابات : إن الأشجار الأكثر ظمأ كانت تبث نداءاتها على موجة يتراوح ترددها بين ٥٠ و ٥٠٠ كيلو هرتز (ولا تستطيع الأذن البشرية سماع أصوات تردد أكثر من ٢٠ كيلو هرتز ، بدون مساعدة .

ويؤكد العلماء أن الأشجار المختلفة تطلق أصواتا تختلف بشكل ضئيل فيما بينها على شكل اهتزازات على سطح الخشب . ويعتقد أن هذه الاهتزازات تنجم عن المياه داخل الأنابيب التى تمتد داخل الشجرة حيث تسمع لها طقطقة نتيجة لقلة المياه المتدفقة .

إنتاج مضاد حيوى من بعض فصائل النمل :

نجح فريق من العلماء بإحدى جامعات استراليا فى التوصل إلى إنتاج مضاد حيوى من إحدى فصائل النمل بغرب استراليا وبالتحديد من غدد الميتابلورال Metapleural الموجودة فى مؤخرة زور النملة .

تبين أن هذا المضاد الحيوى فعال بدرجة كبيرة فى القضاء على بعض سلالات البكتريا العادية ، والتى تعوق التئام الجروح لعدة شهور بعد إجراء العمليات الجراحية ، كما أنه يقتل أنواعا كثيرة من الفطريات التى تصيب الإنسان بأمراض الأغشية المخاطية فى الفم والقصبة الهوائية والأنف .

ظاهرة علمية مثيرة :

حقق فريق من العلماء فى إحدى الشركات الأمريكية إنجازا عظيما فى مجال أبحاث «فوق الصوتيات Ultrasonics» وذلك عندما أجروا تجربة ناجحة لرفع حامل كرات فولاذى يبلغ وزنه ٣٢ جراما باستخدام الموجات الصوتية فقط .
حاول علماء هذه الشركة ـ بالتعاون مع جامعة ميسورى ـ الاستفادة التامة من حالة انعدام الوزن الموجودة على متن المكوك الفضائى « تشالنجر » لرفع عينات من الزجاج والسيراميك بواسطة الصوت .

ساعة يد لقياس ضغط الدم :

قامت إحدى الشركات اليابانية بإنتاج ساعة يد لقراءة ضغط الدم . فبمجرد الضغط على زر خاص تعطى الساعة خلال ٣٠ ثانية قياس ضغط الدم ومعدل ضربات القلب .

وتستطيع هذه الساعة استيعاب ٣٠ قراءة للضغط وضربات القلب وتخزينها مع تاريخ وموعد كل قراءة ، كما أنها تصدر صوتا تحذيريا لتنبيه حامليها عند ارتفاع ضغط الدم عن المستوى الطبيعى .

الإضاءة ليلا باستخدام الطاقة الشمسية :

تشهد تقنية (علم الكهربية) تطورا جديدا فى مجال تصنيع لمبات تعمل بالطاقة الشمسية لإضاءة الحدائق والشوارع ليلا .

توصلت شركة إنجليزية إلى شحن الطاقة المتولدة من أشعة الشمس فى بطارية خاصة تدخل فى تصميم اللمبات بحيث يمكن إضاءتها ليلا بالطاقة المخزونة طوال النهار دون الحاجة لمد (الكابلات) الكهربائية .

جهاز لقياس الغازات السامة فى المنازل :

انتجت إحدى الشركات الأمريكية جهازا لقياس تركيز الغاز داخل المنازل . ويعتبر غاز أول (أكسيد الكربون) من الغازات السامة وهو ينتج من عملية الاحتراق لبعض أنواع الوقود التقليدى مثل الفحم و (الكيروسين) والغاز الطبيعى ، إلا أن زيادته تمثل خطورة فائقة على حياة الإنسان ، خاصة فى المنازل .

يتكون الجهاز من حلقة (بلاستيكية) صفراء اللون توضع على الحائط وعندما تزيد كمية الغاز يتحول اللون الأصفر إلى اللون الأخضر ثم الأزرق بينما يعود الجهاز إلى لونه الطبيعى عندما يقل تركيز الغاز إلى الكميات الطبيعية .

منظار فلكى بمرآة عملاقة :

توصلت التقنية الألمانية إلى تصنيع مرآة عملاقة بقطر ٨,٦ متر ومساحة تزيد على ٥٥ مترا مربعا ، وذلك لاستخدامها مع ثلاث مرايا أخرى فى أكبر منظار فلكى يتبع معهد المراصد الأوروبية الجنوبية ، مقاربا إلى حد كبير جدا فى كفاءته المراصد التى تحملها مركبات الفضاء خارج

الجديـد فـى العلـم

الغلاف الجوى لكشف الأجرام السماوية البعيدة والخافتة الإشعاع الضوئى .

مولد كهربائى اقتصادى :

نجح الباحثون البريطانيون فى صنع أول مولد كهربائى يعمل باستخدام الموصلات الفائقة عالية الحرارة High – Temperature Superconductors . ويحتوى قلب هذا المولد الجديد على ملف Coil من سلك فائق التوصيل مصنوع من (اكسيد الايتريوم ، والباريوم ، والنحاس) لكن هذا الإنجاز الهام لايزال بحاجة إلى المزيد من الأبحاث العلمية لتطويره على مستوى تجارى .

ذلك لأن تقنية الموصلات الفائقة عالية الحرارة لايمكنها فى الوقت الحالى أن تنقل كميات كبيرة من التيار الكهربى . وإذا ما نجح العلماء فى رفع قدرة هذه الموصلات على حمل التيار فسوف يصبح بالإمكان استعمالها لجعل توليد الكهرباء أكثر فاعلية وأقل كلفة .

طريقة جديدة لحفظ الكتب من التلف :

توصل خبراء مكتبة الكونجرس الأمريكى مع علماء الكيمياء فى مؤسسة (أكرو الهولندية) إلى وسيلة جديدة لحفظ الكتب والمطبوعات لمئات السنين باستعمال مادة « داى ايثيل زنك Diethyl Zinc » التى تتبخر فى غرفة التفريغ وتتفاعل مع بقايا الأحماض فى الورق التى تسبب تلفه ، وتترسب مادة أوكسيد الزنك على الصفحات لوقايتها وخصوصا عند أطراف الصفحات وهى الأكثر تعرضا للتآكل نظرا لانتقال المواد الدهنية والأحماض مع العرق من ملامسة قراء الكتب وأصابعهم ، ولقرب الأطراف وتعرضها للتلوث الجوى . وكانت الطريقة المستعملة لحفظ أوراق الكتب هى تفكيك الكتاب إلى صفحاته ، ومعالجة كل صفحة بمحلول كربونات ، وبعد التجفيف يعاد جمع الكتاب .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

فى العدل والجور

لصاحب الفضيلة : الشيخ محمود النواوى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

لا تستقيم حياة الإنسان إلا على اساس العدالة ، وضمان الحقوق كافة ، والعدل اساس ذلك كله لذا امر تعالى به ، فقال : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ .

والعدل - هنا : ضد الجور ، والإنسان العدل هو الإنسان المنصف الذى يعرف ما له وما عليه ، ويلتزم بحدود الله فلا يتعداها .

ولقد علم الله ان الإنسان قد تدفعه الأغراض الشخصية إلى الانتقام او الحيف والميل مع الأهواء وترك ما هو عدل ، فحذرنا مغبة ذلك فى آيات كثيرة من القرآن الكريم .

قال ابن مسعود - رضى الله عنه - : إن اجمع اية فى سورة النحل هى قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾

قال الأستاذ - رحمه الله - :

فى كتاب الله سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إن يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا ﴾[1] .

وفى السنة النبوية الكريمة « عدل يوم واحد افضل من عبادة ستين سنة » .

وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإن العبادة توجيه سليم ، وتهذيب عظيم ؛ ليكون

(١) النساء ١٣٥ .

من روائع الماضى

في العدل والجور

الإنسان خليفة فى الأرض ، قائماً بالقسط ، حتى يحيا الناس حياة طيبة فى دنياهم ، وحتى يسعدوا بجوار الله الكريم فى آخرتهم .

شهد بذلك الكتاب والسنة ، فإن كتاب الله سبحانه يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢) . ويذكر أنه فرض الصيام لتهذيبه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٣) . ويذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأن الزكاة طهرة وزكاة للنفوس : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾(٤) ، والسنة وزير الكتاب ونصيره . فإنها تقول : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » و « من لم تنهه صلاته فلا صلاة له » وقيل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها . فقال : « لا خير فيها وهى من أهل النار » . وما أكثر ذلك المعنى فى الدين . وجماعه فى قول الله سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾(٥) ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾(٦) . ولهذا قال العلماء إن أحكام الشريعة الإسلامية دائرة حول أمرين : جلب المنافع ودرء المفاسد . ولعل أساس ذلك كله العدل ، فهو الميزان الذى وضع الله لعباده ، لا تصلح حياة إلا عليه ، ولا يقوم نظام إلا به . وهو القسطاس الذى أراد الله سبحانه لعباده ، فما عبَدالله من تنكب عنه ، ولا عرف الله من أنكره .

إن العبادة الحق خشوع فى القلب ، واتصال بالرب . ولن يكون خشوع واتصال إلا ومعه ميزان واعتدال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾(٧) .

وما كان الله ليقبل شخصاً فى ملكوت السماء حتى ينزل على حكم الحق ، ويكون هواه فى كنف القسط والعدل ، لا تميل به شهوة ، ولا تستهويه نفس جامحة .

إن العبادة الحق دين قيم ، ولا دين إلا بالعدل فى القضية ، والمساواة بين الرعية ، على اختلاف جهات الرعاية ، ولو كان الراعى مالكا لما يقضى فيه . ولذلك قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن جاءه يشهده على هبة لأحد أبنائه : هل وهبت لأخيه ؟ قال لا ، قال : « فأشهد غيرى ، لا أشهد على زور ، اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم »(٨) .

إنه لا دين حتى يكون عدل تعمر به الأرض ، ويأمن به الخائف من الخوف ، وحتى يرحم الكبير الصغير ، ويوقر الصغير الكبير ، ويتعاون الكل مع الكل ، ولذا يظهر ذلك المعنى حق الظهور فى عهد النبيين والخلفاء الراشدين والأئمة الصالحين ...

وفى الكتاب والسنة كثير من التوجيهات ذات الدلالة على أن مرضاة الله فى العدل وسخطه فى

(٢) النحل ٩٧ .
(٣) البقرة آية ١٨٣ .
(٤) التوبة آية ١٠٣ .
(٥) الأنعام ١٢٢ .
(٦) الأنعام ١٢٥ .
(٧) البقرة ١٢٤ .
(٨) رواه مسلم فى باب الهبات والنسائى فى النحل .

البغى ، فهو ينتقم من الظالمين ، وينصف المظلومين ولو بعد حين .

لقد كان قارون من قوم موسى فبغى عليهم فخسف الله به وبداره الأرض . ولقد علا فرعون فى الأرض وجعل أهلها شيعا ، واستكبر هو وجنوده فأخذهم الله سبحانه فنبذهم فى اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .

وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فدمرهم الله وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وكل أخبار الأمم السالفة فى قصص القرآن تدور حول الظلم والطغيان وجزاء الظالمين . لقد تردد هذا المعنى فى الكتاب بما هو جدير أن يكون عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وكذلك سارت السنة تساند الكتاب الكريم وتستمده ؛ فقال السيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الحية لتأرز إلى جحرها من ظلم ابن آدم » . ثم تلا : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ الآية[9] وقال السيد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » . ثم تلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ وفى الحديث الصحيح : « إنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أعلم ، فمن قضيت له بشىء من مال أخيه فإنما اقتطع له قطعة من جهنم »[10] .

وإذا كان الرضا فى العدل والسخط فى الظلم ، فإن العدل خير من العبادة مع الظلم ، وعدل يوم واحد خير من عبادة ستين سنة ، لأن العبادة بدونه غير مثمرة ولا مؤدية لما هو المقصود . وإذا كانت السنة الكريمة قد نصت على عدد معين وهو الستون من السنين ، فإن العدد فى ألفاظ الدين لا يراد به التحديد ولكنه للتأثير والتسديد ؛ فما أكثر العدد فى ألفاظه من غير قصد إلى ظاهر دلالته .

وبعد : فإن الدين ليس صورا من العبادات فى صلاة وصوم ، وتحريك الشفة بما يوهم أنك من خيرة القوم ، وإنما الدين إيمان يخالط السويداء ، ونور من الله يقتحم فى النفس إلى كل داء ، فيشفى الصدور ، ويخرج منها كل بغى وزور . . .

إن الدين إصلاح فى الأرض ، وسعى بين الناس بالخير ، ونصفة للمظلوم ، وأخذ بناصر كل مكلوم ، ومسح برأس البائس ، وتخفيف من آلام المحروم اليائس ، وطهر وصفاء ، وصدق ووفاء .

●●●

والعدل إنما يصح فى نفس تخشى الله ، أو تخاف التلف أو الشقاء .

والأول هو العدل الإسلامى الذى تعبد الله به عباده .

والثانى هو العدل النظرى الذى قصد إليه الحكيم بقوله : الملك يبقى على الكفر ، ولا يبقى على الظلم . فكفر مع ذلك العدل النظرى أسعد للملك ، وأبقى له من إيمان لا عدل معه . وفى ذلك تعزيز للحديث الذى جاء فى صدر هذا المقال ، والذى يدور حوله . وقد ظهر للقارىء الكريم أن الحديث عن العدل الدينى الذى يكون منزعه مراقبة الله ، وخشيته . فهو من غير ريب وليد التدين ، ونتيجة التحنث[11] . فكلما صفا القلب

(٩) رواه البخارى ـ قضاء المدينة .

(١٠) رواه البخارى عن أم مسلمة رضى الله عنها .

(١١) أما الشرك بالله فهو فى الدين أظلم . قال الله سبحانه « إن الشرك لظلم عظيم » .

من روائع الماضى

◆ فى العدل والجور

لله ، وتعرف إلى ساحة مولاه ، بإدمان الاستغفار ، والقيام بالأسحار ، وتلاوة كتاب الله ، وإقام الصلاة ، والإنفاق فى رضاه ـ كانت الاستقامة والاتزان ،والنفع والحنان ، والإصلاح والإحسان ، وذلك هو العدل والميزان ؛ وإن خبث القلب بالفسوق والعصيان ..

إن العدل فى ذاته معنى واسع فسيح ، فهو يكون مع من فوقك ، ومع من دونك ، ومع من يساويك ؛ وتفصيل ذلك فى كتب الأخلاق . والعدل معنى غامض فى جزئياته محفوف بمخاطر الهوى . والهوى إله يعبد . ولذلك عز تحققه ، ورفع إلا من قليل النزوع إليه . فخلط الناس وخبطوا ، وغلوا واشتطوا . فليس هناك إلا فى النادر العزيز من ينصف من ابنه أو أبيه ، ومن يحكم لخصمه ومعاديه ، ولكن الكتاب ينطق بالحق ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .

وقد عرف ذلك أولو العزم ، فقال محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ووضع ربا عمه العباس قبل كل الناس . وعرفه عمر فأخرج ابنه من ولاية المسلمين لئلا يكون اثنان فى بيت الخطاب . يليان ذلك الجانب الخطير . رحم الله عمر . وهل يقول الله سبحانه فى كتابه : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ إلا والعدل معنى غامض ، ومرام عزيز . ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

افبعد هذا يستطيع إنسان أن يستهين بالعدل ولا يضعه من الدين فى السنام ، ويقر بأن عدل ساعة خير من عبادة كثير من الأعوام ..

لقد ذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعة يأمنون يوم يخاف الناس ، ويستظلون بظل العرش يوم لا ظل إلا ظل الله ؛ فبدأ بالإمام العادل لأنه إمام هؤلاء ومقدمهم . ولولا خطورة العدل وبالغ اثره فى إصلاح الحياة ، وغمرها بالخير والسعادة ؛ لولا ذلك لما كان ذلك الوضع من الرسول الحكيم ، والنبى الكريم . وهل كان الصديقون من المؤمنين يتحرجون من الولاية ، وينفرون من قبول القضاء إلا لما رأوا من خطورة ما استهدفوا له وتعرضوا لمزالقه . سجن الإمام الأعظم أبو حنيفة على أن يلى القضاء وضرب بالسياط ، فاحتمل كل ذلك فى جنب الله ، لأنه رأى القضاء مظنة الظلم ، والظلم معصية ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

إن ذلك العدل جعل عمر وهو الأمير الشديد فى الحق ، القاسى فى التحامل على كل مشتط ، ينام فى الطريق بلا سلاح ولا حارس ، لا يبالى فى الله أن يؤلم أى كبير ، ولا يستثنى من درته أى وال أو أمير ، الضعيف عنده قوى حتى يأخذ بحقه ، والقوى ضعيف حتى يأخذ الحق منه .

إن كل فساد فى الأرض وشق لعصا الطاعة ، ومشاقة للجماعة ، وقتل وفتك ونقض للعهد ، وتعد للحد ، وتظاهر بالإثم والعدوان ، واضطراب فى نظام العمران ـ إن كل ذلك من الجور بين

البقية ص ـ ١١٨٥ ـ

اللغة والأدب والنقد

نظريات لغوية

آلام الزمخشري ومقاماته

لحظات طيبات مع الإمام سفيان بن عيينة

نظريات لغوية

عند ابن القيم

رأيه فى الاشتقاق اللغوى - نظرية وتطبيقا

فى كتابات ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ نظريات لغوية ، هى من صميم علم اصول اللغة ، والناظر فيها بتأمل وتأن يرى انها تكاد تعقد لهذا العلامة زعامة لغوية عامة ، كما عقدت له زعامات علمية ودينية فى ميادين مختلفة لتنوع معارفه ، ووفرة ما افاء الله سبحانه عليه من الوان المعارف .

وفى هذا البحث نرى الفقيه ابن القيم مشتملا عباءة أصول اللغة فى مباحث الاشتقاق نظرية وتطبيقا :

فيعنى بالاشتقاق نظرية وتطبيقا لإيضاح المعنى أتم توضيح ، ويذكر تقاليب الكلمة ودوران المعانى والألفاظ ، ويفرق بين الحقيقة والمجاز ، ويتتبع استعمالات اللفظ ويرد توهم المتوهمين من اللغويين ، ويذكر الصحيح من المنقول والمعقول .

ويرينا اشتقاق (الجن ، وعاذ ، وأعوذ ، والوسوسة ، والفرق بين الخناس والوسواس ومم اشتقت البركة)... إلخ .

وتلك أمثلة مقتطفة من كتابه القيم (بدائع الفوائد) ، ترينا أنه اسم على مسمى وتزيدنا

د . توفيق محمد شاهين

معرفة بجوانب ثرَّة للإمام ابن القيم ، جزاه الله عن العربية والإسلام كل خير ، وجعل الفردوس مثواه .

اللغة العربية لغة اشتقـاق ، لا إلصاق وإضافة كغيرها من اللغات التى تعتمد على ذلك أكثر من الاشتقاق .

والاشتقاق كما قال علماء أصول اللغة باب عظيم من أبواب تنميتها والتصرف فى فنونها ، وسبب فى مرونتها وسعتها وحيويتها .

والاشتقاق له أبواب متعددة : من صغير أو أصغر ، إلى كبير أو أكبر ، إلى كُبَّار وهو « النحت » وترجع تقاليب الكلمة فى العربية إلى معنى واحد ، هو جامعها ومحور دوران حروفها فى بناءاتها المختلفة .

وللعلامة ابن القيم فى هذا الصدد باع واسع ، ومعرفة وطيدة ، تتميز بالوضوح ، ومعرفة أوجه

الاستعمال ، وأثر هذا الاستعمال فى تحديد الأصل اللغوى ، ثم بيان الاستعمالات المجازية الأخرى ، سواء تنوسى الأصل أو لمح ، أو انتقل المعنى إلى شيء جديد فى الاستعمال .. إلخ .

نسوق مثالا لذلك فى تفسير ابن القيم لقوله تعالى فى سورة الناس : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (1) يقول رحمه الله تعالى :

« ... ... الجن ، إنما سموا جنا من الاجتنان وهو الاستتار ، فهم مستترون عن أعين البشر ، فسموا جنا لذلك ، من قولهم : جنه الليل وأجنه : إذا ستره وأجن الميت إذا ستره فى الأرض ، قال الشاعر :

ولاتبك ميتا بعد ميت أجنه
على وعباس وآل أبى بكر

يريد النبى صلى الله عليه وسلم .

ومنه الجنين لاستتاره فى بطن أمه ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾(2) .

ومنه المجن لاستتار المحارب به من سلاح خصمه . ومنه الجُنة لاستتار داخلها بالأشجار . ومنه الجنة (بالضم) لما يقى الإنسان من السهام والسلاح . ومنه المجنون لاستتار عقله(3) .

ويبين المناسبة بين اللفظين فى اللفظ والمعنى ، ويذكر الاشتقاق الوسط أو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد ، ويقصد بذلك رجوع تقاليب الكلمة أى تصرفاتها إلى معنى واحد ، يقول :

(وأما – لفظ – الناس ، فبينه وبين الأنس مناسبة فى اللفظ والمعنى ، وبينهما اشتقاق أوسط ، وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد .

والأنس والإنسان مشتق من الإيناس ، وهو الرؤية والإحساس . ومنه قوله تعالى : ﴿ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾(4) أى رآها .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾(5) أى أحسستموه ورأيتموه . فالإنسان سمى إنسانا ، لأنه يونس ، أى يرى بالعين .

والناس ، فيه قولان :

أحدهما : أنه مقلوب من أنس ، وهو بعيد ، والأصل عدم القلب .

والثانى : وهو الصحيح : أنه من النوس ، وهو الحركة المتتابعة ، فسمى الناس ناسا للحركة الظاهرة والباطنة ، كما سمى الرجل : حارث وهمام ، وهما أصدق الأسماء كما جاء فى الخبر لأن كل أحد له هم وإرادة ، وهى مبدأ وحرث وعمل هو منتهى .

فكل أحد حارث وهمام ، والحرث والهم حركتا الظاهر والباطن ، وهو حقيقة النوس .

وأصل ناس : نوس ، تحركت الواو وقبلها فتحة فصارت ألفا .

هذان هما القولان المشهوران فى اشتقاق الناس ، «أى أنه مقلوب من أنس أو أنه من النوس وهو الحركة المتتابعة » .

وأما قول بعضهم : أنه من النسيان ، وسمى الإنسان إنسانا لنسيه ، وكذلك الناس سموا

(1) الناس ٦ .
(2) النجم ٣٢ .
(3) بدائع الفوائد ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(4) القصص ٢٩ .
(5) النساء ٦ .

نظريـات لغوية عنـد ابن القيم

ناسا لنسيانهم ، فليس هذا القول بشىء : وأين النسيان الذى مادته (ن س ى) إلى الناس ، الذى مادته (ن و س) .

وكذلك : أين هو من الأنس الذى مادته (أ ن س) ؟

والالف والنون فى آخره (لفظ الإنسان) زائدتان ، لايجوز فيه غير هذا البتة إذ ليس فى كلامهم (أنسن) حتى لايكون إنسانا إفعالا منه .

ولا يجوز أن يكون الألف والنون فى أوله زائدتين ، إذ ليس فى كلامهم (انفعل) فيتعين أنه فعلان من الأنس . ولو كان مشتقا من نسى لكان نسيانا لا إنسانا .

فإن قلت : فهلا جعلته إفعلالا ، وأصله إنسيانه ، كليلة إصحيان ، ثم حذفت الياء تخفيفا ، فصارت إنسان ؟

قلت : يأبى ذلك عدم إفعلال فى كلامهم ، وحذف الياء بغير سبب ، ودعوى ما لانظير له ، وذلك كله فاسد .

على أن الناس ، قد قيل أصله الأناس ، فحذفت الهمزة فقيل : الناس ، واستدل على ذلك بقول الشاعر :

إن المنايا يطلعن على الأناس الفافا .

ولاريب أن أناسا فعال ، ولا يجوز فيه غير ذلك البتة .

فإن كان أصل ناس أناسا ، فهو أقوى الأدلة على أنه من أنس ، ويكون الناس كالانسان سواء فى الاشتقاق . ويكون وزن ناس على هذا القول (عال) لأن المحذوف فاؤه .

وعلى القول الأول يكون وزنه (فعل) لأنه من النوس .

وعلى القول الضعيف يكون وزنه (فلع) لأنه من نسى ، فقلبت لامه إلى موضع العين فصار ناسا ووزنه (فلعا)[٦] . أ . هـ

تتبع ابن القيم اللفظ فى اشتقاقه ، وبين الأقوال التى قيلت فيه ، ورجح ماارتآه ، ووهن غيره ، وارجع تقاليب الكلمة إلى معنى واحد ، ورد توهم المتوهمين بالدليل والبينة ، ثم جاء بميزان اللفظ على جميع الأقوال ليوضح الصحيح ، ويرد الضعيف .

ويعنى ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فى ابحاثه ببيان الاشتقاق ، ومصدره تبيانا للحقيقة ، وإظهارا للمعنى ، وتفرقة بين الحقيقة والمجاز ، وتتبعا لاستعمالات اللفظ فى مواضع مختلفة .

ولو أن علماء اللغة عنوا بهذا الجانب حين جمعوا اللغة ، وتتبعوا مواطن الاستعمال لكان لنا من خرائط التاريخ اللغوى مايعيننا على تبيان المعنى والاستعمال ، كسجل للفظ .

فهو يرى :

أن الظرف إن كان مشتقا من فعل ، فهو يتعدى إليه بنفسه ، لأنه فى معنى الصفة التى لاتتمكن ، ولا يخبر عنها : وذلك كقبل وبعد وقريبا منك ، لأن فى قبل معنى المقابلة وهى من لفظ قبل . وبعد من لفظ (بعد) .. [٧] .

(٦) بدائع الفوائد ٢/٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٧) بدائع الفوائد ٢/١٠٨ .

والمصدر قد يبقى بينما فعله أميت ، وهذا ما تحاول بعض المجامع اللغوية اليوم البحث عن الفعل المفقود ، أو إحياء الفعل الذى أميت ، أو إكمال المادة اللغوية بصفة عامة .

يقول : ومن هذا القبيل ـ قبيل تعدى الفعل واشتقاقه جلست خلفك وأمامك ، وفوق وتحت وعندك فى معنى القرب ، لأنها (عندك) من لفظ العند ، قال الراجز :

وكل شىء قد يحب ولده
حتى الحبارى فتطير عنده

أى إلى جنبه . وهذه الألفاظ غير خاف أنها مأخوذة من لفظ الفعل :

فخلف (الظرف) من خلفت (الفعل) ، وقدام من تقدمت ، وأمام من أممت أى قصدت ، وكذلك سائرها (أى الظروف من أفعالها) الا أنهم لم يستعملوا فعلا من تحت ، ولكنها مصدر فى الأصل أميت فعله ..»[8] .

ومادل على الهيئة لمح فيه الاشتقاق ، كما إذا وقع الحال جامدا ، ويشترط فيه الاشتقاق كشرط الحال ـ لأن :

(الحذاق من النحاة)على أنه لايشترط ـ فى الحال أن يكون مشتقا ـ بل كل مادل على هيئة صح أن يقع حالا ، فلا يشترط فيها إلا أن تكون دالة على معنى متحول ، ولهذا سميت حالا ، قال الشاعر :

لو لم تحل ماسميت حالا
وكل ماحال فقد زالا

فإذا كان صاحب الحال قد أوقع الفعل فى صفة غير لازمة للفعل ، فلا تبالى أكانت مشتقة أم لا ؛ فقد جاء فى الحديث : «يتمثل لى الملك رجلا » ، لأن صفة الرجولية طارئة هنا على الملك ، فوقعت حالا ، إذ هى لازمة للملك فى وقت وقوع الفعل فقط أى (أنه تحول إليها للحظات) ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾[9] . ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾[10] ، ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا ﴾[11] .

ويقولون : مررت بهذا العود شجرا ، وهذا زيد أسدا ، وتأويل كل ذلك بمشتق تعسف ظاهر ، ولكنها أفعال تحول الفاعل إليها ، فصلح أن يكون حالا ، لدلالته على الهيئة .

يتبع

(٨) السابق ١٠٩ .
(٩) غافر ٦٧ .
(١٠) الأعراف ٧٣ .
(١١) مريم ١٧ .

آلام الزمخشري ومقاماته

للدكتور شعبان محمد موسى

الزمخشريّ اسمه محمود بن عمر بن احمد ، وكنيته ابو القاسم[1] ، وأُطلق عليه جار الله حينما رحل إلى مكة واقام بجوار بيت الله الحرام مدة . والزمخشرى نسبة إلى (زمخشر) ، وهى قرية من قرى خوارزم ، شاء الله ان يرفع ذكرها بوجود هذا الشيخ ، ومازلنا نذكرها كلما ورد اسم هذا العالم المسلم .

ولد الزمخشرى بقريته زمخشر ، يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة ، من أصل طيب : أمّ تقية وأب صالح ، فنشّأه على حب الخير وطلب العلم .

تلقى الزمخشرى شيئًا من علوم العربية والإسلام ببلده ، ثم رحل إلى العلماء فى الأمصار المختلفة كبخارى وغيرها ، ومرّ ببغداد وهو فى طريقه إلى مكة ، واستمع إلى علمائها ، ولم يكن يستنكف عن تحصيل العلم وهو كبير السن ذائع الصِّيت ، آية ذلك ماحكاه القِفْطِى إذْ قال : « إن الزمخشرى قدم علينا ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ورأيته مرتين عند شيخنا أبى

---

(١) ترجمة الزمخشرى فى هذه الكتب :

١ ـ معجم الادباء ، لياقوت ١٩/١٢٦ ـ ١٣٥ طبعة فريد رفاعى الاخيرة .

٢ ـ وفيات الأعيان ، لابن خلكان ٥/١٦٨ ـ ١٧٤ تحقيق إحسان عباس ، بيروت .

٣ ـ لسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى ٦/٤ طبعة الاعلمى الثانية ، بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م .

٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى ٣/٢٦٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م .

٥ ـ طبقات المفسرين ، للسيوطى .

٦ ـ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى ٣/١١٨ ط . بيروت .

٧ ـ طبقات المفسرين ، للداودى .

٨ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ١٠/٤٠٣ ـ ٤١٠ مادة الزمخشرى .

٩ ـ منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن للدكتور مصطفى الصاوى الجوينى ط . دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م ، الباب الاول ١٧ ـ ٤٣ .

١٠ ـ الزمخشرى للدكتور محمد الحوفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٨٠ م ، الفصل الاول ٣٥ ـ ٤٧ .

منصور بن الجواليقى قارئا عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزا لها »(٢) .

وفى مرحلة الطلب توالت على الزمخشرى الآلام ؛ إذْ مات أبوه قبل أن يشيخ ، بعد أن لحقه الأذى من حاكم مستبد هو مؤيد الملك المتوفى سنة أربع وتسعين وأربعمائة ؛ سجن مؤيد المُلْك هذا والد الزمخشرى عمر بن أحمد ، فتوجه جار الله بقصيدة إلى هذا الحاكم يستعطفه ليطلق سراح أبيه ، جاء فيها :

ارحم أبى لشبابه ولفضله
وارحمه للضعفاء من أطفاله

ارحم أسيرا لو رآه من العدى
اقساهم قلبا لرق لحاله

يشكو قيودا قصرت من خطوه
وسلاسلا حكمت بضيق مجاله(٣)

ويبدو أن استعطاف أبى القاسم لم يأت بنتيجة ، فتجرع الزمخشرى آلامه ، وزادها الفقر كثافة وثقلا ؛ مات عائل الأسرة ، ولم يكن آنئذ ضمان اجتماعىّ .

وفى إبان طلبه العلم أيضا كسرت رجله ، فقرر الأطباء بترها ؛ كى لايفسد الجسد كله ، فصار الزمخشرى أعرج ، واتخذ رجلا من خشب ، وكان يحمل معه شهادة من عدول بأن رجله قد قطعت لهذا السبب ، لا لريبة ؛ وهذا يدلنا على رهافة شعوره ، حتى إنه يخاف أن يُظَنَّ به الظنون .

ولما بلغ أبو القاسم من العلم مبلغا طمح لنيل المنصب وتحصيل المال ، فطرق أبواب الكبراء فى عصره علّه يبلغ رغبته ، فمدحهم بشعره على طريقة شعراء زمانه ، وكان يعرض علمه وفضائله فى قصائد مدحه عسى أن يفهم الممدوح فيجيبه لطلبه ، ولكن هيهات ، لقد خاب أمل الزمخشرى ، فتضاعفت آلامه ، وكان هذا الشيخ دائم المقارنة بين حاله على علمه وأدبه وعقله ، وضيق يده ، وحال غيره على جهله وغباوته واتساعه فى الرزق وعلوّ المنصب ، فكان يزداد غمًّا على غمّ ، وكان ينفث ضيقه هذا فى أشعاره ، من هذا ما ورد فى قصيدة يمدح بها نظام الملك الوزير الشهير ، وزير مَلِكْشاه السلجوقى ، يقول فى بعض أبياتها :

خليلىّ هل تجدى علىّ فضائلى
إذا أنا لم أُرفع على كل جاهل ؟

ومَنْ لى بحقى بعدما وفرتْ على
أراذلها الدنيا حقوق الأماثل ؟

وممَّا شجانى أنَّ غُرَّ مناقبى
تَغَنَّى بها الركبان بين القوافل

غنىّ من الآداب لكننى إذا
نظرتُ فما فى الكفّ غير الأنامل(٤)

ولما بلغ جار الله الخامسة والأربعين أتاه الفرج ؛ فقد ابتلاه الله بالمرض ، وكان مرضا شديدا ؛ حتى إن الزمخشرى أطلق على هذه

(٢) إنباه الرواة ٣/ ٢٧٠ .

(٣) ديوان الزمخشرى ، تحقيق ودراسة عبد الستار ضيف ، رسالة ماجستير بدار العلوم ، القسم الثانى / ص ٣٨٩ سنة ١٩٨٠ .

(٤) ديوان الزمخشرى ، السابق ص ٧٠ .

♦ آلام الزمخشــرى ومقاماتــه

المرضة اسم « المُنْذِرَة » ، وبها تغير سير حياته ، وتحوّل حرصه على الدنيا إلى زهد فيها ، وعاهد الله ألاّ يطأ عتبة السلاطين ، وألاّ يمدحهم ، وألا يقبل عطاياهم ، وأن يفرّ من الشهرة إلى الخمول ، وأن يحرص على نشر العلم بين من يتوسم فيهم خشية الله ؛ ومنذ هذه المرضة الناهكة واصل كتابة مقاماته .

متى بدأ الزمخشرى كتابة مقاماته ؟

يقول دكتور مصطفى الصاوى الجوينى فى كتابه (منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه) : « ألفه [كتاب المقامات] بعد مرضه سنة ثنتىْ عشرة وخمسمائة ، وتممّه خمسين مقالة يعظ فيها نفسه »(٥) ، وتابعه فى هذا الرأى دكتـور أحمد محمـد الحـوفى فى كتـابـه (الزمخشرى) إذْ قال « وأما المقامات فقد ألفها سنة ٥١٢ هـ ؛ لأنه قال : إنه أصيب فى تلك السنة بالمرضة الناهكة التى سماها المنذرة ، فأخذ على نفسه الميثاق إن منّ الله عليه بالصحة ألاّ يطأ عتبة السلطان ولا أعوانه ... »(٦) .

وحقيقة الأمر أن الزمخشرى ابتدأ تأليف مقاماته قبل مرضته المنذرة ، وقد أخبرنا بذلك فى مقدمة مقاماته حين قال : « هذه مقامات أنشأها الإمام فخر خوارزم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرىّ ، والذى ندبه لإنشائها أنه أُرِىَ فى بعض إغفاءات الفجر كأنما صوّت به مَن يقول له : ياأبا القاسم ، أَجَل مكتوبٌ ، وأمل مكذوبٌ . فهبّ من إغفاءاته تلك مشخوصا به ممّا هاله من ذلك وروّعهْ ، ونفّر طائره وفزّعهْ ، وضم إلى هذه الكلمات ما ارتفعت به مقامة ، وأنسها بأخوات قلائل ، ثم قطع لمراجعة الغفلة عن الحقائق وعادة الذهول عن الجدّ بالهزل ، فلما أصيب فى مستهل شهر الله الأصم* الواقع فى سنة ثنتىْ عشرة بعد الخمسمائة بالمرضة الناهكة التى سماها المنذرة ، كانت سبب إنابته وفيئته ، ... ، وحين أتاح الله له الصحة ، ... ، انتدب للرجوع إلى رِئّاسِ عمله فى إنشاء المقامات حتى أتممها خمسين مقامة .... »(٧) .

فمن كلام الزمخشرىّ هذا ندرك أنه ابتدأ فى تحبيرها قبل سنة ٥١٢ هـ ، إثر الرؤيا التى رآها ، ولعلها كانت سنة ثمان وخمسمائة ؛ ففى هذه السنة كان قد بلغ الحادية والأربعين ، وهى سن تمام العقل وإدراك الحقائق العليا ، والميل إلى الزهد فى الدنيا وزخرفها ؛ وقد جاء فى المقامة السابعة وعنوانها « الإنابة » مايلى : « ياهذا الجدَّ ، الجدَّ فقد بلغتَ الأشُدّ ، وخَلَّفتَ ثنيَّةَ الأربعين »(٨) ، والثنيّة المنعطف الملتوى ، أى أنه قد تعدى الأربعين ، وعلى هذا تكون ميوله إلى الزهد أسبق من سنة مرضه ، ثم شغلته الشواغل ، فلما أصيب بالمرضة الناهكة عاد إليه زهده أشد مايكون ، وأخذ على نفسه الميثاق أن يعمل لله ، وأن يعتزل .

(٥) منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان إعجازه . ص ٥٥ .

(٦) الزمخشرى . ص ٢٧٦ .

(*) شهر رجب واطلقت عليه هذه التسمية ، لانه من الاشهر الحرم التى يحرم فيها القتال وكانت العرب قبل الإسلام تمتنع عن القتال فيه ، فلا يسمع صوت للسلاح .

(٧) مقامات الزمخشرى ، تحقيق يوسف بقاعى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٩٨١ ص ١٧ ـ ٢٢ .

(٨) السابق . ص ٥٢ ـ ٥٣ .

وقد كان هذا الاعتزال بركة ؛ فقد تم لنا المقامات ، وتركها أثرا أدبيا راقيا ، نقرأها فنتمتع بها ، ونتملّى جمالها وجزالة أسلوبها ، وشرف غرضها . وعدد هذه المقامات خمسون ، هذه عناوينها نوردها لنستوحي منها تطور تيار الزهد لدى كاتبنا : ١ - المَرَاشِد ٢ - التقوى ٣ - الرضوان ٤ - الارعِواء ٥ - الزاد ٦ - الزهد ٧ - الإنابة ٨ - الحذر ٩ - الاعتبار ١٠ - التسليم ١١ - الصمت ١٢ - الطاعة ١٣ - المُنْذِرَة ١٤ - الاستقامة ١٥ - الطيّب ١٦ - القناعة ١٧ - التوقى ١٨ - الظُّلْف ١٩ - العزلة ٢٠ - العفة ٢١ - الندم ٢٢ - الولاية ٢٣ - الصلاح ٢٤ - الإخلاص ٢٥ - العمل ٢٦ - التوحيد ٢٧ - العبادة ٢٨ - التصبر ٢٩ - الخشية ٣٠ - اجتناب الظُّلْمَةِ ٣١ - التهجد ٣٢ - الدعاء ٣٣ - التصدّق ٣٤ - الشكر ٣٥ - الأسوة ٣٦ - النصح ٣٧ - المراقبة ٣٨ - الموت ٣٩ - الفرقان ٤٠ - النهى عن الهوى ٤١ - التماسك ٤٢ - الشهامة ٤٣ - الخمول ٤٤ - العزم ٤٥ - الصدق ٤٦ - النحو ٤٧ - العروض ٤٨ - القوافى ٤٩ - الديوان ٥٠ - أيام العرب[٩] .

والزهد ظاهرة إنسانية ، لكن الثقافة الدينية تنمى هذه الظاهرة ، ثم تجىء دوافع أخرى فتزيد حدتها كفقدان عزيز ، أو خيبة الأمل التى تصيب ذوى المطامع المادية حينما لا تتحقق ، فينطوون ويزهدون فى كل شىء ، فكأنهم قد تحولوا من النقيض إلى النقيض . والزمخشرى بنشأته وثقافته الدينية يبدو طبيعيا فى اتجاهه نحو الزهد ، وعمّق هذا الاتجاه لديه تحطم آماله الدنيوية ، ثم المرضة الناهكة التى سماها المنذرة . والسؤال المهم الآن هو :

هل هذه المقامات بهذا الترتيب تصوّر لنا خط الزهد عند الزمخشرى ؟

لا أظن ؛ فإنها غير مرتبة تاريخيا ؛ إذْ المقامة الثالثة وهى (مقامة الرضوان) تبدأ بقوله : « ياأبا القاسم ، أجل مكتوبٌ ، وأمل مكذوبٌ[١٠] » . وقد سبق القول أنه رأى فى منامه « كأنما صوّت به من يقول له : ياأبا القاسم ، أجل مكتوب ، وأمل مكذوب » فقام من نومه وكتبها وأكمل مقامة ثم ألحق بها مقامات أخرى ، ثم انقطع عن كتابة المقامات حتى مرض ، ثم واصل الكتابة بعد أن أبَلَّ* من مرضته المنذرة ، إذن كان حق (مقامة الرضوان) ، وهى الثالثة فى الترتيب الذى بين أيدينا أن تكون الأولى ؛ لأنها أول ماكتب . ربما رأى الزمخشرى أن هذا الترتيب أفضل لتماثل الموضوعات ، غير أننى أرى أن (مقامة القناعة) وهى السادسة عشرة أقرب فى موضوعها إلى (مقامة الزهد) وهى برقم ستة ، فكان أولى أن تليها مباشرة ، على كل حال فإن النظرة العجلى فى عناوين المقامات تبين لنا أخلاق الزهد ، وتوضح رؤية المؤلف للموضوع ؛ فهو يبدأ بالمراشد ، والمراشد جمع مَرْشَدٍ ، وهو الرشد ، وهو بداية الطريق إلى السعادة ، ثم ثنّى الكاتب بالتقوى ، وهى جمّاع الخير ، وثلّث بالرضوان ، وهو أكبر ، وهكذا يسير حتى يصل إلى مقامة النحو ، وهى السادسة والأربعون ، ثم مقامة العروض والقوافى ، والديوان وأيام العرب ، وهى خمس مقامات ، يبدو منها أنه قد

(٩) يبدو واضحا من هذه العناوين تشاكلها مع أدب الصوفية وطريقتهم فى تهذيب النفس على الرغم من أن الزمخشرى من المعتزلة ، وقد كان يقاوم التيار الصوفى .

(١٠) المقامات . ص ٣٣ .

* شفى منها .

آلام الزمخشرى ومقاماته

خرج عن موضوعه الأخلاقى ، ولكن الأمر مختلف ؛ إنه مازال فى موضوعه الإصلاحى ، يستخدم مصطلحات النحو والعروض والقوافى وسيلة للتعبير عن مقصوده ، فمثلا يقول فى مقامة النحو :

« ياأبا القاسم ، أَعَجزْتَ أن تكون مثل همزة الاستفهامْ ، إذْ أخذت على ضعفها صدر الكلامْ ، ليتك أشبهتها متقدما فى الخير مع المتقدمين ، ولم تشبه فى تأخرك حرف التأنيث والتنوين[١١] ، وفى (مقامة العروض) يبدأ بقوله : « ياأبا القاسم لن تبلغ أسباب الهدى بمعرفة الأسباب والأوتادْ ، أو يبلغ أسباب السماوات فرعونُ ذو الأوتادْ ، إن الهدى فى عروض سوى علم العـروضْ ، فى العلم والعمـل بـالسُّنَـن والفروضْ[١٢] » ، وكذلك فى مقامة الديوان وأيام العرب ، يخاطب نفسه ، ويحضها على الخير ، ويستنبط العبر من تاريخ العرب ووقائعهم ، إذن فليس موضوع هذه المقامات مختلفا ، على النقيض مما جاء فى (دائرة المعارف الإسلامية) تحت مادة الزمخشرى إذ قالت : .. وقد ألف الزمخشرى مجموعة من الرسائل الخلقية استهلها بقوله : (ياأبا القاسم) وسميت بـ « المقامات » أسوة بمعنى هذا المصطلح القديم ... وزاد عليها ست رسائل فى موضوعات مختلفة كالنحو والعروض وأيام العرب بعد إبلاله من مرض شديد أصابه سنة ٥١٢ هـ ١١١٨ م[١٣] .

يتبـــع

(١١) السابق . ص ٢٥٨ .

(١٢) السابق . ص ٢٦٥ .

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة الزمخشرى ، ٤١٠/١٠ .

القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية - بقية

ومن هذه المادة يتضح بطلان إجراءات توطين اليهود المهاجرين فى المدينة بغرض تهويدها .

ــ وقد تضمن هذا القانون مادة مكونة من عشر فقرات ، هى المادة الثامنة والثلاثون ، وفيها عالج تفصيلاً أسلوب ووسائل حماية المبانى والمواقع الدينية فى المدينة .

ذلك ، ومهما كانت القوة الإلزامية للمواثيق الدولية .. فهى عديمة الجدوى ما لم يكن لدى كل الأطراف النية الصادقة فى الالتزام بها ، ومهما كانت دقة صياغة القوانين وشمولها فإنها لن توضع موضع التطبيق ، ولن تنال الاحترام الواجب لها ما لم تكن هناك قوة تجبر على احترامها .

لقد استشعرت « الصهيونية العالمية » ضعف وتمزق الأمة الإسلامية فأطلقت لأطماعها العنان ، وضربت بالمواثيق الدولية عرض الحائط ، وحالت دون وضع مواد القانون موضع التطبيق .... لذا فليس من الغرابة ، والحال هكذا أن تنتهز « إسرائيل » هذه الظروف وتستولى على كل الأراضى منزوعة السلاح فى إطار تآمرها إبان العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ م ، ثم تستولى على القدس بأكملها أثناء عدوانها على الدول العربية المجاورة لها فى شهر يونيو عام ١٩٦٧ وتعلنها عاصمة لإسرائيل .....

وللحديــث بقيـــة

لحظات طيبات مع

الإمام سفيان بن عيينة

أ. عادل خفاجة

قال الإمام الشافعى :

« لولا مالك وابن عيينة لضاع علم الحجاز » .

وإمامنا الجليل هو :

الحافظ الفقيه الثقة سفيان بن عيينة بن ابى عمران ميمون الهلالى ، ابو محمد الكوفى ثم المكى .

يبدو مذهبه فى « التقوى » من قوله : لا يصيب رجل حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال ، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه .

ويجمع إلى « التقوى » عدم حبه للشهرة ، فهو يتقيها ماوسعه ذلك ، فكان إذا اراد قول شىء لا ينسبه إلى نفسه ، بل يقول : « قال رجل » .. وهذا مايلحظه من يقرا عن هذا الإمام الكبير ، وعرف ذلك إسحاق بن ابى إسرائيل فقال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : قال رجل : « واحزناه على ان لا احزن » ، قال : واراه اراد نفسه .

لحظات طيبات مع الإمام

سفيان بن عيينة

نعم ، لقد كان ابن عيينة محباً للتخفى وعدم الظهور . وإلا فمن هذا الرجل الذى تحدث عنه سفيان - رحمه الله - حين قال : إن رجلاً من العلماء قال : « اثنتان انا اعالجهما منذ ثلاثين سنة : ترك الطمع فيما بينى وبين الناس ، وإخلاص العمل لله عز وجل » .

لا نشك أنه سفيان بن عينيه القائل : قال رجل اهلكنى حب الشرف . فقال له رجل : إن اتقيت الله شرفت .

ولعل ذلك هو ما دعاه لأن يقول : « لأن يقال فيك الشر وليس فيك ، خير من أن يقال فيك الخير وهو فيك » ثم يعلل لذلك فيتلو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ النور - ١١ .

خير العلماء وواجبهم :

كان - رحمه الله - محباً للعلم والعلماء العاملين ، وكان يقول : إنما أرباب العلم الذين هم أهله ، الذين يعملون به .

ويرى أن من تزين للناس بالعلم ولم يعمل به كان ذلك مبعث حسرته يوم القيامة .

قال إبراهيم بن الأشعث : قال سفيان ابن عيينة : كان يقال : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة :

رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه .

ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه .

ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فَعَلَّمَهُ غيره فانتفع به . ويحض على طاعة العلماء وتقديرهم وتوقيرهم فيتمثل بقول أبى الدرداء : إنكم لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم وقيل فيكم بالحق ، ويل لكم إذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح .

وكان يحض العلماء على الاستمرار فى نشر العلم ، ويؤكد لهم أن علمهم لابد بالغ من يعيه ، فيقول : « إن العلم لا يخرج من وعاء قط إلا صار فى دونه » وكان - رحمه الله - يعلم أن المرء إذا أعجب بحاله ، أورده ذلك موارد الهلاك ، لذا يقول : « إذا أعجبك الصمت فتكلم ، وإذا أعجبك الكلام فاسكت » .

ومن خير صفاته أنه كان لا يلقى أحداً إلا رأى نفسه دونه ، والعاقل عند الإمام سفيان من تمت فيه عشر خصال عد منها :

- أن يكون الكبر منه مأمونا والرشد منه مأمولا .
- وحتى يكون الذل أحب إليه من العز .
- والفقر أحب إليه من الغنى .
- وحتى يستكثر قليل المعروف من غيره ، ويستقل كثيره من نفسه .
- وحتى يكون نصيبه من الدنيا القوت .
- وحتى يكون طالبا للعلم طول عمره .
- ولا يلقاه أحد إلا رأى نفسه دونه .

وكان يقول : من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر ؛ وذاك أن إبليس إنما منعه من السجود لآدم عليه السلام استكباره .

وكان يؤكد على حاجة العالم إلى العلم .

قال أحمد بن محمد بن أيوب - صاحب المغازى : اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينة فقال : من أحوج الناس إلى هذا العلم ؟ فسكتوا ، ثم قالوا : تكلم ياأبا محمد . قال : أحوج الناس إلى العلم العلماء ، وذلك أن الجهل بهم أقبح ؛ لأنهم غاية الناس وهم يسألون .

وليس ذلك فحسب ، فالعلماء فى حاجة إلى العلم ؛ لأن العبد لا تصل إليه عقوبة اشد من الجهل بالله والجهل بأوامر الله ، وعقوبة العلماء

فى ذلك أشد ؟ لذلك كان - رحمه الله - يقول : « أفضل العلم العلم بالله ، والعلم بأمر الله ، فإذا كان العبد عالما بالله وعالما بأمر الله ، فقد بلغ ، ولم تصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله ، والعلم بأمر الله ، ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله والجهل بأمر الله » .

وإذا علم الإنسان قدر نفسه وأفاض الله عليه بقبس من نوره ، استوى عنده مايحب ومايكره ، فهذا سفيان - رحمه الله - يتمثل بقول عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : « ما أبالى على ما أصبحت ، على ما أحب أو على ما أكره ، إنى لا أدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره ؟

لله در قائلها ، فهى كلمات جمعت لب العلم وخلاصة المعرفة والتوكل على الله .

وكان ابن عيينة - رحمه الله - يقول : التفكر مفتاح الرحمة ، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب ؟

يقول : الفكرة نور تدخله قلبك .

ويتمثل :

إذا المـرء كـانـت لـه فكـرة
ففـى كـل شىء لـه عبـرة

منزلة الصبر والزهد عند سفيان :

علم - رحمه الله - ما للصبر من فضل ، فكان يقول :

« لم يعط العباد أفضل من الصبر ، به دخلوا الجنة » .

وقال : لا تصلح عبادة إلا بزهد ، ولا يصلح زهد إلا بفقه ولا يصلح فقه إلا بصبر .

ثم يعرِّف الصبر وحال الصابرين ، فيقول : قيل لبعض الحكماء : ما الصبر ؟ قال : الذى يكون فى الحال الذى نزل به ما يكره صبر ، وكان مثل حاله الأول إذا لم يكن أصابه البلاء .

ويعرِّف الزهد ، إذ جاءه أحمد بن أبى الحوارى سائلاً : ياأبا محمد أى شىء الزهد فى الدنيا ؟

قال : من إذا أنعم الله عليه نعمة فشكرها ، وابتلى بلية فصبر ، فذلك الزهد .

فقال ابن أبى الحوارى : ياأبا محمد ، فإن أنعم الله عليه بنعمة فشكر ، وابتلى فصبر وهو ممسك للنعمة ، كيف يكون زاهداً قال : اسكت ، فمن لم تمنعه البلوى من الصبر ، والنعمة من الشكر فذلك الزاهد .

ثم يعرِّفه فى موقف آخر ، إذ سئل عن الزهد ماهو ؟

قال : « الزهد فيما حرم الله ، فأما ما أحل الله فقد أباحكه الله ، فإن النبيين قد نكحوا وأكلوا وركبوا . ولكن الله نهاهم عن شىء ، فانتهوا عنه ، وكانوا به زهاداً ؟

القرآن .. والكلمة :

وللقرآن عنده عظيم المنزلة ، فهو كتاب الله ، لا يبلغ بشر أوجه ، أو يحيط بإعجازه يقول : « لا تبلغوا ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شىء أحب إليكم من الله ، ومن أحب القرآن فقد أحب الله ، افقهوا مايقال لكم » ويقول : « من قرأ القرآن يُسأل عما يُسأل عنه الأنبياء - عليهم السلام - إلا تبليغ الرسالة » .

وهو - رحمه الله - يقدِّر للكلمة حقها ويعرف قدرها ، فها هو يوضح لأصحابه حقوق « السلام عليكم » ، فيقول : « قوله ، السلام عليكم ، « أى » أنت منى سالم ، وأنا منك سالم ، ثم يدعو له ويقول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فلا ينبغى لهذين إذا سلم بعضهما على بعض أن يذكره من خلفه بما لا ينبغى له من غيبة أو غيرها ، ويردد قول مساور الوراق : « ما كنت أقول لرجل إنى أحبك فى الله ثم أمنعه شيئاً من الدنيا » .

نعم ، لم يكن - رحمه الله - يقول إلا ما يعنى ، ويستطيع البر به .

منطقه وفكره :

وكان - رحمه الله - يتمتع بمقدرة كبيرة على حسن الاستدلال : ومن ذلك ماحكاه عمر

لحظات طيبات مع الإمام

سفيان بن عيينة

ابن السكن ، قال : كنت عند سفيان بن عيينة فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال :

يا أبا محمد أخبرنى عن قول مطرف : « لأن أعافى فأشكر أحبُّ إلىَّ من أن أبتلى فأصبر » أهو أحب إليك أم قول أخيه أبى العلاء « اللهم رضيت لنفسى مارضيت لى » ؟

قال : فسكت سكتة ثم قال : قول مطرف أحب إلىَّ .

فقال الرجل : كيف وقد رضى هذا[1] لنفسه ما رضيه الله له ؟

فقال سفيان : إنى قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السلام ـ مع العافية التى كان فيها ـ « نعم العبد إنه أواب » ووجدت صفة أيوب عليه السلام ـ مع البلاء الذى كان فيه « نعم العبد إنه أواب » فاستوت الصفتان ، وهذا معافى وهذا مبتلى ، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر فلما اعتدلا ؛ كانت العافية مع الشكر أحب إلىَّ من البلاء مع الصبر .

وكان يقول : يقال : لا إله إلا الله فى الآخرة بمنزلة الماء فى الدنيا لا يحيا شىء فى الدنيا إلا على الماء ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فـ (لا إله إلا الله) بمنزلة الماء فى الدنيا ، من لم تكن معه (لا إله إلا الله) فهو ميت ، ومن كانت معه (لا إله إلا الله) فهو حى .

يقول : ليس فى الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه ، قال : وهى فى كتاب الله ، قالوا : وأين هى من كتاب الله ؟

قال : أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[2] قالوا : ياأبا محمد هذه لأصحاب العجل خاصة ، قال : كلا ! اتلوا مابعدها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ فهى لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة . وكان يُحذِّر المؤمن أن ينال من عرض أخيه فيقول : الغيبة أشد من الدَّين ؛ الدَّين يقضى ، والغيبة لا تقضى .

وكان يقول : لو أن رجلاً أصاب من مال رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته فجاء به إلى ورثته لكنا نرى ذلك كفارة له ، ولو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شيئاً فتورع عنه بعد موته فجاء إلى ورثته وإلى جميع أهل الأرض فجعلوه فى حل ، ما كان فى حل ، فعرض المؤمن أشد من ماله .

افقهوا مايقال لكم .

وكان يحض أصحابه على ارتياد طريق الخير غير عابئين بما يلاقونه فى سبيل الله ، فيقول : كان يقال : « اسلكوا سبيل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها » وكان يعلم أهله وإخوانه أن يعملوا الخير ، لا يعملوه إلا لله فيقول : « العمل الصالح : الذى لا تحب أن يحمدك عليه أحد إلا الله » .

فما أضر من عملٍ لا يرجى به وجه الله !

لذلك نجده يردد لأبى حازم قوله : « إن الرجل ليعمل الحسنة ما عمل سيئة أضر عليه منها » .

ويحض على سرعة التوبة فيقول :

« بئس منزل ـ أو متحول ـ عبد مقيم على ذنب ، ثم يتحول منه إلى غير توبة » .

ويحض على التبكير إلى الجماعة فيقول :

« لا تكن مثل العبد السوء ، لا يأتى حتى يدعى ، ائت الصلاة قبل النداء » . وقال :

« من توقير الصلاة أن تأتى قبل الإمامة » .

ويستحسن سماع لطائف القول ، فيقول : « إنما تطيب المجالس بخفة الجلساء » .

عاش ابن عيينة إحدى وتسعين سنة ، أوجزها

(١) يقصد أبا العلاء ، أخا مطرف .

(٢) الأعراف ١٥٢ .

فى قوله « كان يقال : الأيام ثلاثة : فأمس حكيم مودع ترك حكمته وأبقاها عليك ، واليوم صديق مودع يحبك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته وهو عنك سريع الظعن ، وغداً لا تدرى اتكون من أهله أو لا تكون .

روى سفيان بن عيينة عن كبار التابعين ، وادرك ستة وثمانين نفسا من أعلامهم وأركانهم ، كعمرو بن دينار ، والزهرى ومحمد بن المنكدر وعبد الله بن دينار وزيد بن أسلم وأبى حازم ويحيى بن سعيد الأنصارى .

ومن الكوفيين : أبو اسحاق وعبد الله ابن عمير والشيبانى والأعمش ، ومنصور وإسماعيل بن أبى خالد ، ومن البصريين : أيوب وسليمان التيمى وداود أبى هند وعلى بن زيد ابن جدعان وحميد الطويل .

وحدَّث عنه من الائمة : « سفيان الثورى » وشعبة بن الحجاج » و« الأعمش » و« الأوزاعى » .

وكان سفيان بن عيينة بعد ما أسن يتمثل بهذا البيت :

يعمر واحد فيغر قوما
وينسى من يموت من الصغار

وكان يقول : لولا أن الله طاطأ من ابن آدم بثلاث ما أطاقه شىء ، وإنهن لفيه ، وإنه على ذلك لوثاب : الفقر ، والمرض ، والموت .

وفاته :

كانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وتسعين ، وله من العمر إحدى وتسعون سنة .

من روائع الماضى ـ بقية

الناس . ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ . بل إن كل قحط وجدب ، وضيق وضنك ، وجوع ، وخوف ، وبلاء وانتقام من الملك العلام ـ هو من التظالم بين العباد ، وبما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

وإن كل خير ورشد ، وصفاء وود ، وتعاون وتساند ، وهدوء سائد وإخاء وإصلاح . هو من تنسم ريح العدل الرخاء ، ووضع كل شىء فى وضعه غير ناب ولا قلق .

ولم يجمع الناس على تقدير فضيلة إجماعهم على تقدير فضيلة العدل التى هى القلب النابض لجميع الفضائل ، ولا اجمعوا على إنكار رذيلة إجماعهم على إنكار الجور والمظالم . فكيف لا يكون عدل يوم يقوم فيه معوج ، ويغاث فيه ملهوف ، خيرا من كثير من العبادة التى يقصر خيرها على صاحبها ولا يتعدى إلى سواه .

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى المثل للعدل فى أدق صوره حتى فى أتفه شىء وأحقره عنده وهو الدنيا ، فجعلها بين الناس دولا ، لهذا زمان ولهذا زمان ، فكانت مصائب قوم عند قوم فوائد ، وكان النظام كما قال القائل :

إذا ما الدهر جر على اناس
كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

بل كان أدق من هذا ، فجعل الأيام قسمة للشخص الواحد ، فيوم لك ويوم عليك . ذلك عدل الله وحكمه فى السماء . فمتى يرضى عباد الله أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسهم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما . ويارحمة السماء لمن فى الأرض .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

برقية شكر من الرئيس مبارك لفضيلة الإمام الأكبر

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر برقية شكر من الرئيس محمد حسنى مبارك ردا على تهنئة فضيلته بمناسبة تحرير الكويت والإنجاز الذى حققته قواتنا المسلحة الباسلة ..

جاء فى برقية الرئيس :

ابعث إليكم وإلى أسرة الأزهر الشريف بفائق الشكر والامتنان على تهنئتكم بتحرير دولة الكويت الشقيقة ، والدور البطولى لقواتنا المسلحة فى أداء مهامها لإحقاق الحق وردع الظلم والعدوان ، وأسأل الله أن يوفق جهودنا دائما إلى ما فيه خير أمتنا العربية والإسلامية ..

حلقات الإمام الأكبر عن « الإحسان فى القرآن الكريم »

على امتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة (التليفزيون) قبل صلاة العشاء فى ليالى شهر رمضان المعظم أحاديث فضيلة الإمام الأكبر التى تناولت آدابا شرعية تهم المجتمع الإسلامى عن (الحِكَم والأمثال والإحسان) فى القرآن الكريم .

كذلك نقلت جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تهنئة فضيلته للمسلمين باستقبال شهر رمضان وحلول عيد الفطر

الإمام الأكبر يشارك فى التحكيم لجائزة الملك فيصل العالمية

شارك فضيلة الإمام الأكبر فى اجتماعات الدورة الرابعة عشرة للجنة اختيار الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام التى عقدت (فى الرياض) بالمملكة العربية السعودية فى مارس الماضى .

الإمام الأكبر يزور الجرحى المصريين بجدة

قام فضيلة الإمام الأكبر - أثناء وجوده بالحجاز - بزيارة للجرحى من القوات المسلحة المصرية بالمستشفى العسكرى بجدة ..

وقد اطمأن فضيلته على المصابين وتمنى لهم الشفاء العاجل ..

هدية الأزهر فى رمضان

قامت الشئون الفنية بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بإهداء المساجد والهيئات والأفراد مصحف الأزهر الشريف بأحجامه المختلفة ، ومجموعات من الكتب الدينية توضع بمكتبات المساجد كى يستفيد منها رواد بيوت الله تعالى ، وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم ..

أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير واليُمن والبركات ..

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبد المنعم فودة ●

أولى ندوات الأزهر

عقدت بالجامع الأزهر فى الخامس من رمضان ١٤١١هـ الموافق ٢١ من مارس ١٩٩١م أولى ندوات الأزهر التى ستعقد بمختلف أماكن الجمهورية حضرها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، والقى كلمة تحدث فيها عن مسئولية كل مسلم تجاه نفسه وعائلته ودينه ، ثم تحدث فضيلة وكيل الأزهر الدكتور حامد جامع فعرف بأهداف هذه الندوات التى يعقدها الأزهر الشريف ، مع نبذة عن تاريخ إنشاء الأزهر الشريف تلاه فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقى وزير الأوقاف السابق فتحدث مفسراً لآية الصيام الواردة بسورة البقرة هى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . ثم تحدث الدكتور أحمد عمر هاشم فحث المسلمين على الأخوة ونبذ الخلافات والتضامن فيما بينهم .

اختتم الاحتفال بآيات من الذكر الحكيم .

انشاء حزب اليقظة الاسلامية فى موسكو

أعلنت وكالة (تاس) الرسمية للاتحاد السوفيتى عن قيام المسلمين بتشكيل حزب اسلامى باسم (حزب اليقظة) .

وأعلن الشيخ أحمد التتارى وهو مؤسس الحزب أن العقيدة الإسلامية أساس فى تعامل الحزب مع الشئون المختلفة ، وسوف يشكل فروعا للحزب فى أذربيجان . واوزبكستان .

وقد انتخب (أحمد قاضى التاى) رئيسا للحزب يساعده مجلس شورى من العلماء فى الاتحاد السوفيتى .

المسلمون اليوغسلاف يفوزون فى انتخابات البوسنة والهرسك

جرت انتخابات فى مدن (البوسنة والهرسك) بيوغسلافيا أسفرت عن فوز المسلمين فى النتائج العامة بنحو ٣٥٪ من الأصوات كما حصل الصرب على نحو ٢١٪ ، وحصل الكروات على نحو ١٧٪ . وقد جاء ترتيب الشيوعيين بعد كل هذه الأحزاب برغم وجودهم على رأس السلطة .

أما بالنسبة لانتخابات رئاسة الجمهورية فقد اكتسحها الحزب الإسلامى بأعضائه الثلاثة وهم على عزت بك موسى ـ فكرت عابد ريج وأيوب لقمان .

مجلة الأزهر : سبق أن قدمت المجلة بحثا مستفيضا بقلم العلامة المسلم الشيخ توفيق إسلام يحيى عن معاناة المسلمين الأليمة على أيدى الصرب ، وقد شاء الله أن يبرز هذه النتيجة التى نرجو أن تكون الهدف الذى يمثل فى ضوئه الحكم .

مضايقات لمسلمي العالم فى سنغافورة واليونان وأندونيسيا والهند

فى سنغافورة : تم هدم اثنى عشر مسجدا ، وإزالة بعض الأحياء التى يعيش بها المسلمون .

وفى اليونان : أعلن الدكتور صادق أحمد النائب البرلمانى عن مدينة (جومولجينه) اليونانية أن الحكومة اليونانية تقوم بتنفيذ خطة

◄

أنبـــــــــــــاء وآراء

لإخراج المسلمين من مواطنى منطقة تراقيا الغربية وإسقاط الجنسية اليونانية عنهم دون علمهم وأكد الدكتور صادق احمد أن لديه قائمة بأسماء اكثر من مائتى (٢٠٠) شخص اسقطت عنهم صفة المواطنة .

وفى أندونيسيا : تظاهر أكثر من مائة طالبة فى (جاكرتا) خارج مقر المحكمة للمطالبة بحق ارتداء الحجاب ورفعن شعارا يطالبن فيه الحكومة بالتمسك بتعاليم الإسلام ، حيث إن أندونيسيا دولة مسلمة .

وفى الهند : بعث الشيخ ابو الحسن الندوى برسالة إلى رئيس وزراء الهند حذره فيها من الأخطار التى تواجه المسجد البابرى من الحركات المعادية للإسلام بالهند .

الإســـــلام فـــى تايلانــــد

ذكرت الإذاعة اللندنية فى إحصاء حول شئون المسلمين بتايلاند أن عدد المساجد يبلغ أكثر من ألفين وخمسمائة مسجد موزعة فى الجنوب والوسط ، يؤدى شعائر العبادة فى هذه المساجد اكثر من سبعة ملايين من التايلانديين .

وأوضح الإحصاء أن الحكومة التايلاندية أعطت الحرية للمسلمين لأداء الشعائر الدينية .

وأن مجلس النواب التايلندى به أحد عشر عضوا من المسلمين يمثلون جميع المسلمين فى تايلاند .

يوجد بتايلاند ١٢٣ مبعوثا لتعليم الدين الإسلامى .

تشييد مسجد ومركز ثقافى فى منطقة ملقاه الاسبانية

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية أنه قد تم وضع حجر الأساس لبناء مسجد ومركز ثقافى جديد بمدينة (فنحرولا) فى منطقة ملقاه الإسبانية .

والجدير بالذكر أن منطقة ملقاه يسكنها عدد كبير من العرب المسلمين .

تكلف المشروع مائتى (٢٠٠) مليون دولار امريكى ونصف المليون . بالجهود الذاتية الإسلامية بالمدينة .

ندوة عن السوق الاسلامية المشتركة :

تُعقد ندوتان بمركز (صالح عبد الله كامل) للدراسات الاقتصادية الإسلامية التابع لجامعة الأزهر ـ بمدينة نصر ـ بالقاهرة . خلال شهرى شوال/ ذى القعدة ١٤١١/مايو ١٩٩١ .

موضوع الندوة الأولى : (نحو سوق إسلامية مشتركة) .

وتعقد فى المدة من ١٩ ـ ٢٠ شوال ١٤١١ هـ الموافق ٤ ـ ٥ مايو ١٩٩١ ويتم فيها مناقشة ثلاثين بحثاً تتناول موضوعات مختلفة تتعلق بحتمية وأهداف السوق وفلسفته ، والعوامل المشجعة على إقامته ، والمعوقات التى تعترض الفكرة ، كما تتناول الندوة بعض الدراسات المستقبلية المتعلقة بالموضوع .

● وتتناول الثانية : (الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لأزمة الخليج) وتعقد فى المدة من ٦ ـ ٩ من ذى القعدة الموافق ٢٠ ـ ٢٣ مايو ويُناقش فيها أربعة وعشرون بحثاً تتناول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والإعلامية للأزمة ، فضلاً عن إلقاء الضوء على جذور الأزمة .

كما يُناقش أثناء الدورة عدد من الدراسات المستقبلية .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
د . على أحمد الخطيب	١٠٨٩
● عيد الفطر وثمرات الصوم .	
لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	١٠٩٢
● تهنئة لفضيلة الإمام بعيد الفطر	١٠٩٧
● بيان ونداء من الأزهر الشريف	١٠٩٨
● الذى علم بالقلم	
أ . د محمود محمد رسلان	١١٠٠
● قبس من أنوار النبوة	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	١١٠٣
● وسائل الاجتهاد فى الفقه الإسلامى	
أ . د محمد الدسوقى	١١٠٦
● حول على حول	
أ . د محمد رجب البيومى	١١١٤
● عصر الإيمان	
د . محمد رجب البيومى	١١١٧
● الصوم عن الغير	
د . حسين محمد قنديل	١١٢٢
● نظرات فى الفقه الأباضى	
للشيخ محمد حسام الدين	١١٢٩
● القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية	
أ . ح . د . فوزى محمد طايل	١١٣٤
● الصحابى الجليل أبو موسى الأشعرى	
للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	١١٤٠
● الفتـــاوى	
إعداد أحمد السيد تقى الدين	١١٤٣

باب الشعر والشعراء

الموضوع	الصفحة
● وصف خروج المتوكل لصلاة	
عيد الفطر للبحترى	١١٤٦
● ابتهال	
أ / عمر موسى البرعى	١١٤٧
● قصيدة العباس فى مدح الرسول الكريم ﷺ	
د . أحمد محمد على حنطور	١١٤٨

باب العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
● العلوم الكونية فى التراث الإسلامى	
أ . أحمد فؤاد باشا	١١٥٢
● ناقوس الخطر	
د . موسى مدنى مصطفى	١١٥٦
● طرائف ومواقف	
إعداد عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١١٦٢
● الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد د . نجوى السيد أحمد	١١٦٤
● من روائع الماضى فى مجلة الأزهر	
إعداد وتقديم عبد الفتاح حسين الزيات	١١٦٧
● نظريات لغوية عند ابن القيم	١١٧٢
● الام الزمخشرى	١١٧٦
● لحظات طيبات مع الإمام سفيان بن عيينة	
أ . عادل رفاعى خفاجة	١١٨١
● انباء وآراء	
إعداد مصطفى عبد المجيد	١١٨٦
عبد المنعم فودة	

القسم الانجليزى

الموضوع	الصفحة
● المقالة الأولى	
د . أنس مصطفى النجار	١١٩٨
● المقالة الثانية	
أ . لطفى على سلطان	١١٩٤

unbridled freedom to satisfy the demands of the flesh. It aims at the attainment of a balance between these two extremes. All articles of Faith promote spiritual elevation and human excellence by disseminating the Words of Allah. Islam aims at establishing an equilibrium between the two aspects of life, the material and the spiritual. Everything in the world is for the needs of man; but man himself is to serve Allah the Creator. Man's mission in life is to fulfil Divine Will. Islamic teachings cater for the spiritual as well as the temporal needs of man. It enjoins man to purify his soul and also to organize, control and reform the mundane life, both individually and collectively, and to establish right over might and virtue over vice.

The teachings of Islam also freed man from all absurdities and superstitions to which he had fallen a prey in the course of history, in theory and practice. Some of these were even falsely described to have had some divine origin. This is the ecumenic progressive influence of Islamic practice which are qualified as being simple and intelligible. Unity of Allah, Prophethood of Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) the true understanding of the purpose concept of life-after-death are the basic articles of Islamic Faith. They are based on reason and sound rational logic. All teachings follow from these basic beliefs; they are simple and straightforward. There is no heirarchy and no abstractions, no complicated rites and rituals.

cause benefit or avert distress. All humans will be presented before Allah on the Day of Judgement to account for their deeds in this worldly life. Islam teaches freedom from fear, oppression, discrimination, death, or any worldly misfortune in life. Such status of comprehensive perception of the basic fundamental realities of human life, immunes Mankind against all forms of mental or physical captivity and servility or obsequiousness. Contemporary human societies present disgraceful humiliating examples of false gods, human injustice, social tyranny, economic oppresion, and all the patterns of thralldom and dominative servitude. The matrix of subordinate slavery still remains a salient predominant characteristic of the behaviours of current human relationships; the organizational framework of present-day thralldom differs only in its action plan, it operates with different appearances and various facades and false pretences.

The doctrinal maxims of the Islamic Shariah provide articles of faith that dictate the practice of certain formalities of religious functional observances. These ritualistic graces provide perpetual mental attitudes of self emancipation from the carnal driving forces of body lust and excessive indulgencies. Such urges of voracity may enslave the body and mind to become devoured and consumed by desires. This develops into a despicable state of inferior deprivation of mental freedom and self determination. The antidotes against blind passions are Divine Love and submission to Divine Will. Such conditions generate in human life the value of self dignity, confidence, love, truth, chastity, justice and ecumenic beliefs in the realities of creation. They optimize human actions, passions, and apetites to the service of man's absolute mental emancipation and freedem; the service of the graceful noble goals of human life. The most dominant force that directs man's life to the climax of dignity and freedom is love and obeisance to Allah, the Santuary, the Transcendent Supreme.

The uncontrolled practice of carnal pleasures leads to a state of slavery to the passions of the body. This develops into a doomed perpetual life of deprivation and restlessness . Bodily desires when uncontrolled run rampant and become insatiable, the avarice increases with every effort to satisfy it. The result is a craze for the maximization of the captivating enslaving self indulgencies. Such attitudes towards life cannot be conductive to progress, material or spiritual. Humanity cannot reach or approach higher realms of nobility unless it is freed from the dominance of uncontrolled desires. It is only through the control of the animal self that man is freed to develop and make progress, and satisfy the real purpose of human creation.

Islamic Theism attributes justified optimal importance to the emancipation of man from his animal passions. For this purpose it neither favours monasticism nor gives man

comprehensive assimilation of the essential precepts of the relation of Mankind with the Eternal Creator.

Islam, means liberation from all forms of slavery bondage or dependance; such as may inhibit the progress of humanity or may prevent or impede human efforts to follow the path of goodness and virtue, or prevent-in any way man's fulfilment of Allah's Will on this earth. The true primary practice of abolition of slavery in human societies commenced from the early days of Islamic history at the time of the Prophet Muhammad (Prayers and peace from Allah upon him). The institution of Islamic Divine Law of the Holy Revelation, and the traditions of the Prophet, formulated several channels of action which abrogated the practice of slavery in Islamic constitution. The total eradication of slavery was achieved during a short period of few decades. This was achieved by the proper implementation of the teachings of the Quran and Sumah. The ecumenic practices of Islamic doctrines removed much of the injustice and raised the human status of slaves to that of their masters and paved the way for the ultimate abolition.

This abolition of slavery was the first of its kind in history. Racial and colour discrimination and social injustice are still rampant among several non-Muslim societies to the extent of causing severe national instabilities resulting from the demotion of basic human rights of some human groups. In Muslim societies, such social symptoms of human injustice and discrimination are never encountered. The practice of abolishing slavery was initiated during the time of the Prophet, and developed through the implementation of the Islamic shariah. The Prophet repeatedly exhorted his followers in the name of Allah to enfranchise slaves, an act highly acceptable to Allah. He ruled that for certain sins of omission, the penalty should be the emancipation of slaves; and that slaves should be allowed to purchase their liberty by the wages of their services. He also provided that money allowances should be advanced from the public treasury to purchase their liberty. In certain contingencies, it was provided that the slave should become enfranchised without the interference and even against the will of his master. Islamic doctrines legislated, that a fugitive fleeing to the territories of Islam should be enfranchised; that the child of a slave woman follows the status of the father, the slave should be able to contract with his master for his emancipation.

Islamic teachings preach peace, harmony, brotherhood and co-operation. They introduce practices that free mankind of tyranny and oppression Man's freedom from social slavery, economic need, indignant exploitation, class distinction, and racial discrimination. This is achieved through the proper understanding of the purpose of human creation. This depends on understanding that all authority vests in Allah and Allah alone. He alone is the Real Sovereign. All humans are subjects to Divine Authority, and as such Allah alone controls the destinies. None other has the power to

bonds of servile obsequiousness. The only single unique submissive obedience is to Divine Function, the Divine Truth, the Infinite Love, the Omniscience, the Infinite Mercy, the Infinite Power, the Infinite Justice, the Sovereignty of the Transcendent Light and Glory, the Creator and the Supreme Being. Only to Allah is Mankind required to submit.

The concept of freedom in Muslin thelogical doctrines justifies the prerogative of human liberation to become an article of faith. It is a solemn command from Allah that Mankind is born free, and leads a life without coercion restrain or servitude. This precept is fundamentally based on man's conscious responsibity subject only to Divine judgement. Within this framework, Mankind has been provided with sufficient guidance, doctrinal teachings, divine texts. Such sources of mental and spiritual promotion, qualify Mankind to bear the responsibility of being liberated as the vicegerent of Allah on earth.

The doctrines of the Muslim faith provide the liberal ecumenic paradigm of human unity to develop in total submission to Divine Will of Allah. Allah is the Creator, the Sovereign, and man is his vicegerent on earth. This exalts man to the noble dignified position of being Allah's deputy and endows human life with an optimal purpose: to fulfil the Will of Allah. This representation of Belief constitutes the ultimate true justification of human existance. Islamic doctrines teach that the two fundamental concepts of Muslim Theism are the total submission to Allah; and the honest effort to implement, practice and fulfill in function the Will of Allah. These two parameters of human life are completely related to the degree of pious devotion in reverence to the Divine Omniscience, the Transcendent Creator. Such human qualities and efforts are arbitrated in appraisal by Allah alone. Rightousness, virtuousness, moral goodness, purity, chastity, magnanimity, humbleness, justice and piety are the criterion of superiority in excellence. This is distinctly pointed out in the Holy Quran "O mankind, We have created you from a single pair of male and female, and made you into nations and tribes; that you may know each other. Verily, the most honoured of you in the sight of Allah is he who is the most Righteous. Allah is All-Knowledgeable, All-Cognizant (Surat Al-Hujurat XLIX, 13). The Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) laid stress on this idea in the Hadith: "No Arab has superiority over non-Arab, nor a white over a black except through true piety in life".

The fundamental concept of freedam, emancipation and liberation of human life generates from the basic constituents of Muslim Theism; submission to Allah, and the implementation of Allah's Will in the life of man. The path to emancipation unconstraint and the attainment of human freedom from want and fear is attained by the ecumenic

EMANCIPATION OF MANKIND

By: Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

Islamic Doctrines teach that Allah the Most Exalted created the universe and selected mankind out of all creation as his vicegerent on this earth. Allah endowed human creation with qualifications of the most supreme distinctive potentials of dignity, honour and the inherent powers of the faculty of thought. Allah gifted mankind with spiritual as well as material provisions. Nature with all its terrestrial and extraterrestrial resources of infinite reserves is completely disposed for the exploitation of mankind.

Human creation is structured in such a manner to possess an essential optimized spiritual component. This particular constituent of human creation is the fundamental quality that distinguishes mankind from all other creations. The realization of that spiritual component in man's constitution, necessitates the elaborate faculty of thought. Mankind becomes unable to practice his spiritual qualities except when he believes, and he cannot believe unless he submits to what he believes, and he cannot submit unless there is a mental understanding of true thought and honest conviction to give roots and anchor to the firm trunk of belief.

Based up on this rational reasoning, Allah has specified Mankind with the Divine gift of ingenuity and the command over mental powers. The human species is the only class of creation that has the profound appellation of dignified distinction of the faculty of thought. This distinction entitles the human race to be the most supreme amongst all creation. Mankind is the only creature of all the totality of creations that will be faced with judgement on the day of judgement.

Allah, the creator has entrusted mankind with the most superlative quality of mental association, exercise of intellect, speculation, rationalization, perception and conceptualization. Because of these qualities, Mankind is qualified to optimize. The resultant proficiency of function of these mental faculties and characteristics. These Divine endowments elevate Mankind to a unique order of moral excellence and emancipation. The ultimate scheme of creation is to provide Mankind with freedom. Freedom from want, freedom from fear, freedom of expression, freadom from domination and subjection. Mankind with these qualities is created liberalized from all

Shams. The Romans were certain of victory, being more in numbers and more well equiped. The Roman command recognized the crucial significance of this confrontation. The Muslims also realized that the campaign to Egypt would collapse to utter failure if they were to be defeated. Both sides were strongly intent on victory; defeat would be catastrophic to any of the two opponents. The battle started, and by mid-day the crescendo of the clashing swords resounded mixed with the battle cries of the battling armies. As the battle was at its peak, the Muslim contingent ambushed to the east emerged to strike the Roman troops from the rear. Soon after that, the other Muslim contingent emerged from its concealment to assault the besieged Roman troops. The Roman army became striken with panic and tribulation; not finding a way out to maneuvre an orderly retreat. The pandemonium of total defeat, the unorganised withdraw, the overwhelming anarchy of complete confusion. The dispersed shreads of the Roman army finally found their way to the fortress of Babylon where they could seek refuge.

The supreme Muslim triumph at the battle of Ain Shams was a masterpiece of military strategy. The victorious Muslim warriors advanced to Um Dunin to capture it for the second time. The Muslims then proceeded to the city of Cairo and occupied it without any resistance. Amre Ibn Al-Aas moved his encampment from Ain Shams to the north and east of Babylon at a site where Al-Fustat was later built. The Egyptian public was acting throughout these events as a spectator, not indulged in any action. It was clear that Muslim presence in Egypt was becoming established. The ultimate outcome was to be awaited.

territory between Cairo and Al-Fayoum without losses, the desert was their natural habitation. They impressed the Roman command, the Egyptian population, and above all gained positive justification for support from Omar Ibn Al-Khattab to send further reinforcements. The campaign to Egypt was so far successful. The Romans, however, prepared themselves to defend the territory of Al-Fayoum against Muslim invasion of the inland regions. Amre Ibn Al-Aas remained with his men protected by the desert, raiding places to obtain supplies for his men. The Muslims discovered that Roman contingents were scrambling to skirmish around for scouting and alarm. Amre confronted the Roman contingents in the open and massacred them. The Roman command at Al-Fayoum decided to retaliate the defeat of the Roman contingents, however, Amre Ibn Al-Aas with his men disappeared into the vastness of the desert, where the Romans were very reluctant and unwilling to risk pursuit of Muslims into the desert.

Amre Ibn Al-Aas returned with his men to Um Dunin with all haste in order to meet with the new reinforcements that Omar Ibn Al-Khattab had sent from Al-Madinah. It was imperatively momentous for Amre Ibn Al-Aas to rendevous with the warriors from Al-Madinah before they encountered Roman troops. To that purpose, Amre Ibn Al-Aas accomplished with competent efficiency an action of undaunted gallant fortitude. He crossed the Nile with the whole Muslim army to the east bank; and proceeded with all speed to Heliopolis on the east precincts of Cairo, where both Muslim armies joined forces. The sources of literature do not give details of the return journey of the Muslim army from Al-Fayoum to the east bank of the Nile. The exact strategy and plans of the Roman command were unclear and not rationale; they lost the most suitable chance to prevent the two Muslim armies joining forces. The meeting of the Muslim armies was a most jubilant occasion for everybody, and most of all for Amre Ibn Al-Aas. Omar Ibn Al-Khattab had sent reinforcements of eight thousand men with four reputed war veterans Al-Zubair Ibn Al-Awam, Ubadah Ibn Al-Samit, Al-Miqdad Ibn Al-Aswad, and Maslamah Ibn Mukhallad; who were to be the staff of Amre Ibn Al-Aas. At Heliopolis the Muslim consortium forces camped at a suitable site for the men to recuperate, and to obtain the necessary provisions. Amre Ibn Al-Aas drew his plans of strategy taking the opinion and concensus of his staff. The most pressing issue was to bring the Romans out of the fortress of Babylon into the open for combat. News that the Roman troops in massive numbers had moved from Babylon towards Heliopolis to confront the Muslims reached Amre Ibn Al-Aas; that was the occasion he was patiently awaiting.

Amre Ibn Al-Aas prepared the strategy for the battle. He ordered a contingent of horsemen to hide behind the hills to the east, and another contingent to ambush to the west near Um Dunin. At day break, the rest of the Muslim army marched to meet the Roman troops advancing, from Babylon. Both armies confronted each other at Ain

dates and the period of time that Muslims remained at Bilbees are controversial. However, most authors agree that the Muslims were at Al-Arish during Zu Al-Hijah of the Eighteenth year of Al-Hijrah, December 639 AD, and at Bilbees during February and March 640 AD.

The Muslims marched from Bilbees across desert terrain to reach near the village of Um Dunin in the precincts of Cairo. This village was situated to the north of the strongly fortified renowned much acclaimed fortress of Babylon, the great bastion of the city of Cairo. Between Um Dunin and Babylon, the majestic river Nile exhibited its pontific expanse to the fascinated astounded Muslim warriors as they gazed across the great river. Their vision had never experienced this likness of portrayal of the spectacular greatness of nature. The Muslims soon recovered from the trance of ecstasy of nature's effect, and became awarely conscious of the strong Roman fortifications at Um Dunin and at Babylon. Amre Ibn Al-Aas considered the situation with his ranks; he received information that the Romans were heavily fortified at Babylon, which made it impossible for the Muslims to storm the great fortress. Amre Ibn Al Aas wrote to Omar Ibn Al-Khattab explaining the details of the situation, with justifications for the urgency of reinforcements.

The strategy adopted by Amre Ibn Al-Aas was to keep continually moving, within the largest margin of safety for his men, to impress the Egyptian natives of Muslim maneuverable skill against the Romans, and to place the Roman command in a position of total surprising astonishment, ignorant of his intentions and plans. Amre Ibn Al Aas decided to besiege the smaller fortress of Um Dunin, and further utilize the ships anchored in the nearby creek when the fortress surrenders. The Muslim siege of Um Dunin was optimally organized to ensure victory for the Muslims. Amre Ibn Al-Aas was awaiting reinforecements, his troops were in a position that allowed provision of all requirements of supplies. The reinforcements arrived, the Muslims strormed Un Dunin which they triumphantly occupied, with heavy losses to the Romans. Amre Ibn Al-Aas ordered his men to cross the great river using the boats, and proceeded across the plateau of the Giza Pyramids deep into the desert expanse. This particular shrewdness of manipulative tactics left the Roman command in total obscure vagueness and bewildered dubious speculation as to the schemes of the Muslim leader.

It was a great surprise to the Roman command, and to the Egyptian population to discover that the Muslims had appeared at Al-Fayoum, about hundred miles south of Cairo, west of the Nile. This skilled ingenious agility of Amre Ibn Al-Aas proved his qualification of talent strategy and craftsmanship. The Muslims covered the whole

OMAR IBN AL-KHATTAB

MUSLIMS INSIDE EGYPT

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The envoy of Omar Ibn Al-Khattab to Amre Ibn Al-Aas returned to Al-Madinah with the news that the Muslim warriors had crossed the eastern Egyptian frontiers, and that their leader Amre Ibn Al-Aas was more determined to crusade into Egypt, than ever before. The situation called for intimate concern from Omar Ibn Al-Khattab, and reinforcements were certainly required. Amre Ibn Al-Aas proceeded to the coastal city of Al-Arish which was defenceless with no garrison; and advanced south to reach the city of Al-Farama, where the Romans decided to confront the Muslim warriors. The road between Al-Arish and Al-Farama extends for about seventy miles, being the ancient trade route between Egypt and Palestine.

The news of the Muslim advance had reached the Roman command since the time Amre Ibn Al-Aas reached Al-Arish. The Roman command decided to establish Al-Farama the stonghold where the Muslims were to be confronted. The Romans were confident of victory, they greatly outnumbered the Muslims, who lacked the necessary equipment to maintain an effective siege. The Muslims inspite of all adverse conditions besieged Al-Farama for one whole month, and were finally able to storm the city and gain decisive victory over the Roman garrison which greatly outnumbered the Muslims. Several nomad bedouins resident in territories around Al-Farama, joined the Muslim warriors to gain the spoils of battle.

Amre Ibn Al-Aas marched further south to reach the city of Al-Qantara, and then advanced west into the Egyptian mainland towards Al-Qassasin, and took a course south west to reach the city of Bilbees. Throughout this long stretch of travel on Egyptian soil, the Muslim crusaders met very little resistance. The Muslims at Bilbees were about thirty five miles away from the capital city of Cairo. During the time Muslims were at Bilbees, Al-Muqawqas chief of Egyptian copts deligated envoys to convene with Amre Ibn Al-Aas. The encounter was brief and futile; the Roman command decided to confront the Muslims on the battlefield, they marched twelve thousand strong towards the Muslim encampment. After severe intense fighting, the Roman forces were defeated with heavy casualities. The Muslims remained for about one month at Bilbees to recover, draw plans and wait for reinforcements that Omar Ibn Al-Khattab had promised to send. The exact

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART X

Shawal 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   Muslims Inside Egypt
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **Emancipation of Mankind**
   By: Lotfi Ali Sultan

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
ذو القعدة ١٤١١هـ
مايو/يونيو ١٩٩١
الجزء الحادى عشر
السنة الثالثة والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

مرحبا بالعالم
فى سماء الإسلام

بكل الحياد الوقور الذى يمليه علينا ديننا الحنيف نسوق هذه النصوص من مصادر أهل الكتاب الخاصة بـ « بابوية روما » ليس لنناقشها ، أو لنحكم عليها ، فليس ذلك من حقنا ، إنما نسوقها لنبين لفريق من كتابنا المسلمين اختلاف مصدر التشريع ، ثم نمضى ، وفى ذلك البلاغ : مهما رُمِىَ علماء المسلمين بالجمود .

تقرر الكنيسة البابوية الكاثوليكية :

ان الكتب المقدسة «لم تذكر كل شىء» وبناء على ذلك : فـ «بابا الفاتيكان» نائب المسيح فى الأرض ، وهو معصوم من الخطا فى احكامه الدينية ، فكل ما يشرعه فى جانب الإيمان ، وما يحدده فى العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير او التبديل ، كما انها ليست بحاجة إلى موافقة الكنيسة عليها ، وإذا تجاسر احد على تخطئة تحديدها يكون محروما ، وله ايضاً أن ينشر تعليما إيمانيا ويحتم حفظه : لأن فحص الآيات امر خاص به منذ أجيال عديدة[1] .

وفى إطار هذه النصوص :

اذاع الفاتيكان عام ٤٧ ، ١٩٤٨ ان السيدة مريم البتول صعدت ـ بدورها ـ إلى السماء ، وصارت ...   ، واذكر ان فريقا من القساوسة الكاثوليك بجنوب إفريقيا احتجوا على هذا القرار فهددوا بالحرمان فلاذوا بالصمت .

كذلك بعد هذا القرار بسنتين أو ثلاث على الأكثر ، قام «الْمنَصّرون» بدعوتهم بين « الإسكيمو » فلما قرأ هؤلاء فى « الأناجيل المتداولة » : « خبزنا كفافنا » امتنعوا عن الطعام ، وتساقطوا إعياء ، فسحبت هذه الأناجيل ، وجىء لهم بطبعة أحدث تحمل عبارة ذات مدلول أشمل من «الخبز» حتى لا يموتوا جوعا .

نشر هذا الخبر «صحيفة النداء» المصرية التى صدرت فى نهايات النصف الأول لهذا القرن وذكر المحرر هذا الموضوع تحت عنوان «شجاعة أدبية» .. كذا !!

من هنا يتبين للقارىء أن هذه الكنيسة تشرع ما تريد : فكأنها «إنجيل» مفتوح يضيف إليه البابوات ما يرون ، ومن آيات ذلك تشريعاتها المختلفة فى الصوم ، والانقطاع .. الخ ، ولا عليها ألا تعتمد على الأناجيل : لأنها ترى أن الأناجيل ، بل الكتب المقدسة ، لم تذكر كل شىء .

ثم بعد هذه النصوص ، وشىء من تطبيقاتها ، ننظر فى فروق عدة ، لنتبين مصدر التشريع فى الإسلام ، فإنه إذا رأت الكنيسة أن « الكتب المقدسة لم تذكر كل شىء » .

نقول ـ فى القرآن الكريم : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾ الأنعام ـ ٣٨ .

وإذا رأت أن (رأس الكنيسة) معصوم . قلنا : ليس فى الإسلام عصمة لغير الأنبياء .

وإذا قررت أن لرأس الكنيسة أن يشرع فى (جانب الإيمان) و(العقيدة) .. الخ .

قلنا : ليس ذلك لأحد فى الإسلام، قال ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

وإذا كان لرأس الكنيسة أن يضع آية ، أو يعمم مضمونا ..

قلنا : فى القرآن الكريم : ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ . ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾

فالقرآن الكريم لم يفرط فى شىء ، ولا تبديل لكلماته ، ولا عصمةَ بعدَ أنبيائه ، وقد تضمنت آياته كل شىء ، ثم «الصحيح» من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ يُبَيِّنُ ويوضح ويُعَلِّم كيف نمضى .

فإذا كان لليهود (مِشْنَا) جمعت أقوال (الحاخاميم) وجعلتها ـ على أى حال ـ فوق التوراة .

وكان لدى (البابوية) معصوم يقرر ما يراه .

قلنا : لا بابوية فى الإسلام ، ولا مَشْنَا بجانب «الصحيح» و«القرآن» .

إنما هو كتاب الله ـ تعالى، وسنة رسوله ـ ﷺ : فإذا كان اجتهاد فليس تركا للقرآن الكريم ، ولا طرحاً للسنة الصحيحة : بل منهما وعنهما يصدر المجتهد ، وبشروط أيضاً لها عِلْمُهَا : فالفهم ـ فى الإسلام له أصوله وقواعده المحددة .. المشتقة من أصول الشرع الشريف وقواعده الفقهية .

نقول هذا لفريق من كتاب المسلمين ، ثم لهم ـ من بعد ـ الخيار ، إن شاءوا كانوا منصفين ، أو شاءوا رَمَوا العلماء بالجمود ، أو بغيره مما امتلأت منه أنيتهم : فذلك ليس يضير العلماء فى شىء : فإن لحوم العلماء مسمومة(٢) ورَشْقَهم أوسمة .

للبابوية أجواؤها تقرر ما تريد ، وللإسلام صراط لا يتنكب الطريق .

ونقولها ـ لأى كاتب شاء أن يجعلها «حلالا» فى كل شىء .

أو شاء أن يقول : نحن أعلم بشئون دنيانا .

أو شاء أن يرد صحيح رسول الله ـ ﷺ ـ بما يراه هو فقط : علة قادحة .

نقول : سلام عليكم .. هذه بابوية .. لا إسلام .

د. على أحمد الخطيب

(١) انظر : الأب نعمة الله العنداري ـ سلاحك أيها المسيحى ص (٢٢٢) مطبعة المرسلين اللبنانيين ـ جونيه ـ لبنان ـ ١٩٢٩ . والقس يوسف لويس «شرح التعليم المسيحى» ص ١٤٧ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٧٦ مطبعة البرتيرى ١٩٣٩ .

(٢) انظر الصارم المسلول لابن تيمية ص ١٦٥ تحقيق أستاذنا الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

مع الإمام الأكبر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

لقاء فضيلة الإمام الأكبر ومفتي جمهورية الصين

كلمة

فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر الشريف

أمام المؤتمر العام الرابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

السيد الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء .

السادة العلماء

السادة الوزراء

الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد :

فإن هذا اللقاء فرصة للتعبير للأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها ولغاتها ومواقعها كى تقف وقفة مع النفس ، تراجع فيها ما فرط من أمرها ، وما انفرط من عقدها ، وتجسم ذلك الخلاف لا لتحييه ، وإنما لتضع العلاج له ، إن رسول الله - ﷺ - مثل الأمة بالجسد الواحد فقال : «مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

ونحن نتمثل عمل الطبيب - أو الأطباء - إذا اجتمعوا فى (كونصلتو) عام للفحص ، نتمثل أن يكون هذا (الكونصلتو) هو هذا الجمع الذى يفحص هذا الجسد كُلٌّ فى تخصصه واختصاصه ، لنصل إلى وصف العلة ثم تحديد الدواء .

وإنى إذ أنصح المؤتمر الرشيد الموقر بأن يجلس متصورا هذا الجسد ، جسد الأمة الإسلامية ليفحصه من الرأس حتى القدمين ، ويحاول أن يضع الدواء لعلله ، ويضع الأولوية للعلاج إذا تعارضت الأدوية أو تضاربت . إذا فعل المؤتمر ذلك كنا قد وقفنا وقفة مع النفس ، والوقفة مع النفس أهم العلاج ، تلك التى قال عنها الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد ١١ .

إننى انصح الا ندور حول المشكلات أو نتجاوزها ، أو نفكر بصوت عال ، لا يخلف طحنا نستفيد به .

إننى انصح ان يطرح المؤتمر الموقر مشكلاتنا وما آلت إليه حال هذه الأمة من تفكك وانفراط عن التنكس بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وبَعُدَ عن القرب منها .

انصح أن يكون المؤتمر على وعى بكل هذه العلل . والصيدلية التى نأخذ منها الدواء موجودة بحمد الله ، محفوظة بحفظ الله تلك هى : القرآن والسنة .. والثروات العلمية المتنوعة من حولهما .. إن فعلنا ذلك ـ أو إن فعلتم ذلك ـ اوصلتمونا إلى الهدف المرتقب من هذا المؤتمر .

إننى انصح الا ننكأ الجراح ، وإنما نَطُبُّ لها ، ننقيها ، ونعالجها حتى تلتئم ، على صفاء ونقاء .

إننى ارجو أن يكون البحث والفحص لما ينبغى أن نعالج به أمورنا جميعها ، تلك الأمور وأهمها فى تقديرى الترابط بين الشعوب .

الأمور الاجتماعية بالمعنى المتداول فيما بيننا أن نستعيد الروابط الاجتماعية بين الشعوب الإسلامية على اختلاف مواقعها ، وأن نستعيد بينها التراحم والتكامل والتعاطف ، أن يشعر المسلم بضائقة شعب مسلم اعتبر أقلية فى بلد من البلاد ، وسيم سوء العذاب .

إن فعلنا ذلك : كنا قد وقفنا مع أنفسنا وقفة تعيدنا إلى الصواب ، وتجمع خطنا على خطة واحدة .

ايها الإخوة :

لقد استمعنا إلى الكثير من أقوال السادة المتحدثين ، وسيتحدث منكم الكثير .

إننى أرجو أن يكون حواركم هادئا ، هادفا ، مثمرا ـ إن شاء الله ـ وموصلا إلى النتائج التى نرجوها .

إن العناوين المطروحة أرجو أن تؤخذ بحذر ، والا تجعل الناس فى يأس من الإصلاح ، فمؤسساتنا السياسية العامة تحتاج إلى تقويم ولا تستحق الهدم ، إنها تحتاج إلى أن نطرح عيوبها ، حتى يتناولها المسئولون بالعلاج الحاسم ، نحن فى حاجة إلى أن نحيى لا أن نميت ، الا نيأس من روح الله ورحمته ، وإنما نأخذ الطريق إلى الصواب وإلى السداد ، وإلى التقويم ، وإلى التحسين ، هذا ما رجوت أن أنصح به ، ولست أكتمكم أن علماء الأزهر الشريف المنبثين بين كافة شعوب الأمة الإسلامية يأتون بمعلومات تدل على أن هذه الشعوب ملتزمة بدينها ، هذه الشعوب ملتزمة بالدين راغبة فى التمسك به ، لا تحتاج إلا إلى التنوير والتثقيف .. وهذا يعجز عنه أو تعجز عنه أية هيئة من هيئات هذه الأمة مهما كانت قدرتها وقوتها .

وإن الأمر يحتاج دائما إلى التكامل وإلى التعاون حتى يمكن أن تستقيم هذه الأمة على أمر الله .

شكراً لكم .. وأدعو الله لكم بالتوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

لقاء

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

ومفتى جمهورية الصين

استقبل فضيلة الإمام الاكبر ـ شيخ الأزهر ـ سماحة الشيخ نعمان ناشن مفتى جمهورية الصين وذلك بمكتب فضيلته ظهر يوم الثلاثاء ١٥ من شوال ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١/٤/٣٠ م .

وقد بدأ اللقاء بالترحيب والشكر ثم أعرب الضيف عن شكره وامتنانه وسعادته للقاء **فضيلة الإمام الاكبر ـ شيخ الازهر** وقال : إنه جاء يحمل تحيات المسلمين جميعا فى الصين إلى فضيلة الإمام الأكبر وان هذه هى الزيارة الثانية له للازهر ، حيث إن المرة الأولى لزيارة الأزهر كانت فى عام ١٩٨٣ مع احتفالات الأزهر بعيده الألفى ، واشار إلى انه قد سبق له لقاء فضيلة الإمام الأكبر فى "مسقط بعمان"، كما أشاد بدور الأزهر وأثره الكبير فى نفوس المسلمين الصينيين ، كما أنهم يقدرون عظيم التقدير للأزهر الشريف الدور الكبير الذى يؤديه لخدمة الإسلام والمسلمين .

فقال فضيلة الإمام الاكبر : مرة أخرى أهلاً بكم فى القاهرة وفى الأزهر ويسرنى أن أطمئن على إخوتنا المسلمين فى الصين .

فقال الضيف : نحن نعرف أنكم مشغولون بسبب مسئولياتكم الكبيرة وقد جئنا لنعرب عن شكرنا لكم وللأزهر ، ولقد قرأت كثيراً من مؤلفاتكم واستفدت منها الكثير .

ثم أشار الضيف إلى انه قد حضر اجتماعات مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقدته وزارة الأوقاف المصرية بالقاهرة ، وأن هذا المؤتمر قد جاء فى وقت مناسب بعد انتهاء حرب الخليج وأن الأمة الإسلامية تواجهها تحديات ومشاكل كثيرة ولابد من التضامن لمقاومة مثل هذه التحديات .

واستفسر **فضيلة الإمام الاكبر** عن وضع الطلاب الصينيين الذين يدرسون بالأزهر فأفاد أحد المرافقين لفضيلة مفتى الصين بأن معظمهم يسكنون بمدينة البعوث الإسلامية ، فأشار فضيلة الإمام

إلى وجود بعض المنح لدى السفارة المصرية فى بكين ويمكن الاتصال بها لترشيح من يرونه على هذه المنح .

فقال مفتى الصين : نحن نتبادل الآراء بالفعل مع السفير المصرى فى بكين ونشكر الأزهر على قبول هذا العدد الكبير من الطلبة الصينيين للدراسة بالأزهر ، هذا وقد سمحت الحكومة الصينية الآن بدراسة العلوم الدينية . كما بدأت المساجد والمؤسسات الدينية فى إعداد النشء المسلم من النواحى الدينية ونود إرسال مزيد من الطلاب للأزهر لدراسة اللغة العربية لكى تعم الفائدة ونأمل أن تزداد المنح الدراسية لطلابنا فى المستقبل .

فضيلة الإمام : الأزهر على استعداد دائم أن يوفر للمسلمين فى الصين ما يحتاجونه إن شاء الله سواء فى قدوم الطلاب للدراسة بالأزهر أو بسفر المدرسين لتعليم أبناء المسلمين هناك أو تلبية احتياجات الكتب والمناهج الدينية والعربية .

فقال مفتى الصين : نحن لا ننسى جهود الأزهر فى تعليم الأئمة الصينيين .

فضيلة الإمام : الأزهر يقيم دورات للأئمة المسلمين الذين يتحدثون اللغة العربية من كل أنحاء العالم ، وسوف تكون هناك دورة فى أغسطس القادم ويمكنكم الاتصال بالسفارة المصرية لترشيح من يجيد اللغة العربية ويعمل فى مجال الدعوة والوعظ والخطابة ، وبالنسبة للسفر والإعاشة والإقامة فهى على نفقة الأزهر وسوف نرسل لسفارتنا فى الصين ليكون لديهم العلم إذا ما اتصلتم بها فى هذا الشأن .

وانتهى اللقاء بالشكر والترحيب .

حضر اللقاء
أحمد عبد الخالق محمد
المترجم بمكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

قبس من أنوار النبوة

خطر الكلمة

للشيخ
على حامد عبد الرحيم

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالتْ : قُلتُ للنَّبى ﷺ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ـ قالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ : تعْنِى قصيرةً فقالَ : لقدْ قُلتِ كَلِمةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ . قَالَتْ : وَحَكَيْتُ لَهُ إنساناً ، فقَالَ : مَا أُحِبُّ أَنِّى حَكَيْتُ إنسَاناً وَإِنَّ لى كَذَا وَكَذَا » .
رواه ابو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
اللغة مزجته : خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها .
حكيت : فعلت مثل فعله يقال : حكاه وحاكاه : اى مثلت له .

أكثر المعاصى عدداً ، وأخطرها إثما ، وأيسرها وقوعا معاصى اللسان ، فعن سفيان بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه الترمذى ـ « قلت يارسول الله ما أخوف ما تخاف علىَّ ؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال « هذا » .

وفى الحفاظ على اللسان سبيل إلى النجاة ، قال عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه : قلت يارسول الله ، ماالنجاة ؟ قال : « امسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » . رواه الترمذى بإسناد حسن .

ولقد وجهنا الرسول الكريم ﷺ إلى مراحل الاستقامة حيث قال :

ـ فيما رواه الإمام أحمد : لايستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

وروى البيهقى وابن خزيمة والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ـ أى تذل وتخضع ـ وفى رواية تفكر اللسان ـ فتقول : اتق الله فينا فإنما نحن

بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » وجاء فى الآثار عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ انه اخذ بلسانه وهو يقول « ويحك : قل خيرا تغنم ، أو امسك عن سوء تسلم ، وإلا فاعلم أنك ستندم » .

وقد يقذف اللسان بكلمة لا يرى بها بأسا تهوى بصاحبها فى النار ، روى الترمذى « أن الرجل ليتكلم بالكلمة ـ وفى رواية من سخط الله ـ لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً فى النار » ، وفى حديث البيهقى « إن العبد ليقول الكلمة ، لا يقولها إلا ليضحك بها المجلس ، يهوى بها ابعد مابين السماء والأرض ، وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه » .

يمـوت الفتى من عثرة بلسـانـه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل

ومن هنا كان من اخطر الكلمات ، واشدها بلاء أن يتشفى المرء بذكر عيوب غيره ـ خِلقية أو خُلقية ـ وما ينبغى لمن عمر الإيمان قلبه أن يتلهى بسرد العيوب ، وإبداء العورات ، وكشف السوءات بفاحش القول وساقط الكلام ، ورخيص الألفاظ .

إن الإسلام حرم على أتباعه تتبع عورات الناس والنهش فى اعراضهم والولوغ فى دمائهم بالوقوع فى أعراضهم ، والتلذذ بالحديث عن عثراتهم ، وصرف الأوقات فى ذكر مساوئهم ، وليس من الإسلام أن يعتدى المرء على عرض أخيه .فيهتكه بالقول أو العمل ، أو أن يتخذ من كرامته محلاً للهو واللعب والتسلية فى المجالس والمحافل ، أو أن يدفعه الحقد والغضب إلى ذكر هذه المساوىء بالغيب ، فإن ذلك يتناف مع مبادىء الإسلام القويمة ، ويقضى على روابط الإخاء الذى ربط الله به بين قلوب المؤمنين ، بل

إن الله ـ عز وجل ـ صور هذا الصنيع بأبشع صورة ـ قال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ . . ﴾ الحجرات ١٢ .

قال ابن القيم رحمه الله فى كتابه « إعلام الموقعين » :

هذا من أحسن القياس التمثيلى « فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه ، ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه فى غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه فى حال غيبة روحه عنه بالموت ، ولما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن مجلس ذمه كان بمنزله الميت الذى يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ولما كـان مقتضى الأخوة التـراحم والتواصـل والتناصر ، فكان من المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن ، كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه والأخوة تقتضى حفظه وصيانته والذبٌ عنه ولما كان المغتاب متمتعاً بعرض أخيه ، متفكها بغيبته وذمه ، محليا بذلك . شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه . ولما كان المغتاب محبا لذلك معجباً به شبه بمن يحب اكل لحم أخيه ميتا ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد اكله ، كما أن اكله قدر زائد على تمزيقه ، وتأمل إخباره عنهم بكراهة لحم الأخ ميتا ووصفهم بذلك فى آخر الآية ، والإنكار عليهم فى أولها : أن يحب أحدهم ذلك ، فكما أن هذا مكروه فى طباعهم فكيف يحبون مثله ونظيره فاحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه ، وشبه لهم مايحبونه بما هو اكره شىء إليهم ، وهم أشد شىء نفرة عنه فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شىء نفرة عما هو نظيره ومشبهه ، وبالله التوفيق . » أ . هـ

قبس من انوار النبوة

خطـــر الكلمـــــة

وقال قتادة فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ : الهمزة الطعان فى الناس ، واللمزة : الذى يأكل لحوم الناس .

روى مسلم : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : قال : كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه مسلم أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال اتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : افرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » أى قلت فيه بالباطل ، وافتريت عليه الكذب .

ومن هنا كان الدفاع عن المسلم والمسلمة من اجل الأعمال وازكاها .

روى الإمام أحمد وغيره ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال : « من ذبَّ عن عرض اخيه الغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار .

ومن اقبح الأعمال خذلان المسلم او المسلمة »

قال صلى الله عليه وسلم : ما من امرىء مسلم يخذل امرءا مسلما فى موضوع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته ـ رواه أبو داود وغيره .

فعلى المسلم أن يحذر الغيبة حتى ينجو من عذاب النار وحتى لا يكون من المفلسين فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم :

« أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولامتاع فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » .

وإذ كانت كلمة ـ قصيرة ـ أخبر عنها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ انها لقبحها بهذه المثابة فى مزج البحر الذى هو من أعظم المخلوقات وتغيير لونه أو تغيير ريحه ، فما بالك بغيبة أقوى منها وليحذر المسلم أن يحاكى غيره كأن يمشى بعرج أو مطأطئا، فإن ذلك من أشد أنواع الذنوب .

احفظ لسانك أيها الإنسان
لا يلدغنك إنه ثعبان

وليحذر المسلم هذا الوعيد الشديد الذى ينال المغتابين .

إلا مادعت إليه حاجة شرعية كالشهادة والنصيحة وغير ذلك أوصلها بعضهم إلى ستة اسباب بقوله :

يباح اغتياب الفتى إن تجاهرا
بفسق وللتعريف أو للتظلم
كذاك لتحذير ومن جاء سائلاً
كذا من أتى يبغى زوال المحرم

وإذا أبيحت الغيبة بضرورة فيجب أن تقدر الضرورة بقدرها .

١ ـ المجاهر بفسقه فيجوز ذكره بما جاهر به .

٢ ـ التعريف بلقب لا يعرف إلا بذكره .. كالأعمش والأحول .

٣ ـ التظلم : كقولك لمن ينصفك ظلمنى فلان ، وإن كان الأفضل العفو والصفح .

٤ ـ الاستعانة على تغيير المنكر ـ كقولك فلان يفعل كذا فازجره . فإن لم يكن القصد تغيير المنكر كان ذلك حراما .

٥ ـ تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم .. وخاصة عند المشورة كقولك فلان يضرب النساء كثيراً ـ فيمن اتصف بذلك .

٦ ـ الاستفتاء ـ كمن يطلب الفتوى فيقول : فلان ظلمنى فكيف أصل إلى حقى ، وإن كان الأفضل ـ أن يقول : ما قولك فى شخص ظلم آخر .. من غير تعيين ؟

فهل نتكلم بالكلمة التى ترضى ربنا ، حتى نسعد برضا الله قال ﷺ : فيما رواه البخارى ـ « إن العبد يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بألا يرفعه الله بها درجات .

وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » .

نسأل السلامة ، والتوفيق لصالح القول والعمل .

إلى السادة الكتاب

١ ـ فيما يخص إجراءات صرف مكافاتهم ينبغى أن يكون اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل .

فأما الاسم الصحفى فللكاتب الحرية فى جعله من اسمين فقط .

٢ ـ لا تلتفت إدارة التحرير بالمجلة إلى ما يرسله بعض الكتاب مصوراً من الأصل . ينبغى أن يرسل إلى المجلة بالأصل .. مع الشكر .

ذكر الله عز وجل

لفضيلة الشيخ
أحمد حسن مسلم

عن ابى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال :
قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان فى الميزان ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . رواه الترمذى .
واهب نعمة الوجود لكل موجود هو الله تعالى خالق الارض والسماء والماء والهواء والناطق الصامت والجامد والمتحرك ، نعم هو سبحانه وتعالى خالق كل شىء وإليه مصيره وَمَرَدُهُ ولكن هل من مدكر ؟؟

إن الإنسان الذى علمه الله البيان وأعطاه العقل المفكر والحواس المدركة ، وسخر له من صنعه مابه يحصل على السعادة والراحة والطمأنينة ، لو أدرك ذلك تمام الإدراك ووعاه حق الوعى ، وألزم نفسه بما شرعة الله من كل ما أمر به ونهى عنه ، لصار قريبا من عالم الملائكة ، ولأضحى يقول للشىء : كن فيستجيب الله له ويحقق رجاءه ، ولكن غفلة الكثير من بنى الإنسان أبعدتهم عن هداية الرحمن فتسلط عليهم الشيطان ، وتخطفتهم السبل المضللة فقذفت بهم إلى مكان سحيق والقليل منهم الذين اخبر عنهم الرحمن بقوله الكريم : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ ﴾

هذا القليل الشكور هو الذى تُستضاء به الدنيا ، وهو الذى يجرى ذكر الرحمن على لسانه بعد أن يتحرك به قلبه ووجدانه ، فيسعد بهذا الذكر السعادة الحقة ، ويطمئن به الطمأنينة الكاملة : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ وفى الحديث القدسى يقول الخالق جل جلاله وعز سلطانه : (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ، ذكرته فى ملأ خير من ملئه)

نعم وإنها فى الحقيقة لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

هذا الإنسان وهو صنعة الرحمن وعبده ونوع من خلقه ، لو علم حق العلم ان واهب الوجود كرّمه وميزه وشرفه فى قوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ لو علم بصدق وتدبر هذا التكريم لقام بواجب شكر المنعم المكرم المتفضل وقيامه بشكره يزيده من خيره ، كما قال فى محكم التنزيل ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ومن المعلوم بالبداهة أن الخالق ـ جل جلاله وعز سلطانه ـ غنى الغنى الكامل المطلق ، فلا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية المنحرفين المقصرين إنما طاعة الطائعين تعود عليهم بالسعادة والراحة والطمأنينة وانحراف المنحرفين يعود عليهم بالتعاسة والشقاء ورحم الله القائل :

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى
ولكنها الأهواء عمت فأعمت

نعم إن الأهواء تصيب القلب بالعمى وإن عمى القلوب أضر على الإنسان من عمى الابصار ، ولو ادرك الإنسان بعمق وتدبر أن مصيره إلى الله تعالى ، وإن طال به الزمان وأنه سيحاسب على ماقدم من عمل ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، لكان له فى مسار حياته فى الدنيا وضع غير وضعه الذى هو عليه ، وشأن غير شأنه الذى هو فيه وصدق الله العظيم ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا. وَقَالَ الْإِنسَانُ مَالَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ. فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

وهذا الحديث النبوى الشريف الذى صدرنا به القول خير دواء يعالج به المؤمن نفسه ، وخير تجارة يتجر بها مع العليم الخبير ليعظم ربحه ويكثر أجره ويخرج من ظلمات الغفلة إلى نور الصحو واليقظة ، وإن شر مايبتلى به الإنسان وقوعه فى الغفلة يقول الخالق ـ جل جلاله وعز سلطانه ـ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ فأهل الغفلة ألحقهم رب العالمين بالأنعام التى لا تعقل فخلع عنهم ثوب العقلاء وشبههم بما لا يعقل ، ثم جعلهم أضل من الأنعام لأنها لم تعط ما أخذه الإنسان من العقل وبه مناط التكليف .

والكلمتان الخفيفتان على اللسان الثقيلتان فى الميزان الحبيبتان إلى الرحمن : «سبحان الله وبحمده» «سبحان الله العظيم» لامشقة فى ذكر الله تعالى بهما ، فهما حقا سهلتان فى النطق مع مافيهما من حب الله تعالى ، ومن جزلة المثوبة وعظيم الأجر ، وتسبيح الخالق تنزيهه عن كل نقص ووصفه بكل كمال وهو .. وحده المستحق لذلك وجميع من عداه مربوب له ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِى الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

الصوم عن الغير في الفقه الإسلامي

الفصل الأخير

للدكتور
حسين محمد قنديل

ثالثاً : مناقشة ادلة الرأى الثالث :

١ ـ ناقش الحنفية استدلال الظاهرية بالآية(٧٩)

فقالوا : قوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ يدل على أن من ليس عليه دين لآدمى ولم يوص بشىء أن جميع ميراثه لورثته ، وأنه إن كان عليه حج أو زكاة لم يجب إخراجه إلا أن يوصى به وكذلك الكفارات والنذور .

فإن قيل : إن الحج دين وكذلك كل مايلزمه الله تعالى من القرب فى المال لقول النبى ـ ﷺ ـ للخثعمية حين سألته عن الحج عن ابيها : ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته أكان يجزىء ؟ قالت : نعم ، قال : فدين الله احق بالقضاء .

قيل له : إن النبى ﷺ ـ إنما سماه دين الله ولم يسمه بهذا الاسم إلا مقيداً ، فلا يتناوله الإطلاق ، ولفظ الدين فى الآية إنما اقتضى التبدئة بما يسمى به دينا على الإطلاق ، فلا ينطوى تحته ما لا يسمى به إلا مقيدا ، لأن فى اللغة والشرع أسماء مطلقة وأسماء مقيدة ، فلا يتناول المطلق إلا مايقع الاسم عليه على الإطلاق ، فإذا لم تتناول الآية ماكان من حق الله تعالى من الديون لما وصفنا اقتضى قوله تعالى ﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾ انه لم يوص ولم يكن عليه دين لآدمى أن يستحق الوارث جميع تركته .

٢ ـ ونوقش حديث عائشة ، وابن عباس ، وابن بريدة بما سبق فى أدلة الرأى الأول والثانى ، وأجيب عنها بما أجيب به هناك .

٣ ـ ونوقش استدلال الظاهرية من المعقول بأن الصيام لايقاس على الحج لوجد الفرق بينهما ، إذ أن الحج تدخله النيابة فى الحياة ، أما الصوم فلا تدخله النيابة فى الحياة بلا خلاف(٨٠) .

رابعاً : مناقشة ادلة الرأى الرابع :

نوقشت أدلة الحنابلة ومن معهم بما يأتى :

---

(٧٩) انظر : « احكام القرآن » للجصاص ٢/٩٧ ـ ٩٨ . دار الكتاب العربى ـ بيروت .

(٨٠) انظر « المجموع » ٦/٣٦٩ .

١ ـ فيما يتعلق بحديث ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فإنه قد تعددت رواياته : ففى رواية للبخارى : « وعليها صوم شهر » .

وفى أخرى له : « أنه أتى رجل فسأل » .

وفى رواية ثالثة له أيضاً : « وعليها خمسة عشر يوما » ، وفى رواية رابعة : « وعليها صوم شهرين متتابعين » ، وعد بعضهم أن هذا اضطراب من الرواة[٨١] .

وأجيب عن هذه الدعوى بما سبق أن ذكرناه فى الإجابة عن مناقشة أدلة الرأى الثانى .

٢ ـ ونوقش حمل الحنابلة حديث عائشة على صوم النذر بأنه حمل من غير دليل ، وتخصيص بلا مخصص ، لأن حديث عائشة تقرير لقاعدة عامة ، وقعت الإشارة به فى آخر حديث ابن عباس ، وحديث ابن عباس من قبيل التنصيص على بعض أفراد العام فلا يصلح لتخصيص حديث عائشة ولا لتقييده[٨٢] .

٣ ـ ويمكن مناقشة المعقول بأنه يرد لمخالفته الأدلة العامة التى دلت على مشروعية الصوم عن الميت مطلقا ، وأيضاً النصوص التى رويت عن عائشة ، وابن عباس ، وابن بريدة والتى جاء فيها الصوم عمن مات وعليه صيام ، يجوز لوليه أن يصوم عنه .

الرأى الراجح فى الموضوع : بعد العرض السابق للآراء وأدلتها وما وجهه كل فريق لأدلة الآخر من مناقشات والإجابة عنها أميل إلى ترجيح المذهب الثانى القائل بجواز صيام الولى عن الميت الذى مات ولم يقض ماعليه من صيام مع تمكنه من ذلك ، وذلك لقوة أدلتهم وعلى رأسها حديث عائشة فى الصحيحين ، وأيضاً حديث ابن عباس وحديث ابن بريدة وغيرها ، ولأن فى القول بهذا الرأى توسيعا لقاعدة تحصيل الأجر فى الإسلام حتى بعد الموت ، فيرفع الولى عمن مات مايكون قد وقع فيه من التقصير قبل الموت ، فيجبر تقصيره ويتحصل للولى أجر الصلة عن صيامه عنه .

ولقد ورد عن الفقهاء والمحدثين ما يؤيد القول بالصيام عن الميت : قال النووى[٨٣] : « يستحب لولى الميت أن يصوم عنه ويصح صومه عنه ويبرأ به ولايحتاج إلى إطعام عنه وهذا القول هو الصحيح المختار الذى نعتقده وهو الذى صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة » .

وقال ابن حجر[٨٤] : « فأجاز الصيام عن الميت أصحاب الحديث ، وقال البيهقى فى الخلافيات » : هذه المسألة ثابتة لا أعلم خلافا بين أهل الحديث فى صحتها فوجب العمل بها ، ثم ساق بسنده إلى الشافعى قال : كل ما قلت وصح عن النبى ـ ﷺ ـ خلافه فخذوا بالحديث ولا تقلدونى » .

وقال صاحب « عون البارى »[٨٥] : « الصوم عن الميت مشروع بالأحاديث الصحيحة ، وقد رد الحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى « أعلام الموقعين عن رب العالمين » رداً مشبعاً على من انكر صوم المولى عن الميت » .

لكل ماسبق رجحت القول بالصوم عن الميت ـ والله أعلم بالصواب ـ

(٨١) انظر « نيل الأوطار » ٢٣٦/٤ .

(٨٢) انظر « عون البارى » ٤٣٦/٣ ـ ٤٣٧ .

(٨٣) انظر « صحيح مسلم » بشرح النووى ٢٥/٧ .

(٨٤) انظر : « فتح البارى » ١٩٣/٤ .

(٨٥) « عون البارى » ٤٣٧/٣ .

المبحث الثانى
المراد بالولى وكيفية صيامه عن الميت

اختلف القائلون بالصوم عن الميت فى تجديد معنى الولى ، وكيفية صيامه عن الميت ، وسأبين ذلك من خلال المطلبين الآتيين :

المطلب الأول
فى تحديد المراد بالولى

اختلف الفقهاء والمحدثون فى تحديد معنى الولى وذلك على النحو التالى :

قال إمام الحرمين : يحتمل أن يكون من له الولاية يعنى ولاية المال ، ويحتمل مطلق القرابة ، ويحتمل أن يشترط الإرث ، ويحتمل أن يشترط العصرية .

وقال الرافعى : الأشبه اعتبار الإرث ، واختار الشيخ عمر ، وابن الصلاح انه مطلق القرابة ، لأن الولى مشتق من الولى « باسكان اللام » وهو القرب فيحمل عليه مالم يدل دليل على خلافه ، وهذا الذى اختاره أبو عمر هو الأصح المختار ، كما قال النووى[86] .

وسبق أنه جاء فى صحيح مسلم من رواية ابن عباس ومن رواية ابن بريدة : « أن النبى ـ ﷺ ـ قال لامرأة ماتت أمها وعليها صوم صومى عن أمك » وهذا يبطل احتمال الولاية والعصوبة ، فالصحيح أن الولى : مطلق القرابة ، واحتمال الإرث ليس ببعيد[87] .

وقال ابن حزم : الأولياء هم ذوو المحارم بلاشك ، ولو صامه الأبعد من بنى عمه أجزأ عنه لأنه وليه[88] .

يتضح لنا مما سبق أن أرجح الأقوال فى تحديد الولى انه يطلق على كل قريب ، ويختص ذلك بالولى ، لأن الأصل عدم النيابة فى العبادة البدنية إلا ما ورد فيه الدليل فيقتصر على ماورد فيه ويبقى الباقى على الأصل ، وهذا هو الراجح .

وقيل : يصح استقلال الأجنبى بذلك ، وذكر الولى لكونه أغلب ، وظاهر صنيع البخارى اختيار هذا الأخير ، وبه جزم أبو الطيب الطبرى وقواه بتشبيهه ﷺ ذلك بالدين ، والدين لا يختص بالقريب[89] .

وقيل يختص بالولى فلو أمر أجنبياً بأن يصوم عنه أجزأ كما فى الحج[90] .

ويرى الشافعية فى القديم أن الولى لو أمر أجنبياً فصام عن الميت بأجرة أو بغيرها جاز بلا خلاف كالحج ، ولو صام الأجنبى مستقلا به من غير إذن الولى فوجهان مشهوران « أصحها » لا يجزئه وهذا هو المشهور فى المذهب[91] .

ويرى الحنابلة[92] : أن صوم غير الولى عن الميت يجزىء عنه بإذنه وبدونه ، لأن النبى ﷺ شبهه بالدين ، والدين يصح قضاؤه من الأجنبى .

وأجاز الظاهرية إن لم يكن له ولى أن يستأجر

(٨٦) انظر : « المجموع » ٦/٣٦٨ .
(٨٧) انظر : « فتح البارى » ٤/١٩٤ .
(٨٨) انظر « المحلى » ٧/٨ .
(٨٩) انظر : « عون البارى » ٣/٤٣٤ ـ ٤٣٥ .
(٩٠) انظر : « فتح البارى » ٤/١٩٤
(٩١) انظر : « المجموع » ٦/٣٨٦ .
(٩٢) انظر « كشاف القناع » كشاف القناع ٢/٣٣٥ .

عنه من رأس ماله من يصومه عنه أوصى بذلك أو لم يوص(٩٣) .

ومما سبق يتضح لنا أن القائلين بجواز الصيام عن الميت ـ يختلفون فى صيام الأجنبى عنه ، فالبعض يجيز ذلك والبعض الآخر يخص ذلك بالولى ، وظاهر الأحاديث يرجح أن يصوم عنه وليه وإن لم يوص بذلك ، وأن من صدق عليه اسم الولى لغة أو شرعا أو عرفا صام عنه ، ولا يصوم عنه من ليس بولى ، ومجرد التمثيل بالدين لا يدل على أن حكم الصوم كحكمه فى جميع الأمور(٩٤) .

المطلب الثانى
فى
كيفية صيام الولى عن الميت

اختلف القائلون بالصوم عن الميت فى إلزام الولى بذلك ، وفى حكم صوم جماعة عن الميت فى يوم واحد ، وإليك بيان ماسبق :

يرى الشافعية(٩٥) : أن الولى لا يلزمه الصوم عن الميت ، وهو مخير بين الصيام والإطعام .
وقال الحنابلة(٩٦) : إن لم يخلف الميت تركة لم يلزم الولى شىء ، لكن يسن له فعله عنه ، لتفرغ ذمته كقضاء دينه ، وإن خلف الميت تركة وجب الفعل كقضاء الدين ، فيفعله الولى بنفسه استحبابا لأنه أحوط لبراءة الميت ، فإن لم يفعل الولى بنفسه ، وجب أن يدفع من تركته إلى من يصوم عنه عن كل يوم طعام مسكين ، لأن ذلك فدية الصوم .

ويرى الظاهرية(٩٧) : أن الصوم عن الميت فرض على أوليائه أن يصوموه عنه هم أو بعضهم ، فإن لم يكن له ولى استؤجر عنه من رأس ماله من يصومه عنه ولابد أوصى بكل ذلك أو لم يوص ، وهو مقدم على ديون الناس .

فإن أبوا من الصيام فهم عصاة لله تعالى ولا شىء على الميت من ذلك الصوم . لأنه قد نقله الله تعالى عنه إليهم بقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « من مات وعليه صوم صام عنه وليه » ، ويأمر عليه الصلاة والسلام الولى أن يصوم عنه .

وأرى أن قول الحنابلة ارجح من غيره لوضوحه ، وتأييد ظاهر السنة له كما سبق . وأما عن صوم الجماعة عن الميت فى يوم واحد ، فإن الفقهاء مختلفون فى ذلك ، فقال بعضهم : إذا كان على الميت صوم عشرة أيام مثلاً فصام عنه عشرة رجال فى يوم واحد يجزىء ذلك عنه . وقال البعض الآخر ـ وهم قلة ـ لا يجزىء .

جمع ماسبق الحنابلة فقالوا(٩٨) : ويجزىء صوم جماعة عن الميت فى يوم واحد عن عدتهم من الأيام ، أى لو كان على الميت صوم عشرة أيام ، فصام عنه عشرة رجال فى يوم واحد أجزأ عنه ، لأن المقصود يحصل به مع نجاز إبراد ذمته . ونقل عن أحمد أنه يصوم واحد ، وحمله المجد على صوم شرطه التتابع .

وقال ابن حزم(٩٩) : فإن صامه بعض أوليائه أجزأ لعموم الخبر فى ذلك ، وإن كانوا جماعة فاقتسموه ، جاز كذلك أيضاً إلا أنه لا يجزىء أن يصوموا كلهم يوما واحدا لقوله تعالى : ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ، فلا بد من أيام متغايرة .

وقال النووى(١٠٠) : إن صام عنه ثلاثون

---

(٩٣) انظر ، المحلى ، ٢/٧ .
(٩٤) انظر ، نيل الأوطار ، ٢٣٧/٤ .
(٩٥) انظر : ، المجموع ، ٣٦٩/٦ .
(٩٦) انظر ، كشاف القناع ، ٣٣٥/٢ .
(٩٧) انظر ، المحلى ، ٢/٧ ، ٨/٧ ـ ٩ .
(٩٨) انظر ، كشاف القناع ، ٣٣٥/٢ .
(٩٩) انظر : ، المحلى ، ٨/٧ ـ ٩ .
(١٠٠) انظر ، المجموع ، ٣٧١/٦ ، ، فتح البارى ، ١٩٢/٤ .

فــى الفقــه الإســلامى

إنسانا فى يوم واحد هل يجزئه عن صوم جميع رمضان ، فهذا مما لم ار لأصحابنا كلاما فيه ، وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن الحسن البصرى أنه يجزئه وهذا هو الظاهر الذى نعتقده .

يتضح لنا مما سبق أن الشافعية والحنابلة فى الرواية الراجحة ، والحسن البصرى يجيزون القضاء عن الميت فى يوم واحد ، وذلك بأن تصوم جماعة ما على الميت من قضاء فى يوم واحد ، ومنع من ذلك الظاهرية والحنابلة فى رواية ثانية .

والراجح من وجهة نظرى رأى القائلين بالجواز وهم الشافعية ومن معهم ، لأن الغرض من الصيام عن الميت إبراء ذمته ، وهذا يتحقق بصيام جماعة عنه فى يوم واحد ، أو أيام متغايرة - والله أعلم بالصواب -

نتائج البحث :

١ - لا تصح النيابة عن الحى فى الصيام مطلقا .

٢ - إذا وجب الصيام على المسلم فلم يصم ، ثم مات وعليه قضاء من رمضان ، وكان معذوراً فى تفويت أدائه ، ودام عذره إلى الموت ، لم يجب شىء على ورثته ولا فى تركته لاصيام ولا إطعام .

٣ - أما من مات وعليه قضاء من رمضان ، ولم يقض مع أنه كان يمكنه ذلك ، فإنه يجوز لوليه أن يصوم عنه ولا يلزمه ذلك ، ولو أطعم عنه جاز .

٤ - المراد بالولى من كانت لى صلة قربى بالميت ، فيصوم القريب عن الميت ، ولو أمر الولى الأجنبى بالصيام عنه أجزأ كما فى الحج .

٥ - لو كان على الميت صوم عشرة أيام ، فصام عنه عشرة رجال فى يوم واحد أجزأ عنه ، لأن المقصود يحصل به - والله أعلم بالصواب -

جند الله لا يقهرون

للواء . أ . ح

محمد جمال الدين محفوظ

﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ .

افضل الناس فى افضل الأعمال :

● الذين يدافعون عن الوطن ، مجاهدون فى سبيل الله ، من أجل ذلك فهم فى تقدير الإسلام أفضل الناس يؤدون أفضل الأعمال ولهم عند الله خير الجزاء فهنيئا لهم .

(١) **افضل الناس** : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « قيل : يارسول الله ، أى الناس أفضل ؟ قال : مؤمن يجاهد فى سبيل الله بنفسه وماله »(١) .

(٢) **وافضل الأعمال** : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : « قلت : يارسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله والجهاد فى سبيله »(٢) .

(٣) **وخير الجزاء** : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، مابين الدرجتين مابين السماء والأرض »(٣) .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى ، وإيمان بى ، وتصديق برسلى ، فهو ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة ، والذى نفس محمد بيده ما من كلم (جُرح) يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كُلم ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك ، والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ، ما قعدت خلاف سرية لغزو

(١) الحديث : رواه البخارى .

(٢) الحديث : رواه الشيخان .

(٣) الحديث : رواه البخارى .

جند الله لا يقهرون

فى سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » .(٤) .

أعلى درجات الروح المعنوية وإرادة القتال

● فما الذى يُنتظر من أفضل الناس الذين يؤدون أفضل الأعمال ، ولهم عند الله خير الجزاء ؟

● قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « التمسنا جعفر بن أبى طالب فى القتلى يوم مؤتة ، فوجدنا فيما أقبل من جسده (أى فى الجسد من الأمام مما يلى الوجه) بضعا وتسعين ضربة ورمية وطعنة ، ليس منها شىء فى دُبُره (أى ظهره) »(٥) .

● وجاء أعرابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمن به ثم قال : « أهاجر معك » .. فأوصى به النبى - صلى الله عليه وسلم - بعض أصحابه ، فكانت غزاة غنم فيها النبى - صلى الله عليه وسلم - فقسم عليه الصلاة والسلام وقسم له (أعطاه نصيبه من الغنائم) فقال الرجل : ماهذا ؟ فقال : قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أُرمى إلى هاهنا (وأشار بيده إلى حلقه) ... فلبثوا ثم نهضوا فى قتال العدو ، فأتى به إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - محمولا قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال عليه الصلاة والسلام : أهو هو ؟ قالوا : نعم ، قال : صَدَق الله فصدقه ، ثم كُفِّن فى جبة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قَدَّمه فصلى عليه ، فكان مما قاله مماظهر من صلاته دعاؤه : اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا ، وأنا شهيد على ذلك »(٦) .

● هاتان صورتان رفيعتان للإرادة القتالية للمجاهدين فى سبيل الله من أجدادنا المسلمين الأوائل ، والتى حفل تاريخ الإسلام من صورها بما لا يحصى ، فما هى منابع تلك الإرادة القتالية الفذة ؟

أولا : الجهاد تكليف وتشريف

● إن المسلم المجاهد ، يدرك بكل وعيه أنه يؤدى عملا « كلفه الله » تعالى به ، « وشرفه باختياره » للقيام به حيث يقول جل شأنه : ﴿ وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾(٧) (واجتباكم يعنى اختاركم) .

● والمجاهد يدرك أيضا « المغزى العظيم » لهذا الاختيار وما ينطوى عليه من « التزام » إذ أن هناك فرقا بين أن تقول لشخص ما : « مهمتك كذا ... » وبين أن تقول له : « مهمتك كذا ، وأنا اخترتك لأدائها » فالاختيار ينطوى على معانى الثقة والتكريم والأمل ، وكلها من أعظم « الحوافز المعنوية » ، كما يترتب على الاختيار التزام المجاهد بأن يكون عند حسن الظن به ، وأن يثبت عملياً أنه جدير بالثقة التى وضعت

(٤) الحديث : رواه مسلم .
(٥) الحديث : رواه البخارى .
(٦) الحديث : رواه النسائى .
(٧) الآية الكريمة ٧٨ من سورة الحج .

فيه ، وأهل للتكريم الذى ناله ، وقادر على تحقيق الأمل المعقود عليه .

يقول المشير مونتجمرى وهو يتحدث عن انتصارات المسلمين : « من العوامل التى شاركت فى نجاح زحفهم (أى المسلمين) غير العادى ، ذلك الزحف الذى كان عبارة عن نجاح تلو النجاح ، أنهم كانوا يندفعون نحو القتال يحركهم أقوى دوافع الحرب الا وهو الإيمان والعقيدة » ..(٨)

ثانيا : الإيمان بعدالة القضية

● إن المجاهد الذى يدافع عن وطنه ، يؤمن بعدالة قضيته وشرف مقاصدها ، فليس غرضه من جهاده عدوانا على أحد ، أو اغتصابا لحق ، أو حظا من حظوظا الدنيا ، وإنما هو إعلاء لكلمة الله ، وكلمة الله هى الحق وهى العدالة ، وهى الرحمة وهى الأخوة ، وهى السلام العام للفرد فى نفسه وماله وعرضه ، وللأمة فى كرامتها وعزتها وكل مقدساتها ، وللناس جميعا ..

● وبذلك تتوافر للجندى الظروف الموضوعية « لبعث الروح المعنوية العالية » وفى ذلك يقول المسير مونتجمرى : « إن التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت سوف يواجهها الجندى المقاتل بقلب جسور إذا كان على علم وإيمان بالغرض الذى يقاتل من أجله ، ويثق فى ضباطه ورفاقه ، وفى نفس الوقت يعلم أنه لن يطلب منه تحقيق ما لايكون فى استطاعته » .

ثالثا : المجاهدون جند الله

● وأى دافع أعظم من إحساس المجاهد الذى « اختاره » الله جل شأنه للجهاد فى سبيله بأنه جندى من جنود الله يقاتل من أجل إعلاء كلمة الله ؟ إن هذا الإحساس ، فضلا عن أنه يضاعف من قوة الالتزام لدى المجاهد بالاستبسال فى القتال ، لا يقتصر أثره على الفرد وحده ، بل إنه يجعل روح المجاهد ونفسه وقلبه ، « مصادر إشعاع » لكل عمل بطولى ، وجمال نفسى ، وجلال خلقى .

رابعا : الثقة فى مَعِيَّة الله ونصره

● وتبلغ الحوافز المعنوية والدوافع النفسية أوجها فى نفس المجاهد ، بشعوره وثقته فى معية الله لجنده الذين يقاتلون فى سبيله ، ويقومون على مبادئه ، وثقته فى وعده جل شأنه لهم بالنصر حيث قال تعالى :

﴿ ... وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .(٩)

﴿ ... إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ .(١٠)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(١١) ـ ﴿ .. وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ـ(١٢) ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ـ(١٣) ﴿ .. وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ ـ(١٤) ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ

---

(٨) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ حـ ٢ ص ١٨٦ .

(٩) الآية الكريمة ٤٠ من سورة الحج .

(١٠) الآية الكريمة ٧ من سورة محمد .

(١١) الآية الكريمة ١٢٨ من سورة النحل .

(١٢) الآية الكريمة ٤٧ من سورة الروم .

(١٣) الآيات الكريمة ١٧١ ـ ١٧٣ من سورة الصافات .

(١٤) الآية الكريمة ٨ من سورة المنافقون .

جند الله لا يقهرون

أَمْنًا . . ﴾(١٥) ـ ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١٦) ـ ﴿ . . وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾(١٧) (سبيلا اى سلطانا) .

.. هذه الآيات ونظائرها تدل على أن العز والعلو والرقى والسعادة للمؤمنين وأنه لا سلطان للكافرين عليهم ..

● والمؤمنون الذين « ضمن الله لهم النصر » ، واخبر ان لهم الغلبة ولا سلطان للكافرين عليهم ، ذكرهم الله تعالى فى اوائل سورة الأنفال فقال جل شـأنه مبينـا « صفة المؤمنين المنصورين » فى الدنيا والآخرة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(١٨) .

فهؤلاء هم المنصورون والسعداء والمفلحون فى الدنيا والآخرة « ماداموا متصفين بهذه الصفات الخمس التى وصفهم الله بها ، أما إذا حادوا عن دينهم » وعدلوا عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، عند ذلك يتخلى الله عنهم وعن نصرهم : ﴿ . . إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ . . ﴾(١٩) .

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لازلتم منصورين على أعـدائكم ما دمتم متمسكين بسنتى ، فإن خرجتم عن سنتى سلط الله عليكم من لا يخافكم ولا يرحمكم حتى تعودوا إلى سنتى »(٢٠) .

خامسا : المجاهدون لا يقهرون

● إن الاستسلام لا يدخل فى حساب المؤمن المجاهد فى سبيل الله ، لأنه يضع نصب عينيه احد امرين لا ثالث لهما : إما شرف النصر ، أو شرف الاستشهاد ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾(٢١).

● ويقول الله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢٢) .

لقد تأمل المؤمنون فى المقابلة بين (يقتل) و (يغلب) فأدركوا مغزاها الرفيع وهو أن المجاهد المؤمن لا يغلب ابداً اى لا يقهر ، وذلك لأنه ينتظر إحدى الحسنيين ولا ثالث لهما فيما يقدره من نتائج لأنه « فائز » فى كل من النصر أو الشهادة غير مغلوب ، فكان الشهيد يقول وهو يحتضر : « الله اكبر ، فزت ورب الكعبة »(٢٣) ، وكان جاره فى الصف يقول له : « هنيئا لك الشهادة » .

● ويحكى التاريخ كيف أن بعض الكفار دخل الإسلام حين رأى تلك الصورة الرفيعة لحب المجاهدين للشهادة فى القتال فى سبيل الله ، ومن ذلك قول جبار بن سلمى بن مالك : « إن مما

(١٥) الآية الكريمة ٥٥ من سورة النور .
(١٦) الآية الكريمة ١٣٩ من سورة آل عمران .
(١٧) الآية الكريمة ١٤١ من سورة النساء .
(١٨) الآيات الكريمة ٢ ـ ٤ من سورة الأنفال .
(١٩) الآية الكريمة ١١ من سورة الرعد .
(٢٠) الحديث : رواه مسلم .
(٢١) الآية الكريمة ٥٢ من سورة التوبة .
(٢٢) الآية الكريمة ٧٤ من سورة النساء .
(٢٣) انظر القصة كاملة فى صحيح البخارى حـ ٥ ص ١٣٥ .

دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم (أى من المسلمين) يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله ! فقلت فى نفسى : مافاز ؟ الست قد قتلت الرجل ؟ .. حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، قالوا : للشهادة فقلت : فاز لعمرو الله »(٢٤) .

● ولقد استجاب المؤمنون لما ينطوى عليه تقديم القتل على الغلب فى الآية الكريمة (فيقتل أو يغلب) من « تحريض » للمجاهدين على الإقدام واسترخاص النفوس فى سبيل الله ، بل « وإغراء » بالاستشهاد وإشعار بأن شرفه أعظم واكرم من شرف النصر ..

يروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى اخاه زيدا فى غزوة بدر لا يلبس درعا ، فخلع عمر درعه وقال لأخيه : « اقسمت عليك إلا لبست درعى ، فأخذها زيد ولبسها ثم نزعها ، فقال عمر : مابالك ؟ فقال زيد : إنى أريد بنفسى ماتريد بنفسك ! » .

واختلف اثنان من المسلمين كان على أحدهما أن يخرج للقتال ويبقى الآخر فى المدينة لظروف تحتم بقاءه ، ولم يكن سبب الخلاف ان كلا منهما كان يريد أن يبقى ، بل لأن كلا منهما كان يريد الخروج للقتال ، فيقول للآخر الذى يدعوه للبقاء : « أتريد أن تخرج لكى تظفر بالشهادة دونى ؟ ! » ، وقد قال الرسول القائد ـ وهو المعبر الصادق دائما عن موقف المؤمنين ـ : « والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »(٢٥) .

سادسا : أمة المجاهد وراءه مجاهدة

● « لقد زادت الحرب الحديثة تعقيدا ، وأصبحت تشمل كل أوجه الحياة والنشاط للأمة فترة طويلة بما فى ذلك معنويات هذه الأمة . » ، هذا ما قاله المشير مونتجمرى وهو ينوه بضرورة حشد كل طاقات الأمة المادية والمعنوية لتحقيق القدرة على الدفاع والنصر على العدو .

● والحق أنه مما يشد ازر المجاهد فى الميدان ويقوى عزيمته شعوره وثقته بأن ابناء أمته كلهم وراءه يجاهدون ، إذ يؤدون واجباتهم فى مجالات العمل المختلفة وفى حماية الجبهة الداخلية .. فالأمة الإسلامية امة مجاهدة ، كل ابنائها مجاهدون ، سواء منهم المقاتلين فى الميدان أوغير المقاتلين ، وهذا ما أكده الرسول القائد صلى الله عليه وسلم فى قوله :

ـ « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا »(٢٦) .

ـ « إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعه الخير ، والرامى به ، والممد به » (أى رجال الإمداد والتموين)(٢٧) .

ـ « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد »(٢٨) .

● وبذلك تلتقى قدرات الأمة بأسرها شعبا وجيشا تحت راية الجهاد فى سبيل الله مع كل الثقة فى نصر الله الذى وعده جنده :

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

---

(٢٤) انظر القصة كاملة فى سيرة ابن هشام : القسم الاول (جـ ١ ، ٢) ص ١٨٣ ـ ١٨٧ .

(٢٥) الحديث : رواه مسلم .

(٢٦) الحديث : رواه الشيخان .

(٢٧) الحديث : رواه الخمسة .

(٢٨) الحديث : رواه البخارى .

القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

بقلم : لـــواء . ا . ح
د . فوزى محمد طايل

(٣)

إن الهدف الأعلى « للصهيونية العالمية » الذى تعمل ، بكل الوسائل غير المشروعة ، لبلوغه هو إقامة « إسرائيل الكبرى » بحدودها « التاريخية » او « الدينية » التى اشرنا إليها فى المقال السابق ، وان تستولى على مدينة القدس الموحدة لتصبح عاصمة لإسرائيل ، او على حد تعبيرها « عاصمة ابدية » لها .

وعلى الرغم من الفرية الكبرى التى قامت على اساسها تلكم الحركة العنصرية التى تفتقد كل مبرر « دينى » او « تاريخى » او « قانونى » فقد تمكنت ـ فى غفلة من المسلمين ـ من الحصول على وعد بإنشاء مجرد وطن قومى فى فلسطين ، ونقلت هذا الوعد ـ غير المشروع ـ إلى إطار المواثيق الدولية فنص عليه صك الانتداب على فلسطين الصادر من عصبة الأمم ، ثم تمكنت « الصهيونية العالمية » من استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى « دولة يهودية » ، و« دولة عربية » ، ووضع « القدس » وضواحيها تحت « نظام دولى تشرف عليه الأمم المتحدة » .. ورغم تجاوز الجمعية العامة للأمم المتحدة حدود صلاحياتها بإصدارها لمثل هذا القرار ، الأمر الذى يجعل قيام « الدولة اليهودية » فى ارض فلسطين « باطلا » من اساسه ، إلا ان نتائج حرب عام ١٩٤٨ م ، قد ادت إلى خلق امر واقع فرضته الأطماع الصهيونية ، الا وهو وجود « الدولة اليهودية » على اراضٍ فلسطينية تجاوز حدود قرار التقسيم المشار إليه بكثير .. ودخلت « إسرائيل » الأمم المتحدة لتصبح عضواً من المفروض ان يحترم المواثيق والعهود الدولية ، وان يحترم نصوص ميثاق الامم المتحدة ، كما نص على ذلك قرار قبول العضوية .

ولم تكن « الدولة اليهودية » لتنسى « الهدف الأعلى للصهيونية » فما فتئت تعتدى من أجل التوسع ، وكان أبرز هذه الاعتداءات مشاركة إسرائيل لكل من بريطانيا وفرنسا فى مؤامرة « سيفر » [1] بفرنسا التى نفذت فى شكل عدوان ثلاثى على مصر بدأته إسرائيل مساء التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٥٦ م .

ولعل أهم الدروس المستفادة ، التى خرجت بها الصهيونية العالمية من هذا العدوان ، هو أن مركز ثقل تحريك أمور السياسة الدولية قد انتقل إلى يد الولايات المتحدة الأمريكية ، التى كان لها الدور الأكبر فى إنهاء هذا العدوان وانسحاب القوات المعتدية . ولم يكن ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية حباً فى مساعدة مصر - على حد تعبير الرئيس الأمريكى « أيزنهاور » الذى قال معبراً عن هذا : « أنا لا أهوى مساعدة مصر » « I do not Fancy helping Egypt » ، بل كان ذلك إزاحة لما تبقى من النفوذ الأوروبى فى المنطقة ، لتحل الولايات المتحدة الأمريكية محلـه ، فيما سمى بـاستراتيجيـة « ملء الفراغ » .

ومنذ إتمام إسرائيل انسحابها من سيناء ، فى الثامن من مارس عام ١٩٥٧ ، وضعت نصب عينيها « الهدف الأعلى للصهيونية » من جديد فكان التخطيط لمعاودة الكرة ، لكن مع الاستفادة من الدرس المستفاد ، فعملت « الصهيونية العالمية » - التى تتخذ منظمتها من مدينة « نيويورك » مقراً لها - على إقامة علاقات استراتيجية وثيقة بين « الدولة اليهودية » وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، ووصل عدد من اليهود البارزين إلى مؤسسات رسم السياسة الخارجية وصنع القرار فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فكان الرئيس الأمريكي « جونسون » يرى كل أمور منطقة الشرق الأوسط من خلال عيونهم .

ويروى « أبا إيبان » - وزير خارجية إسرائيل الأسبق - فى مذكراته التى نشرت عام ١٩٧٧ م ، أن وضعا قريب الشبه كان فى الاتحاد السوفيتي فى ذلك الوقت أيضاً .

ودون الدخول فى تفاصيل قد لا يتسع لها المقام تمكنت « الصهيونية العالمية » من تهيئة الظروف العالمية والمحلية - فى غفلة من المسلمين - وقامت بالهجوم يوم الخامس من يونيـو ١٩٦٧ م ، عبر كل حدودها ، فاحتلت سيناء ، وهضبة الجولان ، والضفة الغربية للأردن ، وغزة ، وسقطت « القدس » أسيرة فى أيدى الإسرائيليين .. وبذا بدأت أول خطوة فى سبيل الاعتداء على الأوضاع الدينية والسكانية والقانونية للقدس .. وتحدت إسرائيل كل المواثيق والعهود وقرارات الأمم المتحدة الخاصة بهذه المدينة .. سواء السابقة على هذا العدوان أو اللاحقة عليه .

هذا ولم يخف القادة الإسرائيليون أهدافهم العدوانية وأطماعهم غير المشروعة منذ اليوم الأول ، فبمجرد وصول وزير الدفاع الإسرائيلى ، الجنرال « موشى ديان » ، إلى مدينة القدس ، مساء يوم السابع من يونية ١٩٦٧ م ، توجه من فوره إلى « حائط المبكى » ، ومن هناك صرح قائلاً : « لقد حررت قوات الدفاع الإسرائيلية القدس . لقد قمنا بتوحيد المدينة التى كانت ممزقة ، عاصمة إسرائيل . لقد عدنا إلى هذه

---

(١) مدينة فرنسية تم فيها التوقيع على « بروتوكول » للعدوان الثلاثى على مصر تبداه إسرائيل ، وقد تم توقيع هذا الاتفاق « البروتوكول » يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ ، بحضور « بن جوريون » رئيس وزراء إسرائيل ، و« جى موليه » رئيس وزراء فرنسا ، و« سلوين لويد » وزير خارجية بريطانيا ، وبدأ العدوان يوم ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ .

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

البقعة الأكثر قدسية فى العالم ، وإننا لن نغادرها بعد ذلك أبدا ... !! » .

وفى يوم التاسع عشر من يونية ١٩٦٧ وقف وزير الخارجية الإسرائيلى فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ليعلن فى تحد : « إن احتلال إسرائيل للقدس كان بسبب الهجوم الأردنى على إسرائيل ، وأن على الأردن أن تتحمل النتائج » ، فكان هذا بمثابة إشارة غير مباشرة إلى أن إسرائيل لن تحترم المواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالوضع القانونى للقدس .

هذا ، ولم تتردد إسرائيل فى إعلان ضم « القدس » إليها وسريان القانون الإسرائيلى على كل مدينة القدس .. فصدر ذلك الإعلان يوم السابع والعشرين من يونية عام ١٩٦٧ م ، على هيئة قانون أصدره المجلس التشريعي الإسرائيلى (الكنيست) ، سمى بالقانون رقم « ٥٧٢٧ » لعام ١٩٦٧ م ، بخصوص « حماية الأماكن المقدسة » .. أى حماية هذه التى عبر عنها « دافيد بن جوريون » رئيس الوزراء الإسرائيلى فى بيانه الصحفى قبل صدور القانون بأربعة أيام إذ قال : « إن القدس وجوارها يجب أن تبقى ضمن إسرائيل إلى الأبد .. ! » .

وإزاء عدم الرضا العام الذى ساد العالم كله بسبب التصرف الإسرائيلى ، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم « ٢٢٥٣ » فى جلستها الطارئة يوم الرابع من يولية عام ١٩٦٧ م ، وجاء فيه (٢) : « أن الجمعية العامة للأمم المتحدة مهتمة اهتماماً بالغاً بالموقف السائد فى القدس نتيجة للإجراءات التى اتخذتها إسرائيل من أجل تغيير الوضع القانونى للمدينة :

١ ـ وتعتبر الجمعية العامة أن هـذه الإجراءات باطلة .

٢ ـ وتدعو الجمعية العامة إسرائيل إلى إلغاء كل الإجراءات التى اتخذتها ، وأن تتوقف مستقبلاً عن أى أعمال من شأنها أن تغير الوضع القانونى للقدس .

٣ ـ وتطلب الجمعية العامة من الأمين العام للأمم المتحدة أن يقدم لها ولمجلس الأمن تقريراً عن الموقف وعن تنفيذ هذا القرار ليس متأخراً عن أسبوع من تاريخ اتخاذه ..

وبالفعل أرسل الأمين العام للأمم المتحدة خطاباً إلى وزير الخارجية الإسرائيلى فى اليوم التالى (الخامس من يولية) ، لإحاطة حكومته بقرار الأمم المتحدة باعتباره أمراً عاجلاً جداً ، بيد أن خطاب الرد الذى وصل الأمين العام عن طريق المندوب الدائم لإسرائيل فى الأمم المتحدة فى العاشر من يولية ١٩٦٧ م ، لم يحتو سوى معنى واحد ، وهو أن إسرائيل قد استولت على القدس ، وأنها لن ترجع عن الإجراءات التى اتخذتها . والغريب الجدير بالملاحظة أن « أبا إيبان » وزير خارجية إسرائيل آنذاك حاول التسويف بنفى أن إسرائيل قد ألحقت القدس بها ، وأن ما قامت به لم يكن سوى توحيد القدس على الصعيد الإدارى والبلدى ، وأنها وضعت أسساً قانونية لحماية الأماكن المقدسة فى القدس . وهاك نص ماجاء فى خطابه بهذا الخصوص :

« The Term «Annexation» Used By Sup-Porters Of The Resolution Is Out Of Place. The Measures Adopted Relate To The

(٢) كان مشروع القرار مقدماً من باكستان .

Integration Of Jerusalem In The Administrative And Municipal Spheres, And Furnish A Legal Basis For The Protection Of The Holy Places In Jerusalem .»

لم ينطل التسويف الإسرائيلى على أحد ، فكان أن اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم « ٢٢٥٤ » فى الرابع عشر من يولية ١٩٦٧ م ، بأغلبية مائة عضو ، وامتناع ثمانى عشرة دولة عن التصويت ، وعدم معارضة أية دولة للقرار .

وقد أعرب القرار عن أعمق الأسف The Deepest Regrt لعدم قيام إسرائيل بتنفيذ القرار رقم ٢٢٥٣ الصادر فى الرابع من يولية ، وأعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة مطالبتها لإسرائيل بإلغاء كافة القرارات التى اتخذتها ، ومن شأنها تغيير الوضع القانونى للقدس ، وكلفت الأمين العام للأمم المتحدة بتقديم تقرير إلى مجلس الأمن والجمعية العامة .

لقد جاء الرد على قرار الأمم المتحدة فى تصريحات الجنرال « موشى ديان » لصحيفة « جيروسالم بوست » الإسرائيلية فى العاشر من أغسطس عام ١٩٦٧ إذ قال : « إذا كنا نعتبر أنفسنا « شعب التوراة » ، فينبغى أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة ، وبلاد القضاة ، وأرض أورشليم (القدس) ، وحبرون (الخليل) ، واريحا ، وأماكن أخرى .. » .. وجاء الرد بشكل عملى ، إذ بدأت إسرائيل فى تغيير معالم المدينة بهدم العديد من المنازل ، بل وهدم شوارع بأكملها مثل هدم « حارة المغاربة » (٣) بما فى ذلك هدم مسجدين هناك .

ومن ناحية أخرى بدات إسرائيل فى تغيير الأوضاع السكانية للمدينة بإقامة المستوطنات اليهودية بداخلها ، وتطويقها بنطاقات من هذه المستوطنات ، حتى يصبح اليهود فيها اغلبية .

ومن ناحية ثالثة قامت إسرائيل بأعمال طرد للفلسطينيين ، وبأعمال استيلاء على الأراضى من خلال إصدار مجموعة من القوانين تسمح للحكومة بالاستيلاء على أراضى الفلسطينيين الذين يغادرون الأرض المحتلة ، ولو مؤقتاً ، كذا مصادرة الأراضى بحجة « الدواعى الأمنية » والمصلحة العامة .

لم تكن الأطماع الصهيونية لتقف عند حد ، فقد لعبت أصابعها فى الخفاء فصدر قرار « مجلس الأمن » رقم ٢٤٢ ، بشأن « وضع المبادىء العادلة والدائمة للسلام فى الشرق الأوسط » ، فى الثانى والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٦٧ م .

وعلى الرغم من قبول كل دول العالم تقريباً للقرار المذكور بشكل صريح أو ضمنى ، بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية (٤) ، إلا أن القرار فى حقيقته قد انحاز إلى جانب إسرائيل دون وجه حق إذ جاء به ما يلى :

ــ « انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراضٍ احتلت فى النزاع الأخير » .

« From Territories Occupied In The Recent Conflict »

وهذا يعنى السماح لإسرائيل بالاحتفاظ بالأراضى التى احتلتها أثناء حرب عام ١٩٤٨ ، وبتلك التى احتلتها أثناء حرب عام ١٩٥٦

---

(٣) كانت الحارة موقوفة من قبل ابى مدين الغوث المتوفى بالقدس عام ١١٩٧ م .

(٤) كان القبول دائماً مرتبطاً بالإشارة إلى ضرورة مراعاة الوضع القانونى للقدس كما حدده القرار رقم ١٨١ . وقد أعربت عن ذلك كل دول العالم بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، والمجموعة الاقتصادية الأوروبية فى بيان البندقية الصادر فى ١٣/٦/١٩٨٠ ، وقرار القمة العربية فى فاس فى سبتمبر ١٩٨٢ . وقد قبلت منظمة التحرير الفلسطينية القرار فى ديسمبر ١٩٨٨ .

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

(المناطق منزوعة السلاح) ، بل وبأراضٍ أخرى احتلتها عام ١٩٦٧ . لذا فما فتىء قادة إسرائيل منذ ذلك الوقت يعلنون بكل صراحة عن عزمهم عدم الانسحاب من الضفة الغربية (« يهودا » و « السامرة ») ، ولا من القدس التى صارت حسب زعمهم « عاصمة أبدية لإسرائيل » .

فأين إذن القانون الدولى ؟

وأين ميثاق الأمم المتحدة الذى ينص على عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بالقوة ؟

بل أين السند القانونى الذى أسست إسرائيل قيامها عليه ، وهو القرار رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ ؟..

وأين القرارات والمواثيق الدولية التى تجعل من القدس منطقة لها نظام قانونى دولى خاص ؟

— تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

A justSettlemente Of The Refugee Problem

فهل من العدل أن تغتصب الأرض ، ثم تتحول المشكلة إلى مشكلة لاجئين ؟

وهل من العدل أن تنتهك المواثيق الدولية فلا يأتى القرار وبه كلمة واحدة عن الوضع القانونى الدولى الخاص لمدينة القدس ؟

● ● ●

استغلت الصهيونية العالمية هذا الوضع ، وظن قادتها أن الوقت قد حان لمد عدوانهم إلى المقدسات الإسلامية ، فقام عدد من اليهود — وصفوا بأنهم متطرفون — بإضرام حريق فى المسجد الأقصى يوم الحادى والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ م (جمادى الآخرة ١٣٨٩ هـ) ، فكان ذلك بمثابة تحد سافر لمشاعر مسلمى العالم كافة . وسرت موجة عارمة من الغضب ، اجتمع على أثرها مجلس الأمن ليتخذ قراره « رقم ٢٧١ » فى الخامس عشر من سبتمبر ١٩٦٩ بخصوص « إجراءات وتصرفات إسرائيلية تؤثر على الوضع القانونى لمدينة القدس » . وقد صدر القرار بأغلبية أحد عشر عضوا ، وعدم اعتراض أحد ، وامتناع أربعة أعضاء عن التصويت هم مندوبو (الولايات المتحدة الأمريكية ، وكولومبيا ، وفنلندا ، وباراجواى) ، وكان أهم ما جاء فى هذا القرار مايلى :

— يؤكد مجلس الأمن على المبدأ المستقر الذى يقضى بعدم جواز اكتساب الأراضى عن طريق الغزو العسكرى .

— يؤكد المجلس على أن أى تصرف من شأنه التدمير أو المساس بقدسية الأماكن المقدسة ، والمبانى والمواقع الدينية فى القدس ، وأن أى تشجيع أو موافقة على مثل هذا التصرف ، يعرض السلم والأمن الدوليين لخطر جسيم .

— يقرر المجلس أن التصرف اللعين "execr-able act" الذى عمد إلى التدنيس والمساس بقدسية المسجد الأقصى المقدس .. of desecration and profanation of the Holy Al Aqsa Mosque ليؤكد على الحاجة الملحة لأن تكف إسرائيل عن العمل على مناقضة قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالقدس ، وأن تقوم بناء على ذلك ، بإلغاء كل الإجراءات والتصرفات التى اتخذتها بغرض تغيير الوضع القانونى للقدس .

— يلفت المجلس نظر إسرائيل إلى ضرورة مراعاة نصوص اتفاقات جنيف[٥] ، والقانون

(٥) الصادرة فى ١٢ أغسطس عام ١٩٤٩ — خاصة ما جاء .فيها من عدم جواز تغيير الأوضاع فى الأراضى التى تقع بسبب الحرب تحت الاحتلال العسكرى .

الدولى التى تحكم حالة الاحتلال العسكرى ، وأن تكف عن أى أعمال من شأنها إعاقة قيام « المجلس الإسلامى الأعلى » بالقدس من أداء وظائفه ، بما فى ذلك ما قد يحتاجه المجلس من تعاون مع البلدان ذات الأغلبية السكانية المسلمة ، ومع الجاليات الإسلامية ، فيما يتعلق بخططه لصيانة وإصلاح الأماكن الإسلامية المقدسة فى القدس .

ـ يدين المجلس فشل « إسرائيل » فى التوافق مع قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقدس ، ويدعوها إلى تطبيق نصوص تلكم القرارات .

ـ يذكر المجلس بما جاء فى الفقرة السابعة من القرار رقم (٢٦٧) لعام ١٩٦٩ م التى تنص على أن على مجلس الأمن أن يقوم باتخاذ الإجراءات الضرورية ، دون تأخير فى حالة الرد السلبى أو عدم الاستجابة .

ـ يطلب المجلس من الأمين العام للأمم المتحدة متابعة تنفيذ هذا القرار عن كثب ، وأن يقدم تقريرا عن ذلك إلى مجلس الأمن .

لقد جاء هذا القرار ، بحق ، ليسد الثغرة الخطيرة التى اعتورت القرار رقم (٢٤٢) ، إذ أغفل هذا الأخير وضع « القدس » فكان بمثابة ضوء أخضر للأطماع الصهيونية .

ومن الأمور التى تدعو إلى العجب كل العجب أن أى حديث عن تسوية المشكلة الفلسطينية ، وأى قرار أو اتفاقية أو تصريح يتعلق بها يذكر القرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ م ، ويؤكد على ضرورة التمسك به ووضعه موضع التنفيذ ، ويتغافل ـ عن قصد أو عن عدم وعى ـ عما جاء فى القرار رقم (٢٧١) لعام ١٩٦٩ م مع أهمية وخطورة وضرورة تكامل القرارين ، بل ومع الحاجة إلى ما يخرج المشكلة من إطار كونها مشكلة لاجئين إلى مشكلة ذات ثلاث شعب :

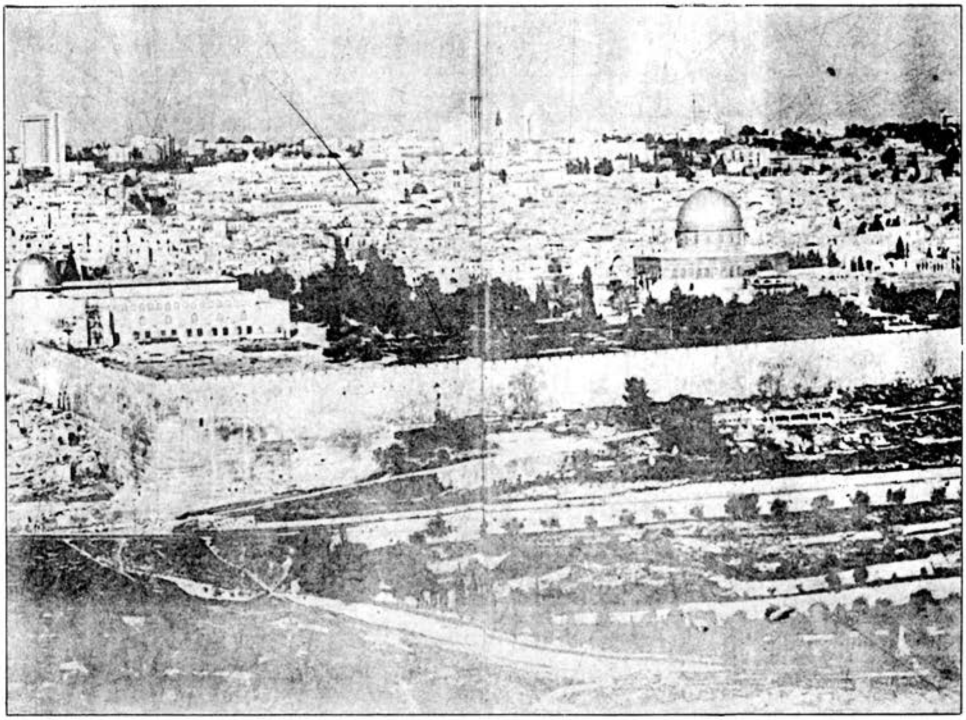

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

ـــ ارض مقدسة قررت لها المواثيق الدولية كلها وضعاً خاصاً ، وكيانا خاصاً مستقلا منفصلا Corpus separatum .

ـــ شعب فلسطينى من حقه أن يقرر مصيره وان يقيم دولته .

ـــ ارض مغتصبة حدها الأدنى تنفيذ القردار رقم ١٨١ لعام ١٩٤٧ الذى تستند إليه « الدولة اليهودية » كأساس قانونى لوجودها ، والقول بتجاوزه يعنى بطلان قيام هذه الدولة ذاتها ..

هذا يعنى ببساطه أن تقوم الدولة الفلسطينية على الأرض التى خصصها القرار ١٨١ للعرب (راجع الخريطة فى المقال السابق) إن الحق لابد له من قوة تحميه ، فإن لم توجد أوشك الحق أن يضيع ، ويحل الظلم محل العدل ، ويشيع الفساد فى الأرض .

فعلى الرغم من تنبيه حريق المسجد الأقصى لقادة وزعماء المسلمين ، كانت نشأة منظمة المؤتمر الإسلامى نتيجة لاجتماع ملوك ورؤساء اربعة وعشرين قطراً إسلامياً فى المدة من ٢٢ حتى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩ ، إلا أن ميثاق المنظمة قد جاء معبرا عن حقيقة تمزق الأمة الإسلامية وضعفها ، وهو أمر قد يكون من المناسب معالجته بالدراسة التفصيلية فى وقت لاحق .

هذا وقد جاءت أهداف المنظمة فى « المادة الثانية » من الميثاق لتشير ـ على استحياء ـ شديد فى بندها « الخامس » إلى الحفاظ على سلامة « الأماكن المقدسة » وتحريرها ، دون ذكر « القدس » على وجه التحديد ، فكان النص كمايلى :

(٥) « تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها ودعم كفاح الشعب الفسطينى ، ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه » .

هذا ولم يتم تأسيس « لجنة القدس » التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى إلا بناء على توصية المؤتمر السادس لوزراء خارجية البلدان الأعضاء فى المنظمة عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ، ولم يتأسس « صندوق القدس » إلا بناء على المؤتمر السابع لـوزراء الخارجيـة عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) !!

ومع ذلك فإنه لا يمكن تجاهل النشاط السياسى للأقطار الإسلامية على المستوى الدولى ، والأمر الذى نتج عنه إصدار مجلس الأمن « للقرار رقم ٢٩٨ » فيما يختص « بالإجراءات والتصرفات الإسرائيلية من أجل تغيير الوضع القانونى لمدينة القدس » . وقد صدر القرار يوم الخامس والعشرين من سبتمبر ١٩٧١ م .. وكان أهم ما جاء به :

ـــ بالنظر إلى ما جاء فى تقرير المندوب الدائم للأردن عن الموقف فى القدس ، وبالنظر إلى تقارير الأمين العام للأمم المتحدة .. فإن المجلس يؤكد من جديد مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الغزو بالقوة المسلحة .

ـــ لقد تابع المجلس باهتمام بالغ عدم تنفيذ إسرائيل للقرارات المذكورة بعاليه (يقصد المتعلقة بالقدس) .

ـــ لقد تابع المجلس باهتمام بالغ ما قامت به إسرائيل منذ القرار الأخير للمجلس من إجراءات تستهدف تغيير الوضع القانونى وطبيعة الجزء المحتل من القدس measures designed to change the status and character of the occupied section of Jerusalem

ـــ يدين المجلس عدم احترام إسرائيل للقرارات السابقة الصادرة عن الأمم المتحدة

فيما يختص بالإجراءات والتصرفات التى من شأنها التأثير على الوضع القانونى لمدينة القدس .

ـ ويؤكد المجلس « بأوضح العبارات الممكنة » in the clearest possible terms أن كل التشريعات والأعمال الإدارية التى اتخذتها إسرائيل لتغيير الوضع القانونى لمدينة القدس ، بما فى ذلك نزع ملكية الأراضى ، والممتلكات الأخرى ، ونقل السكان ، والتشريع الذى استهدف ضم الجزء المحتل من المدينة ، كلها « باطلة تماماً ولا يمكن تغيير ذلك الوضع القانونى » « are totally invalid and cannot change that status » .

ويدعو المجلس إسرائيل بشكل عاجل إلى إلغاء كل الإجراءات والتصرفات السابقة ، وأن تمتنع عن اتخاذ أى خطوات مستقبلية من هذا القبيل فى القدس المحتلة يكون من شأنها تغيير الوضع القانونى للمدينة ، أو المساس بحقوق السكان ، أو مصالح الجاليات ، أو السلام العادل الدائم .

ـ يطلب مجلس الأمن من الأمين العام للأمم المتحدة أن يتشاور مع رئيس مجلس الأمن من أجل استخدام الوسائل التى يتخيرها ، وأن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن خلال ستين يوما عن تنفيذ هذا القرار .

وفى اليوم التالى مباشرة وجهت حكومة إسرائيل خطابا إلى مجلس الأمن رداً على هذا القرار جاء فيه :

« إن حكومة إسرائيل تعتبر أنه ليس هناك مبرر لإثارة موضوع القدس فى مجلس الأمن ، ولا للقرار الذى اتخذ . وإن حكومة إسرائيل لن تدخل فى أى مناقشات مع أى جهاز سياسى على أساس هذا القرار .

إن سياسة إسرائيل تجاه القدس سوف تبقى دون أى تغيير . ولسوف تستمر إسرائيل فى تطويرها للمدينة لصالح كل السكان .. إلخ !! » ..

أى تحد هذا ؟!!

كان هذا بمثابة الرد « القانونى » أو قل « غير القانونى » المعبر عن الأطماع الصهيونية الواضحة الصريحة والتى تضرب بكل المواثيق الدولية عرض الحائط ..

أما عن الرد السياسى الذى يعطى نفس المعنى فقد جاء على لسان رئيسة وزراء إسرائيل « جولدامئير » إذ صرحت لجريدة « لوموند » الفرنسية فى الخامس عشر من أكتوبر عام ١٩٧١ قائلة : « لقد وجد هذا البلد (تقصد إسرائيل) تنفيذاً لوعد الرب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحا عن شرعية هذا الوجود .. ! » .

ألا ترى أن « جولدامئير » قد استندت إلى مغالطة لتبرر بها تغليب الأطماع الصهيونية على القوة الإلزامية للمواثيق الدولية ؟ .

ظل الحال هكذا ..

تتزايد « الأطماع الصهيونية » يوما بعد يوم ، ولا تخرج القرارات والتوصيات والمعاهدات والمواثيق عن حدود الورق الذى تكتب فيه إلى أن كان يوم العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ (السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م) فانتهت مرحلة وبدأت مرحلة جديدة .. صيغت فيها مواثيق دولية جديدة وازدادت فيها الأطماع الصهيونية حدة .

اليوم الآخر ٢

بين اليهودية والنصرانية والإسلام

د. فرج الله عبد البارى

ملخص المقال الأول :

عرضنا فى المقال الأول باليوم الآخر عند اليهود والنصارى والمسلمين . (وبينا أن اليهود كانوا يسخرون من الآخرة ويرون أنها بعيدة جداً ، وأوضحنا الاختلاف حول الآخرة بين الباحثين حتى من اليهود . فالبعض يرون أن اليهود ينكرون الآخرة بناء على خلو التوراة المتداولة من الحديث عن البعث والبعض الآخر يذهب إلى أن الإشارات الواردة عن البعث فى العهد القديم - وهو التوراة المتداولة - مقصود بها العودة القومية وانتصار اليهود على أعدائهم .

وأمام إقرار اليهود بخلو التوراة الحالية من البعث والجزاء ثم وجود بعض الإشارات فى أسفار الأنبياء المتأخرين ، رأيت أن أدرس البعث عند اليهود فى اتجاهات ثلاثة :

الأول : عرضت خلو التوراة الحالية من الحديث عن البعث والجزاء وأوضحت أن التوراة التى أنزلها الله على موسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - اشتملت على الحديث عن الآخرة . وأن خلو التوراة الحالية من الحديث عن الآخرة دليل على التحريف البشرى الذى مارسه اليهود فى التوراة التى أنزلها الله على موسى . وسأعرض فى هذا المقال :

الاتجاه الثانى : الإشارات التى وردت عن البعث والجزاء فى أسفار الأنبياء ..

إذا تركنا أسفار موسى الخمسة ، وتأملنا أسفار الأنبياء بعد موسى - عليه السلام - نجد أن هناك بعض الإشارات عن البعث والجزاء خاصة فى أسفار : (أشعياء) و(دانيال) و(حزقيال) .

وهذه الإشارات يختلف فكر مجتهديهم حولها :

فالبعض يرى أن هذه النصوص تشير إلى البعث القومى لليهود وعودة دولتهم وانتصارهم على أعدائهم .

وآخرون يذهبون إلى أن هذه الإشارات مقصود بها البعث الأخروى . ولكنهم يرجعون ذلك إلى تأثر اليهود بعقيدة الآخرة من الديانة الفارسية والبابلية بعد الأسر البابلى ، وسوف نناقش كلا الرأيين عند إيرادنا للنصوص المشار إليها .

ورد فى قاموس الكتاب المقدس ـ لدى عنوان « القيامة فى العهد القديم » :

« يظهر من الإيمان بالإثابة والجزاء الوارد فى (أيوب)(١) أن القيامة بمعنى اليوم الآخر مفهومة ضمناً ، وكذلك تذكر القيامة ضمناً فى المواضع التى يُعبر فيها عن رجاء الحياة الآتية مع الله ، وفى حضرته فى (المزامير)(٢) ، ويحدثنا (أشعياء) (٣) عن قيامة المؤمنين ، وكذلك يعلم (دانيال) (٤) عن قيامة البعض للحياة الأبدية وقيامة آخرين للعار للازدراء الأبدى ويصف حزقيّال نوعاً من القيامة يرمز إلى نهوض شعب الله » (٥) .

ونص أيوب ونصوص المزامير فيها إشارات ضمنية عن البعث والجزاء (٦) ، ولأنها إشارات ضمنية فلن نتوقف عندها . ولكننا سنتوقف عند نصوص أشعياء ؛ ودانيال ؛ وحزقيال ؛ لنرى دلالة تلك النصوص على البعث والجزاء فى الآخرة كما يذهب بعض الباحثين أو البعث القومى لليهود كما يرى البعض الآخر منهم .

أولاً :

نص أشعياء : ورد فى سفر أشعياء إصحاح ٢٦ فقرة : ١٩ ما نصه :

« تحيا أمواتك تقوم الجثث . استيقظوا ترنموا ياسكان التراب لأن طلك طل أعشاب والأرض تسقط الأخيلة » (٧) .

يفسر هذا النص على أنه إشارة إلى البعث القومى وعودة اليهود لأرضهم ، يقول صاحب السنن القويم فى تفسير العهد القديم : « الرب قال لشعب اليهود « تحيا أمواتك » ، كانت اليهود فى بابل مدة السبى فى الذل ، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات فقال الرب : إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم أمة اليهود ثانية » ..

أى أن الكلام هنا فى موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة كأمة جديدة بإسكان الأرض ، إن الرب دعا ـ هنا ـ المذلين والحزانى إلى الفرح والتسابيح ؛ لأنه سيخلصهم ، وقد شبه اليهود بعشب قد يبس لفقدان الرطوبة ، ثم نزل عليه المطر ، أى نعمة الله ، فانتعش « تحيا أمواتك » أى هى إشارة إلى قيامة أمة اليهود السياسية(٨) . والبعث فى نص أشعياء ـ فى هذا التفسير ـ يعنى البعث القومى وعودة دولة إسرائيل .

ونفس التفسير يذهب إليه ناشد حنا يقول « الحياة من الموت كناية عن نهضة قومية ورجوع روحى معاً يغفر خطاياهم »(٩) .

---

(١) انظر سفر أيوب ١٩/٢٥ ـ ٢٧ .
(٢) انظر المزامير ١٦/٩ ـ ١١ ، ١٧ ـ ١٥ ، ٤٩ : ١٥ ، ٧٣ : ٢٤ .
(٣) أشعياء ٢٦ / ١٩ .
(٤) دانيال ١٢ / ٢ .
(٥) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٨ / ٧٤٩ .
(٦) انظر السنن القويم فى تفسير العهد القديم جـ ٥ ص ٢١١ .
(٧) أشعياء ـ ٢٦ / ١٩ .
(٨) انظر السنن القويم فى تفسير العهد القديم ص ١٨٦ / ١٨٧ .
(٩) أشعياء مفصلاً آية آية جـ ١ ص ٢٤٤ / ٢٤٥ .

اليهودية والنصرانية والاسلام

وبالتأمل فى نص أشعياء نجد النص يتحدث عن البعث ـ تحيا أمواتك .. والذى يفهم منه البعث الأخروى ، وذلك ماتقتضيه بداهة المعنى اللفظى للنص ، ولا يوجد فيه أو حوله مايصرفه إلى المجاز ، ولست أدرى لماذا حرفه صاحب السنن القويم ، وناشد حنا عن بعث الأموات إلى بعث اليهود القومى ؟

وعلى فرض أن النص كناية عن العودة القومية لليهود فإن اليهود يعتقدون انهم سيبعثون قبل يوم القيامة لتقوم دولتهم وينتصرون على أعدائهم ، ثم بعد ذلك يبعثون للآخرة باعتبارهم ابناء الله وأحباءه ، ويعتبرون أن العودة القومية التى تسبق الحياة الأخرى مما يميزهم عن بقية الأمم ـ يقول سعديا الفيومى من علماء اليهود : « السنا نحن معشر الموحدين مقرين بأن الخالق جل جلاله محيى جميع الموتى فى دار الآخرة للمجازاة فأى شىء لمنكر أن يكون فضّل هذه الأمة مدة زيادة ، يحيى فيها موتانا قبل دار الآخرة ، حتى يصل حياتهم تلك بحياة الآخرة ؟ وأى شىء السبب المانع من ذلك والدافع له ؟ أو ليس هو عدلاً يعوض كل ممتحن حسب محنته ؟ وأمتنا هذه قد امتحنها بالأمور العظيمة !!» (١٠)

وما ذهب إليه سعديا الفيومى هو التحريف بعينه إذ ليس بين يديه حتى فى التوراة المتداولة مايؤيد ما ذهب إليه من حياة اليهود قبل البعث الأخروى ، وهو يصور النزعة المادية عند اليهود ، إذ انهم لا يكتفون بما عند الله ولكنهم يتعجلون التمتع بالخيرات فى الدنيا قبل الآخرة حسب زعمهم .

وفى الوقت نفسه يعتبرون أنهم مميزون عن خلق الله ، ومن ثم يجمع الله لهم النعيم فى الدنيا قبل الآخرة ، بناءً على زعمهم انهم أبناء الله واحباؤه . ومعلوم أن الله كذبهم فى افتراءاتهم عليه (١١) .

ثانياً : نص دانيال :

أما النص الوارد فى سفر دانيال فهو : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون : هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار إلى الازدراء الأبدى » (١٢) .

وهذا النص لا يشير إلى البعث الأخروى لأمر بَدَهِىّ وهو أن البعث الأخروى عام للبشر كلهم لا يخص طائفة دون طائفة ، أما قوله : « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض » فهو يدل على التحريف الذى مارسه اليهود فى نصوص الوحى (١٣) إذ انهم يشيرون إلى البعض فقط . الذين يقومون إلى الحياة الأبدية وإلى العذاب الأبدى .

ثالثاً : نص حزقيال :

أما نص حزقيال فهو : « أيتها العظام

---

(١٠) الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومى ص ٢٢٩ .

(١١) انظر الآيات ٧٩/ ٨٠/ ٨١ من سورة البقرة ، والآية ٢٥ من سورة آل عمران ، والآية ١٨ من سورة المائدة ، والآيات ٦ ، ٧ ، ٨ من سورة الجمعة . وهذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر وفيها يكذب الله اليهود فى زعمهم التميز على الناس .

(١٢) دانيال ١٢ / ٢ .

(١٣) انظر الديانات والعقائد جـ ٢ ص ٢٤٣ . وانظر اليهود تاريخاً وعقيدة ص ١٦١ .

اليابسة ، اسمعى كلمة الرب ، هكذا قال السيد الرب ـ لهذه العظام : هأنذا ادخل فيكم روحاً فتحيون واضع عليكم عَصَباً واكسيكم لحماً وابسط عليكم جلداً واجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون انى انا الرب » (١٤) .

يقول رشاد فكرى فى تفسيره لسفر حزقيال : « هذه الأعداد تتكلم عن رجوع الشعب وإحيائهم كأمة يتمتعون بالبركات الإلهية ، فالموضوع هنا ليس رجوع النفس ولا القيامة الطبيعية ، لكن عمل الله فى إسرائيل ، لكى يحيا مرة أخرى كأمة »(١٥) والتفسير الذى أورده رشاد فكرى ينكر الآخرة . ونفس التفسير يذهب إليه مؤلفو قاموس الكتاب المقدس (١٦) . ولا أرى مبرراً للتأويل لهذا النص عن البعث الأخروى إلى البعث القومى السياسي لأن ظاهر النص شديد الدلالة على البعث والحياة بعد الموت والفاظ النص نفسه تشعر بذلك « ادخل فيكم روحاً فتحيون واضع عليكم عصباً واكسيكم لحماً وابسط عليكم جلداً » (١٧) ، هذه عبارات واضحة تدل على البعث وتبين قدرة الله على ذلك « وتعلمون انى انا الرب » ، ولا ادرى لماذا عدل مفسرو النص عن القول بأن نص حزقيال يشير إلى البعث الأخروى ، ورجحوا دلالة النص على البعث القومى السياسي ؟

والنصوص الثلاثة الآخرة التى اشرنا إليها يذهب بعض الباحثين إلى انها تشير إلى البعث الأخروى لا البعث القومى السياسي ولكنهم يرون أن اليهود تأثروا بالآخرة من الأمم الأخرى كالفارسية والبابلية .

يرى مؤلف تراث العالم القديم انه حتى « عشية النفى كانت الأمة مسئولة عن خطايا اعضائها وكان البرىء والمذنب على السواء ينالهما الجزاء الذى يقع على المجتمع ، ثم حدث مع النفى تغير ، وأصبحت مطالب الفرد فى عدالة « يهوه » تلح إلحاحاً يطرد ازدياداً لإرضائها . لقد كانت وطأة الاضطهاد هى التى فرضت الاعتقاد فى البعث على العقل اليهودى ، وأن النصوص التى تشير إليه قليلة ومتأخرة » (١٨) .

ويذهب إلى هذا الرأى ايضاً ـ تأثر اليهود بالبعث من الاتصال بالفرس وبابل ـ جرهاردوش فوس بقوله : « إن الإيمان العبرانى كما انه تأثر فى أمور كثيرة بالمعتقدات السائدة تأثر ايضاً فيما يختص بالآخرة » (١٩) .

وقد ذهب إلى هذا الرأى ايضاً صاحب قصة الحضارة .

يقول « وول ديورانت » : « ولم تبن فكرة البعث فى خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء فى أن يكون لهم سلطان فى هذه الأرض ولعلهم أخذوا الفكرة عن الفرس أو لعلهم اخذوا شيئاً منها عن المصريين » (٢٠) .

ولنا ملاحظات على ماذهب إليه بعض الباحثين من تأثر اليهود بالآخرة من الأمم الوثنية .

اولاً : مع تسليمنا بأن اليهود قد مارسوا التحريف والتبديل لوحى الله فإنا لا نسلم أن

(١٤) سفر حزقيال ٣٧ / ٤ ـ ٧ .
(١٥) تفسير حزقيال ص ٣٢١ / ٣٢٢ .
(١٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٤٩ .
(١٧) حزقيال ٣٧ ـ ٤ ـ ٧ .
(١٨) تراث العالم القديم جـ ١ ص ٩٩ .
(١٩) علم اللاهوت الكتابى جـ ٢ ص ٤٤٦ .
(٢٠) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٤٥ ، وانظر تراث العالم جـ ١ ص ٩٨ / ٩٩ .

اليهودية والنصرانية والاسلام

اليهود تأثروا بالآخرة من أرباب الديانات الوثنية كأمة الفرس ، وبابل ، إلا اننا فى الوقت ذاته لا ننفى تأثر اليهود بالأمم الوثنية فى كثير من التصورات العقائدية . ولكن البعث مصدره الوحى فلا يمكن ان تتأثر الأمة اليهودية بغيرها فى هذه القضية بالذات .

ثانياً : ترجح ان الاضطهاد الذى وقع على اليهود هو الذى حرّك فطرة اليهود نحو الآخرة والاعتقاد فيها ، وهذا شأن البشر عند النوازل والمصائب .

ثالثاً : ان موسى ـ عليه السلام ـ قد أوضح عقيدة الآخرة لبنى إسرائيل ولكنهم حرفوا وبدلوا .. يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب : « إن يكن بنو إسرائيل قد عبثوا بهذه الصورة فى عهد من عهودهم ، فإنهم حين جددوا العهد والتمسوا الحياة الآخرة فيه ، كان أقرب شىء إليهم هو ما فى شريعة موسى المكتوبة فى الصحف او المحفوظة فى بعض الصدور . فذلك أقرب إليهم بلا شك من ان يلتمسوا هذه الصورة عن الحياة الآخرة بين الأمم الأخرى التى تعد ذات ديانات وثنية بالنسبة لديانة موسى ـ عليه السلام ـ » [٢١] .

والحق ماذهب إليه الأستاذ « الخطيب » فإنه مهما كان التحريف فى عهد من عهود اليهود ، فإن احتمال رجوعهم إلى شريعة موسى ـ عليه السلام ـ أقرب من رجوعهم إلى غيرهم من الأمم الوثنية ـ خاصة فيما يتعلق بالآخرة .

يتبـــع

(٢١) انظر ـ بتصرف ـ الله والإنسان ص ٢٥٥ .

محنة المسلمين

في بلاد الهند

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

لوان عقلا ـ الكترونيا ـ من تلك العقول التى صنعتها الحضارة الحديثة توفر على إحصاء دقيق لتلك الملايين من الرءوس البشرية التى انفصلت عن اجسادها فى غير حرب وبلا ثمن ، ولتلك الدماء التى سالت واهدرت بالشعارات البشرية الجوفاء لأثبت بما لا يدع مجالا للشك ان الدم الإسلامى هو ارخص الدماء فى الأرض فى زماننا المعاصر ، وحتى لا يتشعب بنا البحث نقتصر فى هذا المقال على مايعانيه المسلمون حاليا فى بلاد الهند من المآسى التى تشيب له رءوس الولدان ، هؤلاء المسلمون الذين يبلغون اكثر من اربعين ومائة مليون من البشر ، وقد رددت بعض وسائل الإعلام الخارجية طرفا مما يعانونه من اضطهادات منكرة ، وصلت إلى حد اغتيال الكثير من رجالهم وسفك دماء ابنائهم وهتك اعراض نسائهم ، ونهب اموالهم ، وإحراق متاجرهم ، مما يذكرنا بزمن الاستعمار البريطانى عندما كان قابعا على شبه القارة الهندية قبل الاستقلال ، إذ كان الهندوس يتعاونون مع المستعمرين الإنجليز على إبادة المسلمين لدرجة ان هؤلاء الإنجليز كانوا يجعلون من المسلمين الهنود بديلا للدواب التى يسوقونها امامهم ليكونوا ضحية الألغام الموضوعة فى باطن الأرض[1] .

رجعة إلى تاريخ الإسلام بالهند

تعتبر الهند من الأمم العريقة التى كان لها على مر التاريخ صلات مع الأمم التى حولها ولا سيما جزيرة العرب مهد الإسلام ، وكان التجار والبحارة من العرب والهنود من دعائم هذه الصلات ، وقد ذكر ابن خرداذبة فى كتابه المسالك والممالك أن البضائع الهندية كانت توجد فى أسواق بلاد العرب قبل زمان البعثة المحمدية .

فلما ظهر الإسلام ودخل العرب فى دين الله افواجا كان من هؤلاء التجار والبحارة مسلمون حملوا معهم دينهم الجديد إلى هذه البلاد التى يتعاملون معها وما كان يمتاز به من عقيدة الإله

(١) كتاب « المسلمون فى معركة البقاء » للدكتور عبد الحليم عويس طبعة سنة١٩٧٧ دار الصحوة بالقاهرة .

محنة المسلمين فى بلاد الهند

الواحد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعا .

ولما كانت الهند تئن وقتئذ ـ ومازالت ـ تحت ثقل التفرقة ونظام الطبقات القاسى وتعدد الآلهة مما تزخر به الديانة الهندوسية ، لذلك كان من الطبيعى أن تتفتح قلوب بعض أولئك الهنود خصوصا طبقة المنبوذين لدعوة الإسـلام فاعتنقوها ليتخلصوا من نظام الطبقات الذى اصابهم بالعناء النفسى والاجتماعى الذى يعيشون فيه ، كما ينفضون عن أنفسهم عبادة البقر وغبار الوثنية المحشوة بالخرافات ، وبذلك أصبح فى كل ميناء أو مدينة اتصل بها المسلمون العرب جماعة من أهل الهند اعتنقوا الإسلام ، وأقاموا المساجد وباشروا شعائرهم فى حرية تامة ، وذلك لما كان للمسلمين العرب من مكانة عند حكام هذه المدن باعتبارهم العامل الأول لرواج تجارتهم ، ولما كانوا يتحلون به من صدق وإخلاص فى المعاملة[٢] .

جيوش الفتح الإسلامى تطرق ابواب الهند

بدأت تلك الحملات منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث وجه عثمان بن أبى العاص الثقفى والى البحرين وعمان عام ١٥ هجرية أخاه الحكم بن أبى العاص بحملات خاطفة استطلاعية إلى (نانة) شمال مدينة بومباى ببلاد الهند ، ثم حملة أخرى إلى (بروص) شمال مدينة (سورت) فى (إقليم كجرات) الهندى ، وحملة ثالثة إلى مدينة (الديبل) (قريبة من مدينة كراتشى فى الباكستان حاليا) واستمرت تلك الحملات الاستطلاعية فى عهد خلافة الراشدين : عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ثم فى عهد الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان حيث غزاها المهلب ابن أبى صفرة سنة ٤٤ هجرية[٣] .

محمد بن القاسم هو اول قائد إسلامى نجح فى فتح الهند

فقد وجهه حاكم العراق الحجاج بن يوسف الثقفى عام ٩٢ هجرية على رأس حملة إلى بلاد الهند زمن خلافة الوليد بن عبدالملك الأموى فانتصر فى جميع المعارك التى خاضها حتى وصل إلى (مولتان) فى شمال الهند ، وبذلك أخضع بحملته (إقليم السند) بأكمله ، ثم ساس البلاد التى فتحها بالحلم والعدل ، لكنه قتل بفعل الأحقاد والدسائس التى حيكت ضده من رجال الحكم الأمويين زمن الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك[٤] .

ثم استقر الإسلام هناك فى عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز الذى كتب لملوك السند يدعوهم للإسلام على أن يظلوا فى مراكزهم فأسلم بعضهم وتسموا بأسماء عربية وانتشر الإسلام فى ولاياتهم ، ولما تولى السلطان محمود بن سيكتكين أمور الدولة الغزنوية ، استأنف حملات الفتح الإسلامية على أرض الهند ، والتى بلغت

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية غير العربية بآسيا) تأليف الدكتور أحمد شلبى الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ م .

(٣) كتاب فتوح البلدان للإمام أحمد بن يحيى البغدادى الشهير بالبلاذرى باب فتوح السند طبعة الموسوعات سنة١٣١٩ هـ . سنة١٩٠١ م .

(٤) كتاب « تاريخ الإسلام فى الهند » تأليف الدكتور عبدالمنعم النمر ـ الطبعة الأولى سنة١٤٠١ هـ . سنة ١٩٨١ بيروت لبنان .

عشرين حملة ، فضم إلى حكمه جزءا كبيرا من أرض الهند من الغرب والشمال والجنوب الغربى ، ولما جاءت الدولة الغورية سارت على خطة الدولة التى سبقتها فى فتح الهند ، لاسيما فى عهد السلطان شهاب الدين عام ٥٨٢ هجرية ، وقطب الدين أيبك الذى فتح مدينة دهلى عام ٥٨٩ هجرية واتخذها عاصمة له .

وأخيرا جاءت الدولة التيمورية أو المغولية التى أسسها (بايرشاه) من نسل القائد المغولى (تيمور لنك) عام ٩٣٢ هجرية فكان عهدها أزهى عصور الحكم الإسلامى فى بلاد الهند ، وقد بلغ ذروة القوة والاتساع فى عهد أحد ملوكها ، وهو الامبراطور (أورنكيب) أو (عالمكير) عام ١٠٦٩ - ١١١٨ هجرية التى توافق ١٦٥٩ - ١٧٠٧ ميلادية فقد ضم الهند كلها تقريبا تحت سلطانه مما لم يسبق له مثيل من قبل(٥) .

ضعف الدولة التيمورية وغلبة الاستعمار البريطانى على الهند

بعد وفاة الامبراطور أورنكيب جاء بعده ملوك ضعاف فأخذت دولة الإسلام هناك تتفتت شيئا فشيئا وينحسر نفوذ ملوكها وينكمش سلطانهم ، حتى أصبحوا صورة لانفوذ لها ، ومن خلال هذا الضعف وهذا التفتت أخذت الدول الغربية تتصارع فى بسط نفوذها على الهند بواسطة شركاتها التجارية ، وكانت فى انطلاقها كالذئاب المسعورة تتصارع على الفريسة الدسمة ، كل يريد أن يلتهمها وحده ، وأخيرا استطاعت شركة الهند الشرقية الانجليزية أن تقضى على نفوذ شركات باقى الدول الغربية ، ثم عملت على شل كل نفوذ للإمبراطور المسلم القابع على عرشه فى مدينة دهلى ، ولما حاول المسلمون الهنود الغيارى إنقاذ البلاد فى ثورة جامحة عام ١٢٤٧ هجرية - ١٨٥٧ م تصدت لها الحكومة البريطانية بكل ما أوتيت من عنف وقوة ففشلت الثورة وتحمل المسلمون الهنود وحدهم نتائج هذا الفشل أمام العدو المنتصر :

١ - فمثل بهم الإنجليز شر تمثيل واستباحوا أموالهم وصادروا ممتلكاتهم .

٢ - وعملوا على إذلالهم بكل الطرق ومطاردتهم أينما وجدوا والقضاء على كل حيوية فيهم .

٣ - ونتيجة لذلك قبضوا على الامبراطور المسلم وحاكموه بتهمة تزعمه للثورة ، وحكموا عليه بالإعدام .

٤ - ثم قتلوا أولاده وقدموا رءوسهم له فى أطباق على مائدة طعامه .

٥ - ولما خففوا حكم الإعدام عنه ، قاموا بنفيه إلى (مدينة رانجون) عاصمة (بورما) ونفذ هذا النفى فى أكتوبر عام ١٨٥٨ م حيث رحل هو وأسرته وحاشيته وأودعوا جميعا السجون حتى توفى عام ١٢٧٩ هجرية التى توافق عام ١٨٦٢ م .

٦ - وفى أول نوفمبر عام ١٨٥٨ ميلادية أعلنت فيكتوريا ملكة انجلترا قرارا بنقل حكم الهند من الشركة الإنجليزية إلى يد الحكومة البريطانية ، وضمت الهند جميعها لمستعمرات التاج وقبضت على البلاد هناك بيد من حديد ، يملأ قلبها حقد يتقد على مسلمى تلك البلاد ، فانفردت بهم تفعل كل مايمليه عليها حقدها ، ويمكنها منه سلطانها ، وفى ذلك يقول نهرو رئيس وزراء الهند الأسبق الهندوكى فى كتابه من السجن إلى الرئاسة (كانت الحكومة البريطانية

(٥) كتاب « تاريخ الإسلام فى الهند » المرجع السابق .

محنة المسلمين فى بلاد الهند

قد تعمدت سحق المسلمين وقمعهم إلى درجة أكبر مما فعلت بالهندوس[٦] .

كما صرح حاكم الهند الإنجليزى أيام الشركة المشار إليها عام ١٨٤٣ وهو اللورد ألنبرو المعروف بدوق ولنجتون فى تقرير له ، إذ قال بصريح العبارة : (إنه لايمكن الإغضاء عن حقيقة جلية وهى أن الأمة المسلمة معادية لنا بطبيعتها فالبرنامج الحقيقى عندنا أن نبتغى مرضاة الهنادك)[٧] .

خطط الإنجليز فى إبعاد السكان المسلمين عن اى نشاط فى بلادهم

بعد أن تولت الحكومة الإنجليزية مسئولية الحكم فى الهند بدأت سياستها لإبعاد سكانها المسلمين بقوانين مدروسة وخطط مرسومة ، كان الهدف منها تقليم اظافر المسلمين ، والقضاء على معنوياتهم وقتل كل أمل يراودهم فى استرداد مكانتهم السابقة بل وملاحقة كل مايتصورونه من شعاع يؤدى إلى هذا الأمل بكل الطرق وكل الحيل فمن ذلك :

١ ـ اتجهوا إلى إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية وذلك بمضاعفة ديونهم بأساليب الحيلة والخداع .

٢ ـ ثم ساعدوا المرابين الهندوس على انتزاع املاكهم .

٣ ـ سدوا فى وجوههم كل الوظائف الكبيرة والصغيرة .

٤ ـ كما وضعوا العراقيل المادية فى سبيل الذين يحترفون التجارة منهم ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

٥ ـ عملوا على إسقاطهم فى غيابات الجهل بعد أن كانوا حين دخل الإنجليز الهند أرقى السكان عقلا وعلما وحكما وسياسة فحاربوا مدارسهم ونزعوا الأوقاف الإسلامية التى كانت موقوفة للصرف والإنفاق على تلك المدارس .

٦ ـ عمدوا إلى المسلمين الاغنياء ، ممن كانت تدفعهم حميتهم لمساعدة تلك المدارس فأرهبوهم أو اغروهم بالبعد عن مساعدتها حتى كفوا عنها فأغلق الكثير منها أبوابه .

٧ ـ وفى الوقت الذى كان المسلمون يقاطعون المدارس التى أنشأها الإنجليز ، كان الهندوس يقبلون على تلك المدارس فضلا عن تشجيع الإنجليز لهم فى دخولها ، لأنهم عنصر أضمن لتنفيذ سياستهم ومـآربهم ، ولهـذا كلـه احتضنوهم ، وعملوا على زيادة الفرقة بينهم وبين المسلمين ليضمنوا ولاءهم .

٨ ـ زادوا من إثارة أحقاد الهندوس على المسلمين بشتى الوسائل من صحافة ومؤلفات تفترى على الحكم الإسلامى ومواقفه من الهندوس ، ومناهج يدرسونها للطلبة فى المدارس مما قاسى منه المسلمون ألوانا شتى من الشدائد من أبناء وطنهم ، فوق الشدائد التى كانوا يعانونها من المستعمر نفسه وهذه سياسة معروفة عن الإنجليز فى البلاد التى يستعمرونها ، وفى ذلك يقول (جون مينورد) عضو المجلس البريطانى لحاكم البنجاب (إن الخلاف بين

(٦) كتاب أبو الكلام أزاد ـ الجزء الأول تأليف الدكتور عبدالمنعم النمر ـ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م

(٧) أطلس تاريخ الإسلام ـ الهند الإسلامية ـ تأليف الدكتور حسين مؤنس ـ الزهراء للإعلام العربى الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ ـ سنة ١٩٨٧ م .

الهندوكيين والمسلمين على العموم بدأ فى عهد بريطانيا) .

٩ - وانتهز الكثير من الهندوس المحنة التى يمر بها المسلمون وراحوا يدعون جهرا إلى التخلص منهم باعتبارهم دخلاء غزاة فاتحين[٨] .

١٠ - وفى ذلك قال الزعيم الهندوكى ويكرام ساواركر فى محاضرة ألقاها بتاريخ ١٩٦٤/٩/١٣ م على المسلمين أن يعلموا أن حزب المؤتمر لا يستطيع أن يحميهم ، ففى كلكتا وغيرها من المدن قتل آلاف المسلمين ، ونهبت منازلهم وحوانيتهم ، وامتنع حزب المؤتمر وحكومة حزب المؤتمر عن حمايتهم « إن المسلمين مثل النمل ويجب أن يسحقوا ولا يجب أن يعطى المسلمون حق التصويت لأنهم ليسوا وطنيين » .

هكذا استباح زعماء الطائفة الهندوكية دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم على مرأى ومسمع من حكومتهم ، ولم تمنع هذه البربرية أن تظل الأحزاب الدموية هذه تحت مظلة الشرعية الهندية المتحيزة لتولغ فى دماء المسلمين وتذبح عشرات الآلاف منهم سنويا دون أن يتحرك مايسمونه ضمير العالم الحر والمنظمات الدولية[٩] .

مأساة المسلمين الحالية فى الهند .

وحاليا يحدث فى الهند لسكانها المسلمين مآس أفظع من كل المآسى المروية ، وإن وصف ما يحدث بالوحشية والبربرية فيه ظلم للبرابرة والمتوحشين ذلك على أيدى المتطرفين والإرهابيين الهندوس الذين سفكوا أنهارا من الدماء ، كان ضحاياها من المسلمين العزل أطفالا ونساء وعجزة وغيرهم من الشباب المسلم . وكان رجال الشرطة وإدارات الحكم يساعدون المعتدين الهندوس ضد المسلمين المسالمين .

وقد كشف أمر هذه المآسى البشعة عضو هندوسية مثقفة تشغل مقعدا فى البرلمان الهندى هى السيدة (ماياوتى) عرضت نفسها وحياتها للخطر من بنى قومها الهندوس وذلك دفاعا على الحق الأبلج فتقول فى بيان لها : -

١ - لقد بدأت حوادث الصدام فى (مدينة بنجور) منذ يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٩٠ حيث قام كبير وزراء ولاية (أوتار - براديش) المدعو (ملائما سينغ يادوا) بمسيرة السلام التى أشاعت عنها العناصر الهندوسية المشاغبة كثيرا من الأقاويل المثيرة بهدف إثارة الهندوس ضد العناصر المحبة للسلام ، وكان مخططا لتفجير اضطرابات ليس فى مدينة (بنجور) وحدها وإنما فى جميع الأماكن التى يسكنها المسلمون عبر ولاية أوتار براديش) .

٢ - وكانت الإدارة المحلية على علم بتأزم الوضع منذ يوم ٩ أكتوبر المشار إليه ، ومع ذلك سمحت للهندوس بالقيام بتلك المسيرة كما أشارت عليهم باقتحام الأحياء الإسلامية ، وعندما بدأ الصدام قام جهاز الشرطة P.A.C بتخريب شديد فى ممتلكات المسلمين ، وعمل على الفتك بهم وإبادتهم ، وتخريب أحيائهم وسلب ونهب أموالهم .

٣ - وعندما حاولت السيدة عضو البرلمان الهندى الاتصال برئيس أحد الأحزاب الإسلامية بالمدينة المنكوبة ، قامت الإدارة بقطع جميع خطوط الاتصال التليفونية ، فقررت تلك السيدة زيارة (مدينة بنجور) على الفور لكن الإدارة رفضت السماح لها بهذه الزيارة حتى لا ترى

(٨) كتاب أبو الكلام آزاد - الجزء الأول - المرجع السابق .

(٩) منار الإسلام جمادى الآخرة سنة ١٤١١ هـ .

محنة المسلمين فى بلاد الهند

كيف تحصد أرواح المسلمين رخيصة دون أى أهمية تذكر من رجال الإدارة الهنود .

٤ ـ وأخيرا تمكنت السيدة ماياوتى من دخول المدينة فشاهدت الكثير من محلات المسلمين التجارية فى (حى شيرين) قد نهبت ، ثم أحرقت وصارت رمادا ، وتقدر خسارة المسلمين عنها بالبلايين ، وذلك على مرأى ومشهد من رجال الشرطة بينما محلات الهندوس لم تصب بأى سوء .

٥ ـ ومن المؤسف بل من المحزن أن رجال الشرطة اعتدوا على من نجا من المسلمين من القتل بكسر عظام أيديهم وأرجلهم كسرا جعل حياتهم عبئا عليهم ، كما انتهكوا حرمات النساء فاغتصبوهن عنوة ثم قاموا بقتلهن بعد ذلك .. تماما كما يفعل الجنود الإسرائيليون بنساء وأطفال وأبناء المسلمين ، وبتعاون من الفريقين .

٦ ـ وبدلا من قيام الإدارة بمحاسبة المعتدين الهندوس ومن عاونهم من رجال الشرطة قامت باعتقال الأبرياء من المسلمين .

٧ ـ وتختم السيدة الهندوسية عضو البرلمان الهندى بيانها بقولها : إنها تعتقد جازمة أن الإضطرابات الطائفية ضد المسلمين قد أوقدت نارها بخطة مدروسة عبر الشريط الذى يسكنه المسلمون فى مديريات غازى أباد ـ وميروت ـ وبلندشهر ـ وعلى جراه ـوسهارينوز ومظفر نجر ـ وبنجور ـ ومراد أباد ورامبور ـ وكانبور وغيرها من أماكن سكن المسلمين الكثيرة .

جمعية علماء الهند المسلمين تبعث وفدا منها لزيارة المدينة المنكوبة :

زار وفد جمعية العلماء ، الأحياء الإسلامية وشاهد الدمار الشامل الذى لحق بالأحياء التى يقطنها المسلمون وجمعوا بعض الحقائق الدامية التى لا ينبغى أن تمر دون وقفة حازمة حاسمة من مسلمى العالم ، قبل أن تمتد يد الغدر الهندوسى إلى مزيد من الدموية التدميرية لأرواح المسلمين وممتلكاتهم وأموالهم ومقدساتهم ، وقد ضمنوا ماشاهدوه فى تقرير نقتطف منه الحقائق الآتية : ـ

أولا ـ لما كان عدوان الهندوس على المسلمين تم على نطاق واسع لم يتيسر إعداد قائمة كاملة عن شهداء المسلمين ، وإن أمكن معرفة أسماء ٧٥ شهيدا منهم ، كما أن هناك عددا كبيراً من المسلمين اختطف بواسطة الهندوس المعتدين ورجال الشرطة ، ولم يعرف مصيرهم بعد ، وفى بعض الإحصاءات وصل عدد قتلى المسلمين إلى الفين .

ثانيا ـ عدد محلا المسلمين المنهوبة والمحروقة بعد نهبها فى حى (جاه شيرين وبى) اربعة وعشرون ، وفى حى (لا دوبورة) بلغت خمسة عشر وثلثمائة ، أما البيوت التى اقتحمها الهندوس ونهبوا محتوياتها ثم أحرقوها ، فقد بلغت حسب الإحصاءات المبدئية ثلاثة وخمسين وستمائة بيت فى (حى بكلى) ، (٢٧٩) بيتا فى (حى جاه شيرين) ولادبوره ، وفى حى قصابان (٧٢) بيتا ، وفى (حى جاتان) ٣٠ بيتا ، وفى (حى مرد كان) ٢٥ بيتا ، وفى (حى نجارا) عشرة بيوت ، وفى (حى قاضى باره) خمسة بيوت بالإضافة إلى ١٩ بيتا فى أماكن أخرى متفرقة ولا شك أن الخسائر أكثر بكثير من أية إحصائية تمت حتى الآن .

ثالثاً ـ وقد بلغت قسوة هؤلاء المعتدين أن كانوا يقتلون أولاد المسلمين أمام آبائهم وذويهم عند اقتحامهم لمنازل المسلمين ويهتكون أعراض نساء المسلمين ثم يقتلونهن أو يحرقون المنازل بمن فيها من سكان ، وذلك نفس أسلوب عصابات اليهود بفلسطين المحتلة .

رابعاً ـ ألحقوا أضرارا فادحة بعدد من المساجد وقتلوا مؤذنيها وأسرهم مثل (مسجد تكية شاه) ومسجد (كجهرى) ومسجد (ربانى) ومسجد (سرائى) شاه محمد ، و (مسجد بازار والى) ومسجد (صديقيان) و (مسجد قرية بكلى) وفى بعض تلك المساجد شنت الميليشيات الهندوسية هجومها وعدوانها على المصلين والمعتكفين فضربوهم وسلبوا منهم أموالهم ثم أشعلوا النيران فيهم فماتوا حرقا .

خامساً ـ لم تسلم الكتب الدينية من عدوان الهندوس على المساجد ، فقد تناولوا المصاحف والكتب الدينية وأهانوها ومزقوها كما أحرقوا دراجات المسلمين وسياراتهم(١٠) .

وبعد ..

فيحق لنا أن نتساءل : أين وسائل الإعلام العربية والإسلامية من هذه الفاجعة التى أصابت هؤلاء المسلمين فى الهند ؟

ولماذا لم تتحرك التحرك الواجب فى مثل هذه المحن والمآسى التى تحيط بالمسلمين إذا علمنا أن التعتيم الإعلامى على المجازر التى يذبح فيها المسلمون وتدمر فيها ممتلكاتهم خطة دولية مقررة من جانب الصليبية العالمية ؟

إننا نسائل شعوب الدول العربية والدول الإسلامية : ما معنى تجاهلهم لآلام إخوانهم المسلمين فى الهند وتبلدهم بإزائها ، رغم أنهم يذبحون ويبادون فى الوقت الذى تتبارى فيه أجهزة إعلام تلك الدول بإذاعة مباريات كرة القدم تحتشد فيها الألوف لرؤيتها ؟

لو أن صعلوكا من دول الغرب أو من اليهود خدش ظفره لتحركت له الهيئات الدولية أما شعوب المسلمين فإن الألوف المؤلفة منهم يقتلون فما يكترث لمصابهم أحد ، وهاهم فى بلاد الهند كما قالت صحيفة Sunday الأسبوعية يعيش المسلمون هناك حاليا فى حالة من الخوف والذعر ، فقد أعلن الكاهن الهندوسى المتآمر (رام جندرداس) الحرب على العناصر التى تعارض الهندوس والديانة الهندوسية ، كما أعلن المدعو (أشوك سنغل) الأمين العام لمنظمة الهندوسية العالمية تهديده السافر للمسلمين فيقول : إنه لا يمكن للقوات الحكومية والأحزاب السياسية أن تحمى المسلمين من غضب الهندوس(١١) .

فهلا تحركت الحكومات الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامى وغيرها من المنظمات الإسلامية ووقفت وقفة شجاعة ، واستخدمت سلاح المصالح الاقتصادية ، كالامتناع عن شراء الشاى الهندى وماماثله من سلع للضغط على حكومة الهند ، فتثوب إلى رشدها فتقبض على مثيرى الفتنة من زعماء ورؤساء العصابات الهندوسية المتطرفة وكذا على من يساندهم من رجال الإدارة ورجال الشرطة هناك ، وتحاكمهم على ما اقترفت أياديهم الآثمة فتوقف سفك دماء المسلمين ، وتمنع تدمير ممتلكاتهم وإحراق دورهم ، ونهب ثرواتهم وأموالهم وهتك أعراضهم .

وبذلك تبعث الأمن والأمان فى نفوس المسلمين هناك ، فهم بلا جدال جزء من بناء الهند وبعض من نسيج أهلها وشعبها .

ترى : ما المانع ؟!!

---

(١٠) مجلة منار الإسلام بدولة الإمارات العربية المتحدة عدد شعبان سنة ١٤١١ هـ ـ فبراير سنة ١٩٩١ م .

(١١) المرجع السابق .

لحظات طيبات مع

الإمام جعفر الصادق

إعداد: عادل خفاجة

قال عمرو بن المقدام : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين .

وكان جعفر - رضى الله عنه - يقول : سلونى قبل ان تفقدونى ؛ فإنه لا يحدثكم احد بعدى بمثل حديثى .

إنه الإمام الثقة الجليل : جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الهاشمى العلوى ، ابو عبدالله المدنى الصادق .

وامه فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر وامها اسماء بنت عبدالرحمن بن ابى بكر ؛ فلذلك كان يقول : ولدنى ابو بكر مرتين .

منهجه

كان يحب أن يسأله الناس وبقدر ما كان حرصه أن يسألوه ، كان حرصه الا يجيب فى أمر الدين برأيه ، وكان يحذِّر من ذلك .

غزارة علمه :

لما أقدمه المنصور الحيرة ، بعث إلى أبى حنيفة فقال : يا أبا حنيفة إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهيء له من مسائلك الصعاب ، فهيأت له أربعين مسألة . ثم أتيت أبا جعفر ، وجعفر جالس عن يمينه ، فلما بصرت بهما ، دخلنى لجعفر من الهيبة ما لا يدخلنى لأبى جعفر ، فسلمت وأذن لى ، فجلست ثم التفت إلى جعفر ، فقال : يا أبا عبدالله تعرف هذا ؟

قال : نعم . هذا أبو حنيفة ، ثم أتبعها : قد أتانا .

ثم قال(1) : يا أبا حنيفة ، هات من مسائلك نسأل أبا عبدالله فبدأت أسأله . فكان يقول فى المسألة : أنتم تقولون فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا ، ونحن نقول كذا وكذا ، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة ، وربما خالفنا جميعا ، حتى أتيت على الأربعين مسألة ما أخرِمُ منها مسألة .

ثم قال أبو حنيفة : أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ؟

وكان سفيان الثورى يحب سماع الحديث منه ، ويصر على الاستزادة فقد حدَّث مالك بن أنس عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ،

(1) أى أبو جعفر المنصور .

قال : لما قال سفيان الثورى : لا أقوم حتى تحدثنى .

قال له : أنا أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير ياسفيان ، إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها ؛ فإن الله ـ عز وجل ـ قال ـ فى كتابه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(٢) .

وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار ؛ فإن الله تعالى قال فى كتابه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً ﴾(٣) .

ياسفيان : إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من (لا حول ولا قوة إلا بالله) ؛ فإنها مفتاح الفرج ، وكنز من كنوز الجنة . فعقد سفيان بيده ، وقال : ثلاث وأى ثلاث .

قال جعفر : عقلها ـ والله ـ أبو عبدالله ولينفعنه الله بها .

وقال نصر بن كثير : دخلت أنا وسفيان الثورى على جعفر بن محمد فقلت : إنى أريد البيت الحرام فعلمنى شيئاً أدعو به ، فقال : إذا بلغت البيت الحرام فضع يدك على الحائط ثم قل : يا سابق الفوت ياسامع الصوت ، وياكاسى العظام لحماً بعد الموت ، ثم ادع بما شئت .

وكان ـ رحمه الله ـ قوى الحجة ، واضح المثل ، ولله المثل الأعلى ، التقى به سفيان الثورى بمكة ، فسأله : يا ابن رسول الله لم جُعِلَ الموقف من وراء الحرم ؟ ولم يَصِرْ فى المشعر الحرام ؟

فقال : الكعبة بيت الله ، والحرم حجابه ، والموقف بابه ، فلما قصده الوافدون ، أوقفهم بالباب يتضرعون ، فلما أذن لهم فى الدخول ، أدناهم من الباب الثانى وهو المزدلفة ، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم ، رحمهم ، فلما رحمهم ، أمرهم بتقريب قربانهم ، فلما قربوا قربانهم وقضوا تفثهم ، وتطهروا من الذنوب التى كانت حجابا بينه وبينهم ، أمرهم بزيارة بيته على طهارة .

قال : فلم كُره الصوم أيام التشاريق ؟

قال : لأنهم فى ضيافه الله . ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه ....

وسأله بعض أصحابه : لم حرم الله الربا ؟

قال : لئلا يتمانع الناس المعروف .

ودخل عليه سفيان الثورى ، مرة ، وعليه جبة خز دكناء فجعل ينظر إليه معجبا ، فقال له : « ياثورى مالك تنظر إلينا لعلك تعجب مما رأيت ؟ » ، فقال الثورى : يا ابن رسول الله ليس هذا لباسك ولا لباس آبائك ! فقال له : « ياثورى كان ذلك زمانا مقفرا مقترا ، وكانوا يعملون على قدر إقفاره وإقتاره ، وهذا زمان قد أقبل كل شىء فيه (عز إليه)(٤) ، ثم حسر عن ردن جبته ، وإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن ، فقال ياثورى لبسنا هذا لله وهذا لكم ، فما كان لله أخفيناه ، وما كان لكم أبديناه .

جوده وكرمه :

أما عن جوده وكرمه ، فيقول الهياج بن بسطام : « كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شىء » .

وكان يقول : « أوحى الله تعالى إلى الدنيا ، أن اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك » .

(٢) إبراهيم ـ ٧

(٣) نوح ١٠ ـ ١٢

(٤) يبدو أنه تعبير العصر ، ويعنى : عدم المشقة فى الحصول على الشىء بسبب المستوى الطيب للمعيشة .

الإمام جعفر الصادق

وصاياه :

وللإمام ـ رضى الله عنه ـ وصايا تعتبر ذخيرة نفيسة نسوق بعضها .

قال بعض أصحابه : دخلت على جعفر وموسى[٥] بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية ، فكان مما حفظت منها أن قال : يابنى اقبل وصيتى واحفظ مقالتى فإنك إن حفظتها تعيش سعيداً ، وتموت حميداً ؛ يابنى من رضى بما قسم له استغنى ، ومن مدَّ عينه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله فى قضائه ، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه .

يابنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم .

يابنى إياك أن تزرى بالرجال فيزرى بك وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتزل لذلك .

يابنى قل الحق لك أو عليك تستشان[٦] من بين اقرانك ، يابنى كن لكتاب الله تاليا وللإسلام فاشيا ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهيا ، ولمن قطعك واصلاً ، ولمن سكت عنك مبتدئا ، ولمن سألك معطيا ، وإياك والنميمة ؛ فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة التعرض لعيوب الناس بمنزلة الهدف .

يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ؛ فإن للجود معادن ، وللمعادن أصولها ، وللأصول فروعا ، وللفروع ثمراً ، ولا يطيب ثمر إلا بأصول ، ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب .

يابنى إن زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجار فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وأرض لا يظهر عشبها .

قال على بن موسى : فما ترك هذه الوصية إلى أن توفى .

وحدث عنه الأصمعى بتلك الوصية العامة قال : « الصلاة قربان كل تقى ، والحج جهاد كل ضعيف ، وزكاة البدن الصيام ، والداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر ، واستنزلوا الرزق بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وما عال من اقتصد ، والتدبير نصف العيش ، والتودد نصف العقل ...

ومن أحزن والديه فقد عقهما ، ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته فقد حبط أجره ، والصنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذى حسب ودين ، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصيبة ، ومنزل الرزق على قدر المؤونة ، ومن قدّر معيشته رزقه الله تعالى ، ومن بذّر معيشته حرمه الله تعالى .

ومن اقواله التى تجرى مجرى الحكمة :

● لا زاد أفضل من التقوى ، ولا شىء أحسن من الصمت ، ولا عدو أضر من الجهل ، ولا داء أدوى من الكذب .

● إياكم والخصومة فى الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق .

● لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره .

● إذا بلغك عن أخيك شىء يسوؤك فلا تغتم ؛ فإنه إن كان كما يقول ، كانت عقوبة

---

(٥) هو ولد الإمام جعفر .

(٦) أى يصير لك شان .

عجلت ، وإن كان على غير ما يقول ، كانت حسنة لم يعملها .

حَدَّث عبدالجبار بن العباس الهمدانى ، أن جعفر بن محمد اتاهم ـ وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة ـ فقال : « إنكم ـ إن شاء الله ـ من صالحى أهل مصركم ، فأبلغوا عنى : من زعم أنى إمام معصوم مفترض الطاعة ، فأنا منه برىء ، ومن زعم أنى أبرأ من أبى بكر وعمر فأنا منه برىء » .

يقينه بالله :

لقد وصل جعفر الصادق ما بينه وبين الله ، فلم يبال بما بينه وبين السلطان ، فقد ذُكر له يوماً بُخل المنصور ، فقال : « الحمدلله الذى حرمه من دنياه ما بذل لأجله دينه » .

لم يركن يوماً إلى السلطان ، بل كان دائم النقد له كلما عنَّ له من أمره شىء ، حتى أغضب المنصور فعزم على قتله .

ذكر الفضل بن الربيع عن أبيه قال : دعانى المنصور فقال : إن جعفر بن محمد يلحد فى سلطانى ، قتلنى الله إن لم اقتله . فأتيته ، فقلت : أجب أمير المؤمنين فتطهَّر ولبس ثيابا ـ أحسبه قال : جدداً ـ فأقبلت به ، فاستأذنت له ، فقال : أدخله ، قتلنى الله إن لم اقتله ، فلما نظر إليه مقبلاً ، قام من مجلسه ، فتلقاه وقال : مرحبا بالنقى الساحة ، البرىء من الدغل والخيانة ، أخى وابن عمى ، فأقعَده معه على سريره ، وأقبل عليه بوجهه ، وسأله عن حاله ، ثم قال : سلنى عن حاجتك ، فقال : أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به ، قال : افعل ـ ثم قال : ياجارية ائتنى بالتحفة . فأتته بُمدْهُن زجاج فيه غالية ، فغلفه بيده وانصرف . فاتبعته ، فقلت : يا ابن رسول الله ، اتيتُ بك ولا أشك أنه قاتلك ، فكان منه ما رأيت . وقد رأيتك تحرك شفتيك بشىء عند الدخول فما هو ؟

قال : قلت : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام ، واكفنى بركنك الذى لا يرام واحفظنى بقدرتك علىّ ، ولا تهلكنى . وأنت رجائى . رب كم من نعمة أنعمت بها علىَّ قلَّ لك عندها شكرى ، وكم من بلية إبتليتنى بها قلَّ لها عندك صبرى ؟!

فيامن قلَّ عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ، ويامن قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على المعاصى فلم يفضحنى ، ويا ذا النعم التى لا تحصى أبداً ، ويا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبداً ، أعنى على دينى بدنيا ، وعلى آخرتى بتقوى ، واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى إلى نفسى فيما خطرت .

يامن لا تضره الذنوب ، ولا تنقصه المغفرة ، اغفر لى ما لا يضرك ، واعطنى ما لا ينقصك ، يا وهّاب أسألك فرجا قريباً وصبراً جميلاً ، والعافية من جميع البلايا ، وشكر العافية .

أخذ عن جعفر الصادق ، وتتلمذ له عدة من التابعين ، منهم :

يحيى بن سعيد الأنصارى وأبو السختيانى ، أبان بن تغلب وأبو عمرو بن العلاء ، ويزيد بن عبدالله بن الهاد .

وحدَّث عنه من الأئمة الأعلام : مالك بن أنس وشعبه بن الحجاج ، وسفيان الثورى ، وابن جريج .... وغيرهم قال عنه الإمام مالك : « اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصلٍ ، وإما صائم وإما يقرأ القرآن . وما رأيته يحدِّث إلا على طهارة » .

ومن دعائه :

« اللهم اعـزنى بطاعتـك ، ولا تحزنى بمعصيتك ، اللهم ارزقنى مواساة من قترت عليه رزقه بما وسعت علىَّ من فضلك » .

وفاته :

كانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة مائة وثمان وأربعين وله من العمر ثمانية وتسعون عاما .

نحو إعلام إسلامي

عالمية الإسلام

مدخلنا لإعلام دولي إسلامي

للأستاذ
حسن علي العنبسي

تهتم القوى المعادية للإسلام بالإعلام اهتماما كبيراً، ووراءه هدفه المخطط له بدقة يتبعها مراحل تنفيذ أدق وأحكم لصرف المسلمين عن أهداف دينهم، وسلوكه، وتقاليده، وممارسته عموما.

ولا نشك - حين نلقى نظرة على مجتمعاتنا الإسلامية في أي مكان - لا نشك أن القوم نجحوا فيما يريدون ويدبرون - حتى الآن، فبين أيديهم أرقى ما أنتجه التقدم العلمي في مجال الإعلام، إلى المال الوفير، فالجنس الساخن بلا ضوابط ولا تقاليد .. إعلام محفوف بالشهوات يتساقط عليه الناس دونما رادع صارف عن هوى الممارسة وحب التقليد، ونبذ قيمنا الغالية.

شيء من وسائل العمل ضد الإسلام:

سيطر الغرب المعادي على وسائل الإعلام الدولي بمختلف إمكاناته، فتيسر له بث أفكاره، والدعاية غير المباشرة لأهدافه بين صفوف المسلمين، كذلك تحكم في مصادر الأنباء وتوزيعها، فاستمد منه الإعلام في البلاد الإسلامية أكثر وأهم أخباره.

وفي مجال (الراديو) وطن للإذاعات التبشيرية أن تبث نحو (٩٠٠) تسعمائة ساعة أسبوعياً عبر إذاعاتها المختلفة، وبأكثر من (٨٠) ثمانين لغة، وبكافة اللهجات المحلية والعالمية، ولم تنس - في مخططها - مختلف الأسنان من طفولة، أو مراهقة، أو رشد، أو

كهولة .. حتى بلغ ما يرصد للبرامج المتخصصة عشرة ملايين دولار أسبوعياً[1] .

عالم الإعلام الدولى الجديد :

إن العالم الإسلامى يملك الكثير من الوسائل والأموال والخبرات ، فلماذا أصبحت طاقاته مبددة ، وإمكاناته ضائعة ..

والأمر لايحتاج لأكثر من حزم ليعادل التقارب الرهيب الذى ربط بين قارات العالم ، لتصير فى عالم الإعلام الدولى شيئا ليس أكثر من قرية تشاهد أخبارها وأعمالها بالصوت والصورة .

هذا المجتمع الجديد فى « عالم الاتصال الدولى » لم يكن عادلًا فى حيازة وسائل الإعلام ؛ فقد أصبح هناك من يملك ، ومن لا يملك .

وأصبح من لا يملك هو المجتمع المسلم !! ولم يكن عصرنا الحالى عادلًا فى حركة تدفق الأنباء والمعلومات ، ذلك لأن من يملك الوسيلة يملك الهدف وله الحق فى المحتوى الذى تحمله الوسيلة وكما يريد ...

وأصبحت الأنباء فى كل وسائل الإعلام العالمية هى أنباء الغرب ، وأصبحت الحياة هى الحياة الغربية ، تطغى على محتوى وسائل الإعلام ، وينتقل هذا بدوره إلى إعلام المجتمع الإسلامى فيصبح .. دون ـ أن يدرى ، أو يدرى ـ صورة مكررة لإعلام غير إسلامى ..

وأصبحت أنباء المسلمين فى ذيل الأنباء إن ذكروا شيئاً عن المسلمين ..

الحصيلة :

إن الله ـ تعالى ـ لا يحب للمسلمين ذلة ؛ بل هو القائل ـ سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨ ـ المنافقون .

إنما الذليل من استهواه الغرب وركن إليه وأحب خطاه ، ثم تواكل فلم يقدم ـ للمسلمين فى كل مكان ، ومن بين الوسائل التى يمتلكونها ـ إعلاما إسلاميا حصيفا تبهر مناهجه وأهدافه الناس أجمعين .

ثم إن احتكار الدول الغربية الكبرى للإعلام الدولى ، أمر يثير القلق على مستقبل أهل هذا الدين ؛ ذلك ، لأنه على الرغم من أرباح الإعلام الغربى العظمى من أموال المسلمين ـ لا يُغْنَى ـ إطلاقا ـ برد الفرية والكذب عنهم ، وإعلامه ـ فى هذا الجانب ـ هزيل لا يفند دعاية ، ولا يدحض كذبة ، ولا يصنع شيئا يلفت النظر إلى الإسلام .

والعكس هو الصحيح :

فهاهى قضية سلمان رشدى أصر الغرب على تقديمها للناس على أنها معارضة لمشاعر (كثير من المسلمين) وأصر الإعلام الغربى على هذا المنطق فأوحى بذلك أن كثيرا من المسلمين أيضا لايخدش مشاعرهم فى شىء ، بينما كان يثير غضب المسلمين أجمعين .

ثم أعلنت رئيسة وزراء انجلترا ـ فى هذه القضية ـ أن قانون بلادها يحمى الديانة النصرانية فقط .

---

(١) انظر : عبد الباسط عز الدين ـ أهمية الإعلام الإسلامى . جريدة أخبار العالم الإسلامى عدد ٦ من شعبان ١٤٠٩/١٣/٥/١٩٨٩ .

عالمية الإسلام

وعملت أبواقها فى الفت فى عضد المقيمين من المسلمين ببلادها ، كذلك عمد الإعلام الغربى على احتضان كل ذى اتجاه مضاد للسلوك الإسلامى من أبناء المسلمين يقدمهم فى حلقاته فى صورة الأعلام النابغين الذين سبقوا زمانهم .. الخ .

وأسوأ من ذلك كله تغطيته على أنباء المسلمين ، وما يحدث لهم فى بلغاريا .. وألبانيا .. ويوغوسلافيا .. وغيرها ، ومن قبل سكت عن المذابح الرهيبة التى راح ضحيتها المسلمون فى قبرص ، واليوم يصمت تماما عن مذابحهم فى الهند .

ولعلك تجد عذرا لهذا الإعلام الذى يتقدم إليك فى إطار أهدافه ، ومنها غبن الإسلام والمسلمين .

فأما إذا كان المسلمون يملكون - وهم يستطيعون - العمل بطاقة الإعلام الغربى ، وبإخلاص القيم الإسلامية لما كان هناك غطاء على أحوال المسلمين .. كيف .. ؟

والإسلام فى صلاته .. وحجه وعبادته يقيم التكافل بين المسلمين ويوجبه ، وأين منا الحديث الشريف ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » . رواه البخارى - باب الأدب

عالمية الإسلام تقتضى عالمية إعلانه

جاء الإسلام للناس أجمعين ، ونصت - على ذلك - آية ليس إلى زحزحة العالمية عنها من سبيل ، وذلك قوله - تعالى .. على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم :

﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ ١٩ - الأنعام

وروى أبو نعيم :

«من بلغه القرآن فكأنما شافهته .»

وليس من شك أن وسيلة التبليغ عن هذا الدين ينبغى أن تكون عالمية بدورها ، وإلا كنا مقصرين ، إن عالمية هذا الدين تحتم علينا أن نقيم إعلاما دوليا ، وأن نستفيد من وسائل الاتصال الدولية لنبلغ الرسالة ، ولنذود عنها كيد الصليبية والصهيونية وما خلفهما من عداوة شرسة .

إن عالمية الإسلام ، تحتم علينا أن نبنى نظاما إعلاميا إسلامياً دولياً قويا نظيفا بعيداً عن الخلافات السياسية والمذهبية والعرقية التى افسدت وأضرت وكانت معول هدم لأهل هذا الدين على مر التاريخ ..

واجبنا فى البداية :

أن نتجاوز الخلط فى المفهوم ، فإنه ينبغى أن يُحدد - بدقة - المراد من معنيين : أ - الإعلام الإسلامى . ب - والإعلام الدينى .

وحتى تتضح لنا معالم الطريق يجب أن ننظر إلى (وظائف الإعلام) قبل أن نطرح عليه (وصف) الإسلام ، أو الدين .

إن على الإعلام عامة أن يقدم : الخبر ، والثقافة ، والترفيه ومراقبة البيئة .. الخ .

وليس من شك أن واجب الإعلام الإسلامى أن يؤدى - داخل إطار أخلاقيات الإسلام والتزامه وأهدافه - كل وظائف الإعلام حتى الترفيه البرىء الذى لا يخدش حياء ، ولا يثير

غريزة ، ولا ينمى انحرافا ، ولايـدفع إلى جريمة ... الخ .

بينما « الإعلام الديني » - باختصـار - مختص بـ « المادة الدينية » ، والمادة الدينية قد تكون إسلامية ، أو لا تكون ، فهو إعلام يقدم عقيدة ما ، ومن الإجحاف أن نحمل « الإعلام الديني » في إطار الإسلام كل وظائف الإعلام الإسلامي .

ونحن إذا ارتضينا وجهة النظر هذه آمل أن تفسح أمامنا الطريق لتنظيم أدق ، وعمل أوفى .

ومن هنا نجد أن « محاضرة في حديث شريف » إعلام ديني بحت ، وهو إسلامي باعتبار مادته . بينما إذاعة (خبر) عن حدث سيق بصدق غير مغلف بتوجيه لإحداث أمر في توجيه الناس ، مع الأمانة التامة في النقل والشمول - هذا الخبر بتلك الكيفية إعلام إسلامي ، وليس إعلاما دينيا ، لأنه لم يشتمل على مادة دينية ، لذا نرى :

أن الإعلام الإسلامي أشمل من الإعلام الديني من جهة ارتباط كل بالإسلام ، ويكون الإعلام الديني أشمل حال النظر إلى شموله للعقائد جميعا .

وهذا يعني أننا ينبغي أن نفرق بين (الكيف) و (المادة) :

فحيث توفر في الإعلام الصفات الإسلامية المطلوبة ، والتي يجمعها قول الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾ الأنعام - ١٥٢ وتعني العدالة ماقدمنا من شمول العدل ومايقتضيه من صدق وموضوعية وحيدة - إذا توفر ذلك فالإعلام إسلامي ، ولو لم تكن المادة - أو (المحتوى) - دينيا .

وإذا كان المحتوى مادة دينية فالإعلام ديني .

فإذا كان المحتوى مادة دينية إسلامية فالإعلام ديني إسلامي .

وإليك هذا الشكل التوضيحي .. وإلى العدد القادم .

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

يسال محمود عبد الغنى من (سوهاج) عن حكم : من قدر على الحج فلم يحج .

جـ : عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا ، أو نصرانيا ، وذلك ان الله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ .

(رواه الترمذى والبيهقى)

وعن ابى امامة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو مرض حابس ، أو سلطان جائر ، ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » .

(رواه البيهقى)

وعن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « الإسلام ثمانية اسهم : الإسلام سهم ، والصلاة سهم ، والزكـاة سهم ، والصوم سهم . وحج البيت سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهى عن المنكر سهم ، والجهاد فى سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » .

(رواه البزار)

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « يقول الله عز وجل : إن عبدا صححت له جسمه ووسعت عليه فى المعيشة ، تمضى عليه خمسة اعوام لا يفد إلىَّ لمحروم » .

(رواه ابن حبان والبيهقى)

الحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر

وتسأل امتثال عبد الرحمن من (المحلة) عما إذا كان الحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر أم لا ؟

جـ : ظاهر الآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ أن الحج لا يجب إلا مرة واحدة فى العمر ، وهو رأى الجمهور إذ ليس فى الآية ما يوجب التكرار وقد أكد النبى ـ ﷺ ـ ذلك بقوله فى الحديث الذى رواه أبو هريرة قال : « خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا .. فقال رجل : كل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ : لو قلت : نعم ، لوجبت ولما

استطعتم ثم قال : ذَرُونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم فإذا امرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه » . (اخرجه البخارى ومسلم)

ورسول الله - ﷺ - لم يحج بعد فرض الحج إلا مرة واحدة ، وهى حجة الوداع . ولخبر مسلم « أحجنا هذا لعامنا أم للأبد ؟ قال : للأبد » .

شروط صحة الحج والعمرة

ويسال عبد التواب طه من « أبى صير » بمحافظة الجيزة عما إذا كانت هناك شروط تشترط لصحة الحج والعمرة ؟

جـ : يشترط لصحة الحج والعمرة : الإسلام ؛ فلا يصح من كافر أصلى ، أو مرتد ، لعدم أهليته للعبادة ، ويصح للولى أن يحرم عن الصغير ولو مميزا ، وعن المجنون قياسا على الصغير ، لخبر مسلم ، عن ابن عباس :

« أن النبى - ﷺ - لقى ركبا بالروحاء ، ففزعت امراة ، فاخذت بعضد صبى صغير ، فاخرجته من محفتها فقالت : يارسول الله ، هل لهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجر » .

ويشترط إلى جانب الإسلام التمييز : ولو من صغير أو رقيق كما فى سائر العبادات . وللمميز أن يحرم بإذن وليه من أب وغيره .

ويشترط لوقوعه عن فرض الإسلام مع ما تقدم : البلوغ والحرية ، ولو غير مستطيع ، فيجزىء ذلك من فقير تحقق فيه البلوغ والحرية ولا يجزىء من صغير ورقيق إن كملا بعده .

لحديث رسول الله - ﷺ - « أيما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة أخرى ، وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة أخرى » . رواه الطبرانى بسند صحيح .

حج الزوجة

تسال السيدة (م . م) من (المنزلة - دقهلية) عن حكم الإسلام فى منع الزوج زوجته من اداء فريضة الحج .

وهل يجوز للزوجة اداء الفريضة دون موافقة الزوج مع رفقة مأمونة ؟

جـ : إذا ملكت الزوجة مايكفيها لأداء فريضة الحج فائضا عن كل حاجاتها والتزاماتها وجب عليها الحج ، ومادام واجبا لا يجب أن تستأذن الزوج ، وإن كان مستحبا ، كما لا يجب أن يكون معها محرم ، بل تكفى الرفقة المأمونة ، ويحرم على الزوج أن يمنعها من ذلك ، كما يحرم عليه منعها من الصلاة والصوم والزكاة .

أما إذا ما كان معها من المال لا يكفيها فلا يجب عليها الحج لعدم الاستطاعة ، ولا يجب على الزوج ان يساعدها ؛ لأن حجها ليس من النفقات الواجبة عليه وبالتالى لا يجوز لها أن تحج بغير إذنه ، وله منعها من ذلك .

هذا فى الحج الواجب أما المندوب فلابد من إذن الزوج ، وله منعها ، ولو حجت بدون إذنه صح حجها وأثمت .

الفتـــاوى

الحج عن الغير

ويسال عبد اللطيف عبد رب النبى من (اسوان) عما إذا كان يمكنه ان يحج عن ابيه المقعد ؟ وكذلك يسال عبد الرحمن على من (الواحات) عن جواز حجه عن والدته المتوفاة ؟

جـ : الحج عن الغير يكون إما فى (ميت)، وإما فى (حى) عاجز عن مباشرة النسك بنفسه .

أما الميت : وهو الذى مات وعليه حجة الإسلام ، أو حجة كان قد نذرها ، فيجب الإحجاج عنه من تركته ، أوصى به أم لا ، لما روى ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : « اتى النبى - ﷺ - رجل فقال : إن ابى مات وعليه حجة الإسلام ، افأحج عنه ؟ قال : ارايت لو ان اباك ترك دينا عليه ، اقضيته عنه ؟ قال : نعم ، قال : فاحجج عن ابيك » .

رواه الدارقـطنى والنسائى وابن ماجه والشافعى .

ويشترط للإنابة عن الميت :

(ا) أن لا يكون الميت قد ارتد قبل موته .

(ب) أن يكون الحج والعمرة واجبين عليه ولو بالنذر .

وأما الحى : وهو الذى قدر على الحج ماليا وعجز عنه صحيا ، بسبب مرض مزمن لا يرجى البرء منه ، أو بسبب شيخوخة ، فيلزمه إحجاج غيره ، لأنه أيس من الحج بنفسه ، لما روى عن عبد الله بن عباس : « أن امراة من (خثعم) قالت : يارسول الله ، إن أبى أدركته فريضة الله فى الحج شيخا كبيرا ، لا يستطيع أن يستوى على ظهر بعيره . قال : فحجى عنه ». رواه البخارى ومسلم .

وإذا عوفى العاجز عن الحج واستطاع الحج عن نفسه بعد أن حج عنه غيره ، يجب عليه أن يحج بنفسه ، ولا يجزه حج غيره عنه .

ويشترط للإنابة عن الحى :

(ا) أن لا يستطيع الثبوت على المركوب .

(ب) أن يكون قد أيس من القدرة على ذلك .

(جـ) أن يكون بينه وبين مكة مرحلتان فأكثر (٨١ كم) .

(د) أن يكون ذلك بإذنه ؛ لأن الحج مفتقر إلى النية . وهو أهل للإذن .

وتجب النيابة بأحد أمرين :

١ - بأجرة فاضلة عن دينه ، وعن مسكنه اللائق به ، ولا يشترط كونها فاضلة عن مؤونة نفسه وعياله .

٢ - بوجود متبرع بحج ويشترط فيه :

(ا) أن يكون غير عاجز .

(ب) أن يكون موثوقا به .

(جـ) أن يكون ممن تصح عنه حجة الإسلام .

(د) أن يكون قد حج عن نفسه ، وأدى فريضة الإسلام ، لما رواه عبد الله بن عباس : « أن رسول الله - ﷺ - سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة ، فقال : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا . قال : فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » . (رواه ابو داود وابن ماجه)

الأستاذ الدكتور الشيخ الحسينى شحاتة

بقلم الدكتور
محمود عبد المتجلى خليفة

علم من اعلام الأزهر المعاصرين ، ودرة من رجاله النابهين ، اسهم فى الحركة العلمية بجهود عظيمة ، وخرَّج اجيالاً عديدة على مدى سنوات طويلة تلك الأجيال التى (خرجها الأزهر) ، وحملت مشاعل الإسلام إلى القاصى والدانى .

ذلك العالم الجليل هو فضيلة الشيخ محمد محمد مصطفى شحاتة وشهرته « الشيخ الحسينى شحاتة » ، الذى اشتهر بالعلم الوفير والعمل الدعوب والنشاط الملموس والحيوية المتدفقة .

تشهد له بذلك مؤلفاته الفقهية التى استفاد منها ابناؤه ، وتاثر بها محبوه وعارفو فضله .

مولده ونشاته

ولد الشيخ الحسينى فى قرية بصعيد مصر تسمى (تانوف) مركز (دير مواس) محافظة المنيا فى الثامن من شهر مارس سنة سبع وتسعمائة وألف من الميلاد .

ثم حفظ القرآن الكريم فى صباه بقريته فى كُتَّابها على عادة القرى المصرية التى تنتشر فيها الكتاتيب ، وكل راغب فى الخير يلحق أبناءه بها ليجيدوا حفظ القرآن الكريم ويتقنوا تلاوته ، حتى يكون ركيزة أساسية فى حياتهم التعليمية فيما بعد يقوم السنتهم ويجعلهم يتذوقون حلاوة اللغة العربية ويحسون روعتها وينشأون على حبها منذ نعومة أظفارهم .

تعليمه الابتدائى والثانوى والعالى

بعد أن أتقن حفظ القرآن الكريم وبلغ الثانية عشرة من عمره التحق بالمعهد الابتدائى (الاعدادى حالياً) الذى انشأه آل قرشى فى مطلع القرن العشرين بمدينة ديروط محافظة أسيوط حتى حصل منه على الشهادة الابتدائية سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف .

وبعد أن اتم دراسته فيه التحق بالمعهد الثانوى بمدينة أسيوط حيث حصل على الشهادة

(*) الكاتب عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

الشيخ الحسينى شحاتة

الثانوية بتفوق سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف .

ثم التحق بعد ذلك بالقسم العالى بالأزهر الشريف حيث لم تكن الكليات الأزهرية موجودة فى ذلك الوقت ، وإنما أنشئت سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف .

مما جعل شيخنا يدرك جزءاً من تعليمه فيها بعد إنشائها إذ تخرج حاصلاً على الشهادة العالمية سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف منسوباً تخرجه إلى كلية الشريعة .
وكان نظام التعليم العالى قبل إنشاء الكليات الثلاث (الشريعة وأصول الدين واللغة العربية) تابعاً للجامع الأزهر يتلقى فيه الطلاب دروسهم داخل الجامع الأزهر بدون تخصص ، فالطالب يدرس فيه سائر العلوم الدينية والعربية من تفسير وحديث وفقه وأصوله وتوحيد ونحو وصرف وبلاغة وأدب وغيرها من العلوم الأخرى .

ولما أنشئت الكليات كان طلاب القسم العالى مخيرين بين البقاء على نظامهم فى التحصيل أو التحول إلى إحدى الكليات التى يرغبونها .

ففضل شيخنا تكملة تعليمه فى كليـة الشريعة ..

ثم حصل بعد ذلك على شهادة العالمية من درجة أستاذ « الدكتوراه » فى الفقه الإسلامى « النكاح وما يتعلق به » ، وذلك فى عام اثنين وستين وتسعمائة وألف .

التدرج الوظيفى

عين الشيخ مدرساً بمعهد الزقازيق الدينى بعد تخرجه ..

وبعد حصوله على الدكتوراه من كلية الشريعة عين مدرساً فيها ـ سنة اثنتين وستين .
ثم أستاذاً مساعداً سنة أربع وستين .
ثم أستاذاً سنة ست وستين .

ثم عين رئيساً لقسم الفقه الإسلامى بكلية الشريعة والقانون سنة سبع وستين ، ثم عين عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية سنة تسع وستين وتسعمائة ألف ..

كما اختير عضواً بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا سنة إحدى وسبعين ..
كما عين عضواً بلجنة الفتوى بالأزهر سنة اثنتين وسبعين ، وكان تمكنه من الفقه ذا أثر فيما يصدره من فتاوى .

وفى السابع من مارس سنة ألف وتسعمائة واثنتين وسبعين أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية .

ولكن نشاطه لم يتوقف عند هذه السن كما لم يتوقف شغله لمناصب عدة ، ففى نفس هذا العام عين أستاذاً متفرغاً بكلية الشريعة والقانون .

أما اختياره عضواً بمجمع البحوث الإسلامية فكان ذلك سنة أربع وسبعين بقرار جمهورى صدر بتعيينه فى هذا المنصب ضمن بقية الأعضاء من الزملاء الأفاضل ، فكان ممن حظى بشرف عضوية مجمع البحوث الإسلامية الذى أنشىء عام واحد وستين وتسعمائة وألف بمقتضى قانون تطوير الأزهر رقم ثلاثة ومائة لعام واحد وستين .

وحل هذا المجمع محل هيئة جماعة كبار العلماء بالأزهر التى كانت قائمة بمقتضى قوانين سابقة ، وكانت تعتبر أكبر هيئة علمية يرجع إليها فى كل مايجد من أحداث .

وفى عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف عين مشرفاً عاماً لشئون الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر .

وهذه الجهة هى التى تتولى الإشراف على الدراسة والامتحانات فى العلوم الدينية والعربية لطلاب الكليات العملية فى جامعة الأزهر ، وهى كليات الطب والصيدلة والعلوم والزراعة والتجارة وغيرها ، لتزود طلاب هذه الكليات بمقدار طيب من الثقافة الدينية حتى يستفيدوا به فى حياتهم بعد تخرجهم ويفهموا الكثير عن دينهم لأنهم منسوبون للأزهر .

كما عين عضواً بلجنة البحوث الفقهية سنة خمس وسبعين .

ثم عين عضواً بلجنة تقنين الشريعة الإسلامية بمجلس الشعب سنة ستة وسبعين .

وعين عضواً بمركز الدراسات الإسلامية بجزر المالديف سنة ثمانين .

ثم عين عضواً بالمجلس الأعلى للأزهر سنة إحدى وثمانين .

ثم عين عضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة اثنتين وثمانين .

وأخيراً عين عضواً بالمعهد العالمى للفكر الإسلامى بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف من ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ .

إنتـاجه العلمى

من آثار علمه الغزير تلك الكتب التى تدل على طول باعه فى الفقه الإسلامى وتمكنه منه وهاهى تلك الكتب :

١ ـ الموجز فى فقه العبادات .
٢ ـ أحكام العقود فى الشريعة الإسلامية .
٣ ـ فى ظلال الشريعة الإسلامية .
٤ ـ المواريث .
٥ ـ الأحوال الشخصية فى الزواج والطلاق .
٦ ـ أحكام الجهاد .
٧ ـ العلاقات الدولية فى الفقه الإسلامى .
٨ ـ الأحوال الشخصية فى حقوق الأولاد والنفقة .
٩ ـ الأزهر فى ألف عام .
١٠ ـ الأحوال الشخصية فى الولاية والوصية والوقف .

ويحسن أن أنقل بعض مقتطفات من مقدمة هذا الكتاب الأخير؛ لأن فيها ما يشعر باستعداده للقاء رب كريم .

قال ـ رحمة الله عليه : نحمدك يامن تنزهت عن الفناء ، ونعترف بأنك حقيق بالثناء ، وأن الموت حق على جميع عبادك ، فأنت المتفرد بالبقاء ، ولقد تفضلت على الأسرة البشرية بنظام جليل وقانون دقيق هو قانون التوارث بين أفراد العائلة ، وأرشدتنا الحياة الاجتماعية إلى أن هذا النظام لازم لحفظ كيان الأسرة وضمان مجدها وتدعيم بنيانها ، ولا يستقيم هذا المجتمع الصغير إلا برياسة لها سلطان كامل على النفس والمال

الشيخ الحسينى شحاتة

يسميها الفقه الإسلامى بالولاية وما يتصل بها من تشريعات .

فإن العلوم الدينية هى التى نظمت جماعة الإنسان وكانت سبب سعادته ورقيه ، إذ ربطت الصلات بين العبد وربه ، وبينه وبين نفسه ، وبينه وبين غيره .

من مظاهر التقدير

من مظاهر التقدير التى حظى بها الراحل الكريم أن منحه السيد رئيس الجمهورية السابق المرحوم محمد أنور السادات وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

وذلك خلال الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر على ثلاثة وسبعين وتسعمائة وألف .

وخلال رحلة العمر الطويلة قام الأستاذ الفاضل بالإشراف والمناقشة لما يزيد على مائتى رسالة للماچستير والدكتوراه .

وأخيراً وبعد حياة حافلة بالعلم وجهاد طويل فى سبيل نشره فى العالم الإسلامى .

طويت صفحة ذلك العالم الجليل من دار الغرور إلى دار الخلود وانطفأ المشعل الذى استضاءت بنوره أجيال ، وسقطت راية الجهاد من يده يوم الجمعة لحادى عشر من شهر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة الموافق السادس والعشرين من شهر أبريل سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية بعد جهاد دام قرابة ستين عاماً .

وصلى عليه آلاف المسلمين فى الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة ثم نقل إلى مثواه الأخير بمدافن العائلة بالقاهرة .

طيب الله ثراه ، وسقى جسده الطاهر شآبيب رحمته وتقبله بأحسن قبول وأحله الفردوس الأعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

الشعر والشعراء

إشراف: رشاد محمد يوسف

في الفخر

قطرات من الندم والاستغفار

مراقي السمو

ديوان أفنون التغلبي

فى الفخر

من قصيدة طويلة

للشريف الرضى

لغير العلا منى القلى والتجنب ... ولولا العلا ماكنت فى الحب ارغب
إذا الله لم يعذرك فيما ترومه ... فما الناس إلا عاذل ومؤنب
ملكت بحلمى فرصة ما استرقها ... من الدهر مفتول الذراعين اغلب
فإن تك سنى ما تطاول باعها ... فلى من وراء المجد قلب مذرب
فحسبى انى فى الأعادى مبغض ... وانى إلى غر المعالى محبب
وللحلم اوقات ، وللجهل مثلها ... ولكن ايامى إلى الحلم اقرب
يصول علىّ الجاهلون ، واعتلى ... ويعجم فىّ القائلون ، واعرب
يرون احتمالى غصة ، ويزيدهم ... لواعج ضغن اننى لست اغضب
واعرض عن كاس النديم كانها ... وميض غمام غائر المزن خُلّبُ
ولا اعرف الفحشاء إلا بوصفها ... ولا انطق العوراء والقلب مغضب
تحلم عن كر القوارص شيمتى ... كان معيد الذم بالمدح مطنب
لسانى حصاة يقرع الجهل بالحجا ... إذا نال منى العاضة المتوثب
ولست براض ان تمس عزائمى ... فضالات ما يعطى الزمان ويسلب
غرائب آداب حبانى بحفظها ... زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب

الشاعر : هو أشعر شعراء بنى هاشم ونقيب أشراف بغداد ، توفى سنة ٤٠٦ هـ ، وهو أستاذ الشاعر الكبير مهيار الديلمى الذى أسلم على يديه وتشيع بمذهبه وله شعر رقيق فى الغزل والمديح ، ومن عذب شعره الأبيات المشهورة :

ياظبية البان ترعى فى خمائله ... ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلا مدمعى الباكى

القصيدة : الأبيات من قصيدة يمدح بها أهل البيت إذ كان متشيعا شديد الغلو فى تشيعه ، والأبيات تعبر بوضوح عن أخلاقياته وطموحه إلى المعالى وحلمه وطول تحمله وكيف أن ذلك يجعله مبغضا فى الأعادى ومحببا إلى غر المعالى ، ويتحدث عن بعده عن الدنايا وإعراضه عن الكأس والنديم . وعدم معرفته الفحشاء إلا بوصفها فقط وليس بممارستها ، وهو كريم بطبعه وشيمته لايقابل تكرار الذم إلا بالحلم حتى أن مكرر ذمه ينقلب إلى مدحه ، وكذلك يعتز بأن فضالات الحياة ولذائذها لا تثنيه عن معالى الأمور ويقول : إن هذه الآداب علمه إياها الزمان وهو نعم المعلم والمؤدب .

قطرات من الندم والاستغفار

لأبي نواس

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لاشريك لك
ماخاب عبد أملك ... انت له حيث سلك
لولاك يارب هلك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك
كل نبي وملك ... وكل من أهلّ لك
وكل عبد سألك ... سبح ، أولبَّى فلك
لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك ... والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك
يا خاطئا ما أغفلك ... اعمل وبادر أجلك
واختم بخير عملك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك

الشاعر : هو أبو نواس الحسن بن هانىء من مشاهير الشعراء فى الأدب العربى ، ولد فى الأهواز بفارس سنة ١٤٥ هـ ، ثم انتقل به أبواه إلى البصرة ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ـ وكان حيثما حل ولوعا بحضور مجالس الأدب واللغة ومخالطة فصحاء العرب ، فكان يعى ويحفظ ما يسمع حتى صار من نوابغ الأدب والشعر ، كما أصاب جانبا من ثقافات عصره:إسلامية وعربية وأجنبية ، رحل إلى الشام ومصر ومدح الملوك والوزراء والولاة ، وفى عصره بدأ يزهر كل ما استنبت من غروس الحضارة بخيرها وشرها وجدها وهزلها بيقينها وشكها ، وكان أبو نواس بحكم نشأته ومزاجه وبنيته الدقيقة أميل إلى اللهو فتغنى فى شعره بكل تيارات عصره ولاسيما تياراته اللاهية ، وتطرف فى اللهو والخمر والمجون ، ولما كانت النفس الإنسانية لا تطيق الاستمرار فى لذائذها المادية ، فإن شاعرنا كان يستشعر الندم على إفراطه فى المجون فيعود إلى التوبة والاستقامة ولاسيما فى شيخوخته ، فقد أكثر من النظم فى الزهد وزجر النفس عن المعاصى والتوبة إلى الله،وله فى ذلك عشرات القصائد ، ولعلنا لا نجد شاعرا صاغ تلبية الحجيج غير أبى نواس،ونحن نقتبس من هذه الأشعار قطرات من التوبة ودموع ندم وحبات استغفار وقربى إلى الله والله هو الغفور الرحيم .

مراقى السمو

للأستاذ

محمد عبد الرحمن صان الدين

رقق بذكرك يالطيف مشاعرى   واجعل جلالك ماثلا فى خاطرى
بدد بنور سناك ظلمة طينتى   الق السكينة فى فؤادى الهادر
لأكون من زيف الضلال محصنا   لاتُزهَينَّ رؤى الحياة لناظرى
إن الطريق إلى رحابك زاخر   بحبائل منصوبة ومخاطر
ومواطىء الاقدام غشَّاها الركا   م من الضباب فلا تبين لسائر
هى خطرة ، هى لمحة ، مابين   منزلق ومنجى للضرير العابر

** **

اواه من ثقل التراب وقيده   اواه من حكم الحياة القاهر
افكلما رمت النهوض إلى العلا   وبسطت من صفوى جناحى طائر
الفيتنى برغاب نفسى موقرا   يهوى تراب الأرض جل عناصرى

** **

ياخالقى مما أردت لحكمة   ياعالما بحقيقتى وسرائرى
ماقوتى ماحيلتى وتهافت   الصلصال يضرب فى كيانى الخائر
لكن بروح منك يانور الوجو   د امد فى لجج الفتون معابرى
واشق فى وعر الحياة مسالكى   واجوب آفاق الضياء الباهر
وبها اقيم النفس فى نهج الهدى   واردها عن كل نهج جائر

** **

رباه إنى حائر متغرب   ابغى النجاة من الفتون الغامر
وافر من عيش تكدر ورده   يارب خذ بيد الغريب الحائر

ديوان أفنون التغلبي

جمع وتحقيق/الأستاذ
أيمن محمد ميدان

ترجمتـــه :

قال ابو عمرو فى اشعار تغلب .... : صُرَيم بن مَعْشَر بن ذُهْل بن تَيْم بن عمرو ابن مالك بن حُبَيْب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلَب بن وائل[1] وافنون شاعر جاهلى يروى بضم الهمزة وفتحها [2] وقيل : لُقِّبَ بافنون لأنّه « كان يُشَبِّبُ بنساء قومه ، فقالت امرأة منهن : لأُسَمِّيَنَّ نفسى وابنتى اسما لا يُشَبِّبُ به صُرَيْم . قال : فسمت بنتا لها مَضْنُونَة ، فقال صُرَيْم عند ذلك ليريَها ان ذلك لا ينفعها :

منيتنـا الـود يـامضنـون مضنونا
زماننا إن للشبان أُفْنُونا

قال : فسمى افنونا بهذا البيت .. [3]

واضاف « أبوعمرو الشيبانى » قائلاً :

افنـون لَقَبٌ لُقِّبَ بـه لقـولـه من قطعة : [4] ... البيت .

واخطأ الآمدى فسماه « ظالم بن معشر وهو أفنون التغلبى من شعراء بنى تغلب المشهورين ، وهو القائل :

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى
إذا هو لم يجعل له الله واقيا[5]

وأخطأ أيضاً البحترى فى (حماسته) عندما اسماه « أفنون بن صُرَيْم .... [6] وقال أفنون عندما قتل عمرو بن كلثوم ، عمرو بن هند :

لعمرك ماعمرو بن هند وقد دعا
لتخدم ليلى أمّه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا
وأمسك من ندمانه بالمخنق [7]

ويروى أن كاهنا فى الجاهلية التقى بأفنون التغلبى فقال له : إنك تموت بِثَنِيَّةٍ يُقَالُ لها : إلاهة ، وأنّه خرج مع ركب فَضَلُّوا الطريق فى ليلهم ، وأصبحوا بمكان ، فسألوا عنه . فقالوا : هذه إلاهة ، فنزلوا ولم ينزل أفنون وخلىَّ ناقته ترعى .

---

(١) شرح ابيات مغنى "اللبيب ١/٢٥٢ ـ ٢٥٤ .
(٢) السابق ١/٢٥٣ .
(٣) نقائض جرير والفرزدق ٨٨٦ .
(٤) شرح ابيات مغنى اللبيب ١/٢٥٣ .
(٥) المؤتلف والمختلف ١٥١ .
(٦) الحماسة للبحترى ١٦٣ .
(٧) نقائض جرير والفرزدق ٨٨٦ .

أفنـــون التغلـــبى

فعلقت مِشْفَرَها أفعى ، فأمالت الناقة رأسها نحو ساقه ، فاحتكت بها فنهشته الأفعى فرمى بنفسه ... ومات من ساعته » [1] .

فلننظر إليه وهو يعبر من خلال نغمات قيثارته الحزينة عن آخر لحظات عمره تعبيراً يفيض إحساساً بالألم فادحاً ، حاول التعالى عليه بالحكمة ، شأنه شأن العقلاء من بنى البشر . ولكن صوت الألم كان أعلى من أن يخففه تَسَلٍّ بالحكمة ، أو تعلل بقدر !

فجاءت القصيدة ـ والبيت الأخير منها بصفة خاصة ـ صرخةَ غريب كُتِبَ عليه أن يلقى حتفه مسموماً ، بعيداً عن مضارب خيام أهله وعشيرته وتحققاً لنبوءة كاهن ظلت تطارد هواجِسُها مخيلتَه ردحا من الدهر .

فقال :

الا لَسْتُ فى شَئٍ فَروحا مُعَاوِيَا
ولا المُشْفِقَاتُ إِذْ تَبِعْنَ الحَوازِيا

كَفَىٰ حُزْنَا أنْ يَرْحَلَ الحَىُّ غُدْوَةً
وَأُترك فى أعلىٰ ألاِهَةَ ثَاوِيَا [2]

(١)
شِــعــره

قال أفنون : — السريع —

يَاأَيُّهَا المُزْمِعُ وَشْـكَ النَّوَىٰ
لا يُثْنِكَ الحَازِى وَلا الشَّاحِجُ [1]

وَلا وعولٌ نَجَشَتْ كدَّسا
خَارِجُهَا مِنْ غَمْرَةٍ وَالِجُ [2]

كُـلٌّ لَهُ دَاعٍ إلى وَقْتِـهِ
لَيْسَ لنفسٍ عَنْ رَدَىً خَالِجُ [3]

فَاقْصِدْ لأقْصَىٰ هِمَّةٍ تِضْوَهَا
قَدْ يُدْرِكُ المَشْبُوبَةَ الحَادِجُ [4]

(٢)

وقال أفنون التغلبى : — الطويل —

لَعَمْرُكَ ماعَمْرو بْنُ هِنْدٍ وَقَدْ دَعَا
لِتَخْـدِمَ لَيْلَى أُمَّـهُ بِموفَّقِ [1]

---

(١) الشعر والشعراء ١/٤١٩ .

(٢) السابق ١/٤١٩ .

حماسة البحترى ص ١٦٣ .

(١) المزمع : المتأهب . النوى : البعد . يثنى : يصرف . الحازى : زاجر الطير . الشاحج : ألغراب الذى ينعق بصوت خشن غليظ .

(٢) الوعول : واحدها وعل ، ويقول ابن فارس : الوعل هو ذكر الأروى ، وهو الشاة الجبلية . نجشت : صرخت . كدس : واحدها كادس وهو الذى يجىء من الخلف ، والعرب تتشاءم به ، ويسمى القعيد . غمرة : الجماعة من الظباء والوعول .

(٣) داعٍ : منادٍ . ردى : هلاك . خالج : منتزع .

(٤) اقصى : أبعد . همة : اول العزم وقد تطلق على العزم القوى . المشبوبة : النار المرئية عن بعد ، أو الفرس الشديدة العدو . الحادج : الذى يمشى على هونٍ وضعف .

نقائض جرير والفرزدق ص ٨٨٦ .

قال أفنون التغلبى أبياته عندما فتك عمرو بن كلثوم بعمرو ابن هند أمير الحيرة فى عقر بيته .. فى حديث طويل . انظر النقائض ٨٨٤ ومابعدها .

(١) عمرو بن هند : أمير الحيرة الذى قتله عمرو بن كلثوم فى عقر داره . وليلى ابنة مهلهل وأم عمرو بن كلثوم .. حيكت حول مولدها الأساطير انظر فى ذلك الأغانى ٩/١٨١ ـ ١٨٢ ، وثمار القلوب ١٢٩ ـ ١٣٠ .

ورد البيت برواية النقائض فى : الحيوان ٣/١٣٥ منسوبا لجابر بن حنى التغلبى ، وفى كل من : ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ ، والكامل لابن الأثير ١/٥٤٩ ، والأغانى ١١/٥٥ وجاء منسوبا فيها إلى أفنون التغلبى .

وبرواية ثانية في : الشعر والشعراء ١/٤١٩ منسوبا لأفنون :

ـــــــ إذا دعا   لتخدمَ امى امَّه بموفق

فقامَ ابْنُ كُلْثومٍ إلى السَّيْفِ مُصْلَتا
فَأمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمُخَنَّقِ (٢)
وَجَلَّلَهُ عمرو على الرَّأْسِ ضَرْبَةً
بِذِي شُطَبٍ صافِى الْحَدِيدَةِ رَوْنَقِ (٣)

وقال أفنون التغلبى : (٣) — البسيط —
مَنَّيْتِنا الودَّ يامَضْنُونُ مَضْنُونا
زَمانَنا إنَّ لِلشُّبَّانِ أُفْنونَا

وقال أفنون : (٤) — البسيط —
ابلغْ حُبَيْبًا وَخَلِّلْ فى سَراتِهِمُ
أنَّ الفُؤادَ انْطَوَى مِنْهُمْ على حَزَنِ (١)

قَدْ كنتُ أسْبَقَ مَنْ جَارُوا على مَهَلٍ
مِنْ وُلْدِ آدمَ مَا لَمْ يَخْلَعُوا رَسَنِى (٢)

---

(٢) أصلت السيف : جرده من غمده . والندمان : رفيق الشراب . والمخنق : موضع حبل الخنق من العنق .

ورد البيت برواية النقائض فى : الاغانى ١١/٥٥ منسوباً لأفنون ، وبرواية ثانية فى الكامل لابن الأثير منسوباً لأفنون :

———— فأمسك من ندمائه بالمخنق

وبرواية ثالثة فى الحيوان ٣/١٣٥ لجابر بن حنى

———— مُغضباً ————

(٣) شُطَبُ السيف : طرائقه فى متنه من شدة بريقه ، والواحدة شطبة . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه .

ورد البيت برواية النقائض فى الأغانى ١١/٥٥ . وبرواية ثانية فى الحيوان ٣/١٣٥ .

وعممه عَمْدًا ———— مُخْفِقُ

والمخفق من السيوف العريض ..

وبرواية ثالثة فى ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٠٥ منسوباً لرجل يرثى حنيا التغلبى :

فَعَمَّمَهُ ———— مُخْفِقُ

وعممه : ضربه بالسيف فى موضع العمامة من الراس .

مناسبته : يروى أن أفنون « كان يشبب بنساء قومه ، فقالت امرأة منهن الأسمين نفسى وابنتى اسماً لا يشبب به صُرَيْم . قال : فسمت بنتا لها « مضنونة » . فقال صُرَيْم عند ذلك ليريها أن ذلك لا ينفعها ... البيت » . النقائض ٨٨٧ .

ويروى عن أبى عمرو الشيبانى : « أن أفنون لقب به لقوله من قطعة .. البيت » ، فى شرح أبيات مغنى اللبيب ١/٢٥٣ . ومن هاتين الروايتين يتأكد لدينا أن شعراً كثيراً لأفنون ضاع ولم يصلنا ، فلم يرد فى شعره الذى جمعناه شىء يؤكد ولعه بمغازلة النساء . ولم نعثر على أبيات أخرى تنتمى لقصيدة البيت التى أشار إليها أبوعمرو الشيبانى .

تخريج البيت : ورد البيت بروايته السابقة فى : الاشتقاق ص ٢٠٣ منسوباً لأفنون والجمهرة ١/١١٨ منسوباً أيضاً له ، وفى الشعر والشعراء ١/٤١٩ ، وفى شرح المفضليات للأنبارى ٥٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٠ ، ونقائض جرير والفرزدق ٨٨٦ ، وفى شرح أبيات مغنى اللبيب ١/٢٥٣ ، وفى « خزانة الأدب » ٤/٤٦٠ .

(١) حبيب : بالتصغير : قبيلة أفنون وهو حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . خلل : أى اجعل بلاغك يتخللهم ، وينتشر بينهم . سراتهم : الواحد سَرِىّ ، وهم خيارهم وصدورهم . « يريد : عرفهم أن القلب انطوى من أجلهم على ضغن وحُزْن » التبريزى شرحه للمفضليات . وفى الخزانة ٤/٤٥٦ « يريد : انه قد تألم منهم لما طلب منهم أباعر فتخيبوا أمله منهم ، ولم يتحملوا عنه ديات من قتلهم » .

ورد البيت السابق فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرح المفضليات للأنبارى ٥٢٤ والنوادر لأبى زيد ١٢٠ ، وخزانة الأدب ٤/٤٥٦ .

وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ٦٢٣ .

ابلِغْ حُيَيًّا ———— ————

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

بَلِّغْ حُيَيًّا ———— ————

وبرواية رابعة فى اللسان (خلل)

ابلِغْ كُلابا ———— ————

كلاب : قبيلة عربية عريقة : انظر جمهرة أنساب العرب

وبرواية خامسة فى شعراء النصرانية ١/١٩٣

بَلِّغ حُبَيْبًا ———— ————

(٢) ولد آدم : أى من الناس كلهم . مالم يخلعوا رسنى : أى ماكنت فى حبالهم ؛ أى كنت أسبق من فاخرهم وفاخروه ، ومن طلب مغالبتهم مالم يهملونى ويتخلوا عنى . وجعل خلع الرسن مثلا كأنهم تبرءوا منه لكثرة جزائره .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها ، للأنبارى ٥٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٣ ، وخزانة الأدب ٤/٤٥٥ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٣ .

أفنـــون التغلـــبى

فَـالُـوا عَـلىَّ ولَمْ أمْلِـكْ فَيـالَتَهُمْ حتى انْتَحَيْتُ على الأرْسَاغِ والثُّنَنِ(٣)

لوْ أننى كنت من عادٍ ومن إرَمٍ رُبِّيتُ فيهم ولقمانٍ ومن جَدَنِ(٤)

---

(٣) فالوا على : أخطأوا علىّ فى رأيهم . انتحيت : اعتمدت . الأرساغ : جميع رُسغ . الثنن : جمع ثنه ، بضم الثاء وتشديد النون وهى الشعر فى مآخير الحوافر . فيالتهم : قولتهم المسرفة . يعلق التبريزى على البيت قائلاً : « أخذوا يظنون بى الظن السيىء ويتحينون علىّ فيما كانوا يعتقدون فىّ حتى تجاوزوا كلّ حدّ وطرحو كل اطراح ، فحظى منهم الأخسّ ، ومكانى الأبعد » . ويضيف البغدادى فى خزانته « .. ضربهما مثلاً لأسافل الناس . يريد أنهم لما أخطأوا فى أمرى وأصروا قصدت أراذل الناس ... » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٤ ، وخزانة الأدب ٤/٤٥٥ ، وأشار إلى رواية « اللسان » ، « القُنَن » .

وورد برواية ثانية فى شعراء النصرانية ١٩٣/١ .

———— فِيَالَتَهُمْ ————

بكسر الفاء .

(٤) عاد : اسم رجل من العرب البائدة ، وبه سميت القبيلة قوم هود . ربيت : نشأت وكبرت بينهم . لقمان : صاحب النسور المشهور . جدن : من أقيال اليمن . ويعلق التبريزى فى شرحه للمفضليات على هذا البيت قائلاً : « ... لو لم أكن من العرب ، ولم يجمعنى وإياهم نسب ، بل كنت من الأمم الذين بادوا ، وكنت راعياً يعاهد البهم ، ويغتذى منها ، ويعيش معها ، فلا حشمة له ولا حرمة لما فدوا بأخيهم .. » .

ورد بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٥ ، وبرواية ثانية فى : شرح المفضـليات للتبريزى ٦٢٤ .

———— رُبيتُ ————

وأشار أيضاً إلى رواية ثالثة :

———— ومن إرم غَذِىَّ بَهْمٍ ————

غذى بهم : أى راعى مواشى .

وبرواية رابعة فى « مجالس العلماء للزجاجى » ٣٢

———— غَذِىَّ سَخْلٍ ولقماناً وذاجَدَنِ

السخلة : تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد والجمع سِخَال ، وتجمع أيضاً على « سَخْل » .

وبرواية خامسة فى « معجم البلدان » لياقوت ٧٥٣/٣ .

———— غُذِّيتُ بِهِم ———— وذى جدن

وبرواية سادسة فى « شعراء النصرانية » ١٦٢/١ .

———— ———— ومن لقمان أوجدن ====

العلوم الكونية

علم الصوتيات

التأصيل الإسلامي لعلم الإنسان

الجديد في العلم والتقنية

العلوم الكونية فى التراث الإسلامى

علم الصوتيات

د. أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

علم الصوتيات من العلوم الكونية التى شهدت تطوراً هائلا فى العصر الحاضر ، وتدين بنشاتها وإرساء اصولها المنهجية والمعرفية السليمة لعلماء المسلمين الأوائل فى عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة . ويعنى علم الصوتيات بدراسة الصوت والظواهر الصوتية بمختلف تطبيقاتها فى نواحٍ عديدة من حياة الإنسان تشمل مجالات الطب والهندسة والاتصالات والحاسبات والفضاء والموسيقى والبحث العلمى وغيرها .

وإن تأكيد الدور الإسلامى فى تأسيس تلك العلوم الحضارية بالبرهان القاطع والحجة الواضحة من شأنه أن يسهم فى تصحيح تاريخ العلم والحضارة بعد أن عبث به العابثون ، وأن يعيد لشباب الأمة الإسلامية الثقة فى نفسه ، وفى عقيدته ، بعد أن حاولت قوى كثيرة طمس معالمها وإخماد جذوتها وإطفاء نورها . لقد أدى تجاهل مآثر أسلافنا فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية إلى فصل المسلمين المعاصرين عن ماضيهم العريق ، وتعميتهم عن تراثهم الثمين ، وتعميق الشعور لديهم بالنقص والعجز وعدم القدرة على استيعاب مقومات التقدم والرقى ، فلا يكاد الدارس فى أى تخصص علمى ، يجد أثراً لعالم مسلم ، لأن غالبية الكتب التى يدرسها تزدان فقط بأسماء علماء الغرب القدامى والمحدثين ، من أمثال أرسطو وأرشميدس وفيثاغورس ونيوتن وأينشتين وغيرهم ، وتغفل ـ عن قصد أو جهل ـ عشرة قرون أو تزيد ، حمل فيها المسلمون وحدهم لواء المعرفة فى كل مجال ، وأرسوا قواعد النهضة العلمية المعاصرة .

علم الصوتيات فى التراث الإسلامى :

لم نعرف شيئا ذا قيمة علمية عن اهتمام أهل الحضارات القديمة بدراسة ظاهرة الصوت ، اللهم إلا فيما يتعلق ببعض أنواع الغناء والعزف (الموسيقى) . ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نبدأ الحديث عن نظرية الصوت والظواهر الصوتية إلا من حيث بدأ علماء الحضارة الإسلامية فى تناولها بالبحث والتحليل على أسس منهجية سليمة . فقد أجمعوا من حيث المبدأ على أن هناك شيئين ضروريين لانبعاث الصوت وانتشاره . أما الشىء الأول فلا بد من وجود جسم يهتز لإحداث موجات الصوت التضاغطية ، على نحو مانجد فى وتر العود أو الكمان ، أو فى الأوتار الصوتية عند الإنسان . وأما الشىء الثانى فلا بد من وجود وسط مادى ، كالهواء أو الماء ، تنتقل خلاله هذه الموجات الصوتية إلى أن تصل إلى الأذن ويحدث الإحساس بالسمع . فوتر العود ، مثلا ، لا نسمع له صوتا إذا اهتز فى الفراغ لأن التموجات الصوتية لا تجد الوسط الذى تنتقل خلاله إلينا . ونحن نعلم اليوم أن القمر ليس له غلاف هوائى مثل الأرض ، ولهذا فإن رواد الفضاء على سطحه يتبادلون الحديث بواسطة الراديو (اللاسلكى) ، حيث يمكن للضوء وموجات الراديو - وليس موجات الصوت - أن تنتقل خلال الفراغ . والتجربة البسيطة التى يجريها الطلاب فى المعمل للتأكد من صحة هذه الحقيقة العلمية يضعون فيها ناقوساً زجاجيا فوق ساعة « منبه » به جرس يدق ، ويستخدمون مضخة هوائية لتفريغ مايمكن إفراغه من هواء الناقوس ، ثم يسمحون بدخول الهواء تحت الناقوس مرة أخرى ، فيلاحظون أن صوت دقات الجرس يخفت رويدا رويداً أثناء تفريغ الناقوس من الهواء ، ثم يشتد الصوت عندما يدخل الهواء فى الناقوس .

كذلك أجمع علماء المسلمين على تفسير جيد لحدوث « الصدى » نتيجة لانعكاس الموجات الصوتية عندما يعترض مسارها عائق ، فتحدث فى ارتدادها رجعاً يشبه الصوت الأصلى .

ومن أوضح النصوص التى وردت فى تراثنا الإسلامى عن طبيعة الصوت والصدى ما ذكره بهمنيار بن المرزبان فى كتابه « تحصيل بهمنيار » ، حيث قال : « والصوت أمر يحدث من تموج الجسم السيال الرطب كالهواء والماء بين جسمين متصاكين متقاومين . وأما الصدى فإنه يحدث من تموج يوجبه هذا التموج ، فإن هذا التموج إذا قاومه شىء من الأشياء كجبل أو جدار حتى دفعه لزم أن ينضغط أيضا بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحائط أو الجبل وبين مايقرعه هواء آخر يرده ذلك ويصرفه إلى خلف بانضغاطه ، ويكون شكله شكل الأول وعلى هيئته ... ويجوز أن يكون لكل صوت صدى ولكن لا يسمع كما أن لكل ضوء عكساً .. والسبب فى ألا يسمع الصدى فى البيوت أن المسافة إذا كانت قريبة من المصدر وعاكس الصوت سمعا معاً فى زمان واحد أو قريب من واحد »[1] .

ويؤكد الجلدكى فى كتابه « أسرار الميزان » أن « التموج الذى يحدث الصوت ليس المراد منه حركة انتقالية من ماء أو هواء واحد بعينه ، بل

(١) د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٨٩ .

علم الصوتيات

هو أمر يحدث بصدم بعد صدم ، وسكون بعد سكون ... والصدى يحدث عن انعكاس الهواء المتموج (بنفس شكله وهيئته) من مصادمة عال كجبل أو حائط ، ويجوز الا يقع الشعور بالانعكاس لقرب المسافة فلا يحس بتفاوت زمانى الصوت وعكسه ... »[٢] .

ويستدل من هذا النص على أن الطاقة الصوتية ـ لا الوسط ـ هى التى تنتقل أثناء انتشار الصوت ، وهو ماسنعرض لشرحه بعد قليل فى ضوء التفسير الحديث لحركة الموجات التضاغطية .

وللصوت ، عند الفخر الرازى ، سببان احدهما قريب والآخر بعيد . فالسبب القريب تموج الهواء ، وهو حالة شبيهة بتموج الماء تحدث بالتداول : من صدم بعد صدم مع سكون بعد سكون . وأما السبب البعيد فهو من وجهين : إمساس عنيف وهو القرع أو تفريق عنيف وهو القلع . « وإنما اعتبرنا العنيف (وحده) لأنك لو قرعت جسما لينا كالصوف بقرع لين جداً لم تحس صوتا ، ولو شققت شيئا (شقاً) يسيراً ، وكان الشىء المشقوق لا صلابة فيه ، لم يكن للقلع صوت . ثم إن تموج الهواء لازم من كلا السببين ، لأن القارع للهواء يحوج (الهواء) إلى أن ينقلب من المسافة التى يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف شديد . وكذلك القالع . ثم (إننا نجد) فى الأمرين جميعاً (أنه) يلزم للمتباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقعين هناك ، وإن كان القرعى أشد انبساطا من القلعى »[٣] .

إن تأمل هذه النصوص التراثية يدل دلالة واضحة على إحاطة علماء المسلمين بالحقائق الأساسية فى نظرية الصوت ، وخاصة مايتعلق بشروط إحداثه وطبيعة انتشاره وانعكاسه . بل إنهم فطنوا كذلك إلى تأثير الحركة الصوتية فى الهواء الذى « لشدة لطافته وخفة جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها ، فإذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروى واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجّاج (صانع الزجاج) فيها ، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يسكن ويضمحل »[٤] . ولعل فى هذا القول مايؤكد سبق علماء المسلمين إلى تقرير ما أثبته العلم التجريبى حديثا من أن الموجات الصوتية المنتقلة فى الوسط المادى تفقد قدراً من طاقتها عند اصطدامها بالأجسام تبعا لنوعيتها وطبيعتها .

حركة الموجات التضاغطية :

أما عن كيفية انتقال موجات الصوت الطولية التضاغطية خلال الهواء (أو أى وسط مادى) فإننا نعلم الآن أن ذلك يتم عبر سلسلة من التضاغطات (تكاثفات) والتخلخلات التى

(٢) قدرى حافظ طوقان ، العلوم عند العرب ، سلسلة الألف كتاب ، مكتبة مصر بالفجالة (بدون تاريخ) ص ٣٨ .

(٣) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٢٤١ .

(٤) عن قدرى حافظ طوقان ، مرجع سابق . وقد وجدنا نفس النص منسوبا لإخوان الصفا فى مؤلف الدكتور عمر فروخ : إخوان الصفا ، درس ـ عرض ـ تحليل ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ، ص ٧٣ .

تحدث لوسط الانتقال ، أى أن الطاقة الصوتية ، لا الوسط ، هى التى تنتقل عن طريق اهتزاز جسيمات الوسط فى اتجاه انتشار التموجات . فعندما يهتز وتر العود ، مثلا ، فإن حركته إلى الأمام تعمل على ضغط الهواء الملاصق له وانطلاق موجة تضاغطية فى الهواء . وفى لحظة تالية يتحرك وتر العود إلى الخلف تاركا وراءه منطقة تخلخل ذات ضغط منخفض تتباعد فيه جزيئات الهواء عن بعضها . وبتكرار هذه العملية مرات كثيرة تتحرك مناطق التضاغط والتخلخل ذهابا وإيابا بنفس الطريقة التى يهتز بها وتر العود وينشأ مانسميه بموجات الصوت الطولية التضاغطية .

ومن الجدير بالذكر أن علماء المسلمين قد تعرضوا للحديث عن عملية التكاثف والتخلخل فيما يتعلق بإشكاليات المكان والمادة والخلاء ، فقال بعضهم بأن التخلخل هو تباعد الأجزاء تباعدا يترك مابينها خاليا ، والتكاثف رجوع من الأجزاء إلى ملء الخلاء المتخلخل . وذكر ابن سينا أن هناك نحواً آخر من التكاثف والتخلخل لا يكون سببه اجتماع الأجزاء المتفرقة ، بل سببه أن المادة نفسها تقبل حجما أصغر تارة وحجما أكبر تارة أخرى ، وكلاهما أمران عارضان للجسم(٥) . لكن ربط هذا الكلام بحركة التموجات الصوتية فى الهواء لم يكن وارداً فى تلك المرحلة المبكرة جداً من التناول العلمى لظاهرة الصوت ، وإن كان من المهم أن يعول عليه عند التأريخ لحركة الموجات التضاغطية فى العلم الطبيعى بوجه عام ، وذلك للوقوف على حقيقة الدور الهام الذى أسهم به أسلافنا فى تحديد وصياغة واستخدام المفاهيم والمصطلحات العلمية .

سرعة الصوت فى التراث الإسلامى :

يكتسب الحديث عن سرعة الصوت فى كتب التراث الإسلامى أهمية خاصة ، فى الإطار المنهجى لتقييم المعرفة العلمية تاريخيا . ومن يستعرض هذا الموضوع فى مختلف النصوص التراثية سوف يلاحظ أن البحث فى سرعة الصوت يأتى فى أغلب الأحيان مقارناً بسرعة الضوء ، فقد ذكر البيرونى ، على سبيل المثال ، أن سرعة النور أعظم كثيراً من سرعة الصوت(٦) وتحدث ابن سينا عن تأخر سماع صوت الرعد عن رؤية وميض البرق ، لكنه علَّل ذلك بأن البرق يُرى فى الآن (أى فى نفس لحظة حدوثه) بلا زمان ، وأما السمع فيحتاج فيه إلى تموج الهواء أو مايقوم مقامه من أجسام صلبة أو سائلة ، وذلك يحدث فى زمان .

فإذا اتفق أن قرع إنسان من بعد جسماً على جسم فإنك ترى القرع قبل أن تسمع الصوت ، لأن الإبصار ، فيما يرى ابن سينا ، ليس له زمان والاستماع يحتاج إلى (آن) . وإذا كان ابن سينا قد جانبه الصواب فى تعليل الشق الخاص بالإبصار ، فإن الحسن ابن الهيثم استطاع بالتجربة العملية أن يبطل نظرية السرعة الآنية للضوء التى قال بها ابن سينا ، وأن يثبت أن للضوء زماناً وسرعة معينة كما أن للصوت زمانا

(٥) راجع فى ذلك :
د . محمد عاطف العراقى ، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ، دار المعارف ١٩٨٣ ، ص ١١٢ وما بعدها .

(٦) عمر فروخ ، تاريخ العلوم عند العرب ، مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

علـم الصـوتيـات

وسرعة معينة ، إلا أن زمان حركة الضوء أسرع بحيث لا يحس به أصلا(٧) .

ومما يؤسف له أن أحداً فى ذلك الوقت لم يفد من هذه الأفكار الهامة فى تقدير سرعة الصوت كميا(٨) ، وتأخرت هذه الخطوة الهامة والبسيطة إلى القرن السابع عشر عندما تمكن ميرسين وجاسندى Mersenne and Gassendi من إجراء أول تجربة عملية لتعيين سرعة الصوت فى الهواء عن طريق قياس الفترة الزمنية التى تنقضى بين لحظة رؤية النار المنبعثة من فوهة مدفع (أو بندقية) عند إطلاق قذيفة منه على مسافة بعيدة محددة وبين لحظة سماع صوت القذيفة . وظلت فكرة الربط بين ضوء وصوت صادرين من مصدر واحد فى نفس اللحظة أساساً لتجارب عديدة أجريت بعد ذلك إلى أن تمكن إسكلاجنون E.Esclagnon خلال الحرب العالمية الأولى فى عامى ١٩١٧ و ١٩١٨ م من تقدير سرعة الصوت فى الهواء الجاف عند درجة الصفر المئوى بدقة عالية تقترب من القيمة النظرية لسرعة الموجات التضاغطية وهى ٣٣٠,١ متراً فى الثانية(٩) .

آراء متقدمة للمسلمين فى علم الصوتيات وتطبيقاته :

يتضح مما سبق أن طبيعة الصوت وانتقال الموجات الصوتية وإنعكاسها كانت معروفة تماماً فى كتب التراث العلمى الإسلامى بنفس المفاهيم التى نعرفها عنها اليوم ، وقد أفاد علماء الحضارة الإسلامية من نظريتهم فى علم الصوتيات ، وسجلوا آراء كثيرة متقدمة فى مجالات متنوعة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ـ

١ ـ تقديم تفسير مناسب لآلية بعض مصادر الصوت ، على نحو ماورد عن إخوان الصفا فى صوت الرعد . فقد زعموا الصواب فى أن « البخار الرطب » يتمدد فى طبقة ما من الهواء فيضيق به مكانه فيحاول الانفلات فيمر فى الهواء كله ويحدث صوتا هو الرعد(١٠) . وهذا التصور لا يختلف كثيراً عن التفسير المعاصر الذى يقضى بأن صوت الرعد ينجم عن تسخين شديد مفاجىء يحدثه البرق فى منطقة انبعاثه ، حيث يتمدد الهواء فجأة ويزداد حجمه ويتمزق محدثا تفريغا جزئيا فى المكان ، أى تخلخلا ، ولذا سرعان مايندفع الهواء من كل صوب ليملأ موضع الفراغات ، وتتولد بذلك سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل فى الجو ، هى صوت الرعد .

ومادوى الرعد المعروف إلا سلسلة الانعكاسات التى تحدث لموجات صوت الرعد الأصلى من قواعد السحب وقمم المرتفعات ونحوها .

---

(٧) كمال الدين الفارسى ، كتاب تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ، ص ٢٨٠ وما بعدها .

(٨) نرى سببا لذلك غير عدم توافر أجهزة دقيقة لقياس الزمن بالثوانى فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ التقنية عموماً وأجهزة القياس الدقيق بخاصة .

(٩) A.L Reimann, Physics, Vol. 1, PP 285 - 286, Barnes Noble, Inc. , New York 1971.

(١٠) الدكتور عمر فروخ ، إخوان الصفا ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .

٢ ـ استخدام القياس والمماثلة لاستحداث نظريات جديدة ، على نحو ماذكر كمال الدين الفارسى فى كتابه « تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر » من أن « الحركة التى مر تقريرها فى الأضواء إنما هى على نحو حركة الأصوات ، لاعلى نحو حركة الأجسام » [١١] فهو بذلك يشير لأول مرة إلى أن الضوء يسرى بحركة موجية شأنه شأن الصوت الذى اتفق على أنه ينتقل فى تموجات . ومما يحز فى نفس كل مسلم أن هذا الرأى المتقدم لكمال الدين الفارسى يذكر فى كتب العلم منسوبا لعالم غربى يدعى « هيجنز » ، نشره عام ١٦٩٠ م وأيدته تجربة يونج المشهورة عام ١٨٠١ م ، ثم تجربة فرنل عام ١٨١٤ م .

٣ ـ تطوير علم التأليف (الموسيقى والآلات الموسيقية) ، والتوصل إلى أن اهتزاز الأوتار يخضع لعلاقة ثابتة تربط بين طول الوتر وغلظه وقوة توتره وشدة النقر عليه وبين نوع الصوت الذى يحدث عنه . لكن الصياغة الرياضية لهذه العلاقة لم تتحقق إلا فى القرن السابع عشر . ولعل الكندى كان صاحب أول مدرسة عربية للموسيقى فى العصر الإسلامى ، وكانت الموسيقى عنده من العلم الطبيعى ، ولكنها أيضا ذات صلة وثيقة بالرياضيات ، ثم هى ذات أثر فى شفاء الأمراض ، وكان يعدها وسيلة لتحقيق غاية إنسانية أعلى[١٢] .

٤ ـ الاستفادة من الخصائص المعروفة للصوت فى علم التصنيف . مثال ذلك : تصنيف الأصوات إلى أنواع منها الجهير والخفيف والحاد والغليظ تبعاً لطبيعة الأجسام المصوتة وقوة تموج الهواء ، وأيضا تصنيف الحيوانات إلى : حيوانات ذوات الرئة ، وهى التى تختلف أصواتها باختلاف أطوال أعناقهـا وسعة حلاقيمها وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها الهواء وقوة دفع أنفاسها من أفواهها ومناخرها ، وحيوانات ليست لها رئة ولكن لها أجنحة كالزنابير ، وهى التى تحدث الأصوات نتيجة لتحرك الهواء بالأجنحة ، وحيوانات ليست لها رئة ولا أجنحة كالديدان والسلاحف ، وهى تسمى الحيوانات الخرس ، وتختلف الأصوات التى تحدثها باختلاف يبسها وصلابتها .

(١١) د . على الدفاع ود . جلال شوقى ، أعلام الفيزياء فى الإسلام ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥ م ، ص ٦٩ .

(١٢) راجع فى ذلك : د . احمد فؤاد الإهوانى ، الكندى فيلسوف العرب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ، ص ١٦١ وما بعدها .

التأصيل الإسلامي لعلم الإنسان

الأنثروبولوجيا

(٢)

د. زكى محمد إسماعيل

لعديد من المتخصصين فى الهندسة أو الطب أو العلوم التجريبية والإنسانية أن ينبغوا فى علوم الشريعة بقدر دراستهم لها والتفقه فى علومها، والخروج بتفسيرات غير تقليدية أظهرت مدى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة المطهرة طبقا لأحدث ما توصل إليه العلم الحديث من حقائق ونظريات فى هذا المجال.

عود على بدء

فى عدد رمضان ١٤١١ هـ تناولنا شرحا لمفهوم «الأنثروبولوجيا» كعلم حديث فى المفهوم الغربى له جذوره التأصيلية فى تراث العلماء المسلمين الرواد من خلال رحلاتهم وكتاباتهم العلمية المنهجية الرائدة فى هذا المجال، كما تناولنا شرحا لمفهوم التأصيل الإسلامى للعلوم الإنسانية بصفة عامة، وأشرنا إلى رفض الإسلام لفكرة العلمانية التى تنادى بفصل العلم عن الدين، فالإسلام عقيدة فى العلم وعلم فى العقيدة، يمزج بين الدين وسائر شئون الحياة، من حيث الكسب والسعى فى مناكبها والأكل من الرزق الحلال، وبهذا فهو يوجه ويرشد للنظر فى ملكوت الله وسننه الكونية والإنسانية، وعليه فالإسلام لا يفرق بين سلطة زمنية أو دينية، مهنة معيشية أو عقيدية، بمعنى أن المسلم فى شئون حياته التى يستقيم فيها كما أُمِر هو رجل دين، كما أنه فقيه فى أمور الشريعة بقدر ما أوتى من علم بها، ودراسة لها، وحرص على فروضها وواجباتها، أيا كانت وظيفته المهنية، وطبيعة حياته المعيشية، الأمر الذى أتاح

ولقد كانت كلمة «عالم» فى معناها التقليدى سابقا تعنى العالم بأمور الشريعة الإسلامية.

وإذا كان التأصيل الإسلامى للعلوم الإنسانية يعنى عرض حقائق ونظريات هذه العلوم على الشريعة الإسلامية لتقويمها لهذه النظريات، وإظهار كلمتها فيها، فإن هذا لا يعنى أن نقحم الإسلام فى أمور تتصل بجزيئات العلم وفروعه، إلا إذا كانت هناك إشارات من القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى هذا طبقا لما أسفر عنه العلم الحديث، والذى يقاس صدقه بمدى مطابقته للإشارات الإلهية

لا العكس فما كان من عند الله فهو الصدق المطلق ، وما خالفه فهو ما ينبغى أن يعاد النظر فيه ، والتوفر على تعديل منهج البحث المستخدم اداة علمية به .

إن المعارضين لعلاقة العلم بالدين الإسلامى يقولون إن القرآن ليس كتابا فى العلوم التجريبية أو الإنسانية ، وينبغى أن ننزهه عن العلم حصيلة افكار البشر ، التى تصدق وتخطىء ، وهذا صحيح ولكنهم نسوا أن القرآن - وإن لم يكن كتاب علم - إلا أنه دعا إلى تحصيله والتبحر فيه ، واجتلاء سنن الله تعالى فى الكون ، سمائه وارضه ، وسائر خلقه ، بعضها قد خلا ، وبعضها ماثل أمام اعيننا : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾[1] ويقول جل وعلا : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[2] .

ماذا ينبغى اذن ؟

إن التأصيل الإسلامى للانثروبولوجيا ينبغى أن يكون فى ربط العلم بالثقافة الإسلامية ، بحثا ميدانيا ، عرضا وشرحا ، تفسيرا وتحليلا وتمثيلا ، فللأسف كان كل أو جل ما يساق من أمثلة ميدانية تزخر بها كتب علم الإنسان مستمدا من الثقافة غير العربية أو الإسلامية ، صحيح أنه فى الآونة الأخيرة بدأت تنتشر البحوث الميدانية فى المجتمعات العربية والإسلامية، تقليدية أم حضرية ولكنها مقطوعة الصلة بالثقافة الإسلامية فى مجال التحليل والتقويم والتفسير .

وإذا كان لمجتمعاتنا الإسلامية أن تستورد التكنولوجيا بأنواعها المختلفة من الغرب والشرق معا ، فلا ينبغى أن تستورد القيم والمفاهيم ، العقائد والنظريات لتدور فى فلكها ، وتفسر وتقوم من خلالها ، فلكل مجتمع « ثقافته » التى ينبغى أن تكون إطاره المرجعى فى التفسير والتقويم مهما كان فعل الانتشار الثقافى والتغير الحضارى ، ولهذا أخطأ علماء الأنثروبولوجيا الغربيون فى تقويمهم للقيم والعادات والتقاليد والمفاهيم الإسلامية لاختلاف هذه الأنماط الثقافية عن مثيلاتها فى الغرب اليمينى أو الشرق الشيوعى .

وعلى أية حال ، ومن خلال هذا العرض التأصيلى نسوق بعض الأمثلة التى يمكن أن يدور حولها ، ويتحرك فى فلكها التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان ، من خلال شرح الأساتذة أو محتويات الكتب ، أو الاتجاه البحثى الميدانى .

أمثلة لقضايا التأصيل :

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[3] .

إن تفسير الآية الكريمة لا ينبغى أن يقف عند التفسير التقليدى الذى يرى أن تكريم وتفضيل بنى آدم من الخالق جل وعلا إنما يرجع إلى خلقه لهم « على أكمل الهيئات وأحسنها ، فإن الإنسان يمشى منتصبا على رجليه ، ويأكل بيديه ، وغيره من الحيوانات يمشى على أربع ويأكل بفمه »[4]

(١) العنكبوت آية رقم ٢٠ .
(٢) الفتح آية رقم ٢٣ .
(٣) الإسراء آية رقم ٧٠ .

(٤) راجع « أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن » لمحمد الامين الشنقيطى الجزء الثالث . الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية - الرياض ١٤٠٣ - ١٩٨٣ ص ٦١٥ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

وإنما ينبغى أن ترجع إلى أهم ما توصلت إليه أبحاث الأنثروبولوجيا الفيزيقية « الجسمية » فى هذا الموضوع والتى تبرز بجلاء علمى تجريبى مظاهر هذا التكريم والتفضيل حيث يحتل الإنسان وضعا فريداً فى المملكة الحيوانية ، فهو إن اتفق مع الحيوان فى إشباع دوافعه الفطرية كالجوع والعطش والنوم ليعيش حياته ، وفى الدافع الجنسى والتوالد ليحفظ بقاءه ، إلا أنه لا يمتاز فحسب عن تلك المملكة بما وهبه الله تعالى من عقل يفكر ، وقلب يؤمن ، وفكر يبدع ، وإنما يمتاز عنها كذلك بالبناء العضوى والتكوين الجسدى ، ومن خلال التركيب المخى الفريد الذى يمتاز بتعقيد معين ودقة بالغة فى تركيبه العضوى ، وكذلك بالوقوف والمشى منتصبا وفى وضع معتدل ، وما يتبع ذلك من تركيب مميز لقدم الإنسان يساعده على هذا الاعتدال ، وترتب على هذا تحرر اليدين وإمكان استخدامهما فى العمل وبالتالى اكتساب مهارات يدوية ، أبدعت أدق وسائل البناء والصناعات اليدوية التقليدية والحضارية معا ، كما وهب الله تعالى الإنسان سلسلة فقرية مرنة تمكنه من الاستقامة والانثناء معا بفضل طواعيتها ومرونتها ، كما يمتاز الإنسان بثنائية الإبصار حيث يمكنه أن يشاهد الرؤية المجسمة ثلاثية الأبعاد ، والإنسان هو وحده الذى يعيش طوال حياته فى مجتمع منظم متماسك .

وإذا كانت بعض القردة العليا APES كالغوريلا والشمبانزى تعيش فى جماعات على درجة معينة من التنظيم ، ويقوم بينها نوع من التعاون فى الحياة اليومية ، إلا أن المجتمع البشرى ينفرد بوجود النظم الاجتماعية الواضحة المعالم ، والتى ينتظم بمقتضاها سلوك الأفراد والجماعات التى تدخل فى تكوينه البنائى كنظم الزواج والقرابة والاقتصاد والدين ، وفوق كل هذا فالإنسان وحده صاحب التراث الثقافى الطويل والذى يتمثل فى أبسط صورة فى العادات والقيم والتقاليد الموروثة بالإضافة إلى الفنون والصناعات المختلفة التى مهما بلغ شأنها من البساطة إلا انها تتطلب قدرا معينا من المهارات والذكاء والقدرة على الابتكار لا تتوافر لبقية الرئيسات Primates وهى أعلى رتب الحيوانات . وتلك أمور كلها تتآلف فى كل متماسك يفسر معنى التكريم والتفضيل للإنسان فى الآية الكريمة .

التأصيل ونظرية التطور:

لازالت نظرية الاختيار الطبيعى Natural Selection او الانتقاء الاختيارى بزعامة داروين Ch. Daruin تساق فى كتب الأنثروبولوجيا الفيزيقية « علم الإنسان الطبيعى » دون أن تقوم دينيا بعامة ، وإسلاميا بخاصة ، رغم أن تلاميذ داروين أنفسهم أثبتوا تهافتها وزيفها تماما . وملخص النظرية يشير إلى تفرع الإنسان عن غيره من الفصائل الحيوانية ، وأن الفضل فى نشأة مراكز اللغة لديه يرجع إلى ما أحيط به من ظروف اقتصادية واجتماعية ودفاعية أحاطت به منذ نشأته بأن جعلته مثلا يضطر إلى الوقوف على رجلين ، بعد أن كان يمشى على أربع أثناء دفاعه عن نفسه مما جعل قامته تعتدل رويدا رويدا حتى استوى الجزء الأعلى من جسمه مع أطرافه السفلى ، وبذلك ضعفت لديه عادة المشى على أربع حتى انقرضت ، وبالتالى لم يعد بحاجة لاستخدام فكه وأسنانه دفاعا عن نفسه ، وإنما استخدم اليد بديلا عن ذلك ، مما ترتب على

هذا - كما يزعم غلاة التطوريين - ضمور عضلات وعظام الصدغ مما أتاح مجالا لنمو الجمجمة وزيادة حجمها وبالتالى ازدياد مجال النمو للمخ من حيث حجمه ، وبذلك نشأت مراكز جديدة فيه .

إن هذه النظرية لم تعد تحتاج - من المؤمنين بخلق الله للإنسان بشرا سويا - أن يدحضوها ويثبتوا تهافتها ومدى الزيف فيها إذ سبقهم إلى ذلك تلاميذ دارون نفسه حيث أثبتوا بالتجربة فساد هذا الزعم الذى لا يرتكز على أية حقيقة علمية ، وانتهت أبحاثهم إلى أن تعطيل الفك والأسنان - وإن نشأ عنه اتساع فى الجمجمة إلا أنه لا يترتب عليه إطلاقا اتساع فى المخ أو اختلاف فى تعاريجه وشكل تكوينه ، الأمر الذى يهدم رأى التطوريين الارتقائيين الداروينيين فى مزاعمهم حول تطور الإنسان عن فصائل حيوانية ، وبهذا يعمق الإيمان بما أخبرنا به القرآن الكريم من أن الله تعالى خلق الإنسان خلقا مستقلا وجعله خليفته فى الأرض . قال تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾(٥) ﴿ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾(٦) وقال جل شأنه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾(٧) وفى خطابه جل وعلا للملائكة حكاية عن آدم ، ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾(٨) .

وعليه فإذا تحدث علماء الإنسان عن التطور وأطوار الكون فإن عليهم أن يشيروا - فى مجال التأصيل الإسلامى للعلم - إلى قوله تعالى على لسان نوح وهو يذكر قومه بقوله لهم : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾(٩) والأطوار هنا تنسحب على معان شتى . تنسحب على خلق الأجنة فى بطون الأمهات طورا من بعد طور من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، وقد يراد بها تدرج الإنسان من بعد ذلك من طور الطفولة إلى الصبا فالشباب فالرجولة فالشيخوخة ، كما قد يراد بها تدرج الجنس البشرى من الإنسان القديم فالوسيط فالحديث فالمعاصر ، من حيث القوة والشكل والطول واللون ، ونتائج الاختلاط فى الهجرة والحرب والتزاوج ، وما أسفر عنه ذلك إنما يعد - بمعنى ما - نوعا من الأطوار فى خلق الله للإنسان .

التطور مفهوم قرآنى :

وانطلاقا من هذا المفهوم فإن التطور والأطوار مفهوم قرآنى أصيل يدعو إلى الإيمان ، يزيده ويعمقه ، لا يشرخه أو يمحقه ، وإذا أردنا أن ندرس التطور دراسة علمية من خلال بقايا وهياكل الأحياء المنقرضة فى التاريخ الجيولوجى الغابر ، فتلك طريقة علمية وحيدة يمكنها أن تثبت وتؤكد أن شكلا ما تغير وتطور من عصر قديم إلى عصر أحدث طبقا لسنن الله تعالى فى الكون جغرافية كانت أم تاريخية أم طبيعية .

وإذا كان من أهم أهداف الأنثروبولوجيا من خلال بحوثها الميدانية عبر كافة المجتمعات تقليدية كانت أم حضرية هو إثبات وحدة الجنس البشرى الذى ينبغى أن يتعارف ويتآلف ، وأن يسوده التسامح لا التعصب ، التقارب لا التباعد ، الحب لا الكراهية ، السلم لا الحرب ، فإن القرآن الكريم دعا إلى هذا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ ←

(٥) القيامة ٣٨ .
(٦) الانفطار ٧ ، ٨ .
(٧) الشمس ٧ .
(٨) الحجر ٢٩ ، وكذلك ص ٧٢ .
(٩) نوح ١٤ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

﴿ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[10] .

لقد أكدت أبحاث علم الإنسان أنه مهما تمايزت ألوان وأشكال وجغرافية وتاريخ وسلالات البشر إلا أنهم يتفقون فى أن لكل جماعة أو مجتمع « ثقافة » تنتظم قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ومعارفهم وأدواتهم ورموزهم التى تميزهم عن غيرهم ، وأن هذه الثقافات لا تنبع أساسا من لون أو عنصر أو سلالة أو تفوق عقلى ، وإنما من طبيعة المكان والزمان وتفاعلهما مع أفراد المجتمع ذاته وتاريخه الموروث وحاضره المعاش بعيدا عن أى مفهوم عنصرى أو تفوق سلالى ، أو امتياز فطرى فى الذكاء أو المواهب والقدرات ، ويؤكد هذا حديث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »[11]

أنماط المجتمعات بين المفهومين العربى والمعاصر

وإذا قسم علماء الإنسان المجتمعات إلى بدائية وشبه بدائية وقبلية وريفية وحضرية فإن العرب درجوا على تقسيمها ـ من حيث كثافتها ـ إلى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ، ولهذا فهم يقولون إن خزيمة شعب ، وقريش عمارة ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة ، وذلك على أساس أن الشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ يجمع الفصائل ، وقد يطلقون بعض هذه المسميات على البعض الآخر كأن يقولون قبيلة قريش . ولاشك أنه تقسيم دقيق يترجم عن طبيعة البيئة التى عايشها العرب قديما .

ورغم أن التفاخر بالأنساب والتباهى بالألقاب والتنابذ بها كان من أهم عادات وتقاليد العرب قبل الإسلام ، إلا أن الإسلام دعاهم إلى نبذ التعصب ، ورفض التطاول على الآخرين ونادى بأن الفخر لا يكون إلا بتقوى الله تعالى ، وصدق الإيمان ، ورسوخ اليقين قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[12] .

منهج علم الإنسان والدعوة الإسلامية

أصبح المنهج الأنثروبولوجى الذى يعتمد أساسا على اهتمام الباحثين بمعايشة مجتمع البحث فترة لا تقل عن عام لملاحظة قيم وعادات وتقاليد المجتمع بعامة والسمات الخاصة بموضوع البحث بالذات من خلال الكل « الثقافى » لهذا المجتمع بما يعرف فى الدراسات المنهجية للانثروبولوجيا « بالملاحظة بطريق المشاركة » أو « المعايشة الميدانية Participa-tion by Observation وهى ملاحظة ذات ضوابط علمية خاصة تفرض تعلم الباحث لغة بالمجتمع واكتساب ثقته وتبديد الشكوك التى قد تثار حوله ، وتسجيل كل ما يتصل بسمات وأنماط ثقافة هذا المجتمع . نقول إن هذا المنهج ـ والذى استخدم فى نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين ـ على يد المبشرين وعلماء الإنسان الغربيين لنشر المسيحية فى

(١٠) الحجرات ١٣ .

(١١) تأمل المجلة من الكاتب أن يذكر مرجع الحديث . وهذا أمر واجب فى هذه المجلة .. التحرير : الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٢ ص ٢٧٥ .

(١٢) الحجرات ١٣ .

افريقيا وآسيا وغيرهما أصبح الآن من أهم الأمور التى ينبغى أن يوظفها الدعاة المسلمون فى الدعوة إلى الإسلام لا بين غير المسلمين فحسب وإنما بين المسلمين أنفسهم الذين تنتشر بينهم القيم والعادات والتقاليد والموروثات التى لا تتصل بالإسلام كالدعوة لغير الله ، ولطم الخدود وشق الجيوب تعبيرا عن الحزن ، والتداوى بالأحجبة إلى غير ذلك من البدع والخرافات ، وعليه فإن أسلوب الدعوة اليوم أصبح يختلف باختلاف البناء الاجتماعى والثقافى لمجتمع الدعوة ، أى من حيث مستوى التحضر ، ونوع الفكر ، وطبيعة المعرفة ، وسمات الثقافة ، ومدى التقبل للحجة المقنعة ، وتحديد لغة التفاهم نفسها ، ونوعية الاتصالات بمن ستوجه إليهم الدعوة ، لاسيما وقد غزت المجتمع الدولى ثورة الاتصالات بما تحمل من مبادىء وقيم ومعتقدات وغزو فكرى سريع المدى ، مما يحتم الاستفادة التامة من منهج علم الإنسان الميدانى فى دراسة المجتمعات دراسة واعية قبل توجيه الدعوة إليها أو تصحيح مفاهيم الإسلام السمحة فى ربوعها ، وتبصيرهم الواعى بحقيقة الإسلام بعيداً عن البدع والخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان ، الأمر الذى يتطلب إعداداً واعيا للداعية فكريا وثقافيا ودينيا وأخلاقيا من ناحية ، وتبصيره بمنهج البحث الأنثروبولوجى كأداة هامة لنجاحه فى مجال الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة من ناحية أخرى .

وقد يقال إن الداعية مطبوع لا مصنوع بمعنى أن قوة إيمانه وبرهان حجته ومدى تأثيره فى نفوس مخاطبيه ، أمور تكفى لتحقيق الغاية وبلوغ الهداية ، ولا تحتاج إلى إعداد أو تعليم خاص يستدعى إقامة المعاهد أو إنشاء البرامج . لقد كان هذا صحيحا فى العصور السالفة فى فجر الدعوة وربيعها حيث كانت التربية الإسلامية الهادفة هى غاية المسلم من مهده إلى لحده ، وعلى هذا الأساس دخل البلغار الإسلام على يد التجار المسلمين ، والهنود عن طريق التجار والعلماء والرحالة العرب ، وبفضل هؤلاء وهؤلاء كان انتشار الإسلام لدى المغول وفى أندونيسيا والفلبين وجنوب شرقى آسيا بصفة عامة .

أما اليوم فقد اختلفت الصورة تماما أمام دعوات التبشير المكثفة بشتى أساليب العصر مقروءة ومسموعة ومرئية عبر اقمار صناعية ، مما يحتاج إلى استخدام الوسائل المنهجية العلمية فى الدعوة الإسلامية والوعظ والإرشاد والتذكير ، واعتبار « ثقافة » المجتمع ودراستها دراسة مركزة فى كافة أبعادها هى نقطة الانطلاق ومحور الارتكاز فى تحديد أسلوب الدعوة ذاته ، وطبيعة منطقه ، وأسلوب توجيهه بحيث لا يعتمد على النبرة الخطابية ، وإنما المخاطبة العقلية أولا ، فالوجدانية ثانيا ، فالإقناع المنشود أخيراً .

لله على علماء الإنسان المسلمين عند تحليلهم للسلوك الاجتماعى للمسلم الا ينطلقوا فى ذلك من منظور الربح أو الخسارة الفردى الذى يكتسبه فى سجله الشخصى فحسب ، وإنما ينبغى أن يحلل السلوك مقوما حسب الفائدة أو الضرر بالنسبة للمنظمة الاجتماعية التى هو فرد فيها ، فالإسلام أمر بالتعاون والتضامن والتكافل : « ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط » ، بل إن الإسلام جعل الإيثار من أهم الفضائل التى يتصف بها المسلم فقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١٣) كما أن على علماء الإنسان المسلمين فى مجال التحليل لدراساتهم الميدانية فى المجتمع الإسلامى أن

(١٣) الحشر ٩ .

التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان

يشيروا إلى الخلفية الإسلامية من مبادىء وقيم ومثل كأطر مرجعية لتحليلاتهم العلمية ، وإذا كان المسلم جزءا أساسياً فى المجتمع الذى ينتمى إليه ينبغى أن يهتم بقيمه وثقافته ، وألا ينسلخ منها بعكس المواطن الغربى الذى ينظر إليه كفرد حر له أن يحقق حريته إن لم يكن فى كل أبعادها ففى معظم تلك الأبعاد ، ومن هنا كان التقويم الجائر لعلماء الإنسان الغربيين فى تحليلهم وتقويم دراساتهم فى المجتمع الإسلامى حيث ادعوا بأن المرأة مسلوبة الحقوق فى هذا المجتمع أو فى نظرتهم الجائرة للمجتمع الإسلامى الذى يحرم لحم الخنزير مع انهم يقولون إن هناك حيوانات أخرى محرمة ونجسة . وحتى عهد قريب كان ذلك موضوع جدل علمى فى مجلة « الأنثروبولوجيا المعاصرة » Current Anthropology ، إذ أصبح هذا التحريم عندهم موضوع رسوم هزلية ، كاريكاتيرية وتهكم ، بل أصبح هذا التحريم عندهم رمزا يفصل بين العالم الغربى (آكل الخنازير) والعالم الإسلامى (الذى لا يأكل الخنازير) .

لهذا كان على علماء الإنسان المسلمين أن يوضحوا حقائق هذه الأمور وأهميتها مسترشدين بعلماء الشريعة الإسلامية ومفاهيمها ، ونظرة الإسلام الذى يضع الحد الأمثل بين الانضباط والتحلل ، الحرية والفوضى ، الحلال والحرام ، المسموح والممنوع ، شمولية الحكم وخصوصية التطبيق ، فإذا كان الصيام فريضة عامة ، فليس كذلك بالنسبة للمسافر والمريض وغير القادر بضوابط خاصة .

لقد أدرك هذا بوعى وبصيرة الرئيس الأمريكى جورج بوش فى حرب الخليج حين وعى ضباطه ونصح جنوده بضرورة احترام وتقدير معطيات الثقافة الإسلامية فى المملكة العربية السعودية ، بل إن المتحدث الأمريكى فى وقائع الحرب لم يكن يظهر فى قناة التليفزيون الأمريكية إلا وخلفه العلم السعودى رمزا للثقافة الإسلامية ، كما أدرك القادة والجنود الفرنسيون ان لقيام حفلاتهم فى أرض إسلامية حدودا وقيودا لا تتعدى أو تتجاوز رضوا بذلك أم أبوا ، غضبوا أم لم يغضبوا ، مادامت ثقافتهم تباشر على أرضهم وفى ربوع وطنهم حسبما يشاءون هم لا غيرهم .

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

تطورات جديدة فى تقنية الحاسبات .

توصلت « التكنولوجيا » الألمانية الخاصة بأشباه الموصلات المستعملة فى مكونات ذاكرة الكمبيوتر إلى تخزين الحروف التى تملأ ألف صفحة فلوسكاب على شريحة ذاكرة جديدة لا تتعدى مساحتها (ملليمتر) مربعا واحدا ، وسمكها جزء من المائة من سمك شعرة آدمية ، وسوف يؤدى هذا الاختراع الجديد إلى تطوير جذرى فى سرعة وأداء أجهزة الكمبيوتر المختلفة

كذلك توصل الباحثون الألمان إلى وضع برنامج لتدريب الصم على تعلم قراءة حركة الشفاه بطريقة جديدة تعتمد على تحويل المعلومات إلى رسوم متحركة للشفتين تعبر - بوضوح - عن الأصوات والكلمات والجمل التى تتضمنها الرسالة المطلوب تبليغها .

اسبرين | علاج للنبات أيضا ..

اكتشف بعض العلماء البريطانيين أن الأسبرين ربما يكون دواء للنباتات التى تعانى من الضعف ، ويمكن استخدامه لمعالجة الإصابة فى الأزهار والخضروات ، وبهذا الاكتشاف يمكن استخدام أدوية قريبة من الأسبرين لجعل المحاصيل أكثر مقاومة للأمراض وذلك بتعزيز دفاعاتها الطبيعية بدون آثار جانبية .

راديو | يعمل بالطاقة الشمسية .

توصل العلماء فى ألمانيا الغربية إلى تشغيل جهاز الراديو بالطاقة الشمسية بواسطة خلايا شمسية من (السليسيوم) المتعدد التبلور حيث تلتقط أشعة الشمس وتحولها إلى كهرباء ، وقد زود الراديو ببطارية داخلية تختزن الكهرباء لكى يعمل ليلا .

زيت الشلجم .. وقود للسيارات .

نجحت ألمانيا فى استخدام زيت الشلجم المستخرج من ثمار « اللفت » بدلا من زيت

الجديد فى العلم والتقنية

الديزل فى إحدى الشاحنات حيث قطعت مسافة ١٨٠ كيلو مترا دون أن يحدث بها أى خلل .

أشجار من البلاستيك لتعديل مناخ الصحراء .

توصل مهندس إسبانى إلى ابتكار شجرة من البلاستيك تحاكى الأشجار الطبيعية فى التبخر والتكثف ، يبلغ طول الشجرة البلاستيكية حوالى عشرة أمتار ، وتصنع اغصانها وأوراقها من رغوة (الفينوليك) التى تمتص الرطوبة ليلاً وتطلقها نهاراً ، بينما يحشى الجذع بمادة « البوليوريثان » المثقب بقنوات شعرية تمتص الماء من الأرض . يؤمل الإفادة من هذه الأشجار فى تخضير الصحراء ، وتلطيف مناخها بتخفيف التفاوت بين حرارة النهار ، وبرودة الليل .

استخدام البكتريا فى تنقية المياه الملوثة باشعاع .

اكتشف فريق بحثى أمريكى بكتيريا غير ضارة يمكنها المساعدة فى تنقية المياه الملوثة بالإشعاع بطريقة أرخص وأكفأ من الطرق القديمة ، كما يمكن استخدامها فى محطات توليد الكهرباء بالطاقة النووية وهذه البكتريا تجذب الجزيئات المشعة كما يجذب المغناطيس برادة الحديد ثم يصفى الماء من البكتريا والمواد المشعة .

مواد للبناء من قيعان البحار .

يجرى مهندسون يعملون فى برنامج الأمم المتحدة للتنمية تجارب فى عرض البحر (قبالة كولومبيا) لإنتاج حجارة بناء وأنابيب باستخدام قوالب شبكية من البلاستيك بأشكال مختلفة حسب الطلب فى قاع البحر ، ثم يوصل بها تيار كهربى مناسب ، ويلى ذلك فترة انتظار لمدة ثلاثة شهور تتغلف خلالها القوالب بطبقة صخرية صلبة من المواد العضوية يبلغ سمكها حوالى ١,٥ سم .

وتتميز هذه المواد بأنها صلبة جدا ، كما أن تكلفتها لا تتعدى نصف تكلفة مواد البناء العادية .

بطارية جديدة من البلاستيك

يعكف العلماء فى مختلف دول العالم على تطوير بطارية بلاستيكية صغيرة بحجم كف اليد ، تصلح للسيارات التى تحتاج إلى عدة بطاريات كى تقطع مسافات طويلة . وتتميز هذه البطارية المصنعة من (البوليمر) أو (البلاستيك) بأنها ستكون خفيفة ولا تلوث البيئة ، وليست لها أية أخطار . كما سيكون لها استخدامات أخرى فى الحاسبات الالكترونية وأجهزة الكشف ذات الألواح الزجاجية التى تغير لونها لامتصاص أو عكس الحرارة اعتمادا على احتياجات الطاقة .

بنكرياس صناعى لمرضى السكر .

نجح العلماء فى أوروبا وأمريكا واليابان فى إنتاج (بنكرياس) صناعى لعلاج مرضى السكر . يستطيع أن يقيس كمية السكر فى الدم ويعطى المريض كمية الأنسولين المناسبة له حتى يبقى نسبة السكر فى الدم فى المعدلات الطبيعية لها .

البنكرياس الصناعى عبارة عن جهاز يوضع فى تجويف البطن ، أو تحت القفص الصدرى ، أو تحت الجلد ويشبه منظمات القلب الصناعية ، ويعرف باسم « بالكترود » ، ويمكنه قياس نسبة السكر فى الدم وبه مخزن للأنسولين لإفراز الكميات المناسبة . والجهاز الجديد مازال فى نطاق التجارب ، وتكلفته عالية ويعكف العلماء على تطوير الجزء الخاص بقياس نسبة السكر فى الدم وأنه أفضل فى الاستعمال من مضخة الأنسولين ومن عمليات زرع البنكرياس .

جهاز جديد لقياس الغازات السامة الصادرة من عادم السيارات .

ابتكر جهاز جديد يقيس كميات الغازات السامة التى تصدر من عادم السيارة فى الطرق السريعة بواسطة « كاميرا فيديو » تسجل بوضوح رقم الرخصة وعداد قياس غازات العادم . ويقوم مركز متخصص بإصلاح الخلل فى السيارة مجانا ، حفاظا على البيئة فى مدينة شيكاجو الأمريكية وتم تركيب جهاز على الطرق السريعة يصور بالفيديو بكاميرات متصلة بالكمبيوتر لتحديد درجة العادم من غازات أول وثانى أكسيد الكربون الضار بالبيئة . والجهاز الجديد مزود أيضا بعداد يقيس درجة تركيز (الهيدروكربونات) الضارة فى الهواء الجوى .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« ما الحب عندكم ؟ »

سأل بعض العارفين امرأة فى البادية : ما الحب عندكم ؟

فقالت : جل فلا يخفى ، ودق فلا يرى وهو كامن فى الحشا كمون النار فى الصفا ، إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى .

« الحث على المشورة »

الرأى كالليل مسود جوانبه
والليل لا ينجلى إلا بإصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى
مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

« أعطيتمونا ثمن القرى »

قيل لقيس بن سعد : هل رأيت قط أسخى منك ؟

قال : نعم . نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت : إنه نزل بك ضِيفان ، فجاء بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم ، فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرها ، وقال : شأنكم .

فقلت : ماأكلنا من التى نحرت البارحة إلا اليسير فقال : إنى لا أطعم أضيافى الغَابَّ ، فأقمنا عنده أياما ، والسماء تمطر ، وهو يفعل كذلك .

فلما أردنا الرحيل وضعنا فى بيته مائة دينار ، وقلنا للمرأة اعتذرى لنا منه ومضينا ، فلما متع النهار إذا رجل يصيح خلفنا : قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتمونا ثمن القِرَى ، لتأخذنها ، وإلا طعنتكم برمحى ، فأخذناها وانصرف .

« حقائق »

مات حكيم ، وقد وجد فى جيبه رقعة مكتوب فيها : أحمق الحمقى من يملأ بطنه من كل مايجد ، وما أكلته فلجسمك ، وما تصدقت به فلروحك ، وما خلفته فلغيرك ، والمحسن حى وإن نقل إلى دار البلا والمسىء ميت وإن بقى فى الدنيا ، والقناعة تستر الخلة ، وبالصبر تدرك الأمور ، وبالتدبير يكثر القليل ، ولم أر لابن آدم شيئاً أنفع من التوكل على الله .

« يارب ارحم »

دخل رجل على المأمون فى مرضه الذى مات فيه ، فوجده قد أمر أن يفرش له جل دابة ، ويبسط عليه الرماد ، وهو يتمرغ عليه ، ويقول : يامن لا يزول ملكه ، ارحم من زال ملكه .

« وصية »

وصى عبد الله بن الأهتم ابنه ، فقال : يابنى : لا تطلب الحوائج من غير أهلها ، ولا تطلبها فى غير حينها ، ولا تطلب مالست له مستحقا ، فإنك إن فعلت ذلك كنت حقيقا بالحرمان .

« أخى »

ينبغى أن تفرح بالموت وتغتم بالحياة . لأننا نحيا لنموت ، ونموت لنحيا .

« قناعة »

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

« الانتفاع بالأعداء »

قال حكيم : لقد انتفعت بأعدائى أكثر مما انتفعت بأصدقائى ، لأن أعدائى كانوا يعيروننى بالخطأ ، وينبهوننى عليه ، وأصدقائى كانوا يزينون لى الخطأ ويشجعوننى عليه .

عـداى لهم فضـل عـلىَّ ومنـة
فلا قطع الرحمن عنى الأعاديـا
همو بحثوا عن زلتى فـاجتنبتها
وهم نافسونى فـاكتسبت المعاليـا

« قالوا ... »

- أضعف الناس من : ضعف عن كتمان سره .
- وأقواهم من : قوى على غضبه .
- وأصبرهم من : ستر فاقته .
- وأغناهم من : قنع بما تيسر له .
- ذو الشرف : لا تبطره منزلة نالها وإن عظمت كالجبل الذى لا تزعزعه الرياح .
- والدنىء : تبطره أدنى منزلة كالكلأ الذى يحركه مر النسيم .
- من تجبر على الناس أحب الناس زلته .
- ما أبعد من استعبدته الشهوات من أن يكون فاضلاً .
- السعيد من وعظ بغيره ، والشقى من وعظ به غيره .

« المـال .. والعلـم »

إذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب له أطول من زمان الاستمتاع به ، وإذا طلبت العلم فاجعل زمان الارتياض به والفكر فيه أطول من زمان الجمع له .

« هكـذا كانـوا »

كان أبو العباس عم الرسول - ﷺ - يقول : كنا نترك ثلاثة أرباع الحلال خوفا من شبهة الحرام .

« من حكم السابقين »

فى زماننا هذا تحق النار على من يفرط فى عشر دينه ، ويأتى زمان تجب الجنة لمن يحافظ على عشر دينه .

« دعاء »

اللهم اقطع حوائجى من الدنيا بالشوق إلى لقائك ، واجعل قرة عينى فى عبادتك ، وارزقنى غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود .

اللهم إنك تعلم ما يصلحنى فى دنياى وآخرتى فكن بى حفيا .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الحج من الناحية الفلسفية

للدكتور محمد يوسف موسى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

اقتضت حكمة الله ان يجعل لكل عبادة مما افترضه وشرعه للمسلمين حكمة خاصة تعود بالنفع على الفرد المسلم .

والحج باعتباره ـ المؤتمر العام للمسلمين جميعاً ـ تحمل فريضته معانى سامية إذ يلتقى الحجيج عند بيت الله الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وامنا .

هذا اللقاء يعطى الأمل فى عودة الإسلام كقوة عالمية وكعقيدة يضحى المؤمنون فى سبيلها بارواحهم واموالهم ، ولن يتاتى ذلك إلا إذا تاكدت القيم الإسلامية فى المجتمع ، وسادته اخلاق الإسلام ، واخذ العدل الاجتماعى مجراه .

قال رحمه الله :

الحج ، كما نعلم جميعا ، ركن من أركان الإسلام ، وشعيرة يتطلب القيام بها البذل من المال والنفس ، وعبادة لا يتم للقادر عليها دينه إلا بالاضطلاع بها ، حتى لَيُروى عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانيا » . وليس من همِّى الآن بيان ما للحج من مقدمات ومعالم وشروط لا يتم إلا بها ، بل موضوع الحديث هو الحج باعتباره عملا اجتماعيا تدعو إليه الفكرة الفلسفية ، لو لم يدع إليه الدين .

الإنسان مركب من عنصرين : أرضى وهو الجسد ؛ وسماوى وهو الروح . وقديما قام النزاع الحاد بينهما كما يكون بين الشيئين أحدهما للآخر ضد وعدو . والناس فى ميلهم لهذا العنصر أو ذاك بين مفرِّط ، ومُفْرِط ، إلا من كان حكيما فعرف لكل حقه وأرضاه بقَدر . ولم ترتطم

الإنسانية فى هذه الغمرة التى نلمسها هذه الأيام إلا بسبب انحيازها للناحية المادية وانغماسها فيها .

لهذا ، كان لابد من عمل يلفتنا بقوة عن هذه الحياة بما يستلزمه من إعراض عن زينة الدنيا وطيباتها ، وبما يوجبه من مساواة تشعر الغنى منا بأنه أخ لمن يعيش بينهم من عبيد الله لا يتميز عنهم فى ملبسه ومظهره وعامة أحواله .

هذا العمل هو الحج الذى ، كما يقول الغزالى : يعتبر فى الشريعة الإسلامية عوضا عن الرهبانية فى المسيحية ، إذ فيه ما فيه من كبت الشهوات والبعد عن الدنيا والإقبال على الله والسمو بالروح ، وقد سلم مما يلازم الرهبانية من عنت وإرهاق دائمين .

ثم ، فى الحج مع هذا ، زيارة البيت العتيق الذى أضافه الله تعالى إلى نفسه لشرفه ، وجمعٌ لأكبر عدد من المسلمين فى صعيد واحد يؤمون غرضا واحداً ، ولك من هذين حكمته وأثره البعيد فى حياة الأمة أفرادا وجماعات ، إنما تشقى الأمة إذا تناكدت وتفرقت بها السبل ؛ والإسلام ، الذى حث المسلمين على أن يأتمروا بينهم بمعروف ، جعل لهم مؤتمرات : بعضها يومى وهو الصلاة جماعة ، وبعضها أسبوعى ، أوسع وأعم من سابقه ، وهو صلاة الجمعة ، وبعضها كل عام على نحو أشمل وهو صلاة العيدين ، وأخيراً المؤتمر الأكبر وهو الحج الذى يجب أن يشهده كل مسلم قادر ، مرة واحدة على الأقل فى حياته .

ومن الناس من لا يفهم الحقائق إلا ممثلة ، أو مرموزا لها بمُثل محسة ، فكان من الحكمة أن يكون من شعائر الحج الطواف بالبيت واستلام الحجر الأسود ، رمزا لما يجب أن يكون عليه المسلمون من وحدة فى الهدف واتحاد فى التوجه لله . إن البيت الذى أُمِرنا بالطواف حوله ، هو بيت الله ، الذى جعله مثابة للناس وأمْناً ، وفى الطواف به تشبه بالملائكة الحافين بالعرش ، الطائفين به قانتين مسبحين لا يفتُرون ، وفى ذلك ما فيه من سمو للروح وعروج بها إلى السموات العلى . ونفس الحلول بالبيت ورحابه ، تمهيد طيب لرؤية صاحبه جل وعلا ، متى صفت النفس ، فصارت أهلا لهذه السعادة القصوى ، وفى استلام الحجر من المسلمين كافة بيعة منهم جميعاً لله عز وجل على كل ما هو حق وجميل وخير وفضيلة .

أليس هذا الحجر المقدس ، كما جاء فى الحديث الشريف « يمين الله يصافح بها خلقه » ؟ إن فى استلام هذا الحجر ، وهذا ما يرمز له ، حافزا قويا على وفاء الحاج بما يعاهد الله عليه من بُعد عن الشر ، وحب للفضيلة ، وحرص على عمل الخير ...

والحج ، بعد ما نعرف من الأعمال الظاهرة ، له حقائق باطنة يجب النفوذ إليها ، وأحوال نفسية يشعر بها الحاج وينعم بها . إنه ليعجبنى فى هذا حديث جرى بين الشبلى - رضوان الله عليه - وبين صاحب له . كان من هذا الحديث أن الشبلى - وهو متصوف جرى بهذا الوصف ، وليس كأدعياء التصوف فى هذه الأيام - يرى أن من عقد الحج لله ، ولم يفسخ بهذا العقد كل عقد يخالفه ، كان كأنه ما عقد الحج ونواه ؛ وأن من تجرد من ثيابه للإحرام ، ولم يتجرد مع هذا من المعاصى ، يكون كأنه ما تجرد من ثيابه ؛ وأن من لبى ، ولم يذق عن الله جواب تلبيته ، يكون كأنه ما لبى ؛ وأن من أشرف على مكة ، فلم يشرف عليه حال من الله تعالى ، يكون كأنه ما دخلها ؛ وأن من صافح الحجر الأسود ، فلم يجد أثر الأمن ، كان كأنه ما صافحه أو لمسه ، لأن من

من روائع الماضي

صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه وتعالى ، ومن صافح الله صار فى أمن وسلام منه ؛ وأن من رمى الجمار ، فلم يرم بهذا جهله ولم يزدد به علما يظهر عليه ، كان كأنه ما رمى ؛ وأن من مضى من مكة إلى المدينة فزار الروضة الشريفة ، ثم لم يكاشف بشىء من الحقائق ، ولم ير زيادة فى الكرامات عليه ، كان كأنه ما زار ، لأن النبى ﷺ يقول : « الحجاج والعمار زوار الله ، وحق على المزور أن يكرم زواره » . وهكذا ، نجد من الشبلى ، رحمة الله عليه ـ تحليلا دقيقا طريفا للحج وأعماله ومشاعره ، تفهم منه كثيرا من أسراره وفلسفته .

ومن الحق أن نوافق الشبلى وأمثاله فى نظرهم للحج وحكمه وأسراره ، هذه النظرة الفلسفية العالية . إن منا من يبذل فى سبيل السفر للحجاز كثيرا من المال ، ويتعب نفسه بكثير من المشقات ، وذلك فى سبيل أن يظفر بلقب « حاج » ينال به من عروض الحياة الدنيا ، ومنا من يعيش أيام الحج فى تلك البلاد المقدسة والأجواء الروحية السامية ، ثم لا يتذوق شيئاً منها ، فيعود أغلظ قلبا مما ذهب ، ومنا أخيراً من عرف يقيناً خطر ما هو مقبل عليه ، وعلم أنه يهجر الأهل والوطن والشهوات واللذات فى سبيل الله وزيارة بيته الحرام ، وإذاً فهو يقدر البيت قدره ويرى لربه عظمته وجلاله ، فيخلص النية له ويرعاه فى كل خطوة له وعمل ، ويجاهد نفسه وهواه حتى يرجع لبلده خيراً مما ذهب ، ويعود لأهله وقد تقبل الله حجه ورضيه وأرضاه .

ذلك ، والحج للكعبة وإن كان من خصائص أمتنا الإسلامية . فإنه باعتباره قصدا إلى مكان مقدس ، عرفته الأمم المتمدنة فى العصور المختلفة : عرفه اليونان فكانوا يحجون قبل المسيح عليه السلام إلى معابد مقدسة لديهم ، وعرفه الهنود والصينيون القدامى ، ثم عرفه اليهود والمسيحيون الذين لا يزالون يحجون إلى بيت المقدس .

ومما يجدر ملاحظته أن الحجاج من هذه الأمم المختلفة وغيرها ، يلتزمون أثناء الحج التقشف والزهد فى هذه الدنيا كما نلتزم ، ليشعروا أنفسهم شيئا من الروحية العالية ، وطلبا لمرضاة معبوداتهم وطمعا فى ثوابها . وليس هذا التوافق من الأمم المختلفة بعجيب ؛ فالإنسان هو الإنسان فى كل زمن ، وإنه ليحس فى قرارة نفسه : الحاجة للسمو الروحى والتقرب من المعبود أو من الرمز الذى اتخذه لهذا المعبود . وهذا السمو وهذا التقرب لهما سبل عدة ، من أهمها تجشم التعب وبذل المال فى سبيل الحج للمكان المقدس الذى يراه ألصق البقاع بما اتخذه من إله .

هذا هو خطر الحج عند الأمم المختلفة لما يعتبرونه مقدساً من مكان ، فكيف عندنا وهو تلبية لنداء أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام وإجابة لرجائه ربه إذ يقول : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ وهو مع ذلك استجابة لأمر نبينا محمد ـ ﷺ ـ حين أمره الله بقوله : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ .. فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآيات صعد أبا قبيس فقال : « ياأيها الناس حجوا بيت ربكم » ،

البقية ص ١٢٩٣

اللغة والأدب والنقد

نظرات لغوية عند ابن القيم

آراء الزمخشري ومقاماته

أشعار أم أغلال؟

نظريات لغوية

عند ابن القيم ٢

د. توفيق محمد شاهين

ولفظ المشتق قد ياتى واحداً فى الوزن والهيئة ، ولكن يتنوع استعماله بحسب الفعل والإضافة ، فلفظ (البركة) نوعان :

أحدهما :

بركة من فعله تبارك وتعالى ، والفعل منها بارك . ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة ، وبأداة فى تارة ، والمفعول منها مبارك ، وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً يجعله تعالى .

والنوع الثانى :

بركة تضاف إليه (تعالى) إضافة الرحمة ـ والعزة ، والفعل منها تبارك ، ولهذا لا يقال لغيره ذلك ، ولا يصلح إلا له ـ عز وجل ـ فهو سبحانه المبارك ، وعبده ورسوله المبارك ، كما قال المسيح ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ ﴾ [١] ، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك ، وأما صفته (تبارك) فمختصة به تعالى ، كما أطلقها على نفسه بقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [٢] .. افلا تراها كيف اطردت فى القرآن جارية عليه مختصة به ، لا تطلق على غيره ، وجاءت على بناء السعة والمبالغة ، كتعالى وتعاظم ونحوها ، فجاء بناء (تبارك) على بناء (تعالى) الذى هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على بركته وعظمها وسعتها ...) [٣] .

* * *

وتدور المعانى حول اللفظ متقاربة أو متنافرة ، ومن المتقاربة ماذكره ابن القيم حول لفظ (عاذ) وماتصرف منها ، فهى تدل على التحرز والتحصن والنجاة ..

---

(١) مريم : ٣١ .
(٢) اول الملك .
(٣) بدائع الفوائد : ٢/١٨٥ ، ١٨٦ .

وحقيقة معناها : الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا ، كما يسمى ملجأ وزورا . وفى الحديث : أن ابنة الجون لما أدخلت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فوضع يده عليها ، قالت : « أعوذ بالله منك ، فقال لها : لقد عذت بمعاذ ، الحقى بأهلك » .

فمعنى أعوذ : ألتجيء وأعتصم وأتحرز .

وفى أصله قولان :

أحدهما :

أنه مأخوذ من الستر .

والثانى :

إنه مأخوذ من لزوم المجاورة .

فأما من قال إنه من الستر ، قال : العرب تقول للبيت الذى فى أصل الشجرة التى استتر بها عُوَّذ بضم العين وتشديد الواو وفتحها : فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها سموه عوذا ، فكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه ، واستجن به منه .

ومن قال : هو لزوم المجاورة قال : العرب تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه عوذ ؛ لأنه اعتصم به واستمسك به ، فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه .

والقولان حق (الستر واللـزوم) ، لأن الاستعاذة تنتظمهما معا .

وعن الـوسوسـة والوسـواس وأصلها ، واشتقاقها ، وأصل تسميتها ، وسر التكرار فى سورتى (الفلق والناس) ، ومتابعة حركة اللفظ بإزاء المعنى فى متابعة حركتها ، وهل الرباعى فى (وسواس) بمعنى الثلاثى المضعف أو لا ، وماالفرق بين هذا الوزن وما شابهه ؟ .. الخ يقول الإمام الفقيه اللغوى ابن القيم :

(الوسواس) فعلال من وسوس ، وأصل الوسواسة الحركة أو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه :

فالوسواس الإلقاء الخفى فى النفس : إما بصوت لا يسمعه إلا من ألقى إليه ، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

ومن هذا وسوسة الحلى ، وهو حركته الخفية فى الأذن ..

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنها سميت وسوسة لقربها وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس وهو الأذن ، فقيل : وسوسة الحلى لأنه صوت مجاور للأذن كوسوسة الكلام الذى يلقيه الشيطان فى أذن من يوسوس له .

ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه إليه ـ كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها ، فقالوا : وسوس وسوسة ، فراعوا تكرير اللفظ ليفهم تكرير مسماه .

ونظير هذا ، تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه ، كالدوران ، والغليان ، والنزوان وبابه ..

ونظير ذلك : زلزل ، ودكدك ، وقلقل ، وكبكب الشيء ، لأن الزلزلة حركة متكررة ، وكذلك الدكدكة ، والقلقلة ، وكذلك كبكب الشيء إذا كبه فى مكان بعيد فهو يكب فيه كبا بعد كب ، كقوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ (٤)

(٤) الشعراء : ٩٤ .

ومثله : رضرضه ، إذا كرر رضه مرة بعد مرة .

ومثله : ذرذره ، إذا ذره شيئاً بعد شيء

ومثله : صرصر الباب ، إذا تكرر صريره .

ومثله : مطمط الكلام إذا مططه شيئاً بعد شيء . ومثله : كفكف الشيء إذا كرر كفه وهو كثير .

وقد علم بهذا : أن من جعل هذا الرباعى بمعنى الثلاثى المضعف لم يصب ، لأن الثلاثى لا يدل على تكرار ، بخلاف الرباعى المكرر .

فإذا قلت : ذر الشيء ، وصر الباب ، وكف الثوب ، ورض الحب .. لم يدل على تكرار الفعل ، بخلاف : ذرذر ، وصرصر ، ورضرض ، ونحوه ... فتأمله ، فإنه مطابق للقاعدة العربية فى الحذو بالألفاظ حذو المعانى ..

وكذلك قولهم : عج العجل إذا صوت ، فإن تابع صوته .. قالوا : عجعج .

وكذلك بح الماء إذا صب ، فإن تكرر ذلك قيل بحبح .

والمقصود : أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ، قيل : وسوس (٥)

فالوسوسة : الحركة أو الصوت الخفى ، أو بغير صوت ، وسميت كذلك لقربها من الأذن محل الوسوسة ، وكرر لفظها لتكرير معناها ، ولأن حركة اللفظ تواكب أو تتابع حركة المعنى ، ومن ينزل هذا الرباعى ـ فى وسوس ـ منزلة الثلاثى أخطأ ، لأن الثلاثى لا يدل على التكرار كالرباعى ، والعرب تحذو بالألفاظ حذو المعانى .

* * *

ويفرق العلامة ابن القيم بين لفظ الوسوسة والخناس فى المعنى وفى الاشتقاق ، ولم كان الاختلاف ؟ ولماذا جاء (الخناس) على فعال ، دون خناس أو مخنس ؟ وكيف يكون الخنس ؟ .. وما حقيقة لفظ (خناس) ؟ ومم أخذ اشتقاقه ؟ من الرجوع إلى الوراء أو من الاختفاء ؟

وهل تسعف الشواهد ـ فى الاستعمال الفصيح ـ الاستعمالين ؟ وماارتباط اللفظ بالمعنى ؟

يجيب عن أسئلتنا ابن القيم ، حين يقول : ــ « وأما الخناس ، فهو فعال من خنس يخنس إذا توارى واختفى ، ومنه قول أبى هريرة : « لقينى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض طرق المدينة وأنا جنب فانخنست منه » .

وحقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور فليست لمجرد الاختفاء ..

وقالت طائفة : الخنوس أصله الرجوع إلى وراء .. والخناس مأخوذ من هذين المعنيين : فهو مأخوذ من الاختفاء والرجوع والتأخر .

فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم الشيطان على قلبه ، وانبسط عليه ، وبذر فيه أنواع الوساوس التى هى أصل الذنوب كلها . فإذا ذكر العبد ربه ، واستعاذ به انخنس وانقبض كما ينخس الشيء ليتوارى .

وذلك الانخناس والانقباض هو أيضاً تجمع ورجوع وتأخر عن القلب إلى خارج فهو تأخر ورجوع معه اختفاء . وخنس وانخنس يدل على الأمرين معا ..

وجيء من هذا الفعل بوزن فعال الذى للمبالغة ، دون الخانس أو المنخنس إيذانا بشدة هروبه ورجوعه وعظيم نفوره عند ذكر الله ، وأن ذلك دأبه وديدنه ، لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر الله أحياناً ، بل إذا ذكر الله هرب وانخنس وتأخر ...

وتأمل كيف جاء بناء الوسوسة مكرراً لتكريره الوسوسة الواحدة مراراً حتى يعزم عليها العبد .

وجاء بناء الخناس على وزن فعال الذى يتكرر

(٥) بدائع الفوائد : ٢ ـ ٢٥٠ / ٢٥١ .

منه نوع الفعل ، لأنه كلما ذكر الله انخنس ، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء بناء اللفظين مطابقاً لمعنييهما » .

وتأمل ختامه لهذا الفصل بقوله : فجاء بناء اللفظين : (الوسوسة والخناس) مطابقاً لمعنييهما ، وماجاء فى حديثه من زيادة المعنى لزيادة المبنى ، ورجوع اللفظ للمعنيين ، ودوران اللفظ حول المعنى ، وقد قال علماء أصول اللغة إن هناك فرقاً فى المعنى بين الحروف حين تختلف صفة ومخرجاً ، كالحاء والخاء فى (نضح الماء ونضخ) وبين قولة أبى ذر - رضى الله عنه - فى صبر الفقراء وتقشفهم وتنعم المترفين حين قال : « ويخضمون ونقضم والموعد الله » فالقضم وفيه القاف لليابس والجامد ، والخضم بخائه للهش والطرى ...

وينطبق اللفظ على المعنى المستفاد من لفظى : الوسوسة والخنس عند ابن القيم ، فيقرر للفظ ماقرره علماء أصول اللغة للحرف بدءا بالخليل ابن أحمد العبقرى ، ومروراً بالألمعى ابن جنى ، وابن سينا ، والخفاجى . ومعاصرة بالشيخ عبدالله العلايلى فى مقدمته لدراسة لغة العرب .

جزى الله علماءنا عن الإسلام والعربية كل خير .... والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

من روائع الماضى - بقية -

فأسمعه الله تعالى من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه تعالى أنه يحج ، من الطائفين والقائمين والركع السجود .

إنى أحاول أن أتصور دينا خلا من الحج لمشهد مقدس وبقاع طاهرة ، فلا أكاد أظفر إلا بصورة باهتة لدين ميت لا حياة فيه ، وقاصر عن بلوغ الكمال بمتبعيه .. إنه من النافع كل النفع أن يصلى المرء ، ففى هذا رياضة للجسم والروح ؛ وحسن وجميل أن يصوم ، ففيه تعويد على الصبر وترقيق للنفس وفائدة للجسم ؛ ومن الخير للمجتمع أن يؤدى أفراده الزكاة على اختلاف الوانها ، ففى هذا اقتلاع للحسد والحقد من قلوب المعوزين على القادرين ، وعون للفقراء على متاعب الحياة ، وإغلاق لكثير من السجون ، وفتح لغير قليل من المنشآت الاجتماعية ولكن ، هذه العبادات كلها لا تغنى عن التزام الأمة للحج لمكان واحد وقصد غرض واحد ، والعيش فترة من الزمن فى تجرد عن الحياة ومفاتنها ، وإقبال على الله وحده ، واستعداد لتلقى فيضه ورحمته ما دمنا قد سعينا إلى بيته مخلصين النية له .

من ذلك كله ، نعرف أن الحج عمل يأمر به العقل قبل أن يوحى به الدين ، وأن لكل عمل من اعماله وشعيرة من شعائره حكمته وفلسفته ، وأن دينا صحيحا لا يمكن أن يقوم بدونه ، وأن أمة من الأمم لا يسعها أن تستغنى عنه ، وحسبنا دلالة على هذا ، ما أشرنا إليه من أن الأمم التى خلت عرفته وعرفت له خطره ، وأن الأمم التى تعمر العالم اليوم - على اختلاف مللها ونحلها - تعد الحج لمكان ما ، أمراً مقدسا فيه رياضة للجسم وسمو للنفس وخير للأمة عامة . وإن أمراً تجمع عليه الأمم فى العصور الخالية والأيام الحاضرة ، رغم ما يفرق بينها من اختلاف فى الجنس والدين والتقاليد ، لهو أمر لا يقادر قدره ولا يكاد يدرك كل ما فيه من جمال وخير وفضيلة .

من أجل هذا ، أدعو الله أن يوفقنا لهذا الخير مرة بعد مرة ، وأن يجعل حج من يحج من المسلمين عامة حجا مبرورا ، ليس له جزاء إلا الجنة كما جاء فى حديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

أهم الزمخشرى ومقاماته

٢

للدكتور شعبان محمد موسى

والمقامة ما هى إلا حديث يقال فى مجلس ، وقد كان الزهاد الأوائل يعظون الخلفاء والأمراء ، ويحثونهم على الخير ، وقد اورد ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) شيئا من ذلك[١٤] ، ثم تطورت هذه الأحاديث ، وتعددت موضوعاتها ، وصارت مادة للسمر ، إلى ان جاء بديع الزمان الهمذانى ، وكتب مقاماته ، واتخذ لها بطلا وراوية ، وسار على نهجه من تلوه مثل الحريرى . لكن الزمخشرى عاد بالمقامة سيرتها الأولى ، فجعل موضوعها الوعظ والإصلاح الأخلاقى ، ولم يوجد لها بطلا ، ولا راوية ، وإنما توجه بالحديث إلى ابى القاسم الذى هو نفسه ، يحثه على الخير ، ويبثه جواهر الكلم ، واستعمل ضمير المخاطب بطريقة جميلة ، يظهر فيها الودّ والتواصل على طريقة المؤلفين المسلمين قبل العصر الحديث ، حينما كانوا يقولون مثلا فى بداية كتبهم : « اعلمْ ـ حفظك الله ـ أن ... » .

والخطاب موجه لكل قارىء ، واستخدم ضمير الغائب فى خطبته التى صدّر بها مقاماته . والأسلوب المتبع فى مقامات الزمخشرى هو أسلوب السجع ، ولكنه سجع خفيف ، والسجع هو الأسلوب الغالب فى الكتابة العربية منذ أيام العباسيين حتى مطلع العصر الحاضر باستثناء بعض المفكرين المسلمين من أمثال ابن حزم الأندلسى وابن خلدون ، فقد كانا يكتبان بالأسلوب المرسل . والقراءة الصحيحة للسجع تقتضى الوقف على أواخر الكلم ؛ لكى تتحقق الموسيقى ، وقد أشار الزمخشرى إلى ذلك بقوله : « ... وتفهيمك أن كلمات السجع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها ؛ لأن الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ، وما يتم ذلك إلا بالوقف ، وإلا ذهبت أيادى سبأ ... »[١٥] .

وقد رصع الزمخشرى بعض مقاماته بأبيات

---

(١٤) عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، ٢/٣٥٩ ـ ٣٧١ ، نشر يوسف على طويل بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ .

(١٥) المقامات . ص ١٣ ، (ذهبت أيادى سبأ) مثل عربى يضرب للتعبير عن التفرق بعد الاجتماع ، وأصله تفرق قوم سبأ عقب انهيار سد مأرب بسيل العرم .

من الشعر من نظمه هو ، كما صنع بديع الزمان والحريرى وغيرهما فى مقاماتهم ، والمقامات الزمخشرية التى بها شعر هى : الزهد ، والتسليم ، والصمت ، والمنذرة ، والطيب ، والعزلة ، والولاية ، واجتناب الظلمة ، والمراقبة ، والنهى عن الهوى ، والخمول ، وقد تراوح عدد الأبيات الشعرية فى المقامة بين بيت واحد إلى ستة أبيات ، وهو شعر دينى ينسجم مع موضوع هذه المقامات .

وألفاظ المقامات الزمخشرية جزلة حسنة السبك ، وهى فى غالبها مفهومة ، وما كان صعبا فالسياق يساعد على توضيحه ، وأصعب هذه الألفاظ هى ألفاظ العلوم ، وجلها فى مقامة النحو والعروض والقافية والديوان ، يضاف إلى ذلك الإشارات التاريخية فى مقامة أيام العرب ، وقد تولى الزمخشرى شرحها .

ونلمح فى هذه المقامات سعة ثقافة جار الله فى علوم العربية نحوا وبلاغة وأدبا ، وأيضا فى العلوم الإسلامية ، كعلوم القرآن والحديث ، والشواهد كثيرة من أول المقامات إلى آخرها ؛ من أجل ذلك تحتاج إلى قارىء مثقف واسع الاطلاع فى علوم العربية والإسلام ، لكى يفهمها ويتذوقها على أتم وجه ممكن .

وقد طبعت المقامات الزمخشرية بشرح الزمخشرى فى مصر سنة ١٣١٣ هـ ، ثم طبعت طبعة ثانية فى مصر أيضا سنة ١٣٢٥ هـ ، وقد ترجمها إلى الألمانية المستشرق ريشر O.Rescher سنة ١٩١٣[١٦] ، وقد شرح هذه المقامات محمد سعيد الفاروقى الطرابلسى[١٧] ، ثم طبعت هذه المقامات فى لبنان بتحقيق يوسف بقاعى ، سنة ١٩٨١ ، مذيلة ببعض الشروح فى هامش الصفحات ، وهى طبعة جيدة ، على ورق ممتاز ، وضبطها المحقق بالشكل ، وفى شرحه أفاد من الشروح السابقة ، غير أننى آمل أن يلحق بها المحقق فهارس منوعة تيسر على الباحث سبيل الدرس ، فى طبعة لاحقة ، وقد اعتمدت فى دراستى هذه على طبعة يوسف بقاعى ، وقد بخل المحقق على هذه المقامات حتى بفهرس لعناوينها ، فليس فيها هذا الفهرس ؛ صحيح أن بعض مناهج التحقيق يعتمد إخراج النص فحسب ، ولكن الفهارس ضرورية أيا كان منهج التحقيق .

أخيراً يرد هذا السؤال : ما قيمة المقامات الزمخشرية ؟ تمثل المقامات الزمخشرية حلقة مهمة فى تاريخ « فن المقامة » ، وهى كذلك بالنسبة لتاريخ الوعظ ؛ فإن الأدب العربى يحتوى على كتب ورسائل فى الوعظ والإصلاح الأخلاقى ، بجوار الخطابة الدينية ، وهى فن أدبى ، فمقامات الزمخشرى تعد لبنة من لبنات الأدب الإصلاحى الذى يصور لنا قيم المجتمع وتطلعاته نحو المثل الأعلى ، كما يكشف لنا عن عقل هؤلاء الكتاب وروحانيتهم ، وتطورهم النفسى، وأدب المواعظ جزء من الأدب العربى بعامة ، ولا يمكن التأريخ له على وجه الصحة حتى تدرس كل حلقاته ، ويكشف عن خصائصها ، وتاريخ إنشائها وتطورها .

وقد مضى على هذه المقامات تسعمائة عام تقريبا ، ولا تزال تحتفظ بقيم كثيرة ، سواء كانت قيما أدبية أو نفسية ، إن الوعاظ يمكن أن يفيدوا منها مادة ثرية لخطبهم ، وحلاوة فى أسلوبهم ، والشعراء والكتاب إذا قرأوها بصبر سيستمدون

(١٦) دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ٤١٠ .

(١٧) المقامات . ص ٩ .

آلام الزمخشرى ومقاماته

منها كثيرا من الملاحظات النفسية ، وكثيرا من الخيالات ، ومادة البيان فى هذه المقامات ممتازة ، وحتى السجع ـ وهو الذى ينفرُ منه أهل عصرنا هذا ـ يرد فى مقامات الزمخشرى سمحا لطيفا ؛ لسمو الغرض .

وفى هذه المقامات قطع جميلة تتخطى الزمان والمكان ؛ لأنها تعبر عن أحوال تنتاب البشر ، والملحوظ أن الزمخشرى يعتمد على عنصر المفارقة ليوضح قصده . أقتبس هنا قطعة من القطع التى أعجبتنى فى المقامات الزمخشرية : « إن القانع أصاب كل ما أراد وزاد ، ولن تجد حريصا يبلغ المراد ، الحريص وإن استمرأ المطعم ، لا يترك أن يطلب الأنعم فالأنعم ، وإن استسرى اللباس ، واستفره الأفراس ، وجدته أحرص وأشره ، على أسرى وأفره ، يوغر دائما أن يُنْعِمُوا له المهاد ، ويقول خشن يورث السهاد ، حتى إذا بلغ كل مبلغ فى التوطئة والإنعام ، وكسى بشكير السَّمُّور وزف النعام ، دعته نفسه إلى تمنى بيتوتة أهنأ مهجعا ، وأوطأ مضجعا ، وإن اجتلى أنور من القمر عض على الخمس ، وقال هلّا كان أضوأ من الشمس ، شقى تصب إلى كل مشتهى لهاته ، وتضب لكل متمنى لثاته ، فليس له إذن حد ينتهى إلى مطلبه ، ولا أمد يتوقف وراء مرغبه(١٨) » .

هذا النص من المقامة السادسة عشرة ، وعنوانها القناعة ، وهو يصور لنا نفس الحريص ـ الذى لايقنع ـ تصويرا جميلا ، لم يفقد جماله رغم مر القرون ، وأعتقد أنه لن يفقد قيمته فى قابل الزمان ما دامت النفس البشرية يتعاورها الطمع ، فالشره إلى الماديات كلما حصل قدرا منها تاق إلى أفضل منه ، لذلك لا ينعم مثل هذا الشخص بالموجود ، وغالبا لا يدرك كل المقصود ، فهو يعيش أبداً فى كرب وهمّ ، وضدّ ذلك القانع يبيت خالى البال ، عالما بأن ما قسم له سيأتيه ، إن حصل قليلا شكر ، وإن لم يدرك شيئا صبر ، فهو دائما سعيد ؛ والنص هنا مبنى على الموازنة بين أهل القناعة وأهل الحرص الذين يلهثون وراء الماديات التى لا تنتهى ، فيهلكون أنفسهم وهم لا يشعرون .

هناك بالتأكيد نصوص أخرى جميلة يمكن أن تقتبس ، ولكن أكتفى بهذا ، وأحب فقط أن أشير إلى أن كثيرا منها يحتوى جملا ، هذه الجمل بمفردها حكم بالغة ، وبعضها مستنبط من القرآن العظيم ، وبعضها الآخر من الحديث النبوى ، هذه الجمل الحكمية لا تخلو منها مقامة من مقامات الزمخشرى .

رحم الله الزمخشرى وأجزل ثوابه .

(١٨) السابق . ص ٩٢ ـ ٩٣ .

أشرار أم أغرار؟

ترجمة وإعداد
مجدى عبد الحميد بشير

كثيراً ما يراودنى هذا التساؤل كلما طالعت حكايات كليلة ودمنة ، وما خطت يراع أمير الشعراء من قصص شعرى تعليمى بديع ، يصور للأطفال طرفاً من مكائد الحيوان خصوصاً تلك التى مطلعها :

برز الثعلب يوما * فى ثياب الواعظينا**

فاجدنى اصرخ من أعماقى مردداً ما قاله عامل المناجم باقاصى الريف فى كلاسيكية القرن التاسع عشر لـ Mark Twain ، والمسماة « جعجاع بالخارج » عندما قال بعد أن ضاقت به السبل مع احدهم : لم يكن ما يتمتع به رجل مجلس النواب من مبادىء وقيم خلقية ليزيد بحال من الأحوال على ما اوتى ابو زريق منها . فابو زريق[1] ـ والكلام ليس لى ـ لا يتورع عن ان يكذب ويسرق ويخدع ويخون . اما وفاؤه بالوعد فلا ينطبق عليه إلا المثل القائل : « ليت هندا انجزتنا ما تعد »

فهو على استعداد أن يحنث أربع مرات فى وعد قطعه على نفسه خمس مرات لا يضيره حتى إن كان ذلك وعده الوحيد .

وبعد ، فإن وجهة النظر المطروحة فيما تقدم والقائلة بقدرة الحيوانات غير المحدودة على الإتيان بأعمال تتسم بالذكاء ، هى فى الواقع تصرفات مبتكرة ، تكتسب هذه النظرة قدراً كبيراً من الذيوع والانتشار لدى مُرَبّى الطيور الأليفة وزوار حدائق الحيوان .

بيد أن العلماء درجوا على رفض هذه النظرية رفضاً تقليديا . فهم يفضلون حين الحديث عن عالم الحيوان مفهوما ينأى بأفراد هذه المملكة عما امتاز به الإنسان من فضل ولو قليلا ، وهم فى ذلك يلتئمون مع الحقيقة القرآنية التى جاءت فى

---

(١) طائر كالغراب يضرب به المثل فى الغربة وعدم الخبرة .

أشـــــرار أم أغـــــرار

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٧٠ الإسراء) .

ويزيدون هذا المفهوم تأصيلاً بقولهم : إن النية مع سبق الإصرار والترصد فى أعمال اصطبغت بالمراوغة والخداع على وجه الخصوص من المقطوع به أن تكون منطقة لا يقربها إلا شراذم من البشر .

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كل خوّان للعهود يقسم على الإخلاص وما فى قلبه حبة خردل منه ، وكذلك السّاسة الذين اعتادوا تحويل الأبيض ، إلى أسود والأسود إلى أبيض والذينماينفك أحدهم يؤكد لناخبيه أنه سيعمل جاهداً على عدم رفع الضرائب إن تمكن من البقاء تحت قبة البرلمان ، فلا يزيده ما أطلق من العهود والوعود والمواثيق إلا تمادياً فى الغى والإجحاف ؛ فالحيوانات فى رأى معظم الباحثين عدمت منذ خلقت وسيلتى الخداع الأساسيتين ، ألا وهما : اللغة والقدرة على التخطيط ، فقد قُدّت أجسادها من نسيج سرت فيه الأمانة ، وهى ، وإن كانت أقل منا قوة ، إلا أن مابها من فطرة لم تتبدل ، وجبلة لم تتدنس ، زادتها طهارة قلب ونقاء روح ، لكن هذا الرصد الرافض لما يمكن أن تتمتع به الأجناس الأخرى من قدرات ذهنية ، أخذ يتعرض الآن للتحدى ، فقد تزعمت وأحيت الجدل الجديد القديم مجموعة من أصحاب النظريات القائلة بقدرة الحيوان على التفكير ، وإن اختلفت طرائق ذلك التفكير وأساليبه عن أساليب الإنسان وطرقه اختلافا بينا . ولتعضيد موقفهم يشير أولئك الخبراء إلى البحوث المتنامية التى تبين قدرة كثير من الحيوانات على الإتيان بتصرفات ، لو أداها الإنسان لاصطلح ـ دونما أدنى تردد ـ على وصفها بالكذب والاحتيال .

ومن ثم فإنهم يقولون : إنه أصبح من المحتم علينا أن نعيد رسم الخط الفاصل الذى يعرف ويحدد بدقة ما لا يمكن وصفه إلا بأنه عمل إنساني .

ويُتهّم أصحاب النظرية التى تخلع على الحيوان ثوب العقل بالانجراف وراء ذات الإغراء الذى حدا بالبعض إلى تأكيد القصد والعمد فى عجماوات لا تعى ولا تعقل ، ويقولون : إن الخداع يتطلب نية واعية مدركة لمعنى الخداع ، وإنه يمكن تفسير ما قد يبدو مكراً مقصوداً فى الحيوانات بالغريزة أو الارتباط الشرطى . ومن هنا فإن طرح أسئلة من قبيل : ماذا تعرف الحيوانات ؟ ومتى تعلمت ما عرفت ؟ أضحى مثار مناقشات حامية فى الأوساط العلمية .

إن الخداع فى أدنى مستوياته الأولى ماهو إلا (استراتيجية) وقائية تهدف إلى الحماية تم تشكيلها عبر مراحل تطور* الحيوان المختلفة ، وكون الله عز وجل زاخر بالكائنات التى تفننت وبرعت فى تنكير مظاهرها للتقليل من فرص التهام غيرها لها . ومن أمثلة ذلك ملكات الفراشات التى نسجت على منوال الملكات السامة . وكذلك الحشرات التى أشبه شكلها الخارجى شكل العصى والأحجار ناهيك عن (العُثّة) ذات الأجنحة المدببة ، الشكل التى بدت كعينى البومة فانطلى تدبيرها على الطيور التى ولت بدورها بحثا عن إفطارها فى مكان آخر ، وفيما يخص تلك الظاهرة بالذات فليس هناك كثير اختلاف .

* الترجمة الأمينة تفرض على الكاتب هذا اللفظ ، وليست مجلة الأزهر مع مضمونه البرىء من الإيمان .

فمعظم هذه المظاهر ليس إلا تمويها بسيطا ، هو فى جوهره نتاج برامج (چينية) وراثية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بعمليات التفكير العقلانية . فمن المستحيل مثلا أن يقال بمعرفة العثة لتقليدها البارع للبومة . وحين فحص الباحثون أمثلة انطوت على السلوكيات أكثر من المظهر ، تبين لهم دون لبس أن ذلك السلوك الذى اعتقد فى السابق اعتقاداً جازماً بغريزيته المحضة ليس إلا سلوكاً (آنىّ) المرونة (لحظى) الظهور . وهذا يوضح فى أن بعض الأنواع خفيضة الرتبة تمارس قدراً لا بأس به من الضبط والإتقان .

تأمل (القطاة) وهو طائر رملى اللون يبنى أعشاشه فى الكثبان كيف تغطى مغارضها بالطحالب والأعشاب . والقطاة ـ تشبه كذلك طيوراً أخرى ـ تبتعد عن عشها وتقوم بأداء دور الطائر كسير الجناح لدى اقتراب أحد الضوارى منها . وقد اكتشفت كارولين ريستو «Carolyn Ristau» المحاضر الزائر فى علم النفس بكلية «Hunter» فى نيويورك أن الطيور شديدة الحساسية للظروف المتغيرة تماما كانقيادها لما تتكهن به الغريزة . إنها لا تقف عند ذلك الحد ؛ بل إنها تعدل من تصرفاتها . فعندما تواجه بالقادمين من بنى البشر ؛ فإنه يكون واضحا أن القطاة تميز بين أولئك الذين يشكلون تهديداً لحياتها ، وأولئك الذين لا خطر منهم . فالإنسان الذى يُبدى اهتماما شديداً بعش الطائر هو إنسان فضولى يتطلب عرضا مطولاً لمنظر الطائر كسير الجناح . أما ذلك الذى يسير الهوينا فقد خلب لبه منظر المحيط وسبى بصره موجه الرقراق لا يكلف الطائر إلا التحية التى قلت فيها الاستجابة الحذرة . ولو أن القطاة كانت تقرأ من (نص چينى) لكان المتوقع منها أداء رقصاتها المؤثرة بنفس النمط فى كل مرة بصرف النظر عن رد الفعل الصادر عن الذئب المفترس أو (الراكون) المتحفز و(الرّاكون حيوان ثمين الفراء) ، إلا أن Ristau وجدت أن القطاة يبدو أنها تراقب سلوك الضوارى جاهدة فى اكتشاف ما إذا كان هجومهم سيكلل بالنجاح . وعندما لا تبدو على هذا المغير أو تبدر عنه ـ وهو فى هذه الحالة الإنسان ـ علامات أو إشارات تنبىء عن فقدان اهتمامه باستعراض الطائر كثير الجلبة فستكتف القطاة من مجهوداتها سعيا إلى صرف الانتباه عنها ، وتفضل Ristau الحذرة من القفز إلى الاستنتاجات موقفا محافظا ، ومن ثم فهى تحذر قائلة : إن أيا من تلك الأمثلة لا يثبت أن لهذه الطيور غرضا واضحا فيما تأتى من افعال . إلا أن باحثين آخرين يعدون مرونة القطاة دليلا أوليا على توافر القصد لديها مهما كانت بدائيتها .

وحتى سلوك العناكب يمكن أن يكون أكثر تعقيداً مما كان مفترضا من قبل . فالعنكبوت النطاط من فصيلة «Portia» ينخرط فى عدة خطط مبتكرة ليخدع ويستغفل ويصطاد فريسته من العناكب الأخرى .

قام البيولوچى «Stimson Wilcox» وزميله النيوزولندى «Robert Jackson» بدراسة عادات تلك الحشرة فشاهدوه وهو يغزو نسيج أحد العناكب الآمنة الوادعة ، فيرسل بإشاراته إلى الخيوط الحريرية كما تفعل الذبابة أو النملة من شد وجذب وضرب وهز فيتحرك المضيف الجائع حذراً إلى مدى ما ، فما يلبث أن يلتهمه (اليورشيا) . وكان مثار عجب الباحثين أن (اليورشيا) هذا أكثر من اعتمـاده على (استراتيچية) واحدة للهجوم ، فإنه يغير (تكتيكاته) معتمداً فى ذلك على نوع العنكبوت ونوع النسيج الذى يواجهه ولو أنه لمح ضحية مهمة خارج نطاق مدى قفزه فإنه يفكر ويحسب ثم يتحرك إلى موقع أفضل .

ويرى «Wilcox» أن مقدرة العنكبوت على

البقية ص ١٣٠٦

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● إعداد مصطفى عبد المجيد ●

علماء المسلمين أدوا صلاة الجمعة بالجامع الأزهر الشريف

أدى علماء المسلمين أعضاء المؤتمر الرابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية صلاة الجمعة (١١ شوال ١٤١١ هـ - ٢٦ إبريل ١٩٩١ م) بالجامع الأزهر الشريف يتقدمهم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف والدكتور محمود شريف محافظ القاهرة ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف .

وقد تناولت خطبة الجمعة أسباب وحدة المسلمين المتمثلة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وضرب أمثلة بالقدوة الحسنة للرسول الكريم وأصحابه والتابعين .

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يعقد مؤتمره الرابع بالقاهرة تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية

عقد المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمره الرابع بالقاهرة برعاية الرئيس محمد حسنى مبارك فى الفترة من ٢٥ - ٢٧ ابريل ١٩٩١ . وقد شارك فى أعمال المؤتمر عدد كبير من علماء مصر ووزراء أوقاف دول إسلامية وعربية ووفود تمثل اكثر من مائة دولة وهيئة ومنظمة .

وقد وجه الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة إلى المؤتمر القاها نيابة عنه الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء . أكد فيها على أن الأمة الإسلامية والعربية تأمل من اجتماع القاهرة كل الخير وإرساء أسس وثوابت الحفاظ على العقيدة الإسلامية وحماية الأقليات المسلمة .

وتحدث الإمام الأكبر فدعا المؤتمر إلى وقفة مع النفس لدراسة ما اختلط من شأن الأمة الإسلامية فأدى إلى انفراط عقدها لتعالج أمره علاجا رشيداً يعيد مجدها .

وقد التقى الرئيس مبارك بوفود وأعضاء المؤتمر بمناسبة اختتام أعماله ، وطالبهم سيادته بالقيام بعملية تقدير للموقف العربى والإسلامى بعد حرب الخليج .

برقية شكر للإمام الأكبر من خادم الحرمين الشريفين

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر برقية شكر من خادم

الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ردا على تهنئة فضيلته بمناسبة تحرير دولة الكويت وانتصار الحق .

جاء في البرقية :

« تلقينا رسالة فضيلتكم المشتملة على تهنئتكم وتهنئة علماء وطلاب وهيئات الأزهر الشريف بانتصار الحق على الباطل وتحرير دولة الكويت الشقيقة من الاحتلال والعدوان ، ونشكر فضيلتكم وكافة منسوبى الأزهر على مشاعركم الطيبة ، ونقدر ماأعربتم عنه ، ونرجو الله القدير أن يحفظ أمتنا من شرور المعتدين ، والله يرعاكم » .

برقية تهنئة لفضيلة الإمام الأكبر من الرئيس الأمريكى

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من فخامة الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية برقية تهنئة بمناسبة عيد الفطر ، أعرب فيها لفضيلته عن أطيب تمنياته لشخصه بقضاء عيد فطر سعيد وللشعب المصرى المزيد من الرخاء والازدهار والاستقرار وتعميق الصداقة بين الشعبين المصرى والأمريكى . وقد شكر فضيلته الرئيس بوش على هذه المبادرة ببرقية متمنياً أن يعم السلام والعدل بنى الإنسان فى أرجاء المعمورة .

قرار فضيلة الإمام الأكبر ببعثة الحج

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قراراً بتكليف فضيلة الشيخ أحمد السيد أحمد عطا سعود رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهريـة ـ برياسة بعثة الأزهر للحج لعام ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م لكى تقوم بدورها فى التوعية الدينية بين الحجاج وأداء رسالتها فى الأراضى المقدسة للإرشاد الدينى والاسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لجمهورية مصر العربية .

أنباء العالم الإسلامى

● إعداد عبدالمنعم فودة ●

تعديلات جديدة فى الدستور الباكستانى أساسها القرآن والسنة

اعتمدت التعديلات الجديدة فى الدستور الباكستانى من أجل تحويل باكستان إلى دولة حرة ديمقراطية ، وروعى أن تتضمن التعديلات التطبيق للنظام الإسلامى فى ضوء القرآن والسنة لضمان تطبيق العدالة على مختلف المستويات وتحسين انظمة الأمن وتطبيق الإصلاحات الاجتماعية من أجل قيام اقتصاد سليم على اسس إسلامية .

وتهدف التعديلات الجديدة إلى تخليص المجتمع الباكستانى من الشرور الاجتماعية مثل الفساد والرشوة والفسق .

الإسلام فى اليابان

ذكرت الإذاعة اللندنية فى تقرير لها عن تاريخ الإسلام ـ فيما يخص اليابان : أن ثمانية

أنباء وآراء

وعشرين ألف مسلم يعيشون باليابان ، وأنه قد بدأ تعرف الشعب اليابانى على الدين الإسلامى عن طريق جيرانهم فى الصين ، وبواسطة الكتب التى نشرها الأوروبيون ، وكان الاتصال المباشر بالعالم الإسلامى خلال الحروب الروسية اليابانية فى مطلع القرن العشرين ، حيث كان بين الجنود الروس مسلمون ، وقد وصل إلى اليابان فى ذلك الوقت عدد من المسلمين .

وبعد الحرب العالمية الأولى زادت الاتصالات بين اليابانيين والمسلمين فى عام ١٣٤٢ هـ حيث قام الشيخ محمد عبدالحى قربان ومعه ستمائة مسلم بالهجرة إلى اليابان هربا من اضطهاد النظام الشيوعى الجديد فى الاتحاد السوفيتى آنذاك وكانت هذه أول هجرة كبيرة للمسلمين إلى اليابان .

وقد بنى الشيخ قربان أول مسجد ومدرسة لتعليم القرآن الكريم عام ١٣٥٧ هـ .

فشل خطط المنصرين فى زائير

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية فى تقرير لها من زائير أن المنصرين فى (زائير) قد فشلوا فى إقناع القبائل الوثنية بالانضمام إليهم بعد أن أعلن الذين تنصروا عدولهم عن النصرانية .

وأشار التقرير الذى أعدته الوكالة أن القبائل الوثنية مهيأة الآن لاعتناق الإسلام أكثر من أى وقت مضى ، لو أحسن التعريف به بين صفوة القبائل الوثنية بـ (زائير) .

وأوضح التقرير أن عدد المنصرين بلغ خمسة عشر ألف منصر وبلغ عدد النصارى بـ (زائير) سبعة ملايين ، وعدد المسلمين ثلاثة ملايين مسلم .

وطالب التقرير جهات الدعوة الإسلامية بإيفاد قوافل التوعية الدينية على مستوى عالٍ لنشر الإسلام بين تلك القبائل .

انشاء أول معهد إسلامى بجمهورية كازاخستان

انشىء مؤخرا بجمهورية كازاخستان بالاتحاد السوفيتى أول معهد إسلامى لتدريس العلوم الدينية للطلاب المسلمين .

وسوف يلتحق بالمعهد بصفة مبدئية ثلاثون دارسا ، وتقرر أن يكون التاريخ الإسلامى والعلوم الإسلامية مثل التفسير والفقه من العلوم الأساسية التى تدرس بالمعهد بجانب تاريخ الاتحاد السوفيتى وتاريخ الأمة الإسلامية ، وتكون الدراسة باللغتين العربية والروسية .

البحث فى إنشاء سوق إسلامية مشتركة

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق تعقد ندوتان بمركز (صالح كامل) للدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر لبحث مستقبل التعاون الاقتصادى بين الدول الإسلامية ، بدأت الندوة الأولى يوم الأثنين ٦ مايو ١٩٩١ م لمدة ثلاثة أيام .

أما الندوة الثانية فتبدأ يوم ٢٠ مايو ١٩٩١ م وتستمر - أيضاً - ثلاثة أيام .

بحثت الندوة الأولى قيام سوق إسلامية مشتركة والصعوبات التى تواجه قيام هذه السوق ، وآثار قيام السوق الإسلامية على النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية على الأمة الإسلامية .

وتبحث الندوة الثانية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لأزمة الخليج .

التوصيات الختامية لندوة

"نحو سوق إسلامية مشتركة"

دعت جامعة الأزهر إلى عقد ندوة علمية بعنوان « نحو سوق إسلامية مشتركة » برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، عقدت فى الفترة من ١٩ إلى ٢٦ شوال ١٤١١ هـ الموافق ٤ إلى ٦ مايو ١٩٩١ م ، بمركز صالح عبد الله كامل للدراسات التجارية الإسلامية .

حضر الندوة لفيف من العلماء والمهتمين بالدراسات الإسلامية والاقتصادية من مصر والعالم الإسلامى .

افتتح الندوة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وقد شارك فيها السيد الدكتور/وزير الاقتصاد الذى اختير رئيسا شرفيا للندوة ، والأستاذ الدكتور/عبد الفتاح الشيخ ـ رئيس جامعة الأزهر رئيس الندوة .

وقد ركزت الكلمات الافتتاحية على ضرورة الاهتمام بوضع خطة عملية تقوم على المعطيات العلمية والاقتصادية للوصول إلى تحقيق تدريجى للسوق الإسلامية المشتركة .

عقدت الندوة جلسات عمل عديدة غطت المحاور الرئيسية للندوة التى تناولت : الضرورات الداعية لقيام السوق الإسلامية فى الظروف الراهنة ، والمقومات الأساسية التى يجب أن تتوافر لكى تقوم هذه السوق ، ثم تعرضت للمراحل المنطقية لإقامة السوق .

وأخيراً نوقشت الآثار والنتائج التى تترتب على تحقيق هذه الفكرة فى الواقع الإسلامى .

وقد تخلل الندوة العديد من المناقشات والتعقيبات التى أفادت كثيراً فى توضيح الفكرة ، ورسم الطريق أمام سبل تطبيقها .

وبعد أن تداول أعضاء الندوة البحوث والدراسات والمناقشات التى تمت ، صدرت التوصيات الآتية :

أولاً :

ضرورة العمل على تهيئة المجتمعات الإسلامية لتطبيق فكرة السوق الإسلامية المشتركة ويتطلب ذلك تطبيق الشريعة الإسلامية فى كل الدول الإسلامية : لكى تتوافر الأسس المشتركة للتعامل بين هذه الدول فى المجال الاقتصادى ، ولكى تتقارب التشريعات والأنظمة والمبادىء التى تحكم النشاط الاقتصادى بين الدول الإسلامية .

ثانياً :

توجيه مختلف الجامعات والمؤسسات العلمية ومراكز البحث فى مختلف الدول الإسلامية إلى العناية بالدراسات والبحوث التى تدعم فكرة الوحدة بين الدول الإسلامية وتبرز أهمية تحقيق التكامل الاقتصادى بين الدول الإسلامية .

ثالثاً :

التعاون بين أجهزة الإعلام فى مختلف الدول الإسلامية لكى تساعد على تكوين رأى عام فى تلك الدول يبرز أهمية تحقيق التعاون والتكامل بين مختلف الدول الإسلامية .

أنباء وآراء

رابعاً :

حث منظمة المؤتمر الإسلامى بأجهزتها المختلفة ، وعلى وجه الخصوص البنك الإسلامى للتنمية ، واللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى بين الدول الإسلامية (الكومسك) ، على بذل كل السبل لتحقيق قيام السوق الإسلامية المشتركة .

خامساً :

العمل على حرية انتقال العمالة بين مختلف الدول الإسلامية ، وإزالة القيود المفروضة على هذا الانتقال ، مع تغيير نظم التعليم والتدريب للقوى البشرية بين مختلف الدول الإسلامية بما يؤهلها لتولى المسئوليات المتصلة بالإنتـاج والتسويق ومختلف الأنشطة اللازمة لقيام المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية فى الدول الإسلامية ، مع عدم الاستعانة بالعمالة الأجنبية إلا عند الضرورة القصوى ، وفى حالة عدم توافر عمالة فنية لدى الدول الإسلامية .

سادساً :

حث الدول الإسلامية ذات الفائض المالى الكبير على استثمار أموالها وأموال مواطنيها فى الدول الإسلامية ، وعلى اتخاذ كافة الصور الحديثة لاستثمار الأموال بما يكفل عائدا مجزيا وعادلاً لأصحابها بما فى ذلك تشجيع المشروعات الاقتصادية المشتـركة ، وتكـوين الشركات الإسلامية الكبرى التى تعمل بين مختلف الدول الإسلامية ، ومنحها كافة التسهيلات فى اقاليم الدول الإسلامية لكى تعمل وتربح وتحول أرباحها إلى حيث تريد .

سابعاً :

الاهتمام برسم خطة للتصنيع بين مختلف الدول الإسلامية تراعى اعتبارات توافر المواد الخام والعمالة ورأس المال بين مختلف الدول الإسلامية بحيث يتكامل إنتاجها فى الجملة وبهدف تحسين الجودة وتقليل التكلفة فى مختلف الصناعات .

ثامناً :

وضع خطة للتكامل الزراعى بين مختلف الدول الإسلامية ، والعمل على استزراع المناطق العديدة المنتشرة فيها بهدف توفير الغذاء ، لكل المجتمعات الإسلامية ، وتحقيق الأمن الغذائى الذى يخلص الأمة الإسلامية من الخضوع لضغوط الحاجة إلى الغذاء من الدول الكبرى بما يفرضه ذلك عليها من أعباء سياسية واقتصادية ونفسية .

تاسعا :

العمل على إنشاء مراكز للمعلومات تستخدم أحدث أجهزة المعلومات والاتصالات لإمداد الباحثين والدارسين والمستثمرين بالمعلومات التى تكفل توفير الدراسات التى تساعد على التكامل الاقتصـادى ، وكذا تمكن رجـال الأعمال والمستثمرين من استثمار أموالهم على أفضل وجه على أساس الدراسات العلمية .

عاشرا :

حث المنظمات الإسلامية ومراكز البحوث المختلفة فيها على الاهتمام بإعداد دراسات الجدوى لمشروعات يمكن تنفيذها سريعا فى مختلف الدول الإسلامية .

حادى عشر :

إنشاء سوق إسلامية لرأس المال الإسلامى يسهل فيها تداول الأسهم التى تصدرها الشركات

الإسلامية فى مختلف الدول الإسلامية ، والسماح بتملك الأسهم والصكوك لكل المسلمين فى أية دولة إسلامية .

ثانى عشر :

التوسع فى إنشاء البنوك الإسلامية لجذب رءوس الأموال واستثمارها فى مختلف الدول الإسلامية ، والعمل على الربط بين مختلف البنوك الإسلامية ، وتنسيق التعاون بينها فى إطار البنك الإسلامى للتنمية بما يحقق سوقا واسعة أمامها ، ويحميها من السهام التى توجه لكل بنك منفردا .

ثالث عشر :

تنظيم جمع الزكاة من كل أوعية الأموال التى تخضع لهذه العبادة المالية فى كل الأقطار الإسلامية ، وإنفاقها فى مصارفها الشرعية بين مختلف الدول الإسلامية .

رابع عشر :

العمل على تنسيق التعاون بين الدول الإسلامية والتكتلات الاقتصادية الأخرى بما يحقق إتباع سياسة اقتصادية موحدة للدول الإسلامية تكفل الحصول على أكبر المزايا فى التعامل مع العالم الخارجى .

خامس عشر :

العمل على اتخاذ سياسة (جمركية) تعمل على منح الدول الإسلامية معاملة تفضيلية فى التجارة والسياحة حتى يمكن إزالة الحواجز الجمركية بين الدول الإسلامية نهائيا .

خطة عمل لتنفيذ توصيات الندوة

١ - سيقوم المركز بتشكيل لجنة مهمتها متابعة تنفيذ قرارات الندوة والاتصال بكافة الجهات والهيئات المعنية بتوصيات اللجنة فى مختلف الدول الإسلامية ، وعمل تقرير شهرى عن التقدم فى تنفيذ التوصيات . وكذا التهيئة الإعلامية الكاملة لقبول الفكرة فى مختلف الدول الإسلامية .

٢ - سترسل توصيات الندوة إلى ملوك ورؤساء الدول الإسلامية وإلى الوزارات المعنية فى كل الدول الإسلامية ، وهى على وجه الخصوص : وزارات الاقتصاد والمالية والتخطيط ، ويطلب منها المبادرة إلى اتخاذ الخطوات اللازمة لوضعها موضع التنفيذ أو إبداء الملاحظات التى قد تعن لها أو ترى أنها قد تقتضى التعديل أو التغيير .

٣ - سنطالب منظمة المؤتمر الإسلامى والبنك الإسلامى للتنمية واللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى بين الدول الإسلامية وكافة الهيئات المعنية الأخرى باتخاذ ما يراه مناسباً من خطوات لوضع هذه التوصيات فى جداول أعمالها واتخاذ ما تراه من تدابير لتنفيذها .

٤ - سيقوم المركز بإرسال التوصيات إلى الجامعات ومراكز البحوث الإسلامية للعمل على إجراء البحوث والدراسات المساعدة على تكوين السوق الإسلامية المشتركة .

٥ - سنطالب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتبنى توصيات الندوة والعمل على إقناع الدول الإسلامية بأهمية تنفيذها فى الواقع العملى ، وكذلك عرضها فى مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

٦ - سيطلب من السيد الدكتور وزير الاقتصاد باعتباره رئيسا للندوة ، المساعدة فى وضع هذه التوصيات موضع التنفيذ واتخاذ مايراه مناسبا بالتعاون مع المركز لتحقيق نشرها والإعلام بها بين كل الجهات الرسمية المعنية .

الخداع يمكن مقارنتها بالسلوك المقلد للفراشات النارية التى وصفها «James Lloyd» عالم طبائع الحشرات فى جامعة فلوريدا . فقد وجد «Lloyd» أن إناث النوع «Photurias» تقلد إشارات التزاوج الصادرة عن نوع آخر من الفراشات النارية بطريقة فيها من الضبط والإتقان ما لا يتسرب إليه ادنى خلل . إنها تغرى الذكور بإطلاق أضوائها الساطعة فى الاتجاه الصحيح ثم ترسل إشارات تعبر عن الرغبة فى التزاوج ، ثم تقوم بالتهام المستجيب دون اية مبالاة . وكذلك توجد أمثلة أكثر إقناعا لخداع يشبه خداع الإنسان فى الحيوانات عالية الرتبة ، فالكلاب مثلا تتظاهر أحيانا بمظهر الحيوان كسير القدم لتتلقى قسطا أكبر من الرعاية والعطف . كما لوحظ أن الفيلة الآسيوية تتمايل (خراطيمها) بطريقة ظاهرها البراءة ثم لاتلبث أن تستغل الميلة السفلى لتخطف بغتة بعض القش من جيرانها . كذلك تندمج حيوانات (الشمبانزى) فى استعراضات بهلوانية قريبة الشبه بحركات البعض منا ، لدرجة جعلت باحثين فى رتب حيوانات المقدمة التى تشمل البشريات والسبحيات يقولون : إنه من المحتم علينا مقاومة الإغراء الذى يضفى صفة الإنسان على هذه الحيوانات . وقد قام عالمان بريطانيان محققان فى بحث لهما عن خداع حيوانات المقدمة بطرح سؤال له وجاهته يقول : هل تجذب بحوث (الشمبانزى) العلماء لأنهم شديدو الاهتمام بالعثور على البراعة ، أم هل تتفرد حيوانات الشمبـانـزى حقيقـة بشىء مـن هـذه الخصوصية !؟ .

ويضيف «Frans Dewall» باحث حيوانات المقدمة فى جامعة ويسكونسن تصالح ذكرين بالغين من ذكور الشمبانزى بعد مشاحنة ؛ فيقول : لقد ظلا جالسين وقد أعطى كل منهما ظهره للآخر لمدة نصف ساعة ، يتحاشى كل منهما أن تلاقى نظرته نظرة صاحبه . ثم يكتشف أحد المتخاصمين فجأة شيئا ما فى العشب ، فيصرخ بصوت مرتفع ناظراً فى كل الاتجاهات وعلى الفور تتدافع حيوانات الشمبانزى الأخرى لكنها سرعان ما يفتر حماسها عندما لا تكتشف شيئا يستحق كل هذا اللغط والصياح . لكن الأمر مع الخصم الآخر الذى أضحى مستثاراً بنفس القدر كان مختلفا تماما . وفى النهاية يتلامس الذكران بالرءوس والأكتاف ثم يشرع أحدهما فى الإعراس[1] بالآخر . هل هذه مجرد غريزة أم سلـوك مكتسب بالتعلم ، أو كمـا يفضل «Dewall» أن يقول عنه : أسلوب لإنقاذ ماء الوجه أملاه إحساس ما بالكرامة ثم يضيف العالم قائلا : إنه من المجدى أن نعتبر كل هذا كذبة جماعية ، يقوم فيها طرف بتمثيل دور المخادع ويقوم الطرف الآخر بـأداء دور المخدوع . وبعد دراسة الكيفية التى تفهم بها الأنواع الأخرى العالم فإن العلماء يأملون أن يكوّنوا نوعاً من الرؤية التى يستطيعون عن طريقها فهم مغزى الخداع البشرى ذاته . لكنهم ما دروا انهم يقومون بخداع هذه الحيوانات التى غاب عنها مايفعل بها . وعلى أية حال فإنه حتى بنى البشر يضطرون إلى اللجوء أحيانا لهذه المستويات المتدنية من السلوك المراوغ ، ليتأكدوا إذا ما كان أقرانهم ينوون حقيقة مواصلة الخداع حتى آخر الشوط أو أن قصدهم يتركز فى توجيه ضربة قاضية .

---

(١) هذا يعنى وقوع الشذوذ الجنسى بين هذا النوع من الحيوان ، وقد ذكر ابن القيم مثله فى كتابه (شفاء العليل) بين الحمام .. مجلة الأزهر .

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية : مرحبا بالعلم فى سماء الإسلام	
للدكتور على احمد الخطيب	١٢٠١
● كلمة فضيلة الإمام الأكبر أمام المؤتمر العام الرابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية	١٢٠٤
● لقاء فضيلة الإمام الأكبر ومفتى جمهورية الصين	١٢٠٦
● قبس من أنوار النبوة : خطر الكلمة	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٢٠٨
● ذكر الله عز وجل	
للشيخ احمد حسن مسلم	١٢١٢
● الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى	
للدكتور حسين محمد قنديل	١٢١٤
● جند الله لا يقهرون	
للواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ	١٢١٩
● القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية	١٢٢٤
● اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام	
للدكتور فرج الله عبد البارى	١٢٣٢
● محنة المسلمين فى بلاد الهند	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١٢٣٧
● لحظات طيبات مع الإمام جعفر الصادق	
إعداد : عادل خفاجة	١٢٤٤
● عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام دولى إسلامى	
للأستاذ حسن على العنبسى	١٢٤٨
● الفتـــاوى	
إعداد : احمد السيد تقى الدين	١٢٥٢
● من أعلام الأزهر الأستاذ الدكتور الشيخ الحسينى شحاتة	
للدكتور محمود عبد المتجلى خليفة	١٢٥٥
باب الشعر والشعراء	
● فى الفخر	
للشريف الرضى	١٢٦٠
● قطرات من الندم والاستغفار	
لأبى نواس	١٢٦١
● مراقى السمو	
للأستاذ محمد عبد الرحمن صان الدين	١٢٦٢
● ديوان أفنون التغلبى	
جمع وتحقيق الأستاذ ايمن محمد ميدان	١٢٦٣
باب العلوم الكونية	
● علم الصوتيات	
للدكتور احمد فؤاد باشا	١٢٦٨
● التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان	
للدكتور زكى محمد إسماعيل	١٢٧٤
● الجديد فى العلم والتقنية	
إعداد : د . نجوى السيد احمد	١٢٨١
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٢٨٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
الحج من الناحية الفلسفية للدكتور محمد يوسف	
إعداد عبد الفتاح حسين الزيات	١٢٨٦
باب اللغة والأدب والنقد	
● نظريات لغوية عند ابن القيم	
للدكتور توفيق محمد شاهين	١٢٩٠
● آلام الزمخشرى ومقاماته	
للدكتور شعبان محمد موسى	١٢٩٤
● أشرار أم أغرار ؟	
ترجمة وإعداد مجدى عبد الحميد بشير	١٢٩٧
أنباء وآراء	
● أنباء مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر	
إعداد مصطفى عبد المجيد	١٣٠٠
● أنباء العالم الإسلامى	
إعداد عبد المنعم فودة	١٣٠١
● التوصيات الختامية لندوة نحو سوق إسلامية مشتركة	١٣٠٣
القسم الفرنسى	
● المقال الأول للدكتورة رقية جابر	١٣١٧
القسم الانجليزى	
● المقال الثانى للأستاذ سعد مصطفى مصطفى	١٣٢٢
● المقال الأول للدكتور انس مصطفى النجار	١٣٢٧

٢٥ «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»
اللؤلؤ والمرجان (٣٠٧/٣) مسلم (١٨٣/٨) البخارى (٧٣/٩)

٢٦ Monnaie.

٢٧ On désigne par le terme "Agam" tout étranger, non arabe.

٢٨ On désigne par le terme "Roum" les Chrétiens ou, par extension, les Occidentaux.

٢٩ عن الجريرى عن أبى نضرة قال : كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل العجم، يمنعون ذاك ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدى. قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل الروم. ثم سكت هنية، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يكون فى آخر أمتى خليفة يحثى المال حثيا، ولا يعده عددا».
مختصر صحيح مسلم (١٨٥/٨)

٣٠ عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ؟! سمعت أبى بن عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن الفتنة تجىء من ها هنا»، وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض».
صحيح مسلم (م١٨١/٨)

٣١ إن ربى قال : يا محمد إنى اذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال : من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا
صحيح مسلم (١٧١/٨)

٣٢ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «سمعتم بمدينة جانب منها فى البر، وجانب منها فى البحر» ؟ قالوا : نعم يا رسول الله. قال : «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألاف من بنى إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها (قال ثور : لا أعلمه إلا قال الذى فى البحر)، ثم يقولوا الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة : لا إله إلا الله والله أكبر، فينفرج لهم، فيدخلوها فيغنمون، فبينما يقتسمون المغانم، إذ جاءهم الصريخ، فقال : إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شىء ويرجعون».
مختصر صحيح مسلم ص ٥٣٤ (م١٨٨/٨)

٣٣ Gibril est le nom arabe de l'Archange Gabriel.

٣٤ «قال : فأخبرنى عن الساعة. قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال : فأخبرنى أماراتها. قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء والشاه يتطاولون فى البنيان».
أخرجه النواوى

١ «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام» سورة لقمان [من آية ٣٤]

٢ «إنما يخشى اله من عباده العلماء» سورة فاطر [من آية ٢٨]

٣ «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو إجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب» سورة الحج [آية ٧٣]

٤ «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» سورة الإسراء [آية ٨٥]

٥ «إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب» سورة آل عمران [آية ١٩٠]

٦ «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا.. وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا» سورة الكهف [آية ٧-٨]

٧ «أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون» سورة الصافات [آية ٩٥-٩٦]

٨ «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا.. فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» سورة طه [آية ١٠٥-١٠٧]

٩ يوم الحشر

١٠ El-Bokhâri, Les Traditions islamiques, traduites de l'arabe avec notes, et index par O. HOudas et W. Marçais, tome II, Libr. d'Amérique et d'Orient, Paris 1978, p. 548.

١١ قال رسول الله الله صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين:
«بعثت أنا والساعة كهاتين. وأشار إلى أصبعيه السبابه والوسطى وقرن بينهما».

١٢ إقتربت الساعة وإنشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر [٢] وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر» سورة القمر [١-٣]

١٣ Hadith rapporté par Al-Bokhâri et Moslem (VIII, 132-153) ainsi que les autres Imams. Voir les Perles et le Corail (t II, p. 208)

١٤ «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة» صحيح مسلم (١٧٠/٨) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٣/٣) والبخارى (٢٤٣/٤)

١٥ «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من الذهب تقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول لك رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو».
صحيح مسلم (١١٤/٨) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٥/٣) البخارى (٧٣/٩)

١٦ S'il s'agit du pétrole, cette guerre a effectivement eu lieu.

١٧ «والذى نفسى بيده ليأتين على الناس زمان لا يدرى القاتل فى أى شيء قتل ولا يدرى المقتول على أى شيء قتل»
مختصر صحيح مسلم ص ٥٣٣ (١٧٠/٨)

١٨ «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج، قالوا : وما الهرج يا رسول الله ؟
قال : «القتل – القتل» مختصر صحيح مسلم (١٧٠/٨)

١٩ «لا تقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» اللؤلؤ والمرجان (٣٠٥/٣) البخارى (٧٣/٩) مسلم (١٨٠/٨)

٢٠ «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» مسلم (٧٦/١)

٢١ «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله فإلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» مسلم (١٨٨/٨) البخارى (٥١/٤) اللؤلؤ والمرجان (٣٠٨/٣)

٢٢ عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعى. فمن وجد ملجأ (أو معاذا) فليستعذ» (أى يعتزل ما يحدث)

٢٣ «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه !» أخرجه مسلم

٢٤ «منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم» مسلم (١٧٥/٨)

14. Nous citerons également le Hadith rapporté par Muslim et où le Prophète (b.s.) a dit: *"Mon Seigneur a dit: Ô Mohammad, lorsque J'ai décrété une chose, Mon décret est immuable. J'ai accordé à ta communauté qu'elle ne soit point anéantie comme les autres et qu'elle ne soit pas victime d'un adversaire qui lui soit étranger et qui se saisisse de ses biens, et cela même si tous ceux qui se trouvent sur la terre se coalisent contre eux: ils s'entretueront par leurs propres mains et se captureront réciproquement."*[31]

15. Enfin, le Hadith suivant a été rapporté par Abou Horaïra: le Prophète (b.s.) a dit: *"Vous avez entendu parler d'une cité dont une partie est dans la mer et l'autre sur terre?"*
Ses compagnons répondirent: Oui, Ô Envoyé d'Allah". Il reprit alors: *"L'Heure dernière n'aura lieu que lorsque cette cité sera envahie par soixante dix mille des descendants d'Isaac. Lorsqu'ils pénétreront ils ne se battront point avec des armes ni avec des lances, mais il diront: "Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah et Allah est le plus Grand" (La Ilaha Illa Allah wa Allahou Akbar), aussitôt un des côtés de la ville cèdera (certains disent que c'est le côté qui est dans la mer). Puis ils répèteront: "Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah, Allah est le plus grand.", alors l'autre côté cèdera. Ensuite ils répèteront pour la troisième fois: "Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah. Allah est le plus grand."*
C'est alors qu'on capitulera devant eux et qu'ils entreront et se saisiront du butin. Mais pendant qu'ils se partageront le butin, ils entendront ce "L'Antéchrist est apparu!"; alors ils abandonneront tout et retourneront sur leurs pas."[32]
Selon ce Hadith, ce signe précédera de peu les Signes Majeurs dont l'apparition de l'Antéchrist fait partie.

Les signes précurseurs dévoilés par les Hadiths que nous venons d'énumérer ne sont que les présages des signes majeurs. Ils s'échelonnent sur une durée plus ou moins longue, mais nous savons du moins que leur point de départ fut le dernier Message d'Allah envoyé avec le Prophète Mohammad (b.s.).

Rappelons à ce propos le célèbre Hadith où Gibril[33] interrogea ainsi l'Envoyé d'Allah (b.s.): *"Quand aura lieu l'Heure dernière?"* à quoi Mohammad (b.s.) répondit: *"Sur l'Heure dernière, l'interrogé n'en sait pas plus long que celui qui le questionne."* Là-dessus, *l'homme lui dit: "Quels en sont les signes précurseurs?"* Le Prophète répondit: *"Elle aura lieu lorsque l'esclave donnera naissance à celle qui sera sa maîtresse, lorsque les va-nu-pieds, les miséreux (parasites) et les bergers se feront élever des bâtiments qui rivaliseront en hauteur."*[34]

Puis le Prophète (b.s.) ajouta que l'Heure est une des cinq choses dont Allah seul détient le secret (voir Sourate XXXI v. 34)

cacheront alors derrière les arbres et les rochers; alors ces derniers parleront et diront: 'Ô, Musulmans, serviteurs d'Allah, derrière moi se trouve un Juif, venez et tuez-le."[21] (à l'exception de l'arbre nommé "Al-Gharkid" qui est un arbre célèbre chez les Juifs)

8. Selon Abou Horaïra, le Prophète (b.s.) a dit qu'avant la fin du monde on sera témoins d'épreuves durant lesquelles *"le sort de l'homme qui dort sera meilleur que celui de l'homme éveillé, la condition de celui qui est couché sera meilleure que celle de l'homme qui est debout, et la condition de celui qui est immobile sera meilleure que celle de l'homme qui se déplace. Celui qui peut trouver un refuge, qu'il s'en préserve"*[22]

9. Abou Horaïra rapporte également ces propos du Prophète (b.s.) *"Avant l'arrivée de l'Heure dernière, celui qui passe devant un tombeau souhaitera être à la place de ce mort."*[23]

10. L'un des signes précurseurs ainsi annoncé par le Prophète (b.s.) sera que, par suite de graves crises économiques ou, selon d'autres interprètes, par suite de leur indépendance et de leur abandon du mode de gouvernement islamique l'Irak, la Syrie et l'Egypte cesseront de verser la Guiziah au Hidjaz (Arabie Séoudite)" ou, dans une autre version: *"Cesseront d'exiger le versement de la Guiziah"* (somme d'argent versée aux Musulmans par les non-musulmans en échange de leur protection)[24]

11. Un autre Hadith du Prophète cité dans les deux Sahihs dit: *"Avant l'Heure dernière apparaîtra un homme qui mènera les hommes avec son bâton, (comme on mène un troupeau)"*[25]

12. Selon Al Gourayri, Abou Nadra a dit: *"Nous étions chez Gaber Ibn Abdallah lorsque ce dernier a dit: "Les habitants de l'Irak bientôt ne recevront ni la moindre mesure de provisions, ni le moindre dirham."*[26]
Nous demandâmes alors: "De la part de qui?"
"De la part des étrangers [27] *qui les en priveront", répondit-il:*
Puis il ajouta: "les habitants d'Al Sham sont sur le point de ne plus recevoir d'argent, ni d'approvisionnement." Nous demandâmes alors: "De la part de qui?"
Il répondit: "De la part des Occidentaux."[28]

    Il se tut un instant puis ajouta: "le Prophète d'Allah a dit: *"Parmi les derniers membres de ma communauté il y a un descendant qui aura de l'argent à profusion et qui en aura tant qu'il ne pourra pas le compter."*[29]

13. D'autre part, Salem Ibn Abdallah Ibn' Omar a dit: "Ô peuple d'Irak, combien vous attachez-vous aux choses futiles alors que vous négligez les choses graves? J'ai entendu Abou Abdallah Ben Omar rapporter ces paroles du Prophète (b.s.): *"La discorde commencera par là"* (et il désigna de la main l'est, du côté où apparaissent les cornes du diable)[30], *alors que vous êtes en train de vous entretuer."*

Il existe en outre un grand nombre d'autres signes mineurs que nous connaissons par le Coran et les Hadiths du Prophète (b.s.) et dont nous citerons quelques-uns.

1- **Selon Abou Horaïra, le Prophète (b.s.) a dit:** *"L'Heure dernière n'aura lieu que lorsque deux nations qui appartiennent à la même foi religieuse se seront combattues et que cette guerre aura causé des milliers de morts."*[14]
   Certains exégètes ont interprété ce Hadith comme étant une allusion à la guerre qui eut lieu quelques années après la mort du Prophète Mohammad (b.s.) entre Ali et Mo'awiya. Cette opinion a été pourtant réfutée par d'autres savants.

2. Selon Abou Horaïra, le Prophète Mohammad (b.s.) a dit: *"l'Heure dernière n'aura lieu que lorsque l'Euphrate découvrira une montagne d'or pour laquelle les hommes s'entretueront."*[15] La suite de ce Hadith nous apprend que 99% des hommes seront tués et pourtant chacun gardera l'espoir d'être parmi les rares survivants.
   Certains commentateurs ont dit que cette montagne d'or, c'est le pétrole, qu'on appelle également "l'or noir"; alors que d'autres pensent que ce signe ne s'est pas encore produit.[16]

3. On rapporte de même ce Hadith du Prophète (b.s.): *"L'Heure dernière aura lieu lorsque celui qui est tué ignorera pourquoi il est tué et que le meurtrier ne saura pas davantage pourquoi il a tué."*[17]

4. Abou Horaïra a rapporté ces paroles du Prophète (b.s.): *"L'Heure dernière n'aura lieu que lorsque le chaos (désordre) règnera"* On demanda alors au Prophète: "Et quel est ce chaos, ô Envoyé d' Allah?, il répondit: *"le meurtre, le meurtre."*[18] Or, ce signe est évident à l'époque actuelle où les guerres causent non plus des dizaines de morts comme à l'époque islamique mais des milliers de morts.

5. On trouve de même le Hadith suivant dans les deux Sahihs: *"L'Heure dernière n'arrivera que lorsqu'un grand incendie aura éclaté dans la terre du Hedjaz (en Arabie Séoudite) et qu'il éclairera le cou des chameaux à El-Basra" (à El Sham, i.e. en Syrie)*[19]
   Or, ce signe, selon certains commentateurs, a déjà eu lieu: le quartier Est de Médine a brûlé et l'incendie a duré si longtemps que les flammes pouvaient être aperçues de Basra en Syrie. Ceci eut lieu le 3e jour du mois de Gamadi Second en l'an 654 de l'Hégire et l'on peut encore voir jusqu'à ce jour à Médine les pierres noires calcinées.

6. Un autre Signe de l'Heure est mentionné dans le Hadith suivant: *"Empressez-vous de faire le bien. Les hommes vivront tant d'événements déroutants que celui qui était croyant en s'éveillant, reniera sa foi le soir même et celui qui s'est couché en ayant la foi, la perdra à son réveil: il aura échangé sa religion contre les biens terrestres."*[20]
   Or, à l'époque où nous vivons, ceci est assez courant.

7. Abou Horaïra a rapporté que le Prophète (b.s.) a dit: *"L'Heure dernière aura lieu lorsque les Musulmans auront combattu les Juifs et les auront exterminés. Les Juifs se*

C'est grâce au Coran et à la Sunna que nous pouvons reconnaître ces signes. Il existe des signes "mineurs", qui précédent les signes "majeurs" annonçant la fin du monde et le Jour du Rassemblement[9], jour où les hommes seront tous ressuscités pour comparaître devant leur Créateur.

Les signes "précurseurs" qu'on appelle également signes "mineurs" sont multiples. Ceux qui sont versés dans la science islamique assurent que certains d'entre eux se sont déjà manifestés, alors que les autres se produiront dans un avenir proche.

En effet l'humanité a déjà été témoin de deux événements importants qui annoncent l'apparition de tous les autres signes:

a. Le Message du Prophète Mohammad (b. s.), le sceau et le dernier des prophètes envoyés par Allah aux humains. Comme son message confirme et complète tous les messages précédents, il marque la fin de la vie de ce monde; car la période qui reste pour l'humanité à vivre n'a plus besoin d'autres législations divines.

Selon Abou Horaïra, l'Envoyé d' Allah a dit: *"Comparée à celle des prophètes qui m'ont précédé, ma situation est pareille à celle d'un homme qui a bâti une maison, l'a embellie et parée, sauf qu'il a laissé vide la place d'une brique dans un angle. Les gens sont venus visiter cette maison; ils l'ont admirée et ont dit: Pourquoi n'as-tu pas posé cette brique?. C'est moi qui suis cette brique et je suis le sceau des prophètes."*[10]

Sahl-Ben-Sa'd a rapporté également le Hadith suivant: *"J'ai vu, dit-il, l'Envoyé* **d'Allah** *désigner deux de ses doigts, l'index et le majeur, en disant: 'J'ai été envoyé par Allah, et l'Heure dernière comme ces deux doigts-ci."*[11]

Dans une autre version du Hadith: *"Mon message est aussi proche de l'Heure dernière que ces deux doigts-ci"*, et il rapprocha son index de son majeur.

Le fait qu'aucun messager ne sera envoyé aux hommes après Mohammad (b. s) témoigne que la vie sur cette terre est près de prendre fin et que son message est l'un des signes de l'Heure.

b. La scission de la lune qu'Allah nous a annoncée comme étant l'un des signes précurseurs de l'Heure, dans la sourate "La Lune" (v 1 à 3)

[L'Heure approche et la lune se fend!
S'ils voient un Signe, ils s'écartent en disant:
"C'est une magie continuelle!"
Ils crient au mensonge; ils suivent leurs passions;
mais tout décret est immuable]

Sour. "La Lune" (v 1–3)[12]

Or, la scission de la lune a effectivement eu lieu: elle est l'un des miracles dont Allah a appuyé le Message de son prophète:

Lorsque les Koraïchites incrédules, accusant le Prophète Mohammad (b.s.) de mensonge et de sorcellerie, le défièrent de produire un miracle, il invoqua Allah; alors tous les habitants de la Mecque purent voir la lune se scinder en deux au-dessus du Mont Kobéiss.[13]

éternellement stable: tout ce à quoi nous étions familiarisés disparaîtra de la surface de la terre et tout ce que les hommes pensaient être leur œuvre n'existera plus. C'est alors que l'homme stupéfait se rendra compte de son impuissance.

[Adorez-vous ce que vous avez sculpté, alors que c'est Allah qui vous a créés vous et ce que vous faites?]

Sour. "Ceux qui sont placés en rangs" (v. 95-96)[1]

Lorsque l'homme en arrivera à nier l'existence de Allah pour n'obéir à d'autre loi que la sienne; lorsqu'il pensera être devenu le maître de l'univers, c'est alors que Allah donnera l'ordre de démolir tout ce que les hommes prenaient pour acquis et tout ce qui les a égarés: le soleil cessera de se lever à l'est, les étoiles s'éparpilleront et les montagnes s'affaisseront, comme en témoigne le verset du Coran dont l'interpretation est:

"Ils t'interrogent au sujet des montagnes
Dis : "Mon Seigneur les réduira en poudre;
Il en fera un bas-fond aplani
où tu ne verras ni ondulation, ni dépression]

Sour. "Ta-Ha" (v. 105-107)[3]

Lorsque la dévotion humaine aura fait place à l'attachement aux biens terrestres et lorsque l'orgueil humain aura atteint son paroxysme, Allah présentera la Vérité aux hommes par des événements réels qui seront les Signes de l'Heure dernière et qui précèderont les bouleversements cosmiques marquant la fin de la vie sur cette terre.

Les Signes de l'Heure

Comme toute existence sur cette terre est temporaire, de même notre univers est voué à l'anéantissement. Ceci a été certifié dans tous les messages monothéistes grâce aux prophètes qui nous ont révélé, non seulement l'unicité d'Allah, Créateur de l'univers, mais encore l'existence d'une vie de l'âme après la mort (dans l'Enfer ou le Paradis, chacun selon ses actions).

La croyance dans l'au-delà est l'un des fondements de la foi islamique. Si l'on nie l'existence d'un Jugement Dernier, i.e. des châtiments et des rétributions, on ouvre la voie au déchaînement des passions humaines et de tous les bas instincts. Or, à partir du moment où l'être humain a la certitude qu'il n'aura point de comptes à rendre à qui que ce soit, il laissera libre cours à ses passions sans se soucier du bien d'autrui. Seule la certitude qu'il existe un jour de Jugement dernier où le bon et le méchant ne seront point rétribués de la même façon, permettra une évaluation équitable de toutes les actions humaines.

Les Signes précurseurs (ou signes mineurs)

La fin du monde où nous vivons sera annoncée par des signes précurseurs, ou Signes de l'Heure dernière.

pourraient le lui reprendre. Combien faible est celui qui demande et celui qui est sollicité!–

Sour. "Le Pélerinage" (v. 73)

L'observation de l'univers nous permet de déduire qu'il y a , d'une part, une créature et, d'autre part, des créations qui sont à son service. L'être humain est la créature pour laquelle l'univers a été créé. Toutefois, si l'univers obéit à des lois stables et immuables, l'homme lui, au cours de sa vie, est sujet à des changements d'état dont certains sont prévisibles et d'autres inexplicables.

Le savoir humain, malgré son étendue reste très limité par rapport au savoir d Allah qui est l'Omniscient:

[Il ne vous a été donné que peu de science]

Sour. "Le Voyage Nocturne" (v. 85)

En fait, la présence des humains sur cette terre n'est que temporaire; elle n'est point fonction de la durée de cet univers qui peut s'étendre sur des milliers d'années:

[Dans la création des cieux et de la terre, dans la succession de la nuit et du jour, il y a vraiment des Signes pour ceux qui sont doués d'intelligence]

Sour. "La Famille de 'Imran" (v.190)

Toutefois, l'homme, persuadé de la permanence de cet univers, est victime de deux illusions: la première, c'est que cet univers qui a duré des milliers d'années, est éternel; et la seconde, c'est que tout ce qu 'Allah a mis au service de l'homme (le soleil, la mer, les animaux, les plantes, mais aussi l'électricité, etc) est un acquis et un droit. Or, en réalité, tout ce qui existe et tout ce qui a lieu dans cet univers est soumis à la volonté et au pouvoir divins –le pouvoir de l'homme se limite en fait à tirer profit de ce qui existe déjà sur notre planète: il peut uniquement la parer en vue de rendre sa vie plus agréable–

[Nous avons embelli ce qui se trouve sur la terre pour voir quel est celui d'entre eux qui agit le mieux, puis nous transformerons sa surface en un sol aride]

Sour. "La Caverne" (v. 7–8)

Lorsque la vie d'un homme prend fin, tous les objets dont il s'est entouré pour rendre sa vie plus agréable sur cette terre demeurent; lui seul disparaît et, désormais, il ne peut plus en jouir.

Le jour où, sur l'ordre divin, notre univers prendra fin, toutes les beautés de cette terre ne seront que décombres. Or, plus la science humaine se développe et plus les hommes se prennent pour les maîtres de l'univers dont ils veulent disposer à leur gré.

Lorsque Allah aura jugé que l'homme, aveuglé par l'orgueil, n'aura pas vu les signes de Sa toute-puissance, à ce moment le rôle de cet univers prendra fin.

Grâce à son pouvoir suprême, Allah transformera alors tout ce que nous pensions être

Les Signes de l'Heure d'après le Coran et la Sunna

Dr. Rokeya GABR

Professeur-Adjoint au Département de Langue Française
Université Al-Azhar

Introduction

Le sujet de la fin du monde ou de l'heure dernière a longtemps préoccupé les hommes de science. Chacun essaie de prédire le jour ou la date approximative qui marquera l'anéantissement de l'univers où nous vivons.

Or, toutes les théories scientifiques et toutes les prédictions ne sont fondées que sur de simples hypothèses car le savoir humain est limité.

En fait, le vrai croyant sait que seul Allah, qu'Il soit glorifié, est au courant de cette date, comme en témoigne la parole divine:

[La science de l'Heure est auprès d'Allah. Il fait descendre l'ondée. Il sait ce que contient le sein des mères.]

Sour "Luqman" (v. 34)[1]

Plus l'homme observe le monde qui l'entoure, plus il y réfléchit et plus il se doit de découvrir des preuves de la toute-puissance du Créateur. C'est ce qui explique la parole divine:

[Parmi les serviteurs d'Allah,
les savants sont les seuls à le redouter]

Sour. "Le Créateur" (v. 28)[2]

En effet, si nous observons l'univers, nous découvrons qu'il est régi par des lois que l'homme ne peut expliquer et sur lesquelles il n'a point d'emprise. Ces secrets de l'univers sont demeurés une énigme pour les savants; seuls peuvent les comprendre ceux à qui Allah a octroyé la vraie science religieuse.

Il est vrai que les progrès accomplis au cours des siècles ont permis à l'homme de faire un meilleur usage de tous les bienfaits que Allah a mis à sa disposition. Toutefois, si l'homme a su tirer profit du monde où il vit, il s'est avéré incapable de creer par lui-même le moindre insecte ou la moindre matière première.

[Ceux que vous invoquez en dehors d'Allah ne créeront jamais une mouche, même si tous s'unissaient ... et si la mouche leur enlevait quelque chose, ils ne

REVUE AL-AZHAR

Section Française

XI^{ème} Partie, 63ème Valume
Mois de Chawwal 1411 de l'Hégire

Comité de Rédaction :
D^{r} Rokaya GABR, Professeur adjoint ou
Département de Langue Framçaise et de Traduction

M.Mohammad OMAR Traduct en chef au Centre de Recherches Islamiques

CONTENU

D^{r} Rokaya GABR
Les Signes de l'Heure d'après leCoran et la Sunna
1^{èr1} Partie : les Signes mineurs

The Islamic concept of worship extends much further than just the glorification of the Creator by bowing, prostration, liturgy, prayer, fasting and the other acts of worship. They in fact encompass all the dimensions of human activities in life with an inherent comprehensiveness that all good deeds are in fact acts of worship. This understanding extends the objectivity of purpose, the inner consciousness of responsibility in conduct and behaviour, and man's harmony with the surrounding universe to embrace the total integrated actions of the individual. By this understanding, the acts of devotion and worship in Islam are essentially means of promoting the purpose of human life. All actions of mankind are for the sake of Allah, falling within the framework of association with the Absolute, become acts of devotion and worship. Human intellect is a combination of perception and ratiocination, and for this very fact, the Islamic formulation of worship bears both intellectual and perceptional aspects.

The Muslim acts of worship have their own detailed characteristics, each doctrined to promote and cultivate a certain perspective particular of human life. They associate mankind to the Creator, they train man that all good deeds for the benfit of humanity are acts of worship. Worship in man's life satisfies the inherent need for the psychokinetic extrasensory scared quality of man's basic constitution. "Why should I not worship Him who created me. And to Him you will be returned" (Surat Yassin, XXXVI, 22).

the Absolute. These articles of worship are all prescribed to induce mankind to make effort and exertion with the objectivity of purpose in looking beyond self interests. This formal training of self denial and unselfishness projects the efferts of man towards a wider and more superior goal than his own personal material objectives. The training provided by the acts of worship puts emphasis on the objectivity of purpose, it binds the value of any deed to its motives and not its results. The value of any human action is judged by the objectives of its motives. The attainment of such an understanding is the realization and recognition that all human action are "for Allah". This phrase in Islamic concepts associates and relates all human actions as being sponsored and patronized by Allah. Such an understanding dictates with meticulous precision that all human actions must be virtuous, righteous, immaculate, pure, unsinful, chaste, moral, aiming to serve humanity rather than one's own demands, and done with the spirit of a devotee. Such an objective purpose of human actions is optimized through the genuine associative affiliation of man with his Creator. This necessitates that all human action must be enriched with the grace of a sacred quality, and should be justified by faith.

The practical implementation of the objectiveness of all human action, demands an equally potent inner consciousness of responsibility. Such human observant dutiful responsibility becomes a living paradigm in the mind of man, only if it is accompanied by genuine Belief in the constant Dominant Vigilant Omniscient unique identity of Allah. The regular acts of devotion and worship are performed as the result of man's inner responsibility to himself, to his Belief, and to the objective purpose of self association with the Absolute. This psychokinetic quality of sacred responsibility is the matrix of the esoteric seraphic human features, a human quality that is only known to Allah, The Sovereign, the Just. The concept of responsibility towards the objectiveness of the acts of devotion and worship represents a constant requirement for the promotion of the cultural social, economic, liberal and private life of mankind. Several aspects of the Muslim acts of worship cannot be comprehended and are unexplained in tangible terms. This introduces a new important dimension of the submissive obedience in the quality of Belief. The concept of true submissive obedience is inculcated into the attainment of true Belief. The elementary fundamental understanding of this context is that the knowledge of Allah is infinite, ubiquitous, eternal and omniscient; and the knowledge of man is only finite, being only the part that man utilizes from Divine Supreme knowledge. All human knowledge is relative, and all Divine knowledge is absolute; the relative must relate to the Absolute with submission and obedience. Therefore man is expected to practice the acts of worship without questioning their ununderstood aspects. Total submission and resignation requires an effort in faith in the Absolute; the higher the quality of submission and resignation, the firmer will be the association with the Absolute.

That which is referred to as individual mind or individual intelligence, is in reality that much which is utilized by the individual from the Universal Intelligence. The distinct realization of this precision of truth, brings about the inception of Belief and a corresponding association with the "Divine Milieu". The ultimate purpose of all acts of devotion and worship is to bring human thought and spirit into resonance and association with the Divine Tanscendence. This is achieved by subjecting the human body, mind, and sensory functions to specific acts of devotion and worship. The constancy, depth, zeal, concentration and understanding by which these acts are performed will affect the degree of association. The extrasensory wonders and harmonious beauty of association with the Divine presence is known only to those of experience.

The acts of devotion and worship are in fact a continuous journey of man striving towards an association with the Absolute. This requires a constant endless struggle against all forms of ignorance, weakness, injustice and humility; such struggle places mankind in a position of responsibility to the Absolute. All human intentions, actions and functional conduct must consequently become optimized to responsibility and purpose. The Islamic maxim of the Absolute "There is no god except Allah" specifies the ultimate responsibility and purpose of the human journey through life. This is infact the total submissive resignation to the Transcendent Absolute. The quality and authenticity of this submissive resignation quantifies the degree of association. The practice of the acts of devotion and worship are outward manifestations of associating one's self with the Absolute. The continuous recognition and acknowledgement of the Unity of Allah ties the human mind to the continuous rejection of false gods. There is no aspect of human life more important and vital than the recognition of this fundamental maxim. There is no human experience more extensive in dimnensions, and wider in significance than that of Belief. Man has always strived to seek for the Absolute beyond the limits within which mankind has lived. It is a natural instinct of the human species to associate with the infinite Dominion of the Absolute, The Divine Milieu. The prime purpose of the acts of devotion and worship is to develop, augment and energize this natural instinct to raise mankind to the level of cognizance, enlightenment, emancipation, ecumenic knowledge, and the proper practice of human faculties. All these qualities of mankind are attained when man strives and makes the genuine effort to associate with the Absolute through the acts of worship. These acts of worship are a practical demonstration of man's link with the Absolute, through which a continuous perpetual association is maintained. These acts of worship in Muslim theism, institute submissive obedience, and the infallible recognition of the Absolute. It follows, that the acts of devotion and worship are a constant energizer of man's true association with the Absolute; they are the energy potential affiliating man with the Divine Milieu.

The Islamic doctrinal articles of worship provide another modality of human acculturation of enlightement and civil refinement, besides the associate affiliation with

social rank. The nuclear reactor engineer, the astronaut, the physician, the civil servent, the most learned, and the man with a hand plough are all subject to the same prescriptions and the same formalities of worship. This perpetuate canonization of the acts of worship throughout human life indicates their indispensible nature. The changing patterns of human life through the development of resources and implements are in essence changes in the bilateral orientation between man and the natural environment; and are influences only of the material forms of this relationship. The acts of devotion and worship to the Divine Supreme Being are not subject to changes in the material development; they are subject only to the strength of genuine faith, and the individual potentials of Belief. They represent the relationship between man and his Creator; and indirectly regulate and control the relationship between man and man. The elaborate multidisciplinary systems of worship presented by Islamic doctrines have provided an optimized paradigm to establish a coherent relationship between man and the "Divine Milieu", and to build up his individual, social and cultural character within the framework of the Islamic paradigm. This plays a major role in structuring human culture and in solving socio-cultural problems continuously taking place in human life.

The acts of devotion and worship in Islam are forms of practical practices that associate and affiliate man to the Divine Transcendent Milieu. The optimal practice of this associated affiliation enhances the progressive movement of mankind towards creative development. The most enlightened phases of human mental faculties developed through man's genuine communion with the Absolute. The true genuine affiliation of man to Allah in his capacity and attributes of being the Absolute, means the total rejection of imaginary absolutes of the mind, false gods and deitified idols or chimerical beliefs. Such genuine association requires the total mental comprehension and ecumenic understanding of the Divine Omniscience. The All-Cognizant Creator, the infinite Absolute powers of perception and ratiocination, and the indisputable evidences of universal cosmic intelligence. The elements of Belief are the particles of knowledge, the faculty of thought is the product of intelligence. The human mind learns knowedge through the practice of intelligent thought; the source of knowledge is the whole vast infinite cosmic creation with all its phenomenal marvels, the wanders of the universe, the exalted sublimes of creation. Every atom in the science of chemistry is based upon an undeviating work plan; every molecule functions according to an intelligent work plan; every cell divides, proliferates and differentiates according to an intelligent work plan; the location and movement of the stars and planets are evidence of a guiding creative intelligent work plan. Human knowledge throughout the ages has discovered that all intelligence is one, and that all the laws of nature are essentially one law. The intelligence that man uses to plough the earth, is the same intelligence that runs the universe; it differs only in degree, not in kind. This universal cosmic intelligence is an infinite ocean surrounding our cosmic world in which we are all submerged; and upon which we draw.

WORSHIP IS INDISPENSIBLE TO MANKIND

By: Saad Moustafa Moustafa M.D.

The structural elements of human creation constitutes an integrated complex matrix of biological system mechanisms from conception to death; and another supereminent preponderant psychokinetic extrasensory sacred quality of spiritual grace. The prime purpose of Islamic doctrinal teachings is to establish a paradigm that will provide the optimal requirements to satisfy the needs of both elements of human life. The biological mechanisms are controlled regulated operated and maintained by auto-inherent dynamic systems constituting the phenomena of life. The animate mammalian body is structured to perform the various complicated molecular, cellular and organ biomechanisms in a perpetual manner to maintain the physical existence of the body. The basic requirements of this bodily organization are sources of energy as food and water. The spiritual extrasensory aspect of human life is controlled, regulated, operated and implemented through a perfected consummated framework of association with the "Divine Milieu". The choerence of such association is a function of Belief. For this pivotal reason, the most essentially demanding context of theism is the doctrinal presentation of deductive reasoning, inference and judgement, the logistics of conceptualization that will justify the thesis of Belief. The nourishment of Belief is worship. The various acts of worship in Islam are very distinctively organized, regulated and specifically cannonized. These acts of worship play a major essential role in Muslim Theism; the ordinances governing their performance, and the associated devotional behaviour form a tangible representation in the daily life of the Muslim.

Since the practice of worship sustains, preserves and strengthens the premise of credulity and certainty; such practice must possess a continuous nature. One important aspect of the devotional acts of worship is the innate indispensible need to mankind. This remains constant throughout the continuously changing development of human life. The acts of worship are not subject to the variations in the patterns of human conditions, and their necessity of performance is not affected by the increasing human control over nature's resources, or the alteration in the modes of living. The acts of worship in Islamic law are incumbent on all individuals irrespective of sex, profession; wealth, or

upper Egypt was then under Muslim dominance. During that primary phase, conditions were very critical and adverse to Muslims, and Amre Ibn Al-Aas surmounted difficulties with skill, craftiness and shrewd expedient stratagem. Instructions from Omar Ibn Al-Khattab were continually reminding him to save the lives of his men, not to kill the enemy except in battle, not to kill children women or old men or inhabitants not taking part in combat. Instructions also included the preservation of plantations, trees, houses, dwellings, property and animal life; not to plunder, loot, wreck or seize by force. Amre Ibn Al-Aas and his men obeyed these instructions, as doctrinal teachings of Muslim theism. After the triumph and occupation of Babylon, Amre Ibn Al-Aas remained between his men silent and deliberating with his ranks, awaiting news of advice from Omar Ibn Al-Khattab. The conditions were optimal to encourage the Muslims to march to Alexandria. The hatred of the Egyptian Coptics to the Romans was intense, the Romans were at low spirit, depressed and certainly deteriorated in military organization. The road to Alexandria was ready, and Amre Ibn Al-Aas was confident that Alexandria was ready to receive the Muslim crusaders. After resting his men, and drawing his plans, Amre Ibn Al-Aas was patiently awaiting orders from Omar Ibn Al-Khattab. The policy adopted by Amre Ibn Al-Aas towards the Egyptian population of copties was very successful in passifying them, and inducing some to enter Islam as the new creed.

The triumph at Babylon raised the confidence of Muslim warriors, they had been victorious since they crossed the eastern Egyptian borders. The victory at Ain Shams, and the occupation of Babylon, established their zeal and heightened their combat psychology. They travelled through regions around Cairo and witnessed the historic relics of the pontific and spectacular magnificence of the ancient Pharonic civilization. Their feet moved across the fertile plains of the Nile which gave evidence of the opulent richness of the land. Muslim warriors received the permission of Omar Ibn Al-Khattab to Amre Ibn Al-Aas to move with his troops to Alexandria, before the season of the high flood.Amre Ibn Al-Aas leftKharijah Ibn Huzafah Al-Sahmii at the head of a garrison at fort Babylon, and advanced with the rest of the Muslims towards Alexandria.

to Constantinople for final approval of Emperor. The Roman forces were to remain in the fortress, and the Muslim warriors were to hold their grounds untill the final decision of Heraclius.

Emperor Heraclius of the Eastern Byzantine Empire could not understand the final outcome of the agreement. Was that concerned with the fortress of Babylon? was Egypt to be surrendered to the Muslims; the exact outcome of the truce agreement was not clear. Heraclius had hundred thousand troops in Egypt, where there was some of the most fortified strongholds. How could such Roman military might agree to capitulate to few thousand Muslim crusaders. Heraclius accused Al-Muqawqas of treason and of giving up Egypt very cheeply to the Muslims. Al-Muqawqas was released from all official duties. Heraclius refused the truce terms, and hostilities were renewed between the Romans and Muslims by December 640 AD.

The season of the flood was over, the fortress of Babylon received no reinforcements, and the Nile waters were low. Again repeated confrontations between both Romans and Muslims took place during the early months of 641 AD. The fortress of Babylon lost all hope of receiving reinforcements, and by March of the same year, the Nile water was very low. During that time, news of Heraclius's death paralyzed the last string of hope for the defenders of Babylon, however, the invincible nature of the fortress of Babylon remained to stand resistant to the long siege, till the month of April. The Muslims became impatient after eight months of blockade, and alertness; they were eager to storm the fortress and occupy the great Egyptian bastion of Babylon. Several Muslim leaders including Al-Zubair Ibn Al-Awam convened with Amre Ibn Al-Aas to discuss the strategy to storm the fortress of Babylon. The Muslims decided to plug the moat at a certain point by gradual padding, which when finished allowed them to cross the moat to the walls of the fortress. Al-Zubair Ibn Al-Awam was the first to climb the walls to the top followed by other Muslims. Once at the height of the walls, they shouted "Allahu Akbar", Allah is Greatest, and descended to the inside to open the gates for the storming Muslims. The Roman troops inside the fortress were helpless against the very eager tempestnous Muslim warriors. The fortress of Babylon finally succumed, and the legend of Babylon finally yielded. The Roman garrison left the fortress during the early days of April 641 AD, leaving behind them all armaments. The Roman commander surrendered officially the fortress of Babylon to Amre Ibn Al-Aas the leader of Muslim crusaders. News of Babylon occupation were at once dispatched to Omar Ibn Al-Khattab with details of the situation, and permission to plan the march of Alexandria - the capital city of Egypt.

The famous fortress of Babylon was finally occupied by Muslim warriors after eight months of stringent bitter siege for both parties, the Romans and Muslims. This ended the first phase of Muslim emergence into Egypt. The whole territory of middle and

Muslims showed great patience, and the Romans awaited reinforcements which had not arrived from the capital city of Alexandria.

The summer months were ending, and the flood waters were lowering; the time was October 640, AD and the situation was becoming critical for the Romans. Al-Muqawqas and few others deliberated among themselves to negotiate the situation with the Muslims. They secretly crossed the river to the Muslim encampment site. They sent envoys from among themselves to meet with Amre Ibn Al-Aas advancing to him a message from Al-Muqawqas and his party. Amre Ibn Al-Aas kept the envoys for few days with the strategy that these envoys would witness the exact conditions of Muslims. The envoys finally returned to Al-Muqawqas carrying the conditions the Muslims had dictated in reply. To enter into Islam, to pay the "Jiziah", or to confront in battle. The delegates of Al-Muqawqas described the Muslims as being very humble, they gather for prayers, they are all similar in rights, they eat little, they wash before prayer, they are detached from mundane worldly demands. Al-Muqawqas returned the message to the Muslims asking them to send delegates for negotiations. Amre Ibn Al-Aas send ten men, among them was their speaker Ubadah Ibn Al-Samet, who was black, with instruction to negotiate only within the three alternatives; Islam, Jiziah, or combat. When in the presence of Al-Muqawqas, Ubadah started to speek; Al-Muqawqas shouted "take away that black man; let someone else speak". The Muslim delegates stated that Ubadah was their speaker, and they consented and agreed to all he was to say. Ubadah stated the three alternatives, which Al-Muqawqas found very unacceptable for negatiations. The meeting ended without agreement, and the situation of hostilities was resumed.

Fighting was renewed after the Muslims stormed the fortress several times; on other occasions, the Romans attacked Muslim warriers on open ground. These confrontations resulted in heavy casualities among the Romans, who were compelled to retreat into the fortress for safety. Consequent upon this, Al-Muqawqas renewed his policy for negotiations with the Muslims, and after gaining approval from his people, he contacted Amre Ibn Al-Aas. The Muslims were contradicting truce negatiation to have the full rights for complete indemnity retributions. Amre Ibn Al-Aas reminded his men that his orders from Omar Ibn Al-Khattab were to accept one of the three alternates; on the other hand, the strategic situation was not very favourable, and it was a wise decision to negotiate terms of truce according to what Islamic law dictated. Amre Ibn Al-Aas and Al-Muqawqas agreed on several articles to end hostilities. These terms were that every adult Egyptian male should pay two dinars per annum. The inhabitants of Egypt were to remain free, having their lands, properties, belongings, churches, crosses, articles of value; and to be protected by Muslim against any invasion, they were to have the right of free trade. These terms were agreed upon, and were subject to the final approval of the Roman Emperor Heraclius. Al-Muqawqas travelled to Alexandria and sent the agreement

OMAR IBN AL-KHATTAB

The Gates of Babylon

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

The Muslim triumph against the Romans at Ain Shams assured their victorious influence prevalent over the whole region of middle Egypt. The defeated remnants of the Roman troops retreated to the great fortress of Babylon soliciting safety, and others used boats to withdraw to the fortress of Naqious situated north of Menouf. The Muslim warriors marched to occupy the city of Cairo without any resistance, and finally concentrated their forces within the green belt around the fortress of Babylon. Muslim contingents moved to the region of Al-Fayoum and occupied it, and others travelled to the middle of the Nile Delta to establish security in territories north of Cairo. The strategy of Amre Ibn Al-Aas after the triumph at Ain Shams was to secure his forces in Cairo without danger from the surrounding regions, to draw plans to ocupy the fortress of Babylon, to ensure provisions and supplies to his men, and to leave Alexandria untill the Muslims had occupied Babylon. The Egyptian population were amazed at the achievements of the Muslim warriors against the large numbers and better equiped Roman legions. Amre Ibn Al-Aas decided to besiege the great fortress of Babylon.

The time was the summer of the year 640 AD, the months season of the flood, and the waters of the Nile was high, making it difficult to storm the fortress. Both the Romans inside the fortress of Babylon, and the Muslims outside, knew that it was to be a long siege. Both opponents had to be patient and plan for the suitable strategy. The Romans awaited reinforcements from Alexandria, and were confident in the invincible strength of the fortress. Babylon was at the time one of the strongest Roman fortreses with its walls sixty feet high and several feet broad. It had several towers much higher than the walls, with stairways. These provided a detailed panorama of Al-Muqattum mountains on the east, and of the Pyramids on the west. The huge steel gates of the fortress were on the water front. The whole fortress was surrounded by a moat with a drawbridge infront of the main gate. Inside and in the direct vicinity of the fortress, large areas of plantations and orchards provided supplies to the inhabitants of the fortress with the necessary provisions. Amre Ibn Al-Aas besieged the fortress and realized that the ordeal of confrontation was lengthy and bitter. Al Muqawqas the chief of the Egyptian coptics was among those taking refuge in the fortress. The Romans inside the fortress, and the Muslims outside exchanged salvos of arrows, stones, and fire blocks. The

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART XI

Zu Al - Qiddah 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   The Gates of Babylon
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **Worship is Indispensible to Mankind**
   By: Saad Moustafa Moustafa

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

١٢٥
٣٤٤٤٦ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة الأعبادة

بقدر مايسجل التاريخ « العمل » تسجل الحضارة « الأثر » بل تكاد تكون الحضارة أثراً محضاً ، منشؤه الأرض وكم للأرض من فضل ...!!

تنقُبُ الحضارةُ الأرضَ كاشفة عن مدن مطمورة ، وآثار مهجورة ؛ فتجد شيئا من تماثيل وأعمدة ، أو قطعة نسيج أو آنية ، فيعكف علماؤها على ماحوت من الطِلّسْمات ، ثم ينتهون إلى (لغة) تحدثهم - بصدق - عن عصر بل عصور ، ينال منها التاريخُ أحداثَه ، وتحظى منها الحضارة بمادتها لتحدثك عن : الدِّين والقانون والأدب والفن والعمارة والعادات والتقاليد ، وشتى شئون اختصاصها ، فإذا الأرض الصامتة سِجِلُّ عصر وشاهد إثبات ، وإذا الإنسان ليس كائنا في فراغ .. إنه جزء من الأرض ، عاش على متنها ما عاش ، ثم غاب في أحشائها ، وقد سجلت آثاره ووعت أخباره .

الأرض واحدة من كُبْرَيَات خلق الله - عز وجل - أُعطِيت الأمانةَ فأدتها ، وَأَبت أن تحملها ، وهي - بعد - مادة الخَلْق ، من ترابها استوى آدم ، ومنه كان البشر ، وعلمه ربه لتعرف ذريته الصراط المستقيم .

على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ◆

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
*
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
*
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت : ٢٦٣٨٥٩٩ / ٩٠٥٤٧٣ /
٩٠٥٥٠٦

ذو الحجة ١٤١١ هـ
يونيو ١٩٩١ م
الجزء الثاني عشر
السنة الثالثة والستون

◆ شهـــادة .. لا عبـــادة

وفى الأرض آيات الإبداع زينة للحياة ، ولها فضلها : طعاما وشرابا ورونقا وكساء ... وفى أحشائها كنوز نعلم منها ونجهل ... ومنها بقاع عزيزة على الله ـ تعالى ـ قدَّسها وطهرها وبارك فيها ، وَبَعَثَ الشوقَ إليها فشغفت بها القلوب وهوت إليها الأفئدة من كل فج عميق ، فهى حول (الكعبة) وعند (المشعر الحرام) وأمام (مقام نبينا) عليه الصلاة والسلام ، أو عاكفة فى (بيت المقدس) مجمع النبيين ومهبط الملائكة الكرام .

بقاع من الأرض طاهرة مقدسة حفَّتها الملائكة ، وتعالت من فوقها إلى سبع سماوات ..!

وهى ـ على قدسيتها ـ غَيرُ معبودة .

كَفَرَ من عبدها أو جزءا منها .

كَفَرَ من عَبَدَ الكعبة أو عَبَدَ الحجر .

إنما المعبود اللهُ ـ وحدَه .

كتب سلمان الفارسى إلى أبى الدرداء ـ رضى الله عنهما :

« إن الأرض لا تُقدِّس أحداً ، وإنما يُقَدِّسُ الإنسانَ عملُهُ »[1]

فالأرض المقدسة المطهرة لا تطهر مؤمنا ولا تقدسه .

« قل آمنت بالله ثم استقم » .

إنما للأرض فى الدين ما للأرض فى « الحضارة » .

هى شاهدُ صِدْقٍ على هذا الإنسان .. إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .. شَاهِدٌ غيرُ معبود .

كذا حدد الله ـ عز وجل ـ طبيعتها فاستوت عليها ، وبذلك بَيَّنَ الكتابُ والسنة :

ففى الكتاب ـ بشأن الكَفَرة الفَجَرة من آل فرعون ثم ماشابههم : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ الدخان ٢٩ .

روى الترمذى ـ بسنده إلى أبى هريرة فى حديث حسن صحيح ـ قال :

قرأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ الزلزلة ـ ٤ .

قال : أتدرون ما أخبارها ..؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارَها أن تشهد على كل عبد أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها ... تقول : عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها » .

قال على ـ كرم الله وجهه : ليس من عبد إلا له مصلى فى الأرض ومصعد من السماء..يقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما : فإذا مات المؤمن فَأُغْلِقَ بابه من السماء ... بكى عليه ، وإذا فَقَدَ مُصَلاَّهُ من الأرض التى كان يصلى فيها ، ويذكر اللهَ ـ عز وجل ـ فيها ، بكت عليه . أ هـ

فالكعبة شاهد لمن طاف ، والحَجَرُ شاهد لمن قَبَّل ، والمقام شاهد لمن صلى ، والمسعى شاهد لمن سعى .

آثار محفوظة لا تغيب ، ورحمة موصولة لا تبيد .

د. على أحمد الخطيب

(١) موطأ مالك ٢/٧٦٩ ط عيسى الحلبى ١٣٧٠

مع الإمام الأكبر

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا

تأمين المصالح الحكومية على موظفيها

أرباح البنوك في البلاد الغربية
وبناء المؤسسات بها

للإمام الأكبر والسوق الإسلامية

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

من مقاصد الحج في الإسلام

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق

تنمية العلاقات الإنسانية

جاءت أسس الإسلام فى جملتها لتقيم العلاقات الإنسانية على أسس وثيقة من المساواة والتكافل ، تخرج الفرد من عزلته ، فصلاة الجماعة يشتد بها عزم المصلين وعزيمتهم على طاعة الله ، وبها تستقر النفوس على حقيقة الإيمان بالله وحده .

وتأتى فريضة الحج بمؤتمر عام أكبر من الجماعة فى الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة وفى صلاة الجمعة وصلاتى العيدين .

فالحج ـ كما قال الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) ـ من أركان الإسلام ومبانيه ، عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الإسلام ، وكمال الدين ، وفيه أنزل الله عز وجل قوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(١) .

وإذا كان من وظيفة العبادة وشأنها فى الإسلام تنمية العلاقات الإنسانية وتأكيد الأخوة بين المؤمنين ، والتذكير بالمساواة بينهم أمام الله وعند البشر فإن فريضة الحج فى الإسلام تؤكد هذه المساواة ، بل وتعلنها منذ اللحظة الأولى فى دخول المؤمن فى واجبات أدائها .

فهذا الإحرام بالحج : بمثابة إعلان من المحرم وإلزام لنفسه بالإقلاع عن كل مايحول دون المساواة بينه وبين غيره ممن شاركوه هذا الإحرام ، وبه يدفع عن نفسه كل عوائق الإخلاص لله فى عبادته التى أقدم على الدخول فيها .

---

(١) من الآية ٣ سورة المائدة .

والمحْرم حين يخلع كل الثياب المخيطة ويحرمها على نفسه ، ويعود إلى ارتداء ثوب بسيط ، تاركا كل مظاهر الزينة التى تتبع الثياب المخيطة التى تتنوع فى مظهرها ، وتتعدد فى ذاتها ، بحيث تنعدم بين المرتدين لها حقيقة المساواة إذ يفعل المحرم ذلك ويترك مظاهر زينته الأخرى من حلق وطيب ، إنما يندمج فى عناصر المساواة مع غيره .

فالإحرام يستهدف تجرد المحرمين من كل ما يظهر الفروق بينهم فى أداء هذه الفريضة فلا مظهر للغنى أو صاحب الجاه يميزه عن الفقير الذى لا جاه له ، كما يستهدف أن يكون المؤدون لهذه الفريضة متجهين إلى الله ربهم لا تشتغل نفوسهم إلا بذكره والنزول على أمره حيث تساووا فى الإيمان به ، فجمعهم تحت وصف الأخوة فى هذا الإيمان ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ .

وليس تخلى المحرم عن زينة الحياة من الثياب وغيرها مظهرا خارجيا للمساواة فحسب إذ بالإحرام يعلن المحرم بعده عن كل ما يربطه بمتع الدنيا الأخرى ، فما بينه وبين زوجته من صلات جسدية قد توقف بهذا الإحرام وكل انحراف عن الصراط المستقيم يتوقف ، فلا لغو فى الحديث ولا فضول ، ولا خصومة ولا جدل فى المناقشة ، ولا إساءة إلى الغير .

فهذا الإحرام قد أوجب على كل محرم أن يحزم أمره على ضبط سلوكه بحيث يصبح الخير المهذب .

وهذا هو ما افصحت ووجهت إليه الآية الكريمة من سورة البقرة : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(٢) .

ومع هذا الانصراف الكلى من المحرم إلى واجبات هذه الفريضة والتجرد لعبادة الله وإخلاص النية فى ادائها وضرورة البعد عن هذه المنهيات التى أشارت إليها هذه الآية الكريمة لم يحرم الله عليه السعى لتحصيل رزقه أثناء أداء هذه الفريضة بمراعاة ألا يجره سعيه هذا إلى الرزق إلى الانحراف فيصير ماديا هدفه جمع المال وما يعتور طريق الحصول عليه من أغلاط وأخطاء فينزل إلى مجال يغاير هدف الإحرام من مباشرة أركان هذه العبادة كما يشير إلى قول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ . . ﴾(٣) .

وبهذا الترخيص من الله كان السعى على الرزق من الحاج غير مخل بإحرامه ولا بعبادة الحج بوجه عام متى راعى البعد عن الأمور التى تتنافى مع أركان هذه العبادة وآدابها .

وذلك مماثل لما رخص الله به من الانتشار فى الأرض والسعى فيها طلبا للرزق بعد أداء صلاة الجمعة دون أن يكون فى هذا إخلال بأداء هذه الفريضة ، متى حان وقتها ونودى إليها .

ذلك ماقرره قول الله سبحانه فى شأن صلاة الجمعة فى سورتها :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضيت الصلاة فانتشروا فِى الْأَرْضِ وابتغوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٤) .

ذلك أن عبادة الله المفروضة على الإنس والجن وإن كانت هى الغاية من خلق الله لهما كما جاء فى قوله

---

(٢) الآية ١٩٧ .   (٣) من الآية ١٩٨ .   (٤) الآيتان ٩ ، ١٠ .

تعالى من سورة الذاريات :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٥) إلا أن العمل للحصول على الرزق من وسائل تمام هذه العبادة ، ثم هو سعى وابتغاء من فضل الله فالساعى على رزقه يتجه إلى الله ، كما يتجه إليه حين يدخل فى العبادة بالتكبير فى الصلاة أو بالإحرام للحج ، وبالرزق الذى هو قوته يقوى على العبادة ، وبها يهتدى إلى صراط الله المستقيم ، وينتهى عن الموبقات المهلكات ، اذ بالعبادة يتجنب المنكرات من سرقة وقتل واكل مال يتيم ..

ومن ثم كانت الرخصة بالسعى على الرزق بما لا يتناقض مع العبادة ، وكان فى هذا توثيق للعلاقات الإنسانية وازدهارها ، وصار العمل مع العبادة من باب التعاون على البر والتقوى .

ومن مقاصد الحج تنمية الترابط بين المسلمين : فالإحرام يستهدف إعلان المساواة بين العابدين حجاج بيت الله الحرام ، ولهذه الفريضة اثر مباشر آخر هو إيجاد الترابط بين هؤلاء المؤمنين على أساس من الصفاء والنقاء ، بعد أن ارتفع من بينهم التمايز فى الاعتبارات البشرية ، ويتجلى هذا الترابط بطوافهم حول الكعبة ، بل إن هذا الترابط غير قاصر على أولئك الطائفين المؤدين للفريضة فى عام من الأعوام ، وإنما هو تواصل بما كان منذ نبى الله إبراهيم(عليه السلام)إلى رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممتدا هذا التواصل والترابط بين أجيال المؤمنين الذين يفدون إلى هذا البيت الذى جعله الله مثابة للناس وامناً وقبلة يتجهون إليها فى الصلاة .

فاستمرار الطواف كواحد من شعائر الحج يسهم فى تذكير المؤمنين بالله بالصلة القوية التى تربط بين أجيالهم ، الا وهى : صلة الإيمان بالله وهى صلة تاريخية تبرزها عبادة الحج وتضيفها إلى صلة الترابط بين المؤمنين بالله اتباعاً لرسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى جاءت بهذه العبادة .

وصلة الإيمان بالله التى تربط بين قلوب المؤمنين فى الأجيال المتتابعة ينبغى أن تشدهم دائماً إلى أن يكونوا قوة فى مواجهة الإلحاد الذى يعمل دائماً على تمييع العقيدة ، بل ومحاولة حجبها وربما سحبها من القلوب .

فهل لنا أن نحرص ـ نحن المؤمنين ـ على أن يمتد هذا الترابط بيننا ويشتد ، وأن نتواصى بالحق حتى يتوافر لهذه الأمة الأمن والأمان ؟

ومن مقاصد الحج تنمية فضيلتى الصبر والمثابرة ، بل والمبادرة وسرعة الاستجابة على هذا النمط الملحوظ فى أداء السعى بين الصفا والمروة ، باعتبار أن الاستجابة السريعة هنا عبادة وقربى إلى الله الذى شرعها ، كما أن فى الزيادة فيها والتطوع بها خيراً كبيراً .

ولاشك أن حيوية الأمة تقاس بصبرها وجلدها فى المحن والأزمات ومواجهة الشدائد برباطة الجأش وحسن التدبير ، وذلك يكون بالمثابرة على دقة الفكر ونقاء الإيمان ، وسرعة الحركة لمواجهة الخطر مع الحذر .

ذلك الصبر مع البدار إلى المواجهة هو ما يوحى به السعى بين الصفا والمروة طلبا لفضل الله ورحمته ، وهدايته .

فقد كان سعى هاجر أم إسماعيل فى هذا المكان سعياً مبروراً مشكوراً ما أن أتمته طلبا للنجدة وارتقاباً للإغاثة حتى كانت رحمة الله وثوابه استجابة لدعوة إبراهيم .

وذلك ما ينبغى أن يكون عليه الحجاج استجابة لما يطلبه الله سبحانه من المؤمنين : ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ

(٥) الآية ٥٦ .

﴿خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .

وفى الحج ينعقد المؤتمر العام للمسلمين ذلك أن هذا اللقاء الجماعى لأمة الإسلام على اختلاف أوطانهم وألسنتهم وألوانهم لا يقوى فحسب الشعور بالقوة وبالعزة وَيتَرابُطِ المؤمنين برسالة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – ، ولا يذكرهم بالمؤمنين السابقين منذ رسالة إبراهيم عليه السلام فى محاربة الشرك فحسب ، وإنما يذكرهم بأبى البشرية آدم ورسالته الأولى تعزيزاً لروابط الأخوة بين المؤمنين على اختلاف الأزمنة وتعاقب الرسالات السماوية ، ولعل ارتباط الحج بأمكنة وازمنة معينة كان لأن هذه الأمكنة تحدد ذكريات من شأنها أن تطهر النفوس وتزكيها ، وتقوى الصلات وتنميها ، فهذه الأمكنة لاتقصد لذاتها ، بل لما يتصل بها من ذكريات العمل والرحمة من أجل الإنسانية ووحدتها ، بل وتوحدها بالإيمان والعمل الصالح .

وفى الوقوف بعرفات إشارة إلى اجتماع قوى الحق والإيمان وثباتهم فى وجه الباطل ، وتجديد عزائمهم المتحدية لصنوف الإفك والإثم والعدوان .

فالوقوف بعرفات فى واقعة مؤتمر عام تتجمع فيه قوى الخير وتتضامن ، وتتواصى بالحق والصبر .

ولقد كانت خطبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى حجة الوداع فى مؤتمر عام للمؤمنين ، تقررت فيه الحقوق وأعلنت على الملأ : حقوق الإنسان كل إنسان ، وكل الحقوق المتنوعة أبان فيها الحلال والحرام وحذر من الاختلاف ، ودعا فيها إلى التآخى بين المؤمنين والتضامن والتعاون حتى ينتصر الحق ويزهق الباطل .

وليتقدم دعاة الخير ودعاة الهدى والرشد إلى تجلية القلوب وتنقية النفوس مما ران عليها من آثام الخلف والصلف وحب الذات ولنرجم الشيطان وحزبه حين نرمى الجمار الثلاث بعد الوقوف بعرفات وفى المسير من منى إلى مكة نرمى الجمار نطارد الباطل ونصر على الوقوف فى وجهه ، ولعل شرع رمى الجمار وتكرارها فى أيام متفرقة يشير إلى ضرورة المثابرة على مناواة الشر والباطل ، مناواة مؤكدة لاتهاون ولا هوادة فيها ، وكأن هذه الجمار الثلاث تشد العزم والعزيمة لدى كل حاج إلى إنكار المنكر ودفع الباطل وإلى الوقوف بجانب الحق بروح الجماعة المؤمنة التى تساند الحق وتعاند الباطل وتدعو إلى الله على بصيرة .

هذه إشارات فى عبارات تشير إلى الثمرة المرجوة من أداء هذه الفريضة الحج . تلك الثمرة المرتقبة : مداومة ذكر الله وحده وذلك السلوك ، والأفعال والأقوال والمواقف ، وفى التفكير والتذكير والتصور ، وهذا ما دعت إليه الآية فى سورة البقرة إذ قال الله فيها :

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(٦) .

إذ مقتضى هذه الدعوة أن يظل الحجاج ذاكرين ما أدوا من مناسك الحج التى تمرسوا عليها وأخلصوا لله فى أدائها كما يذكرون آباءهم الذين إليهم ينتسبون .

الا فليعلم الحاج انه ينبغى أن يحافظ على ما وقر فى قلبه وأن يظل متمثلا أمر الله ومجتنبا ما نهى عنه وأن عليه أن يعمل للدين والدنيا . تقوى وعطاء فى سبيل الله وبعداً عن البخل والاستغناء بالمال والبنين .

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى . وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾(٧) .

---

(٦) من الآية ٢٠٠ .

(٧) الآيات من ٥ – ١٣ سورة الليل .

تأمين المصالح الحكومية على موظفيها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من المواطن إبراهيم عبد الرازق (الاسماعيلية ـ حى الشيخ زايد ـ حى الزهور ـ عمارة ٢ شقة ٧) .. السؤال التالى :

(١) تعاقدت مصلحة حكومية مع شركة تأمين على الآتى :ـ

- يدفع الموظف ٦٪ من راتبه الأصلى الأساسى .
- تدفع له مصلحته التى يعمل بها ٥٪ من راتبه وتتحمل هى هذه النسبة .
- يدفع له عند خروجه على المعاش حد أدنى مرتب ٤٠ شهراً .
- هناك عقد بين المصلحة وشركة التأمين (لم يعلن على المشتركين) .
- مثال : موظف يدفع ٦٪ لمدة ثلاث سنوات ثم يخرج (معاشاً) فيكون ما يدفع (٤٠٠) أربعمائة جنيه ـ وتدفع له الشركة (٨٠٠٠) ثمانية آلاف جنيه ..

ملاحظة : ترسل المصلحة شهرياً إلى شركة التأمين (٦٪) من راتب الموظف ، و (٥٪) من المصلحة = ١١٪ .

- ما موقف الدين ؟ هل هذا حلال أم حرام ؟

الجـــواب :

أولاً : تمهيـد :

(١) من مقاصد الشريعة التعاون بين الناس على البر والتقوى وذلك لقول الله سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(١) .

(٢) المسلم مسئول أمام الله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ..

كما ورد فى الحديث الشريف عن أبى برزة الأسلمى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه)(٢) .

---

(١) من الآية رقم ٢ من سورة المائدة .

(٢) صحيح الترمذى جـ ٩ ص ٢٥٣ .

(٣) المقصود من التأمين التعاونى توفير ما يسد حاجة الإنسان عند العجز أو المرض ، أو يقى الإنسان وأولاده وورثته ذل العَوَز والاستدانة ، فقد جاء فى الحديث الشريف الذى رواه الجماعة عن سعد ابن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ فى شأن التصدق ببعض المال[٣] : (... إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) ..

(٤) الحياة متجددة ، وعقود التعامل تبعاً لهذا متوافدة ، متغايرة ، ومن بينها عقود لا تدخل فى نطاق دليل مُحرِّم لها ، كما لا يوجد بها غرر فاحش يفضى إلى التنازع فهى لذلك تباح عند الحاجة .

ثانياً : على ضوء هذه المبادىء يتضح أن ما تقوم به بعض الهيئات والمصالح الحكومية من تأمين جماعى بين أفراد العاملين بها على هذا الوجه المشروح بالسؤال يعد من التعاون على البر ، ومن باب التأمين التعاونى الذى تقوم به الجمعيات التعاونية والمؤسسات الحكومية ، والتى يشترك فيها جمع من العاملين طلباً لمدخرات تؤدى لهم فى نهاية مدة الخدمة الوظيفية مع نقص مواردهم عما اعتادوه سداً لحاجتهم ، وعوناً لهم على مواجهة أعباء الحياة .

* وظاهر أن العقد المسئول عنه قد خلا من الغرر والربا ، كما سلم مما يؤدى إلى التنازع أو يفضى إلى التشاحن ، ومن ثم يندرج فى العقود التعاونية المشروعة فيكون من المباح الذى لا حرج فيه .

هذا وقد قرر مؤتمر علماء المسلمين الثانى بمجمع البحوث الإسلامية المنعقد فى الأزهر الشريف عام ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م ما نصه : « **التامين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستامنين لتؤدى لاعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات امر مشروع وهو من التعاون على البر** » .

هذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال وكان العقد المبرم فى هذا الشأن فى نطاق الحديث النبوى الشريف الذى رواه الترمذى : (.. والمسلمون على شروطهم إلا شرطاً حرّم حلالاً أو أحل حراماً)[٤] .

ومن ثم ينبغى لزوم خلو بنود عقد الشركة ـ مع المصلحة ـ مما يتعارض مع أحكام الشرع الإسلامى الحنيف .

ومما سبق يعلم الجواب عن السؤال ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٣) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٦ ص ٣٧ .

(٤) صحيح الترمذى جـ ٧ ص ١٠٣ ، ١٠٤ فى الصلح .

أرباح البنوك فى البلاد الغربية
وبناء المؤسسات بها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من : رئيس مركز بلال الإسلامى فى شمال كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ـ كتاب يطلب فيه الإجابة عن الاستفسارات الآتية :

١ ـ اخذ الأرباح التى تقدمها البنوك فى أمريكا ؟

٢ ـ بناء المسجد بالقرض من البنوك بالفوائد ...؟

٣ ـ شراء تامين الحياة ؟

٤ ـ شراء تذاكر الحظ ..؟

والجواب

أولا : عن أخذ الأرباح التى تقدمها البنوك فى أمريكا :

* تقضى نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة أن الفائدة المشروطة المحددة مقدما كتابة أوعرفا التى تصرفها البنوك نظير إيداع الأموال بها هى من قبيل الربا المحرم شرعا ، ولا فرق فى حرمة التعامل بالربا بين الأفراد والجماعات ، أو بين الأفراد والدول ، ولا يحل للمسلم الانتفاع بها فى حاجته الخاصة ، ومتطلبات حياته هو وأسرته (غذاء أو كساء أو غيرهما) لأنها كما تقدم من الربا المحرم . قال الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾(١) .

* وقال فى سورة البقرة : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾(٢) .

* ومادامت هذه الأرباح ربا محرما فإن التصرف فيها يكون بالإنفاق فى المصالح العامة كإقامة المستشفيات أو المدارس ، ولا يجوز تركها للبنوك فى البلاد غير الإسلامية .. تستغلها فى المصالح المضادة للمسلمين . هذا :

* وقد ذهب جمهور فقهاء المسلمين إلى أن المسلم إذا وقع له مال حرام كان عليه أن يصرفه إلى مَالِكِهِ إن كان معروفا لديه وعلى قيد الحياة، أو إلى وارثه إن كان قد مات ، وإن كان غائبا كان عليه انتظارُ حضورِهِ وإيصاله إليه مع زوائده ومنافعه ، أما إذا كان هذا المال الحرام لمالك غير معين ووقع اليأس من التعرف على ذاته ، ولا يدرى أمات عن وارث أم لا ، كان على حائز هذا المال الحرام إنفاقه فى المصالح العامة للمسلمين كبناء المستشفيات والقناطر وشق الطرق ورصفها وغيرها .

* وقد استدل جمهور الفقهاء على ما قالوا من إنفاق المال الحرام فى المصالح العامة للناس ـ بالحديث الشريف الذى أورده الغزالى فى كتابه "إحياء علوم الدين" فى موضوع « الحلال والحرام » ، وقد خرج

---

(١) من الآية : ١٣٠ من سورة آل عمران . (٢) من الآية : ٢٧٥ من سورة البقرة .

العراقى الحديث عن الإمام أحمد بسند جيد عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « قُدِّمت إلى النبى ـ ﷺ ـ شاة مصلية فَكَلَّمَتْهُ بأنها حرام؛فلم يَطْعَمْها وأمر بالتصدق بها وقال: أطعموها الأسارى » .

* واستدل الجمهور على هذا بالقياس أيضا فقالوا : إن المال مُردد بين أن يضيع ، وبين أن يصرف فى خير؛ وبالضرورة يُعلَم أن صرفه إلى خير أوْلَى من رَمْيِه؛ لأن رميه لا يأتى بفائدة ، أما إعطاؤه للفقير أو لجهة خيرية ففيه الفائدة بالانتفاع به والخلاص منه ، وتطهير مال خبيث انتفع به وقتا ما فى دفع حاجة للناس ومن ثم كان الأوْلى صرف هذه الفوائد ـ وإن كانت من الربا المحرم ـ فى المصالح العامة كالمدارس والمستشفيات وملاجىء الأيتام والفقراء ولا تترك يستعين بها غير المسلمين على الإضرار بالمسلمين .

ثانيا : وعن بناء المسجد بالقرض من البنوك بالفوائد :

* فإن المسجد بيت الله فى أرضه . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾(٣) .

* وقد ماز الله شريعة الإسلام فجعل الأرض للمسلمين مسجدا يصلون عليها وطهورا يتيممون بها .

فقد روى مسلم والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (فُضِّلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون)(٤) .

* وما دام الأمر كذلك : فإن بناء المساجد من أعمال الخير الخالصة لله تعالى ، وبناؤها من المال الحلال لازم ، لأنه تقرب إلى الله ، وهو سبحانه لا يقبل إلا ما كان طيبا ، والمسلمون لا يقدمون على بناء المسجد بالقرض من البنوك بالفوائد عليها لحرمتها ، بل يشارك جميعهم فى إقامة المسجد كل حسب طاقته وجهده المالى أو الفنى .

* وقد اشتهر بين المسلمين أن الصحابة الأوائل تضافرت جهودهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى بناء مسجده بالمدينة المنورة .

* وإذا كان المسلمون فى شمال كاليفورنيا وعددهم خمسة عشر ألف شخص يعجزون عن أن يقيموا المسجد بالجهود الذاتية وبالمال الحلال أو القرض الحسن وليس القرض بالفائدة المحرمة لأنها ربا ، فإنه يجوز ويباح لهم توجيه جزء من زكاة أموالهم الحلال فى إقامة المسجد (وهى بمقدار ٢,٥٪) إذا بلغ رأس المال نصابا؛وهو ما يقابل ثَمَن خمسة وثمانين جراما ذهبا بالعملة التى يجرى بها التعامل وبالسعر السائد وقت استحقاق الزكاة بمضى العام على هذه الأموال المدخرة وتوافر باقى الشروط المقررة شرعا ، فإن لم يكن لهم مال يزكى،ولا قدرة على بذل الجهود الذاتية لبناء المسجد ، فإنه فى تلك الحال يطلب من الهيئات الإسلامية والمؤسسات الدينية أن تمد يد العون وتقدم المساعدات لبناء المسجد المحتاج إليه لا المستغنى عنه بغيره .

* فإذا لم تصل المعونات ، أو ضَنَّ الأغنياء بالتصدق بجزء من أموالهم الحلال فعندئذ يجوز اقتضاء القرض بفائدة ضرورة ويمكن توجيه الفائدة الربوية التى تعطيها البنوك للاستعانة بها فى بناء المسجد للضرورة أيضا .

* وتوجيه تلك الفائدة لغرض بناء المسجد خير من تركها للبنك وتمكين الغير من استثمارها فى محاربة المسلمين والإسلام . ولقد أجاز جمهور الفقهاء ذلك بأدلة مقبولة كما تقدم .

---

(٣) الآية رقم ١٨ من سورة الجن .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٥ ص ٥ ، صحيح الترمذى جـ ٧ ص ٤٢ .

أربــاح البنــوك فــى البـــلاد الغربيــة وبنــاء المؤســسات بهــا

ثالثا : وعن شراء تأمين الحياة فإنه بعرضها على قواعد الشريعة يتضح ما يلى :

أولا : قضت قواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة إلا إذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق أو أضاعه على صاحبه ، أو أفسد عليه الانتفاع به بطريق مباشر أو بالتسبب .

وأسباب الضمان المشروع فى هذه الأوجه لا تتحقق فى شراء تأمين الحياة الذى تقوم به شركة التأمين على الحياة ذات القسط المحدد سلفا المشمول بالربا نظير المبلغ المتعاقد عليه .

ثانيا : إن هذه الشركة فى الواقع شركة لضمان الأنفس،وهو ما لا يجوز الضمان فيه شرعا .

ثالثا : فى شراء عقد تأمين الحياة "غَرَر"، بمعنى أنه لا يمكن لأحد المتعاقدين أو كليهما وقت العقد معرفة مدى ما يعطى أو يأخذ بمقتضى هذا العقد ، والغرر والمخاطرة كل أولئك مبطل للعقود فى الإسلام .

لما كان ذلك كانت عقود التأمين على الحياة بوضعها السائد ذات القسط المحدد غير التعاونى ـ من العقود الاحتمالية تحوى مخاطرة ومقامرة ومراهنة وبهذا تكون من العقود الفاسدة بمعايير العقود التى يشير إليها الحديث الشريف الذى رواه الترمذى : (.... والمسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما)(٥) وغير هذا من النصوص الشرعية ، والعقد الفاسد يحرم شرعا على المسلم التعامل بمقتضاه ، وكل كسب جاء عن طريق خبيث فهو حرام .

رابعا : وعن شراء تذاكر الحظ :

فإن شراء هذه التذاكر المشهورة باسم « اليانصيب » من باب القمار المحرم،وبيعها والاتجار فيها باطل شرعا،أو فاسد للجهالة وللمخاطرة ، ويترتب على هذا التعامل أضرار جسيمة تصيب الأفراد والمجتمعات فتقعدهم عن نشاط العمل الجاد ، والكسب الحلال ، وعن الاقتصاد المثمر ، وعن الشعور بالمسئولية نحو النفس والمجتمع ، وكل من يملك مالا عن طريق شراء الحظ واليانصيب فإنما يملك مالا حراما خبيثا عليه أن يتخلص منه وينتهى عنه بالتوبة إلى الله ، والندم على ما اقترف من آثام وما حصل من كسوب محرمة ، بسبب "اليانصيب" أو تذاكر الحظ وكم من ويلات ونكبات لحقت بالأشخاص والأسر التى ابتليت فى بعض أفرادها بأناس مقامرين فأصبحوا فى ذل وفاقة . وعداوة وبغضاء وقعدوا عن الكسب الحلال .

وقد حذر الله المؤمنين من الميسر وهو القمار وبين لهم آثاره السيئة ، وأمرهم باجتنابه والبعد عنه فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾(٦) .

* إن على المسلمين جميعا أن يقولوا : بلى ؛ انتهينا ورضينا بحكم الله ... إذ ليس بعد قول الله حكم .. ولا مراء فيما أمر به وفيما نهى عنه .. ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر

جاد الحق على جاد الحق

---

(٥) صحيح الترمذى جـ ٧ ص ١٠٣ و ١٠٤ فى باب الصلح .

(٦) الآيتان أرقام : ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

أمام ندوة
السوق الإسلامية المشتركة

المنعقدة فى الفترة
٦-٩ من ذى القعدة ١٤١١هـ - ٢٠ - ٢٣ مايو ١٩٩١م
بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. الحفل الكريم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

امر طيب وجميل ان تجتمع هذه الندوة المباركة لمدارسة امر ينفع هذه الأمة فى حاضرها ومستقبلها - هذا الأمر - كما استمعتم - يشبهه ما كان العرب يقومون به ، فقد كانت لهم اسواق فكرية ، واسواق تجارية لعلنا نذكر (سوق عكاظ) ، التى حل محلها او يشبهها مجمع اللغة العربية ، إنها كانت سوقاً يتبادلون فيها بضاعة اللغة ، التى نرجع إليها الآن ، وفى الوقت نفسه يتبادلون فيها التجارات . كل قبيلة تاتى بحصيلتها لتتبادل مع الاخرى ، وكان لهم رحلتان ، حدثنا عنهما القرآن الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ .

هذه منة ، امتن الله بها على العرب والمسلمين ، ولا يمتن الله إلا بنعمة ، تلك هى نعمة السوق ، وإذا اتخذنا موضوع هذه الآية ورحلتيها إيماء إلى فكرة السوق المشتركة - الاصطلاح السائد الآن - فالفكرة إذاً ليست جديدة على الإسلام ، وإنما الجديد أن نتنبه إلى فوائدها ، بعد أن استوفدنا كل حاجاتنا ، وذهبنا نستورد حتى ما لا يصلح لنا إشباعاً للرغبة فى كل جديد ولو لم يكن مفيداً .

إن الإسلام - فى عقيدته وفى شريعته - يجمع الأمة دائماً على ما فيه نفعها ، فقبلتنا واحدة وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، أليس هذا أصلاً مشتركاً ، يدعونا أن نعمل دائماً على وحدة تجاربنا وتجارتنا أيضاً وما فيه نفع الأمة .

المال فى الإسلام إحدى الضرورات الخمس التى استهدف القرآن حمايتها : المحافظة على الدين ، المحافظة على النفس ، المحافظة على المال ، المحافظة على النسل ، المحافظة على العرض .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر أمام ندوة السوق الإسلامية المشتركة

المال إذاً فى الإسلام احد الضرورات أو احد الأهداف التى حث القرآن عليها ـ ليس فى تحصيله فحسب ، وإنما فى استثماره أيضاً ، لأنه كما نقول ــ نحن الآن : إن المال عصب الحياة ، ذُكِر المالُ فى القرآن فى اكثر من موضع : مرة فى تحقيره حتى لا ينصرف الناس إليه ، ومرة فى الحث على استثماره ، حتى إن الله توعد أولئك الذين يكنزون المال ولا ينفقونه فى سبيل الله بالعذاب ، وليس هذا العذاب لأنهم كنزوا المال بمعنى حافظوا عليه فقط أو حفظوه من أن ينفقوه فى سبيل الله ـ وإنما فى تقديرى ـ والله أعلم ـ من أهم معانى الآية أنهم لم يحركوه حتى ينتفع به الناس فى تجارة ، وفى زراعة ، وفى صناعة وغيرها من المستثمرات التى ينبغى أن يتجه إليها المال ليستفيد به ومنه الكثير ممن لا مال لهم .

فالسوق المشتركة باصطلاح عصرنا يدعو إليها الإسلام لتحريك المال واستثماره وتنميته ليكون هناك العمل والعمال ويكون الربح ، ويكون هناك الصدقات والإنفاق فى سبيل الله ، بل إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حث على استثمار أموال اليتامى حتى لا تأكلها الصدقة ـ اى الزكاة ـ ونحن لدينا اموال لليتامى كثيرة مكتنزة ـ الله أعلم كيف تستثمر ـ هل تستثمر فى الإقراض بالربا ، أو فى غيره ـ وينبغى أن ينظر فى هذا الأمر .

إذاً فى مشروعنا ، وفى اجتماعنا فى هذا اليوم امر ينبغى أن ننظر إليه على أن له أصلاً فى الإسلام ، وأن هذه التسمية ـ السوق المشتركة ـ لا تكون بعيدة عن قواعد الإسلام وأصوله ـ فإن قواعد الإسلام كما تفضل الإخوة اليوم تسمح بالتحرك فى إنماء هذه الحياة ، لأن الله استخلف الإنسان فى الأرض ليعمرها بفكره وجهده وعلمه وعمله وماله ..

ومن ثم فكل سبيل لتنمية الحياة وإثرائها يكون مشروعاً فى نطاق قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً احل حراماً او حرم حلالاً) ، وهذا النص الشريف غير تلك القاعدة المشهورة لدى القانونيين (العقد شريعة المتعاقدين) وهذا لا يخفى على العلماء الأفاضل . فقاعدتنا التى نطق بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشمل وأحكم وأنقى وأبقى ، وهذا ما ينبغى أن ندور فى نطاقه حتى ننشىء سوقاً مشتركة ، وأن نطبق هذه القاعدة وهى (المسلمون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً) .

الأمر ـ حين نرجعه إلى الشريعة ـ ليس بعيداً عن أصولها ، ولا سيما المصالح المرسلة آلتى توافق العلماء عليها باصطلاحات مختلفة ، لكن المقتضى الذى تنتهى إليه هذه المصطلحات هو ضرورة العمل على ما فيه المصلحة العامة ، ذلك ان الأمور التى لا نص فيها تجرى فى نطاق المصلحة العامة التى يتغياها المسلمون كأمة واحدة حسبما أسبغ الله سبحانه عليها هذا الوصف فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[1] وليست الأمة امة العقيدة فقط ، وليست الأمة أمة الشريعة فقط ، وإنما امة العمل أيضاً ، فالعمل هو صمام أمان هذه الأمة ، ولا يكون العمل المثمر إلا بتلاقى الأموال والأفكار وإلا بتبادلها ، وهذا ما ينبغى أن نحرص عليه وأن نسعى إليه .

إننا فى عالم يتجمع الآن ويتكتل ـ كما يقال ، ونحن أمة كونها الله سبحانه بأوامره فى كتابه وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ، وقد تفرقت بنا السبل بعد أن كان طريقنا واحدا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

تفرقت بنا السبل بعد أن انصرفنا عن الطريق الواحد ، وإذا أردنا أن نعود لنكون أمة واحدة ينبغى أن نسير بخطى ثابتة نحو هذا الهدف وبعد دراسة الجدوى .

إننا الآن دول ، وفى الدول أحزاب وشيع كثيرة ، وإن كلا منا يعتبر نفسه أمة وحده ، وهذا ما ينبغى أن نتنحى عنه ، وأن نحاول أن نكون أمة واحدة ـ لا أقول : نتجاوز الحدود والسدود السياسية والجغرافية القائمة ، وإنما أقول : نكون أمة واحدة لأن ديننا واحد ، عقيدة وشريعة ـ فلنترك الحدود والسدود القائمة حتى تذوب متى صرنا أمة واحدة ، وحتى نلتقى ونتجاوزها إن شاء الله لا إهدارا لها ـ فإنها مِلْكيات خاصة ، والإسلام يحترم الملكية الخاصة ، يحترم ملك كل إنسان فى داره . ولْنُقْبِلْ على الأخذ بالأسباب حتى تقوم الأمة على أصول العقيدة والشريعة الإسلامية ، الأمر الذى أنصح به أهل هذه الندوة من العلماء والباحثين أن يغلبوا الجانب العملى فى بحوثهم ، وعلى أهل هذه الندوة أن يعملوا كأصحاب المعامل فيبحثوا عن الطرق العملية المجدية للوصول إلى تحديد كيان هذا المشروع بما يناسب البيئة الإسلامية فى شريعتها وعاداتها وأعرافها ، ولعل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أرشدنا إلى هذا حين قال ـ فى قصة تأبير النخل : (أنتم أعلم بشئون دنياكم) لم يقل هذا لأنه يتخلى عن تشريع ، وإنما لينبهنا إلى أن الأمر التجريبى يجب أن يكون مفتوحاً لكل ما يجد ويستجد ، ولا يكون مقيداً بقانون ثابت لا نحول عنه .

نعم : هو قيدنا بقوانين ثابتة فى الأحكام التشريعية التفصيلية اللازمة التى لا تتغير ولا تتدخل فيها العادات والأعراف ولا المعامل التى أصبحت ميسورة ودقيقة فى عصرنا ، ولا أقصد المعامل الطبية فحسب ، ولكن أقصد كل المعامل ، كل ما يحتاج إليه الإنسان من تجربة . فإذا كانت (الأسواق المشتركة) قد نجحت لدى غيرنا كتجربة وجمعت الشعوب المختلفة التى ليس لديها قوام الأمة فى ذاتها ، فنظمتها ، وأثرتها ونجحت بذلك تجارتها ، وامتدت واشتدت مصانعها ، وأنتجت زراعتها وأثمرت ، إذا كان كل هذا فلم لا نجرب كما جرب غيرنا ولم لا نقبل على هذا ؟!

انصح إخوتى وأبنائى وزملائى الباحثين فى هذه الندوة أن يكون عماد عملهم هو الأمور العملية ، وألا نكون (أكاديميين) بالمعنى المعروف ونغرق فى (الأكاديميات) والبحوث دون أن نصل إلى الهدف المنشود .

أيها الإخوة أيها السادة والسيدات ـ نرجو أن نخرج كما قال السيد الدكتور وزير الاقتصاد اليوم (بخطة عمل) ، وأمل أن يتبناها السيد الوزير باعتباره المسئول عن الاقتصاد فى مصر ، لتدور هذه الخطة بين وزراء الاقتصاد والمسئولين فى أمتنا ، ثم يكون عملاً ملموساً ، ولعلى أقول : لا يشترط أن تبدأ الأمور كبيرة ، فنحن ننشئ أطفالاً صغاراً فأى مشروع يحبو ، ثم يقف على قدميه ، ثم يشتد ساعده ، ويكون عملاقاً ، وهذا ما أرجو أن يكون فى اعتبار التخطيط والتنظيم لهذا المشروع .

ادعو الله لكم بالتوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

---

(١) الأنبياء ٩٢ .　　　(٢) الأنعام ١٥٣ .

رسم القرآن

في المصاحف العثمانية

معجز لنظمه فنون القراءات

لفضيلة الشيخ
إبراهيم عطوة عوض

وابتداء :

نقف هنيهة عند كلمة « رسم » وما تعنى . ؟

فمما لا شك فيه إن كلمة « رسم » لها مدلول مخالف لكلمة « كتابة » ، فهذا اللفظ الأخير يعنى : خط اى لفظ شئت باى نوع من الحروف : عربية او اعجمية ، خَطَطْتَه رقعة او نسخاً أو غيرهما من فنون الخط او اشكاله .

وليس كذلك كلمة رسم ؛ فهذه الكلمة تعنى محاكاة شكل من الأشكال بدقة بحيث يتطابق الأصل مع الرسم ... وزين في المحاكاة كما شئت ، غير انك لا تخرج على الأصل بحال .

وحسبك ـ هنا ـ ان تنظر إلى الرسام وعمله ..!

لذلك كان الأقدمون من علمائنا متحرين كل التحرى حين استخدموا لفظ « الرسم » في كتابة آى القرآن الكريم ، وذلك لوجوب الالتزام التام بمحاكاة الأصل الذى كتبه أصحاب رسول الله ـ ﷺ .

هذا المعنى غاب عن كثير من المعاصرين حتى ظنوا أن المصحف يمكن ان يكتب نقول : « ظنوا » لأننا نغلب جانب « براءة القصد » في اتجاههم ، فأما من ركب هذا الأمر قصداً إلى سوء فالله حسيبه .

ثم بعد :

إن المصحف يرسم شكلاً ، ولا يكتب إملاء ، وإذا رسم ، فإنما يرسم على الخط العثمانى ، أى على مصحف عثمان الذى يرسم بدوره عن مصحف أبى بكر الصديق عن الكَتَبَةِ الأولى على عهد رسول الله ـ ﷺ . تلك الكتبة التى كانت

على : الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف والكرانيف والأقتاب وقطع الأديم(١) .

أى على ما توفر للقوم من طاهر صلح للرسم .. رسم الآى على ما أقرأ رسول الله ـ ﷺ ـ أصحابه ـ رضوان الله عليهم .

قال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى المتوفى عام أربعة وأربعين وأربعمائة هجرية فى كتابه : « المقنع(٢) فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتابة اللنقط » ص ٧ ـ بسنده قال :

.. كانوا يختلفون فى الآية « أى فى كيفية رسمها » فيقولون : أقرأها رسول الله ـ ﷺ ـ فلان ابن فلان ، فعسى أن يكون على رأس ثلاث ليال من المدينة ، فيرسل إليه ، فيجاء به ، فيقال له : كيف أقرأك رسول الله ـ ﷺ ـ فيقول : كذا وكذا فيُكتب كما يقول .

وكتب رحمه الله يقول ـ ص ٨ :

حدثنا خلف بن حمدان بن خاقان المالكى قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن زكريا قال : حدثنا عمى يحيى بن زكريا قال : حدثنا يونس ، قال ابن وهب : سمعت مالكا يقول : إنما أُلِفَ القرآن « أى رسم » على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ .

وقال أشهب ـ ص ٩ : سئل مالك ، فقيل له : أرأيت من استكتب مصحفاً اليوم ، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء « أى الكتابة الإملائية » اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الأولى .

قال أبو عمرو : ولا مخالف له فى ذلك من علماء الأمة وبالله التوفيق .

مصحف عثمان ـ رضى الله عنه :

أمر الخليفة الثالث ـ رضوان الله تعالى عليه ـ رهطا من قريش والأنصار يتقدمهم كاتب القرآن على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ زيد بن ثابت رضى الله عنه ـ أن يكتبوا للناس « إماما » يجمعهم ، فرجع الرهط إلى الصحف الأولى ، وكانت عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ، وإلى صحف الصديق ـ رضى الله عنه ، فكتبوا المصحف الذى عرف بمصحف عثمان رسماً عن تلك الألواح . وأعدوا من ذلك عدة مصاحف بعث عثمان ـ رضى الله عنه ـ إلى كل أفق بمصحف ، فهو هذا « الإمام » الذى بين أيدينا إلى يوم الساعة .

هذا الرهط :

حدد صاحب « المقنع » ستة من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ كانوا الرهط الذى رسم مصحف عثمان ـ رضوان الله عليهم ، وهم :

١ ـ زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان ابن عمرو بن عبد بن عوف ينتهى إلى النجار ، أنصارى خزرجى ، أمه النوار بنت مالك بن معاوية من بنى عدى بن النجار أيضاً ، كان عمره ـ مقدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة إحدى عشرة سنة ، كتب لرسول الله ـ ﷺ ـ الوحى وغيره وهو من الحفظة الأول للقرآن الكريم وأمره رسول الله ﷺ ـ أن يتعلم لغة أهل الكتاب فأتقنها . توفى فى منتصف العقد السادس للهجرة ، وصلى عليه مروان بن الحكم .

(١) راجع للدكتور على أحمد الخطيب ـ عمر بن الخطاب : حياته . علمه . أدبه ص ٥٦ ط عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٦ .

(٢) مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥٩ هـ .

رسم القرآن

فى المصاحـف العثمانيـة

٢ ـ عبد الله بن عمرو بن العـاصى بن وائل بن هاشم ينتهى إلى كعب بن لؤى القرشى السهمى ، أمه : ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمى ، كان يصغر أباه باثنتى عشرة سنة ، وأسلم قبل أبيه ، وكان يكتب عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو من القلة الذين اذن لهم رسول الله ـ ﷺ ـ بالكتابة عنه ، وكان من الحفظة لكتاب الله ـ تعالى . اختلف فى سنة وفاته ومكان قبره ، وعمر قريبا من الثمانين .

٣ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ينتهى إلى كلاب بن مرة ، القرشى الأسدى ، أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنهم ـ أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، حنكه رسول الله ﷺ ـ بتمرة لاكها فى فيه ، فكان ريق رسول الله ﷺ ـ أول شىء دخل جوفه ، قتل ـ رضى الله عنه ـ فى النصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين .

٤ ـ عبـد الله بن العباس بن عبـد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ وحبر الأمة ، إمام التفسير بلا منازع ، أمه لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية . فات الناس بعلم ماسبقه ، من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ، وقضاء أبى بكر وعمر وعثمان ، عالما بالشعر والعربية . توفى سنة ثمان وستين بالطائف وهو ابن سبعين سنة ، وصلى عليه محمد بن الحنفية ـ رضى الله عنهم .

٥ ـ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى .. أمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، كان من فضلاء المسلمين وخيارهم علما ودينا وعلو قدر ، نشأ ـ رضى الله عنه ـ فى حجر عمر ابن الخطاب ـ فقد تزوج عمر والدته فاطمة بعد وفاة أبيه فى « طاعون عمواس » ، تزوج عبد الرحمن بمريم ابنة عثمان بن عفان رضى الله عنهم . وتوفى ـ رضى الله عنه ـ فى خلافة معاوية ـ رضى الله عنه .

٦ ـ سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى . أمه ؛ أم كلثوم بنت عمرو بن عبد الله بن أبى قبيس العامرية ، ولد عام الهجرة ، كان سعيد من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم . لازم الجهاد طويلاً . وتوفى سنة تسع وخمسين .

● وكلهم قرشى عدا زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فهو أنصارى خزرجى .

وعدة المصاحف التى كتبوها رسما على الكتبة الأولى ستة ، كما يشهد له الاستقراء ، فإن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قد أرسل إلى « مكة » واحداً ، وإلى « الشام » واحداً ، وإلى « الكوفة » واحداً ، وإلى « البصرة » واحداً ، وأمسك بالمدينة واحداً ، وواحداً لنفسه ، وهذا العدد من مصاحف عثمان متيقن منه .

● ● ●

وقرأ أهل كل مصر بما فى مصحفه ونقلوا مافيه عن الصحابة الذين تلقوا عن النبى ـ ﷺ ـ ثم تجرد للأخذ عن هؤلاء رجال سهروا ليلهم فى ضبطها وأتعبوا نهارهم فى نقلها حتى صاروا فى ذلك أئمة للاقتداء وأنجما للاهتداء ، أجمع أهل بلدهم على قبول قراءتهم ودرايتهم ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم ؛ فكان من المدينة « نافع ابن أبى رويم » ، و« أبو جعفر يزيد بن القعقاع » .

ومن مكة « عبد الله بن كثير » .

ومن البصرة « أبو عمرو بن العلاء » . « ويعقوب الحضرمى » .

ومن الشام « عبد الله بن عامر » .

ومن الكوفة « عاصم بن أبى النجود » ، و« حمزة بن حبيب الزيات » و« على الكسائى » و« خلف البزار » . هؤلاء أئمة القراءات العشرة المتواترة فى جميع بلاد المسلمين .

وقد كتبت هذه المصاحف كلها ـ كما رأيت ـ بأيدى الصحابة مائة وأربع عشرة سورة أولها « الحمد » وآخرها « الناس » على هذا الترتيب . أول كل سورة البسملة كما نزل الوحى إلا « براءة » فجعلوا مكان البسملة بياضا ، وجردوا المصاحف من أسماء السور ونسبتها وعددها وتجزئتها وفواصلها .

واجتمعت الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها .

كذلك جردت هذه المصاحف كلها أيضاً من النقط والشكل ليحتملها ماصح نقله من قراءات وثبتت روايته من قراءات عن النبى ـ ﷺ ـ فجعلوا الكلمة التى تحمل أكثر من قراءة بصورة واحدة ، كـ « يعلمون » و« جبريل » على حالها ، والتى لا تحمل أكثر من قراءة بصورة واحدة فى البعض وبأخرى فى آخر نحو « الضالين ، والسائلين » لـرسم ذلك بـالألف فى أكثر المصاحف ، وبالحذف فى الأقل ؛ وذلك لأنها لا يمكن تكرارها فى مصحف ، لئلا يتوهم نزولها كذلك . ولا كتابة بعض فى الأصل وبعض فى الحاشية ، لأن الاعتماد فى نقل القرآن على الحفظ لا على مجرد الخط . إذا علمت ذلك فاعلم أنه ينبغى لكل مسلم أن يتلقى ما كتبته الصحابة بالقبول والتسليم لقول سيد الأنام ـ ﷺ « اقتدوا بالذين من بعدى . أبى بكر وعمر » زاد السيوطى فى الجامع الصغير « فإنهما حبل الله الممدود ، من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى » .

فيجب على كل من يريد أن يكتب مصحفاً أن تكون كتابته على مقتضى الرسم العثمانى ، لا على الخط المتداول وذلك لإجماع المسلمين ، وكما لا يجوز لأحد أن يطعن فى الكتابة لا يجوز الطعن فى التلاوة . وأما مايتعلم فيه الأطفال كالأجزاء والواحهم فلا حرج فيه إذ الغرض التعليم .

قال : مالك ـ رحمه الله تعالى :

« وأما المصاحف الصغار « أى الأجزاء ، لا الكاملة » التى يتعلم فيها الصبيان والواحهم فلا أرى بذلك بأساً . وأما الإمام من المصاحف الكبار فلا » .

فى تعريف الرسم القياسى ، والاصطلاحى

أما الرسم القياسى فهو : تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها والوقف عليها .

وأما الاصطلاحى[1] : فهو مخالفة القياسى بحذف أو زيادة ، أو بدل أو فصل أو وصل ، أو همزة ؛ وذلك للدلالة على ذات الحرف أو أصله ، أو رفع لبس أو نحو ذلك من الحكم . الا ترى ـ أن الحرف يبدل فى الرسم ولا يلفظ به اتفاقا كـ « اصطبر » ولا يلفظ به .

كـ « الصلـواة » ويـرسم ويختلف فيـه . كـ « الغدوة » .

ويزاد ويلفظ به اتفاقا كـ « حسابيه » .

(١) القياسى هو الإملائى ، والاصطلاحى : ما اصطلحت على رسمه الصحابة .

﴿ فـى المصاحـف العثمانيـة ﴾

ويزاد ولا يلفظ به اتفاقا كـ « أولئـك ، ومائة » .

ويزداد ويختلف فيه كـ « سلطانيه » ويحذف ويلفظ به نحو «الرحمن» ، ويحذف ويختلف فيه نحو «تفادوهم» وشبهه مما كتب على إحدى القراءتين . ويوصل ويتبعه اللفظ به نحو «الرحمن» . ويوصل ويخالفه اللفظ نحو «يبنؤم» بـ (طه) ، ويوصل ويختلف فيه نحو «ويكأن» ويفصل ويوافق نحو «حم عسق» ويفصل ولا يوافق نحو «إسرائيل» ، ويوصل ويختلف فيه نحو «مال هذا» .

اصول الرسم :

ومما تقرر علمه أن رسم المصاحف العثمانية قد انحصر فى خمسة أصول .

الأول : الحذف ونعنى به : ترك كتابة الحرف فى المصحف كما يقع فى الألف والواو والياء ، مثل حذف الألف وقد وقع فى القرآن على نوعين . أولهما ـ التخفيف مثل «الخاطئين» يوسف ٢٩ ، وشبهه والثانى احتمال إحدى القراءتين نحو «فتبينوا» الحجرات ٦ .

والتخفيف مطرد فى كلمات فى جميع القرآن . وغير مطرد بل حذف فى بعض دون بعض مع اتحاد اللفظ ؛ فمن المطرد : ألف هاء التنبيه نحو (هذا) وألف ياء النداء نحو «ياأيها» وألف «ذلك» وغيره .

ومن غير المطرد الألف فى لفظ «الكتاب» أو «كتاب» فهى محذوفة فى جميع القرآن إلا فى اربعة مواضع : فى الرعد فى قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ وفى الحجر : ﴿ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ وفى الكهف : ﴿ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ وفى النمل ﴿ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .

والثانى : الزيادة ، ويراد بها : ما رسم من حرف دون التلفظ به لزيادته ، وهو جار فى حروف العلة . من ذلك : اتفاقهم على زيادة الألف بعد (واو) الجمع ، والفرد إذا تطرقت نحو (ءامنوا) و(عملوا) و(اشتروا) و(مرسلوا الناقة) ومنها فى المفرد : (وما كنت ترجوا) واستثنوا من واو الجمع ذلك فى مواضع نحو (وعتو عتوا كبيرا) بالفرقان ، و(سعو) بسبأ وغيرهما ومن (واو) الواحد ايضاً : ﴿ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴾ بالنساء .

والثالث : البدل ، ونعنى به : إبدال حرف بحرف : اتفقوا على كَتْب صراط ، ويبصط من قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾ ﴿ وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ ﴿ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾ بالطور ﴿ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ بالغاشية بالصاد ، والأصل (السين) وكتبوا نون التوكيد الخفيفة فى ﴿ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ، ﴿ لَنَسْفَعًا ﴾ ، وكذا (إذاً) بالألف ، و(كأين) بالنون وكتبوا (الصلوة) بالواو بدل الألف ، وكذا (الزكوة) معرفا ومنكرا ، (وحيوة) ومعرفا ومنكرا .. الخ .

وأما (صلاتى) و(حياتنا) المضاف فبالألف . وأما (صَلَوٰتك) بالتوبة و(هود) فبالواو . وكتبوا (الربا) واوا ، و(إن امرؤ هلك) بالنساء بالواو وألف بعدها .. ولكل ذلك توجيه يطلب ـ فى موضعه ـ من علم الرسم ، وبالمقال ثبت به كثير .

والرابع : الفصل والوصل ، الأول فى نحو «عن ما نهوا عنه» الأعراف ١٦ .. فصلت (عن) عن (ما) ـ والثانى نحو ﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ البقرة ـ ١١٣ ـ وصلت (فى) بـ (ما) .

الخامس : ما يتعلق بالهمزة ، فقد كتبوا صورة الهمزة بالحرف الذى تئول الهمزة إليه بالتخفيف أو تقرب منه ، وأهملوا المحذوفة فيه ، ورسموا المبتدأة ألفا والمتوسطة والمتطرفة الساكنة حرفا يجانس حركة سابقة فيكون ألفا بعد الفتحة ، وياء بعد الكسرة ، وواوا بعد الضمة ، والمتحركة الساكن ما قبلها مطلقا لا يرسم لها صورة إلا المضمومة والمكسورة المتوسطتين بعد الألف : فتصور المكسورة ياء ، والمضمومة واوا ، والمتحرك ما قبلها تصور حرفا يجانس حركتها إلا المفتوحة بعد ضمة فواو ، وبعد كسرة فياء .

وقد خرجت مواضع من المبتدأة فكتبت بالواو فى بعض ، وبالياء فى بعض . وذلك على إرادة وصلها بما قبلها فصارت الهمزة بذلك فى حكم المتوسطة .

الكلام على الضبط

اعلم أن المصاحف لم تزل مجردة عن النقط والشكل إلى أن كثرت الأعاجم واختلطت بالعرب ففشا اللحن فترخصوا فى ضبطها فكان أول من وضع الضبط عليها أبو الأسود الدؤلى - رضى الله عنه - وذلك فى خلافة معاوية - رضى الله عنهما .

روى أبو عمرو الدانى فى كتابه (المحكم) أن معاوية أرسل كتابا إلى زياد عامله على العراقين يطلب عبيد الله ابنه . فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن . فرده إلى زياد ، وكتب إليه كتابا يلومه فيه ، ويقول :

أمثل عبيد الله يضيع ؟ فبعث زياد إلى أبى الأسود فقال : ياأبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت ، وأفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله تعالى . فأبى ذلك أبو الأسود ، وكره إجابة زياد إلى ما سأل .

فوجه زياد رجلا ، فقال له : اقعد فى طريق أبى الأسود ، فإذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن ، وتعمد اللحن فيه ، ففعل ذلك . فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقال : « إن الله برىء من المشركين ورسوله »[1] بخفض رسوله . فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله . ثم رجع من فوره إلى زياد فقال : ياهذا ، قد أجبتك إلى ما سألت ، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن . فابعث إلى ثلاثين رجلًا ، فأحضرهم زياد . فاختار منهم أبو الأسود عشرة . ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلًا من عبد القيس ، فقال : خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فإذا فتحت شفتى - فانقط واحدة فوق الحرف ، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة فى أسفله ، فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين .

فابتدأ بالمصحف حتى اتى على آخره . ثم وضع (المختصر) المنسوب إليه بعد ذلك . ثم لم يزل كذلك إلى زمان الخليل بن أحمد النحوى فوضع هذا الشكل المطول ، فجعل علامة الفاتحة ألفا صغيرة توضع مبطوحة فوق الحرف ، والضمة واوا صغيرة توضع بأعلى الحرف أمامه ، والكسرة ياء صغيرة معقوصة هكذا (ے) تحت الحرف ، فإن صحب الحركة تنوين أضيف إليها مثلها ، ثم جعل علامة الشد - رأس شين (هكذا ّ) إلى آخر ما هو معروف مما استقر أمره ، ولزم أهل العلم معرفته والله ولى التوفيق .

البقية ص ١٤٢١

(١) سورة التوبة ٩/٣ وصلته ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾

(٢) يريد بالغنة التنوين .

اليوم الآخر

بين اليهودية والنصرانية والإسلام

للدكتور فرج الله عبد البارى أبو عطا الله

ملخص مانشر

تناولنا فى المقال الأول البعث عند اليهود وناقشنا ادعاء علمائهم أن التوراة التى نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ لم تتحدث عن البعث والجزاء ، وفندنا ادعاءهم بما أوردنا من الآيات القرآنية التى تثبت إخبار موسى ـ عليه السلام ـ لبنى إسرائيل باليوم الآخر ومافيه . وانتهينا إلى أن اليهود حرفوا التوراة التى أنزلها الله على موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ .

وفى المقال الثانى تعرضنا للإشارات التى وردت فى أسفار الأنبياء عن البعث والجزاء ، وأوردنا فهم علماء أهل الكتاب لتلك الإشارات ، وأن كثيرا منهم يذهبون إلى أن الإشارات الواردة عن البعث فى تلك الأسفار مقصود بها البعث القومى والسياسى لأمة اليهود .

وبينا أن اليهود يزعمون أنهم يبعثون بعثاً قوميا سياسياً قبل البعث الأخروى ، ويعدون أن هذا تمييز لهم عن بقية الشعوب .

وفى هذا المقال ـ نتحدث عن الاتجاه الثالث وهو : ـ

البعث والجزاء فى التلمود والفكر اليهودى .

يتمثل هذا الاتجاه فى عرض النصوص التى تثبت البعث الأخروى من التلمود والكتب اليهودية ، وتجدر الإشارة إلى أن اليهود يقررون أن التلمود يتحدث عن المعاد « لأن التوراة لم تفصح عن المعاد . إفصاح التلمود مبين خصوصاً بعد عودتهم من سبى بابل[1] » .

ويحسن بنا أن نلم إلمامة سريعة عن التلمود وأهميته عند اليهود .

يعرف التلمود بأنه : « عبارة عن التقاليد والتعاليم الشفاهية التى القاها موسى النبى على أمته أثناء تدوين التوراة ؛ فتلقاها الخلف عن السلف بالحفظ إلى أن دونها « ربى يهودا هناس » ومن جاء بعده[2] » .

فاليهود يعتبرون أن التلمود تعاليم شفاهية كان يعلمها موسى ـ عليه السلام ـ لأمته ـ بل أكثر من ذلك يعدون التلمود التوراة الشفاهية « على اعتبار أن لفظة التوراة مجردة من كل قيد (للدلالة على العلم) لأن التلمود يحتوى ليس فقط على العبادات بل على القوانين المدنية

---

(١) انظر التلمود أصله وتسلسله وآدابه ص ٩٠ / ٩١ ترجمة شمعون بوست موبال ـ دار الكتب المصرية تحت رقم ١ لاهوت .

(٢) نفس المرجع ص ٣ .

والسياسية والحربية ، وعلى كل ما كان يعرفه الأئمة من العلوم الفلسفية والطبيعية والطبية فهو إذاً مجموع معارف وعلوم ابناء تلك الازمان[٣] » .

هكذا يعد اليهود التلمود ويعدون تعاليمه فى غاية الأهمية بعد العهد القديم ، وهو على هذا دستورهم .

اقسام التلمود :

يتكون التلمود من قسمين :

الأول : المشناة ، وهى الأصل ، ومعنى المشنا بالعربية : « العرقة » ، وتعنى أيضا : التكرار أو الشريعة المكررة ؛ لأن شريعة موسى المعروفة فى الكتب الخمسة وردت مكررة فى هذه (المشناة) مع توضيح وتفسير ما التبس منها .

الثانى الجمارا ، وهى شرح للمشناة .

والجمارا : عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة « المشناة » فيما بعد بقصد استكمالها والجمارا او الشرح نوعان : -

١ - جمارا أورشليم (أى فلسطين) وقد كتب فى فلسطين .

٢ - جمارا (بابل) وقد دونها العلماء اليهود فى بابل .

وعلى هذا الأساس أنقسم التلمود نتيجة للشرح إلى قسمين :

الأول : التلمود الفلسطينى .

الثانى : التلمود البابلى .

وأساس الاختلاف بين التلمودين كائن فى (الجمارا) هذه ، اى الشرح ؛ فإن اليهود - وإن اتفقوا على المشناة - فقد أختلفوا فى الشرح ، ومظهر الاختلاف بينهما من ناحيتين :

الأولى : الكم - فما يحتويه تلمود أورشليم يعتبر ثلث مايحتويه التلمود البابلى .

الثانية : الكيف فتلمود فلسطين ينقصه العمق الذى يمتاز به التلمود البابلى ؛ لأن تلمود فلسطين كتب على عجل وفى ظروف قاسية بسبب الاضطهاد الرومانى لليهود ، أما التلمود البابلى فقد ألف وجمع فى فترة استغرقت قرنا من الزمان ، وكان اليهود فيه فى سلام وأمن واطمئنان[٤] ...

وقد طبع التلمود عدة طبعات ولكن مايكاد يظهر حتى يخضع للرقابة الكنسية الصارمة نظراً لما يحتويه من تعاليم ضد الأمم كلها وبخاصة النصارى[٥] والمسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - وجدير بالذكر أن التلمود يعد « من أندر الكتب فى العالم على الإطلاق ، ولا يوجد منه فى العالم أجمع أكثر من خمس نسخ ، إحداها فى مصر محفوظة حفظ الوثائق الشديدة الأهمية ، وقد استلزم وصولها من مكانها الأصلى إلى مصر وضع خطة أشبه بخطط الجاسوسية ، واستغرق تنفيذها بصبر وحرص وتكتم شديد ثلاث سنوات كاملة[٦] » .

وقد وردت فى التلمود فقرات عن الجزاء والجنة والنار من ذلك : « الجنة مأوى الأرواح الزكية ، ومأكل المؤمنين فى الجنة هو لحم زوجة الحوت المملحة ، ويقدم لهم أيضاً على المائدة لحم ثور برى كبير جداً ، كان يتغذى بالعشب الذى ينبت فى مائة جبل ، ولا يدخل الجنة إلا اليهود .

---

(٣) نفس المرجع ص ٤ .

(٤) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ١٤٥ / ١٤٦ لأستاذنا الدكتور عوض الله حجازى .

(٥) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٢٧ ظفر الإسلام خان دار النفائس بيروت .

(٦) من مقدمة كتاب بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود . للأستاذ شوقى عبد الناصر .

بين اليهـودية والنصـرانية والاسلام

أما النار فهى مأوى الكفار ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء لما فيها من الظلام والعفونة والطين ، وتوجد فى كل محل زيادة فضلاً عن ذلك ستة آلاف صندوق ، وفى كل صندوق منها ستة آلاف برميل ملآى بالصبر ، والنار أكبر من الجنة ستين مرة ، وسيظل المسلمون فى النار إلى الأبد لأنهم لايغسلون سوى أيديهم وأرجلهم ، والمسيحيون لأنهم لا يختتنون[٧] » .

وقد أوردنا هذه الفقرة لنرى إلى أى حد يتدخلون بأهوائهم ثم ينسبونها إلى موسى عليه السلام .

كما نلاحظ فى الوقت ذاته هذه التفصيلات عن الجنة والنار فى التلمود ـ بالرغم من خلو التوراة المتداولة من هذه التفصيلات ؛ بل ليس فيها إلا نص واحد عن الجزاء مختلف حوله[٨] .

البعث فى الفكر اليهودى :

إذا تركنا التلمود فإننا نجد أن مفكرى اليهود وعلماءهم يقرون بالبعث والقيامة يقول سعديا الفيومى : « إن إحياء الموتى الذى عرفنا ربنا أنه يكون فى دار الآخرة للجزاء ، فذلك مما أمتنا مجمعة عليه[٩] » .

ويبين السبب فى ذلك بقوله : « لأن المقصود من جميع المخلوقين هو الإنسان ، وسبب تشريفه الطاعة ، وثمرتها الحياة الدائمة فى دار الجزاء[١٠] » .

وموسى بن ميمون يقرر أن البعث والقيامة من الأموات من أركان الإيمان عند اليهود ، وقد نقلها عن ابن ميمون الدكتور حسن ظاظا ، يقول ابن ميمون : « أنا أومن إيمانا كاملاً بقيامة الموتى فى الوقت الذى تنبعث فيه إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الآبدين[١١] » .

وجاء فى مقدمة كتاب « التاريخ مما تقدم عن الآباء » : « رزقنا الله الممات على حفظه وحب هذا النبى العظيم (أى موسى عليه السلام) ـ وحشرنا فى زمرته ، ولا جعلنا من المبعودين فى هذه الدار من أمته ، المحرومين فى الآخرة من شفاعته[١٢] » .

والروح التى تجدها تسيطر على علماء اليهود ـ فيما يتعلق بعقيدة الآخرة ـ لا تجدها فى التوراة المتداولة ، ومرد ذلك إلى أمرين :

الأول : أن اليهود حرفوا التوراة خاصة فيما يتعلق بالآخرة ، وما فيها من حساب وجزاء وجنة ونار .

الثانى : أن علماء اليهود بالرغم من إقرارهم بخلو التوراة من الحديث عن البعث ، إلا أنا وجدنا هذه العقيدة تتردد فيما بينهم ، ويعدونها من أركان الإيمان فهل مرد ذلك تأثرهم بالبيئة الإسلامية التى عاشوا فيها ؟

لقد ذهب بعض الباحثين إلى ذلك[١٣] ..

الفرق اليهودية وموقفها من عقيدة البعث والجزاء .

اختلفت الفرق اليهودية فى عقيدة البعث

(٧) من التلمود . نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٨) انظر عدد شعبان من مجلة الأزهر سنة ١٤١١ هـ .
(٩) الأمانات والاعتقادات ص ٢١١ .
(١٠) نفسه ص ٢١٣ .
(١١) الفكر الإسرائيلى أطواره ومذاهبه ص ١٥٩ .
(١٢) نقلا عن مقدمة يقظة أولى الاعتبار ص ١٢ تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا .
(١٣) انظر الفكر اليهودى وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ٢١ / ٢٢ د / على سامى النشار ، وعباس الشربينى ـ منشأة دار المعارف بالاسكندرية .

والجزاء تبعا لاختلافهم حول قدسية المصادر اليهودية من العهد القديم ، أو التلمود على حسب معتقدهم .

ففرقة (الصدوقيين) على سبيل المثال ينكرون البعث والجزاء ؛ لأنهم لا يعتقدون فى التعاليم الشفوية التى يزعم اليهود أنها أفصحت عن (المعاد) أكثر من إفصاح التوراة .

ولما كانت التوراة فى زعم « الصدوقيين » لم تتحدث عن البعث فمن ثم لم يؤمنوا به ، ولم يعتقدوا فيه ، وغمروا أنفسهم غمراً فى فلسفة اللذة المعروفة لابيقور ، وقد ورد فى الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية عن الصدوقيين « وكانوا ضد تقليد الآباء على عكس » « الفريسيين » خصومهم ومالوا إلى الفلسفة اليونانية ومدافعة الشر وأنكروا وجود الملائكة والروح ورفضوا الإقرار بالقيامة والثواب فى الجسد بدعوى أن النفس تموت مع الجسد وأن النص (التوراتى) يخلو من أية إشارة إلى معاد وحساب[١٤] » فإنكارهم للبعث مرده إنكار تقليد الآباء ، الذين يزعم اليهود أنهم أخذوا عقيدة البعث والجزاء عنهم ، وقد دارت بينهم وبين المسيح مناقشات حول عقيدة الآخرة ، أوردتها الاناجيل المتداولة[١٥] .

وهناك فرقة أخرى تدعى « الدوستانية » من فرق اليهود تنكر البعث والقيامة فى الآخرة وتؤمن بأن الثواب والعقاب فى الدنيا ، ذكر الشهرستانى فى الملل والنحل أن « الدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب فى الدنيا »[١٦] .

تعقيب

بعد عرضنا الذى تضمنته المقالات الثلاث يمكن أن نخرج بالنتائج التالية :

أولاً : أن خلو التوراة المتداولة من الحديث عن البعث والآخرة ومايقع فيها من حساب وجزاء وجنة ونار يدل على التحريف الذى لحق بالتوراة بعد سيدنا موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ لأن الله أنزل على موسى التوراة وفيها تفصيل لكل شىء وعلى رأس الأشياء التى فصلها الآخرة ومافيها ـ

يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[١٧] » .

ولما كان اليهود قد سيطرت عليهم النزعة المادية التى جعلتهم يتعلقون بالدنيا ومتاعها كتموا ما أنزل فى التوراة من حساب وعقاب وجنة ونار .

ثانيا : أن أسفار الأنبياء المتأخرة أشارت إلى البعث إشارات عابرة ، ولكن تلك الإشارات لا تعطى تفصيلات تتناسب مع أهمية هذا الركن العقدى الهام ؛ وبخاصة أن تلك الأسفار مليئة بالحديث عن تفصيلات الحياة الدنيا وما فيها . من أمور الزراعة والمعاملات بين اليهود وغيرهم من الأمم ، وأمور الحرب والقتال وغير ذلك مما يعتبر أقل أهمية من (الآخرة) . التى كان يجب أن تحتل مكانة كبيرة فى هذه الأسفار ، ولكن التحريف والتبديل سبب كثيراً من المفارقات عند اليهود .

ثالثا : جاء من بعدهم من حرف فى البقية الباقية من الإشارات عن اليوم الآخر فى أسفار الأنبياء بتأويل معناها إلى « البعث القومى والسياسى على الرغم من صراحة بعض النصوص كنصى « أشعياء » و « حزقيال » ، وكان ذلك

البقية ص ١٣٧٥

---

(١٤) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٣٥ د / عبد المنعم حنفى دار السر ـ بيروت .

(١٥) متى ١٩ / ٢٩ ، متى ٥ ـ ٣١ ـ ٣٢ ، لوقا ١٨ / ٢٩ / ٣٠ .

(١٦) الملل والنحل للشهر ستانى بهامش الفصل لابن حزم جـ ٢ ص ٤٨ .

(١٧) سورة الأنعام الآية ١٥٤ .

مع الرسول فى حجة الوداع

للشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن انس رضى الله عنه قال : « صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالمدِينَةِ الظّهْرَ ارْبعاً ، والعَصْرَ بذِى الحُلَيفَةِ ركْعَتَينْ ، ثُمَّ باتَ بها حتَّى اصبحَ ، ثم رَكِبَ حتى اسْتَوتْ بِهِ عَلَى البَيدَاءِ حَمِدَ اللهَ وسبَّحَ وكَبَّرَ ، ثم اهلَّ بِحَجٍ وَعُمْرةٍ واهلَّ الناسُ بِهِمَا ، فلمَّا قَدِمْنَا ـ مكَّةَ ـ امرَ الناسَ فحلُّوا ، حتى كان يوم التَّرْوِيَةِ اهلُّوا بالحَجِّ ...» .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : انطلقَ النبىُّ ﷺ من المدينةِ بعدما ترجل وادَّهن ولَبِسَ إزارَهُ ورِدَاءَهُ هو واصحابُه ، فلم يَنْهَ عن شىءٍ من الارديةِ والأُزُرِ تُلبَسُ إلا المُزْعفرةِ التى تَرْدَعُ ـ تلطخ ـ على الجلدِ فاصبح بذى الحُلَيفَةِ رَكِبَ راحلتَهُ حتى استوى عَلَى البيداءِ اهلَّ هو واصحابُه وقلَّدَ بُدْنَتَهُ ، وذلك لخمسٍ بَقِينَ من ذى القعدة ، فَقَدِمَ مكةَ لاربعِ خَلَوْن من ذى الحجة فطافَ بالبيتِ ، وسَعَى بين الصفا والمَرْوَةِ ولم يَحِلَّ من اَجْل بُدنه ؛ لانهُ قلَّدهَا ثُمَّ نزلَ بِاَعلَى مكة عند الحُجُونِ وهو مُهِلٌّ بالحَجِّ ولم يَقْرَب الكَعْبَةَ بعد طوافِهِ بها حتَّى رَجَعَ من عَرفَةَ ، واقرَّ اصحابَه ان يَطّوفُوا بالبيتِ وبين الصفا والمَرْوَةِ ثم يُقصِروا من رُءُوسِهِم ثم يُحلُّوا وذلكِ لمن لم يَكُن مَعَهُ بَدَنةٌ قَلَّدها ، ومن كانت معهُ امرَاَتُهُ فهى له حَلَالٌ ، والطيّبُ والثياب .

رواهما البخارى .

عبر السنين والزمان ، وفى السنة العاشرة من الهجرة النبوية ، نعيش مع هدى الرسول ﷺ فى حجة الوداع ، نستلهم الدرس النافع ، والقدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، ولنأخذ مناسك حجنا ، وحتى يكون حجنا مبرورا جزاؤه الجنة ، فنرجع وقد طهرنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا .

لقد أُذِّن فى الناس أن رسول الله حاجٌّ ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يتلمس أن يأتم برسول الله - ﷺ - ويعمل مثل عمله .

وخرج - ﷺ - بعد صلاة الظهر أربعا بالمدينة ، والعصر ركعتين بذى الحليفة ، وتجرد ﷺ فى إزار ورداء وصلى فى مسجده ركعتين وأوجب فى مجلسه فأهل بالحج حين فرغ من

ركعتيه ، وسمع ذلك منه أقوام منهم ابن عباس ثم ركب فلما استقلت به ناقته أهَلَّ وأدرك ذلك منه أقوام ، وذلك أن الناس إنما كانوا يأتون أرسالا - «أفواجا» - فسمعوه أهلَّ حين استقلت به ناقته ، ثم مضى رسول الله - ﷺ - فلما علا على شرف البيداء أهل وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا : إنما أهلَّ حين علا على شرف البيداء - «وهى الطرف المقابل لذى الحليفة» .

قال ابن عباس : وايم الله لقد أوجب فى مصلاه ، وأهلَّ حين استقلت به ناقته ، وأهل حين علا على شرف البيداء .

روى مسلم عن موسى بن عقبة «كان ابن عمر إذا قيل له أحرم ﷺ من البيداء ، قال : البيداء التى يكذبون فيها على رسول الله ﷺ ؟ والله ما أهلَّ إلا عند مسجد ذى الحليفة» .

وإذا تجردت - أيها الحاج - فلك أن تحرم بالحج مفردا فقد جاء فى الصحيحين عن جابر - رضى الله عنه - قال : «أهل النبى ﷺ هو وأصحابه بالحج» .

ولك أن تحرم بالحج ثم تدخل العمرة عليه - وهذا هو (القران) ولك أن تحرم بالعمرة فإذا فرغت من أدائها - بالطواف والسعى بين الصفا والمروة - والحلق أو التقصير ، تحل ثم تقيم حلالا إلى يوم الثامن من ذى الحجة فتحرم بالحج وبذلك تكون (متمتعا) .

هذا وقد أحرم النبى - ﷺ - بالحج (مفردا) ثم أدخل عليه العمرة ليبين لنا تشريعها - فكان بذلك (قارنا) - حيث أنهم كانوا يرون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور . كما فى رواية البخارى عن ابن عباس .

فبين لهم النبى - ﷺ - : وجوه الإحرام وجوز الاعتمار فى أشهر الحج وقطعت بذلك السنة المتواترة عن عائشة وابن عمر وجابر رضى الله عنهم .

وفى حال إحرامنا بالحج ، أو بالعمرة أو بهما معا من الميقات علينا عقب كل صلاة ، وكلما صعدنا أو نزلنا أو قابلنا رفقاء ، أن يرفع الرجال أصواتهم بالتلبية كما فعل رسول الله - ﷺ - حتى إذا قدمنا مكة المكرمة بادرنا بالذهاب إلى المسجد الحرام للطواف حول الكعبة المشرفة سبعة أشواط بدءاً من الحجر الأسود مع الرمل أى الإسراع قليلاً فى الأشواط الثلاثة الأولى ، ثم السير المعتاد فى الأربعة الأخيرة .

روى البخارى عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال : «فمالنا والرمل ؟ إنما كنا رائينا به المشركين وقد أهلكهم الله ثم قال : شىء صنعه النبى ﷺ فلا نحب أن نتركه ؟

وفى رواية لمسلم عن جابر - رضى الله عنه : « ... حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت » ..

وبعد صلاة الركعتين بسورتى : قل ياأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد . علينا أن نرجع إلى الركن فنستلمه .. أى نقبل الحجر الأسود أو نشير إليه مع تكبير الله تعالى اقتداء بالنبى ﷺ مع الشرب والتضلع من ماء زمزم . ثم نأتى الصفا فنرقى عليه مع قراءة : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ ﴾ - ونستقبل البيت ثم نسعى من الصفا إلى المروة حتى نبلغها ونذكر الله وندعو ثم نعود إلى الصفا ، نفعل ذلك سبع مرات فإذا انتهينا منها يحلق أو يقصر المعتمر . ويبقى المفرد أو القارن على إحرامه حتى يفرغ من أعمال الحج . بوقوفه فى عرفة يوم التاسع ورمى

قبس من انوار النبوة

مع الرســول فـى حجـة الـوداع

جمرة العقبة يوم العاشر من ذى الحجة ، فأما من كان معتمرا وحلَّ فإنه يمكث إلى اليوم الثامن من ذى الحجة وهو المسمى بيوم التروية فيحرم بالحج وينطلق الجميع إلى منى إلى ما بعد طلوع شمس يوم التاسع لمن تيسر له ذلك ، ثم يذهب إلى عرفة ويصلى فى مسجد نمرة ـ إن تيسر له ـ الظهر والعصر جمع تقديم ثم يقيم بعرفة إلى ما بعد غروب شمس يوم التاسع ـ وعرفة كلها موقف والحج عرفة ـ ثم يأتى المزدلفة ويصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير ـ ويبيت بالمزدلفة من تيسر له ذلك ـ ومن لم يتيسر له فعليه أن يذهب إلى منى ليأتى جمرة العقبة فيرميها بسبع حصيات بعد شروق الشمس ـ أو من بعد منتصف الليل ثم يقطع التلبية مع أول حصاة ثم يذبح الهدى ويحلق أو يقصر وهذا هو التحلل الأصغر ، وبه يحل لنا كل شىء إلا النساء .

ثم نذهب إلى مكة لأداء طواف الإفاضة ونسعى إن كنا قد سعينا أولا للعمرة ، أما إن كنا قد سعينا أولاً للحج ـ أو له والعمرة ـ فلا يطلب منا سعى وعند ذلك حل لنا كل شىء ، وهذا يسمى التحلل الأكبر . ثم نعود إلى منى للمبيت بها ليالى أيام التشريق لرمي الجمار ، نبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة ، كلٌ بسبع حصيات أيام العيد الثانى والثالث والرابع لمن اراد ـ قال تعالى : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ . ومن غربت عليه شمس اليوم الثالث فى منى تحتم عليه أن يبيت حتى يرمى اليوم الرابع .

ثم نؤم البيت الحرام نطوف ماأمكننا ذلك ، وقبل الرحيل إلى الأوطان نطوف طواف الوداع سبعاً من غير رمل ، ونصلى بمقام إبراهيم ركعتين ، ونشرب من ماء زمزم ونقف بالملتزم وندعو بما نحب ثم نتوجه للحجر الأسود ـ ونقبله ونخرج من باب الوداع متباكين لفراقه .

وللحاج أن يُحْرم بالعمرة بعد الفراغ من أعمال الحج من التنعيم ثم يُطوف ويسعى بين الصفا والمروة ثم يحلق أو يُقصر . وبذلك تتم مناسك الحج والعمرة ، ولا هدى عليه بخلاف القارن أو المتمتع فإنه يقدم هديا بالغ الكعبة .

ومع جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ نأخذ نفحات من حجة الوداع .

قال جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه : فيما رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما .

ـ إن رسول الله ﷺ ، مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس فى العاشرة : أن رسول الله ﷺ حاج ..

فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله . فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب القصواء حتى إذا استوت ناقته على البيداء ، نظرت إلى مد بصرى بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله وما عَمِلَ به من شىء عملنا به ، فأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

قال جابر لسنا ننوى إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمَل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت ، فكان يقرأ فى الركعتين : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ . ثم رجع إلى الركن

فاستلمه ، ثم خرج منه إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ابدأ بما بدأ الله به ؛ فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره .. ثم نزل إلى المروة حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا .. حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة .. قال فحل الناس كلهم وقصروا وإلا النبى ومن كان معه هدى .. فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس فسار حتى إلى عرفة .. حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحِلَت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس .. ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئاً ثم ركب حتى أتى الموقف فجعل يطعن ناقته إلى الصخرات وظل يدعو حتى غربت الشمس فدفع من عرفات إلى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ، ولم يسبح بينهما ، ثم اضطجع حتى إذا صلى الفجر ثم أتى المشعر الحرام فدعا الله وكبر حتى أسفر جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس فحرك حين أتى (محسر) ثم سلك الطريق الوسطى حتى أتى الجمرة الكبرى فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ودعا الحلاق فحلق للرسول شعر رأسه ، وقد دعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة ثم ركب فأفاض إلى البيت ، وبعد أن طاف طواف الإفاضة شرب من ماء زمزم وصلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فلما أصبح انتظر زوال الشمس فبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم الكبرى ، فرمى كل واحدة بسبع يكبر مع كل حصاة .. ثم خطب فى الناس يوم النحر وفى اليوم الثانى ولما أكمل أيام التشريق الثلاثة أفاض بعد الظهر إلى المحصب .. ثم نهض إلى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ، ونادى بالرحيل راجعا إلى المدينة وكبر ثلاث مرات وقال : آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد

أ . د . أحمد فؤاد باشا

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ صدق الله العظيم .

قضية للحوار :

إن الدعوة الإسلامية رسالة عظيمة الشأن وجليلة الأثر ، خاصة عندما تتسع وتنتشر لتشمل غير الناطقين باللغة العربية ـ مسلمين وغير مسلمين ـ من سكان هذا الكوكب الذى نعيش عليه ، فتخاطب العقول والوجدان بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، وتبصر الناس بحقائق الإسلام وتعاليمه السامية فى يسر ووضوح ، بعيداً عن البدع والخرافات والأقاويل التى ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن هنا فإن الذين يتصدون لحمل هذه الأمانة وتبليغها مطالبون بأن يكونوا على أعلى مستوى من الكفاءة والإعداد الواعى وفق منهج علمى متكامل ، حتى تكون دعوتهم إلى الإيمان على هدى وبصيرة ، فيتم الاقتناع ، وتدرك الغاية ، وتتحقق الهداية بإذن الله تعالى وتوفيقه .

لكن الأمر يصل إلى حد الخطر على هذه الدعوة الإسلامية الرشيدة عندما نجد بعض الذين يكتبون أو يتحدثون عن الإسلام بلغات أجنبية قد جانبهم التوفيق فى اختيار المرادفات التى تعبر تعبيراً صادقاً عن الحقائق والمفاهيم والمسميات الإسلامية . ومكمن الخطر ، فيما

نرى ، يتمثل فى أن امثال هؤلاء يقعون فى خطأ مزدوج من حيث لا يشعرون .

فهم وإن كانوا مسلمين ـ قد سمحوا لأنفسهم بالكتابة أو الحديث عن دين لم يتفقهوا فيه ، وكان الأولى بهم ـ بحكم الإسلام الذى ينتمون إليه ـ الا يقفوا ماليس لهم به علم . ثم هم وإن كانوا مسلمين قد أساءوا فهم هدف الدعوة الإسلامية ، واثروا سلبيا على جهود الدعاة بتقديم تصورات خاطئة عن الإسلام . ومما يبعث على الأسى والأسف أن هذه الآراء والتصورات تجد الطريق أمامها ممهداً للانتشار والذيوع دون مراجعة أو مساءلة ..!

واقعة محددة :

طالعت فى الصفحة العاشرة من جريدة « الأهرام ويكلى » الأسبوعية الصادرة باللغة الانجليزية ، عدد الخميس ٩ مايو ١٩٩١ م ، مقالاً مطولاً بعنوان « Performing the umra » أو « أداء العمرة » ، تحدثت فيه الكاتبة عن انطباعاتها الشخصية حول رحلتها لأداء العمرة فى شهر رمضان . وقد راعنى أن يتضمن المقال بعض الكلمات والعبارات والمقولات التى توحى بتصورات خاطئة عن الإسلام ، وتسىء إلى السيرة العطرة لرسول الله ﷺ . وسوف أوجز ملاحظاتى من واقع ماتضمنه المقال فيما يلى :

١ ـ جاء فى مقدمة المقال ماترجمته : « إن أفضل وقت لأداء العمرة بالنسبة لمعظم المسلمين هو شهر رمضان ، حيث يحدث ـ طبقاً لما هو معروف فى الإسلام أن تسلسل الشياطين ويكون الوقت ملائماً « أو مناسباً » بالنسبة للإله ليجيب دعاء المتوسلين and the time is opportun **For** **God**.. to answer Prayer » .

٢ ـ جاء فى موضع آخر من المقال مايفهم منه أن رسول الله ﷺ عاش ومات فى مكة ثم دفن فى المدينة ، ويلاحظ أن الأسماء الإسلامية عموماً قد كتبت محرفة حسبما ينطقها الغربيون .

« in Mecca where the Prophet **Mohamed** lived, prayed and **died** ... the town of Medina also, the place where the prophet is buried » .

٣ ـ جاء فى موضع ثالث من المقال ماترجمته : « من الثابت تاريخيا أن اهل المدينة استقبلوا النبى ﷺ عندما **هرب** « أو فر » من اضطهاد اهل مكة .

Historically, the people of Medina accepted the prophet when he **escaped** From the persecution of the people of Mecca,.. »

٤ ـ جاء فى موضع رابع ما ترجمته : « .. ثم نأتى إلى **آخر** مراحل العمرة **واصعبها** عندما يسعى المسلمون سبع مرات ذهاباً وإياباً بين صخرتين كبيرتين تسميان الصفا والمروة :

Then the **Final,** and **most difficult, part** of the Umra comes when Muslims **walk** seven times back and forth between two large rocks called El-Safa and El-Marwa,..

٥ ـ يركز المقال بصورة عامة على بعض الجوانب السياحية والاجتماعية وتفاصيل حركة البيع والشراء فى مكة والمدينة اكثر مما يحاول إظهار الجوانب الروحية والقيمية المبتغاة من اداء العمرة ، أو حتى يحاول تعريف القارىء بأركان العمرة وأعمالها دون لبس أو غموض ، ولهذا فإن

البقية ص ١٣٧١

نظرات فى الفقه الأباضى
ورأى آخر ذو فائدة

للشيخ
محمد حسام الدين

بسم الله الرحمن الرحيم : ذكرنا[1] للاباضية رايا ذا اثر فى ثبات العامة منهم فى دينهم ، وارتباطهم بعلمائهم .

واليوم نذكر حكما آخر لديهم يحملهم على الحذر والخشية ، ويدفعهم للسؤال والعلم ، ويبعث فيهم ملكة الاحتياط فى امورهم .

وقاعدة هذا الحكم انه : « لا يعذر الجاهل بجهله إذا ارتكب محظورا ، او ترك فريضة » .

وجمهور فقهاء الأباضية على هذا الرأى ، وبخاصة المتأخرون منهم ، ولم أر من بينهم من خالف فى هذه القاعدة إلا الشيخ العلامة ابو محمد عبدالله بن بركة[2] وهو إمام مجتهد يستقل بتأصيل الأحكام ، لم ار بيانا أشبه ببيان الشافعى من بيان هذا الشيخ فهو كأنما ينظم الدر وينثر الحكمة .

وقد عبر عن رأيه فى المسألة فقال : « المعصية لا تكون إلا من قاصد إليها »[3] .

وفقه الأباضية يستند هنا إلى أصل مغاير للقاعدة المشهورة : « الأصل فى الأشياء الإباحة » أو « الأصل فى المنافع الحل ، والأصل فى المضار التحريم » .

وينبنى على هذه القاعدة أن من تناول شيئا على الأصل ، وهو لا يعلم تحريمه ـ فيما عدا ما علم تحريمه بالضرورة ـ كان معذورا .

فالفقه الأباضى لا يعتمد هذه القاعدة ، والأصل عندهم هو : الكلمة ، أو الجملة وهى : « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، وأن ما جاء به من عند الله هو الحق » .

فهذا الذى لا يسع أحداً جهله على كل حال ، والحجة به قائمة على كل بالغ عاقل[4] ..

والحلال ما أحل الله ، والحرام ما حرم الله ، وكلاهما بين ، وبينهما مشبهات ، قد فرض الله

---

(١) شرحنا هذا الرأى فى مقالنا الذى نشر فى مجلة الأزهر بعددها الصادر فى شوال سنة ١٤١١ هـ تحت عنوان : (رأى يعالج مشكلة لنا حاضرة) .

(٢) ابو محمد عبد الله بن محمد بن بركة البهلوى العمانى من علماء القرن الرابع الهجرى .

(٣) كتاب الجامع ـ ص ١٦٥ ـ جـ ١

(٤) الجامع لأبى الحسن البسيوى جـ ١ ص ٢٦٨ ..

على المسلم أن يسأل عنها ، والله تعالى لم يعذر احدا بالجهل .

يقول سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾(٥) ويقول : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾(٦) ، ويقول : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٧) ويقول : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٨) .

فلو كان ـ الله ـ قد أباح الأشياء وركوبها ـ أى ارتكابها ـ على الجهل لم يقل فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، ولكان قد اهملهم ، فلما أمرهم بالسؤال ، ونهى أن يقفوا ما ليس لهم به علم دل ذلك على أن الأشياء غير مباحة ، وانها محجورة ، ولا يجوز ركوب ـ أى ارتكاب ـ شىء مما حرم الله بجهل ولا بعلم(٩) .

فالذى لايسع أحدا الجهل به هو « الجملة » وهى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله وأن ماجاء به من عند الله هو الحق .

قال البسيوى : « وذلك له تفسير ، لأن جملة ما تعبد الله به عباده فى كتابه ، وفى سنة نبيه ومن القياس عليها ، والإجماع على ذلك فمن اقر بما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد اقر بجملة الإسلام(١٠) . لكن يسع الناس الجهل بالمحارم التى حرم الله ، ما لم يركبوا ـ أى يرتكبوا ـ شيئا منها ، أو يحلوا حراما ، أو يحرموا حلالا ..

ويسعهم الجهل بالفرائض ما لم يبتلوا بشىء من ذلك أو يحضر وقت العمل(١١) .

وقد حرر السالمى(١٢) الرأى فى المسألة فقال : « اعلم أن الأمور ثلاثة :

امر بَانَ لك رشده ، فاتبعه ، وأمر بَانَ لك غيُّه ، فاجتنبه ، وأمر أشكل عليك حكمه فقف عنه ، ولا يجوز لك القدوم عليه حتى يتضح لك حقه ، فإذا ارتكب (الراكب) أمرا لم يعلم حقه من باطله ، فلا يخلو ذلك الأمر من أحد أمرين : أما أن يكون باطلا فى أصل دين الله ، أو حقا .

فإن كان باطلا (فالراكب) له هالك : قصده ، أو لم يقصده ، إلا أن يتوب منه .

وإن كان حقا فلا يخلو (الراكب) من أحد أمرين أيضا : إما أن يكون قصده موافقة الحق ، فلا إثم عليه فى هذا ، لأنه قصد الحق فوفق إليه ، وقيل : إن عليه التوبة من قدومه على ما لا يعلم .

والأول هو الصحيح لأن كثيرا من الصحابة قد فعلوا أشياء لم يعلموا حكم الله فيها ، فإذا هى حق عند الله ، فأقرهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فعل ذلك .

فهذا عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ تلفظ للمشركين بالشرك تَقِيَّةً ، ولم يعلم جواز التقية يومئذ ، بدليل ما نقل عنه أنه قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

هلكت ... ... الحديث(١٣) .

---

(٥) سورة الإسراء آية رقم ٣٦ .
(٦) سورة الكهف آية رقم ٢٨ .
(٧) سورة الجاثية آية رقم ١٨ .
(٨) سورة النحل آية رقم ٤٣ .
(٩) الجامع لأبى الحسن البسيوى جـ ١ ص ٢٦٦ .
(١٠) الجامع لأبى الحسن البسيوى جـ ١ ص ٢٧٠ .
(١١) المرجع السابق ص ٢٧٠ مع تصرف .
(١٢) العلامة : ابو محمد عبد الله حميد السالمى من علماء القرن الرابع عشر الهجرى .
(١٣) رواه ابن جرير ، والبيهقى عن ابن عباس ، وعن محمد بن عمار بن ياسر ـ بألفاظ مختلفة ، واختاره الشعبى ، وقتاده وأبو مالك سببا لنزول قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ الآية ١٠٦ من سورة النحل ..

نظـرات فى الفقـه الأباضـى

وأما أن يكون فى قصده مخالفا لدين الله ، فهذا هالكٌ بنيَّتِهِ ، ولا تنفعه موافقة الحق بل عليه التوبة من تلك النية ...

وبين كلا الأمرين واسطة : وهى نوعان : أحدهما : أن يكون (الراكب) مهملا ، أى لم يكن قاصدا لشىء دون شىء ، فيحكم له وعليه بحكم ما ارتكبه ، وثانيهما : أن يكون غير مبال : أصاب حراما أم حلالا فيحكم عليه بالهلاك عند موافقة الباطل ، وبالتوبة عند موافقة الحق[١٤] .

هذا ما اتجه إليه جمهور الأباضية فى مسألة الجهل بالأحكام ، وقد خالفهم فى رأيهم العلامة : ابن بركة - على ما أشرنا إليه من قبل - فقال[١٥] : « الدليل على أن المعصية لا تكون إلا من قاصد إليها ، قول الله جل ذكره : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[١٦] ..

ورأيه هذا قريب من رأى أهل السنة ، قال الشاطبى[١٧] : (يصح أن يقع بين الحلال والحرام مرتبة العفو ، فلا يحكم عليه بأنه واحد من الخمسة المذكورة . هكذا على الجملة)[١٨] ..

وشرح الشاطبى معنى « العفو » هنا ، بأنه ما لا مؤاخذة به .. واستدل له بوجوه من الأدلة[١٩] منها :

١ - « ما جاء من النص على هذه المرتبة على الخصوص ، فقد روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها »[٢٠] ... قال عبيد بن عمير : أحل الله حلالا ، وحرم حراما ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو ..

٢ - ما يدل على هذا المعنى فى الجملة كقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ .. ﴾[٢١] الآية - فإنه موضع اجتهاد فى الإذن عند عدم النص ، وقد ثبت فى الشريعة العفو عن الخطأ فى الاجتهاد حسبما بسطه الأصوليون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢٢] ، وقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يكره كثرة السؤال فيما لم ينزل فيه حكم ، بناء على حكم البراءة الأصلية ، إذ هى راجعة إلى هذا المعنى ، ومعناها أن الأفعال معها معفو عنها » ..

قال : « ويظهر هذا المعنى فى مواضع من الشريعة : منها ما يكون متفقا عليه ومنها ما يختلف فيه » .

فمنها : الخطأ والنسيان فإنه متفق على عدم المؤاخذة به ، فكل فعل صدر عن غافل ، أو

---

(١٤) بهجة الأنوار ص ٦٧ .
(١٥) كتاب الجامع جـ ١ ص ١٦٥ .
(١٦) سورة الأحزاب آية رقم ٥
(١٧) الإمام : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ صاحب الموافقات .
(١٨) الموافقات جـ ١ ص ١٠٠ - تحقيق محيى الدين عبد الحميد -
(١٩) الموافقات ص ١٠١ - تحقيق محيى الدين عبد الحميد .
(٢٠) الحديث بلفظه لرزين والطبرانى فى الكبير ، وأبى نعيم فى الحلية ، والبيهقى عن ثعلبه الخشنى . رفعه ، وهو بلفظ آخر للطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء . وفيه ضعف .
(٢١) سورة التوبة آية رقم ٤٣ .
(٢٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٨ ..

ناس ، أو مخطىء ، فهو مما عُفى عنه ، فإن من شرط المؤاخذة به ذكر الأمر والنهى ، والقدرة على الامتثال ، وذلك فى المخطىء والناسى والغافل محال ، ومثل ذلك النائم والمجنون والحائض ، واشباه ذلك .

ومنها : الخطأ فى الاجتهاد .

ومنها : الاكراه ... فإن حاصل ذلك أن تركه لما ترك وفعله لما فَعَل لا حرج عليه فيه .

ومنها : الرخص كلها على اختلافها ، فإن النصوص دلت على ذلك ، حيث نص على رفع الجناح ، ورفع الحرج ، وحصول المغفرة .

ومنها : الترجيح بين الدليلين عند تعارضهما ولم يمكن الجمع ، فإذا ترجح أحد الدليلين كان مقتضى المرجوح فى حكم العفو .

ومنها : العمل على مخالفة دليل لم يبلغه ، أو على موافقة دليل بلغه ، وهو فى نفس الأمر منسوخ أو غير صحيح ، لأن الحجة لم تقم عليه بعد ، إذ لابد من بلوغ الدليل إليه وعلمه به ، وحينئذ تحصل المؤاخذة به ، وإلا لزم تكليف ما لا يطاق » .. انتهى ملخصاً(٢٣) ..

ثم عرض الشاطبى وجهة نظر المانعين لمرتبة العفو ، ووجوه استدراكهم على الرأى بإثباتها ، وأورد منها :

١ ـ أن أفعال المكلفين ـ من حيث هم مكلفون ـ أما أن تكون بجملتها داخلة تحت خطاب التكليف ، وهو الاقتضاء أو التخيير ، أو لا تكون بجملتها داخلة ، فإن كانت بجملتها داخلة فلا زائد على الأحكام الخمسة وهو المطلوب .

وإن لم تكن داخلة بجملتها لزم أن يكون بعض المكلفين خارجا عن حكم خطاب التكليف ، ولو فى وقتٍ ، أو حالة ما ، لكن ذلك باطل .

٢ ـ أن العفو إنما هـو حكم أخروى لا دنيوى ، وكلامنا فى الأحكام المتوجهة فى الدنيا .

٣ ـ إن سَلِمَ للعفو ثبوت ففى زمانه عليه السلام ، لا فى غيره ، وما ذكر من أنواع العفو داخل تحت الأحكام الخمسة ، فإن العفو فيها راجع إلى رفع حكم الخطأ ، والنسيان ، والإكراه والحرج ... وذلك إثبات للأمر والنهى مع رفع آثارهما لمعارض »(٢٤) ..

وقد ذكر الشاطبى أمثلة لما اعتبره المذهب المالكى من مرتبة العفو ، من مثل ما تقرر فى المذهب : أن من سافر فى رمضان أقل من أربعة بُرُد فظن أن الفطر مباح به ، فأفطر فلا كفارة عليه ، وكذلك من أفطر فيه بتأويل وإن كان أصله غير علمى ـ أى غير معتمد على العلم ـ ، وهذا جار فى كل متأول كشارب المسكر ظانا أنه غير مسكر ، وقاتل المسلم ظانا أنه كافر ، وآكل المال الحرام عليه ظانا أنه حلال له ، والمتطهر بماء نجس ظانا أنه طاهر وأشباه ذلك .

ومن أمثلته الخروج عن مقتضى الدليل من غير قصد ، أو عن قصد لكن بالتأويل .

فمنه الرجل يعمل عملا على اعتقاد إباحته لأنه لم يبلغه دليل تحريمه ، أو كراهيته ، أو يتركه معتقدا إباحته إذ لم يبلغه دليل وجوبه أو ندبه ، كقريب العهد بالإسلام لا يعلم أن الخمر محرمة فيشربها ، أو لا يعلم أن غسل الجنابة واجب فيتركه ، وكما اتفق فى الزمان الأول حين لم تعلم الأنصار طلب الغسل من التقاء الختانين ، ومثل

البقية ص ١٣٧١

(٢٣) الموافقات ـ جـ ١ ـ ص ١٠١ ـ ١٠٤

(٢٤) الموافقات ـ ملخصا ـ جـ ١ ص ١٠٤ ـ ١٠٦ ..

القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

٤

بقلم : لــواء . أ . ح
د . فوزى محمد طايل

حقا لقد كان يوم العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ (السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م) يوما عظيما برزت فيه وحدة الأمة الإسلامية من خلال تاييدها ووقوفها خلف المجاهدين من مصر وسوريا عندما هبوا يستردون بعض ما اغتصبه المعتدون ، وكان ذلك اليوم نقطة تحول حاسمة ، وحدا فاصلا بين مرحلة واخرى .

لقد اقتنع العدو والصديق أن فى الأمة رجالا يملكون العزيمة ، ولديهم التصميم الكامل ، على استنقاذ الحق والانتصار له .

ومع ذلك فقد نجحت الصهيونية العالمية فى إحداث تعتيم على قضية « القدس » ، ووضعتها فى أسبقية متأخرة عندما بدأت الأطراف المتنازعة تتوجه إلى الحل السلمى ؛ بل إن الأقرب إلى الصحيح القول بأن مرحلة مابعد حرب رمضان قد شهدت فصلا شبه كامل بين قضية « القدس » ، وبين حل « القضية الفلسطينية » ، وبينما دخلت القضية الثانية فى دروب ومسالك وعرة يلوح فيها بين حين وآخر سراب التوصل إلى تسوية عادلة ، فإن القضية الثانية قد وئدت وانصارها شهداء على ذلك ينظرون .

وعلى الرغم من الأطماع الصهيونية ، وأنهم أخذوا يلبسون الحق بالباطل ؛ فإن اللوم جله يوجه إلى الأمة الإسلامية إذ قصرت ، وظنت أن عدوها سوف يعيد إليها الحق المسلوب على طبق من فضة .

لقد أنهى القرار ، رقم (٣٣٨) الصادر من مجلس الأمن يوم الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٧٣ ، والمؤيد بالقرارين ٣٣٩ و ٣٤٠ ، القتال على أساس البدء الفورى فى وضع القرار رقم (٢٤٢) لعام ١٩٦٧ م موضع التنفيذ ، وذلك من خلال المفاوضات بين الأطراف المعنية ، بهدف إقامة « سلام دائم وعادل » فى الشرق الأوسط . ولنا أن نتساءل :

هل يمكن إقامة سلام له صفة « الديمومة والعدل » دون الالتزام بالمواثيق الدولية وقرارات الأمم المتحدة التى تجعل من القدس كيانا مستقلا غير خاضع لإسرائيل ؟

لقد صدر القرار رقم (٢٤٢) ـ كما أوضحت فى المقال السابق منحازاً إلى جانب إسرائيل مجافيا للحق إذ لم تصدر فيه أية عبارة ، أوحتى إشارة ضمنية إلى وضع مدينة « القدس » . ثم كان صدور القرار (٣٣٨) ، فى ظروف بالغة

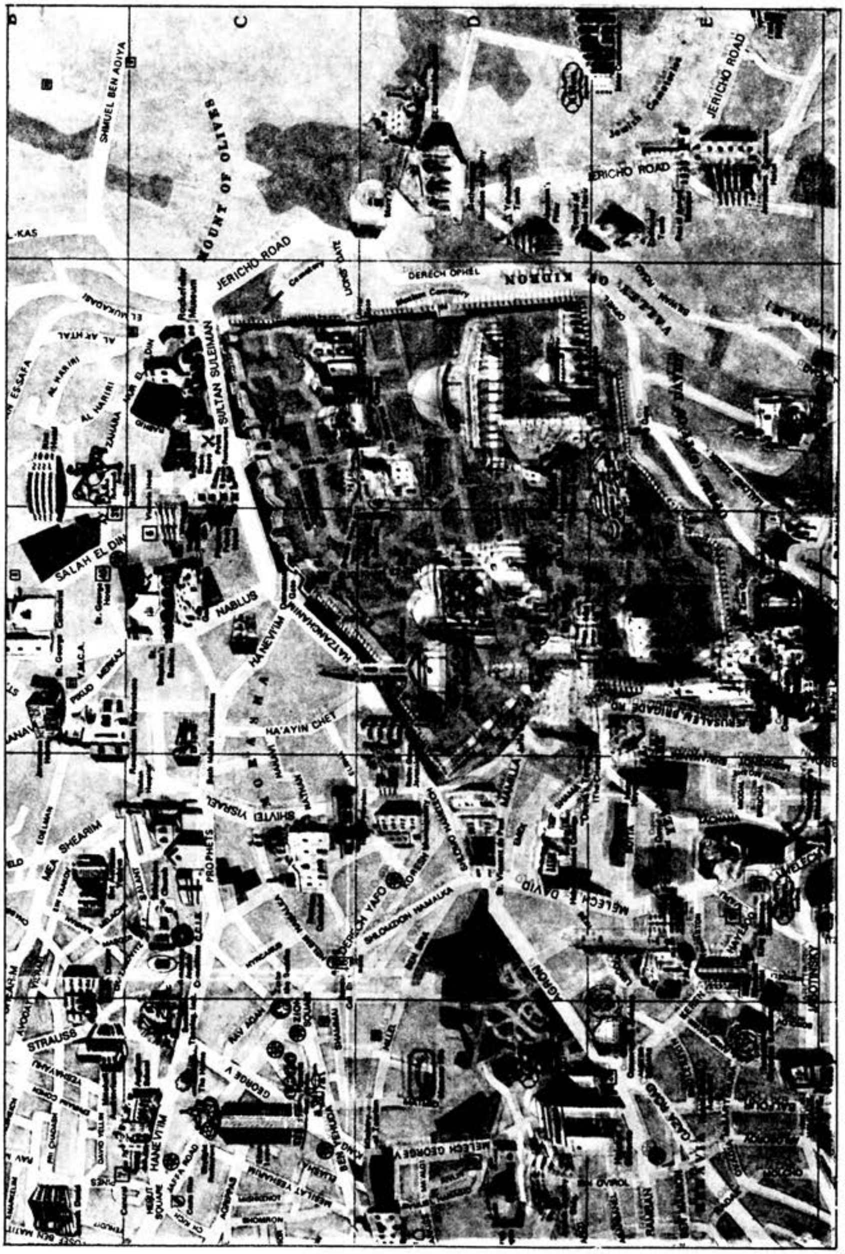

جزء من مدينة القدس

الدقة ، متعمدا عدم الإشارة للقرارات المتعلقة « بالقدس » ، والتى صدرت فى الفترة من عام ١٩٦٧ م حتى عام ١٩٧١ م ، وأهمها القرار رقم (٢٧١) الصادر فى الخامس عشر من سبتمبر

الوثائق الدولية والأطماع الصهيونية

عام ١٩٦٩ م ، والقرار رقم (٢٩٨) الصادر فى الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧١ م ، واللذان أكدا « بأوضح العبارات الممكنة » ـ على حد التعبير الوارد فى نص القرار ٢٩٨ ـ أن **الإجراءات والتشريعات التى صدرت عن إسرائيل متعلقة بوضع القدس « باطلة »** .

وإزاء تعنت إسرائيل وصلفها وتصريحاتها المستفزة التى تلت وقف إطلاق النار مع كل من مصر وسوريا فى شهر اكتوبر ١٩٧٣ م فقد تحركت الأقطار الإسلامية خاصة ، ودول عدم الانحياز عامة ، فى محاولة لطرد إسرائيل من المنظمة العالمية . بيد أن الولايات المتحدة الأمريكية قابلت هذه الحركة بقدر كبير من الحسم لصالح إسرائيل ، إذ صدر قرار مجلس الشيوخ الأمريكى ـ الذى تكاد الحركة الصهيونية العالمية أن توجه كل أعماله وقراراته ـ مهددا باتخاذ إجراءات حاسمة ضد هذه المحاولة .

لقد صدر قرار مجلس الشيوخ الأمريكى يوم الثامن عشر من يوليو ١٩٧٥ م تحت رقم (٢١٤) يحمل النص التالى :

« يقرر المجلس : أنه إذا ما تم طرد إسرائيل من الأمم المتحدة ، فإن مجلس الشيوخ سوف يعيد النظر فى كل التزامات الولايات المتحدة تجاه دول العالم الثالث التى شاركت فى عملية الطرد ، وسوف يتم النظر بعين الجد فى أمر الاستمرار فى عضوية الأمم المتحدة فى ظل مثل هذه الظروف » .

« Resolved, that if Israel is expelled from the United Nahons the senate will review all Present United states Commitments to the third World nations involved in the expulsion, and will consider seriously the implication of continued membership in the Mnited Nations Under such circumstances . »

على الرغم من هذا فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا هاما هو القرار رقم (٣٣٧٩) فى العاشر من نوفمبر عام ١٩٧٥ م الذى اعتبر « الصهيونية » شكلا من أشكال العنصرية ، وبالتالى أصبح محتما إزالتها تطبيقا لما جاء فى القرار رقم (١٩٠٤) فى العشرين من نوفمبر ١٩٦٣ .

هذا ، وقد جاء فى مطلع القرار رقم (٣٣٧٩) لعام ١٩٧٥ : ـ

« مذكرين بالقرار رقم (١٩٠٤) الصادر فى ٢٠ نوفمبر ١٩٦٣ الذى يتضمن إعلان الأمم المتحدة الدعوة إلى إزالة كل أشكال التفرقة العنصرية ، ومؤكدين بصفة خاصة أن أية عقيدة racial superiority doctrine ، تقوم على التفاضل العنصرى Racial diffe- rentiation أو السمو الجنسى وهى عقيدة زائفة من الوجهة العامية ، مدانة من الوجهة الاخلاقية ، ظالمة وخطيرة من الوجهة الاجتماعية » ..... الخ .

ومذكرين أيضا بما جاء فى القرار رقم (٣١٥١) الصادر فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٧٣ وادانت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة التحالف « غير المقدس » بين النظام العنصر فى جنوب أفريقيا وبين الصهيونية .

ثم جاء نص القرار كما يلى :

« تقرر (الجمعية العامة للأمم المتحدة) أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى » .

« Determines that zionism is a form of racism and racial discrimination ».

2400 th plenary meeting
10 November 1975

ولم يكد هذا القرار الخطير الصادق يخرج حتى انبرى المندوب الأمريكي في الأمم المتحدة « دانييل موينيهان » Daniel P. Moynihan يهاجم القرار ويدافع عن الصهيونية باعتبارها « المرادف لليهودية » وبالتالي فهي ليست عنصرية ؛ لأن تعريف اليهودي عندهم : « هو من ولد لأم يهودية أو تهود ... » وهاك العبارات التي وردت على لسانه في البيان الصحفي الصادر عن البعثة الأمريكية لدى الأمم المتحدة يوم العاشر من نوفمبر ١٩٧٥ ؛ أي يوم صدور القرار المذكور :

«It was not a movement of persons comnected by historic membership in a genetic pool ..... To the contrary, Zionisits defined themselves merely as Jews, and declared to be Jewish anyone born of a Jewish mother or– and this is the obsolutely crucial fact– anyone who canverted to Judaism.»

وتعليقنا على ما جاء بهذا النص هو أنه : إذا صدقت مقولة المندوب الأمريكي التي يعتبرها « حجة حاسمة » ، أو «حقيقة مقطوعا بها » على حد تعبيره ،. فعلى أي أساس يدعى اليهود حقهم في احتلال فلسطين ؟ .. وإلى أي سند ديني أو تاريخي يستندون كي يحولوا « القدس » إلى « عاصمة أبدية لهم » – على حد تعبيرهم – متحدين بذلك كل العهود والمواثيق الدولية ؟

وإذا كانت مقولته غير صحيحة ، فإن الصهيونية إذاً تقوم على أساس التفاء الجنسي ، والتفوق العنصري ، فهي حركة غير مشروعة يتعين – حسب قرارات الأمم المتحدة – القضاء عليها ... فلا يجوز بالتالي ادعاء أي حق لها في فلسطين ؛ لأن ادعاءهم باطل ، وما بني على باطل فهو باطل .

وفي اليوم التالي لصدور « قرار اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية » ، اجتمع « مجلس الشيوخ الأمريكي » ليصدر قراره رقم (٧٣) للسنة الرابعة والتسعين (دور الانعقاد الأول) ، وليدين قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ، الذي يعد – حسب تقديرهم – بمثابة دعوة لتشجيع « معاداة السامية »(*) .

وقد جاء القرار كما يلي :

قرر مجلس الشيوخ (ووافق مجلس النواب على) الإدانة الحاسمة لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في العاشر من نوفمبر عام ١٩٧٥ م لكونه يشجع على معاداة السامية ؛ إذ يسوى بين الصهيونية والعنصرية والتمييز العنصري ، الأمر الذي يتعارض والأهداف الأساسية لميثاق الأمم المتحدة .... وقرر ....

كما قرر أن تتولى لجنتا العلاقات الخارجية ، والعلاقات الدولية التابعتان للمجلس ، فور سماعهما لهذا القرار إعادة تقويم المشاركة المستقبلية للولايات المتحدة الأمريكية في الجمعية العامة للأمم المتحدة .

immediately to reassess the United states' further participation in the United Nations General Assembly .

هذا ، ومن يوم صدور ذلك القرار الخطير « الذي يعتبر الصهيونية شكلا من اشكال التمييز العنصري » ، لم تهدأ الصهيونية العالمية ، فعملت بكل الوسائل لإلغاء قرار الأمم المتحدة رقم (٣٣٧٩) لعام ١٩٧٥ م . ولعل من

(*) وهو تعبير يعنون به « معاداة اليهود » واضطهادهم ، وقد صار التعبير بمثابة سلاح ردع يوجهه الصهاينة إلى من يريدون مهاجمته ، إذ يضعونه في خندق واحد مع النظام النازي الذي يدعون أنه اضطهد اليهود وقتل منهم عشرات الآلاف قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية .

القدس بين

المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية

أحدث تحركاتها فى هذا الخصوص قيام مجلس « الكونجرس » الأمريكي ببذل الجهود المتواصلة ، منذ منتصف عام ١٩٩٠ م ، وإصداره لقرار جديد يطالب الحكومة الأمريكية بإجراء الاتصالات الدولية اللازمة لتجميع عدد كاف من الأصوات فى الأمم المتحدة لإلغاء قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية .

وقد تولى « دان كويل » نائب الرئيس الأمريكى بنفسه مسئولية هذا التحرك بتأييد كامل من الرئيس الأمريكى « جورج بوش » ، الذى وجه بدوره دعوة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نهاية شهر يونيو ١٩٩٠ ، لإلغاء قرارها .

ومن جهة أخرى مارست الصهيونية العالمية ضغوطها على الأمين العام للأمم المتحدة « خافيير بيير دى كويبار » ـ الذى يفترض فيه الحيدة والنزاهة والوقوف موقف التأييد الكامل لقرارات الأمم المتحدة ـ فأصدر تصريحا فى مطلع شهر مايو ١٩٩١ م ينتقد فيه بشدة قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٧٥ الذى يسوى بين الصهيونية والعنصرية ، ويطالب بإلغائه بحجة أن وجود هذا القرار يعوق جهود السلام فى الشرق الأوسط !

وقبل ان نستكمل موضوعنا يحق لنا ان نتساءل :

ما موقف الأمة الإسلامية من هذا الذى يحدث ؟

بل ما هو موقف « لجنة القدس » التى اسست بناء على توصية المؤتمر السادس لوزراء خارجية البلدان الإسلامية اعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى ؟

هل سيخدم إلغاء قرار الأمم المتحدة المشار إليه قضية القدس ام انه سيضر بها ضررا بالغا ؟

لقد شهد عقد السبعينيات ، وعقد الثمانينيات تجاهلا ، من قبل كل الأطراف ، للوضع القانونى الواضح والصريح للقدس ، والذى قررته المواثيق الدولية : « أن القدس تعد « كيانا مستقلا » يخضع للإشراف الدولى » ، فلا يتبع أية دولة ، ولا يجوز بالتالى التفاوض من أجل نقض ما قررته هذه المواثيق .

لقد أصبحنا والكل يرددون عبارات مبهمة ظاهرها حق وباطنها وجوهرها باطل .. هذه العبارات لا تخرج عن الدعوة إلى « عدم المساس بوحدة القدس ووضعها القانونى » ...

أى وحدة وأى وضع قانونى ، والقدس فى يد إسرائيل ، وقد تغير وجهها ، وأضيفت إليها صفة « عاصمة الدولة اليهودية » !؟

لقد وقعت مصر وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية يوم السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٧٨ م « إطارا للسلام » عرف باسم « اتفاقية كامب ديفيد » . وعلى حين عالجت الاتفاقية المذكورة فكرة السلام بين مصر وإسرائيل ، وفكرة الحكم الذاتى للفلسطينيين ، **فإنها لم تتعرض لوضع القدس** . بيد أن الرئيس الراحل محمد أنور السادات عاد فأكد على « الحقوق العربية فى القدس » فى خطاب بعث به إلى الرئيس الأمريكى الأسبق « جيمى كارتر » فى أعقاب التوقيع على الاتفاقية المشار إليها .

أما بيان « البندقية » الذى صدر عن رؤساء دول وحكومات المجموعة الاقتصادية الأوروبية فى الثالث عشر من يونيو ١٩٨٠ م فقد جاء فيه :

« تعترف الدول التسع بالوضع شديد الأهمية الذى تحتله مسألة (القدس) بالنسبة لجميع الأطراف المعنية ، وتشير إلى انها لا تقبل أية مبادرة من جانب واحد تستهدف تغيير « وضع القدس » ، كما يجب أن يتضمن اى اتفاق حول وضع المدينة حرية الدخول إلى جميع الأماكن المقدسة » ... كيف وهذه الدول جميعها تتعامل

مع إسرائيل باعتبار القدس الموحدة عاصمة لها !؟

وقد جاء في مبادرة الرئيس الامريكي السابق « رونالد ريجان » ، في شهر سبتمبر عام ١٩٨٢ م أنه : « يجب ان تظل القدس غير مجزاة ، وان يتقرر وضعها النهائي من خلال المفاوضات » ! كيف وقد اصدر « الكونجرس الأمريكي » في نهاية عهد الرئيس ريجان نفسه « قانونا » ، وقعه الرئيس يعتبر « القدس الموحدة » ، عاصمة لإسرائيل !؟

لقد صارت مسألة القدس في نظر « الساعين إلى السلام » في الشرق الأوسط في مرتبة متأخرة ، إن لم يكن قد تم التخلي عنها كلية .... وتخلت الأمة الإسلامية أو كادت أن تتخلى عن واجبها تجاه استعادة أولى القبلتين وثالث الحرمين .

أما من جانب إسرائيل فإن العمل يجرى على قدم وساق منذ السابع من يونيو عام ١٩٦٧ على تغيير وجه القدس وطبيعتها كلية ، دون مبالاة بالعهود والمواثيق والقرارات الدولية ، ولايكف زعماء إسرائيل أيا كانت انتماءاتهم الحزبية ، عن الإعلان عن أن « القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل » ، وأنه « لا سبيل للتفاوض حول هذا الأمر .

وفي التاسع من يناير عام ١٩٩٠ م اصدر البرلمان الإسرائيلي « الكنيست » قرارا جاء فيه : « تعود الكنيست وتقرر أن القدس الكاملة عاصمة إسرائيل ، ليست ولن تكون موضوعا للمفاوضات .. والكنيست يطالب الحكومة بان تحافظ ، خلال البحث في مبادرتها للسلام ، على إظهار وتوضيح نية إسرائيل ان تبقى سيادتها على القدس دون تحفظ » .

هذا ، وليس قرار الكنيست الأخير إلا إعلانا عن استمرار التمسك بالقانون الأساسي(*) الذى صدر في شهر اغسطس عام ١٩٨٠ م ، وتنص مادته الأولى على أن « **القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل** » .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ...... ﴾ .

إن المؤشرات والدلالات تتوافر على أن حربا ضروسا توشك أن تقع وأن إسرائيل هي التى ستشعل فتيلها(**) ، وان سعى أصحاب الحق إلى السلام وإعطاءهم التنازل تلو الآخر لن يزيد الصهيونية العالمية إلا غرورا وتصميما على إقامة ما يسمونه « بإسرائيل الكبرى » ، التى يتصورون إقامتها على أنقاض المسجد الأقصى ، وعلى جثث عشرات ، بل مئات الآلاف من المسلمين ، وعلى حساب المزيد من الأراضى الإسلامية التى ينوون اغتصابها :

— إن استقبال إسرائيل لمئات الآلاف من المهاجرين اليهود لن يكون إلا على حساب السكان الفلسطينيين ، بل وعلى حساب المزيد من الأرض العربية .

— إن إقامة حزام من المستوطنات اليهودية حول مدينة القدس ، والاستيلاء على الأراضى العربية

---

* القانون الأساسى هو الذى لا يعدل إلا بموافقة ثلثى أعضاء الكنيست .

** يرجع إلى كتاب : « ميدان المعركة المقبلة » . لمؤلفيه « هيرش جودمان ـ سيث كاروس »

The future battlefield and the Arab-Israeli conflict, hirsh Goodman- W. Seth Carus, 1990.

The future battlefield and the Arab-Israeli conflict, hirsh Goodman- W. Seh Carus, by the Washington Institute for near East policy, transaction publishers, rutgers, new Brunswick, New jersey, 1990.

كتاب : « ميدان المعركة المقبلة والنزاع العربى ـ الإسرائيلى » لمؤلفيه : « هيرش جودمان ـ وسيث كاروس » الصادر عن معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى ، عام ١٩٩٠ والكتاب يعتبر « سوريا » هى ميدان المعركة في التسعينيات .

بداخل المدينة ، وإجراء عمليات توطين لليهود بداخلها لتهويدها والترحيل الجماعى للسكان العرب ، ذلك الترحيل الذى أدانته الأمم المتحدة فى غير ما قرار . كل هذه مؤشرات لما ينتظر وقوعه خلاله العامين القادمين .

ــ إن المذبحة التى تمت فى ساحة المسجد الأقصى يوم الثانى عشر من أكتوبر عام ١٩٩٠ ، وما تلا ذلك من تداعيات ، منها :

استهزاء إسرائيل بقرار مجلس الأمن الذى دعا إلى إسباغ الحماية على الفلسطينيين فى الأرض المحتلة(*) .

ومنها منع حكومة إسرائيل للجنة الأمم المتحدة من دخول القدس لتقصى الحقائق .

وتصريح وزير الخارجية الإسرائيلى يوم السابع من نوفمبر ١٩٩٠ م أن : « العالم سوف يتعقل قريبا » .. كل هذه الأمور .

كل ذلك ما هو إلا تجارب ميدانية حية ينتظر تكرارها على نطاق واسع عما قريب .. بخاصة أن هناك فى إسرائيل من يتحدث صراحة عن عمليات تهجير جماعية للفلسطينيين مستقبلا ، وعن ضرورة إقامة حزام أمنى فى الضفة الشرقية لنهر الأردن .

ــ إن تركيز الدعاية الإسرائيلية خلال العام ١٩٩٠ م على مشروعهم لبناء « الهيكل الثالث » على أنقاض المسجد الأقصى قد بلغت ذروتها عندما ظهر عالم الآثار الإسرائيلى « جوزيف سيرج » يوم الحادى والعشرين من أكتوبر عام ١٩٩٠ م ـ فى أعقاب مذبحة المسجد الأقصى ـ فى حوار على شاشة التلفاز الفرنسى ليعلن : « إن إسرائيل ستبدأ قريبا جداً فى إقامة الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى » .. ثم أضاف رداً على أحد الأسئلة : « إن إسرائيل تستطيع ـ من خلال استخدام وسائل التقنية الحديثة ـ أن تصدع المسجد الأقصى » .. ومن الغريب أن يتم نشر مثل هذا الحوار على صفحات بعض الصحف الإسلامية دون تعليق .

ــ إن إعلانات قادة إسرائيل جميعا ، دون استثناء ، عن عزمهم إقامة إسرائيل الكبرى ، وعدم نيتهم الانسحاب من « القدس » أو الجولان أو الضفة الغربية أو جنوب لبنان فهى مؤشرات لا يمكن أن يتجاهلها كل من ألقى السمع وهو بصير .

ــ إن تحليلات ، وتقديرات المشتغلين « بالاستراتيجية » فى الغرب وإسرائيل تعلن بكل الصراحة أن جولة جديدة بين إسرائيل والعرب لا يمكن تجنبها . ولقد أعلن مساعد رئيس الأركان الإسرائيلى هذا الأمر بكل الوضوح فى شهر يونيو عام ١٩٩٠ م وتناقلته كل وسائل النشر . كما جاءت هذه التقديرات واضحة فى كتاب للكاتب الشهير « انتونى كوردسمان » Anthony H. Cordesman تحت عنوان « الخليج والغرب ، ذكر الكاتب أنه استمد مادته العلمية من وثائق وزارة الدفاع الأمريكية « البنتاجون » ، ومن وثائق وكالة « الاستخبارات المركزية الأمريكية » (CIA) ، وكان من العبارات التى جاءت فى نهاية بحثه ص ٤٨٣ أن الوقت ليس فى صالح حل القضية الفلسطينية .

« Time is not the side of territorial settlements. on the west bauk, in Gaza, or on the Golan »

فانفروا ثبات أو انفروا جميعا إن ديننا يأمرنا بألا نتمنى لقاء العدو ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ لكن ديننا يأمرنا فى نفس الوقت ـ وبنفس القدر ـ الا نفرط فى حق الله ولا فى مقدساتنا ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

ألا هـــل بلغــت ـ بقيـــة

المقال لا يخلو من بعض التعبيرات التى كان يفضل انتقاؤها بصورة أدق لكى تترك أثراً طيباً لدى القارىء المسلم وغير المسلم على حد سواء . مثال ذلك ما ذكرته الكاتبة عن أول صدمة قابلتها « Only to receive our first shock » عندما فوجئت بآلاف المسلمين يحضرون مثلها إلى السعودية لأداء العمرة ، وما ذكرته عن السعى بين الصفا والمروة من انه أصعب مراحل العمرة .

راى ورجاء :

واخيراً ، فإنى اكتفى هنا بسرد هذه الملاحظات دون تعليق أو تعقيب ، وإن كنت أرى أن مثل هذه المقالات أو الأعمال التى تعرض لأمور دينية يجب أن تخضع لمراجعة دقيقة من قبل علماء متخصصين لكى تحقق الغاية السامية المرجوة منها ، هذا إن كان يراد أصلاً ان تكون لها غاية سامية .. كما أرجو من الله العلى القدير أن يوفق عباده المخلصين لكل مافيه خير الإسلام والمسلمين .

الا هل بلغت .. اللهم فاشهد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

نظـــرات فى الفقه الأباضى ـ بقية

هذا كثير يتبين للمجتهدين ، وقد روى عن مالك انه كان لا يرى تخليل أصابع الرجلين فى الوضوء ، ويراه من التعمق حتى بلغه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يخلل ، فرجع إلى القول به .

وانتهى الشاطبى إلى أن « العفو من شئون رب العزة سبحانه وهو من الأحكام الأخروية . وإن كان كَلاَمُنَا فى الأحكام الدنيوية »[٢٥] ..

هذا رأى لأهل السنة ، وذاك رأى للأباضية بأن الجاهل لا يعذر بجهله إذا ارتكب محظورا أو ترك فريضة ، وأن من لا يبالى أصاب حلالا أم حراما يحكم عليه بالهلاك عند موافقة الباطل ، وبالتوبة عند موافقة الحق ..

ولقد ورث المجتمع الأباضى هذا الرأى فأفادهم خوفا وخشية أن يقعوا فى المآثم ـ سواء أصابوا أو أخطأوا ـ إن هم عملوا على غير علم .

وجعل عليهم فريضة أن يتبينوا أحكام الدين فيما يأتون ، وفيما يذرون ، ولم يسمح لهم أن تكون عقولهم وقلوبهم خاوية ، خالية ذات فراغ فى مجال المعرفة الدينية ، فيتسلل إليهم كل فكر شارد ، وكل فكر وارد مُحَرَّف ، ليشغل الفراغ ، ويتمكن فيهم فيفسد عليهم دينهم ، ويفسد مجتمعهم .

هذا الفراغ من المعرفة بأحكام الدين ، وهو الفراغ الذى نعانى منه اليوم فى مصر ـ ويعانى منه كثير من المجتمعات الإسلامية ـ لدى الكثير ، ولدى جمهور الناشئة من أبنائنا هو ما ينتهى بنا ، وبالآخرين إلى كثير من الأزمات ..

ولله عاقبة الأمور ،

---

(٢٥) المرجع السابق ص ١٠٦ ـ ١١٢ ـ تلخيصاً .

من ذكريات المحمل

السلطان الغوري

بين العرب والعربان

لفضيلة الشيخ
السيد حسن قرون

كان الأشرف ابو النصر قانصوة الغورى المع المماليك فى زمانه ولم يجىء بعد « قايتباى » من يصلح للسلطنة غيره ، لما اكتمل فيه من المواهب وحسن الشيم ، فهو عالم حازم ، خبير بسياسة الدول ، وإدارة المرافق ، إلى جانب ثقافته الواسعة فى التاريخ والأدب والأحكام السلطانية والدينية ، ومجالس الغورى وما تجلى فيها من وميض الأفكار وبارع الآداب دعت المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام لتاليف كتاب عنها ، له مذاقه الأدبى ، ونوادره الشائقة ، ولكنه تولى الحكم فى ظروف غير مواتية ، وقد طالت مدة حكمه فكثرت همومه واوجاعه ، وقد بذل جهوداً مضنية فى سبيل الإصلاح فى الداخل ، وصد المغيرين من الخارج .

كانت دولته تشمل مصر والشام والحجاز واليمن ، يضاف إلى ذلك أن مصر كانت الدولة الإسلامية التى كتب عليها أن تحافظ على التراث الإسلامى والعربى بعد أن سقطت بغداد ، ووقعت الأندلس تحت الحكم النصرانى المتعصب ، فاستقبلت مصر كل الفارين من الشرق والغرب ، وأوتهم بكل عناية ورعاية ، فامتلات المساجد والمدارس بالعلماء الجادين الذين تركوا لنا موسوعات لا تزال المعين الذى لا ينضب ، وكان هؤلاء العلماء موضع التجلة والإكرام ، لا تضن عليهم الدولة بمال ، ولا تشعرهم بالاغتراب .

وقد كان حكم الغورى ينزع إلى التشريع الإسلامى ، جعل إقامة الحدود فى يد أهل الشرع : فقهاء المذاهب الأربعة ولا يعمل عملا كبيرا إلا بمشورتهم وعلى رأسهم الخليفة العباسى ، وجعل التعزير من اختصاصه ، ويدخل فيه شئون الحكم الإدارى ومحاكمة المتآمرين على الدولة ، وقد جدَّت فى عهده أمور تستدعى منه يقظة وحزما ، ومن معاونيه إخلاصا وبذلا ، ومن الشعب تأييدا وعملا ، وسنذكر بعضها فيما بعد ، ومن اشد الأمور وقعا على فؤاده ، وإثارة لقلقه وأرقه العرب والعربان ، فأما العرب فهم

عرب الحجاز وفى مقدمتهم ابناء شريف مكة ووالى ينبع ، فقد حدث شقاق حول ولاية مكة فالحكومة فى مصر ارتضت « الشريف بركات » ورفضت أن يكون أخوه « الجازانى » عاملا لها وكان الجازانى جاهلا غشوما لا يردعه دين ، ولا يرهبه قانون ، فانتهز فرصة موسم الحج فعاث فى الأرض فساداً ، تعرض للمحمل المصرى ومعه عرب بنى إبراهيم وانضم إليه والى ينبع ، فقاتل المصريين قتالا عنيفا وكانت المعركة على الجبل وقد فوجىء أمير الركب بهذا الهجوم فكان دفاعه غير مجد ، فنهب المحمل ، وسلبت حلى النساء ، وانكشفت رءوسهن ولقين أهوالا كبارا وكان الشريف بركات فى جماعة المصريين فرجع إلى مكة منهزما ، وعاد من تبقى من المصريين إلى بلادهم ، وفى الطريق وجدوا الآبار وقد ردمت بالحجارة فمات منهم خلق كثير ، ومن عاش منهم أصابهم الويل من قطاع الطرق من عرب « بنى لام » فمنعوهم دخول العقبة وفرضوا عليهم ثلاثة آلاف دينار ، جمعها أمير الحج ودفعها لهؤلاء المجرمين حتى تمكنوا من طلوع العقبة والاتجاه نحو مصر ، وقد حزن الغورى حزنا شديداً لهذا الحدث ، وعاقب به أمير الحج ومن ظن فيه التقصير فى الدفاع عن شرفه ، وقد صار الجازانى مصدر رعب لا لمصر فحسب ، ولكن لكل المسلمين القادمين من العراق وغيره ، وعطلت مصر المحمل حينا ، وأرسلته مع الرجال فقط حينا آخر ، ومكة تحت الإدارة المصرية ولابد أن يستتب الأمن فيها وأن تعمل على سلامة الحجاج من كل بلد إسلامى . وبينما الغورى فى صراع مستمر مع هؤلاء العرب الخارجين على الطاعة ، والفرنجة يهاجمون الثغور شمالا وجنوبا فى البحر المتوسط والمحيط الهندى ، إذ به يفاجأ بعبث العربان فى مصر وهو الأمر الثانى الذى أرقه وأخرجه عن طوره ، أخذ هؤلاء العربان يثيرون القلاقل والاضطراب فى الشرقية والغربية والبحيرة والصعيد ، روعوا الآمنين وقتلوا الموظفين ، فأرسل إليهم أمراءه وجنوده لاستتباب الأمن حتى يتفرغ للنوائب والنوازل المدلهمة شرقا وغربا وجنوبا ، ومن ثم كان قاسيا فى قمع الفتنة ، والفتك بالخارجين على السلطان .

ويذكر ابن إياس فى « بدائع الزهور » أن الأمراء الذين توجهوا إلى محاربة العربان صاروا يقطعون رءوس شباب العربان ويرسلونها إلى القاهرة فى شنف التبن على الجمال ، وراح الصالح مع الطالح حتى مهدوا البلاد ، وقتلوا أكثر من ألفين ، فسكن الاضطراب الذى كان بالشرقية والغربية قليلا ، وخف أمر الهدير الذى كان فاشيا فى البلاد ، وهنا حزم أمره وصح عزمه على التخلص من الجازانى حتى يستتب الأمن حول بيت الله الحرام ، ويؤدى المسلمون فريضة الحج آمنين على أنفسهم وأموالهم ونسائهم ، ولم يجد بدا من استخدام المماليك المجاورين فى مكة للقضاء على هذا الطاغية فقد احتالوا عليه فقتلوه فى طرقات مكة « فلما تحقق ذلك سر الناس لهذا الخبر » .

هكذا يقول ابن اياس ، حدث هذا سنة (٩٠٩ هـ - ١٥٠٣ م) وفى العام التالى تعطل الحج لثورة عرب بنى إبراهيم بزعامة أمير ينبع وأمير خليص على السلطان ، فأمر الغورى بإبطال التوجه إلى الحج حتى يرى رأيه ، ويقضى على الفتنة الفاشية ، وعاد الحجاج القادمون من التكرور والمغاربة إلى بلادهم وقد شبهوا هذا بما حدث من القرامطة على عهد الخليفة القاهر بالله العباسى حيث انقطع الحج لأكثر من عشرين

من ذكـريات المحمـل

عاما ، لكن الغـورى لا يقبل أن يستمـر الاضطراب وتعطيل فريضة الحج ، ففصل الأمراء الخارجين على طاعته ، وأصدر أوامره إلى جيشه بالتحرك ليقضى على هؤلاء الأمراء الذين تحولوا إلى قطاع طرق وسفاكى دماء .

والمماليك حوله كان يراهم المأمن الذى يجب الحذر منه ، فقد ذهب عقلاؤهم ، وقل من يحسن المشورة ومن ينهض للذب عن الحرمات فكان من حين إلى آخر يجتمع بهم ويأخذ بيعتهم له ، ويحلفهم على المصحف العثمانى ، ويقيم لهم الولائم ، ليضمن إخلاصهم وتعاونهم وهم يعلمون كل العلم انه كان زاهدا فى رئاستهم وتولى الحكم من بينهم وقد أتاهم الخور والتكاسل من الرفاهية والركون إلى طيبات الحياة الدنيا ، فكان همهم فى جمع المال وتولى المناصب ، فكان أمره وأمرهم على طرفى نقيض ، فهو جاد وهم عابثون ، وهو يقظ وهم غافلون ، فتراهم يظلمون ويرد هو المظالم ، ويتعرضون للسيدات فيقبض عليهم ويدفع مالا لهؤلاء السيدات تطييبا لخواطرهن وإشعارا بالعدالة معهن . ومن غريب أمره أيضا أنه أراد تطوير السلاح وقد أحس بتطويره عند أعدائه ، فحاول أن تكون له مدفعية ، فكانت عند استخدامها تطير قطعا فى الهواء ، فيمتلىء صدره غيظا وأسى .

ومع انه كان يحاول العدالة ما وجد إلى ذلك سبيلا إلا انه لم يسلم من السنة الناس ونكت المصريين ، بنى مدرسته ومسجده القائمين بالشارع الذى ينسب إليه ، فقالوا إنه أخذ رخامها من أماكن شتى بأبخس الأثمان ، وكانت نفقات البناء من وجوه المظالم ومصادرات الناس . شنع عليه الشعب وقد سمى بعض الظرفاء مدرسته « المسجد الحرام ، لما وقع فيها من الغصب والاستيلاء على الأموال من غير وجه حق . يقول ابن إياس : « أهل مصر ما يطاقون من السنتهم إذا أطلقوها فى حق الناس » فكان كما قيل :

ومن سوء حظ المرء فى الدهر أنه
يـلام على أفعـالـه وهـو محسن

وابن إياس نفسه لم يسلم الغورى من لسانه - مع أنه رد إليه مخصصاته المالية بعد انقطاعها عنه - فلما بنى الغورى جامعه ، وتحدث الناس عن المظالم قال ابن إياس شعرا هو :

بنى الأشرف الغورى للناس جامعا
فضـاع ثواب اللـه فيه لطـالبـه
كمثـل حمام جمعت فى شبـاكها
متى تلق عنها طار كل لصاحبه

وأنا لا أعنى بنكات المصريين ولا بشعر ابن إياس ، إنما يهمنى ما يلقاه الغورى من متاعب ومصائب فى دولته ، وما ألزم نفسه من تبعات وهى جسام : تحولت عنه التجارة العالمية وصارت إلى رأس الرجاء الصالح ، وصار البحر المتوسط مزعجا لكثرة المغيرين على ثغوره ، فما إن ينوى السفر إلى الأسكندرية حتى يأتيه خبر مزعج من الكرك أو لبنان فيفزع إلى الرحيل ، حتى تاتيه الأنباء من الهند بأنها تتعرض لتجارة البرتغال وهجماتهم واستنجادهم به ، فيرسل إلى كل هذه الجهات أمراءه وقواده وجنوده ينتصرون حينا ويهزمون حينا آخر ، وهو ساهر يترقب وصول الأنباء ، فإذا انتصر جيشه ووثق بانتصاره دقت الطبول ليفرح معه شعبه ، ومن

الانتصارات التى سجلها ابن إياس المعركة البحرية التى وقعت فى مياه الهند بين المصريين والفرنجة وفيها انتصر الأمير حسين « على الفرنج الذين يتعيشون فى البحر ، وغنم منهم العسكر غنائم كثيرة » . ولما علم بذلك الغورى أمر بدق « الكوسات » فدقت ثلاثة أيام متوالية ، ثم إن الأمير حسينا أرسل يطلب مددا ليقضى على هؤلاء القراصنة .

وكان الغورى يشعر أنه على رأس دولة هى مركز الإشعاع فى العالم الإسلامى ، وأن بها الخلافة العباسية ، فكان ينظر إلى ما حوله ويطيل النظر ، يحذر من إسماعيل شاه الصفوى حاكم الفرس والعراق ، ويحذر آل عثمان فى آسيا الصغرى ، وبجانب ذلك يخاف وقوع ليبيا والجزائر فى يد الفرنجة . ولما اعتدى الفرنجة على طرابلس بليبيا ، وقتلوا من أهلها أربعين ألفا حسب الرواية حزن الناس فى مصر ، وبلغ الغورى ما بلغ الناس فتكدر للغاية ، ولما جاءت الأخبار أن صاحب « تلمسان » انتصر على الفرنج وطردهم من طرابلس سر السلطان والناس قاطبة .

ومعنى هذا أن الشعب المصرى كان يرى نفسه مسئولا عن بلاد العرب والمسلمين جميعا يستوى فى ذلك شمال افريقية وثغور الشام وملاحة البحر الأحمر والمحيط الهندى ، ولكن العرب فى الحجاز والعربان فى مصر شغلوه وشغلوا بالسلطان عن النظر فيما يجرى بين السلطان سليم والخونة مما أدى إلى الاحتلال العثمانى ، ونقل الخلافة من القاهرة إلى استنبول سنة ١٥١٧ م ولو أتيحت للغورى الفرصة لجعل من دولته العريضة مثالا للدولة الناهضة بمسئولياتها ، الظاهرة على أعدائها المحافظة على تراثها ، المجددة لحياتها على مر الأيام وكر الأعوام . والله يفعل ما يشاء .

اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام - بقية -

تمشيا مع اعتقاد قدسية العهد القديم واستدلالهم بنصوصه .

رابعا : أن التلمود بأقسامه وتعاليم الآباء الشفوية كان مصدراً من أهم المصادر لدى اليهود فى تصورهم للآخرة ومافيها من بعث وثواب وعقاب .

خامساً : أن اليهود - باستثناء بعض فرقهم كالصدوقيين ، والدوستانية يقرون بالبعث على نحو ماورد فى أسفار الأنبياء ، وما ورد فى التلمود والتعاليم الشفوية التى يدعون انتقالها عن طريق الآباء .

سادساً : أن بعض اليهود على عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - كانوا يؤمنون بالآخرة[١٨] .

---

(١٨) انظر صحيح مسلم حـ ٢ ص ٥١٥ طبعة عيسى الحلبى ، فتح البارى جـ ٣ ص ١٨٢ / ١٨٣ .

الفتاوى

إعداد : أحمد السيد تقى الدين

هارون ـ عليه السلام ـ نبى أم رسول ؟

س : موسى عليه السلام نبي ورسول ، فهل هارون ـ عليه السلام ـ رسول أم نبى ؟

فتحى محمد سليمان ـ ابنوب ـ اسيوط

جـ : تكلم العلماء فى الفرق بين الرسول والنبي فقالوا : إن النبي من نبأه الله بخبر السماء ولم يؤمر بإبلاغه إلى الناس .

والرسول من نبىء بخبر السماء وأمر بإبلاغه إلى الناس . ولذلك قالوا : « إن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً .» .

ومن العلماء من قال إن فى الأنبياء رسلاً ..

وعلى أى حال فإن هارون-عليه السلام-نبى ورسول .

قال تعالى فى شأنه وشأن موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون فى سورة طه ـ ٤٤ ـ : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ . فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴾ . المؤمنون « ٤٥ ـ ٤٧ » .

هل يجوز تمليك المال للأولاد دون الزوجة ؟

س : لى خمسة اولاد وبنت توفيت والدتهم وتزوجت باخرى ولم تنجب وميسورة الحال .. فهل يجوز لى أن اكتب مآأمتلك لاولادى دون زوجتى .. أم لا ..؟

ح . ا . م السويس

جـ : إن الله عز وجل أعطى للعبد حق التصرف فى ماله ، وهنا يكون الامتحان والابتلاء ـ فإن أحسن فله الحسنى ، وإن أساء فعليه وزر إساءته .

وإن الله عز وجل أعطى لكل ذى حق فى الميراث حقه . سواء كان فقيراً أم غنياً .

فلا يليق بالمسلم أن يتحول عن الطريق السليم الذى رسمه الله فيدخل أو يخرج وارثاً .

وعليك ياأخى أن تعطى لزوجك حقها ـ وهو الثُمْنُ ـ حتى تبرأ ذمتك ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ « النساء ١٣٥ » .

ـ والله الموفق ـ

الإحرام بالحج قبل أشهر الحج

س : ويسال حسين عبد اللطلب من دمنهور عن جواز الإحرام بالحج قبل اشهر الحج ؟

جـ : اختلف الفقهاء فيمن أحرم بالحج قبل اشهر الحج وهل يصح إحرامه على اقوال :

الأول : روى عن ابن عباس أنه قال : من سنة الحج أن يحرم به فى أشهر الحج .

الثانى : ذهب الشافعى إلى أن من أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يجزه ذلك ويكون عمرة ، كمن دخل فى صلاة قبل وقتها فإنها لا تجزيه وتكون نافلة .

الثالث : مذهب أحمد ويرى أنه مكروه فقط ويجوز الإحرام قبل دخول أشهر الحج .

الرابع : مذهب ابى حنيفة جواز الإحرام فى الحج فى جميع السنة كلها وهو مشهور مذهب مالك ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ وقالوا : كما يصح الإحرام للعمرة فى جميع السنة ، كذلك يجوز للحج . قال العلامة القرطبى :

« وما ذهب إليه الشافعى أصح

رفع اليدين فى الدعاء

س : أرجو إفادتى عن السنة فى رفع اليدين فى الدعاء . والحكم فى إنكاره .

س . يوسف

جـ : السنة رفع اليدين فى الدعاء وهو من أسباب الإجابة لقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن ربكم حى كريم يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا » .. ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال سبحانه : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ وقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ .

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : (يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك) .

وقد صح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أحاديث كثيرة أنه رفع يديه فى الدعاء فى خطبة الاستسقاء وعند الجمرة الأولى والثانية فى أيام التشريق فى حجة الوداع وفى مواضع كثيرة .

ولكن كل عبادة وجدت فى عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يرفع يديه فإنه لا يشرع لنا أن نرفع أيدينا فيها تأسيا به ـ صلى الله عليه وسلم ـ كخطبة الجمعة وخطبة العيد والدعاء بين السجدتين والدعاء فى آخر الصلاة والدعاء أدبار الصلوات الخمس المفروضة ، لأن ذلك لم يثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمشروع لنا التأسى به ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الفعل والترك .. كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .. الآية ..

أما استنكار بعض الناس الدعاء بعد الصلاة ـ مستمسكاً بما جاء فى صحيح مسلم عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ : « كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يثبت إلا قدر ما

الفتاوى

يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام » .

فيقول الحافظ ابن حجر : إن المراد بالنفى المذكور نفى استمراره جالساً على هيئة قبل السلام إلا بقدر ذلك ، فقد ثبت أنه كان - صلى الله عليه وسلم - إذا سلم أقبل على أصحابه ، فيحمل ما ورد على أنه كان يدعو بعد أن يقبل على أصحابه .

أخرج الإمام أحمد والترمذى والنسائى وصححه الحاكم من حديث أبى بكرة فى قوله : « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر ..» .. كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يدعو بهن دبر كل صلاة ..

وأخرج أبو داود والنسائى من حديث زيد بن أرقم « سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو فى دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شىء » .

وأخرج الترمذى من حديث أبى أمامة قيل يارسول الله أى الدعاء أسمع قال : « جوف الليل ودبر الصلوات المكتوبات » .

وفى ذلك رد على من ينكر أن الدعاء من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قولاً وفعلاً .

والله الموفق

حكم من يرفض الزواج

س : ويسال خ . ا . ع من كفر الشيخ عن حكم الإسلام فى شخص توفى ولم يتزوج لرفضه فكرة الزواج ، هل يعد من الراغبين عن سنة سيدنا محمد - ﷺ - ؟

جـ : صح فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أن النبى - ﷺ - قال للثلاثة الذين اعتزموا الصيام والقيام وترك الزواج : « أما والله إنى لأخشاكم لله واتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

والمراد بالسنة الطريقة والشريعة التى جاء بها وهى تشتمل على أوامر ونواه ، والأوامر منها واجب ومنها مستحب . والزواج قد يكون واجبا على من عنده القدرة ويخاف على نفسه الفاحشة ، وقد يكون مندوبا لمن لا يخاف على نفسه الفاحشة ، وقد يكون حراما على من يخل بحق المرأة وبحق الإنفاق مع قدرته عليه ، وقد يكون مكروها لمن يخل بحق المرأة لكنها راضية لأنها غنية وليست لها رغبة قوية فى الجماع ، وتشتد الكراهة إذا انقطع بذلك عن شىء من الطاعات ، وقد يكون مباحا إذا انتفت الدواعى والموانع .

فالذى يترك الزواج الواجب يكون عاصيا ، وحينئذ يكون معنى (فليس منى) أنه مخالف للشريعة الإسلامية،وليس من المؤمنين الكاملين لأن إيمانه ناقص بالمعصية والذى يترك الزواج المندوب لا يكون عاصيا ولكن فاته الثواب وحينئذ يكون معنى (فليس منى) أنه لم يعمل كما يعمل الرسول وهو الأسوة الحسنة ، والرسول يحب من المؤمنين أن يحافظوا على الواجبات والمندوبات ليكونوا فى ذروة الكمال .

وإذا ترك طريقة الرسول - ﷺ - بواجباتها ومندوباتها لعدم إيمانه بها أو لاستهزائه بما فيها يكون كافرا ، ويكون معنى (فليس منى) ليس مؤمنا بى أى كافرا ، والمرجو التريث فى الحكم على من يرتكب معصية أو يترك سنة ، ولا نسارع بالحكم عليه بأنه ليس من المؤمنين ونفسر ذلك بأهوائنا .

أستاذ الأجيال ، العالم والإنسان

الأستاذ الدكتور

محمد مهدي علام

عضو المجمعين

للأستاذ
ناصر محمود وهدان

تقديم ..

علم من اعلام مصر المعاصرين ، واديب من ادبائها المعدودين ، وسفير من سفرائها المبرزين ، أستاذ الأجيال بلا منازع ، دائرة معارف تمشى على قدمين ، هو البحر ماله شاطئان .. الكتابة عنه - الآن - اعتذار له عن نسيان عطاء متجدد لعدة عقود فى خدمة اللغة العربية والدين ، فهو قطب من اقطاب اللغة والتربية يُشار إليه بالبنان . خرج اكثر من ثمانين فرقة من طلابه وهو لازال يواصل العطاء فى مصر والعالم الإسلامى ، وجامعات انجلترا وغيرها .

ولا نخبر بمجهول عندما نقول : إن أبرز خصائصه ذلك الإخلاص الذي يوليه كل عمل يعهد به إليه ، فيقبل عليه بكل طاقاته - رغم تقدم السن - حتى يوفيه حقه .

وبهذه الميزة يستحوذ على احترام الجميع ، وبخاصة طلابه الذين يحبونه من كل قلوبهم ، ويحبهم من كل قلبه فهو معهم بمقام الأب الذى لا يضن على أبنائه بخير ، لا مقام الحسيب عن سطوة ، المعاقب على هفوة .

هذا إلى ما يميز نتاجه الفكرى من منهجية علمية ، لعلها أثر من ثقافاته المتعددة السابقة التى تمكنه من الجولان فى أى ميدان يمس الفكر والنفس وكل ذلك فى صياغة أدبية تؤكد حبه للبيان العربى ، وحب اللغة العربية له .

إنه العالم الجليل ، أستاذ الأجيال الدكتور مهدى علام عضو مجمع البحوث الإسلامية ، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية .

من أعــلام الأزهـــر

تعليمه الابتدائى والثانوى

الدكتور محمد مهدى علام « اسم الشهرة : مهدى علام » من مواليد « ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٠ م » ، بالقاهرة .

تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة « جوهر اللاله » ، يقول : وكان من زملائى فى هذه المرحلة الأستاذ الدكتور أحمد فهمى أبو سنة(١) . أما الدراسة الثانوية فقد تلقاها بمدرسة « عثمان باشا ماهر » ، ومن زملائه الذين يذكرهم فى هذه الفترة الأستاذان : مجاهد معوض ـ وبدر السيسى الذى كمل بالأزهر وكان قاضيا شرعياً له قيمته .

فى دار العلوم

ثم تقدم لامتحان المسابقة للقبول بدار العلوم فى نوفمبر (١٩١٦) م ، وكان أول الناجحين .

وبدأ الدراسة بها فى يناير (١٩١٧) . [كما كان نظام المستر دنلوب مفروضاً عليها عندئذ] وتخرج فى يونية « ١٩٢٢ » م . ثم عاد مدرسا بها بعد ذلك ، وقد رأيت له صورة مع طلبة الدبلوم سنة ١٩٢٣ م ومن نشاطه بدار العلوم ـ وهو طالب بها عام (١٩١٩) م ـ كتابته مذكرات طلبة مدرسة المعلمين الناصرية العليا (دار العلوم) مطالباً بالحجة والبرهان مساو؛ متخرجى المدرسة بمتخرجى مدرسة المعلمين السلطانية العليا . وقد استجاب المسئولون لهذا المطلب ، وكان لهذه المذكرة الفضل فى إنشاء (تجهيزية دار العلوم) لأول مرة عام ١٩٢٠ م(٢) .

الأستاذ الدكتور مهدى علام
سنوات شبابه

بعثته للخارج

ثم أرسل فى بعثة علمية إلى انجلترا ، فاستكمل دراساته العليا ، فى جامعات « اكسترا ، ولندن ، ومانشستر » ، وقد شملت دراساته العليا : الأدب الانجليزى ، واللغة العبرية ، واللغة الفارسية ، واللغة الألمانية ، وعلم النفس ، وحصل فى هذه الدراسات على

---

(١) الدكتور / أحمد فهمى أبو سنة ، زميل الدكتور / مهدى بمجمع البحوث الإسلامية ، والمعار حالياً لجامعة أم القرى بالسعودية ، وقد سبق التقديم عنه بمجلة الأزهر .. الكاتب .

(٢) اطلعت على هذه المذكرة وهى مكونة من تسع ورقات ، وتعتبر تاريخا لدار العلوم فى هذه الفترة ولا يتسع المقام لنشرها .. الكاتب .

دبلومات عالية فيها ، وعلى درجة الدكتوراة .

مساره العلمي

● قام بالتدريس فى كلية دار العلوم ، وفى قسم التخصص بجامعة الأزهر من (١٩٢٨ م) حتى سنة (١٩٣٦ م) .

● وفى جامعة مانشستر من سنة (١٩٣٦ م) حتى سنة (١٩٤٨ م) لمدة « ١٢ » سنة .

● وفى قسم الدراسات العليا لشعبة اللغة الانجليزية بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر من سنة (١٩٦٢ م) حتى سنة (١٩٨٣ م) لمدة عشرين عاما .

● وقد أسهم فى إنشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس سنة (١٩٥٠ م) وشغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها ، وكرسى الأستاذية للغة الانجليزية وآدابها فى آن واحد ، وكان عميداً للكلية (٧) سنوات من عام (١٩٥٤ م) حتى عام (١٩٦١ م) .

● وحين بلغ سن التقاعد عُين أستاذاً غير متفرغ بها ، ومازال يمارس عمله هناك فى محاضراته عن اللغة الانجليزية والترجمة للدراسات العليا[٣] .

● وعمل أستاذا للنقد بالمعهد العالى من سنة ١٩٥٢ م حتى سنة ١٩٥٧ م .

● وقد أشرف على عديد من رسائل الدراسات العليا فى الأدب العربى ، والأدب الانجليزى « للماجستير » و « الدكتوراة » منفرداً ، أو بالمشاركة مع الابن البكر كما يسميه الدكتور مهدى ، أو أعنى الدكتور إبراهيم عبد الرحمن[٤] .

● كما كان الدكتور : مهدى رئيسا منتدباً لقسم اللغة الانجليزية بمدرسة الألسن عن افتتاحها فى الفترة من « ١٩٥١ م » حتى سنة « ١٩٦٣م » .

● وعُين رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر من عام (١٩٦٢ م) حتى عام (١٩٦٤ م) .

● ثم عُين مستشارا لوزارة الإرشاد القومى « الثقافة » من عام « ١٩٦٤ م » حتى عام « ١٩٦٩ م » .

● وكان مستشاراً للمؤتمر الإسلامى من عام (١٩٥٦ م) حتى عام (١٩٦٢ م) .

● وكان أستاذنا الدكتور مهدى عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب « دار الوثائق القومية » من عام (١٩٤٩ م) ، ولأكثر من عشرين عاماً .

● كذلك عمل رئيسا لتحرير مجلة « حوليات كلية الآداب » جامعة عين شمس من عام « ١٩٥٠ م » حتى عام (١٩٦١ م) ونائب رئيس التحرير لصحيفة دار العلوم من عام « ١٩٣٤ م » حتى عام « ١٩٣٧ م » .

● وهو عضو لجان الفحص للإنتاج العلمى لترقية الأساتذة المساعدين ، والأساتذة فى لجان اللغة العربية ، والانجليزية بجامعات مصر بما فى ذلك جامعة الأزهر .

● وهو عضو مؤسس بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ـ منذ نشأته ـ عام (١٩٦١ م) ومقرر للجنة إحياء التراث الإسلامى فيه .

● وقد عُين الدكتور مهدى عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى أبريل سنة (١٩٦٠ م) ، وانتخب أمينا عاما له فى ١٩٧٧/٤/٤ م ، ثم انتخب نائباً للرئيس فى ديسمبر (١٩٨٣ م) حيث يعمل إلى الآن .

(٣) بالمناسبة درس لى استاذى د . مهدى فى الدراسات العليا بآداب عين شمس مادة : نصوص مستشرقين .

(٤) الدكتور إبراهيم عبد الرحمن .. تلميذه الوفى صاحب المؤلفات الشهيرة فى النقد الأدبى ، ورئيس قسم اللغة العربية ، والمدير العام لمركز الخدمة بجامعة عين شمس سابقا .. الكاتب .

من أعـــلام الأزهـــر

● وكان الدكتور مهدى عضواً مؤسساً للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (ثم العلوم الاجتماعية) منذ نشأته سنة (١٩٥٦ م) إلى أن حل محله (المجلس الأعلى للثقافة) ، وكان مقرراً فيه للجنة الدراسات الأدبية ، ولازال به حتى الآن(٥) .

● وهو عضو فى المجلس الأعلى للثقافة . ومقرر لشعبة الآداب فيه . وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وعضو المجلس القومى المتخصص للثقافة والأدب والإعلام ، ومقرر لشعبة الثقافة فيه . وعضو المجمع العلمى المصرى .

تلك نبذة مختصرة عن « سيرة » ـ أستاذنا الدكتور / مهدى ـ العلمية ـ مد الله فى عمره .

تجربة نادرة

وفى سنة (١٩٣٠ م) مر بتجربة نادرة ، عندما اختارته وزارة المعارف بناء على طلب من السراى الملكية ليكون معلما خاصا للأمير . « فاروق » ـولى العهد وقتئذ ، ولقد ظل فى هذا العمل مدة سنة وأكثر قليلاً . وعن هذه الفترة قال لى الدكتور مهدى علام :

« كان المشرف على تربية الأمير : أقصد فاروق » أحد « الباشاوات » ، وكان لا يفهم شيئا عن شئون التربية والتعليم . وكان معى أربعة أساتذة آخرون وكنا نتعاقب يوميا ، على هذا التلميذ الذى كان فى حدود الحادية عشرة من عمره . واقترحت على هذا الباشا أن يختاروا خمسة أو ستة من الأولاد فى سن الأمير ليكونوا معه مدرسة خاصة ، لتتجاوب غرائزهم ، ويتنافسوا بعضهم مع بعض ، ويخف عن التلميذ الوحيد ضغط استقباله وحده لخمسة أساتذة كل يوم . وبالإضافة إلى أن هذا الاقتراح كان معيباً و« مهينا » فى نظر ذلك الباشا ، فإننى زدت الأمر سوءاً عندما قلت : إن هذا النظام كان متبعاً فى تعليم أولاد الخديوى « عباس حلمى الثانى » ، وبذلك اتضح أن آرائى ثورية . وانتهت مدة انتدابى للتدريس للأمير .

لقد كنت أعارض فى تزييف التاريخ الذى طُلب منِّى بأن يكون الملك « فؤاد » هو الذى وُلِّىَ المُلْكَ بعد الخديوى « إسماعيل » والده . ولما قُلتُ : ماذا أفعل « بتوفيق ، وعباس الثانى ، وحسين كامل » ؟! ، قيل لى بُكل جُرأة : اقطع الأوراق الخاصة بهم من كتاب التاريخ ولما شكوتُ من أن فاروق لم يكن قد رأى من الحيوانات غير الحصان والكلاب والقطط ، وأن من اللازم أن يزور حديقة الحيوان قالوا : على شرط إخلائها ، يوم زيارته من الناس .

ولما قلت ، إنه محروم من رؤية الناس ، وهذا سىء الأثر عليه ، قيل لى : اننى لا أحتفظ بما يجب له من العزلة اللائقة به .

لقد كان معه من الأساتـذة المرحـوم الأستاذ / شفيق زاهر « للرياضة والرسم » ، ومستر هاتواى « للغة الانجليزية » ، وميسو رابيينا « للغة الفرنسية » ، وإبراهيم خيرى باشا « لركوب الخيل » ، وباقى المواد الدراسية كان مسئوليتى وهى « اللغة العربية والثقافة الدينية والتاريخ » .

وإنصافاً لهؤلاء الزملاء أقرر أن عدد دروسهم

(٥) كانت أول لجنة بالمجلس الأعلى للفنون والآداب هى لجنة الشعر ويرأسها المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد ، ولجنة أخرى هى لجنة النثر ويرأسها الأستاذ الدكتور مهدى علام .. الكاتب .

الأسبوعية كان نسبيا محدوداً لكل منهم ، أما أنا فكان عليَّ أن أذهب إليه كل يوم ساعتين ، ساعة فى الصباح ، وساعة بعد الظهر .

دور الأزهر فى ثورة ١٩١٩م

أما عن دور الأزهر فى ثورة ١٩١٩ م فلقد ذكر لى الدكتور /محمد نايل(٦) ، أنه فى حديث عابر بمجمع اللغة العربية ، قال الأستاذ الدكتور مهدى علام : لقد كانت ثورة ١٩١٩ م تدار قيادتها ، ومعاركها من الأزهر ، وقد عُين الشيخ محمود أبو العيون « حكمداراً » للقاهرة .

ومن أبرز خطبه قوله : « الثورة مجنونة لا تعرف التريث » .

فلما اعتقل الشيخ / أبو العيون ، قرر الثائرون تعيين الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، (حكمداراً) للقاهرة بدلا منه ، فخطب يومها على المنبر وقال : « الحمد لله الذى جعلنى أجن خلف لاحن سلف » .

دوره فى ثورة ١٩١٩م

كان للدكتور مهدى علام فى ثورة ١٩١٩ م ، دور بارز وأداء للأمانة التاريخية ، واستجابة لبعض الخلصاء الذين رأوا أن السكوت عن هذه الأحداث إخفاء لجزء من التاريخ من حق القراء أن يعرفوه ، قرر لى صاحب هذه الترجمة ـ بعيدا عن تزكية النفس ، ومشهداً ربه تعالى عن تحرى الصدق :

أنه ـ إبان ثورة « ١٩١٩م » ـ كان العضو الممثل لدار العلوم فى لجنة المدارس العليا التى كانت تعمل فى سرية تامة لتغذية الروح الوطنية فى الشعب ، وأنها كانت على اتصال سرى بالمرحوم / عبد الرحمن بك فهمى ، السكرتير العام للجنة الوفد المركزية(٧) .

وأنها عن طريقه كانت تتلقى توجيهات الرئيس سعد زغلول (وهو فى باريس مع سائر أعضاء الوفد) ، هذه اللجنة هى التى كانت تُصدر المنشورات السرية : تكتبها وتطبعها ، وتكل لأجهزة خاصة توزيعها فى أنحاء البلاد .

إن كتابة المنشورات « وكذلك الجريدة السرية التى كانت تسمى « المصرى الحر » . كانت بقلم اثنين من أعضاء هذه اللجنة ـ مع الاتفاق على موضوعها ـ وهما المرحوم « عبد العزيز عز العرب » مندوب مدرسة المهندسخانة ، و« مهدى علام » ، مندوب دار العلوم .

وللتاريخ ذكر لى أستاذنا الدكتور / مهدى علام أسماء هؤلاء الأعضاء الذين لم يغب عنهم إلا اسم ممثل مدرسة الزراعة العليا ، وهؤلاء هم الأبطال الذى تشرف بأن عمل معهم :

● من مدرسة المهندسخانة ، المرحوم « عبد العزيز عز العرب » مدير بلدية القاهرة الأسبق .

---

(٦) الدكتور محمد نايل .. عميد كلية اللغة العربية فرع القاهرة سابقا ، وعضو مجمع اللغة العربية حالياً . هناك ترجمة عنه فى الطريق إلى نشرها بمجلة الأزهر .. الكاتب .

(٧) كان الاتصال المباشر بين اللجنة ، والمرحوم عبد الرحمن بك فهمى فى منزله الذى مازال قائما فى ش قصر العينى « تشغله دار الأدباء حاليا » مقصورا على اثنين من أعضاء اللجنة هما (عبد العزيز عز العرب ، ومهدى علام » وكان ذهاب من عليه الدور منهما إلى منزل عبد الرحمن بك يكون فى ثياب باعة جرائد ، لأن المراقبة على البيت كانت دائمة وشديدة .. ولقد علمت أن بعض النشرات التى كانوا يطبعونها أعطاها الدكتور مهدى علام للدكتور عبد الصبور مرزوق عندما كان يعد رسالته للدكتوراه عن أدب ثورة « ١٩١٩ م » بكلية دار العلوم ، ومعه النسخة الوحيدة الباقية من الجريدة السرية التى كانت لجنة الطلاب تصدرها إبان الثورة « ١٩١٩م » وهى المصرى الحر .. الكاتب .

من أعـلام الأزهـــر

● ومن مـدرسـة الحقـوق ، « إبـراهيم عبد الهادى » ، رئيس الوزراء سابقا ، و« حسين إدريس » المستشار بمحكمة الاستئناف العالى .

● ومن مدرسة التجارة العليا السيد « سُكَّر » ؛ الذى لم تطل مدته فانقطع ثم توفى .

● ومثل مدرسة الطب « إبراهيم خليل » و« حلمى الجيار » ، طبيبان معروفان فى وقتهما .

● ومدرسة الطب البيطرى « حافظ شرف الدين » كبير الأطباء البيطريين سابقاً .

● ومدرسة الصيدلة « حسين النحاس » ، صاحب صيدلية ابن النيل سابقا .

● ومدرسة المعلمين السلطانية « محمود عوضين طه » من كبار رجال التربية[8] .

● والقضاء الشرعى « محمد عبد الرحمن الجذيلى » وكيل الوزارة للشئون الإسلامية بمجلس الوزراء ـ رحم الله الجميع وأحسن إليهم .

● وأخيراً مدرسة دار العلوم مهدى علام .

فى مجمع البحوث الاسلامية

أنشىء مجمع البحوث الإسلامية فى سنة ١٣٨١ هـ سنة ١٩٦١ م بمقتضى القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ م ، وقد حل محل جماعة كبار العلماء بالأزهر التى كانت قائمة بمقتضى القوانين السابقة ، وهو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ويتألف من خمسين عضوا ـ فى بداية أمره ـ من بينهم عدد من الخارج لا يزيد على

دكتور مهدى علام استاذا للأمير فاروق
١٩٣٠ / ١٩٣١

العشرين ، ويرأس مجلس المجمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وقد صدر أول تشكيل للمجمع بالقرار الجمهورى رقم (٦٢٧) لسنة ١٩٦٢ م فى ٢٥ من شعبان سنة ١٣٨١ هـ (٣١ من يناير سنة ١٩٦٢ م) ويتكون من تسعة عشر عضواً أولهم الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر سابقا ، ومنهم الشيخ أبو زهرة وكيل سابق لكلية حقوق القاهرة ، والدكتور مهدى علام عميد سابق بآداب عين شمس .

وعن نشاط أستاذنا بالمجمع .. شهد سيادته جلسات ومؤتمرات المجمع الذى لازال به عضوا حتى الآن . ولأستاذنا صولات فى قاعات المجمع دفاعاً عن اللغة العربية ، وكشفا لآراء واتهامات المستشرقين الملتوية ضد الإسلام من أمثال

(٨) المرحوم محمود عوضين طه ، توفى أثناء تصحيح تجارب كتاب « المجمعيون فى خمسين عاما » للدكتور مهدى سنة ١٩٨٥ م وهو آخر من كانوا من زملاء الدكتور مهدى فى الكفاح على قيد الحياة .

المستشرق النمساوى شاخت وغيره ، كما حدث فى مؤتمر لاهور بباكستان . وفى إحدى جلسات المجمع كان للدكتور مهدى دور بارز - مع زملائه بالمجمع - فى الرد على القائلين باستعمال الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية من المستشرقين وتلامذتهم فى الشرق[٩] فكان يفند آراءهم بما عرف عنه من منطقية وحجة وبرهان ناصع .

ومن اقتراحاته بمجمع البحوث الإسلامية :
اقتراحه بوضع التفسير الوسيط يقول : وقد قمنا بتحريره عدة سنوات بمساعدة الشيخ أبى زهرة ، والأستاذ محمد خلف الله وهو التفسير المنشور الآن .

ثانيا : وضع مجموعة الأحاديث الشريفة الموثقة ، ليكون متداولا ، وقاضيا على الأحاديث الموضوعة المتناثرة على أيدى الناس .

ثالثا : وضع كتاب للإسرائيليات المنتشرة فى كتب التفسير ، وقد استجاب - بعد نهاية المؤتمر - للعملين الأول ، والثالث . أما الثانى : فقد كُلف به أستاذ فاضل مختص بتأليفه وهو الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة[١٠] رحمه الله .

وكان السؤال بعد ذلك : هل نحذف الإسرائيليات من التراث ؟

ولم يتم ذلك ؛ وإن كان اقتصر الموقف على أن يُشير الناشر بتنبيه إلى هذه الإسرائيليات .

بين الدكتور مهدى والشيخ أبو زهرة

وعن ذكريات أستاذنا الدكتور / مهدى علام بمجمع البحوث الإسلامية ، وعن علاقاته بزملائه فى المجمع ما حدث بينه ، وبين زميله المرحوم الشيخ « أبو زهرة » . قال لى الدكتور مهدى : « وأنا رئيس لجنة تنظيم المؤتمر الثانى ، وكان من قواعد المؤتمر أن يقدم الباحثون بحوثهم مكتوبة فى أى حجم يريدون ، على أن يقدموا موجزاً عنه فى حدود ربع ساعة لإلقائه فى المؤتمر ، ولكن أبا زهرة - رحمه الله - أَبَىَ أن يخضع لهذه القاعدة - أَبَى أن يقدم موجزاً كغيره من أعضاء المجمع ، ولمعرفتى به - وأنا مقرر المؤتمر - وبإصراره على الا يُختصر كلامه ، سمحتُ له باسم المؤتمر أن يقول بحثه كاملاً .

ولقد ألقاه كاملاً فى اكثر من ساعة كاملة مرتجلا ، كان سلفيا ، وصاحب فكرة تقسيم طلبته فى المحاضرة إلى بنين وبنات ، وفوق هذا يتمتع بالذاكرة الحافظة - الواعية - رحمه الله رحمة واسعة[١١] .

فى مجمع اللغة العربية

انشىء مجمع اللغة العربية بمرسوم ملكى على اثره يتكون المجمع من عشرين عضواً . بتاريخ

(٩) انظر جلسات المجمع بتاريخ ١٩٧٣/٧/١ ، ١٩٧٤/٤/٢٣ م على سبيل المثال .

(١٠) راجع كتاب « الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير » للدكتور ابو شهبة عميد كلية اصول الدين بأسيوط ، طبعة المجمع سنة ١٩٨٥ م .. ومن الغريب ان الدكتور مهدى لم يحصل على نسخة من هذا الكتاب ، مع انه صاحب الفكرة فيه .. الكاتب ..

(١١) كان للمرحوم الشيخ ابى زهرة مع الدكتور مهدى اكثر من لقاء فى المجمع وخارجه ، ويظهر ذلك بوضوح فى مؤتمر « لاهور » بباكستان ، حينما تعاونا مع زملائهما العشرة اعضاء وفد مصر الممثلين للأزهر والجامعة والمجمع كمدافع ميدان يردون بقوة على اتهامات المستشرقين ، وكان للدكتور مهدى دور بارز فى المؤتمر باعتباره المترجم الرسمى له .. الكاتب .

من أعــلام الأزهـــر

١٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٢ م كان الأعضاء من القمم التى اختارتها الدولة لتقيم بها البناء الذى يُمثل صرحا عظيما ، ولينضم إليه من يحل محل من يفقده المجمع سداً للفراغ ، واستكمالا للكيان .

ولقد عُين الدكتور مهدى علام عضواً بالمجمع ، ضمن العشرة الذين عينوا فى سنة ١٩٦١ م بمناسبة زيادة الأعضاء ، وتعديل قانون المجمع .

وللدكتور مهدى علام نشاط موصول فى مجلس المجمع ، ومؤتمراته ، ولجانه ، فهو مشرف على مجلة المجمع ، ومقرر للجنة المعجم الكبير ، ومقرر للجنة الأدب ، ومقرر للجنة التراث ، ومقرر للجنة الأصول ، وعضو لجنة الطب ، ولجنة الهندسة . وهو نائب رئيس المجمع حالياً .

ومن أنشطته بالمجمع تعريفه بخمسة وأربعين ومائة رجل من قمم المعرفة المتخصصين فى جميع فروعها ، ولاسيما التخصص فى محيط المعرفة اللغوية والأدبية ، فى اللغة العربية إلى جانب ما يزيد على عشر لغات حية وقديمة ، وذلك من حصيلة خمسين عاما يطوف بمجلة المجمع ، ومحاضر جلساته ، تحدثا بنعمة الله تعالى عليه ـ وهذه الرحلة العلمية الشاقة والشائقة اختار لها عنوانا هو : « المجمعيون الكرام فى خمسين عاماً » .

بالإضافة إلى ذلك ، تشهد جلسات المجمع ، ومحاضره كلماته الرقيقة فى استقبال اعضاء المجمع الجدد ، وكذلك فى تابين من غادر منهم الدنيا مع الترجمة الفورية لهذه الكلمات عندما كانت تُلْقى بالإنجليزية من امثلة ذلك :

= إلقاء كلمة نيابة عن الأعضاء الذين اختيروا للمجمع ـ وهو منهم ـ سنة ١٩٦١ . وذلك رداً على كلمة الدكتور / إبراهيم مدكور رئيس المجمع فى استقبالهم .

= ترجمة فورية لكلمة الأستاذ / محمد فريد ابو حديد فى تابين المرحوم الأستاذ / محمد شفيق غربال ، إلى الإنجليزية .

= ترجمة فورية لكلمة الأستاذ / توينبى فى تابين المرحوم الأستاذ / محمد شفيق غربال ، من الإنجليزية إلى العربية .

= كلمات فى تابين الأساتذة : الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، والأستاذ / حامد عبدالقادر ، والأستاذ احمد حسن الزيات ، والأستاذ هـ . ا . ر . جب .

= كلمة فى استقبال تلميذه الدكتور / مجدى وهبة عضو المجمع .

= دراسة عن الدواوين الفائزة فى جائزة المجمع(١٢) .

تلامذته .

أما عن تلامذته فى رحلته العلمية الطويلة ، فهم فى كل مكان ذكر لى منهم على سبيل المثال لا الحصر . أولاً فى الأزهر :

● من بين تلامذته الأزهريين : الدكتور / حسن عبدالقادر ـ رحمه الله ـ الذى كان رئيس

---

(١٢) راجع مجلة المجمع على سبيل المثال الأعداد « جـ ١٥ ص ١٢٥ ، جـ ١٥ ص ١٥٩ ، جـ ١٥ ص ١٦٢ ، جـ ١٨ ص ١٥٥ ، د : ٣٠ ؛ جلسة ٢٨ للمجلس ، د : ٣٠ جلسة ٣١ ، جلسة ٢٤ ، ص ٣١٢ ، حـ ٢٢ ص ٢٤٢ ، جـ ٣٥ : ص ١٤٩ ، جـ ٤٥ ص ١٣٦ ، د : ٣١ جلسة ٧ د : ٣٢ جلسة ١٤ ، جـ ٤٣ ص ١٥ ، جـ ٤٤ ص ٥٥ ، جـ ٤٥ ص ١١ ، جـ ٣٢ ص ١٣٨ ، جـ ٢٠ ص ١٢٧ ، جـ ٢١ ص ٢٠٣ ، جـ ٢٣ ص ١٣١ ، جـ ٢٨ ص ١٦٣ ، جـ ٢٩ ص ٢١٦ ، جـ ١٥ ص ١٥ . الكاتب .

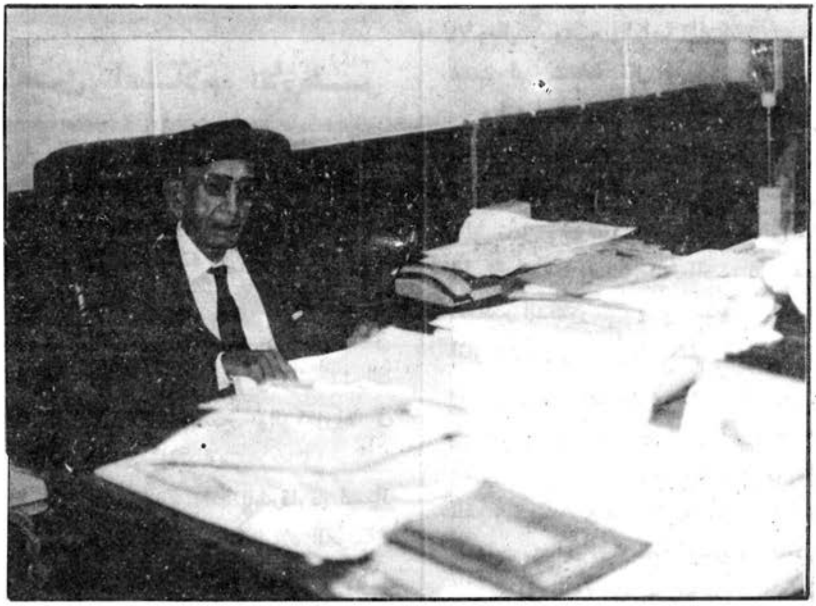

الأستاذ الدكتور مهدى علام بين بحوثه

المركز الإسلامى بلندن ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، وقد سبق الترجمة عنه بمجلة الأزهر .

= الدكتور / محمد شمس الدين إبراهيم أستاذ العقيدة والفلسفة المتفرغ بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية ـ مدّ الله فى عمره ـ سبق الترجمة عنه بالمجلة .

= الدكتور / محمد السعدى فرهود ، مدير جامعة الأزهر سابقاً ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية الآن مد الله فى عمره .

= الدكتور / محمد رجب البيومى العميد السابق لكلية اللغة العربية بالمنصورة ، والكاتب المعروف وسبق الترجمة عنه بالمجلة .

● **اما تلامذته فى دار العلوم فمنهم :**

= الدكتور / أحمد الحوفى ـ رحمه الله ـ أول من حصل على الدكتوراه من دار العلوم وصاحب المؤلفات الشهيرة .

= الدكتور / أحمد أحمد بدوى ـ رحمه الله ـ الوكيل السابق لدار العلوم والذى كتب عن المستشرق الفرنسى / بلاشير ، وكذلك المتنبى .

= سيد قطب ـ رحمه الله ـ وقد قدّم له وهو طالب .. كغيره من الطلاب المتميزين تشجيعاً له كتابه مهمة الشاعر فى الحياة ، قال فيه : « وقصارى القراء أن أقول لهم إننى أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر (دار العلوم) وإذا قلتُ دار العلوم فقد عنيتُ دار الحكمة والأدب »(١٣) .

= الشاعر / عبدالغنى حسن ـ رحمه الله ـ الذى توفى قريباً ، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية .

● ومن تلامذته فى لندن من أبناء دار العلوم

(١٣) راجع مقدمة : مهمة الشاعر فى الحياة لسيد قطب ص ١٣ . الكاتب .

من أعــلام الأزهـــر

الدكتور / إبراهيم العدوى أستاذ التاريخ الإسلامى المتفرغ بدار العلوم .

● **وبالنسبة لتلامذته فى كلية الآداب ، يذكر منهم :**

= الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبدالرحمن تلميذه الوفى ، الذى ناقش معه ولازال عشرات الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه فى الأدب والنقد والفكر الإسلامى .

= الأستاذ الدكتور / عفت الشرقاوى أستاذ الدراسات الإسلامية المعار حالياً للبلاد العربية .

وعن أبنائه فى المجلس الأعلى للفنون والآداب منهم .

= الأستاذ الدكتور / مجدى وهبة ، مقرر لجنة الترجمة ، وعضو مجمع اللغة العربية .

= الأستاذة الدكتورة / عائشة عبدالرحمن ، عضو المجلس عن لجنة الأدب . وآخرون لا تسعفه الذاكرة بإيراد أسمائهم ، كما يمنعه حياؤه عن عدّهم(١٤) .

د . مهدى فى عيون تلامذته

أما عن مكانة الدكتور / مهدى لدى تلاميذه وعارفيه فهى مكانة مرموقة بلا جدال لعلمه الفياض ، وأدبه الجم وحبه لتلامذته إلى أقصى حد ، ولقد وقعت فى يدى هذه الكلمة ، واستأذنت صاحبها فى الإشارة إليها بدون تدخل منى ، باعتبارها لمسة وفاء إلى أستاذى وأستاذ الأجيال ، وهذه الكلمة للدكتور / عبدالخالق همت أبو شبانة قال فيها :

« إنه ليسعدنى حقاً أن أرى قلمى يدوّن ما يجيش به صدرى ، نحو أستاذ فاضل ، وعالم كبير ، علمه غزير ، وفضله وفير ، أستاذ جليل ذو خلق نبيل ، له عند الله زلفى وحسن مآب ، آتاه الله الحكمة ، وفصل الخطاب ، ذلك هو أستاذنا العظيم الدكتور / مهدى علام .. الذى إذا كتب أثار الإعجاب ، وإذا تكلم فتحت له الأبواب ، وهو على نور من ربه ، وهو من أولى الألباب .

التقيت به منذ أكثر من عشرين سنة فى ظلال القرآن الكريم فتحاببنا وتآخينا فى الله الواحد القهار . وكان لى نعم المعلم ، ونعم الأستاذ الذى اقتديت بهداه إلى ترجمة تفسير (معانى) القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية بفضل تعاونه معى فى إخراج الطبعة التى بين أيدينا الآن ، وكان هداه لى سبباً فى أن هدانى ربى سبيل الرشاد .

هو ثرى فى مادته راسخ فى حكمته ، وفقه الله إلى أن يجمع مابين الدنيا والدين فكان أستاذاً عالماً فى اللغة الإنجليزية التى درسها نثراً وشعراً ، وأستاذاً ومرجعاً فى علوم الدين ، وقد أخلصه الله بخالصة ذكرى الدار ، ورفع له ذكره كما رفعه إلى الدرجات العلى حيث قال تعالى ﴿ . . . يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ . . . ﴾ .

وإذا تركت العلم جانباً ، وسمح لى أن أتكلم عنه كإنسان فهو إنسان تتجلى فيه خير الصفات : مكارم الأخلاق ، العداء للنفاق ، الحزم والعزم ، الصدق والشجاعة ، وهو لا يخشى فى الله لومة لائم . إذا قال فعل ، وإذا وعد فهو صادق الوعد ، لين القلب للضعفاء ،

(١٤) بالمناسبة للدكتور / مهدى علام نشاط بارز فى المجلس الأعلى للفنون والآداب منذ نشأته بعد الثورة ، وحتى الآن فهو المؤسس ، والمقرر للجنة الأدب به حتى الآن .. الكاتب ص ٩ .

حازم مع الأشداء ، طريقه قويم ، وتنبع أفكاره وآراؤه من عقل سليم ، وهو رجل كريم ، متواضع عظيم ، إذا تناجى فبالبر والتقوى ، وإذا صمت فهو فى مناجاة مع الله العزيز الحكيم .

وما أريد أن اسهب فى وصفه كرائد لأولى العلم ، ولا فى وصف إنسانيته ، ومكارم أخلاقه كى لا يضل القارىء الطريق ، إنما أود أن أختم كلمتى داعياً المولى جل وعلا أن يكون من المقربين الذين وعدهم الله ووعده الحق ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ .

د / عبد الخالق ابو شبانة
استاذ ومدير ابحاث قسم النساء والتوليد
جامعة نيويورك سابقاً
وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
(لجنة ترجمة معانى القرآن الكريم)
٩٠/٤/٢٥

بحوثه ومؤلفاته العلمية .

يقول : من أهم المؤلفات والبحوث العلمية التى نشرت لى :

١ ـ فلسفة العقوبة
٢ ـ فلسفة الكذب
٣ ـ فلسفة المتنبى
٤ ـ المتنبى بين نفسيته وشاعريته
٥ ـ مقصورة حازم القرطاجنى (تحقيق)
٦ ـ رفاعة الطهطاوى
٧ ـ عائشة أم المؤمنين
٨ ـ نثر حفنى ناصف (بالاشتراك) .
٩ ـ أحمد حسن الزيات
١٠ ـ بين اليراع والقرطاس
١١ ـ دراسات أدبية
١٢ ـ المجمعيون فى خمسين عاماً
١٣ ـ المجمعيون فى ثلاثين عاماً (المجمعيون المائة الكرام)
١٤ ـ المعجم الجوهرى فى اللغتين (العربية والإنجليزية)
١٥ ـ العفو فى القرآن الكريم ، نظرية جديدة (بالعربية والإنجليزية)
١٦ ـ نظرية فى نشأة فن (المقصورة) فى الأدب العربى .
١٧ ـ تربية الشباب فى الإسلام (بالعربية وبالإنجليزية)
١٨ ـ الصدقة فى الإسلام (نظرية جديدة ـ فى غير الزكاة ـ بالعربية وبالإنجليزية)
١٩ ـ نظرية الوسط بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين
٢٠ ـ المطالعة الوافية للمدارس الثانـوية ، جزءان (بالاشتراك)
٢١ ـ النقد والبلاغة . جزءان بالاشتراك
٢٢ ـ قواعد اللغة العربية : النحو ، والصرف ، والمعانى ، والبيان ، والبـديع (٧) أجـزاء (بالاشتراك)
٢٣ ـ جوزيف لندون سميث : الرجل والفنان (بالعربية وبالإنجليزية)
٢٤ ـ الروح الثورية لبرناردشو (بالإنجليزية)
٢٥ ـ مراجعة لترجمة كتاب (علم الاجتماع) تأليف د / موريس جنزبرج ، وترجمة د / فؤاد زكريا
٢٦ ـ « فرعون والنسر » أو « عودة المجد » ملحمة بالشعر العربى ، ترجمة للملحمـة الإنجليزية من شعر السيدة : ثريا مهدى علام ، نشر مكتبة لبنان
٢٧ ـ « السلام الذى أعرفه » ترجمة شعرية بالإنجليزية لقصيدة الشاعر / محمود حسن إسماعيل

من أعــلام الأزهـــر

٢٨ ـ مراجعة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، والتعليق على آراء المستشرقين فى الأجزاء التى صدرت من سنة ١٩٤٩ م حتى سنة ١٩٦١ م

٢٩ ـ مراجع التحقيق والتقديم بمقدمات علمية للكتب الآتية من مطبوعات مجمع اللغة العربية مثل :

(التكملة والذيل والصلة لكتاب (تاج اللغة وصحاح العربية) .

التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة للزبيدى (كتاب الجيم) للشيبانى .

(كتاب الأفعال) للسرقسطى .

كتاب الشوار للصاغانى .

كتاب شرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسى ، تأليف ابن برى .

٣٠ ـ ثم نحو أكثر من مائة مقالة وبحث فى المجلات والدوريات العربية .

٣١ ـ ومئات من الإذاعات من سنة ١٩٤٩ م بالعربية والإنجليزية .

٣٢ ـ وله شعر منشور فى المجلات بالعربية وبالإنجليزية .

٣٣ ـ وكان أثناء انتدابه بجامعة [مانشستر] يلقى محاضرات فى أنحاء الجزيرة البريطانية ، عن قضايا بلاده ، وعن الآداب العربية والفلسفة الإسلامية والحياة المصرية ، وذلك على مدى ثمانية عشر عاماً .

٣٤ ـ قدم للعديد من مؤلفات الأدباء الشبان ، وخاصة من تلامذته تشجيعا لهم ، وهم لا يزالون فى طلب العلم أمثال د / أحمد الحوفى ، والأستاذ / سيد قطب وغيرهما .

٣٥ ـ إعداد ترجمة جديدة لتفسير معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية ترجمة وافية ـ والتى أجازها الأزهر الشريف حديثاً ـ وذلك بالاشتراك مع الدكتور / همت أبو شبانة عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ وترجع أهمية هذا العمل الجديد إلى تحرى الدقة فى ترجمة المعانى القرآنية البليغة ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالإشارات العلمية فى القرآن الكريم فى خلق الإنسان عموماً ، وإبراز المفهوم الدقيق لكلمة (العلق) و (المضغة) وماشابه ذلك ، وأيضاً الاهتمام بإظهار الحقائق العلمية والكونية العديدة والمصطلحات الدقيقة بها ، فضلاً عن العناية فى هذه الترجمة ـ بالجوانب التشريعية فى العبادات والمعاملات والأحكام المختلفة بأسلوب مبسط إلى جانب توضيح الإعجاز البيانى فى آيات الكتاب الكريم .. وتهدف هذه الترجمة إلى إبراز ونشر الحقائق القرآنية الخالدة ، وتقريبها للناطقين باللغة الإنجليزية فى العالم كله ، وللباحثين والدارسين لكتاب الله العزيز .

وقد نذر الدكتور / شبانة ، والدكتور / مهدى حياتهما على مدى عشرين عاماً ـ من أجلها قربى إلى الله ـ درسا فيها العديد من الكتب والدراسات العلمية الحديثة التى تعرضت للإرشادات العلمية والكونية فى القرآن الكريم .

وقد ذكر الدكتور / مهدى فى سياق تعليقه على هذه الترجمة بأنها : واحدة من أدق مايمكن أن يتصوره إنسان فى تفسير آيات القرآن الكريم إلى لغة أجنبية ، وأن ماورد فيها من تفسير لآيات خلق الإنسان بالذات يصلح لأن يكون موضوعات لرسائل دكتوراة جديدة[١٥] .

(١٥) انظر جريدة الأهرام ص ١٣ بتاريخ الجمعة الموافق ١٩٩١/٥/٣م بتصرف الكاتب ..

المؤتمرات العلمية التى شارك فيها .

أما عن المؤتمرات التى شارك فيها الدكتور / مهدى ، فقد مثل مصر رئيساً لوفدها فى جميع المؤتمرات التى عقدت لحركة التضامن الآسيوى الأفريقى ، وحركة عدم الانحياز والحياد الإيجابى - فى مختلف بلاد العالم من سنة (٧٥) حتى سنة (١٩٦٣ م) .

وكذلك مثل مصر فى مؤتمر حقوق التأليف المنعقد فى تونس (١٩٧٦)

ولمؤتمر الأدباء العرب فى الكويت والعراق .

وفى الندوة الإسلامية العالمية التى عقدت فى (لاهور) فى باكستان عام (١٩٥٨) حيث كان المتحدث الرسمى باسم مصر .

وأول مؤتمر حضره أستاذنا خارج مصر بعد (يوليو ١٩٥٢) كان مؤتمر الخريجين فى الأردن سنة (١٩٥٤) .

وفى سنة (١٩٥٤) مثل الحكومة السعودية (منتدباً من الحكومة المصرية) فى أول اجتماع للأمم المتحدة فى لندن لتأليف هيئة اليونسكو .

من مظاهر التقدير التى حظى بها .

من مظاهر التقدير التى حظى بها الدكتور / مهدى علام حصوله :

١ - على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام (١٩٧٦ م) .

٢ - وعلى وسام الجمهورية من الطبقة الثالثة عام (١٩٥٦ م) .

٣ - ووسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام (١٩٧٧ م) .

٤ - ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام (١٩٨٣ م) .

أمنية الدكتور مهدى

أما عن امنيته فقد قال لى : أمنيتى اتوجه بها إلى الله تعالى فى أدب وخشوع أن يوكلنى انا وزميلى الأستاذ الدكتور / همت أبو شبانة ، من طبع ترجمتنا لآيات القرآن الكريم بعد أن عملنا سويا فيه ما يقرب من عشرين عاما ، وتمت الترجمة فى أول رمضان السابق وهى تحت الطبع الآن .

الخاتمــــة

وبعد .. فهذا هو العالم الجليل وأستاذ الجيل د / مهدى علام ، وتلك نبذة مختصرة عن مسيرة حياته العلمية - مد الله فى عمره - أعطى ولازال يعطى من روحه ودمه لتلامذته ، وقضايا الإسلام وعصره أغلى ما عنده ، وكل أملنا أن يكتب مذكراته باعتباره دائرة معارف لقرن من الزمان - فهى كنز سيحتاجه المؤرخون بلا شك عندما يبدأون فى كتابة تاريخ مصر الحديث ، فإليه هذا المقال المتواضع اعترافاً بفضله ، واعتذاراً عن التقصير فى حقه .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمتعه بالصحة ، والعافية والعطاء ، وسائر علماء المسلمين آمين .

ناصر وهدان
القاهرة فى ١٩٩١/٥/٦ م

البقية ص ١٤٣٠

إشراف: رشاد محمد يوسف

مكة وحنين الشعراء

إعداد: رشاد محمد يوسف

على كثرة ما تناول الكتاب والمفكرون والادباء وصف رحلة الحج إلى بيت الله الحرام بكل دقائقها وسجلوا مشاعرهم حول منزل الوحى ومهبط القرآن وهوى الكعبة ، والروضة المطهرة ، والبقاع الطيبة الكريمة ، نجد القليلين جداً من الشعراء كتبوا عن ذلك او تناولوه فى قصائدهم ، ولو قمنا بجولة خلال ديوان الشعر العربى فى عصوره المختلفة لوجدنا النبض الشعرى يعلو بهذه المشاعر والاحاسيس فى العصر الحديث .

وهذه محاولة لتقديم بعض القطوف من رياض الشعر فى هذا المجال .

ــ اللقاء الاول مع امير الشعراء احمد شوقى يقول :

إذا زرت يامولاى قبر محمد ... وَقَبَّلْتَ مثوى الأعظم العَطِرَاتِ
وفاضت من الدمع العيونُ مهابةً ... لاحمد بين السِّتْر والحجرات
واشرق نورٌ تحتَ كل ثَنِيَّةٍ ... وضاع اريج تحت كل حصاة
فقل لرسول الله : ياخير مرسل ... ابثك ما تدرى من الحسرات
شعوبك فى شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف فى عميق سبات
بِأَيْمَانِهم نوران : ذِكْرٌ وسُنَّةٌ ... فما بالهم فى حالك الظلمات
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم ... فما ضرهم لو يعملون لآتِ ؟
وهذا زمان أرضه وسماؤه ... مجال لمقدام كبير حياة
مشى فيه قوم للسماء ، وأنشأوا ... بوارج فى الأبراج ممتنعات
فقل : رب وفق للعظائم أمتى ... وزين لها الأفعال والعزمات

ـ ثم يستطرد احمد شوقى معتذراً :

دعانى إليك الصالح ابنُ محمدٍ   فكان جوابى خالص الدعواتِ
وقدمت اعذارى وذلى وخشيتى   وجئتُ بضعفى شافعا وشكاتى
ويارب هل تغنى عن العبد حجة   وفى العمر ما فيه من الهفوات
وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضر   ولم أبغ فى جهرى ولا خطراتى
ولاغلبتنى شقوة أو سعادة   على حكمة آتيتنى وأناة
ولا جال إلا الخير بين سرائرى   لدى سدة خيرية الرغبات
ولا حملت نفسٌ هوى لبلادها   كنفسى فى فعلى وفى نفثاتى

ـ وهذا الشاعر محمد الهرّاوى يقول :

حدا بى إلى أم القرى شوق هائم   مدله قلب حول مكة حائم
لعلى وفى بردىّ حوبة آثم   اطهر عن بردىّ حوبة آثم
امسح بالأركان وجهى معفراً   واهمى عليها بالدموع السواجم
وارجع مملوء الجوانح خَشية   من الله فى يوم من الهول قادم
اقول : إلهى أنت أدرى بأمتى   فكم نزلت دهراً على حكم غاشم
ويارب إن الشرق بات بأهله   كبير الأمانى طامحا للعظائم
بلادى وقومى فوق ماجئت أبتغى   لنفسى ، وما أرجو لها من غنائم
ويارب إن كانت لنفى حاجة   فحاجة نفسى منك حسن الخواتم

ـ اما الشاعر الكبير عزيز اباظة فإنه يتذكر زوجته الراحلة فيناجيها على عرفات :

ذكرتُكِ يوم النفر ، والدمعُ ساجم   على عرفات ، والنزاع غرام
وأَنْكَرَ اصحابى بكائى ولوعتى   وقالوا : اتبكيها وأنت حرام ؟
بكيت لها إذ لم تقف موقف الرضا   على عرفات والحجيج قيام
ملبين بكائين يستغفرونه   وبعض الدموع السافحات كلام
ولم تتطوف بالعتيق ولم تفض   إلى روضة الهادى عليه سلام

ـ ثم يتحدث عن مكة فيقول :

إيه يانفس إن تاريخ هذا الكون ضمته هذه الأنقاء
قرية تغمر العوالم ريا وسنى وهى صفصف جرداء
انست اروع انقلاب على الأرض طواها كأنه كهرباء
رف فى خاطرى ومكة دارى صور عبقرية غراء
مهبط الوحى هل لديك مآب وإلى بيتك العتيق انثناء

مكـة وحنيـن الشعـــراء

– وهذا الشاعر السورى بدوى الجبل يقول :

ولـو أن عنـدى للشبـاب بقيـة خففـت إليـهـا فـوق ظـهـر نجيـب
انـام عـلى الكثبـان يـؤنس وحـدتـى بـغـام مـهـاة ، أو همـاهـم ذيـب
لثمت الثـرى سبعـا وكَحَّلْتَ مقلتى – بِحُسْنٍ كـأسرار السمـاء مهيب
مـواكـب كـالأمـواج عـج دعـاؤهـا ونـار الضحـى حمـراء ذات شبـوب
ورددت الصحـراء شرقـا ومـغـربـا صـدى نـغـم مـن لـوعـة ورتـوب

– اما الشاعر الراحل الأستاذ العوضى الوكيل فيقول :

مـهبط الـوحـى ومسـعـى الطـائفـين حـولـكِ التفـت قلـوب المسلمـين
خـافـقـــات بـــولاء ويـقـيـــن
قبلـة تـهـوى إليـهـا الأفئـده لـديـهـا الأمـانـى غَـرِدَه
هـاتفـات بـالـهـوى محتشـده سمـع الله بـهـا مـن حمـده
الثـرى الحـر بـواديـك سمـاء لا يَـزَلّْ مـغنـاه مـرفـوع البنـاء
فـهـو لـلإسـلام درع ووفـاء وهـو أمـن وسـلام ورجـاء

– وهذا الشاعر العربى إبراهيم عيسى يصف لنا مشاعره فيقول :

اى خـير عمّ لمّـا ضم قلبى « عـرفـه »
وأفضنـا وشربنـا النـور فى « مـزدلفـه »
ونلقـى كـل قلـب بيمـين صحفـه

ثم عـدنا لضفـاف النور فى هـذا البلد
ولـدى « زمـزم » جئنـا بضلـوع تبتـرد
وأتينـا البيت أرواحـا تخفت فى جسـد

وطوتنى فى عيون الحب أهداب السكينه
وببحـر النور أجـريت تسـابيحى سفينـه
حـين لاحت فى خيالى ومضـات للمدينـه

واحتشدنا أنا والأشواق فى حب مشـاع
فإذا ما عصف الوجدُ ولم يسعف شراعى
« طلع البدر علينـا من ثنيات الـوداع »

ـ اما الشاعرة السيدة نور نافع فتناجى رب البيت قائلة :

وياصاحب البيت ما آن الأوان لأن | تضمنى من رحاب البيت أرجاء
القى بحملى على الأعتاب لائذة | ومن أنا بين من راحوا ومن جاؤوا
(نَادِ) علىّ بفضل منك إن بنا | شوقا له فى حنايا الصدر أصداء
لبيك جئت ونور منك يغمرنى | وتخرج اليوم كفى وهى بيضاء
انا على عرفات الله ساجدة | وسجدتى اليوم معراج وإسراء[1]

ـ ويقول الشاعر (شوقى على هيكل)[2] مناجيا مكة :

يامكة المكرمه | بوركت ياأم القرى
فى ارضك المحرمه | قد عاش سيد الورى
ـ محمد ما اعظمه | محمد ما اكرمه
على ثراك الطيب | لقد مشى خير نبى
فى الناس عالى المنصب | من خير أم وأب
ـ يدعو لخير مذهب | والله فيك سلمه
يامنزل الروح الأمين | ومبعثا لخير دين
عشت على مر السنين | منارة للعالمين
وقبلة للعابدين | ودمت ارضا مسلمة
يامكة المكرمة

ـ ويقول الشاعر رشاد يوسف من ديوانه واسلاماه :

ياارض مكة ياربوع حراء | من لى بهذى المنحة السمحاء
فلكم تمنيت الحياة ملبيا | احيا جوار الكعبة الشماء
وارى جلال الحق يملأ خاطرى | فى كل شىء يجتليه الرائى
فى البيت فى الأركان بين مناسك | لله فى التطواف فى الإفضاء
فى الحجر، فى الحجر السعيد وزمزم | فى الركن والربوات والأرجاء
فى روضة المختار اطهر ساحة | فى مهبط الآيات والأضواء
كم ذا امنى النفس طال حنينها | والشوق صيرها على الرمضاء
تهفو تعانق بالخواطر ترتجى | تترقب الآتين بالأنباء
والله اسأل أن يجيب رجاءنا | فهو المؤمل عند كل رجاء

(١) الصلاة معراج المؤمن ، وفى الحديث :
« اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء » . أخرجه احمد بمسنده ٤٣١/٢ .
(٢) الهيئة العامة للكتاب وزارة الثقافة .

لَمَـا فَـدَوْا بِـأَخِيهِمْ مِنْ مُهَـوِّلَـةٍ ... أَخَا السَّكُونِ وَلاجَارُوا على السُّنَنِ[5]

وبرواية سابعة فى : البيان والتبيين ١/٩ .

غَذِىُّ قَيْلٍ ولقمان وَذى جَدَنِ

القَيْلُ : الملك من ملوك حِمير .

وبرواية ثامنة فى البيان والتبيين ١/ص ١٩٠ :

رُبِيتُ فيهم وَلقْمَانٍ وَذى جَدَنِ

وبرواية تاسعة فى اللسان « بهم » .

غَذِىُّ بَهْمٍ وَلُقْمَاناً وَذَا جَدَنِ .

«البَهْم : جمع بَهْمة وهى أولاد الضَّأن . والبهمة اسم للمذكر والمؤنث ، والسُّخال أولاد المعزى ، فإذا اجتمع البهام والسُّخال قلت لهما جميعا بِهَامٌ وبَهْم ايضا ؛ وأنشد الأصمعى البيت ..... لأن الغذى السُّخلة ؛ قال ابن بَّرى : قول الجوهرى لأن الغَذى السخلة وَهمٌ ؛ قال : وإنما غَذِىَّ بَهْم احد ملوك حمير كان يُغَذَّى بلحوم البَهْم » .

اللسان « بهم »

(٥) اخيهم : اراد نفسه . من مهولة : من أجل مصيبة هائلة . أخا السكون : رجل من السكون وكان أسيرا عند قوم افنون . والسكون بفتح السين قبيلة من كندة باليمن . وكان قوم افنون آثروا هذا الأسير على من كان قريبا منهم مع كونه غريبا ، فغاظه ذلك ، وراح ينكر تعطفهم عليه ، مبالغا فى ذكر تبرئهم منه ، وجفائهم له . السُّنن والسُّنَن : جمع سُنَّة ، وهى السيرة والطريقة .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، للأنبارى ص ٥٢٥ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٣ .

وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ٦٢٤ :

______ ... ______ ولاحادوا ______

وبرواية ثالثة فى : « مجالس العلماء » ٤٢ .

______ وَقَـوْا ______ ... ______

سَأَلْتُ قومى وَقَدْ سَدَّتْ أَبَاعِرَهُمْ ... مَابَيْنَ رُحْبَةَ ذَاتِ العِيصِ وَالْعَدَنِ(٦)

إِذْ قَرَّبُوا لِابْنِ سَوَّارٍ أَبَاعِرَهُمْ ... لله دَرُّ عَطَاءٍ كَانَ ذَا غَبَنِ(٧)

وقى : حافظ

وبرواية رابعة فى « معجم البلدان :

________ ... ________ ولاحادوا عن ________

حاد : مال عن طريق الصواب .

وبرواية خامسة فى « خزانة الأدب » ٤/٤٥٥

________ ... ________ ولا جازوا ________

وبرواية سادسة فى : البيان والتبيين ١/ ١٩٠ :

________ وقوا ________ ... ________ ولا حادوا ________

وبرواية سابعة فى اللسان « بهم »

لما وفوا بأخيهم من مهولة ... اخا السكون ولا جاروا عن السنن

(٦) اباعر : واحدها بعير ، ويقع على الذكر والأنثى ، ويجمع على أبْعِرَة ، وبُعْران بضم الباء . رُحبة : رحبة صنعاء . العِيص الشجر . الملتف النابت بعضه فى أصول بعض . عَدَن : بلدة باليمن ، وادخل عليها أداة التعريف « .. ولم يُنَص عليه فى المعاجم » ، على حد تعبير محقق المفضليات .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها الأنبارى ٥٢٥ وسمط اللالى ٢/٦٨٥ .

وبرواية ثانية فى : شرح المقصليات للتبريزى ٦٢٥ .

________ ... ________ رحبة ________ فالعدن

الرحبة : البقعة المتسعة بين أفنية القوم .

وبرواية ثالثة فى « معجم البلدان » ٤/٨٩ ـ ٩٠

________ عنهم ________ ... ________ فالعدن

وبرواية رابعة فى « شعراء النصرانية » ١/١٩٣ :

________ ... ________ ذات الروض ________

واشار لويس شيخو إلى رواية « شُدَّت » .

الروض : الموضع الذى يجتمع فيه الماء فيكثر نبته .

(٧) ابن سوار : رجل كان اسيراً عند قوم افنون من قبيلة السكون اليمنية .

الغبن : ضعف الرأى . عطاء كان ذا غبن : أى عطاء ذهب ضياعا .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦٢ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٥ .

وشرحها للتبريزى ٦٢٥ ، وسمط اللآلى ٢/٦٨٥ ، ومعجم البلدان ، وشعراء النصرانية ١/١٩٣ .

وبرواية خامسة فى معجم ما استعجم ٢/٦٤٣ .

سالت قومى وقد شدت اباعرهم ... ما بين رحبة ذات العيص والعدن

أفنون التغلبي

أنّى جَـزَوْا عَامِـراً سُـوأىٰ بِفِعْلِهِمُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنى السُّوأَىٰ مِنَ الْحَسَنِ[٨]
امْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَاتُعْطِى الْعَلُـوقُ بِهِ ... رِئْمَـانِ أَنْفٍ إِذَا مَـاضُنَّ بِـاللَّبَنِ[٩]

(٥)

وقال أفنون . البسيط

نحمى حمـاهُم ونـرمى مَنْ ورائهُم ... ويُـولِجُـون حمَـانـا مَنْ يُـرامِينَـا[١]
كـأن اسـلافَهُم ليسـوا لنـا سلفـا ... ولا لهم حُسْنُ مـا تبنيه ايـدينـا[٢]

(٦)

قال أُفنون التغلبى : — الطويل —

أَلَا لَسْتُ فى شَىءٍ فَرُوحَا مُعَـاوِيَا ... وَلَا الْمُشْفِقَاتُ إِذْ تَبِعْنَ الْحَوَازِيَا[١]

---

(٨) عامر : ذهب التبريزى فى شرحه للمفضليات ص ٦٢٥ إلى أنه « .. كان ضلعه مع الشاعر ، ونظيره فى إنكار ما انكره ، واستجفانه القوم فيما استبدوا به ، وشريكه فى استحقاقه الرجوع إليه فى همهم ..» .. وذهب محققا المفضليات إلى ان عامراً « ... هم بنو عامر بن صعصعة ..» .. السوأى مقابل الحسنى ، وعدل إلى « الحسن » من أجل القافية .

الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين .. ٢٧١/٢ .

(١) الشىء : اسم لكل ما يجوز أن يعلم أو يخبر عنه . فروح : كثير الفرح . المشفقات : النساء ذوات الشفقة . الحوازى : الكواهن ومفردها حاز وهو الزاجر . ويعلق محققا المفضليات على هذه الكلمة بقولهما : « ... واحد حاز كما نص الانبارى وهذا الجمع لم يذكر فى المعاجم .. وقد استعمله الأنبارى وهو حجة » .. ومعنى البيت : أى لا أقدر أن ادفع عن نفسى شيئا كتب على ، كذا النساء المشفقات إذ تبعن الكواهن يسألنهم ، لا يغنين عمن أشفقن عليه شيئا .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢٦١ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٣ ومعجم البلدان لياقوت « الالاهة » وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ص ٦٢٠ :

الا لست ——— فروحن ——— ... ——— يتقين ———

بفتح التاء وضمها ، واشار إلى رواية « يتُّبعن »
وبرواية ثالثة فى حماسة البحترى ١٦٣

الا لستُ ——— فَرُوحَنْ ——— ... ——— يتُّبِعن ———

وبرواية رابعة فى شعراء النصرانية ١٩٣/١ .

الا لست ——— ... ——— يتُّبَعْنَ ———

وبرواية خامسة فى « الشعر والشعراء » ٤١٩/١ :

لست على شىء ——— ... ———

فَلا خَيْرَ فيمَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ ... وَتَقْوا لِه للشَّيءِ : يَالَيْتَ ذَا لِيَا[٢]

فَطَأْ مُعْرِضًا إنَّ الحُتُوفَ كَثِيرَةٌ ... وَإنَّكَ لا تُبْقِى بِمَالِكَ بَاقِيَا[٣]

---

(٢) تقوال : مصدر بمعنى القول بفتح التاء . ورواه الأصمعى بكسر التاء وهو شىء نادر ، لأن المنصوص عليه فى مثله الفتح ، وأنه لم يسمع بالكسر إلا « تبيان » و« تلقاء » . ويعلق التبريزى فى شرحه « والمعنى أن حديث النفس إذا حقت الحقائق لا يعنى شيئا ، صدقا كان أم كذبا » .

روى بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢٦١ . وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للأنبارى ص ٥٢٣ ، وشرحها للتبريزى ص ٦٢٠ :

________ ... وتَقْوَاله ________

بفتح التاء :

وبرواية ثالثة فى « حماسة البحترى » ١٦٣ :

ولا ________ ... وَتِقْوَاله ________

بكسر التاء .

وبرواية رابعة فى « محاضرات الأدباء » ٢١٧/١ :

________ فى أنْ ________ ... وَتِقْوَاله ________

وبرواية خامسة فى « معجم البلدان » « الألاهة » :

________ ... وتِقْوَاله الشىء ________

وبرواية سادسة فى « شعراء النصرانية » ١٩٢/١ :

ولا خير فيما كذّب ________ ... وتَقْوَالِه ________

(٣) طأ : ضع قدمك . الحتوف : المكاره . يعلق التبريزى فى شرحه للمفضليات على البيت قائلاً : « يخاطب نفسه أو صاحبه فيقول : اقدم على ما يعرض لك واركب ما يعطيك ظهره عالما أن أنواع المكاره كثيرة . وقوله : إنك لا تبقى .. يريد ان المال لا يحرسك ، ولا يدفع مكروها عنك ، وهو بعرض الزوال وإن اجتهدت فى تبقيته » .

قبل هذا البيت روى البحترى بيتين هما :

وإن اعجبتك الدهر حال من امرئ ... فدعه وواكل حاله والليا ليا

يرحن عليه أو يغيرن ما به ... وإن لم يكن فى جوفه العيشّ وانيا

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢٦١ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٣ وشرحها للتبريزى ٦٢٠ ، وحماسة البحترى ١٦٤ ، والشعر والشعراء ٤١٩/١ .

وبرواية ثانية فى « المعانى الكبير » ١٢٦٣ .

________ ... ________ بِمَالَكَ ________

مالك : كل ما تملك من نقود وغيرها .

وبرواية ثالثة فى « أساس البلاغة » « عرض » :

________ ... ________ بِنَفْسِكَ ________

وهذا الرواية ايضا فى « شعراء النصرانية » ١٩٣/١ ، واشار الأنبارى إلى هذه الرواية .

أفنون التغلبي

لَعَمْرُكَ مَايَدْرِى امْرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِى ... إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَـهُ اللهُ وَاقِيًا(٤)
كَفَى حَزَنًا أَنْ يَـرْحَلَ الْحَىُّ غُـدْوَةً ... وَأُصْبِـحَ فِى أَعْلَىٰ إِلَاهَةَ ثَـاوِيًـا(٥)

---

(٤) إلاهة : قارة بالسماوة ، توفى بها أفنون مسموما ، وتحقيقاً لنبوءة كاهن ووردت هذه الكلمة فى كثير من المصادر مكسورة الهمزة ، وأشار ابن برى ، إلى هذا عندما قال : « قال بعض أهل اللغة : الرواية « واترك فى عليا الاهمه » بضم الهمزة » وعلق عليه ابن برى : وهذا هو الصحيح .

ورد البيت الرابع فى : المفضليات ٢٦١ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٦٢٠ ، وحماسة البحترى ١٦٤ ، ومعجم البلدان « الالاهة » ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٢٥٤/١ ، والصناعتين ١٦٤ ، وتأويل مشكل القرآن ١٣٠ وشعراء النصرانية ١٩٣/١ ، والشعر والشعراء ٤١٩/١ ، والمؤتلف والمختلف ١٥١ ، ومعجم ما استعجم ١٨٦/١ والتمثيل ص ٦٠ .

وبرواية ثانية فى سمط اللآلى ٦٨٤ ، والتمثيل ٦٠ ، وأشار السيوطى إليها أيضا :

ـــــ الفتى ـــــ ... ـــــــــــ

الفتى : الشاب .

(٥) ورد بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٦١ ، وشرحها للأنبارى ٥٢٣ وشرح أبيات مغنى اللبيب ١٥٤/١ ، وأشار التبريزى إلى هذه الرواية وكذا فى التمثيل ص ٦٠ .

وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ص ٦٢٠ ، وأشار إلى هذه الرواية الأنبارى :

ـــــ الرَّكب ـــــ ... ـــــــــــ

وبرواية ثالثة فى « الشعر والشعراء » ٤١٩/١ .

ـــــ الركب ـــــ ... وَأُتْرَكُ ـــــ

وبرواية ثالثة فى حماسة البحترى ١٦٤ :

ـــــ الرَّكْبُ ـــــ ... فى أعلى الإلاهة ـــــ

وبرواية رابعة فى معجم البلدان « الإلاهة » .

ـــــ الرَّكْبُ ـــــ ... ـــــ فى عُلْيَا الألاهة ـــــ

وبرواية خامسة فى « اللسان » :

ـــــــــــ ... وأُترك فى عُليا أُلاهة ـــــ

وبرواية سادسة فى شعراء النصرانية ١٩٣/١ :

ـــــ القَوْمُ ـــــ ... ـــــ فى عليا الإلاهة ـــــ

وبرواية سابعة فى معجم ما استعجم ١٨٦/١ :

ـــــ الركب ـــــ ... واترك فى عليا إلاهة ـــــ

تخريج القصيدة :

الأبيات ١ ـ ٥ وردت في :

المفضليات ٢٦١ ، وشرحها للأنباري ٥٢٣ ، وشرحها للتبريزي ٦٢٠ .

الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ وردت في معجم البلدان « الالاهة » .

الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ بالإضافة إلى بيتين زائدين بين ٢ ، ٣ في كل من : الحماسة للبحتري ١٦٣ ـ ١٦٤ وشعراء النصرانية ١/١٩٢ ـ ١٩٣ .

البيتان ٤ ، ٥ في شرح ابيات مغني اللبيب ١/٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

الأبيات ١ ، ٤ ، ٣ ، ٥ في الشعر والشعراء ١/٤١٩ .

التأصيل الإسلامي ٣

لعلم الإنسان

د. زكى محمد إسماعيل

جهود الرحالة المسلمين الرواد فى الدراسات الوصفية :

إذا كانت الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة تعتمد فى دراساتها الميدانية على المادة الاثنوجرافية التى تحمل فى مفهومها وصف الشعوب من حيث « ثقافتها الكلية » عاداتها وتقاليدها وأنماط سلوكها ومعارفها وشعائرها وفنونها وصفا تسجيليا غير تحليلى وعلى المادة الاثنولوجية التى تعتمد على دراسة الشعوب والحضارات دراسة تحليلية تاريخية مقارنة تشمل أصول الحضارات والمناطق الثقافية وهجرة الثقافة وانتشارها وما يصحب ذلك من تغير وتكيف ثقافى ، فإن المستقرىء المنصف لجهود الرواد من العلماء الرحالة المسلمين لا يقف فقط على رصيد حى وعبقرى لهذه الدراسات الرائدة الراشدة فحسب وإنما سيلاحظ الفرق الكبير بين هذه الجهود المبكرة ، بمنهج البحث الميدانى الرائد والذى تجاوز مجرد الملاحظة المعيشية إلى الحياة فى المجتمعات بكل أبعادها وبين جهود الأنثروبولوجيين المحدثين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والتى لم تتعد أن تكون دراسات ظنية أطلق عليها دراسات ذوى الكراسى المريحة أو دراسات « علماء المكتب » والتى اعتمدت على التاريخ الظنى والتحليلات الفلسفية .

سياق مقارن :

ويعد كتاب « الغصن الذهبى » لجيمس فريزر من أوضح الأمثلة على هذه الدراسات المكتبية ويتألف من اثنى عشر مجلداً تجاوز آلاف الصفحات وهو ملىء بالعديد من الأساطير والروايات فى مختلف المجتمعات ، وحين سئل عما إذا ذهب إلى هذه المجتمعات أو رآها أجاب ساخراً وبحدة « أعوذ بالله » الأمر الذى جعل كتاباته مزيجا من المعلومات الاثنوجرافية الجزئية التى لا تخضع لأى ضابط أو مبدأ وإن غلّفها بفكره المنطقى ليردها إلى شىء ما من التماسك والوحدة مما جعل عالمة الإنسان الشهيرة « روث بندكت » تصف الكتاب بأنه يجمع أشتاتا من السلوك والتصرفات المنتقاة من

كل الثقافات برغم ما بينها من تباين ومفارقات وتناقضات محاولا أن يمزج بينها ليخرج فى النهاية مسخا مشوها ، وصفته بأن عينه اليمنى من فيجى واليسرى من أوروبا وإحدى ساقيه من « تيرا » والساق الأخرى من « تاهيتى » ويصدق هذا على كتابات كل من « تايلور » و « مورجان » و « باخوفين » وغيرهم من ذوى الكراسى المريحة Arm-Chair Anthropologists أو علماء المكتب كما يدعوهم الفرنسيون Savants du Bureau ما أبعد الفرق بين هذه الكتابات المغرقة فى الخيال والبعد عن الواقع وبين كتابات الرحالة الرواد من المسلمين الذين استجابوا لتوجيه الإسلام بالرحلة والسفر لطلب العلم والتفقه فى الدين واستجلاء سنن الله فى الكون وإدْراك أن من هذه الرحلات ما هو مفروض فى الإسلام كرحلة الحج لمن استطاع إليه سبيلا ؛ لهذا كانت كتاباتهم قمة فى الفكر الاثنوجرافى الوصفى الميدانى الدقيق ، ويمثل هذا : المقدسى والإدريسى والبيرونى وابن خرداذبه ، وابن جبير وابن بطوطه وأحمد بن فضلان والحافظ بن عسكر وابن خلدون وغيرهم .

تصنيف اتجاهات الرحالة المسلمين :

يميز العلماء ثلاثة اتجاهات فى مسلك الاثنوجرافيين المسلمين من الرحالة الرواد **الاتجاه الأول** : يهتم الرحالة من خلاله بجمع المادة الوصفية من عديد من أقطار العالم الإسلامى ويمثل هذا الاتجاه كتابات الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى وابن جبير وابن بطوطه وابن خلدون .

الاتجاه الثانى : يركز فيه الرحالة على وصف قطر واحد توفر على دراسته كالهمذانى فى كتابه « صفة جزيرة العرب » والبيرونى الذى تخصص فى وصف الهند عبر كتابه الشهير « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة للعقل أو مرذولة » وأحمد بن فضلان فى وصفه للصقالبة من خلال رسالته فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة كمنطقة ثقافية متشابهة . أما الاتجاه الثالث والأخير فيظهر فى المعاجم والموسوعات الاثنوجرافية والجغرافية مثل كتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموى و « نهاية الأرب » للنويرى و « صبح الأعشى » للقلقشندى و « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمرى ، وهو موسوعات ومعاجم تهتم بوصف البلدان وذكر تواريخها وأحوالها وعاداتها وأعرافها ونظمها وشئون عمرانها .

المقدسى وجهوده الرائدة فى الوصف الاثنوجرافى :

يمثل المقدسى (أبو عبدالله محمد بن أبى بكر البناء) النموذج المثالى للرحالة الاثنوجرافى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) والذى يكتب عن خبرة ميدانية ومشاهدات عيانية ، يتجلى هذا فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » والذى يقول إن مصادره فى الكتاب انتظمت ثلاثة أقسام « أحدها ما عايناه ، والثانى ما سمعناه من الثقاة ، والثالث ما وجدناه فى الكتب المصنفة فى هذا الباب وغيره » .

وتلك هى المصادر الأساسية التى يعتمد عليها الباحث الميدانى حاليا فى دراسته لمجتمع ما دراسة أنثروبولوجية حقلية ، وإذا كانْ من واجب الباحث الأنثروبولوجى فى دراسته للمجتمع أن يختلط به ويأخذ دوراً فيه ليكون مألوفا لديه ، فقد كان المقدسى إماما فى هذا المجال إذ يقول :

التأصيل الاسلامى لعلم الانسان

« ولقد سميت بستة وثلاثين اسما ، دعيت وخوطبت بها مثل مقدسى وفلسطينى ومصرى ومغربى وخراسانى ، وفقيه وصوفى وولى وعابد وزاهد وسياح ووراق وغير ذلك ، لاختلاف البلدان التى حللتها ، وكثرة المواضع التى دخلتها » ثم يؤكد أنه مالحق بالمسافر الرحالة الباحث أمر إلا ولحق به غير ركوب الكبيرة أى المعصية التى تعد من الكبائر فيقول : « لقد تفقهت وتأدبت ، وتزهدت وتعبدت ، وفقَّهت وأدبت ، وخطبت على المنابر ، وأذنت على المنائر ، وأممت فى المساجد ، وذكرت فى الجوامع ، واختلفت إلى المدارس ، ودعوت فى المحافل ، وتكلمت فى المجالس ، وأكلت مع الصوفية الهرائس ، ومع الخانقائيين الثرائد ، ومع النواتى العصائد ، وطردت فى الليالى من المساجد ، وسحت فى البرارى ، وتهت فى الصحارى ، وصدقت فى الورع زمانا ، وأكلت الحرام عيانا ، وصحبت عباد جبل لبنان ، وخالطت حينا السلطان ... وأشرفت مرارا على الغرق ، وقطع على قوافلنا الطرق . وخدمت القضاة والكبراء ، وخاطبت السلاطين والوزراء » ..

ثم يقول بعد سرد لعديد من أنشطته الأخرى ... « **ذكرنا هذا ليعلم الناظر فى كتابنا أننا لم نصنفه جزافا ، ولا رتبناه مجازا ... فكم بين من قاسى هذه الأسباب وبين من صنف كتابه فى الرفاهية ووضعه على السماع** » .

والواقع أن استقصاء دراسات الرحالة المسلمين العرب من خلال تراثهم الاثنوجرافى يحتاج إلى عديد من الكتب والدراسات المتخصصة فى هذا المجال .

شهادة عالم أمريكى

لقد دعا هذا الأنثروبولوجى الأمريكى كارلتون . س . كون Carlton .S. Coon أن يقول فى بحثه الذى قدمه لمؤتمر برنستون للثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة فى سنة ١٩٥٢ ما نصه « إن علم الأجناس البشرية والأنثروبولوجيا » لم يكن بدعا بالنسبة للعرب الذين درسوا التراث الأدبى لأمتهم ، فقد وصف رحالة عربى هو (ابن فضلان) الأسلاف الوثنيين لسكان شمال غرب أوروبا الحاليين ، كما أورد رحالة آخر هو « ابن بطوطة » روايات مفصلة عن الأخلاق والعادات للشعوب التى كانت تعيش من « مراكش إلى الصين » .

ثم يواصل حديثه قائلا : « ولاشك أن فى التراث العربى عشرات من الكتب الأخرى فى الوصف الحضارى غير معروفة لدى الغربيين من علماء الإنسان ، ويجب أن ينشغل علماء الإنسان من العرب بالبحث عن هذه المخطوطات ونشرها ، لا باللغة العربية فحسب ، ولكن بلغة أوروبية كذلك ، فهذه الأخبار ستكون بالغة القيمة ، إذ تمكننا من أن نعرف التغيرات التى حدثت منذ كتابتها ، وتهدينا إلى الاتجاهات التى علينا أن ننظر إليها لمعرفة التغير المقبل ، شأن الملاح الذى يرسم اتجاه سفينته بأن يربط ما بين المركز الذى تكون فيه وأى علامة مرت بها » .

مواصلة العالم الأمريكى تأكيده على أصالة العلماء المسلمين :

يواصل « كارلتون كون » فى بحثه التأكيد على أصالة العلماء المسلمين ودورهم فى إنشاء

« الأنثروبولوجيا » ، هذا التعبير الحديث الذى لم يسمعوا هم به فيقول :

« ولاشك أن العرب سيجدون تحليل المواد الأنثروبولوجية أمراً مألوفا لديهم ، فابن خلدون فى مقدمته قد حلل البناء الاجتماعى لقبائل الصحراء ، والبناء الاجتماعى للمدن تحليلا عميقا ، وقد أدرك ابن خلدون ما لم يدركه معظم العلماء المتأخرين من أن بين البيئة وطرق المعيشة الإنسانية والبناء الاجتماعى علاقة سببية ، ولم يأخذ علماء الغرب فى اللحاق بعمل ابن خلدون إلا خلال عشرات السنوات القليلة الماضية . إن علم الإنسان ـ وهو اسم لم يسمع به ابن خلدون ـ هو المحصول النهائى للعمل الذى تم فى الجامعات القديمة فى شمال أفريقيا ، وأوروبا الغربية ، وأخيراً فى أمريكا ، لقد كان العرب هم الذين ابتكروا تقسيم العمل بين أنواع الدراسات ، مما جعل الجامعات وما بها من اقسام علم الإنسان أموراً ممكنة » .

السلام والتسامح والإخاء العالمى أهداف مشتركة يدعو إليها الإسلام وعلم الإنسان :

لعل أهم أهداف علم الإنسان من دراساته النظرية والحقلية على امتداد رقعة الكرة الأرضية هو التأكيد على أنه مهما اختلفت « الثقافات » وتنوعت فإن أصل الإنسان واحد ، وفطرته واحدة ، وبنيانه هو هو ، وأن ما وهبه الله من قدرات تختلف فى إعمار الأرض ، واكتشاف سنن الكون ، والسيطرة على الطبيعة وتسخيرها ، والوصول بقدر ما إلى فهم معالم هذا الكون الفسيح ، إنما مرده إلى اختلاف البيئة بمعناها الشامل الواسع ثقافية كانت أم اجتماعية أم جغرافية ، ولا دخل لذلك فى فطرة الله التى فطر الناس عليها فالناس لآدم وآدم من تراب ، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام : « .. ألا لافضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » رواه أحمد بمسنده ٥/٤١١ .

إذن . ما الروافد الأساسية للتأصيل الإسلامى لعلم الإنسان ؟

هكذا نرى أن التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان ينبغى أن يستمد روافده من حقيقة المساواة بين البشر على اختلاف ألوانهم وعقائدهم كما وردت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وفى دراسة القصص القرآنى وما يحتوى من عظات وعبر من ناحية ، ومن قيم وعادات وتقاليد الأمم التى سبقتنا من خلال سياق مقارن بقيمنا وتقاليدنا المعاصرة من ناحية أخرى ، وكذلك فى العودة إلى تراث العلماء المسلمين الرحالة الذين أرسوا بجهودهم ورحلاتهم جذور علم الإنسان الذى لم يسمعوا به وكيف كانوا مؤسسين نظريا وميدانيا على ألا يكون ذلك غاية فى ذاته ، وإنما وسيلة للتحليل والتقويم فى سياق مقارن لجهود علم الإنسان الحديث ومدى ما وصل إليه من تطور ، كما ينبغى الإفادة التامة من منهج هذا العلم فى الدعوة الإسلامية على أساس من دراسة المدعوين أنفسهم دراسة شاملة متكاملة حتى تكون الدعوة على بينة وبصيرة تؤدى إلى نجاحها التام طبقا لمستجدات العصر واتساع رقعة إعلامه ، كما ينبغى العودة فى هذا المجال إلى دراسة اهمية كل من الرحلة والهجرة فى الإسلام لطلب العلم والتفقه فى الدين ودراسة الأقوام وأداء مناسك الحج وكسب العيش والنظر فى ملكوت الله ، والسعى فى مناكب الأرض من كافة اقطارها . وبهذا تكون دراستنا للعلوم وإن استفادت من التطور العلمى العالمى إلا أنها تظل مرتبطة بتراثنا ، نابتة من أرضنا ، نابعة من ديننا وقيمنا وعاداتنا ، هادفة إلى ترسيخ وتدعيم الصالح منها ، مقومة للمعوج ، هادمة للبالى الدخيل علينا والذى ما أنزل الله به من سلطان .

والله الموفق .

القارة الاسترالية

بين الماضى والحاضر

للشيخ
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

اكتشفت استراليا رسميا سنة ١٧٧٠ م حين نزل الكابتن الانكليزى « جيمس كوك » إلى خليج « بوتان » على شواطىء « سيدنى » ورفع العلم البريطانى على أراضيها ، معلنا انها مستعمرة بريطانية ، وضمها حينذاك إلى التاج البريطانى ..

وفى عام ١٧٨٨ م اى بعد مرور ثمانية عشر عاما من اكتشافها قدم أول اسطول بريطانى ، إلى الشواطىء الاسترالية ، بقصد الإقامة ، بقيادة الكابتن « آرثر فيليب » الذى عُيِّنَ أول حاكم عسكرى على القارة الاسترالية ..

وكان عدد سكان استراليا الأصليين « الأبرجنالز » يقدر بثلاثمائة ألف نسمة .. ويقدر علماء الجيولوجيا والسلالات قدوم « الأبرجنالز » إلى استراليا إلى ستين ألف سنة تقريبا ..

وقد أثبتت كتب التاريخ الحديثة أن البحارة المسلمين الذين كانوا يعيشون فى الجزر الغربية من استراليا ، ناحية الحدود الشمالية أنهم أتوا إلى الشواطىء الاسترالية بقواربهم البدائية بقصد الصيد ، وتزوجوا من نساء « الأبرجنالز » وعاشوا بقية حياتهم على الأراضى الاسترالية .. وتشهد الجماجم التى اكتشفت حديثا فى « دارون » بذلك .. وقد حدث هذا قبل اكتشاف استراليا بقيادة الكابتن « كوك » بمئات السنين ..

وتقدر مساحة استراليا بحوالى ٧٦٨٢٣٠٠ سبعة ملايين وستمائة واثنين وثمانين وثلاثمائة الف كيلو متر مربع .. ويبلغ عدد سكانها حاليا

قرابة سبعة عشر مليون نسمة ، وينحدرون من عناصر وسلالات وأعراق وجنسيات مختلفة ابرزها : الانجلو ساكش ، يليها الإيرلنديون ، ثم الإيطاليون ، ثم اليونانيون ، ثم العرب والأتراك ، بالإضافة إلى العشرات من جنسيات مختلفة ..

ويوجد بها من الديانات : المسيحيـة ، والإسلام ، واليهودية ، والبوذية ، والهندوس .. ويبلغ عدد المسلمين ٤٥٠٠٠٠ اربعمائـة وخمسين الف مسلم ، يمثل العرب والأتراك ٨٠ ٪ من العدد الإجمالى ، بالإضافة إلى الأعداد المتزايدة بين وقت وآخر ، بسبب اعتناق الاستراليين وغيرهم من جنسيات أخرى للدين الإسلامى الحنيف ..

وتتكون استراليا من سبع ولايات وهى :
(١) ولاية نيوسـاوث ويلز « سيـدنى » (٢) ولاية فيكتوريا « ملبورن » (٣) ولاية كوينزلاند « برزبن » (٤) ولاية غرب استراليا « برث » (٥) ولاية جنوب استراليا « أدلايد » (٦) ولاية المقاطعة الشمالية « دارون » (٧) ولاية قسمانيا « هوبارت » .

أما « كانبرا » : فهى العاصمة السياسية لحكومة استراليا كلها . وتقع فى ولاية : « نيوساوث ويلز » إلا أنها لا تخضع لهذه الولاية سياسيا ، لأنه يوجد بها نظام سياسى مستقل ..

دخول الإسلام فى استراليا

وقد شع نور الإسلام : فى هذه القارة : فى أوائل اكتشافها : عن طريق بعض المسلمين الأفغان الذين هاجروا إليها منذ عشرات السنين ، ومعهم إبلهم القادرة على عبور أراضى استراليا الشاسعة ، ولهذا كانت القيادة الانكليزية تستعين بهم ليساعدوهم فى اكتشاف الأماكن المجهولة فى هذه القارة المترامية الأطراف ، وكان الأفغان يقودون هذه الجمال من مستعمرة بريطانية إلى أخرى .. وهكذا كانت بداية الإسلام فيها ، وكان من بين هؤلاء الأفغان سبعة مسلمين يرجع الفضل إليهم فى دخول الإسلام إلى استراليا ، حيث تكاثروا ، وبنوا لأنفسهم مسجداً فى « أدلايد » إحدى مدن جنوب استراليا .. واستقر المسلمون الأفغان بجمالهم فى جنوب استراليا ، وبنوا لهم قرى فيها ، وزاد انتشارهم فى القرن التاسع عشر ، وكانوا دعاة إلى الدين الإسلامى : بالقدوة الحسنة والسلوك الحميد والمعاملة الطيبة ، مع بيان محاسن الإسلام وتعاليمه وقيمه وآدابه .. ولم يفتهم أن يقوموا بإنشاء العديد من المساجد والزوايا ، لإقامة الصلاة ، لاسيما فى الولايات التى استوطنوا فيها ، وأشهر المساجد القديمة وأكبرها : جامع مدينة « بيرث » وقد أسس عام ١٨٠٥ م وفيه يتجلى فن العمارة الإسلامية القديمة ..

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بعد مائة عام من اكتشاف استراليا ، ومع قيام الحرب العالمية الأولى أعلن الخليفـة العثمانى السلطـان « عبدالحميد » الجهاد المقدس ضد الانكليز ، فاستجاب له المسلمون الأفغان فى استراليا ، وقاموا بإحراق القطار الانكليزى ، المخصص لنقل الجنود الاستراليين من جنوب استراليا إلى « بيرث » فى الشرق ، وكان هؤلاء أول قافلة زجَّ بها الإنكليز ، لخوض الحرب ضد الدولة العثمانية .. وقد تمكن الأفغان من إحراق هذا القطار ، وقتل جميع من فيه من الجنود .. وفى الوقت نفسه استشهد عدد من المسلمين الأفغان ودفنوا فى « أدلايد » ..

ثم دخل استراليا بعد ذلك بعض المسلمين

القارة الاسترالية بين الماضى والحاضر

النازحين إليها من قبرص ، ولكنهم لم يقوموا بدور إيجابى فى نشر الإسلام فى هذه القارة ..

ذوبان أولاد المسلمين الأوائل من الأفغان والقبارصة

إن مما يؤسف له حقا أن المسلمين الأوائل من الأفغان والقبارصـة لم يتيسر لهم الدعم الإسلامى ، ولم يجدوا حينذاك ما يقاومون به التيار المسيحى ، وبالتالى لم يتمكنوا من مواجهة المجتمع الاسترالى الذى كان أكثره من الانكليز ، وله عاداته الغربية ، وتقاليده البعيدة عن الإسلام ، فما أن مات الجيل الأول من المسلمين ، حتى ذاب أولاده : رويدا رويدا فى المجتمع الاسترالى غـير المسلم ، واعتنقوا المسيحية ، وحملوا أسماء أفراد المجتمع الذى يعيشون فيه ، ولم يبق لهم من الأسماء الإسلامية ، سوى أسماء آبائهم وأجدادهم !!

جمعيات الجاليات الإسلامية فى استراليا

أكبر الجاليات الإسلامية فى استراليا : اللبنانية ، يليها التركية ، ثم بقية الجاليات الأخرى : المصرية واليوغسلافية والألبانيـة والباكستانية والهندية والماليزية والسـورية والأندونيسية والأردنية والفلسطينية والصينية والفيجية وغيرهم من بقية الجنسيات الأخرى ، وكل جالية منها لها جمعية إسلامية أو أكثر تشرف على سير النشاط الإسلامى والإدارى بها ..

وإن مما لا شك فيه أن وضع الجالية الإسلامية فى استراليا فى خطر نتيجة التجمعات العرقية والقومية ، ومما يثير الدهشة والعجب ، إن الوقت الذى يتحد فيه اليهود وهم من جنسيات مختلفة ، وتكون لهم هيئة واحدة تمثلهم نرى تفرق المسلمين وانقسامهم ، فلهم مئات الهيئات والجمعيات !!

ثم إن هذه الجمعيات الإسلامية المسجلة لدى دوائر الحكومة الاسترالية تشترك فى مجلس الولاية التى تقع بها .. ثم تشترك جميع مجالس الولايات الاسترالية فى تشكيل الاتحاد الفيدرالى للمجالس الإسلامية الذى يعتبر القيادة العليا ، والممثل الرسمى للمسلمين ، وحلقة اتصال بينهم ، وبين سائر الدول الإسلامية الشقيقة ..

ويتكون الاتحاد : من رئيس ، وسبعة نواب للرئيس هم رؤساء مجالس الولايات السبع ، وبذلك يتم التنسيق بين الاتحاد ، ومجالس الولايات عن طريق هؤلاء النواب ..

مستقبل الإسلام فى استراليا

من فضل الله تعالى إن الإسلام وهو الدين العالمى الذى يتمشى مع الفطرة السليمة ، عرف طريقه إلى الكثيرين من الاستراليين وغيرهم ..

وإن مما يثير الغبطة فى النفوس أن يعتنق الإسلام بين وقت وآخر ، رجال ونساء من أصل استرالى وانجليزى وألمانى وفلبينى ..

استراليا أرض خصبة ، أرض طيبة ، أرض صالحة للزراعة فى كل وقت ، ولقد أخذت التربة الاسترالية صلاحيتها التى لا نظير لها فى مجال الزراعة فى بلاد العالم .. وعقول أهلها كتربة بلادها ناس طيبون ، ناس على الفطرة ، لا يعرفون للمسيحية طريقا ، فهم مسيحيون بالانتساب ، هم لا يعرفون شعائر المسيحية إطلاقا ، ولايدخلون الكنيسة إلا عند الزواج أو عند الموت ..

فالإنسان الاسترالى يمتاز بخصوبة ذهنية

كخصوبة أرض استراليا : أى أن عقله وفكره كأرض نقية ، ينزل عليها الغيث فتنبت الكلأ والعشب الكثير ، فهو إنسان يؤمن بما يقتنع به .. فإن خاطب الداعية عقله وفكره ووجدانه ، وأحسن عرض قضيته ، فإنه سيجد منه قلبه واعيا متفتحا ، وأذنا صاغية سامعة ، وعقلا متفهما ..

والحق يقال إن الدعوة الإسلامية فى المجتمع الاسترالى تجد مناخا جيداً ، وعقولا لا تعرف التعصب ، ولو وجدت حسن العرض ، مع الإخلاص ، وصدق النية ، والقدوة الصالحة عن طريق الدعاة النابهين ، والهداة المرشدين ، ليكونن للإسلام فى هذه القارة شأن عظيم ، وذيوع وانتشار على أوسع نطاق ..

وللمسلمين الجدد الذين اعتنقوا الإسلام عن اقتناع تام من أهل هذه البلاد نشاطهم وجمعياتهم ، فقد تحول بعضهم إلى دعاة مخلصين يبلغون غيرهم من بنى جنسهم ما افاض الله تعالى عليهم من نور الإيمان وحلاوته . حتى إن أحدهم بعد أن أسلم هو وزوجته افتتح مدرسة إسلامية : أطلق عليها اسم « مدرسة النور » وقاما بالتدريس فيها ، مع الاستعانة ببعض المدرسين العرب ..

قداسة الإسلام فى استراليا

إن الإسلام فى استراليا كدين هو محل احترام وتقدير من لدن الحكومة والشعب الاسترالى الذى يمارس طقوسه الدينية ، ويؤدى شعائره التعبدية ، كل حسب دينه ومعتقداته .

كما أن المسلمين يعبرون عن دينهم الإسلامى تعبيراً صادقا ، ويمارسونه فى احتفالاتهم الدينية وفق طبيعتها . بحرية كاملة ، دون إحراج أو مزاحمة من أى جهة ..

وفى شهر رمضان تذاع الأحاديث الدينية ، والتوجيهات التربوية السليمة من إذاعة حكومية رسمية ، وبدون أى نقد ..

وتقام صلاة الجمعة والأعياد ، وتلقى الخطب والعظات الدينية التى تعالج فيها بعض الأمراض الخلقية والاجتماعية .

ويشارك بالحضور بعد صلاتى عيد الفطر وعيد الأضحى من كل عام بعض كبار المسئولين الاستراليين ، حكومة ، ومعارضة ، ونوابا ، ورؤساء بلديات ، وغيرهم ممن يتولون مناصب قيادية فى الدولة ؛ ليعبروا عن مشاركتهم للمسلمين فرحتهم فى هذين العيدين ، وهو لا شك موقف نبيل منهم ..

والإسلام فى استراليا : مصان ، والمسلمون والحمد لله مستمسكون بأهداب الفضيلة والأخلاق الكريمة ، كما أنهم متعاونون مع المجتمع الاسترالى المتعدد الحضارات .. وهذه سمة طيبة أصبحت واضحة ، فى حياة المسلمين إلا من شذ منهم وهم قليلون .. وقد بدأت الهجرة إلى هذه القارة متأخرة نسبيا ، وكانت تشكل ظاهرة خفيفة ؛ لأنها كانت تقتصر على المسلمين اللبنانيين ، ومن بعض الدولة العربية ، ثم أخذت تتكاثر الهجرة الإسلامية يوما بعد يوم ، والتعاون والحمد لله بين أبناء المسلمين قائم ومتماسك وهو فى طور الانطلاق للعمل الإسلامى الخلاق ..

ثم إن المسلمين فى استراليا يتلقون من الحكومة جميع حقوقهم الصحية والاجتماعية ، والسياسية ، ومما هو جدير بالذكر : أن الحكومة الاسترالية وافقت على اعتبار الزى الإسلامى ، والحجاب الشرعى حقا مكفولا للفتاة المسلمة ، فلها أن ترتديه بكل حرية داخل المدارس والجامعات ، على الرغم من بعض مظاهر العنصرية التى تبدو فى وجهها القبيح من وقت لآخر ، معلنة عداءها للإسلام ، وبنى الإسلام !!

بعض الأنشطة الإسلامية فى استراليا

وللجاليات الإسلامية أنشطة متنوعة منها توجيه المسلمين إلى ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم

القارة الاسترالية بين الماضى والحاضر

فى الصحف العربية ، والمجلات الإسلامية ، وفى خطبة الجمعة ، وعقد الندوات ، وإلقاء المحاضرات التى تتناول موضوعات هادفة تتعلق بحياة الفرد اليومية من عملية واجتماعية وتربوية ، والصحافة فى استراليا عامة ، وفى سيدنى خاصة ترحب بنشر المقالات الدينية وتحبذ الكتابة ، وتدعو إلى المزيد من نشر الموضوعات التى تساعد على فهم الإسلام وتعاليمه ..

وسيقوم الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية بمواصلة جهوده فى بناء المدارس والمساجد والأندية ، ولتكون هذه الأندية مثابة للقاء والتعارف بين أبناء الجاليات الإسلامية والعربية على أوسع نطاق ؛ لتنمية الوعى الدينى فى النفوس ..

رابطة المرأة المسلمة

كما توجد هيئة إسلامية نسائية فى استراليا تسمى « رابطة المرأة المسلمة » ولها أهداف دينية واجتماعية وثقافية يمكن تلخيصها فيما يأتى بيانه :

(١) ربط وتوحيد المرأة المسلمة : من جميع الجنسيات المختلفة ، للتعاون فى كل ما يعود على المرأة المسلمة بالخير ، ويحقق للمجتمع الاسترالى : الأمن والاستقرار والحياة الطيبة ..

(٢) الاستفادة من الدين الإسلامى كدين عالمى فى التقارب والتفاهم بين الجنسيات المتعددة ومزجها فى أسرة واحدة تعمل لصالح المرأة المسلمة ، وتساهم فى حل مشكلات المجتمع الاسترالى ..

(٣) النهوض بالمستوى الثقافى للمرأة المسلمة ، لكى تساهم فى النهضة والبناء للأسرة والمجتمع فيما يحقق الخير للجميع ..

(٤) بث ونشر التعاليم الإسلامية ؛ لكى تتمسك المرأة المسلمة بالأخلاق الكريمة الفاضلة التى يقوم عليها بناء المجتمع الفاضل ..

مساجد استراليا

أفادت الإحصائية الجديدة أثناء وجودى بمدينة سيدنى فى شهر رمضان ١٤١١ هـ أن عدد المساجد فى القارة الاسترالية قد ارتفع من أربعين مسجدا إلى ستة وثمانين مسجداً منها ٢٤ فى ولاية « نيوساوث ويلز » .. و ٣٢ فى ولاية « فيكتوريا » والباقى فى الولايات الأخرى والمدن الكبرى بالإضافة إلى المجمع الإسلامى الذى قامت بإنشائه الجالية التركية ، وسيفتتح فى القريب العاجل إن شاء الله ..

ويلاحظ : أن أكبر المساجد فى استراليا هو مسجد الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بلاكمبا بسيدنى ، ويعرف بالمركز الإسلامى العام ، ويلحق به « دار الإفتاء العام » ، وهذا المركز يقوم بدور كبير فى نشر الثقافة الإسلامية ، بفضل الجهود المشكورة التى يبذلها فضيلة الأستاذ الشيخ تاج الدين حامد الهلالى إمام المركز الإسلامى ، ومفتى استراليا عن طريق عدة وسائل إيجابية ، تتمثل فى عدة أمور تتلخص فيمايلى :

(١) تحفيظ وتلاوة القرآن الكريم ..

(٢) دراسة بعض الأحاديث النبوية ، مع بيان ما ترمى إليه من نصح وتوجيه ..

(٣) تعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، لشدة الاحتياج إليها ، لاسيما فى المجتمع الاسترالى .

(٤) تدريس الفقه الإسلامى ، بأسلوب سهل ، وطريقة مبسطة ..

(٥) ممارسة الصلاة عمليا ، لصغار السن ، وتدريبهم عليها ..

(٦) إقامة مسابقة للقرآن الكريم سنويا ، فى العشر الأواخر من رمضان ، وتوزيع الجوائز العينية والنقدية على الفائزين والفائزات فى ليلة القدر ..

(٧) تعويد الفتاة المسلمة على الزى والحجاب الإسلامى فى صغرها ، حتى تألفه ، وتعتاد عليه ..

(٨) تأصيل العقيدة الإسلامية : فى نفوس الشباب ..

(٩) بيان واجبات المسلم : فى المجتمع الذى يستوطنه ويعيش فيه ؛ محافظة على أمنه واستقراره ، ورخائه ، والنهوض به ..

المدارس الإسلامية باستراليا

(١) سيدنى : توجد بها ثلاث مدارس :

١ ـ مدرسة الاتحاد الاسترالى للمجالس الإسلامية ..

٢ ـ مدرسة أركان الإسلام « الجمعية الإسلامية المصرية » ..

٣ ـ مدرسة النور الإسلامية « تحت إشراف المسلمين الاستراليين الجدد » ..

(٢) مالبورن : ويوجد بها أربع مدارس إسلامية ..

(٣) بيرث : ويوجد بها مدرستان : إحداهما ثانوية إسلامية ، وهى تعتبر أكبر مدرسة فى القارة الاسترالية ، وهو لا شك إنجاز عظيم بذل فيه جهودا مشكورة الداعية المخلص : الحاج عبدالله وهو مصرى استرالى ..

(٤) برزين : وتوجد بها مدرسة إسلامية ..

حقائق تبعث فى النفوس البهجة

إن من أهم أنشطة المركز الإسلامى بلاكمبا بسيدنى أن إدارة هذا المركز تبذل كل ما فى وسعها من جهد فى سبيل إنماء شجرة الإيمان ، فى قلوب الفتيان والفتيات ، ولفضيلة الأستاذ الشيخ تاج الدين حامد الهلالى : اليد الطولى فى هذا المجال فقد تم توسعة المدرسة القرآنية التى أصبحت تضم إحدى عشرة حلقة للصبيان ، وسبع حلقات للبنات .. وهناك قرار متخذ بتعميم المدارس القرآنية فى كل مناطق الولاية ..

ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة تسمح لمجلس الولاية الإسلامى بإرسال المعلمين إلى المدارس التى تضم عددا من أولاد المسلمين ، لتعليمهم الدين الإسلامى ساعة كل أسبوع .. كما أنها تسمح للجمعيات الإسلامية باستغلال المدارس الرسمية بعد الدوام ، وفى يومى العطلة الأسبوعية « السبت والأحد » لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى ..

ومن بين أنشطة المركز الإسلامى أنه يصدر مجلة شهرية مؤقتة وستكون نصف شهرية فى أعدادها القادمة : « العودة إلى الله » وهى مجلة إسلامية ثقافية جامعة ملتزمة بالخط الإسلامى الصحيح .. كما تصدر الجمعية الإسلامية المصرية هى الأخرى مجلة شهرية « الهدى » وهى تصدر باللغتين : العربية والانكليزية .. تعميما للنفع ..

ثم إن المركز الإسلامى بدأ مشكوراً فى تنفيذ مشروع « مركز للشباب الإسلامى » كما أنه بصدد إنشاء المدرسة الإسلامية الكبرى ..

كما تم افتتاح « دار رعاية المرأة المسلمة » لإيواء المطلقات ، وحماية الفتيات والنساء اللاتى حدث شقاق بينهن وبين أزواجهن ، وتعهدهن بالنصح والتوجيه والرعاية ، حتى يتم الصلح ، وتعود كل منهن إلى بيت الزوجية ..

وحفاظاً على كرامة موتى المسلمين ، وحماية لأهل المتوفى من استغلال نقابات العمال المستبدة ، أنشأت إدارة المركز الإسلامى العام

القارة الاسترالية بين الماضى والحاضر

فى لاكمبا بسيدنى ، أول مغسل إسلامى لموتى المسلمين ، يعمل على إكرام الميت بالإسراع بدفنه ، وتوفير التكاليف الباهظة التى كانت تصل إلى (١٥٠٠) الف وخمسمائة دولار عن كل ميت .

مشكلة الجيل الثانى

إن أولاد المسلمين فى هذه القارة (والحق يقال) يواجهون ما يسمى بمشكلة الجيل الثانى ، البنين منهم والبنات الذين جرفتهم التيارات المادية ، والمغريات العصرية ، والإعلام المدنى المدمر ، فأبعـدتهم عن أصالتهم ، وتقاليدهم الموروثة ، وقيمهم الدينية .. ولاشك أن هذه مشكلة خطيرة ، تهدد أولاد الجاليات الإسلامية ، فى بلاد المهجر !! ولا سبيل إلى حماية هذا الجيل : من الذوبان والانصهار إلا بانتشار المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية ، التى من شأنها أن تنشىء جيلا إسلاميا ، فى هذه القارة ، وفى الوقت نفسه : يكون أداة فعالة فى بناء صرح المجتمع الاسترالى الذى يعيش فيه ، والذى تُقِلّه أرضه ، وتظله سماؤه ، ويعيش على خيراته ..

وإن مما يثير الأسى ، ويبعث فى النفوس الحسرة ، أن حولت بعض المساجد القديمة التى سبق أن أنشئت فى « أولايد » فى الفترة من ١٧٨٥ إلى ١٨٠٥ م إلى المتاحف التى يرتادها بعض السياح .. ومما يدمى القلوب أن تلاشت تلك الجالية المؤمنة الأفغانية ، وارتدت الأجيال بعد وفاة الأجداد والآباء ، لعدم وجود الدعاة الذين يحملون لواء الدعوة الإسلامية ، فقد هجر الدين ، وتغيرت الأسماء !! وهذا هو المصير المؤلم الذى ينتظر أولاد الجاليات الإسلامية المعاصرة ، إن لم تتدارك الدول العربية والإسلامية الأمر ، وتقدر مسئوليتها أمام الله عز وجل قبل فوات الأوان ، ومن لم يحمل هم المسلمين فليس منهم ..

دار الإفتاء باستراليا

إن من أهم أعمال المؤتمر الإسلامى العام وأبرزها اختيار فضيلة الأستاذ الشيخ تاج الدين حامد الهلالى ، إمام المركز الإسلامى العام (الأزهرى المصرى) مفتيا للقارة الاسترالية ، وذلك فى اجتماع اتحاد المجالس والمؤسسات والمراكز الإسلامية السنوى المنعقد بتاريخ ١٦ إلى ١٨ شعبان ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٤ إلى ٢٦ مارس آذار ١٩٨٩ م ونصه كما يأتى بيانه :

قرر المؤتمر الإسلامى العام تعيين فضيلة الشيخ تاج الدين حامد الهلالى « مفتيا » للمسلمين فى استراليا ، واعتباره المرجع الدينى لكافة المسائل الدينية بما فى ذلك : الفتوى الشرعية الخاصة بإثبات بداية ونهاية شهر رمضان المبارك من كل عام ..

وقد أيدت الحكومة الاسترالية ، وباركت هذا الاختيار الذى صادف أهله .. وقد تسلم فضيلته التكليف الرسمى ، ونشر بالصحف الرسمية ، وباشر بتوفيق من الله تعالى مهام منصبه الجديد .. وعلى هذا : تم افتتاح أول دار للفتوى فى استراليا ، ويعتبر فضيلته أول من تولى منصب الإفتاء : فى هذه القارة ..

ولاشك أن إجماع المسلمين فى استراليا على هذا القرار سيوحد كلمتهم ، ويرفع من شأنهم ، ويجعل لهم صوتا قويا مؤثرا فى كافة القضايا الإسلامية ، على الساحة الاسترالية والدولية ..

البقية ص ١٤٢٠

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د. نجوى السيد أحمد

١ - رادار لقياس سرعة الرياح واتجاهها

توصل العلماء حديثاً إلى تطوير وحدة (رادار) محمولة تعمل بـ (بطارية) ويمكنها قياس مدى سرعات الرياح بما فيها السرعات التى تبلغها الأعاصير الدوامية . تعتمد نظرية عمل هذا (الرادار) على ظاهرة (فيزيائية) معروفة باسم « تأثير دوبلر » «Dopler Effect» أو التغير الحادث فى طبقة موجة صوتية أو تردد موجة كهرومغناطيسية صادرة من جسم متحرك أو منعكسة عنه .. وهى نفس فكرة التغير الذى يلاحظه شخص ما ، يستمع إلى مصدر صوتى متحرك (قطار مثلاً) يقترب منه أو يبتعد عنه .

ويتوقع أن يحظى هذا (الرادار) باهتمام العاملين فى مجالات الطيران والأرصاد ، كما يستفاد منه لتحسين التنبؤ بالأماكن التى سيضر بها الإعصار والأوقات التى سيحدث فيها .

٢ - جيل جديد من « اللدائن » الموصلة للكهربية .

الف الناس حتى عهد قريب أن تكون اللدائن (أو المواد البلاستيكية) عازلة كهربياً ، لكن السنوات الماضية شهدت تطوراً هائلاً فى تقنية اللدائن الموصلة للكهربية ، وذلك عن طريق حقن بعض أنواع « البوليمرات » بكميات صغيرة من بعض الكيماويات للحصول على مواد بلاستيكية أجود نقلاً من النحاس ، فقد أدى حقن متعدد الأستيلين Poly Acetylene باليود إلى زيادة ناقليته (بليون) مرة . واليوم يوجد بالأسواق العالمية مركم (بطارية) خفيف الوزن قابل لإعادة الشحن صنعت أقطابه من لدائن ناقلة . ويؤمل فى المستقبل القريب أن تظهر تطبيقات أخرى مثيرة لمثل هذه اللدائن .

الجديد فى العلم والتقنية

٣ ـ جهاز جديد للترجمة بدلا من القاموس .

ظهرت تقنية جديدة فى شكل جهاز بحجم الآلة الحاسبة يعمل كقاموس لغات . يحتوى الجهاز على ذاكرة مؤلفة من الف وخمسمائة كلمة متداولة فى خمس لغات عالمية هى الفرنسية والانجليزية والألمانية والإسبانية والإيطالية . لكل لغة من هذه اللغات ملمس ملون بلون مختلف عن باقى اللغات الأخرى ، وتدون فيه الكلمة المترجمة على شاشة تعرض ستة احرف . أما إذا كانت الكلمة المترجمة مؤلفة من أكثر من ستة أحرف فتظهر الكلمة على الشاشة بدفعات . وإذا كانت الكلمة المراد ترجمتها غير موجودة فى ذاكرة الجهاز فإنه يعرض على شاشته علامة استفهام مع الإشارة إلى أن الكلمة غير موجودة .

٤ ـ العودة الى العلاج عن طريق الأعشاب .

هناك اتجاه قوى بين العلماء للعودة إلى العلاج عن طريق الأعشاب بسبب الأعراض الجانبية التى تسببها معظم العقاقير الكيميائية . والجديد بالنسبة للأبحاث الطبية التى تركز على دراسة الأعشاب هو اكتشاف أن نباتاً مثل (الكرفس) يساعد على شفاء أمراض المفاصل والتخفيف من آلامها شريطة أن يكون تناوله بانتظام .. كما اثبتت التجارب أن بذور عباد الشمس غنية بالبروتينات والمعادن والفيتامينات ، وتحتوى على المادة التى تساعد على شفاء « الكوليسترول » .. أما ورد البنفسج المجفف فإنه يفيد فى شفاء قرحة المعدة عندما يستعمل كشاى قبل وجبات الطعام .. وبدلاً من تناول الحبوب المهدئة والمنومة ؛ فالأفضل ألف مرة شرب كوب ساخن من « الكركديه » ، فهو يساعد على تهدئة الأعصاب والنوم الهادىء ، وبذلك يتفادى الإنسان اضرار إدمان هذه الأدوية على اختلاف أنواعها .

٥ ـ « الموكيت » يسبب الربو .

عقد فى سويسرا اخيراً مؤتمر حول أمراض الحساسية ، أعلن أن السجاد المثبت « الموكيت » من أحد أسباب الإصابة بمرض « الربو » .. حيث يعتبر الموكيت المأوى المثالى للعث المنزلى الذى يعتبر من اكثر مسببات إثارة الربو ..

٦ ـ انتاج وقود لا يلوث البيئة

استطاعت مجموعة من الباحثين فى النرويج (تحويل الغاز الطبيعى إلى وقود سائل نظيف) يتميز بخلوه من مادة الرصاص التى تسبب تلوث البيئة . واعلنت شركة البترول النرويجية أن علماءها توصلوا إلى هذا الاكتشاف العلمى الهام عبر عمليات التفاعل الكيماوى بوسائل أبسط وأرخص من الأساليب المستخدمة فى محاولات سابقة ، وذلك فى نهاية برنامج علمى استغرق ثلاث سنوات . وقرر العلماء أن الوقود الناتج من عملية التحويل هو من نوع الديزل ، ويتمتع بخواص عالية الكفاءة . ومثل هذا الاكتشاف من شأنه أن يساعد بصورة فعالة فى الجهود الدولية التى تبذل الآن للتخلص من ملوثات البيئة عن طريق البحث عن بدائل نظيفة لها .

٧ ـ اكتشاف مغناطيس كونى عملاق

اكتشف علماء الفلك الأمريكيون فى أعماق الكون وعلى بعد ١٥٠ مليون سنة ضوئية من الأرض مغناطيساً ضخماً يمارس جاذبيته على آلاف المجرات ، ومن بينها مجرة درب التبانة التى ينتمى إليها النظام الشمسى . ويعتقد أن هذا المغناطيس الضخم يتألف من مجموعة كواكب تغطى نحو (نصف مليار) سنة ضوئية .

٨ ـ حائط متحرك فى المياه لحماية الشواطىء

قامت إحدى الشركات الفرنسية ببناء ماسمى بحائط متحرك فى المياه يتكون من صفائح معدنية لتخفيف حدة الأمواج يكون بمثابة حائط رأسى يمنع تدفق الأمواج جهة الشاطىء ، أو يضعف من شدتها .. وهذا الأسلوب أفضل من استخدام حاجز ثابت أو غاطس ، ويتكلف ٣٠ إلى ٥٠٪ ، أقل من بناء الحواجز والسدود . وهذه الصفائح لا يراها أحد ، وبالتالى لا تعوق منظر الشاطىء ولا تفسد قاع البحر . ولهذا الحائط استخدامات عديدة إذ يمكن بواسطته حماية الموانىء والشواطىء بصورة فعالة . كذلك فإنه يضمن حماية الطرق الساحلية والمبانى والمنحدرات الساحلية ومنشآت تربية الأحياء المائية ..

٩ ـ رصد مايحدث فى أعماق التربة

تمكن علماء أمريكيون من دراسة أعماق التربة واستكشاف مايحدث لجذور النباتات والكائنات الحية التى تعيش فيها ، وذلك بواسطة آلات تصوير « تليفزيونية » واستخدام أجهزة الرصد بالاستشعار عن بعد .

إن الهدف من ذلك هو التعرف على طريق نمو جذور النباتات ومواطن وعادات الكائنات الحية الدقيقة التى تعيش فى باطن التربة .

إن المشاهدة بواسطة تسجيلات « الفيديو » للأحداث التى تجرى فى باطن الأرض سوف يكون لها فوائد تطبيقية لاستنباط طرق زراعية جديدة ووسائل غير كيميائية لزيادة إنتاجية النباتات ، وذلك بتشجيع نمو الكائنات الدقيقة المفيدة والقضاء على الكائنات الضارة . توضع الكاميرات فى انابيب « بلاستيكية » (مناظير) فى باطن التربة لأعماق تصل إلى ثمانية اقدام ، وهناك تقوم بتسجيل صور لنمو جذور المحاصيل الزراعية أثناء جميع مراحل النمو طوال الموسم الزراعى . كما أن هذه الصورة تعطى فكرة واضحة عن التفاعل الذى يحدث بين جذور النباتات والكائنات التى تغزوه أو تعيش طبيعية معه .

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طرائف ومواقف

« أبواب الرحمة »

كان لعلى بن الحسين بن زين العابدين – رضى الله عنه – جليس مات له ولد ، فجزع عليه جزعا شديداً ، فعزاه على بن الحسين – رضى الله عنه – ووعظه ، فقال الرجل : يا ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن ابنى كان مسرفا على نفسه .

فقال : لا تجزع ، فإن من ورائه ثلاث خلال أولهن :

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

والثانية : شفاعة جدى – صلى الله عليه وسلم – .

والثالثة : رحمة الله التى وسعت كل شىء .

فأين يخرج ولدك عن هذه الخلال ؟

« ثقل من جانب واحد »

قال رجل لحكيم : ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحمل الثقيل ؟

فقال الحكيم : لأن الحمل الثقيل يشارك الروح الجسد فى حمله والرجل الثقيل ينفرد الروح بحمله .

« ثلاثة من كنوز الجنة »

كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة وكتمان المرض .

« حقيقة »

قال بعض العارفين لرجل من الأغنياء :

كيف طلبك للدنيا ؟

قال : شديد .

فقال له : هل أدركت منها ما تريد ؟

قال : لا .

فقال له : هذه التى لم تطلبها .

« أخطاء ثلاثة »

هناك أخطاء ثلاثة تعوق كل نشاط :

الكسل ، والغرور ، والجبن ، فإذا كان المرء من الكسل بحيث لا يستطيع أن يفكر ، ومن الغرور بحيث يتصور أنه لا يخطىء ، ومن الجبن بحيث لا يستطيع أن يعترف بخطئه . فإنه إنسان أبعد ما يكون من الحكمة ، وهو والفشل صنوان .

« نصيحة »

الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضيىء فلا تكدِّره بآثامك .

« الكريم لا يبيع ! »

مر رجل من قريش بامرأة من العرب فى بادية .

فقال : هل من لبن يباع ؟

فقالت : إنك لئيم ، أو قريب عهد بقوم لئام .

« خير من نفسك »

الأخ الصالح خير من نفسك ؛ لأن النفس أمَّارة بالسوء ، والأخ الصالح أمَّار بالخير .

« قالوا .. »

● لا تشغل فكرك بما ذهب منك ، بل احفظ مابقى معك .

● نحن نحب الحرية ، ولكننا نحب أكثر منها أن تستعمل فى موضعها .

● ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه .

● راحة الحكماء فى وجود الحق ، وراحة السفهاء فى وجود الباطل .

● ما أسهل الموت على من أيقن بما بعده ، وأصعبه على من شك فيما بعده .

● من يؤمن بأن المال هو كل شيء ، فوسيلته إليه أى شيء .

« لغة الأرقام »

قال لصاحبه يؤكد كلامه :

أنا أحدثك بلغة الأرقام ، وهى لاتدع مجالا للشك .. ؟

قال صاحبه : أترى ذلك ؟!

فما رأيك : رجل يبنى لنفسه بيتا من دور واحد فى تسعين يوما .

تقول لغة الأرقام إن تسعين رجلا يبنونه فى يوم واحد .

هل هذا ممكن .. ؟!

« دعابة »

كان أحد المحدثين على دعابة :

خرج إلى طلبته يوما فقال لهم : لولا أن اخرجنى من البيت من هو ابغض إلى منكم ما خرجت .

وسأله حائك : هل تقبل شهادة الحائك ؟

فقال : نعم مع عَدْلين .

« ادعونى »

يقول الله ، ما معناه : ادعو ... فإنى أستجيب لمن دعانى

وواصلنا الدعاء بلا انقطاع ... ولكن ماتحققت الأمانى

فهل فى الأمر سر؟ قلت : طبعا ... دعانا أن نطيع بكل آن

فلم نسمع ولا نحن استجبنا ... لذا فأنا أراك كما ترانى

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

أى مجتمع نعيش فيه؟

لفضيلة الأستاذ : محمد محمد المدنى

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

لقد جبلت النفوس على الأثرة وحب الذات ، وأصبح كل امرىء يريد أن يستوفى كل حوائجه ويحرز أكبر نصيب من طيبات الحياة دون ماشأن بالآخرين .

ومما لا شك فيه ، أن الناس متباينون ميولا ، ومختلفون فى النزعات بحكم عوامل البيئة والوراثة وغيرهما مع أنه لو ترك كل فرد وشأنه ، لعميت عليه وجهة الحق وانعطف به درب الظلام فلا يحنو فرد على فرد ، ولا تعطف جماعة على جماعة ، والنتيجة : حياة بهيمية لاهناء فيها ولا استقرار وإن أوحت فى ظاهرها ، بمباهج الحياة . لقد أصبحت الحاجة ماسة إلى التماس الدين نستقى منه منابع الحياة السوية التى أرادها الله لأمة قال الله تعالى فيها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ من الآية ١١٠ آل عمران .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

يهدف المجتمع فى هذه الحقبة من الزمن إلى الجرى وراء المادة ، لا يثنيه عنها ثان من تعاليم دينية ، أو مقاييس خلقية ، أو اعتبارات اجتماعية ، وكل ما وقف فى طريقه ـ فى نظره ـ إنما هى رجعية بغيضة إلى نفسه ، وقوانين جائرة ليس لها من مبرر ، حتى التوى الطريق على الكل وضاعت معايير الأشياء ، وانتهكت تعاليم الدين ، وابتذلت الكرامة وتحللت الأخلاق ، وصار المجتمع يجرى وراء هذه المادية

العاتية التى ستودى به إلى كوارث لا قبل له باحتمال عواقبها .

ولو رجعنا إلى الوراء قليلا ، ونظرنا إلى ما كان عليه المجتمع ـ قبل عصر النبوة ـ لتساوى العهدان . فالقوى اليوم هو الأمثل لدى الناس جميعاً : يرهبون جانبه ، ويقضون حوائجه ، ويحسبون له ألف حساب وحساب ، من تقدير وتقديس ؛ لأن بيده عصب الحياة ، وإكسير الوجود ، والجالب للسعادة وهو المال .

أما الأخلاق ، أما الكرامة . فهى ألفاظ وضعها اللغويون لغير هذا العصر ، أو هى من التراث العتيق البالى ، والذى يعد المتمسك به من الجامدين . فالإباحية المطلقة هى حضارة العصر وقوام الوجود ، وهى المدنية الحقة التى يسعى لها الكل ويهدف إليها الجميع ، ونظرة واحدة إلى حفلات السادة الكبار ترينا مبلغ ماوصل إليه المجتمع فى زيه ولبسه وتصرفه وابتكاراته ، فعقود الزهر يفخر بلبسها السيد العند وفى فمه (زمارة) وعلى رأسه (طرطور) وبجواره (حواء) تكشف عن مفاتنها يتقارعان كئوس الطلا ، ثم يقومون إلى حلق الرقص ، كأن بهم مس من الجن من بكور الليل إلى انبثاق الصبح ، يهيمون فى خيالهم ويسبحون فى مجونهم ، وهذا هو مجتمعهم عليه يلتقون وعنه ينصرفون ، لاوازع من ضمير ولا دافع من خلق ، والويل كل الويل لمن ينقد أعمالهم ، أو يبدى ملاحظة على سيرهم وسلوكهم ، والأدهى من ذلك أن تنشر صورهم وهم على هذا الوضع المزرى بالأخلاق .

فأى مجتمع هذا الذى نعيش فيه ؟

وأى خلق يكون مقياساً لهذا العصر ؟

والله إنها للفوضى التى تدرك الأمم فى أخريات وجودها ، وعصر تحللها ، وانقراضها كما يحدثنا التاريخ .

وبدهى أن تلك الحروب الطاحنة التى تشنها الدول على بعضها ، وتلك الاعتمادات الضخمة التى ترصدها ، لها أثر من آثار هذه الأنانية المادية ، ومن الغريب أن هذه كلها لو وجهت إلى التعمير والإصلاح لنال العالم كله منها الخير العميم .

ولكن أين التفكير السليم ؟

بل أين المجتمع المستقيم حتى يعمل الكل لما فيه إسعاد البشرية ؟

أيها المصلحون : إن الطريق السوى هو التدين الصحيح ، ولن يصلح هذا المجتمع إلا بما صلح به أوله .

تقوى واستقامة يعمل لها الجميع ، ويسعى لها الناس عن يقين ثابت وإيمان قوى وفكر متين .

إن هذه الحياة التي نحياها مجون ما وراءه مجون ، نهايتها الجنون ، وغضب يصيب الأفراد ، وينصب على المجموع ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ .

من روائع الماضي

أي مجتمع نعيش فيه!

فإلى القادة والزعماء ، إلى السادة والرؤساء ، أوجه حديثى :

عليكم وزر ماوصلت إليه الحالة العامة من انهيار ؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فأفيقوا من سباتكم ، واصحوا من غفلتكم واتقوا الله فى دينكم وفى قدسيته ، فقد طمت البلوى وعمت الفوضى ، وهذا التحلل الخلقى ستكونون فى النهاية أول ضحاياه .

واعلموا أنه لا عز لكم فى سيادة مشوبة بدم الأبرياء .

ولا غنى لكم عن تعاليم السماء لكبح جماح المبادىء الهدامة التى نخشى أن تجتاح كل الحصون الخلقية ، والتعاليم السماوية .

أما المال : فهو ظل زائل لا يغنى إذا حزب الأمر واشتد الهول ، فحصنوا أنفسكم بالأخلاق ، وحاربوها بالبذل والإنفاق : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

والله أكرم مسئول أن يوفق الجميع لما يعود على المجتمع بالنفع العميم والخير الكثير إنه ولى الهداية والتوفيق .

القارة الاسترالية ـ بقية

حاجة الجمعية الإسلامية إلى الدعم المالى

إن الجمعية الإسلامية فى استراليا فى حاجة ملحة إلى تقديم العون والمساعدة لها من الدول الإسلامية ، والمؤسسات الدينية ، لكى تمضى قدما فى أداء رسالتها النبيلة ، وتقوم بأنشطة مختلفة فى شتى المجالات لخدمة المسلمين ، حيث أن مشاريعها الحالية تفوق قدراتها المادية ولذلك فهى فى أشد الحاجة إلى الدعم المالى ، لإقامة هذه المشاريع ، إنقاذا للأجيال المسلمة القادمة من عواصف الإباحية والضياع والذوبان !!

جهاد فى حقل الدعوة الإسلامية

الحق اقول وبدون مجاملة ، انه بفضل جهاد فضيلة الشيخ تاج الدين مفتى استراليا ، وإمام المركز الإسلامى بسيدنى فى ميدان الدعوة قد هيأ المناخ الإسلامى فى القارة الاسترالية الذى يؤتى ثماره الطيبة بين وقت وآخر فى سبيل تصحيح المفاهيم الإسلامية فى الولايات المختلفة ، عن طريق جولاته المتعددة فيها ، ومنها غرب استراليا ، حيث إن المسلمين بتلك الولاية ، (كنتيجة حتمية للجهل بأحكام الدين ، ولعدم وجود الدعاة المخلصين المتفقهين فى الدين) كانوا يعتقدون بحل أكل الربا ، وشرب الخمور ، وتعاطى المخدرات ، وكذا حل زواج المسلمة من الكتابى : المسيحى واليهودى ، كما أنهم كانوا يعمدون إلى تغريب الأسماء العربية .. هذا بالإضافة إلى تفشى لعب القمار بينهم ، وغير ذلك من التقاليد التى تتعارض مع قيم الإسلام وآدابه .. والأمل كبير فى فضيلة مولانا الإمام الأكبر : إمام المسلمين الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر أن يتفضل مشكورا بإيفاد داعية او أكثر لمساعدة إمام المركز الإسلامى : فى هذا الميدان الرحب الفسيح ، لنشر دين الله القويم ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

رسم القرآن - بقية

وإلى من أراد الوقوف على المزيد من فن الرسم وفن الضبط لآى الكتاب العزيز أن ينظر فى المراجع التالية :

(١) كتاب المقنع فى مرسوم مصاحف أهل الأمصار .

(٢) كتاب النقط فى علم الضبط .

(٣) كتاب المحكم فى نقط المصاحف .

هذه الكتب الثلاثة من تأليف الإمام أبى عمرو الدانى ـ عثمان بن سعيد الدانى ـ المتوفى سنة اربع وأربعين وأربعمائة .

(٤) كتاب عقيلة أتراب القصائد فى أثنى المقاصد فى علم الرسم للإمام الشاطبى ، وشرحها علماء أجلاء كالإمام الجعبرى ،وملا على بن سلطان القارى ، والزبيدى وغيرهم .

(٥) فتح المنان فى رسم القرآن لابن عاشر .

(٦) كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق للإمام عبد الله بن عامر اليحصبى إمام الشام المتوفى ١١٨ هـ .

(٧) كتاب مقطوع القرآن وموصوله .

(٨) كتاب فى هجاء المصاحف ليحيى بن الحارث الزمارى الشامى المتوفى سنة ١٤٥ هـ .

(٩) كتاب مقطوع القرآن وموصوله للإمام حمزة بن حبيب الزيات المتوفى سنة ١٥٦ هـ .

(١٠) كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة ، وأهل البصرة تأليف الإمام الكسائى المتوفى ١٨٩ هـ .

(١١) وألف الفراء المتوفى ٢٠٧ هـ كتابا فى اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام فى المصاحف ـ كتاب (معانى القرآن) كثيراً ما يتحدث عن هجاء بعض الكلمات ، وفيه روايات قيمة عن الكتابة العربية .

(١٢) كتاب عن العربية لخلف بن هشام المتوفى ٢٢٩ هـ .

(١٣) كتاب عن المصاحف لهشام بن خلف المتوفى ٢٢٩ هـ .

(١٤) كتاب هجاء السنة للغازى بن قيس الأندلسى المتوفى ١٩٩ هـ فى رسم المصحف .

(١٥) كتاب هجاء المصاحف لمحمد بن عيسى الأصبهانى المتوفى ٢٥٣ هـ .

(١٦) التنزيل لأبى داود سليمان بن نجاح . اختصره من كتابه الكبير فى علم الرسم ، ويقع فى مجلدات أربعة .

(١٧) كتاب الظرائف فى رسم المصاحف لابن الجزرى .

(١٨) اللؤلؤ المنظوم للإمام المتولى ، وشرحه الشيخ ابن خلف الحسينى شيخ المقارىء الأسبق .

(١٩) سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين للإمام الضباع .

(٢٠) إرشاد القراء والكاتبين وهو الكتاب الذى أخذ منه هجاء المصحف الأميرى . وهو أصح المصاحف التى بين أيدينا . تـأليف أبى عيد محمد بن رضوان المخللاتى .

(٢١) رسم المصحف تأليف أخى العلامة الدكتور عبد الحى الفرماوى .

(٢٢) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية تأليف غانم قدورى الحمد .

وصلى الله على سيدنا محمد النبى العظيم وعلى آله وصحبه وسلم .

مع
"ندوة الجوانب الاقتصادية لأزمة الخليج"
التى أقيمت بمركز صالح كامل - بجامعة الأزهر
٦-٩ ذى القعدة ١٤١١ - ٢٠-٢٣ مايو ١٩٩١

إعداد: مجدى بشير
عادل خفاجة

● **افتتحت الندوة بآيات مباركة من آى الذكر الحكيم .**

من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾
٣٨ ـ ٤٠ من سورة الحج .

تلاها كلمة الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام على مدير المركز ومقرر عام الندوة .

فحمد الله وصلى وسلم على رسوله الكريم وآل بيته .

ثم قدم الشكر للحاضرين وفى مقدمتهم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر .

وأوضح أن الهدف من تنظيم الندوة هو :
ــ تعميق الدراسة لهذه الأزمة، واستخلاص الحلول والنتائج عن طريق دعوة الباحثين والعلماء ليناقشوا مختلف الظواهر الخاصة بها .
شملت الندوة أربعين بحثا ودراسة متجنبة كل مايثير الخلاف ، ويستدعى الرأى والرأى الآخر
وأوضح أن الندوة تتناول ثلاثة جوانب هى الجوانب : الاقتصادية والاجتماعية والتربوية .

الجانب الاقتصادى تناول عشر مشكلات تدور حول الطاقة والبترول والسياسة والاستثمار والأموال والقوى العاملة ، بين الدول الإسلامية جميعا .

وتناول الجانب الاجتماعى وما تلاه :
دراسة ميدانية حول تأثير الأزمة على الأسرة الكويتية .. بهدف معرفة نتائج الأزمة وبخاصة على الشعب الكويتى الذى قاسى أكثر من غيره متسائلة :
هل يمكن التجاوز ، وما أسلوب هذا التجاوز ؟

●●●

وجاءت كلمة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر : (ورئيس الندوة) تالية لكلمة الافتتاح :
اوضح فضيلته أن هذه الأزمة قد حاكتها أيد خفية وظاهرة .

وان تلك الأزمة قد طمست عن العروبة والمسلمين آيات كان العالم من غير المسلمين يستشعرها دون أن يتحدث عنها : عز خالد وقوة كامنة ، كما وضح أن التاريخ الإسلامى لم يسمح للمسلمين بالاستمرار فى البكاء مهما ألمت بهم الملمات ، وإنما استحثهم على الصبر

ومدارسة الواقع ، وصح فيهم قول الله ـ تبارك وتعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً . . . . . ﴾

وأوضح أن تلك الدفعات القرآنية استثارت فى المسلمين حمية الوقوف على الأرض فى ثبات مهما اهتزت بهم الأحوال ، فامتدت دولتهم واتسعت رقعة دينهم من الصين شرقا حتى أوروبا غربا .

أى أن المسلمين اتخذوا من الكبوة قومة ، ومن المصيبة نبراساً، ومن النكسة انطلاقا يوجههم إلى الله .

ثم طالب أن تكون توصيات المؤتمر صوب الأعين ، فهى توصيات صاغها علماؤنا ، ولا شك فى أن الله سيضعنا على الطريق خصوصاً ، ونحن نعلم إمكاناتنا وتكاملنا ، حيث جعل الله من أرضنا خيراً، ومن تحت ارضنا خيراً ، مع وفرة فى القوى البشرية وتكامل فى القوى المادية .

●●●

ثم كانت كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركى رئيس رابطة الجامعات الإسلامية والرئيس الشرف للندوة هى الثالثة ، وقد اشتملت عدة نقاط :

أولاها : أن أزمة الخليج حَدَث له مابعده ، فقد بلغت من الضخامة والعنف والبغى مبلغا يكاد لا يتصوره عقل ، فقد كان تدميراً واسع النطاق للبنية النفطية ، والصناعية والاقتصادية والصحية والتعليمية والإدارية والسكانية لدولة الكويت .

تدميراً ترك آثاره واضحة واسعة المدى غشيت العالم كله واقتحمت على كل إنسان نفسه وبيته ، فبلغ مجموع الخسائر التى تكبدتها الكويت مائة وثلاثين (مليار) دولار ، ولحق العراق تدمير بنحو مائتين وثلاثين (مليار) دولار بالإضافة للخسائر الناتجة عن تعطيل الإنتاج أو تدنى معدلاته على مدى شهور الأزمة والحرب بالإضافة إلى تلوث البيئة تلوثاً مرعبا اتسم بالسعة والكثافة والدوام ، ومازالت المشكلة وستستمر فترة طويلة تعانى منها المنطقة كلها .

ثم كان لها أثرها الدينى والفكرى :

فإنه بسبب التفريق الذاتى والكيد الخارجى تباعد المسلمون عن إسلامهم من جديد ، فغشيهم من المذلة والتخلف ما غشيهم ، وبدافع من دوافع التوبة والاعتبار اتجه المسلمون نحو إسلامهم من جديد ، حتى شكلت ما عرف بيقظة العالم الإسلامى ، وكان اندلاع الأزمة أحدث نكسة مريرة لهذه اليقظة ، وقد استُغِلَّ الإسلام فى هذه الأزمة أسوأ استغلال ، مما كان له أثره السيء على سمعة المسلمين ، فقد صور الإسلام فى صورة المقر للعدوان ، المبارك للبغى ، فباءت اليقظة الإسلامية بما يشوه صورتها من جراء مواقف بعض تياراتها ورموزها .

أما على المستوى السياسى :

فقد أدت الأزمة إلى المزيد من الفرقة والانقسام السياسى الحاد والعميق .

فالجهود العربية التى بذلت ـ أثناء الحرب ـ بين العراق وإيران ؛ لتحقيق التقارب النسبى بين الدول العربية ؛ وليضمن الحد الأدنى من التفاهم والتعاون والتنسيق فى مواجهة تحديات إقليمية وهائلة وعالمية :(سياسية واقتصادية واستراتيجية) قد أهدرتها أزمة الخليج ، واتسع من ثم نطاق الفرقة وحل محلها الريبة ، وسوء الظن والتربص .

ثم جاءت الضربة السياسية للقضية الفلسطينية ، فقد أقحمت القضية الفلسطينية فى محور صارخ الانحياز فى الأزمة،ولم يكن ذلك الإقحام سوى تطوع لما يضر ولا ينفع ، ويؤخر ولا يقدم ، مما مكن الإسرائيليين فى ظل هذا الخطأ من القول : « بأن دعاة تحرير فلسطين قد

مع ندوة الجوانب الاقتصادية

ظاهروا احتلال الكويت » وهو ظلم للقضية وأهلها .

هى ـ بلا شك ـ خسارة سياسية فادحة .

لذلك يجب أن تبذل الجهود الصادقة فى المثابرة فى سبيل إزالتها .

وأكد على أن السبيل إلى إزالتها يتركز فى :

● التعرف الحق على أسباب الأزمة وحجمها ومضاعفاتها .

● والمصارحة التامة بين رجال السياسة والعلم والاقتصاد .

● المناصحة التامة : سبيل رئيسى فى إعادة بناء الأمة دينيا وفكريا وسياسياً واقتصاديا واجتماعيا على أسس صحيحة وراشدة .

وإن العودة الرشيدة الواعية إلى منهج الإسلام فى سائر شئون الحياة هى السبيل الوحيد الذى يشفى هذه الأمة من أسقامها وعللها .

وأنه لابد من إقامة العلاقات السياسية على أسس سليمة تقوم على أساس من الواقع لا على أساس من المصلحة الشخصية أو الظروف الوقتية .

ـ لابد من تعزيز الإرادة الجماعية التى تقضى على كل طغيان وظلم مهما كان مصدره وبدون مجاملة أو مداهنة .

ـ استنقاذ سمعة الإسلام : عن طريق كشف المستغلين لاسمه وشعاره ، وينبغى أن تجرى عملية الكشف بصورة دائمة حتى لا تكون هناك فجوات زمنية ينفذ منها الاستغلال والمستغلون .

ـ العودة السريعة إلى بناء التراث عبر الإنتاج الكثيف كما وكيفا ؛ فليس هناك وسيلة أجدى فى تعويض الخسائر الاقتصادية من وسيلة الإنتاج الواسع النطاق : الراقى نوعا والممتاز كيفا .

ثم كانت كلمة فضيلة الإمام الأكبر :

فأشاد بالندوة واعتبرها منهجاً رشيداً لما حوت من عناصر وموضوعات آملاً أن يسترشد فيها بمنهج القرآن الكريم ، فإن قصصه يقصد إلى تجنب أسباب هلاك الأمم .

وبشأن الخليج اعتبر ما حدث كارثة للجماعة الإنسانية كلهاـحدثاً جعل « كُلًّا يبحث عن موضع قدميه ، ليرى : أين يستقر » .

وقال : إن أولى بجمع الندوة هذا أن يقدم للعاملين فى حقل التربية والتعليم منهج الإسلام فى التربية لتنشأ الأجيال التى تقيم الأمة على ما كانت عليه من مجد وصدارة .

وإذا كانت الندوة من محاورها الاقتصاد ، فعلى رجال الندوة أن يضعوا وضعاً صحيحاً ثابتاً مقنناً القواعد الاقتصادية والإسلامية من القرآن والسنة .

ولابد من حاجة إلى إعادة النظر فيما أصاب جماعتنا الإسلامية من إصابات زلزلت الفكر ، والاقتصاد ، وأواصر القربى والمودة والرحمة . لابد من بسط الطريق الصحيح الذى يؤدى إلى وحدة عمل تنتهى إلى وحدة الأمة . ثم قال :

ولعلى لا أتفق مع الأخ الدكتور جعفر فى قوله : « مالنا وللسياسة إن للسياسة أهلها . ندعها لهم وندعهم لها » .. أقول :

إن السياسة ـ فى رأيى « تنفيذ » وليست « فلسفة » .. إن الإسلام دين ودنيا وسياسة أيضاً .. فإذا شَخَّصت ولم تضع العلاج ، فلم تطلب التنفيذ .. فلا وجود ـ إذاً ـ لسياسة العمل ، وصار التشخيص « أكاديمياً » « نظرياً » فحسب والكتب مملوءة بهذا .

إننى أقول : « سياسة » لتنفيذ ما تنتهون إليه .. يجب أن تضعوها .. تبينوا كيف يُنَفَّذ ما درستم .. ضعوا خطة عمل نطلب تنفيذها .

وأرجو أن يثيبكم الله على ما بذلتم وتبذلون من جهد . وشكر الله لكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توصيات ندوة

"الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتربوية لأزمة الخليج"
المنعقدة في الفترة من ٦-٩ ذي القعدة عام ١٤١١هـ
الموافق ٢٠-٢٣ مايو ١٩٩١م

انطلاقا من اهتمام جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية بما يحدث على الساحة في العالم الإسلامي، ووفاء لرسالتيهما في خدمة الأمة الإسلامية تعاونت المؤسستان الإسلاميتان على تنظيم ندوة علمية برعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر. عقدت بـ (مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الإسلامي) التابع لجامعة الأزهر، وذلك لدراسة اسباب ازمة الخليج وآثارها واستشراف آفاق الأمة الإسلامية في ضوئها.

وقد تدارس اعضاء الندوة مايربو على الثلاثين بحثا، تناولت آثار الأزمة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية التي خلفها العدوان العراقي على الكويت. وبناء على ماجاء في هذه البحوث ومادار حولها من تعقيبات ومناقشات تبين لأعضاء الندوة ان النظام العراقي قد فتح باب الفتنة باجتياحه لدولة الكويت في الثاني من اغسطس عام ١٩٩٠م وما ترتب على ذلك من آثار وتداعيات منها :-

١ - تداعي العالم الأجنبي لمواجهة الأزمة.

٢ - إبادة مئات الآلاف من شباب الشعبين وتدمير منجزاتهما الحضارية التي كافحا من أجل بنائها سنوات طوالا.

٣ - القضاء على البنية الاقتصادية والطاقة التنموية في البلدين.

٤ - اهتزاز الشعور بالأمن بين أبناء القطرين بخاصة وبين الشعوب العربية بعامة.

٥ - الإضرار بالموارد الاقتصادية للأقطار العربية بخاصة، والأقطار الإسلامية بعامة.

٦ - إشاعة الفرقة والانقسام بين أبناء الأمة العربية بخاصة، وأبناء الأمة الإسلامية بعامة.

٧ - تلويث البيئة في منطقة الخليج، وتهديد الحياة البحرية فيه.

٨ - الإضرار البالغ بالقضية الفلسطينية.

٩ - بث موجات من التضليل الإعلامي من قبل النظام العراقي وبعض الدول الأخرى أحدثت بلبلة كبيرة في الأمة.

١٠ - تعزيز قدرات إسرائيل المادية والسياسية والعسكرية.

ويرى أعضاء الندوة أن تستنفر الأمة الإسلامية قدراتها لعلاج آثار هذه الأزمة وفق الثوابت الإسلامية، والمقاصد الشرعية، وذلك لمنع تكرارها.

وتحقيقا لذلك يوصون بالآتي :-

توصيات لجنة الجوانب الاجتماعية

(أ) إن من أسباب أزمة الخليج التقصير فى (تطبيق الشريعة الإسلامية) و (إهمال مبدأ الشورى الإسلامى) بصفة خاصة مما سمح للاستبداد بالرأى والانفراد بالسلطة أن ترتكب هذه الحماقة .

لذا تطالب الندوة الحكومات الإسلامية بتطبيق الشريعة الإسلامية بصفة عـامة ، والالتزام بمبدأ الشورى والتقيد به من جانب الحكام والمحكومين بصفة خاصة .

(ب) توصى المؤسسات التربوية والإعلامية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية للعمل على تحقيق :

- ترسيخ القيم الإسلامية فى نفوس أبناء الأمة ، والعمل على تنميتها والمحافظة عليها لتكون أساسا لسلوكهم فى جميع مناحى الحياة .

- ضرورة التنسيق بين أجهزة الإعـلام ومؤسسات النشر فى الدول الإسلامية وفق استراتيجية واحدة .

- ضرورة الاعتماد على مصادر المعلومات الإسلامية ، وتوخى الحذر فيما يؤخذ من وكالات الأنباء الأجنبية .

- إعادة صياغة مناهج التربية وفق تعاليم الإسلام ، ونظرته للإنسان والكون والحياة والمعرفة ، والالتزام والاهتمام بها فى خطط التعليم بالعلوم الإسلامية التى تعمق الإيمان ، وتصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتمكن المسلم من التفرقة بين الحلال والحرام ، وتعمق شعوره بالهوية الإسلامية .

(جـ) البدء الفورى فى بناء التكامل الاقتصادى بين الأقطار الإسلامية بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتى فى مختلف المجالات وبخاصة مجالى إنتاج الغذاء وتصنيع السلاح .

(د) العمل على تنويع مصادر الدخل القومى فى مختلف الأقطار الإسلامية ، وبناء قاعدة صناعية إسلامية ، وضمان حق العمل والتملك والإقامة ، وتسهيل انتقال العمالة ورءوس الأموال فيما بين هذه الأقطار باعتبارها دار إسلام واحدة .

(هـ) تحث الندوة الحكومات فى الأقطار الإسـلامية عـلى تطويـر النظم والقوانـين الاستثمارية بما يشجع : التملك ، وجذب رأس المال العربى والإسلامى على الاستثمار فى هذه الأقطار .

(و) توصى الندوة بإعطاء الأولوية لمواطنى البلاد الإسلامية فى الاستثمار والعمل ، والتبادل التجارى واستثمار رءوس الأموال العربية والإسلامية فى بلاد المسلمين .

(ز) وتوصى بالمحافظة عـلى احتياطى البترول ، وعدم الإسراف فى استخراجه ، وإعداد كوادر عربية للكشف والتنقيب عنه واستخراجه وتكريره وتصنيعه ، والعمل على تقليل المصدر الخام منه وزيادة المصدر منه مصنعا أو نصف مصنع ، وتوفير رءوس الأموال اللازمة لذلك .

(ح) وتوصى بوضـع (استراتيجية) للتنمية تشمل مختلف البلاد الإسلامية وتضع الأسس اللازمة لإقامة البِنَى الاقتصادية والاجتماعية للأمة ، وتطوير المنظمات الاقتصادية وصناديق التمويل الموجودة فى العالم العربى والإسلامى لتقوم بهذه المسئولية فى إطار تنسيق عام يتولاه البنك الإسلامى للتنمية .

(ط)اتخاذ كافة الإجراءات التنظيميـة والقانونية للحفاظ على سلامة البيئة ، ونشر الوعى البيئى بين أفراد الأمة ، والعمل المشترك على علاج الأضرار التى لحقت بالبيئة بسبب أزمة الخليج .

(ى) توصى الندوة الحكومات ومؤسسات

الإعلام فى الأقطار العربية بخاصة والإسلامية بعامة بتوجيه الإعلام توجيها إسلاميا وتطهره من التأثير العلمانى والمبادىء المناقضة لتعاليم الإسلام .

(ك) حث الدول الإسلامية على حل المنازعات التى تنشأ بينها بالطرق السلمية وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية على أساس الإسلام ، وعرض المنازعات بينها على (محكمة العدل الإسلامية) التى كشفت أزمة الخليج عن وجوب الإسراع فى تشكيلها وبدء عملها .

(ل) توصى الندوة بعقد عدد من المؤتمرات العلمية فى مختلف الأقطار الإسلامية لبحث قضايا التطور المستقبلى للأمة الإسلامية خلال القرن الحادى والعشرين الميلادى .

(م) توصى الندوة منظمة المؤتمر الإسلامى بالإسراع فى إخراج مشروع الدفاع المشترك بين الدول الإسلامية إلى الوجود ، وذلك من أجل تكوين قوة إسلامية تكون درعا إسلاميا واقيا للعالم الإسلامى من أية مؤامرات تحاك ضده .

(ن) تُنَبِّهُ الندوة إلى استغلال إسرائيل لتداعيات حرب الخليج فى استكمال مخططها التوسعى ، وتنامى الهجرة إليها ودعم قدراتها العسكرية والمادية وترسيخ احتلالها للأرض العربية بصفة عامة ، وللقدس بصفة خاصة ، وتوصى الحكومات والشعوب الإسلامية بوحدة الصف وجمع الكلمة للتصدى لهذا المخطط ، ودعوة الشعوب المحبة للسلام للتضامن معها فى رد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وإقامة دولته على أرضه .

(س) توصى المؤسستان المنظمتان للندوة (رابطة الجامعات الإسلامية ، وجامعة الأزهر) بتشكيل لجنة مشتركة لتبليغ هذه التوصيات للجهات المختصة باتخاذ القرار فى كل موضوع على حدة . وتجتمع كل ثلاثة شهور لمتابعة التنفيذ وترفع تقريرا بتوصياتها إلى المؤسستين المنظمتين للندوة .

١١ ـ وأخيرا فإن رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر قد اتفقتا على أن يستمر التعاون المثمر بينهما فى إخراج ندوات على هذا المستوى العلمى فى الأمور التى تهم الجامعات الإسلامية ، وشئون المسلمين بشكل عام .

وقد أعرب المشاركون فى الندوة عن شكرهم لجامعة الأزهر ومركز صالح كامل والمسئولين عن تنظيم هذه الندوة على ماقدموا من تيسيرات وتسهيلات أسهمت فى نجاح هذه الندوة .

ويسألون الله للجميع التوفيق

خطة عمل لتنفيذ توصيات الندوة

١ ـ سيقوم المركز بتشكيل لجنة مهمتها وضع استراتيجية لتنفيذ التوصيات ومتابعتها والاتصال بكافة الجهات والهيئات المعنية بتوصيات اللجنة فى مختلف الدول الإسلامية ، وعمل تقرير كل ثلاثة شهور عن التقدم فى تنفيذ التوصيات ، وكذا التهيئة الإعلامية الكاملة لوضع ماجاء من أفكار فى التوصيات موضع التطبيق العملى .

٢ ـ سترسل توصيات الندوة إلى متخذى القرار فى الجهات المعنية فى كل الدول الإسلامية ، ويطلب منها المبادرة إلى اتخاذ الخطوات اللازمة لوضعها موضع التنفيذ أو إبداء الملاحظات التى قد ترى أنها تقتضى التعديل أو التغيير .

٣ ـ ستعرض على منظمة المؤتمر الإسلامى ماجاء بتوصيات الندوة لتبنيها وعرضها على أقرب مؤتمر وزراء خارجية وأقرب مؤتمر قمة .

٤ ـ ستقوم بإرسال التوصيات إلى الجامعات ، ومراكز البحوث الإسلامية للعمل على إجراء البحوث والدراسات المساعدة .

٥ ـ سيتم إحاطة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتوصيات الندوة لتبنى ماجاء بها والعمل على إقناع الدول الإسلامية بأهمية تنفيذها فى الواقع العملى ، وكذلك عرضها فى مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية .

أنباء وآراء

اعداد عبد المنعم فودة / مصطفى عبد المجيد

انباء مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الإمام الأكبر يشهد الجلسة الافتتاحية لمجلس محافظى البنك الإسلامى للتنمية

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الجلسة الافتتاحية لمجلس محافظى البنك الإسلامى للتنمية الذى عقد فى القاهرة .

وقد أكد فضيلته فى الكلمة التى ألقاها أمام المجلس أن الإسلام جعل الأموال من الضرورات الخمس : (الدين - النفس - العرض - المال - النسل) التى ينبغى الحفاظ عليها وحمايتها وتنميتها بطرق مشروعة .

كما أكد فضيلته على أهمية وضع قاعدة رشيدة لحماية أموال المسلمين، وتنميتها لصالح الأمة الإسلامية .

●●●●●

الإمام الأكبر يلتقى والسيد سفير موريتانيا فى القاهرة

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته والسيد سفير موريتانيا فى القاهرة .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير الذى نقل لفضيلته تحيات وشكر الرئيس الموريتانى - أحمد بن معاوية ولد طايع - على ما يؤديه الأزهر الشريف من خدمات دينية وتعليمية وثقافية لموريتانيا .

تم خلال اللقاء بحث تدعيم أوجه التعاون بين الأزهر وموريتانيا فى مجالى التعليم والدعوة .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على مواصلة الأزهر لرسالته فى موريتانيا وكافة أنحاء العالم الإسلامى .

●●●●●

الإمام الأكبر يلتقى والقائم بالأعمال الإيرانى

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم السبت ٩١/٥/١٨ والقائم بالأعمال الإيرانى .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر فى بداية اللقاء بالقائم بالأعمال الإيرانى الذى قال: إننى أحمل تحيات القيادة السياسية والدينية لفضيلة الإمام الأكبر، والعلماء المصريين، والشعب المسلم المصرى .

وقد تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين

البلدين وبخاصة بين علماء مصر وإيران، وكذلك بين الجامعات المصرية والإيرانية .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر خلال اللقاء على ضرورة وحدة المسلمين أمام العالم فإنهم أمة واحدة ولا تشوه هذه الصورة الأمور المذهبية .

●●●●●

الإمام الأكبر يشهد الاحتفال بتخريج دفعة جديدة من الأئمة والدعاة

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الحفل الختامى للدورة الرابعة عشرة التى نظمها الأزهر للأئمة والدعاة لدول « سنغافورة » ، و« يوغوسلافيا » و« سيريلانكا » و« مالى » و« الفلبين » و« نيجيريا » و« السنغال » و« الكاميرون » .

تأتى هذه الدورة ضمن الدورات التى ينظمها الأزهر الشريف بهدف توجيه الأئمة والدعاة وتأهيلهم للدفاع عن الإسلام والتصدى لحملات التشكيك ومقاومة الغزو الفكرى المعاصر .

●●●●●

إنشاء كلية للدراسات الإسلامية بباريس

وافقت السلطات التعليمية « بفرنسا » على طلب الاتحاد العالمى للمسلمين فى أوروبا بإنشاء كلية للدراسات الإسلامية على أن تمنح الكلية درجتى الماجستير والدكتوراة .

●●●●●

سيرلانكا تحتفل بمرور مائة عام على إنشاء مدرسة زهيرة التى أسسها أحمد عرابى

يحتفل المسلمون « بسيرلانكا » بمرور مائة عام على إنشاء مدرسة زهيرة التى أسسها الزعيم أحمد عرابى خلال فترة نفيه عام ١٨٩١ هناك .

وقد وجهت الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر لحضور هذا الاحتفال .

●●●●●

المسلمون بالصين

فى إحصاء بثته الإذاعة اللندنية نقلا عن وكالة الأنباء الإسلامية عن المسلمين بالصين .

ذكر فيه أن عدد المسلمين فى الصين بلغ حوالى ١٥ مليون مسلم فى كافة المدن والمناطق الصينية .

وقد تأسس مؤخرا المعهد الإسلامى الصينى لإعداد الأئمة والدعاة ، وقام المعهد بطبع ونشر القرآن الكريم وعقد الندوات وتدريس العلوم الدينية .

والجدير بالذكر أنه يوجد بالصين حوالى ٤٠ ألف مسجد .

قائمة المراجع

١ ـ ثلاثة لقاءات مع الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام الأول بتاريخ ٨٩/١١/٢٤ م والثانى : بتاريخ ١٩٩١/٤/٢٠ والثالث بتاريخ : ١٩٩١/٥/٦ م بالمجمع .

٢ ـ الموسوعة القومية للشخصيات المصرية البارزة ط أولى ١٩٨٩ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

٣ ـ المجمعيون بقلم د . مهدى علام نائب رئيس المجمع الهيئة العامة للاستعلامات ط المجمع ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ص ٣٢٣ ، ٣٢٨ وغيرهما .

٤ ـ تقويم دار العلوم بمناسبة العيد الماسى يصدر لمرور (٧٥) عاما على المدرسة (١٨٧٢ ـ ١٩٤٧ م) فى مواضع متعددة لمحمد عبد الجواد ط : دار معارف مصر ص ٧٥٣ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ص ٦٤٧ ، ٦٥٠ .

٥ ـ مهمة الشاعر فى الحياة لسيد قطب ، تقديم د . مهدى علام ص ١٣ .

٦ ـ سجل أعضاء المجمع ص ٣ ،٤ ، ٥ ، ص ٣١ وهو سجل خاص بأعضاء مجمع البحوث الإسلامية .

٧ ـ الأزهر فى اثنى عشر عاماً من مطبوعات الأزهر بلا تاريخ ص ١٩٨ ، ٢٠٠ .

٨ ـ مذكرات طلبة مدرسة المعلمين الناصرية العليا (دار العلوم) تأليف محمد مهدى علام طالب بمدرسة المعلمين الناصرية العليا ط ١٩١٩ .

٩ ـ فلسفة الكذب للدكتور محمد مهدى علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية ط ثانية ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م . عن مكتبة التراث الإسلامى .

١٠ ـ لقاءان مع الدكتور محمد نايل ، والدكتور أحمد فهمى أبو سنة ، ولقاء مع الدكتور محمد رجب البيومى .

١١ ـ جلسات مجمع البحوث الإسلامية وخاصة الجلسة رقم (٩) من الدورة التاسعة للمجلس بتاريخ ١٩٧٣/٧/١ ، والجلسة السادسة من الدورة العاشرة بتاريخ ١٩٧٤/٤/٢٣ .

١٢ ـ الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبو شهبة ، طبعة المجمع ١٩٨٥ م .

١٣ ـ مدرسة المسجد للدكتور محمد رجب البيومى نسخة مهداة من المؤلف لكاتب المقال ـ ط ١٩٨١ م بتاريخ ١٩٩٠/٦/١٨ .

١٤ ـ جريدة الأهرام عدد الجمعة ١٩٩١/٥/٣ م ص ١٣ .

١٥ ـ خطاب شكر وتقدير من الدكتور همت أبو شبانة إلى الدكتور مهدى بتاريخ ١٩٩٠/٤/٢٥ م .

الفهرس السنوى للكتاب

إعداد
سيد أحمد الغرباوى
محمد زكى حسن

اسم الكاتب	الصفحة
حرف الألف	
إبراهيم عطوة عوض (الشيخ)	١١١٤
	١٣٤٤
أبو إسماعيل الحسين بن على الطغرائى (الشاعر)	٣٢٦
أبو البقاء الراندى (الشاعر)	٢٠٢
أبو العلاء المعرى (الشاعر)	٦٧١
أبو المعاطى محمد ابو رحاب (الأستاذ)	١٩٨
أبو نواس (الشاعر)	١٢٦١
احمد بن محمد طاحون (الشيخ)	٢٨٦
احمد الحفناوى (الدكتور)	١٥٨
	٥٢٨
	٦٤٧
	٧٤٥
	٨٩٩
احمد السيد تقى الدين (محرر)	١٠٩
	٣١٤

اسم الكاتب	الصفحة
	٥٥٧
	٧٠٠
	٧٩٨
	٨٩٠
	١٠١٠
	١١٤٣
	١٢٥٢
	١٣٧٢
احمد المنشاوى الوردانى (الأستاذ)	٧١
	١٠٣٦
احمد حسن مسلم (الشيخ)	١٢١٢
احمد رجب محمد على (الأستاذ)	٣١٨
	٥٥٢
احمد شلبى (الدكتور)	١٠١٤
احمد محمد على حنطور (الدكتور)	١٠٤٠
	١١٤٨
احمد محمود مبارك (الأستاذ)	١٠٢
احمد عبد الحميد غراب (الدكتور)	١٦٩

اسم الكاتب	الصفحة
	٤٤٧
	٥٤٠
احمد عبد الخالق محمد (الدكتور)	٣٩٩
	٥٠٩
	٦٢٣
	٨٤٧
	١٢٠٦
احمد عرفات القاضى (الأستاذ)	٤٤١
	٦٥٣
احمد فؤاد باشا	٨٢
	٢١٤
	٣٣٤
	٤٥٨
	٥٧٤
	٦٧٢
	٨٠٥
	٩١٦
	١١٥٢
	١٢٦٨
	١٣٥٨
احمد فهمى ابو سنة (الدكتور)	٢٩
	٢٨٠
	٧٥٢
إعداد قسم التحرير بالمجلة	٤٢٢
	١٠٢٦
	١٣٠٣
اعضاء لجنة الفتوى بالأزهر	٧٤٠
الازهر الشريف	١٤٦
	٢٥٩
الإمام الشافعى	٩١٢
البحترى	١١٤٦
البهاء زهير (الشاعر)	٩١٤

اسم الكاتب	الصفحة
السيد تقى الدين (الدكتور)	٥٨
السيد الجميلى (الدكتور)	٨٦٠
السيد الصديق (الدكتور)	٦٦٨
السيد حسن قرون (الأستاذ)	٣٩
	٥٤٤
	٦٩٤
	٩٣٦
	١٣٧٢
السيد عبد الفتاح خضير (الأستاذ)	٣١٢
الشريف الرضى (الشاعر)	١٢٦٠
الشئون الفنية	١١٤
الطيب النجار (الشيخ)	٥٨٠
العلماء والدعاة	٨٥٣
الفرزدق والبحترى (الشاعران)	٥٦٤
المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة	٤٠٢
	٤٠٦
ايمن محمد ميدان (الأستاذ)	٥٥
	٣٢٨
	٥٨٤
	٩٤١
	١٢٦٣
	١٣٩٦

حـــرف البـاء

حـــرف التـاء

اسم الكاتب	الصفحة
توفيق محمد شاهين (الدكتور)	٧٨٠
	٩٣٠
	١٠٦٦
	١١٧٢
	١٢٩٠

اسم الكاتب	الصفحة
حـــرف الثـاء	
حـــرف الجيـم	
جابر منصور مغربى (الشيخ)	٩٧٨
جاد الحق على جاد الحق (شيخ الأزهر)	١
	٨
	٢٢
	١٤٤
	١٤٧
	١٥٥
	٢٦٢
	٣٩٤
	٣٩٨
	٥٠٢
	٥٠٤
	٥٠٩
	٦١٧
	٦٢٠
	٦٢١
	٦٢٢
	٧٢٤
	٧٣٨
	٨٤٤
	٨٤٧
	٩٦٤
	٩٦٨
	١٠٩٢
	١٠٩٧
	١٠٩٨
	١٢٠٤
	١٢٠٦

اسم الكاتب	الصفحة
جريدة البيان بالإمارات	٥٠٦
جرير بن عطية التميمى (الشاعر)	٢٠٤
جميل صدقى الزهاوى (الشاعر)	٤٥٤
حـــرف الحـاء	
حامد جامع (وكيل الأزهر)	٩٠٦
حسن علام (الأستاذ)	١١
حسن على العنيبسى (الأستاذ)	٤١٧
	١٢٤٨
حسين محمد قنديل (الدكتور)	٩٨١
	١١٢٢
	١٢١٤
حـــرف الخـاء	
حـــرف الـدال	
دريد عبد القادر نورى (الدكتور)	٤٧٥
دعبل الخزاعى (الشاعر)	٤٥٢
حـــرف الـذال	
حـــرف الـراء	
رجاء إبراهيم سليم (الدكتورة)	١٠٣٠
رشاد محمد يوسف (الأستاذ)	٧٠
	٣٢٤
	٥٦٢
	٩١٢
	١٣٩٢
رفعت المرصفى (الأستاذ)	١٠٣٩
حـــرف الـزاى	
زكى محمد إسماعيل (الدكتور)	١٠٤٦

اسم الكاتب	الصفحة
	١٢٧٤
	١٤٠٢
زكى مشعل (الدكتور)	١٩٥
حـــرف السيـن	
سامى صالح الوكيل (الدكتور)	٢٣٣
سيد حسن قرون (الأستاذ)	٤٥٣
سيد سيد عبد الرازق (الأستاذ)	٤٧٢
حـــرف الشيـن	
شعبان محمد موسى (الدكتور)	٦٩٨
	١١٧٦
	١٢٩٤
حـــرف الصـاد	
صفوت عبد الجواد (محرر)	١١٥
	٢٤٠
	٥٧٩
حـــرف الضـاد	
حـــرف الطـاء	
حـــرف الظـاء	
حـــرف العيـن	
عادل رفاعى خفاجة (محرر)	١٠٩
	١٣١
	٣٦٠
	٤٨٠
	٧٣٣
	٩٠٩
	١٠٧١
	١١٨١
	١٢٣٣
	١٤٢٢
عاطف شحاته زهران (الأستاذ)	٢٣٠
عبد البصير خليفة حسن (الدكتور)	١٠٠٣
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى (الأستاذ)	٤٢
	٢٧١
	٩٧٤
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب (سكرتير التحرير)	٩٠
	٢٠٦
	٣٤٤
	٤٦٦
	٥٧٢
	٦٨٠
	٧٦٢
	٩٢٤
	١٠٦٠
	١١٦٢
	١٢٨٤
	١٤١٦
عبد الحميد الغزالى (الدكتور)	٦٣٩
	٨٨٣
عبد الرءوف محمد عثمان (الدكتور)	٣٥٠
عبد الستار عبد اللطيف احمد سعيد (الأستاذ)	٩٨
	٢٢٥
عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المفتى)	٦٣٤

اسم الكاتب	الصفحة
عبد العزيز عزت عبد الجليل	١٧٩
(الدكتور)	٥٩٢
عبد العزيز غنيم عبد القادر	٤٧
(الدكتور)	٢٩٠
	٦٢٩
عبد العظيم محمود الديب	٧٠٠
(الدكتور)	٧٩٨
عبد الفتاح حسين الزيات	٩٢
(الأستاذ)	٢٠٨
	٣٤٦
	٤٦٨
	٥٨٠
	٦٧٧
	٦١٢
	٩٢٦
	١٠٦٢
	١١٦٧
	١٢٨٦
	١٤١٨
عبد المقصود محمد نصار (الدكتور)	١٠٠٦
عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٥٣٥
(الشيخ)	١١٤٠
	١٤٠٦
عبد المنعم حافظ فوده (أنباء وآراء)	١١٥
	٣٦٩
	٤٨٢
	٥٩٤
	٧٠٤
	٨١٨
	٩٤٥

اسم الكاتب	الصفحة
	١٠٧٧
	١١٨٦
	١٣٠٠
	١٤٢٨
عبد المنعم محمد عمر (الأستاذ)	٢٦٨
عبد الموجود محمد عبد اللطيف	٧٨٩
(الدكتور)	
عبير محمد عبد الواحد (طالبة)	٩٤٧
عليه الجعار (الشاعرة)	١٠٢
	٩١٥
على احمد الخطيب (رئيس التحرير)	٥
	١٢٩
	٢٥٧
	٣٨٥
	٤٩٧
	٦٠٩
	٧٢١
	٩٦١
	١٠٨٩
	١٢٠١
	١٣٢٩
على حامد عبد الرحيم (محرر)	٦٢٦
	٧٤٢
	٨٦٣
	٩٩٢
	١١٠٣
	١٢٠٨
	١٣٥٤
على محمود طه (الأستاذ)	٧٧٦
عمر موسى البرعى	٦٧٠
(الأستاذ)	١١٤٧

اسم الكاتب	الصفحة
حـــرف الغين	
حـــرف الفاء	
فتحى محمد بدر (الشيخ)	٤٤٥
فرج الله عبد البارى (الدكتور)	٨٩٤
	١٢٣٢
	١٣٥٠
فكرى ياسين (الشيخ)	٨١٢
فوزى محمد طايل (الدكتور)	٢٣٣
	١٠٢٠
	١١٣٤
	١٢٢٤
	١٣٦٤
حـــرف القـاف	
حـــرف الكـاف	
حـــرف الـلام	
حـــرف الميـم	
مجاهد توفيق الجندى (الدكتور)	٣٠٣
مجدى حسن الانور (الأستاذ)	١٤٧
مجدى عبد الحميد بشير (الأستاذ)	٦٣
	٤٦٢
	١٢٩٧
	١٤٢٢
محسن عبد المعطى عبد ربه (الشاعر)	٧٧٩
محمد إبراهيم محمد ابو عجل (الدكتور)	٣٦٠
محمد احمد المفتى (دكتور)	٢٣٣
محمد أحمد مزيد (الدكتور)	٨٧

اسم الكاتب	الصفحة
محمد الأحمدى (الشيخ)	٣٠٣
	٤٢٦
محمد البهى (الدكتور)	٧٢٨
محمد الدسوقى (الدكتور)	٥١٥
	١١٠٦
محمد المتناوى (الأستاذ)	٥٠
	١٧٤
	٢٩٧
	٤٣٤
محمد بهاء الدين محمود حنفى (الدكتور)	٦٦٢
	٩٩٥
محمد جمال الدين محفوظ (اللواء)	١٨٣
	٤١١
	٧٥٥
	١٢١٩
محمد حافظ سليمان (الشيخ)	٥٢٠
	٨٧٨
محمد حسام الدين (الشيخ)	٥٦٦
	٦٨٢
	٧٦٤
	٨٦٦
	٩٨٨
	١١٢٩
	١٣٦٠
محمد حسن عبد الخالق (الدكتور)	٦٥٩
محمد حسنى مبارك (الرئيس)	١٣٩
	٣٨٨
	٨٣٣
	١
	جـ ١٠
محمد رجب البيومى (الدكتور)	٣٠٨

اسم الكاتب	الصفحة
	٦٨٦
	٧٦٩
	١١١٧
محمد سلطان لطيف (الأستاذ)	٧٢
محمد صابر البرديسى	٤٠٨
محمد ضياء الدين الصابونى (الشاعر)	٣٢٥
محمد شلبى (الأستاذ)	٣٦٦
محمد عبد الرحمن سلامة (الدكتور)	٣٣٩
محمد عبد الرحمن صان الدين (الأستاذ)	٧٤
	٢٠٥
	١٢٦٢
محمد عبد العزيز عبد اللطيف (الأستاذ)	١٦٤
محمد عزت الطهطاوى (المستشار)	٥٤٧
	١٢٣٦
محمد مصطفى شلبى (الدكتور)	٨٧١
محمد يوسف موسى (الدكتور)	٩٢٦
محمد على الطعمى (الشيخ)	٢٧٦
محمد فريد وجدى (الأستاذ)	٩٢
	١٠٦٢
محمد محمد المدنى (الأستاذ)	٣٤٦
	٤٦٨
	٦٧٧
محمد يوسف موسى (الدكتور)	١٢٨٦
محمود النواوى	١١٦٧
محمود شاور ربيع (الأستاذ)	٧٧٨
	١٠٣٨
محمود عبد الرازق عقباوى (الأستاذ)	١٠٥٤
محمود عبد المتجلى خليفة (الدكتور)	١٢٥٥
محمود محمد رسلان (الدكتور)	٥١٢

اسم الكاتب	الصفحة
	١١٠٠
مصطفى عبد المجيد (أنباء وآراء)	٨١٦
	٩٤٤
	١٠٧٦
	١١٨٩
	١٣٠٠
معوض عوض إبراهيم (الشيخ)	٣٦
منير عبد الفتاح عبد الحميد (كيميائى)	٢١٩
مهدى عبد الحميد (الشيخ)	٢٦٢
	٥٠٦
	٧٦٠
موسى مدنى مصطفى (الدكتور)	١١٥٦

حرف النون

اسم الكاتب	الصفحة
ناصر محمود وهدان (الأستاذ)	٧٥
	١٣٧٩
نجوى السيد احمد (الدكتورة)	٨١٠
	٩٢٢
	١٠٥١
	١١٦٤
	١٢٨١
	١٤١٣
نظام الدين عبد الحميد (الأستاذ)	٢٠٨

حرف الهاء

حرف الياء

اسم الكاتب	الصفحة
يوسف عبد الغنى على (الدكتور)	١٨٩

الفهرس السنوي للمقالات

المجلد الثالث والستون ١٤١١ هـ
مرتبا حسب الحروف الهجائية

إعداد
أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
محمد عبد اللطيف عثمان

جرى الترتيب على نظم الحروف الهجائية بدون اعتبار (الـ) في اسم المقال فعلى الباحث في هذا الفهرس أن يسقط (الـ) من اسم المقال وينظر ما يليه ، وإذا كان (الـ) في علم فإنه يعتد به ويدرج في باب الألف .

الموضوع	الصفحة
حرف الألف	
- ابتهال (قصيدة)	١٠٤٧
- ابن القيم وحديث في أصول اللغة	٩٣٠
	١٠٦٦
- ابو زيد شلبي (من أعلام الأزهر)	١٩٨
- اثر الصيام في تقويم الشخصية الإنسانية (من روائع الماضي)	١٠٦٢
- الأجيال الجديدة من التقنيات المتقدمة	٨٢
	٢١٤
- أحد وثباته - ﷺ -	١٠٠٣
- احذر قبل فوات الأوان (قصيدة)	٣٢٤
- احمد الحملاوى (من أعلام الأزهر)	١٠٥٤
- اخبار العلم	٥٧٩
- اختيار ملكة جمال في مصر	٧٤٠
- الأذان (قصيدة)	٦٧٠
- ارباح البنوك	١٣٣٨
- ارض مصر (قصيدة)	٩١٤
- استجابة الحكومة الهندية لنداء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٦٢٢
- استخبارات النبي - ﷺ - ودورها في تامين المسلمين	٧٥٥
- الإسراء والمعراج ملامح وإرشادات	٧٢٤
- الإسلام يترفع بالمسلم عن ذل السؤال	٢٨٦

الموضوع	الصفحة
ـ اشرار ام اغرار	١٢٩٧
ـ اشراقة رمضان (قصيدة)	١٠٣٩
ـ الأشعة الكونية	٣٣٩
ـ اضـواء على تـاريخ الثقـافـة الإسلامية فى غرب افريقيا	٦٤٧
	٧٤٥
	٨٩٩
ـ اضواء على صلاة الاستسقاء	٧٦٠
ـ إعلان مكة المكرمة إلى الأمـة الإسـلامية الصـادر عن العلماء والدعاة ٢٣ ـ ٢٥ جمادى الآخرة .	٨٥٣
ـ الحسينى شحاته (من أعـلام الأزهر)	١٢٥٥
ـ الاغتصاب فى أرض الإسراء . حتى لا ننسى هؤلاء الصهاينة ! « سماعون للكذب أكالون للسحت » املاك العرب فى بطون صهيون	٧٣٣
ـ الأقليات الإسلاميـة فى جنوب الباسيفيكى	٥٥٧
ـ آلام الزمخشرى ومقاماته	١١٧٦
	١٢٩٤
ـ الا من وحدة لهذه الأمة تدفع اشجانها ؟	٤٩٧
ـ الا هل بلغت	١٣٥٨
ـ الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم	١١٠٠

الموضوع	الصفحة
ـ اللـــــه	٢٥٧
	٣٨٥
ـ إلى ابناء هذا الزمان : عقوق (قصيدة)	٩١٥
ـ إلى الدكتورة سعـاد الصباح : لا تحزنى (قصيدة)	٤٥٣
ـ اما آن لهذا الصحابى أن يسترد حقه ؟	٣٩
ـ الإمام الأكبر فى حديث هام لمجلة آخر ساعة	١١
ـ أمّ معبد فى طريق الهجرة النبوية (قصيدة)	٧١
ـ الأمن نعمة والصلح خير	٨٧٨
ـ انباء وآراء	١١٤
	٢٤٠
	٣٦٩
	٤٨٢
	٥٩٤
	٧٠٤
	٨١٦
	٩٤٤
	١٠٧٦
	١١٨٦
	١٣٠٠
	١٤٢٨
ـ انكار ابن سبا نقش على الماء	٦٥٣
ـ اول بيان سياسى للخلافة فى الإسلام	١٠٠٦

الموضوع	الصفحة
- أيام بغداد (قصيدة)	٤٥٤
- أيها الشيطان (قصيدة)	٢٠٥
حرف الباء	
- بكائية في ثنيات الوداع (قصيدة)	٦٦٨
- بيان من الأزهر الشريف	٣٩٨
- بيان من الأزهر الشريف حول احداث الكويت وما تبعها .	٢٥٩
- بيان من مشيخة الأزهر الشريف حول العدوان على المساجد في الهند	٦٢١
- بيان من مشيخة الأزهر في شأن تدوين الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة على أوراق النتائج وغيرها ثم تمزيقها والقائها في المهملات	٦٢٠
- بيان ونداء من الأزهر الشريف في ذكرى الإسراء والمعراج إلى الأمة الإسلامية وإلى الرئيس العراقي صدام حسين .	٨٤٤
- بيان ونداء من الأزهر الشريف في شأن الفارين من العراق إلى إيران وتركيا	١٠٩٨
حرف التاء	
- تأملات في الحياة والموت (قصيدة)	٦٧١
- تأملات في الحياة والناس (قصيدة)	٩١٢
- تأمين المصالح الحكومية	١٣٣٦
- تحية شعرية لمصر الحبيبة (قصيدة)	٣٢٥

الموضوع	الصفحة
- التساؤل والاختلاف (من روائع الماضى)	٨١٢
التأصيل الإسلامى لعلم الإنسان	١٤٠٢
- التعليم والثقافة في ظلال الإسلام من عصر النبوة إلى العصر الحديث	٥٨
- تقرير عن مشروع الغاء القسم العالى من معهدى اسكندرية وطنطا (من تاريخ الأزهر)	٣٠٣ ٤٢٦
- التليفزيون بين الترفيه والإثارة	٢٣٠
- التنظيم الهندسى للدفاع عن المدينة في غزوة الأحزاب	٤١١
- تهنئة فضيلة الإمام الأكبر بعيد الفطر المبارك إلى ابنائه وإخوانه رجال القوات المسلحة المصرية بالكويت	١٠٩٧
- التوصيات الختامية لندوة نحو سوق إسلامية مشتركة	١٣٠٣
توصيات ندوة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتربوية لأزمة الخليج	١٤٢٥
حرف الثاء	
- ثلاث بثلاث	١٠٨٩
- ثلاثة مساجد وثلاث دلالات	٧٢٨
حرف الجيم	
- الجديد في العلم والتقنية	٨١٠ ٩٢٢ ١٠٥١ ١١٦٤ ١٢٨١ ١٤١٣
- الجديد القديم في عالمنا الشرقى اين الحكم المسموع ؟	٥٤٤
- جزاك الله مغفرة (قصيدة)	٢٠٤

الموضوع	الصفحة
ـ جند الله لا يقهرون	١٢١٩

حــرف الحـاء

الموضوع	الصفحة
ـ حج رسول الله	
ـ الحج من الناحية الفلسفية	١٢٨٦
ـ حديث صحفى مع فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لجريدة البيان التى تصدر فى دولة الإمارات العربية المتحدة	٥٠٦
ـ حسين محمد حسين مخلوف (من اعلام الأزهر)	٥٦٦ ٦٨٢ ٧٦٤
ـ حضارة الإسلام وحضارة الغرب فى افريقيا	٤٢٢
ـ حكمة التفاوت بين الناس (من روائع الماضى)	٤٦٨
ـ الحمل عن طريق صوفة	١٥٥
ـ حوادث العراق والكويت تحقيق صحفى لصحيفة الاتحاد الظبيانية	٢٦٢
ـ حول توريث البنات	٨٧١
ـ حول ديوان : ابنة الإسلام	١٠٢

حــرف الخـاء

الموضوع	الصفحة
ـ الخريف (قصيدة)	٧٢
ـ خطبة الجمعة من العربية إلى الترجمة	٦١٢

حــرف الـدال

الموضوع	الصفحة
ـ دراسة فى الطب : امراض وإصابات المفاصل	٨٧
ـ الدعوة الإسلامية فى كينيا	١٠٢٦
ـ دين الله الإسلام منبع الشرائع (من روائع الماضى)	٢٠٨
ـ الدين روح الحياة ونورها هاديها ومرشدها	١٩٥
ـ الدين والأبواب الخلفية	٧٢١
ـ الدين والأخلاق (من روائع الماضى)	٩٢٦
ـ ديوان افنون التغلبى	١٢٦٣ ١٣٩٦

حــرف الـذال

الموضوع	الصفحة
ـ ذكر الله عز وجل	١٢١٢
ـ ذكرى الهجرة النبوية (من روائع الماضى)	٩٢
ـ ذلك الجمع المفتوح فى لغتنا الخالدة	٣٥٠

حــرف الـراء

الموضوع	الصفحة
ـ راى الاهرام : الأزهر الشريف وإدانة الإسلام للعدوان	١٤٦
ـ رثاء الأندلس (قصيدة)	٢٠٢
ـ رد لفضيلة الشيخ إبراهيم عطوة عوض	١١١٤
ـ رسم القرآن	١٣٤٤

حــرف الـزاى

الموضوع	الصفحة
ـ زهد سيد الزاهدين ـ ﷺ ـ	٥
ـ زيد بن ثابت	٤٧

حــرف السيـن

الموضوع	الصفحة
ـ سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء	٥١٢

الموضوع	الصفحة
ـ سعد بن ابى وقاص فارس الحرب والسلام	٢٩٠
ـ السنة النبوية بين دعاة الفتنة وادعياء العلم	٧٨٩
ـ سيد سليمان الندوى (من أعلام الفكر الإسلامى فى شبه القارة)	١٧٩

حـــرف الشيــن

الموضوع	الصفحة
ـ شاعران وذئب (قصيدة)	٥٦٤
ـ شعراء فى محراب النبوة : كعب بن مالك الانصارى	٣٢٨

حـــرف الصـاد

الموضوع	الصفحة
ـ الصحابة القراء : إمام الفقهاء وكنز العلماء : معاذ بن جبل	٦٢٩
ـ الصحابى الجليل : ابو هريـرة عبد الرحمن بن صخر ـ رضى الله عنه ـ	٥٣٥
ـ الصحابى الجليل ذو الصوت الحسن أبو موسى الأشعرى	١١٤٠
ـ الصوم عن الغير فى الفقه الإسلامى	٩٨١
	١١٢٢
	١٢١٤

حـــرف الضـاد

حـــرف الطـاء

الموضوع	الصفحة
ـ طرائف ومواقف	٩٠
	٢٠٦
	٣٤٤
	٤٦٦
	٥٧٢
	٦٨٠
	٧٦٢
	٩٢٤
	١٠٦٠
	١١٦٢
	١٢٨٤
	١٤١٦

حـــرف الظـاء

حـــرف العيــن

الموضوع	الصفحة
ـ عبد الكريم جرمانوس (من أعلام الأزهر)	٦٨٦
	٧٦٩
ـ عبد الله بن سبا بين الحقيقة والأسطورة	٤٤١
ـ عبد الله عبد الخالق المشد نوفمبر ١٩٠٣ ـ سبتمبر ١٩٩٠ (من أعلام الأزهر)	٤٥٥
ـ عبدة الأهواء (من روائع الماضى)	٣٤٦
ـ عرض وتلخيص لكتاب تدوين السير والمغازى	٥٩٢
ـ عصر الإيمان	١١١٧
ـ علموهم يكونوا لكم (من روائع الماضى)	٦٧٧
ـ العلوم الكونية التاصيل الإسلامى لعلم الإنسان	١٠٤٦
	١٢٧٤
	١٤٠٢
ـ العلوم الكونية ثورة الموصلات الفائقة عالية الحرارة	٣٣٤
ـ العلوم الكونية فى التراث الإسلامى	٤٥٨
	٥٨٤
	٦٧٢

الموضوع	الصفحة
	٨٠٥
	٩١٦
	١١٥٢
	١٢٦٨
ـ على حسن عبد القادر (من أعلام الأزهر)	٩٠٦
ـ على درب التوحيد (قصيدة)	٧٠
ـ عمرو بن كلثوم ـ سيرة حياة ـ	٥٨٤
ـ عيد الأضحى المبارك	٨
ـ عيد الفطر وثمرات الصوم	١٠٩٢

حـــرف الغيـن

حـــرف الفـاء

الموضوع	الصفحة
ـ الفتاوى	٨٩٠
	١٠١٠
	١١٤٣
	١٢٥٢
	١٣٧٦
ـ فتح جزيرة قبرص اول عملية إبرار بحرى فى تاريخ المسلمين	١٨٣
ـ فتويان	٢٢
	٥٠٢
	٥٠٤
ـ فتوى ارباح البنوك فى البلاد الغربية	١٣٣٨
ـ فتوى تامين المصالح الحكومية	١٣٣٦
ـ فتوى فى بعض احكام تتعلق بالأقليات الإسلامية فى غير ديار المسلمين	٦١٧
ـ فتوى فى حكم التعامل مع شركات التامين ابتغاء شراء دار أو ادخار ـ	٧٣٨

الموضوع	الصفحة
تقاعد أو مصروفات الطلاب فى التعليم	
ـ الفدائية والتهلكة	٣٠٨
ـ فضيلة الرضا	٣١٢
ـ الفكر الغربى وخطره على العقيدة الإسلامية	١٨٩
ـ فلسطين واليهود	١٠١٤
ـ فى ذكرى ميلاد الرسول محمد ـ ﷺ ـ	٣٩٤
ـ فى ذكرى الهجرة الطيبة ـ على مفترق الطريق	٣٦
ـ فى العدل والجور (من روائع الماضى)	١١٦٧
ـ فى الفخر (قصيدة)	١٢٦٠
ـ فى ليلة الإسراء والمعراج (مع الرئيس حسنى مبارك)	٨٣٣
ـ فى مدح آل رسول الله ـ ﷺ ـ (قصيدة)	٤٥٢
ـ فى الهجرة ـ فقه وقيم ومثل	١

حـــرف القـاف

الموضوع	الصفحة
ـ القارة الاسترالية	١٤٠٦
ـ قبس من انوار النبوة	٦٢٦
	٧٤٢
	٨٦٣
	٩٩٢
	١١٠٣
	١٢٠٨
	١٣٥٤

الموضوع	الصفحة
- القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية	١٠٢٠ ١١٣٤ ١٢٢٤ ١٣٦٤
- قراءة فى كتاب تاريخ الإسلام فى افريقيا جنوب الصحراء من القرن ٤ - ١٠هـ ١٠ - ١٦م .	٤٧٥
- قراءة فى كتاب المنهج فى كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامى	٧٠٠ ٧٩٨
- قرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامى العالمى لمناقشة الأوضاع الحاضرة فى الخليج المنعقد بمكة المكرمة فى الفترة من ٢١ - ٢٣/٢/١٤١١هـ	٤٠٦
- القربـــان	٢٧٦
- قصيدة العباس فى مدح الرسول - ﷺ - دراسة نصية منهجية	١٠٤٠ ١١٤٨
- قضية القضايا الاقتصادية - سعر الفائدة أم معدل الربح ؟ كالية لإدارة النشاط الاقتصادى المعاصر	٦٣٩ ٨٨٣
- القطامى وفخره بتقاليد البادية	٩٣٦
- قطرات من الندم والاستغفار (قصيدة)	١٢٦١
حــرف الكـاف	
- كشمير المسلمة	٣١٤
- كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك فى حفل افتتاح مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية	١٣٩
- كلمة وبيان فى الحوادث الراهنة	٦٣٤
- كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أمام المؤتمر العام الرابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .	١٢٠٤
حــرف اللام	
- لا تعارض فى آيات الكتاب الكريم (من روائع الماضى)	٥٨٠
- لا همّ عند يوسف على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام	٨٦٠
- لحظات طيبات	١٠٧١ ١١٨١ ١٢٤٤
- لقاء الإمام الأكبر بوفد الأساتذة والباحثين الأجانب	١٤٧
- اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر والسيد سفير الهند بالقاهرة	٦٢٣
- اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وصحيفة نيوزويك والتليفزيون اليابانى ومراسل وكالة انباء الشرق الأوسط	٩٦٨
- اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ومراسلى الصحف والإذاعات الأجنبية	٨٤٧
- لقاء فضيلة الإمام الأكبر والحاج عبد الحميد محمد ازور وزير الدولة للشئون الإسلامية فى سرى لانكا	٥٠٩
- لقاء فضيلة الإمام الأكبر والسيد سفير الولايات المتحدة بالقاهرة	٣٩٩
- لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ومفتى جمهورية الصين	١٢٠٦
- ليبيريا والإسلام	٥٠ ١٧٤

الموضوع	الصفحة
	٢٩٧
	٤٣٤
- ليلة القدر فى خطاب الرئيس مبارك	١ جـ ١٠

حـــرف الميـم

الموضوع	الصفحة
- ما اضيق العيش لولا فسحة الامل	٣٢٦
- ما وراء النظريات فى البحث عن نشاة اللغة	٧٨٠
- الماوردى قاضيا : ٣٦٤هـ - ٤٥٠هـ	٥٥
- مايمحو الله به الخطايا	٤٠٨
- ماينبغى ان تعرفه عن نسب خير من جاء الوجود - ﷺ -	٢٧١
- مؤتمر القمة العربى الطارىء	١٣٢
- مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية التاسع عشر	١٣٨
- المثل الغائبة (قصيدة)	٧٤
- محمد إقبال ويوم من حياته	٣٦٦
- محمد خليل الخطيب (من أعلام الأزهر)	٩٠٩
- محمد شمس الدين إبراهيم - عضو مجمع البحوث الإسلامية - وطرف من تاريخ حياته (من أعلام الأزهر)	٧٥
- محنة المسلمين فى بلاد الهند	١٢٣٧
- المخدرات والمسكرات واضرارها على المجتمعات	٢١٩
- مراقى السمو (قصيدة)	١٢٦٢
- مرحبا بالعلم فى سماء الإسلام	١٢٠١
- مرحبا بك يارمضان	٩٧٨

الموضوع	الصفحة
- مرحبا رمضان (قصيدة)	١٠٣٨
- المستشرقون والموضوعية	١٦٩
	٤٤٧
	٥٤٠
- المسلمون والتراث الافريقى فى غرب افريقيا	١٠٣٠
- مع القرآن فى شهر القرآن	٩٧٤
مع ندوة الجوانب الاقتصادية لأزمة الخليج	١٤٢٢
- مفاتيح الجنة	٦٣
- مقارنة القوات فى معارك الفتح الإسلامى	٦٦٢
- مكة وحنين الشعراء	١٣٩٢
- ملاحظة حول مقال النقد الأدبى من وجهة نظر إسلامية	٤٧٢
- مناقشة فكر المستفرقين فى الأدب السواحيلى	٣٦٠
- من الإعلام إلى الأمية فالتبشير	٤١٧
- من خير مانشر	١٠٩
	١٣٧٢
- من ذكريات رشيد رضا	٦٩٤
- من رجال القضاء فى دولة الإسلام : شريح بن الحارث الكندى	٥٤٧
- من رسائل القراء	٩٤٧
- من روائع الفن العسكرى فى صدر الإسلام	٩٩٥
من روائع الماضى بمجلة الأزهر	١٤١٨
- من سيرة المصطفى - ﷺ -	٢٦٨
- من العناصر الهامة فى العمائر	٣١٨

الموضوع	الصفحة
الدينية الإسلامية المحاريب ـ مفهومها القديم والحديث ـ انواعها ـ زخارفها	٥٥٢
ـ من فقه الكتاب والسنة	٢٩ ٢٨٠ ٧٥٢
ـ من قضايا الاختزال في كلام العرب	٩٨ ٢٢٥
ـ من معالم حضارة الإسلام جامعة القرويين في المغرب	١٥٨ ٥٢٨
ـ منهج مدرسة الصوم	٩٦٤
ـ من وحي الإسراء والمعراج (قصيدة)	٧٧٨
ـ من وحي غزوة بدر (قصيدة)	١٠٣٦
ـ مهدي علام (من اعلام الأزهر)	١٣٧٩
حرف النون	
ـ ناقوس الخطر : الإسراف في تناول الطعام	١١٥٦
ـ نحو إعلام إسلامي : عالمية الإسلام مدخلنا لإعلام دولي إسلامي	١٢٤٨
ـ نداء الفداء (قصيدة)	٧٧٦
ـ نداء من الأزهر الشريف (مع الإمام الأكبر)	١٤٤
ـ ندوة عالمية عن الإمام الشافعي في كوالالمبور	٥١٥
ـ نص خطاب الرئيس محمد حسني مبارك في حفل مولد الرسول ـ ﷺ ـ	٣٨٨
ـ نص كلمة السيد الرئيس محمد حسني مبارك	١٣٣
ـ نظريات في الفقه الاباضي ـ نبذة عن المذهب ورجالاته	٨٦٦ ٩٨٨
	١١٢٩ ١٣٦٠
ـ نظريات لغوية عند ابن القيم	١١٧٢ ١٢٩٠
ـ النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية ـ دراسة مقارنة	٢٣٣
ـ نقد هادىء ورد اكثر هدوءاً	٩٤١
ـ نوادر الاخلاق	١٢٩
حرف الهاء	
ـ الهجرة الخبيثة .. هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل	١٦٤
ـ هكذا تنام	٤٦٢
حرف الواو	
ـ وافوض امري إلى الله	٤٢
ـ واقدساه (قصيدة)	٧٧٩
ـ الواقع والمبادىء	٦٠٩
ـ وثيقة مكة المكرمة الصادرة عن المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج	٤٠٢
ـ وسائل الاجتهاد في الفقه الإسلامي	١١٠٦
ـ وصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر (قصيدة)	١١٤٦
ـ وعد الله لا يتخلف	٥٢٠
ـ وقفة من كتاب الوحوش	٦٩٨
ـ ولله على الناس حج البيت	١٣٣٢
حرف الياء	
ـ ياأمة الإسلام (قصيدة)	٥٦٢
ـ يالله للمسلمين	٩٦١
ـ يانع الثمرات	٤٨٠
ـ يهود اليمن	٦٥٩
ـ اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام	٨٩٤ ١٢٣٢ ١٣٥٠

هدايا صدرت مع المجلة لعام ١٤١١هـ

عنوان الهدية	المؤلف	شهر الإصدار
● فتاوى الإمام النووى المسماة بالمسائل المنثورة .	إعداد الشيخ / أحمد حسن جابر رجب	صدرت فى شهرى المحرم ـ صفر
● السيرة النبوية	الإمام / عبد الرحمن بن الجوزى	فى جزءين صدرت فى شهرى ربيع الأول ربيع الآخر
● الاقتصاد الإسلامى ودور الفقه فى تاصيله	الدكتور / على السالوس	جمادى الأولى
● البيان المبين فى علوم كتاب الله رب العالمين	فضيلة الشيخ / محمود عبد الحليم الرفاعى	جمادى الآخرة
● محمد المصطفى ـ ﷺ ـ دراسات مستمدة من القرآن الكريم عن بعض نواحى السيرة المحمدية العطرة	الأستاذ / عبد المنعم محمد عمر	رجب
● السنة والتشريع	الدكتور / موسى شاهين لاشين	شعبان
● العلوم الكونية فى التراث الإسلامى	الدكتور / أحمد فؤاد باشا	رمضان
● رسالة فى صلاة الجمعة	لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق	شوال
● رسالة فى القصر والجمع	تاليف الشيخ / محمد محمود أبو حسن تحقيق / حلمى السيد أبو حسن	ذى القعدة
البنوك والاستثمار	تاليف الدكتور/ على السالوس	ذى الحجة

فهـــرس

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
شهادة لا عبادة	
د .على أحمد الخطيب	١٣٢٩
● مع الامام الأكبر	
● ولله على الناس حج البيت	١٣٣٢
● تامين المصالح الحكومية	١٣٣٦
● أرباح البنوك في البلاد الغربية	١٣٣٨
● كلمة فضيلة الإمام الاكبر أمام ندوة السوق الإسلامية المشتركة	١٣٤١
● رسم القرآن في المصاحف العثمانية	
للشيخ إبراهيم عطوة عوض	١٣٤٤
● اليوم الآخر بين اليهودية والنصرانية والإسلام	
د . فرج الله عبد الباري أبو عطا الله	١٣٥٠
● قبس من انوار النبوة	
للشيخ على حامد عبد الرحيم	١٣٥٤
● الا هل بلغت اللهم فاشهد	
أ . د أحمد فؤاد باشا	١٣٥٨
● نظرات في الفقه الاباضي	
للشيخ محمد حسام الدين	١٣٦٠
● القدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية	
أ . ح . د .فوزى محمد طايل	١٣٦٤
● من ذكريات المحمل	
للشيخ السيد حسن قرون	١٣٧٢
● الفتـــاوى	
إعداد :أحمد السيد تقى الدين	١٣٧٦
● من اعلام الأزهر « محمد مهدى علام »	
إعداد :أ . ناصر محمود وهدان	١٣٧٩
● مع الشعــر والشعــراء	
إشراف :أ .رشاد محمد يوسف	
● مكة وحنين الشعراء	
إعداد :رشاد محمد يوسف	١٣٩٢
● ديوان الفنون التغلبي	
تحقيق :أيمن محمد ميدان	١٣٩٦

الموضوع	الصفحة
● العلـــوم الكـــونية	
● التأصيل الإسلامي لعلم الإنسان	
د .زكى محمد اسماعيل	١٤٠٢
● القارة الاسترالية	
للشيخ عبد المنصف عبد الفتاح	١٤٠٦
● الجديد في العلم والتقنية	
إعداد :د .نجوى السيد أحمد	١٤١٣
● طرائف ومواقف	
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٤١٦
● من روائع الماضي بمجلة الازهر	
إعداد :عبد الفتاح حسين الزيات	١٤١٨
● مع ندوة الجوانب الاقتصادية لأزمة الخليج	
إعداد :مجدي بشير / عادل خفاجة	١٤٢٢
● توصيات ندوة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والتربوية لأزمة الخليج	١٤٢٥
● انبـاء وآراء	
إعداد :عبد المنعم فودة	
/ مصطفى عبد المجيد	١٤٢٨
● الفهرس السنوى العام	
إعداد : السيد أحمد الغرباوى	
محمد زكى حسن	
أبو القاسم عبد الكريم	
محمد عبد اللطيف عثمان	١٤٣١
● القسم الفرنساوى	
إشراف د .رقية جبر	١٤٥٦
● القسم انجليزي	
إشراف د . انس النجار	
● المقالة الثانية	
أ . إسماعيل الفاروق	١٤٦٤
● المقالة الاولى	
د .انس مصطفى النجار	١٤٧٠

«وأنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم» سورة الزخرف [آيه ٦١] ٤٨

فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس هذا عذاب اليم، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ٤٩
سورة الدخان [آيه من ١٠ الى ١٢]

إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون، يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ٥٠
سورة الدخان [آية ١٥-١٦]

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع ٥١
نفسا إيمانها لم تكن آمنت. سورة الأنعام [آيه ١٥٨]

«لا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس» صحيح مسلم ٢٠٨/٨) ٥٢

«إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا في قلبه مثقال حبة من الايمان إلا قبضته» ٥٣
صحيح مسلم (٧٦/١)

«يا معشر الجن والانس إن إستطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان». ٥٤
سورة الرحمن [آيه ٣٣]

«إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا ٥٥
أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا ٥٦
كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الأيات لقوم يتفكرون» سورة يونس [أية ٢٤]

«فهل ينظرون إلا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم». ٥٧
سورة محمد [آيه ١٨]

«يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون» سورة الروم [أية ٧] ٥٨

٣٥ «اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة. قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها،ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» صحيح مسلم (١٧٩/٨)

٣٦ «والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» سورة يس [آية ٣٨]

٣٧ Al Bokhari (p. 426) البخارى

٣٨ «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم

٣٩ «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» سورة النمل [آية ٨٢]

٤٠ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تقاتلون بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه، صغار الأعين» مختصر صحيح مسلم (م١٨٤/٨)

٤١ «حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين» سورة الأنبياء [آية ٩٦-٩٧]

٤٢ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى ح وحدثنا إسماعيل حدثنى أخى عن سليمان عن محمد بن محمد بن أبى عتيق عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب ابنة أبى سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبى سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا يقول : «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بإصبعيه الإبهام والتى تليها» ، قالت زينب ابنة جحش . فقلت : يارسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم ، إذا كثر الخبث» . أخرجه البخارى

٤٣ حديث أنس بن مالك :
«عن النبى قال : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة. ليس له من نقابها نقب، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها. ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق» أخرجه البخارى

٤٤ حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» مختصر صحيح البخارى

٤٥ حدثنا أبو اليمان أخبرنى شعيب عن الزهرى أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا سعيد قال: «حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال : يأتى الدجال،وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة»فينزل بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس فيقول:أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-حديثه فيقول:الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون فى الأمر، فيقولون:لا. فيقتله ثم يحييه فيقول:والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم. فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه مختصر صحيح البخارى ص ٢٦١

٤٦ On désigne par le terme "Roum", les Chrétiens ou les Occidentaux

٤٧ عن يسير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا : يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة. قال : فقعد وكان متكئا فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت : الروم تعنى ؟ قال : نعم، ويكون عند ذاكم القتال ردة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة أخرى للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة. إما قال : لا يرى مثلها، وإما قال : لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقى منهم إلا الرجل الواحد، فبأى غنيمة يفرح، أو أى ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ : إن الدجال قد خالفهم فى ذراريهم، فيرفضون ما فى أيديهم ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة.
مختصر صحيح مسلم (١٧٧/٨-١٧٨)

La vanité et l'orgueil des hommes les ont poussés à croire qu'ils sont capables de gérer la vie de ce monde à leur propre gré. C'est ainsi qu'ils se sont écartés des enseignements divins en alléguant que les temps de la dévotion sont révolus pour laisser place à l'ère des lumières de la science.

L'homme en est arrivé à se prendre pour son propre dieu.

Nous avons pourtant été prévenus contre cet égarement par le Coran:

[La vie de ce monde est seulement comparable à une eau:
Nous la faisons descendre du ciel pour qu'elle se mélange à la végétation terrestre dont se nourrissent les hommes et les bêtes. Quand la terre revêt sa parure et s'embellit, ses habitants s'imaginent posséder quelque pouvoir sur elle. Notre ordre vient alors, de nuit ou de jour nous en faisons un champ moissonné, comme si, la veille, elle n'avait pas été florissante.

Nous expliquons nos signes de cette façon, à des hommes qui réfléchissent.]
Sour. "Jonas" (v. 24)[5]

En vain la Révélation divine et les Prophètes ont prévenu les hommes afin qu'ils s'en méfient; seuls les croyants y échapperont tandis que les incrédules seront pris au dépourvu comme en témoigne le Coran:

[Veillent-ils donc de peur que l'Heure ne les surprenne?
Les signes précurseurs ont déjà paru;
mais quand elle sera là, à quoi donc leur servira le Rappel qui leur a été adressé?]
Sour. "Mohammad" (v. 18)[6]

Car Allah connaît trop bien Ses créatures:

[Ils connaissent un aspect de la vie de ce monde
et ils sont indifférents à la vie future]
Sour. "Les Romains" (v. 7)[7]

Lorsque le monde prendra fin et avec lui le savoir humain qu'on croyait tout-puissant, alors les hommes découvriront à quel point leur science était superficielle et fragile. Les mécréants et les sceptiques seront placés devant une vérité évidente: leur orgueil les a égarés, parce qu'ils pensaient pouvoir régir l'univers. Ils se rendront compte de leur impuissance et sauront que tout ce qu' Allah a dit était vrai: les anges, les djinns, les démons, le Paradis et l'Enfer existent effectivement.

Le Créateur leur dévoilera tout ce qu'ils s'obstinaient à nier parce qu'ils vivaient dans une fausse illusion qui les a égarés.

L'homme se rendra compte alors de sa faiblesse et de son impuissance et saura que seul Allah détient le Pouvoir.

[Notre Seigneur! Eloigne de nous ce châtiment!
Oui, nous croyons] *Sour. "La Fumée" (v. 10 et 12)*[49]

Cette fois la vengeance divine éclatera contre ceux qui, après avoir vu les signes d' Allah, s'en seront détournés:

[Nous allons éloigner momentanément le châtiment, mais vous y reviendrez certainement.
Le Jour où nous les saisirons avec une très grande violence, nous nous vengerons] *Sour. "La Fumée" (v. 15-16)*[50]

Les savants disent qu'aussitôt que l'un de ces signes majeurs se produira aucun repentir, aucune dévotion, aucun acte louable ne sera agréé par Allah.

[Qu'attendent-ils?
Sinon que les anges viennent à eux, ou que ton Seigneur vienne, ou qu'un Signe de ton Seigneur vienne?
Le Jour où un Signe de ton Seigneur viendra, la profession de foi ne sera d'aucune utilité à quiconque, avant cela ne croyait pas]
Sour. "Les Troupeaux" (v. 158)[51]

Un Hadith du Prophète (b.s.) cité dans ***Sahih Moslem*** nous apprend:

"L'Heure dernière ne s'abbatra que sur les pires des hommes."[52]

L'on se demande alors: qu'adviendra-t-il de ceux qui auront gardé la foi dans ces moments difficiles?

Un autre Hadith du Prophète (b.s.) nous l'apprend:

"Allah enverra un vent du Yémen, une brise aussi légère que la soie qui ne laissera aucun humain ayant gardé dans son cœur la moindre parcelle de foi sans prendre son âme."[53]

Ainsi, lorsque l'Heure dernière aura sonné, un vent favorable viendra prendre les âmes de ceux qui auront gardé la moindre parcelle de foi dans leur cœur. Alors, seuls les hommes mauvais seront laissés sur terre pour être témoins des spectacles horribles de la fin du monde.

CONCLUSION

Plus les civilisations progressent et plus Allah lance de défis aux humains:

[O peuple des Djinns et des hommes!
Si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites-le!
Mais vous ne les traverserez qu'à l'aide d'un pouvoir]
Sour. "Les Miséricordsieux" (v. 33)[54]

Lorsque les nouvelles découvertes se sont étendues à tous les domaines, les hommes en sont venus à croire que tout dans cet univers était leur propre création. Mais le Jour où le monde prendra fin, ils sauront que Celui qui leur a octroyé Ses bienfaits et leur a permis de découvrir les lois de l'univers est aussi capable de les en priver.

ne se réjouira pas d'un butin. Puis il désigna de la main Al Sham et dit: Des ennemis se préparent à attaquer les Musulmans et ces derniers se préparent au combat." Je demandais alors: "Tu parles des Romains?" [46] *Il répondit: "Oui, et la bataille sera alors féroce. Les Musulmans formeront un bataillon de soldats qui seront victorieux ou mourront. Ils se battront jusqu'à la tombée de la nuit et le matin il n'y aura ni vainqueur ni vaincu et le bataillon périra. Puis les Musulmans se rangeront une seconde fois, prêts à mourir ou à vaincre, et ils se battront jusqu'à la tombée de la nuit. Et à leur réveil il n'y aura point de vainqueur dans les deux clans. Puis les Musulmans se rangeront prêts à vaincre ou à mourir et ils se battront jusqu'au soir, et le bataillon périra.*

Le quatrième jour, le reste de la communauté islamique viendra à leur secours et ils se battront férocement dans un combat comme on n'en a jamais vu, à tel point que l'oiseau qui vien drait à passer par là tombera raide mort. Si les fils d'un même père sont au nombre de 100, il n'en restera qu'un seul. Donc comment se réjouira-t-on d'un butin ou partagera-t-on un héritage? Pendant qu'ils en seront là, on leur annoncera un malheur encore plus grand: on criera que l'Antéchrist se trouve dans leur pays. Alors, ils lâcheront ce qu'ils ont entre les mains pour rentrer chez eux. Mais ils enverront d'abord dix chevaliers en éclaireurs." [47]

5. **Le retour de Jésus sur terre,** ainsi annoncé par la Parole divine:

[Jésus est, en vérité, l'annonce de l'Heure
N'en doutez pas et suivez-moi
Voilà un chemin droit.] *Sour. "L'Ornement" (v. 61)* [48]

En effet, le dernier de ces signes sera le retour sur terre de Jésus, fils de Marie, qui n'est pas mort, mais qui a été élevé au ciel par Allah. Il reviendra pour tuer l'Antéchrist **(Al Daggal) Il suirra les préceptes de L'Islam et mourra comme tous les humains.**

Dans un Hadith du Prophète (b.s.), Abou Horaïra rapporte que le Messager d' Allah a dit que Jésus, fils de Marie, descendra sur terre, qu'il présidera à la prière des Musulmans et qu'ensuite il tuera l'ennemi d'Allah (l'Antéchrist) dont il leur montrera le sang sur sa lance.

6. **La Fumée** sera l'un des derniers signes majeurs de l'Heure dernière.

Le ciel se remplira d'une fumée qui couvrira la terre entière et s'étendra partout. Cette fumée sera le châtiment divin destiné aux incrédules qui, aveuglés par l'orgueil, se seront détournés de la voie d'Allah. En voici un témoignage du Coran:

[Guette donc le jour où le ciel apportera une fumée bien visible qui enveloppera les hommes:
voici un châtiment douloureux!]

Alors, les hommes imploreront Allah de leur épargner ce supplice, tout en promettant de suivre la voie droite et d'être des croyants sincères. Mais, aussitôt que leur prière sera exaucée, ils retomberont dans l'égarement.

pire encore; nous avons été injustes."

Sour. "Les Prophètes" (v. 96/97)[41]

Zeinab, fille de Djahch, rapporte que l'Envoyé d Allah (b.s.), entra un jour chez elle tout troublé et lui dit: *"Il n'y a d'autre divinité qu'Allah; malheur aux Arabes! Un danger proche les menace: le barrage qui retenait Yagog et Magog a été ouvert de cette grandeur"* et, en disant cela, il joignit les extrémites du pouce et de l'index en forme de cercle. *Elle lui demanda alors: "O, Envoyé de Allah allons-nous tous périr alors qu'il y a parmi nous des gens vertueux?*

– Oui, répondit-il, si les crimes se multiplient."[42]

4. **L'Apparition du Messih-el-Daggal** (l'Antéchrist)

Sa presence sera une épreuve pour les humains. Il prétendra être le Christ, tuera un homme et le ressuscitera. Allah, par Sa toute- puissance lui accordera des pouvoirs sur la terre et sur les eaux. Ensuite Allah le rendra incapable d'accomplir des miracles; alors Jésus apparaîtra et le tuera.

Pour un croyant, l'Antéchrist sera facilement reconnaissable: il est borgne et son œil est saillant; sur son front est écrit en toutes lettres le mot "incroyant", mais seuls ceux qui ont la foi pourront le lire.

Anas Ibn Malik rapporte que le Prophète a dit: *"Il n'y a aucune ville que l'Antéchrist ne foulera de ses pieds. Il n'y aura d'exceptions que pour la Mecque et Médine. Il n'est aucune des ouvertures de cette dernière ville qui ne soit gardée par des anges placés en rangs. Ensuite, Médine et ses habitants subiront trois tremblements de terre, et Allah débarrassera la ville de tout mécréant et de tout hypocrite."*[43]

Selon Abou Horaïra, l'Envoyé d Allah (b.s.) a dit:

"A toutes les portes de Médine il y a des anges; aussi ni la peste ni l'Antéchrist ne pénétreront dans cette ville." [44]

Abou Saïd Al Khodary rapporte en outre que l'Envoyé d Allah a dit: *"L'Antéchrist viendra; il lui sera interdit d'entrer par l'une des portes de Médine.*

Il s'installera dans une des dépressions salines qui sont auprès de Médine. Ce jour-là, un homme, le meilleur des hommes –ou un des meilleurs hommes– ira le trouver et lui dira: "J'atteste que tu es l'Antéchrist dont l'Envoyé d Allah nous a parlé dans ses entretiens –Que penseriez-vous dira l'Antéchrist, si je tuais cet homme et si ensuite je le ressuscitais? Douteriez-vous de la chose? –Non, répondra-t-on." Alors il tuera l'homme et le ressuscitera, puis, quand ce dernier sera ressuscité le Médinois dira: "Par Allah! Je n'ai Jamais été aussi sûr de ce que j'ai dit de toi qu aujourd'hui. –Qu'on le tue! s'écriera l'Antéchrist. Mais il ne pourra plus rien contre lui." [45]

Avec l'apparition de l'Antéchrist, les combats se multiplieront comme le prouve ce Hadith cité dans ***Sahih Moslem***:

Yousayr Ibn Gaber raconte qu'un homme arriva alors qu'un vent rouge soufflait sur Koufa et dit:

"O Abdoullah Ibn Massoud, l'Heure dernière est arrivée." Puis il se mit sur son séant et ajouta: "L'Heure dernière arrivera lorsqu'on ne partagera pas d'héritage et qu'on

Ce mouvement régulier du soleil est donc prédéterminé par Allah: il va dans une seule direction et vers un but précis. A ce propos, Abou-Dzarr a dit: *"Le Prophète me demanda: "Sais-tu où va le soleil après s'être couché? – Allah et son Envoyé le savent mieux que moi, répondis-je. –Eh bien! reprit-il, il va se prosterner sous le Trône divin; puis il demande la permission de reprendre sa course et elle lui est accordée. Mais les temps approchent où le soleil en se prosternant essuiera un refus, où, demandant la permission,se la verra refusée, et Allah lui dira: "Retourne d'où tu viens!", alors il se lévera du côté de l'Occident"*[37]

Ce jour-là les hommes auront la certitude que la fin du monde est proche et le repentir des incroyants sera vain, comme le montre le Hadith suivant cité par Moslem: *"Allah tend Sa main la nuit afin de recueillir le repentir de ceux qui ont péché durant la journée et Il tend Sa main le jour afin que ceux qui ont péché durant la nuit puissent se repentir, et ainsi de suite, jusqu'au jour où le soleil se lèvera à l'Occident."*[38]

2. **L'Apparition de la Daaba**

C'est un animal étrange, tel qu'on n'en a jamais vu auparavant et qui sortira du Monticule d'Al Marwa à la Mecque.

Certains disent que cette bête c'est le chameau du Prophète Saleh, qu'elle aura une taille gigantesque et qu'elle apparaîtra entre le lever du soleil et midi.

Cette bête s'adressera ainsi aux hommes, selon la Parole divine:

[Lorsque la Parole tombera sur eux, nous ferons, pour eux, sortir de terre une bête et celle-ci proclamera que les hommes ne croyaient pas fermement à nos signes]

Sour. "Les Fourmis" (v. 82)[39]

Certains savants disent que cette Daaba sera le premier de ces signes, alors que d'autres affirment que le lever du soleil à l'Ouest sera le premier des signes majeurs. Toutefois, le Prophète Mohammad (b.s.) a certifié que, quel que soit celui de ces signes qui apparaisse en premier, il sera immédiatement suivi par tous les autres, et cela sur une durée de quarante ans.

3. **Le démolition du barrage qui retient Yagoug et Magoug**

C'est un peuple destructeur qui sèmera la discrode et la terreur parmi les hommes.

Selon Abou Horaïra, le Prophète (b.s.) a dit:

"Lorsque l'Heure arrivera vous combattrez un peuple d'hommes chaussés de poils, aux visages aplatis et rouges, et aux yeux étroits."[40]

Voici comment les présente le **Coran**:

[avant que les Ya'jouj et les Ma'jouj ne soient déchaînés;
ils se précipiteront alors, de chaque hauteur.
La promesse vraie approche.

Les regards de ceux qui furent incrédules se figent:
"Malheur à nous! Nous avons été insouciants à son égard;

Les Signes de l'Heure d'après le Coran et la Sunna (Suite)

Dr. Rokeya GABR

Les Signes Majeurs

Si, parmi les signes mineurs plusieurs se sont déjà produits, les signes majeurs, eux, marqueront le point de départ d'une série d'événements qui se succèderont rapidement.

Notons que l'apparition d'un des signes majeurs, entraînera tous les autres à sa suite dans un temps relativement court, tout comme les perles d'un collier filent les unes à la suite des autres.

Ces signes sont mentionnés dans le **Coran** et dans les **Hadiths** du Prophète Mohammad (b.s.)

Hozaïfa Ibn-Al-Sayed Al Ghaffary raconte que l'Envoyé d · Allah entra un jour chez eux pendant qu'ils se répétaient ses enseignements et récitaient le Coran. Le Prophète leur demanda alors: *"De quoi discutez-vous?"*

"De la fin du monde", répondirent-ils. Le Prophète leur dit alors: "Elle sera précédée par les six signes suivants:

- *De la fumée*
- *L'apparition du Messih-Al-Daggal (l'Antéchrist)*
- *L'apparition de la Daaba (une bête étrange douée de la parole)*
- *Le soleil se levant à l'Ouest*
- *Le retour de 'Issa Ibn Mariam (Jésus fils de Marie)*
- *Yagoug et Magoug*

Ces signes seront suivis de trois effondrements importants: : l'un à l'Orient, l'autre à l'Occident et le troisième dans la Péninsule d'Arabie. Enfin, un grand incendie en provenance du Yémen chassera les hommes vers le lieu du Rassemblement."[35]

1. **Le Soleil se lèvera à l'Ouest**

On trouve dans la parole divine:

[le soleil qui chemine vers son séjour habituel tel est le décret du Tout-Puissant, de celui qui sait]

Sour. "Ya-Sin" (v. 38)[36]

Ce mouvement régulier du soleil est donc prédéterminé par Allah: il va dans une seule direction et vers un but précis. A ce propos, Abou-Dzarr a dit: *"Le Prophète me demanda: "Sais-tu où va le soleil après s'être couché? – Allah et son Envoyé le savent mieux que moi, répondis-je. –Eh bien! reprit-il, il va se prosterner sous le Trône divin; puis il demande la permission de reprendre sa course et elle lui est accordée. Mais les temps approchent où le soleil en se prosternant essuiera un refus, où, demandant la*

REVUE AL AZHAR

SECTION FRANÇAISE

XII^{ème} Partie, 63eme Volume

Mois de «Dhu'L hijja» 1411 de l'Hégire

Comité de Ŕdaction

Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au
Département de Langue Française et de Traduction

M.Mohamed OMAR, Traducteur en chef à l'Académie des Recherches Islamiques

CONTENU

Dr. Rokaya GABR
- Les Signes de l'Heure d'apres le Coran et la sunna - (Suite) 2 eme Partie : les Signes majeurs .

RAMADAN

1. **Omar ibn Al Khattab.**
   The Resolution.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Roots of Wisdom.**
   "Practice Hardiness, Opulence does not Endure"
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SHAWAL

1. **Omar ibn Al Khattab.**
   Muslims Inside Egypt.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **Emancipation of Mankind.**
   By: Loutfy Ali Soultan.

ZU AL QIDDAH

1. **Omar ibn Al Khattab.**
   The Gates of Babylon
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **Worship is Indispensable to Mankind**
   By: Saad Moustafa Moustafa.

ZU AL HIJJAH

1. **Omar Ibn Al Khattab**
   The Road to Alexandria.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. **The Limelight of Theism**
   By: Ismail R. Al-Faruqi.

JUMMDAH AL ULLA
1. **Omar ibn Al Khattab.**
Renewed Hostilities.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Roots of Wisdom.**
Beware of Believer's Profundity.
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

JUMMDAH AL-AKHERAH
1. **Omar ibn Al Khattab.**
·The Triump at Nahawand
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **Patience, A Human Virtue.**
By: Loutfy Ali Soultan.

RAJAB
1. **Omar ibn Al Khattab.**
The Fall of the Persian Empire.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Roots of Wisdom.**
The Remembrance of Death.
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SHAABAN
1. **Omar ibn Al Khattab.**
The Campaign to Egypt.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Roots of Wisdom.**
"Ask for Support and do not Despair"
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

INDEX TO YEAR 1411 HIJRAH

MOHARRAM

1. Omar ibn Al Khattab.
The Insurgence in North Syria.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Concept of Morality in Islam.
By: Saad Moustafa Moustafa.

SAFAR

1. Omar ibn Al Khattab.
The Regime.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Islam and World Peace.
By: Loutfi Ali Soultan.

RABIE AL AWAL:

1. Omar ibn Al Khattab.
The Implementation.
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Roots of Wisdom.
Tenderness to the Ewers.
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

RABIE AL AKHER

1. Omar ibn Al Khattab.
The Drought and the Plague
By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Roots of Wisdom.
Injustice is Abysmal Darkness
By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

colonial powers. Islam is also progressively spreading in most countries of Western Europe, and the American continent.

This long history of confrontation and conflict gave rise to countless fallacies and fabrication designed to place Islam and its adherents in a bad perspective. These misunderstandings of Islam religion and culture, the antagonistic feelings and allegations, all became built in prejudices that are hard to shake off. Therefore, the student of Islam needs to take special care to approach the subject with genuine unprejudiced liberal ecumenic mind. The reward of such care will be great, revealing that Islamic doctrines are the basic realities of consciousness that produced the true genuine teachings of Judaism and Christianity.

The Muslim believes that Allah has created mankind and the whole cosmos certainly not in vain, but for a purpose. This purpose is that human beings may fulfill their ethical vocation, that they may perform good deeds. The scripture of Islam pictures the life of humans as a free competition among them for doing the better, the nobler, the greater deeds. On this account, mankind is the "khalifah" vicegerent of Allah on earth. The world Allah created is one of which mankind is effective in the realization of goodness, truth, beauty and love. Islam as a faith remains the strongest ideology for Muslims to adhere, ready to move them if they open their minds to its wisdom, their hearts to its appeal, and their arms to its energizing powers.

Excerpts from Writings by
The Late Dr. Ismail R. Al-Faruqi, Ph.D.
Professor of Islamic Studies.
Temple University
Philadelphia - Pennsylvania, U.S.A.

faith. However, this should not close us off from sympathetic understanding of other religious traditions. Such inquiry reveals what we share in common with other religious beliefs, as well as what is genuinely unique about our own religious doctrines and traditions.

The question has been asked " Can someone understand a religion in which one does not believe " As the previous discussion indicates, belief in the doctrines of a certain religion is not prerequisite for studying or understanding its traditions. For the believer in the Divine Identity, the study of another religion other than one's own should enhance one's dimensions of faith in understanding of Truth and Reality. For the non-believer, the study of religious beliefs should be done without any agnostic inhibiting skepticism; in such case, new visions of perceptions of the human spirit will be conceptualized. The pivotal criteria is honest rationality in the process of the cognitive thought.

The Muslim religion is the most misunderstood of all world religions. The reasons for this are many and varied; primary among them is Islam's long confrontation with Christianity. When Islam arose in the seventh century A.D., it spread across continents with startling speed. Its political and social powers eventually eclipsed that of the Persian Empire to the east and the Roman Empire to the west, both of which were the greatest political and social organizations the world had ever known. The convincing logic of Islam's theological claims, the imperative need for its doctrinal teachings, the ennobling uplift of its pietism and morality, the pragmatic efficiency of its laws, the appeal of its universality, the ecumenism of its theme, and the moving commitment and liberality of its adherents - all these induced millions and persuaded them to join the ranks of Islam.

For a thousand years, Islam was unparalleled in its world power, affluence, high civilization and culture; coming close to making a conquest of all Europe. The military might of Europe was sent in Christian consortiums of crusades against Islam which were met with defeat and disaster. Campaigns launched by Christianity in Spain succeeded to bring to an end seven centuries of Islamic domination of the Iberian Peninsula. Only in the last two centuries, Europe succeeded in conquering the Muslim world and subjected it to colonial fragmentation and military occupation through unorthodox political intrigue. Even so, the faith of Islam continued to spread into Asia and Africa at a much greater pace than did Christianity, despite the support that Christian missionaries received from

socio-cultural traditions and not in vacuum, several profound consequences result. Religion cannot be independent from historical and social perceptions, and the theistic doctrinal teachings develop in conceptualization according to historical and socio-cultural influences. On the other hand, there is a mutual give and take relationship between any religion and its social environment. Religious doctrinal teachings have a profound influence on ethics, concepts, behavioural patterns, social logistics, political perceptions and economic activities; indeed on all aspects of human life.

As a consequence of the dominant pervasive influence of religion on the multi-focal aspects of human life; scholars of religion have observed that in traditional societies religion was never isolated, every meaningful act and value was considered to have a religious or sacred origin. Within modern untraditional societies, differentiation of religion from other aspects of life took place; actions and values became classified into either profane or virtuous. The crisis confronting nations during current times are not merely economic inflation, political instability, social upheaval, and class dissension. It is also one of poverty in values and convictions. The time has come when humanity must re-examine such basic questions as who we are, and where are we going - as individuals, as communities, and as nations. Current interests in religious ideologies by several human interests in religion ideologies by several human groups and scholars, the comparative analytical studies of various religious doctrines are resurgent responses to the crisis of integrated association identity which humanity is lacking in contemporary times.

The serious study of religion today is not only legitimate but very necessary. Today, we need all the forces we can command in order to restore the basic elements and sense of individual worth, moral community, and value orientation. The objective study of religion contributes to the attainment of such aspirations, and can assist in helping mankind to recover the awareness of our common humanity which has been overshadowed by our preoccupation with technological and material achievements. It has been popularly said, "mankind has conquered outer space at the expense of inner space". Therefore, the objective study of religion should be undertaken because of its inherent significance as a fundamental requirement of human wholesomeness; the study of religion is the study of mankind. The study of our own specific tradition from its own particular creedal or denominational perspective is justifiable as part of our profession of

The Limelight of Theism

By: Ismail R. Al-Faruqi, Ph.D.

The analytical study of the doctrinal teachings of the various creedal beliefs is in basic reality the study of the temporal sequential development of mankind through the ages. The axioms of credence embrace the deepest feelings of the human heart, and become part of the total integrated structure of every human society. In modern times, religion is studied as a cultural institution by sociologists, anthropologists, economics, psychologists, and various other disciplines of knowledge. Psychologists regard religion as an expression of an essential inherent human requirement. Philosophers view it as a system of thought or doctrinal conviction. Historians consider religion as a focal component of the intellectual and institutional development of mankind through the different eras of history. Sociologists and reformists visualize theistic doctrinal teachings as an organized system for the preservation of human values based on dialectics of Divine rationality.

The exact definition of religion is certainly too complex to characterize. The horizons of human life that religion is identified with are so infinitely vast to include every facet of human existence. Religion is an expression of individual and collective identity, man's experience of obeisant submissive awe before transcendent Divine Providence, and the projected inner feeling of confident independent freedom. Since the scope of human life that religion is identified with is so extensive, and that religious doctrinal teachings are so variable and implicative; one may correctly conclude that the study of religion constitutes essentially the intimate study of mankind.

The processes of religious implementation include Belief in the Supreme Transcendent Being - The Creator; Ritual Actions of prescribed performances and observances; Ethical actions conforming with Divine Law; and the formation of Doctrinal Systems and communities. Some scholars of religion, envisage religion in terms of certain experience that expresses itself in intention, thought, action of both individual and collective human functions. Since religions develop within particular historical and

ibn Al-Aas. One of the clauses of the treaty dictated the exact arrangements by which the defeated Roman troops were to evacuate Alexandria, and all other placed on Egyptian soil.

During November 641 AD, the twentieth year of Hijrah, the Muslim warriors triumphantly occupied Alexandria, the capital city of Egypt, the bride and pride of the Eastern Byzantine Roman Empire. The ostentatious pageantry of stately grandeur of both Hellinic and Byzantine cultural civilizations was portrayed in the characteristic architectural splendor of the city. The images visioned across the span of time are the portraits of the chart and compass of human endeavors,the voices forever echoing across the centuries. The imprints of history were vivid in spectacular magnificence to the Muslim warriors as they walked through the broad avenues of the city. The "Pillar of Deqledunas", the Serabium, and the famous light house were few of the milestones marking the chronicles of former times. In a message from Amre ibn Al-Aas to Omar ibn Al-Khattab, Amre said "The Muslims have by Allah's providence captured Alexandria, a city that I am unable to describe". The messenger of Amre ibn Al-Aas to Omar ibn Al-Khattab was Muawiyah ibn Huddayj. He presented to Ameer Al-Mumineen the conditions of truce between the Muslims and Egyptians; also, the articles determining the details of the Roman evacuation from Egypt.

Al-Muqawqas had returned to Egypt from exile after the death of Heraclius during the reign of Constantine. Al - Muqawqas remained in Alexandria where he was buried after his death. Qirous also died in Alexandria. The Roman Byzantine household was decaying, the grandson of Heraclius, Constanse the son of Constanstine had ascended the throne at Constantinople. The Roman presence in Egypt was eradicated on the hands on the triumphant Muslims, and the capture of the capital city of Alexandria. There remained few Roman pockets scattered through the country which the Muslims had to clear. With Divine Providence, the triumph at Alexandria totally established Egypt subject to Muslim domination; and Amre ibn Al-Aas was the undisputed champion of the Egyptian Campaign.

sheltered behind the strong fortifications without risking confrontation with the Muslims on open ground.

At Al-Madinah, Omar ibn Al-Khattab was impatiently awaiting news of the capture of Alexandria. He considered that Muslims were detained at the gates of Alexandria. After rigorous analysis of the situation, Omar ibn Al-Khattab concluded that Muslim warriors at the gates of Alexandria had lost their rigid hardness and were yielding to soft flaccid life. He wrote to Amre ibn Al-Aas accusing him and the men of losing the love of martyrdom for the love of life. Some form of detachment from true Faith must have afflicted the Muslims besieging Alexandria. There was an air of discontent at Al-Madinah, and there was no other explanation, except that some deterioration in spirit had befallen the Muslims. Omar ibn Al-Khattab in his message finally instructed Amre ibn - Al Aas to preach the man, join in collective prayer, purify the intention, concentrate upon the aim, offer one's life for the cause of Allah; supreme redemption is the outcome of maximum sacrifice for the purpose to establish the words of Allah over all others. On receipt of the message, Amre ibn Al-Aas became very actively involved in drawing the strategy for the capture of Alexandria. He addressed the men, reading to them the details of the letter from Omar ibn Al-Khattab, the accusations, and the words of advise and exhortation.

Most chroniclers agree that the siege of Alexandria lasted for about five months. The exact circumstances leading to the attack of Alexandria are not narrated in the literature in detail. Most annals describe that Amre ibn Al-Aas ordered his men to attack, and commissioned Ubadah ibn Al-Samet to command the charge of the assault. The ultimate outcome of this great battle was the decisive undisputed triumphant victory for the Muslims. The Roman legions were killed in battle, retreated to the sea by boats, or were disbanded. It is very regrettable and markedly disappointing that all chronicles are devoid of the details of the battle of Alexandria; how the Muslims stormed the city and succeeded to capture its fortifications, how the Romans defended and how they finally lost. What were the justifications for the Muslim victory, and the reasons for the Roman defeat. Such matters in the annals of history are of great important significance in the analysis of the social, psychological, cultural, and religious patterns of the thought, behaviour, action, commitment and function of human groups during that era in history. The absence of such important details regarding the battle of Kiryaon, and the surrender of Alexandria constitute a major breach of discontinuity in the annals of Muslim occupation of Egypt and the expulsion of Romans out of this important part of the Byzantine Roman Empire. The final acts to establish Muslim victory, and the surrender of Alexandria to Muslims was the treaty of truce. That treaty was arranged, planned and organized by Al-Muqawqas, Chief of the Egyptian Coptics and the Roman - selected Christian priest Qirous. After repeated negotiations, the truce treaty was signed by Amre

Muslim warriors were stunned and overwhelmed with amazement by the spectacular beauty they were witnessing. They gazed in wondrous awesomeness at the expanse of the sea extending to the endless horizon. They observed with astonishing amazement at the marvel of architecture, the places and gardens, the fortresses and great walls, the domes of cathedrals and the towers of churches. The musiums, temples, mausoleums, emporiums and serabium were all emblems of the great metropolis. The magnificent greatness of the city exhibited the patterns of both the Hellinistic and Roman cultures with the utmost spectacular radiance.

The ardent zeal of Muslim warriors could not stop at the walls of the great city, instigating them to storm the city as a final act of force against the Romans. Amre ibn Al-Aas soon discovered his mistake, ordering his men to retreat behind the range of Roman fireballs and stones. The Roman commander Theodore had ordered the Romans defeated at Kiryaon to take shelter behind the strong walls of Alexandria, and to utilize its solid fortresses to defend the city. Amre ibn Al-Aas realized that storming the city was beyond his capability, he decided to besiege the city and prepare his strategy for subsequent events. Alexandria was well fortified with the sea at its north with total authority of Romans; lake Mariout at the south, a barrier impossible to cross; and the canal on the west. The only road to Alexandria was from the East, the road from Kiryaon where the city was very heavily fortified. The Roman legions at Alexandria understood precisely that the defence of the capital city was the last hope for Roman occupation of Egypt.

Amre ibn Al-Aas continued the siege of Alexandria, however, afraid that his men would become idle and fall into tedious monotony of no action, he decided to engage them into very active duties. He dispatched contingents to ensure security and order in all territories of the Delta and as far south as the province of Fayoum. Abd-Allah ibn Huzafah Al-Sahmii to lower Delta, Kharijah ibn Huzafah Al-Adawii to Upper Egypt, Umayr ibn Wahb Al-Gumahii to north east of Delta, and Uqbah ibn Amer Al-Guhnii to middle of the Delta. Amre ibn Al Aas himself remained in command of the siege of Alexandria. These Muslim contingents certainly succeeded in establishing Muslim dominance and signed truce arrangements with the native populations. This actively kept the Muslim warriors continuously active and fit for combat. Such expeditions exploited the various parts of Egypt, and at the same time spread and ascertained Muslim authority over these various parts. The whole country from Fayoum to the north of the Delta became subject to Muslim jurisdiction according to the pacts of truce that were signed. Alexandria remained within the safety of its great bastions, receiving provisions and supplies from the sea. The Muslims remained on the siege of Egypt's capital maneuvering for a final assault to overtake the city. The Roman legions remained

of Muslims. The Roman troops exhibited on the battle ground all forms of tactical strategy, chivalry, courage, warcraft and the skill of soldiership. The fortified bastions of Kiryaon were supporting their rear, they comprehended fully that the outcome of the battle of Kiryaon was to decide the ultimate end of Roman presence in Egypt. The Muslim warriors were fighting with all the faith, courage, gallantry, and stamina of confidence with prayers pounding with every throbbing heart beat. The audacity of daring bravado drove the desert hardened Muslim warriors to acts superhuman exploits of heroic valiant fortitude. The violent acrimonious fighting continued for several days, favouring the Muslims one day, and the Romans the other. Amre ibn Al-Aas ordered his men to offer prayers, that Allah alleviates their fear, grants them support by strength and patience. The battle cries of Muslim warriors were words of encouragement and defiance, "the spirit of man in battle is ahead of him, not behind; the body must advance to join the spirit". "The Gardens of Eden are the eternal dwellings of martyrs". The fierce fighting continued for days, each party fervently battling for survival through triumph. After the elapse of ten days, the Roman solidity and endurance began to fail, their zeal decreased, and despair spread among their ranks. The Muslim warriors grew more daring and more desiring for martyrdom; they had come a long way since they crossed the eastern frontiers of Egypt; the horizons of ultimate victory were within reach, they could not fail at that very last stride. They pressed hard with supreme vivid gallant agility, penetrating into the Roman ranks, and infiltrating Roman positions. The Romans retreated and finally broke down against the Muslim advance. After more than ten days of battle, the Romans retreated to Alexandria, and Amre ibn Al-Aas triumphantly entered Kiryaon.

The battle of Kiryaon, in spite of its very great importance and significance did not acquire the reputation it deserves as one of the great battles of Muslim occupation in Egypt. In the literature surveyed, there is no analysis of the circumstances that resulted in the outcome of the battle. Several aspects for analysis had been postulated by the various chroniclers. Whatever the actual circumstances were, the Muslim triumph at Kiryaon was decisive and final; paving the road to the capital city of Egypt, the last hope and stronghold for the Romans. The native Egyptian population were certainly anti-Roman, and also very apprehensive of Muslim intentions. They did not offer any help or assistance either to the Romans, nor to the Muslims. They watched the contention as spectators outside the ring, not taking sides with any party. Certainly some Egyptians sided with the Romans, and others sided with the Muslims for personal interests, or religious justifications. The major bulk of the Egyptian masses detested Roman presence in Egypt, and were also apprehensive with anxious perturbing concern as to the outcome of Muslim presence in Egypt.

The Muslim triumph at Kiryaon, instigated Amre ibn Al-Aas and his men to march with all ardency towards Alexandria. When the great city became within vision, the

Amre ibn Al-Aas left Babylon during May 641 AD at the head of the major bulk of Muslim warriors, and accompanied with him some Coptic chiefs whom he selected to act as his advisors and mediators. As the Muslims moved north, they occupied Neqious in the lower Delta north of Menouf which the Muslims had previously captured. The victory of Muslims over the Romans at Tarnout was a prelude to the Romans defeat at Neqious. The Muslim warriors were advancing towards Alexandria along the west bank of the Nile; and after the triumph at Neqious, Amre ibn Al-Aas instructed his men to pause, and comb the whole territory in search for Roman pockets. Having secured the rear, Amre moved continuously with utmost prudence keeping the Nile to his right as he travelled north. At Sultays six miles south of Damanhour, the Roman prepared to make a standing confrontation against the Muslims. After heavy fighting, the Roman were defeated in an open ground battle. The retreating bulk of the Roman army gathered at Kiryaon the last series of fortresses before Alexandria. At Kiryaon, all Roman legions assembled from all the territories north of the Delta. The Roman commander Theodore decided to make Kiryaon the final defence line before Alexandria.

The Roman commander Theodore planned his strategy to defend Alexandria by arresting the Muslim advance at Kiryaon. Theodore marched out of Alexandria leading great masses of Roman troops to add to the strength of the Roman military strength at Kıryaon. The city was well fortified by strong fortresses, and was directly connected by road to the capital. Every military strategy and preparation was optimized to ensure Roman victory over the advancing Muslims.

The numbers of Muslims arriving with Amre ibn Al-Aas to the outskirts of Kiryaon are not well documented in the literature. Different chroniclers present various postulations, however, the most rational speculation presumed that the numbers of Muslim warriors that reached Kiryaon was approximately fifteen thousand. This theorization was based upon the consideration that Omar ibn Al-Khattab was continuously in contact with Amre ibn Al-Aas and had intimate knowledge of every detail concerning Muslim presence in Egypt. This purports to the inference that Omar ibn Aı-Khattab must have sent reinforcements to Egypt after the battle of Babylon, as part of the preparations to advance to Alexandria. Amre ibn Al-Aas made use of the Egyptian nomad bedouins in services from the Muslim warriors, road building, acquisition of supplies and provisions, however, none of these were involved in actual combat against the Romans.

The Muslim warriors advanced toward Kiryaon to engage the Roman troops in what is described as the most ferocious of all Muslim Roman battles on Egyptian soil. The number of Roman forces actually present on the battlefield was at least ten times that

OMAR IBN AL-KHATTAB

The Road To Alexandria

By: Dr. Anas Moustafa El - Naggar, M.D., Ph.D.

During the time of the Roman occupation of Egypt, Alexandria was the capital city of the country. The city was founded in 332 BC by Alexander the Great; it was well planned, four miles in length and about two miles in width, with streets crossing at right angles. The light house considered one of the seven wonders of the world was built on the island of Pharos in 280 B.C. The island was later connected to the mainland by an isthmus called the Heptastadium. The city contained famous architectural monuments including the Temple of Serapis, the Temple of Paseidon, the Mausoleum of Alexander the Great and that of Ptolemies, musiums, theaters, emporiums, and famous cultural centres. The famous Alexandrian Library, founded by Ptolemy I gave the city the unchallenged reputation of being the literary and scientific center of the Hellenistic world. Later, under the Roman occupation, the city location made it the center of world trade between East and West. The city of Alexandria gained the pontific fame of a great metropolis because of its geographic and cultural significance throughout the Hellenic and Roman occupation of Egypt. The great city remained to reflect the architectural, monumental and cultural magnificence of both civilizations.

The Byzantine Roman Empire started to show signs of collapse after the Roman defeat in Syria and Palestine on the hands of Muslim crusaders. In Egypt, conditions were no better, and the Romans were again failing in every confrontation against the Muslim warriors. The Roman catastrophe reached its maximum after the death of Heraclius, the imperial household was disintegrating under the impact of conspiracy and intrigue. The heirs of Heraclius schemed against one another to reach absolute authority. This chaotic turmoil undermined the prestigious potency and authority of imperial sovereignty, which affected mostly the preservation of the integrity of the Roman Empire. This state of conflicting dissension in the imperial house resulted in the sudden unexplained death of Constantine the older son of Heraclius. Roman supplies and reinforcement to Egypt were repeatedly aborted due to the irresponsible authority of the imperial court. The Muslim warriors had occupied Babylon, and were energetically planning a strategy to march towards Alexandria, the capital city of Egypt, and by far the most strongly fortified. The permission was granted by Omar ibn Al-Khattab at Al-Madinah for the Muslims to advance to Alexandria.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 63, PART XII

Zu Al - HIJJAH 1411, HIJRAH

EDITOR: Dr. ANAS MOUSTAFA EL NAGGAR, M.D., Ph. D.

CONTENTS

1. Omar Ibn Al Khattab
   The Road to Alexandria.
   By: Anas Moustafa El Naggar

2. The Limelight of Theism
   By: Ismail R. Al-Faruqi.

3. Index to Year 1411.

"Nothing would be of greater benefit to the Muslims and to humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION